حَاشِيَةُ القُونَوِيِّ
عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥هـ
على
تَفْسِيرِ الإِمَامِ البَيْضَاوِيِّ
ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ
ومعه
حَاشِيَةُ ابْنِ التَّمْجِيدِ
مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠هـ
ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد الله محمود محمد عمر
منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

besturdubooks.wordpress.com

حاشية القونوي

عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي المتوفى سنة ١١٩٥ هـ

على

تفسير الإمام البيضاوي

ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي المتوفى سنة ٦٨٥ هـ

ومعه

حاشية ابن التمجيد

مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي المتوفى سنة ٨٨٠ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته

عبد الله محمود محمد عمر

الجزء الرابع عشر

المحتوى:

من أول سورة الفرقان ـ إلى آخر سورة القصص

تنبيه:

وضعنا في أعلى الصفحات نص حاشية القونوي وضمنه نص تفسير البيضاوي ضمن قوسين بالقوس الأسود، ووضعنا أسفل منه مباشرة نص حاشية ابن التمجيد مسبوقة فقراته دائما بعبارة «قوله»، ووضعنا في أسفل الصفحات الحواشي التوضيحية. كما نشير إلى أننا وضعنا نص القرآن الكريم كاملا في القسم الأعلى للصفحات وهو القسم المخصص لحاشية القونوي.

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت ـ لبنان

besturdubooks.wordpress.com

جميع الحقوق محفوظة

Copyright ©
All rights reserved
Tous droits réservés

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لـدار الكتب العلميـة بـيروت ـ لبـنـان

ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على اسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Exclusive Rights by
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah *Beirut - Lebanon*

No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Droits Exclusifs à
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah *Beyrouth - Liban*

Il est interdit à toute personne individuelle ou morale d'éditer, de traduire, de photocopier, d'enregistrer sur cassette, disquette, C.D, ordinateur toute production écrite, entière ou partielle, sans l'autorisation signée de l'éditeur.

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان
رمل الظريف، شارع البحتري، بناية ملكارت
هاتف وفاكس : ٣٦٤٣٩٨ ـ ٣٦٦١٣٥ ـ ٣٧٨٥٤٢ (١ ٩٦١)
صندوق بريد : ٩٤٢٤ ـ ١١ بيروت ـ لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Ramel Al-Zarif, Bohtory St., Malkart Bldg., 1st Floor
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
P.O.Box : 11 - 9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Ramel Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Malkart, 1ère Etage
Tel. & Fax : 00 (961 1) 37.85.42 - 36.61.35 - 36.43.98
B.P. : 11 - 9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-2706-3
90000
9782745127068

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

besturdubooks.wordpress.com

سورة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون) سورة الفرقان مكية في قول الجمهور ولذا اختاره المص والزمخشري والإمام الرازي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقتادة رحمه الله إلا ثلاث آيات من قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى قوله: ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ [الفرقان: ٧٠] نزلت بالمدينة وقال الضحاك السورة الكريمة مدنية إلا من أولها إلى قوله: ﴿ولا نشوراً﴾ [الفرقان: ٣] فإنه مكي وعدد الآيات متفق عليه وفي اللباب وثمانمائة واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون حرفاً.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾

قوله: (تكاثر خيره من البركة وهي كثرة الخير) تفسير له باعتبار حاصل معناه لا إشارة إلى تقدير مضاف ويدل عليه كلامه من البركة وهي كثرة الخير فكثرة الخير مأخوذة في مفهومه والتعبير بصيغة التفاعل موافقاً للنظم للمبالغة واختير صيغة التفاعل دون المفاعلة لأنها متعد والتفاعل لازم وفيه مبالغة عظيمة حيث أخبر بأن تكاثر خيره في كل أمر وبالنظر إلى كل شيء لا بالنظر إلى أمر معين كما هو مقتضى المفاعلة ولهذا روي عن رئيس المفسرين ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال معناه جاء بكل بركة قال تبارك وتعالى: ﴿وأن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ [إبراهيم: ٣٤] كأنه قيل تكاثر نعمه الأخروية والدنيوية بحيث لا تحصى ولا تعد ومن أعظمها تنزيل القرآن وللتنبيه عليه رتبه على تنزيله.

قوله: (أو تزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله فإن البركة تتضمن معنى

سورة الفرقان

مكية وآياتها سبع وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾.

قوله: فإن البركة تتضمن معنى الزيادة هو بيان سبب تفسير تبارك بتزايد يعني أن أصل معنى البركة كثرة الخير والكثرة لتضمنها معنى الزيادة ناسب أن يفسر تبارك بتزايد فيكون تفسيراً باللازم

besturdubooks.wordpress.com

الزيادة)[١] أو تزايد على كل شيء أي على كل موجود وتعالى عنه أي عن كل موجود وعظيم يستحقر بالنسبة إليه كل ما سواه وهذا المعنى هو المناسب هنا ومعنى التنزه كما هو المناسب لتعديته بعن لا يناسب هنا ونبه بعطفه تعالى عليه على أن التزايد هنا مستعار لمعنى التعالي ولا يتمشى هنا أصل معناه قوله في صفاته[٢] وأفعاله قال الإمام في ذاته وفي صفاته الخ تركه المص لأن العلو في ذاته راجع إلى العلو في صفاته لأن معناه كما اعترف الإمام جل في وجوب وجوده وقدمه عن جواز الفناء والتغير عليه وتعاليه في صفاته جل في قدرته وعلمه أن يخرج عنهما شيء من المعلومات والمقدورات وتعاليه في أفعاله وأصح وحاصل ما ذكر ما هو المراد من قوله: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١].

قوله: (وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير)[٣] الأولى تنزيل الفرقان ومعنى ترتيبه على إنزاله هو أن التنزيل علة لذلك الخير الكثير لأنه كما هو المشهور تعليق شيء بالمشتق يفيد علية[٤] مأخذه كأنه قيل تبارك الذي أي تكاثر خيره لتنزيله الفرقان الذي يتضمن خيراً كثيراً من الهداية إلى البغية والتنصيص على العقائد الصحيحة والتوقيف على أصول الشرائع وقوانين الاجتهاد وبه ينتظم أمر المعاش والمعاد وإلى ذلك أشار بقوله لما فيه من كثرة الخير.

قوله: (أو لدلالته على تعاليه) وعلوه وعظمته إما بإعجازه أو ببيانه بدليل ساطع

قوله وترتيبه على إنزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير أي ترتيب تبارك على إنزال الفرقان حيث ذكر مقدماً عليه لما في إنزال الفرقان من كثرة الخير فالمعنى اتصف تعالى بتكاثر خيره لما أنزل ما هو كثير الخير وهو القرآن المجيد الذي جمت منافعه وعمت عوائده كقولك قد جاد من أغنى الفقراء بعطيته معناه اتصف بالجود لاغنائه الفقراء بعطائه فإن ذكر الوصف بعد الحكم يشعر بعليته له.

قوله: أو لدلالته على تعاليه أي لدلالة الإنزال على تعالى منزله وهو عطف على قوله لما فيه من كثرة الخير يعني إذا كان تبارك بمعنى تكاثر خيره فالوجه في ترتيبه على إنزال الفرقان كون الإنزال كثير الخير وإن كان بمعنى تعالى فالوجه فيه دلالة الإنزال على تعالى منزله وجه دلالة الإنزال عليه كون المنزل هذا القرآن العظيم والفرقان الكريم الفارق بين الحق والباطل الذي بذت فصاحته نطق كل ناطق وسبقت بلاغته عنان كل سباق ومنه قوله تعالى: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً﴾ [الفرقان: ٦١] وقوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ [الملك: ١].

---

(١) والتزايد إما باعتبار كمال الذات في نفسها كما قيل تباركت النخل إذا تعالت أو باعتبار كمال الفعل وما نحن فيه يناسب المعنيين فلذا فسره الزمخشري بالثاني وتبعه المص واقتصر في الملك لمناسبته ما بعده كذا قيل مراده أن المعنيين يناسبان هنا فلذا فسر الشيخان بهما.

(٢) من كثرة الخير وهي يتضمن معنى الزيادة فينتظم كلا المعنيين قوله أو لدلالته على تعاليه والتعالي مستلزم لكثرة الخير فيعم الوجهين والقول بأن الأول للأول والثاني للثاني لا يلائمه لفظة أو.

(٣) والصفة كيفية راسخة بخلاف الفعل فلذا قوبل الصفة مع أنه صفة بمعنى ما قام بالغير.

(٤) العلة ذهنية وعكسه علة خارجية.

besturdubooks.wordpress.com

وبرهان قاطع ودلالة الإعجاز عقلي وما ذكر في القرآن من وصف ذاته بالعلو والعظمة نقلي فالدلالة عامة لهما فالقصر على أحدهما ليس بقوي.

قوله: (وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها) وقيل دام هذا المعنى مأخوذ من بروك الطير على الماء لا من البركة بمعنى كثرة الخير قيل البركة في الأصل مأخوذ من برك البعير وهو صدره ومنه برك البعير إذا ألقى بركه على الأرض واعتبر فيها معنى اللزوم ويسمى محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ثبوت الماء في البركة انتهى ويفهم منه أن معنى كثرة الخير للبركة معنى مجازي شبه ثبوت الخير الإلهي بثبوت الماء في البركة بل هذا المعنى أيضاً مجاز حيث جعل أصل البرك صدر البعير لكن إن تم هذا فالبركة في معنى الخير الكثير حقيقة اصطلاحية والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي لا يحس ولا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يعرف فيه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ولا يخفى أن كون الخير الإلهي غير محسوس على إطلاقه غير مسلم ولو أريد الخير في صفاته مع الخير في ذاته لا ينتظم بيان المص لأنه عمم الخير إلى صفاته وأفعاله فإن التزايد هو الخير المحض مرض معنى دام لأنه لا يناسب ما بعده[١] وجه الصحة مع الضعف هو أن في الدوام خيراً كثيراً فالدوام يتضمن الخير الكثير وبهذا الاعتبار يحسن الترتيب أو هذا ليس بلازم كما قيل.

قوله: (وهو لا يتصرف فيه) فلا يجيء منه مضارع ولا اسم الفاعل ولا مصدر وأما قوله:

إلى الجذع جذع النخل المتبارك نادر

قوله: (ولا يستعمل إلا لله تعالى) لأنه كلمة تعظيم لا تليق إلا بالعظيم وقولهم تباركت النخلة إذا تعالت قول من لا يعبأ به بقرينة تصريحهم عدم استعمالها في غيره تعالى كإطلاقهم الرحمن اليمامة على مسيلمة اليمامة وقراءة أبي كما سيأتي في الكشاف تباركت ومن حولها ومثله على ما نقله بعضهم قراءة شاذة لا تعد من القرآن فلا يعبأ به لدى أهل العرفان.

قوله: (والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما) والفرقان مصدر كالغفران

قوله: وقيل دام من بروك الطير على الماء وفي الصحاح كل شيء ثبت وأقام فقد برك.

قوله: والفرقان مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل يعني أن الفرقان مصدر فإذا أطلق على القرآن يحتمل أن يكون بمعنى الفاعل أو بمعنى المفعول فوجه تسمية القرآن به على الأول كونه فارقاً بين الحق والباطل بتقريره وبيانه أو بين

---

(١) وللتنبيه على ذلك بين ترتيبه على انزال القرآن في عقيب بيان المعنيين وقدمه على بيان المعنى وسكت عن ترتيبه على تنزيل الفرقان.

besturdubooks.wordpress.com

وكذا القرآن مصدر في الأصل مصدر فرق الشيء[1] من الشيء وعنه إذا فصله فهو متعد إلى مفعول واحد بنفسه وإلى الثاني بمن أو عن وكذا مصدر فرق بين الشين كما في قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥] ومن أنكر كونه مصدر فرق بين الشيئين لم يصب لأنه مع ورود استعماله في القرآن صرح به الراغب نقله عنه بعضهم ولا فرق بين الفرق والتفريق إلا بالتكثير وعدمه فمن فرق بينهما بأن الأول في المعاني والثاني في الأجسام برده قوله تعالى: ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ [المائدة: ٢٥] وإنما اختار كونه مصدر فرق بين الشيئين لملائمة قوله بين الحق والباطل على أن أحد الاستعمالين مستلزم للآخر ولو في الأغلب.

قوله: (سمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره أو بين المحق والمبطل بإعجازه) سمي به القرآن أي أطلق على القرآن مبالغة في فصله بين الحق والباطل كأنه عين الفصل مع أنه فاصل فإسناد الفرقان إلى القرآن مجاز عقلي وجعله بمعنى الفارق ضعيف لفوت المبالغة ولم يرد أن الفرقان في الأصل مصدر ثم سمي به القرآن فصار اسماً له في العرف كما كان كذلك في القرآن لأنه لا نقل في الفرقان بل هو باق على المصدرية لكن أطلق على الفارق مبالغة قوله بتقريره أي ببيانه ما هو الحق والباطل إما ببيان مجموعهما أو ببيان أحدهما صريحاً ويفهم منه الآخر التزاماً.

قوله: (أو لكونه مفصولاً بعضه عن بعض) أي المصدر بمعنى المفعول مجازاً فحينئذ إطلاق المفصول على القرآن من قبيل صفة جرت على غير ما هي له كما أشار إليه بقوله أي مفصولاً بعضه عن بعض في الإنزال وفيه إشارة إلى أنه مصدر فرق الشيء عن الشيء غايته أنه بمعنى المفعول وينبغي أن يكون مراده أنه لو جاء الكلام على ظاهره ولم يقصد المبالغة يكون الفرقان بمعنى المفروق لا أنه هنا بمعنى المفعول كما أفاده الشيخ عبد القاهر في حل قولها وإنما هي إقبال وإدبار كما في أوائل المطول.

قوله: (في الإنزال) ولذا اختير في النظم التنزيل الدال على التفريق وأما لفظ أنزل فيدل على الجمع كذا قاله الإمام هنا لكن هذا مقتضى اللفظ إذ التنزيل للتكثير فيفيد التفريق في النزول بخلاف الإنزال ويستعمل كل منهما في موضع الآخر فعلم من ذلك أن الأولى أن يقال في النزول بدل الإنزال ولا يلزم من ذلك اختصاصه بالقرآن لأن ما عداه من الكتب

المحق والمبطل بإعجازه ببلاغته وعلى الثاني كونه مفصولاً بعضه عن بعض في الإنزال لقوله تعالى: ﴿وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦].

---

[1] وفرق الشيء من الشيء مستعمل في إزالة الاتصال حسياً كان أو معنوياً ويقال له أيضاً الفك والانفصال والانفكاك لازمه وفرق بين الشيئين إزالة الالتباس بينهما وقد يستعمل هذا بمن باعتبار تضمينه معنى التمييز.

besturdubooks.wordpress.com

السماوية أنزل دفعة واحدة لأنه بالمعنى الأول عام له ولغيره من الكتب السماوية وكذا بمعنى مفصلاً إلى الآيات والسور.

قوله: (وقرىء على عباده وهم رسول الله وأمته كقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [الأنبياء: ١٠]) الآية وقرىء على عباده قارئه ابن الزبير كما في الكشاف وقوله كقوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [الأنبياء: ١٠] الخ إثبات لصحة إطلاق الإنزال على الأمة أي الإنزال كما يضاف إلى الرسول يضاف إلى الأمة لكونهم متعبدين بتفصيل أحكامها والإنزال لأجلهم في المعاش والمعاد وقد قيل إن المراد بالجمع الرسول تعظيماً كما قيل في أن الملائكة في قوله تعالى: ﴿أو قالت الملائكة يا مريم﴾ جبريل تعظيماً ولم يلتفت إليه لأن فيه نوع تكلف والوجه الأول مؤيد بالنص.

قوله: (أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية) أو الأنبياء عليهم السلام الذين نزل عليهم الكتاب على أن الفرقان أي على أن المراد بالفرقان هنا جنس شامل لها لأنه مصدر يتناول القليل والكثير أخر هذا الاحتمال لعدم ملائمته ظاهراً لقوله ليكون فإنه مفرد راجع إلى العبد المذكور صريحاً كما في القراءة الأولى أو المذكور في ضمن العباد كما في الاحتمال الأول من القراءة الثانية وكونه راجعاً إلى الفرقان بعيد لأن المنذور والنذير من صفات الفاعل للتخويف وإطلاقه على القرآن مجاز باعتبار السببية ولذا أخره المص في بيان مرجع ضمير ليكون.

قوله: (العبد أو الفرقان) العبد المذكور صريحاً في القراءة المتواترة أو المفهوم من عباده في قراءة ابن الزبير كونه نذيراً خص بالذكر لأنه أهم من التبشير لأنه أقوى في التأديب الغرض من الإرسال وإنما عبر بالعبد لأنه أشرف أسمائه وإن كان التعبير بالرسول أو النبي أنسب بالنذير ولم يجيء لينذر العالمين كما جاء في سورة الكهف لرعاية الفواصل.

قوله: (للجن والإنس) فيكون صيغة العقلاء على بابها وفي سورة الفاتحة إنما احتيج إلى التغليب لأنه عام لجميع الموجودات فيها قدم الجن لتقدم وجودهم فهو عام خص منه

قوله: وهم رسول الله وأمته أريد بالعباد الرسول وأمته مع أن المنزل إليه هو الرسول فقط احتيج إلى تأويل معنى النزول إلى الأمة وتأويله أن المقصود الأصلي من إنزال القرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام إرشاد الأمة إلى الصراط السوي فكان كأنه أنزل إليه وإليهم كما قال ابن جني وجهه أن الإنزال وإن كان على رسول الله ﷺ ولكن لما كان موصلاً له إلى العباد ومخاطباً به لهم صار كأنه منزل عليهم ولذلك كثر فيه الخطاب للعباد بالأمر والنهي لهم والترغيب والترهيب المصروف إليهم جميعاً وهذا هو الوجه في قوله تعالى: ﴿لقد أنزلنا إليكم﴾ [النور: ٣٤].

قوله: أو الأنبياء على أن الفرقان اسم جنس للكتب السماوية إذ لا يجوز ح أن يكون المراد به القرآن لأنه أنزل على رسولنا عليه الصلاة والسلام خاصة.

besturdubooks.wordpress.com

البعض بقرينة نذيراً فيه إشارة إلى أنه عليه السلام مبعوث إلى الجن أيضاً وإن كافرهم من أهل النار اتفاقاً وأما مؤمنوهم فالإمام أبو حنيفة متوقف فيهم أيدخلون الجنة أم لا خلافاً للإمامين فإنهما ذهبا إلى أنهم يدخلون الجنة ولم يذكر الملك لأنه عليه السلام لم يرسل إليه كما صرح به الإمام الرازي.

قوله: (منذراً أو إنذاراً كالنكير بمعنى الإنكار) منذراً أي نذير فعيل بمعنى مفعل والزمخشري وإن أنكره في قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ [البقرة: ١٠] لكنه اعترف في قوله تعالى: ﴿بديع السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٧] الآية وتبعه المص أو مصدر بمعنى الإنذار كالنكير بمعنى الإنكار توضيح له بالمشهور الأوضح والصيغة من الثلاثي وكونها بمعنى الافعال يحتاج إلى البيان فيهما وفي أمثالهما لعل وجهه أن الثلاثي بمعنى الافعال إذ معنى الثلاثي مغاير للمعنى المراد هنا فعلى هذا يكون من قبيل رجل عدل اخره لكونه مجازاً في النسبة وكونه بمعنى منذراً راجح لمقابلته في بعض المواضع مبشراً ولم يذكر المنذر به وهو العذاب الشديد والألم المديد للتهويل فإن في الإبهام تهويلاً بمعونة المقام أو لظهوره إذ الإنذار وهو الإعلام والتحذير يشعر به وإنما لم يجيء للكافرين بدل للعالمين مع أن التخويف من العذاب مختص بهم للإشارة إلى أنه رسول إلى الخلق إلى يوم القيامة.

قوله: (وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة) وإن لم تكن معلومة أي لمن ألقي إليه الكلام وهم المنكرون لأن الكلام مسوق لردهم بدلالة ما بعده حيث قال: ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ [الإسراء: ١١١] الآية فلا وجه لما قيل من أن هذه الجملة معلومة للرسول عليه السلام وهو المخاطب بها ألا يرى أن في بعض المواضع يجيء الكلام بالتأكيد رداً للمنكرين مع أن المخاطب به الرسول عليه السلام نعم لو اعتبر كونه عليه السلام مخاطباً بها لكان له

قوله: وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة يعني أن الصلة والصفة يجب أن تكونا معلومتي الانتساب للموصول والموصوف قبل الإخبار لأنهما إنما تكونان صلة وصفة بعد العلم بهما لأن الإخبار بعد العلم بها صفات كما أن الصفات قبل العلم بها إخبار فإذا لم يعلم المخاطب أن زيداً عالم قلت له مخبراً زيد عالم وإذا علم بهذا الخبر أنه عالم لكن لم يعلم أنه جاء أو لم يجيء قلت في الوصف بالصفة زيد العالم جاءني وفي الوصف بالصلة زيد الذي هو عالم جاءني ولما كان ظاهر قوله: ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١] فصلاً بين البدل أو المبدل منه أعني بين ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ وبين ﴿الذي نزل الفرقان﴾ جعلها من الصلة لكونها قيداً لها وغاية عنها فلا يكون فصلاً بالأجنبي ولما لزم جعلها من الصلة أن يكون معلومة الانتساب للموصول وإنزال القرآن لهذه العلة لم يعلم بعد بآية نازلة قبل هذه الآية جعل مضمونها جارياً مجرى المعلوم لقوة دليله إذ القرآن مشحون بالانذارات كما أنه مشحون بالبشارات فهو قرينة حالية قوية على أن القرآن أنزل ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١].

besturdubooks.wordpress.com

وجه في الجملة لكن لا يلائم السوق بل الذوق لما عرفت أن ما سبق له الكلام رد للمشركين اللئام فلا حاجة إلى ما يقال من أن تعريف الموصول كتعريف اللام قد يكون للجنس والعهد وقد تكون صلة مبهمة للتعظيم كقوله:

فإن استطع أغلب وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾

قوله: (بدل من الأول أو مدح مرفوع أو منصوب) بدل من الأول بدل الكل وكلاهما أي البدل والمبدل منه مقصودان فإن كون المبدل منه في حكم السقوط أكثري لا كلي أو مدح وهو على الاحتمالين خبر لمبتدأ محذوف وجوباً لأنه قطع النعت بالرفع وهذا هو المراد بقوله مرفوع أو مفعول به لفعل محذوف وهو أمدح أو أعني وهو الذي أشار إليه بقوله أو منصوب قدم الرفع لأنه أبلغ لكون الجملة اسمية.

قوله: (كزعم النصارى) وكزعم اليهود وزعم الخزاعة من مشركي العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود قالوا عزير ابن الله فلا يعرف وجه التخصيص بزعم النصارى وإن كان بطريق التمثيل إلا أن يقال إن القول باتخاذ الولد أشهر منهم.

قوله: (كقول الثنوية) وهم غير الوثنية[1] فإنهم قالوا فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وفساده ظاهر لأنهما عرضان لا يقومان بأنفسهما وهم يزعمون أنهما يقومان بأنفسهما أو يلزمهم ذلك القول وأن يلتزموا كذا فهم من تقرير المص في أوائل سورة الأنعام وفي شرح المواقف فإنهم قالوا فاعل الخير هو النور وفاعل الشر هو الظلمة وفساده ظاهر لأنهما عرضان فيلزم قدم الجسم وبين القولين نوع تنافر.

قوله: (أثبت له الملك مطلقاً ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه)[2] أثبت له الملك بقوله: ﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] أي بطريق الحصر كأنه لم يتعرض له لانفهامه صريحاً من قوله ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فتقديم الخبر لمجرد

قوله: أثبت له الملك مطلقاً ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه أي أثبت تعالى لذاته ملكاً مطلقاً بقوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] ونفى عنه ما يقوم مقامه في الملك وهو الولد بقوله: ﴿لم يتخذ ولداً﴾ [الفرقان: ٢] ونفى عنه أيضاً ما يقاومه فيه أي ما ينازعه ويعارضه في الملك بقوله ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ فكلمة في في فيه متعلقة بيقوم ويقاوم وهما عاملان فيه على التنازع.

---

(١) لأنهم عبدوا الأوثان.

(٢) تنازع فيه الفعلان.

besturdubooks.wordpress.com

الاهتمام لا للحصر مطلقاً أي لجميع الأشياء وهذا بناء على أن قوله: ﴿له ملك السموات والأرض﴾ [الفرقان: ٢] كناية عن ملكه جميع الأشياء بناء على أن المراد بالسموات العلويات وبالأرض السفليات إما كناية أو مجازاً ونفى ما يقوم مقامه وهو الولد بقوله: ﴿ولم يتخذ ولداً﴾ [الفرقان: ٢] ولو قال ونفى ما يجانسه لأن حق الولد أن يجانس والده وما يقاومه وهو الشريك في الملك ونفيه بقوله: ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ [الفرقان: ٢].

قوله: (ثم نبه على ما يدل عليه فقال ﴿وخلق كل شيء﴾ [الفرقان: ٢]) ثم نبه على ما يدل عليه أي على المذكور من انتفاء الولد وعدم الشريك وعلى الملك مطلقاً وإرجاع الضمير إلى الملك فقط ضعيف إذ معظم المقاصد الاستدلال على انتفاء الولد وعدم الشريك بل المقصود من إثبات الملك الاستدلال على انتفاء الولد والشريك له قال المص في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿له ما في السموات والأرض﴾ [البقرة: ١١٦] الآية والاستدلال على فساده أي اتخاذ الولد وتقديمه لا يضر ذلك.

قوله: (أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته) أحدثه إحداثاً وفيه تغليب ما وجد على ما لم يوجد فعبر عن المجموع بالماضي مراعى فيه التقدير أي المراد بالخلق ليس مجرد الإيجاد بل الإيجاد الخاص وهو إيجاد مراعى فيه التقدير الذي هو معنى لغوي للخلق فإن الإيجاد معنى شرعي له معتبر فيه المعنى اللغوي وهو التصوير والإبراز على مقدار معين ومنه قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾ [آل عمران: ٤٩] أي أصوره وأبرزه على مقدار معين قوله حسب إرادته تعالى أي على وفق إرادته وقيل[1] التقدير تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك واستوضح بتصوير النقاش الصورة في ذهنه ثم نقشه على وفق

قوله: ثم نبه على ما يدل عليه فقال ﴿وخلق كل شيء﴾ [الفرقان: ٢] أي ثم نبه على أمر يدل ذلك الأمر على أن الملك له مطلقاً وأنه لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وذلك الأمر الدال عليه هو خلقه تعالى وإيجاده كل شيء وجه دلالته عليه أنه إذا كان كل شيء مخلوقاً له تعالى موجوداً بايجاده يكون الكل ملكه تعالى لا محالة وإذا دل على أن الكل مملوكه تعالى دل أيضاً على أن المخلوق المملوك لا يكون ولدا لخالقه ومالكه ولا شريكاً له في ملكه.

قوله: أحدثه إحداثاً مراعى فيه التقدير حسب إرادته يعني معنى الخلق ليس مطلق الاحداث من العدم بل هو إحداث روعي فيه التقدير حسب الإرادة مثل تقدير صانع السرير حيث قدر أولاً صورته وهيئته في نفسه وصورة في خياله تصويراً مراعى فيه جميع ما لا بد منه في تحسينه ثم صنعه وأحدثه حسب ما قدره وصوره.

---

(١) قال الراغب الخلق أصله التقدير المستقيم وفي الأساس خلق الخياط الثوب قدره قبل القطع وقدر الشيء بالشيء قاسه وجعله من المقدار ومن المجاز خلق الله الخلق على تقدير أوجبته الحكمة.

besturdubooks.wordpress.com

تصويره ولما كان ذلك التصوير بالإرادة دون الإيجاب قال حسب إرادته.

قوله: (كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور[1] وأشكال معينة) كخلقه الإنسان أي إيجاد نوع الإنسان من مواد مخصوصة وهي عناصر وأغذية وأخلاط ونطف ومضغ مخلقة وغير مخلقة وهذا ما ذكره المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وكنتم أمواتاً﴾ [البقرة: ٢٨] الآية فالأولى إسقاط قوله عناصر ثم هذا في غير آدم عليه السلام فجمع المواد باعتبار كل فرد سوى آدم عليه السلام ولو أريد بها النطف فجمع المواد باعتبار الأنواع من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد وكذا الكلام في صور وأشكال عطف تفسير لها.

قوله: (فقدره وهيأه[2] لما أراد منه من الخصائص والأفعال كتهيئة الإنسان للإدراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الأعمال المختلفة إلى غير ذلك) وهيأه إشارة إلى دفع إشكال التكرار فإن التقدير المعتبر في الخلق التسوية والتصوير والتقدير المذكور بعده بمعنى التهيئة للخصائص فلا تكرار.

قوله: (أو فقدره للبقاء إلى أجل مسمى) أي إلى آخر مدة مثبت معين لا يقبل التغير فعدم التكرار حينئذٍ ظاهر إذ التقدير للبقاء غير التقدير بمعنى التصوير المعتبر في الخلق والتقدير للبقاء بمعنى القضاء والحكم وهذا معنى للتقدير عند بعضهم.

قوله: فقدره وهيأه لما أراد منه من الخصائص والأفعال وهذا التقدير هو التقدير اللاحق للخلق المتأخر عنه بقرينة الفاء التعقيبية في قدره بمعنى هيأه لما أريد منه وأما التقدير الذي هو مرعى في مفهوم الخلق فهو التقدير السابق على الخلق الواقع حسب إرادة الخالق وهو بمعنى التسوية لا التهيئة وأشار إليه رحمه الله بقوله كخلقه الإنسان من مواد مخصوصة وصور وأشكال معينة أي كخلقه من مواد قد خصها به في علمه القديم ومن صور وأشكال عينها له فيه وعلى هذا كلام صاحب الكشاف أيضاً حيث قال المعنى أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله أنه خلق الإنسان على هذا الشكل المقدر المسوي الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية المقدرة بأمثلة الحكمة والتدبير فقدره لأمر ما ومصلحة مطابقاً لما قدر له غير متجاف عنه وفي الأساس خلق الحزار الأديم والخياط الثوب قدره قبل القطع وقدر الشيء بالشيء قاسه عليه وجعله على مقداره ومن المجاز خلق الله الخلق أوجده على تقدير أوجبته الحكمة ويجوز أن يكون المراد بقوله عز من قائل: ﴿خلق كل شيء فقدره تقديراً﴾ أراد خلق كل شيء فقدره تقديراً فحينئذٍ يكون المراد من التقدير في فقدره التقدير السابق المراعى في الخلق كما سيذكر بعيد هذا من قول الزجاج فيكون الفاء في فقدره للتعقيب مع الترتيب لأن التقدير مرتب على الإرادة ومعقب لها.

---

(١) وصور كقوله زججت الحواجب والعيونا أي وصوره بصور وأشكال ولو أريد بها الصورة الجزئية وجوز تركب الجوهر من الجوهر والعرض القائم بذلك الجزء الجوهري لا يحتاج إلى التمحل.

(٢) أي اعطاه القوة والإمكان الاستعدادي لذلك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقد يطلق الخلق لمجرد الإيجاد) إطلاقاً حقيقياً إذ الظاهر أن الخلق في اصطلاح الشرع بمعنى الإيجاد مطلقاً سواء اعتبر فيه معنى التقدير بمعنى التصوير أو لا وإن اعتبر في مفهومه الشرعي التقدير فالاستعمال في مطلق الإيجاد مجاز وهذا إشارة إلى جواب ثالث لإشكال التكرار.

قوله: (من غير نظر[١] إلى وجه الاشتقاق فيكون المعنى وأوجد كل شيء فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً) من غير نظر إلى وجه الاشتقاق أي بحسب الوضع اللغوي فإن اشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير واعتبار المعنى اللغوي في المعنى الشرعي أكثري لا كلي ولا يشترط المناسبة بين المنقول والمنقول عنه إلا عند من فرق بين المنقول والمرتجل قيل أراد بوجه الاشتقاق معنى التقدير ووجه إطلاقه عليه لأن جهة الاشتقاق ملحوظ فيه لكونه معنى حقيقياً للخلق حتى لا يكون متفاوتاً أي مختلف الخلقة وعدم التناسب من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر كقوله تعالى: ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ [الملك: ٣].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾

قوله: (لما تضمن الكلام إثبات التوحيد والنبوة أخذ في الرد على المخالفين فيهما)

قوله: وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق أي من غير نظر إلى وجه الاشتقاق بين الخلق والايجاد وهو معنى التقدير الذي روعي في حقيقة معنى الخلق فالوجه الأول في معنى الخلق على الحقيقة فالواجب أن يفسر قوله فقدره بما يخالفه ولذا قال رحمه الله قدره وهيأه فعطف هيأه على قدره عطف التفسير وهو قول الزجاج حيث قال خلق الله الحيوان وقدر له ما يصلحه ويقيمه والوجه الثاني مبني على المجاز وذلك أن إحداث الله الشيء لما لم يكن إلا على وجه التقدير لأنه حكيم سمي مطلق إحداثه بالخلق لما فيه من معنى التقدير والفرق بين الوجهين أن التقدير والتسوية على الأول مقصود بذكر الخلق لأنه داخل في مفهومه وعلى الثاني غير مقصود بذكره ولكن لازم له بسبب إسناده إلى الحكيم فالفاء في فقدره على الوجهين للتعقيب مع الترتيب.

قوله: فقدره في إيجاده حتى لا يكون متفاوتاً أي حتى لا يكون ذلك الشيء متفاوتاً بعد كونه موجوداً فإن المصنوع إذا لم يراع في صنعته التقدير قبل الايجاد ربما يقع فيه بعد الايجاد تفاوت بالزيادة على ما به كماله أو بالنقصان عن حد فيه تمامه والزيادة بعد الكمال نقصان وهي مثل النقصان عن حد التمام في كونها معدودة من النقائص.

---

(١) فحينئذٍ فالفاء في فقدره للترتيب في الإخبار صرح به مولانا سعدي في قوله تعالى: **﴿فليتظر هل يذهبن﴾** **[الحج: ١٥]** الآية من سورة الحج أو للترتيب في الذهن فلأن ملاحظة التقدير عقيب تصور الخلق أو الفاء بمعنى الواو كما صرح به أرباب الأصول.

besturdubooks.wordpress.com

إثبات التوحيد منفهم من نفي اتخاذ الولد ونفي الشريك أو المراد الشريك في الألوهية والخالقية ووجوب الوجود وهذا النفي لما كان مدللاً ثبت الوحدانية وإثبات الوحدانية بطريق الدليل العقلي والشافعي حكموا بإثباته بالشرع لكن من جهة الاعتداد لا كلام في ثبوته بالشرع وإثبات النبوة بقوله: ﴿نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١] وثبوت النبوة بالدلائل العقلية والمعجزات القاهرة ولا يمكن ثبوته بالشرع لتوقف ثبوت الشرع عليه والمراد بإثباته بيانه وذكرها كقوله فيما سبق أثبت الملك له مطلقاً أي ذكر وحكم بثبوته له أشار بقوله على المخالفين إلى أن ضمير واتخذوا للكافرين سواء كانوا مشركي العرب أو أهل الكتاب والمراد بالآلهة المعبودات بالباطل لا واجب الوجود فإنه لم يذهب أحد من المشركين وأهل الكتاب إلى وجوب وجود ما سوى الله تعالى فحينئذٍ وجه الرد بقوله: ﴿لا يخلقون﴾ [الفرقان: ٣] الآية مع أنهم معترفون بذلك التحريض على النظر الصحيح حتى يعرفون أن ما هذا شأنه لا يستحق أن يكون معبوداً.

قوله: (لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم) أشار إلى أن المراد بالآلهة الأصنام فحينئذٍ صيغة العقلاء في يخلقون لإسناد ما هو خواص العالم إليها وهم وإن لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الإلهية فإن من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات فنفى الله تعالى عنها الخالقية وعدم قدرتها على الضر والنفع على طريق السلب الكلي في عموم الأوقات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة فيه نفي مالكيتها على الأمور المذكورة مع أن قوله: ﴿ولا يخلقون شيئاً﴾ [الفرقان: ٣] مغن عنها والمضارع في قوله: ﴿وهم يخلقون﴾ [الفرقان: ٣] للاستمرار وقيل لاستحضار الحال الماضية وكذا قوله: ﴿ولا يملكون﴾ [الفرقان: ٣].

قوله: (ولا يستطيعون دفع ضر ولا جلب نفع) دفع ضر بناء على أن ملكه التصرف فيه بالدفع في الأول والجلب في الثاني وهذا أولى من كون مراده الإشارة إلى تقدير المضاف قدم الموت لأنه أنسب بالضر ولأنه ادعى إلى عبادة من أماته ومن ذهب إلى أن قوله دفع ضر تنبيه على تقدير المضاف لم يحسن له أن يقال قدم الموت لمناسبة الضر المتقدم لأنه حينئذٍ بمعنى دفعه فلا يناسبه الموت.

قوله: (ولا يملكون إماتة أحد ولا إحياءه أولاً وبعثه ثانياً) أولاً أي في الدنيا فسره به تنبيهاً على أن المراد بالحياة الحياة العاجلة الدنيوية فلا يتناول الحياة الأخروية فلا يكون من

قوله: لأن عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم يريد أن الخلق في ﴿وهم يخلقون﴾ ليس بمعنى الايجاد من العدم لأن العبدة لا يقتدرون عليه بل هو بمعنى الافتعال كما في قوله عز من قائل: ﴿إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً﴾ [الفرقان: ٢] والمعنى أنهم اختاروا على عبادة الله عبادة أصنامهم معتقدين أنهم آلهة والحال أنه لا عجز أظهر من عجزهم لا يقدرون على شيء من أفعال الله تعالى ولا من أفعال العباد حيث لا يفتعلون شيئاً وهم يفتعلون بالنحت والتصوير.

besturdubooks.wordpress.com

قبيل عطف الخاص على العام وأما القول بأنه فسره به لئلا يتكرر مع قوله نشوراً فضعيف لما عرفت أن النشور أخص من الحياة.

قوله: (ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية) إشارة إلى الكبرى الأولى وكل ما هذا شأنه الخ.

قوله: (لعرائها عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على أن الإله يجب أن يكون قادراً على البعث والجزاء) عن لوازمها وهي خلق الأشياء والقدرة على الضر والنفع والإحياء والإماتة والقدرة على البعث والجزاء فعلم من جمع اللوازم أن الأولى أن يقال وفيه تنبيه على أن الإله أي المستحق بالعبادة يجب أن يكون قادراً على الخلق والضر والنفع الخ لكنه اكتفى بالقدرة على الجزاء والبعث لأن فيه تهديداً شديداً.

قوله تعالى: وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

قوله: (﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك﴾ [الفرقان: ٤] كذب مصروف عن وجهه) ﴿وقال الذين كفروا﴾ هذا شروع في بيان منكري نبوة نبينا عليه السلام ثم رده بأبلغ الرد المراد بالموصول المشركون لأن المص حمل قوله: ﴿واتخذوا﴾ [الفرقان: ٣] على أن المراد به المشركون والمراد بالآلهة الأصنام فالمناسب لما قبله كون المراد به المشركين أيضاً وأيضاً قولهم وأعانه عليه قوم آخرون قرينة عليه أن هذا أي ما هذا القرآن كلمة إن نافية بقرينة إلا.

قوله: (اختلقه) أي اخترعه من تلقاء نفسه وافتراه صفة للإفك كاشفة له إذ الإفك من الأفك بفتح الهمزة وسكون الفاء مصدر إفك الرجل إذا أفك كذباً فاحشاً موحشاً وذلك باعتبار متعلقه إذ عظم الذنوب من الكذب وغيره كما يكون باعتبار مصدرها وباعتبار نفسها كذلك يكون باعتبار متعلقاتها فالمنكرون بالغوا في إسناد الكذب إليه فعبروا بالإفك وعن

قوله: ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لأن الإله يجب أن يكون قادراً على كل ما يتعلق به إرادته ومشيئته ومن جملته الإماتة والإحياء والبعث والمجازاة وما يتخذونه آلهة لا يستطيعون لأنفسهم دفع ضرر عنها أو جلب نفع إليها وهم يستطيعون وإذا عجزوا عن الافتعال ودفع الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا عن الإماتة والإحياء والنشور التي لا يقدر عليها إلا الله أعجز وأقول الأولى أن يحمل الخلق في ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ على معنى الايجاد من العدم لا على معنى الافتعال لأن هذا الكلام وارد على وجه الاستدلال بانتفاء لوازم الألوهية عن أصنامهم على انتفاء كونها آلهة لأن المعنى لو كانت آلهة لاتصفت بصفات الألوهية كالخلق والملك والإحياء والإماتة والبعث والمجازاة لكنها ليست بمتصفة بها بل هي متصفة بأضدادها فهي ليست بآلهة وهذا صورة قياس استثنائي ذكر ما يدل على المقدمة الاستثنائية القائلة بسلب التالي لينتج نقيض المقدم.

besturdubooks.wordpress.com

هذا رد الله تعالى بأبلغ رد فقال: ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ [الفرقان: ٤] وأصل الإفك الصرف سمي الكذب به لأنه مصروف عن وجهه أي عن وجهه اللائق بجنس القول وهو الصدق فإنه وجه أي طريق حق لجنس القول فمرجع ضمير وجهه كذب لكن لا بخصوصه بل باعتبار ما يتضمنه وهو جنس القول أو لأنه مصروف عن وجهه اللائق بنفس ذلك القول الكاذب وهو كون متعلقه كذلك في الواقع فهو من قبيل نقل العام إلى الخاص أو مجاز والعلاقة الإطلاق والتقييد والمراد به ما أفك به على الله تعالى بأنه تعالى نزله مع أنه من تلقاء نفسه وحاصله أن القرآن ما كذب به أي افترى به على الله تعالى فلا يقال إن حمل الإفك على القرآن للمبالغة لما عرفت أن المراد ما أفك به ولهذا وصف بالافتراء ومعنى أو افتراه افترى به لما عرفت أن الإفك ما أفك به فالقرآن على زعمهم الباطل مفترى به لا أن نفسه مفترى والمفترى عليه هو الله تعالى.

قوله: (أي اليهود فإنهم يلقون إليه إخبار الأمم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل حبر ويسار وعداس) أي اليهود أي أحبارهم بقرينة قوله فإنهم يلقون الخ فالمراد بعضهم وإسناده إلى الكل لكونهم راضين له أو لكونه فيما بينهم لكن هذا مخصوص بإخبار الأمم الخالية مع أن كلامهم على إطلاقه أن القرآن إفك بأسره وما ذكره لا يلائمه إلا أن يقال إن الإعانة إنما يتحقق بذلك فإن الكل إذا كان من إلقاء اليهود لا يظهر معنى الإعانة ولا يخفى أن قولهم ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ لا يلائم قولهم وأعانه عليه قوم آخرون لأن الافتراء فسره المص بالاختلاق وهو مختص بما هو من تلقاء نفسه قوله وقيل حبر أي حبر الرومي غلام عامر بن الحضرمي ويسار قال في سورة النمل وقيل حبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والإنجيل وكان الرسول يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه انتهى. كان هذا منشأ هذا القول الباطل ولم يذكر عداس فيما مضى.

قوله: (وقد سبق في قوله ﴿إنما يعلمه بشر﴾ [النحل: ١٠٣] الآية) وحاصل كلامه هناك أن ما يسمعه عليه السلام منه كلام أعجمي لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن تفهمون بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وأيضاً هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لأن ذاك أعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها إلا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض أوقات مروره عليه كلمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها.

قوله: وهو يعبر عنه بعبارته أي يعبر رسول الله ﷺ عما يلقى إليه من إخبار الأمم بعبارته يعني قالوا إن هذا القران إلا إفك ليس كلام الله بل هو إخبار الأمم الماضية القاها اليهود إليه وهو يعبر عن تلك الاخبار بعبارته من غير نقل منهم ويلقيها إلى الناس ويقول هو كلام الله تعالى وهذا من غاية جحودهم أنه رسول من الله تعالى ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فقد جاؤوا) الفاء لتفيد سببية ما قبله لما بعده تنكير ظلماً للتعظيم وكذا تنوين زوراً وتقديم ظلماً لرعاية الفاصلة.

قوله: (يجعل الكلام المعجز إفكاً مختلقاً متلقفاً من اليهود) يجعل الكلام المعجز أي المعجز نظماً ومعنى إفكاً مختلقاً أي مخترعاً من تلقاء نفسه لفظاً متلقفاً من اليهود معنى وإلا فبين الاختلاق والتلقف نوع تنافر وأصل الزور من الزور وهو الانحراف سمي الكذب به لانحرافه عن الواقع كما سمي بالإفك لصرفه عن نفس الأمر.

قوله: (بنسبة ما هو بريء منه إليه وأتى وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته) أي مثل تعدية الفعل وقد يكونان لازمين إذا لم يكونا بمعنى فعل وفيه إشارة إلى أن الفعل الواحد كونه متعدياً مرة بمعنى وكونه لازماً تارة أخرى بمعنى الآخر لا بمعنى واحد قيل وأما حذف الجار وإيصال الفعل فلا بد فيه من السماع انتهى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥﴾

قوله: (ما سطره المتقدمون) والأساطير الأباطيل جمع أسطورة أو أسطارة أو أسطار جمع سطر وأصله السطر بمعنى الخط الأسطورة بضم الهمزة وسكون السين وضم الطاء البطلان والإسطارة بكسر الهمزة وسكون السين بمعنى البطلان والظاهر من كلامه هنا أنها جمع أسطار جمع سطر بمعنى الخط وقد فسرها في سورة الأنعام بالأباطيل وهو محتمل هنا والمعنى ما سطره المتقدمون من نحو أحاديث رستم واسفنديار.

قوله: (كتبها[1] لنفسه أو استكتبها) كتبها حال بتقدير قد وهو إما افتراء عليه لأنه لم

قوله: يجعل الكلام المعجز إفكا مختلقاً متلقفاً من اليهود أي مفترى متلقى منهم.

قوله: بنسبة ما هو بريء منه أي بنسبتهم إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام شيئاً هو بريء منه وهو الفرية أو بنسبتهم إلى القرآن شيئاً والقرآن بريء منه وهو كونه إفكاً.

قوله: وأتي وجاء يطلقان بمعنى فعل فيعديان تعديته يعني أن أصل جاء في تعديته إلى المفعول أن يكون بالباء لمقتضى أصل الاستعمال كأن يقال فقد جاؤوا بظلم ولكن لاطلاقه واستعماله بمعنى افعل المتعدي إلى مفعوله بلا واسطة الجار عدي تعديته فقيل جاؤوا ظلماً وهذا الاستعمال مبني على تضمين جاء معنى فعل قال محيي السنة في المعالم جاؤوا ظلماً وزوراً أي بظلم وزور فلما حذف الباء انتصب أي جاؤوا شركاً وكذباً بنسبتهم كلام الله إلى الإفك والافتراء وقال صاحب الكشاف وظلمهم أن جعلوا العربي يتلقن من العجمي والرومي كلاماً أعجز بفصاحته جمع فصحاء العرب والزور وإن بهتوه بنسبة ما هو بريء منه إليه.

قوله: كتبها لنفسه معنى لنفسه مستفاد من صيغة افتعل فإنها موضوعة لاتحاد الفاعل الفعل لنفسه نحو اتزنه أي وزنه لنفسه واكتسبه أي كسبه لنفسه واستكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه لنفسه.

---

(١) كتبها لنفسه وأخذها كما تقول اسكب الماء واصطبه إذا سكبه وصبه وأخذ كما في الكشاف.

besturdubooks.wordpress.com

يكتب قط أو لظنهم أنه يكتب أو مجاز بمعنى أمر بكتابتها وهذا الأخير هو الراجح بل الأظهر الاكتفاء بالمعنى الثاني وهو استكتبها كون الافتعال بمعنى الاستفعال شائع إلا أن يقال إن المعنى الأول أنسب بما قبله إذ طلب الكتابة لا يستلزمها وكونها أساطير الأولين يلائم كتبها.

قوله: (وقرىء على البناء للمفعول لأنه أمي وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وأفضى الفعل إلى الضمير فصار اكتتبها إياه كاتب ثم حذف الفاعل وبني الفعل للضمير فاستتر فيه) وقرىء على البناء للمفعول قارئه طلحة لأنه أمي بيان لوجه هذه القراءة وجه التخصيص بهذه القراءة هو أن المعنى على هذه القراءة كتبت له ولأجله فعلله بأنه أمي فلذا كتب لأجله بخلاف القراءة الأولى المتواترة فإن المعنى على هذه كتب لنفسه أو طلب الكتابة فلا يقتضي كونه أمياً قوله وبني الفعل للضمير(١) أي للإسناد إلى الضمير فيكون المعنى وبني للمفعول وإنما تسامح للتصريح بأن المفعول الغير الصريح أقيم هنا مقام الفاعل مع وجود المفعول الصريح وهذا خلاف المشهور ومما جوزه الرضي ولم يرض به الجمهور.

قوله: وأصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام أي الجارة من له وأوصل الفعل إليه فقيل اكتتبها إياه ثم بني اكتتب للمفعول وأقيم الضمير المنصوب المنفصل مقام الفاعل فانقلب مرفوعاً مستتراً وبقي ضمير المفعول على حاله متصلاً بالفعل قال صاحب الفرائد لقائل أن يقول إن كان قوله له مفعولاً به بحرف وجب أن لا يجوز بناء الفعل له مع وجود المفعول به المتعدي إليه بلا واسطة حرف وإن كان مفعولاً له وهو الوجه لأن المعنى اكتتبها كاتب له أي لأجله وجب أن لا يبنى له أما الأول فلما في المفصل حيث قيل هناك للمفعول به المتعدى إليه بغير حرف من الفضل على سائر ما يبنى له أنه ظفر به في الكلام فممتنع أن يسند إلى غيره تقول دفع المال إلى زيد وبلغ بعطائك خمسمائة برفع المال وخمس المائة ولو ذهبت تنصبها مسنداً إلى زيد وبعطائك قائلاً دفع إلى زيد المال وبلغ بعطائك خمسمائة خرجت عن كلام العرب وأما الثاني فلأنه قد ذكره فيه أيضاً المفاعيل سواء في صحة البناء له إلا المفعول الثاني من باب علمت والثالث في باب اعلمت والمفعول معه والمفعول له وجوابه ما بينه القاضي رحمه الله من أنه مفعول به بواسطة حرف ولما حذف الجار صار كأن الفعل متعد إليه بلا واسطة حرف فأوصل إليه ثم بني الفعل للمفعول وأقيم هو مقام الفاعل وقال ابن جني اكتتبها قراءة طلحة بن مصرف وإنما هو استكتبها وهو على القلب أي استكتبت له ولا يكون معناها كتبها بيده لأنه ﷺ كان أمياً لا يكتب وليس ممتنعاً أن يكون اكتتبها بمعنى كتبها لأنه على رأيه وأمره كقولنا ضرب الأمير اللص إلى هنا كلامه.

---

(١) ثم حذف الفعل وبني الفعل الخ قال الفاضل السعدي قال مولانا العلامة صاحب الكشاف وقد قال آنفاً لا بد فيه من السماع فتأمل انتهى فالظاهر إن جاء وأتى تعديتهما بحذف الجار وإيصال الفعل إذ معنى الفعل لجاء في كل موضع ليس بحسن بل ليس بصحيح مثل جاءني زيد فإنه لا يصح فعل زيد مع أنه متعد والمعنى جاء إلى زيد نعم ما ذكر الشيخان وجه آخر لتعدية جاء وأتى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ليحفظها فإنه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب) ليحفظها إشارة إلى دفع إشكال بأنه كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وإنما يقال أمليت عليه فهو يكتبها فأشار إلى الجواب بأن المراد[1] بالإملاء الإلقاء عليه للحفظ بعد الكتابة استعارة لا الإلقاء للكتابة لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب ثم علله بأنه أمي لا يقدر الخ فلذا تملى عليه بعد الكتابة أي تقرأ عليه.

قوله: (أو ليكتب) فحينئذٍ يكون الكلام على ظاهره حيث يكون الإلقاء للكتابة هذا إذا كان معنى اكتتبها استكتبها أي طلب الكتابة فهي تملى أي تقرأ عليه ليكتب ولهذا الإشكال جواب آخر وهو كون المعنى أراد كتابتها فهي تملى الخ كما في الكشاف تركه لأنه في المآل معنى استكتبها فلا فرق بين المعنيين على أنه مجاز فلا يصار إليه حيث أمكن الحقيقة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾

قوله: (في السموات) حال من السر والمعنى يعلم الأسرار كلها إذ السموات والأرض عبارة عن جميع العالم.

قوله: (لأنه أعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه إخباراً عن مغيبات مستقبلة) لأنه أعجزكم الخ علة لكون الذي يعلم الأسرار منزلاً للقرآن لكن هذا غير مستفاد من النظم هنا فهو بيان للواقع وتمهيد لقوله وتضمن إخباراً الخ فإن كون القرآن متضمناً للأسرار يدل على كونه منزلاً من عند عالم الأسرار والخفيات وهو خالق الكائنات قوله عن آخركم صفة مصدر محذوف أي عجزاً متباعدهم عن آخرهم بتضمين معنى التباعد وتجاوزاً لعجز آخرهم وبلوغه غيرهم يوجب عموم العجز لهم فيكون كناية عنه وللمبالغة اختير الكناية وقد مر التفصيل في أوائل البقرة في قوله: لما عجزوا عن آخرهم ولما كان الإعجاز دالاً على العجز قدرنا المصدر المحذوف عجزاً إذ لا معنى لتجاوز الإعجاز متباعداً عن آخرهم إلا باعتبار ملاحظة العجز قوله بفصاحته أي ببلاغته إشارة إلى أن منشأ إعجاز القرآن هو كونه

قوله: ليحفظها فإنه أمي هذا إشارة إلى أن تملي هنا مجاز مستعار لأن حقيقة الإملاء القاء الكلام إلى الكاتب ليكتبه والملقى إليه هنا هو الرسول عليه الصلاة والسلام وهو أمي لا يكتب فوجب المصير إلى المجاز المستعار تشبيهاً لإلقاء الكلام إلى الأمي ليحفظه بالقائه إلى الكاتب ليكتبه فقوله رحمه الله فإنه أمي إشارة إلى قرينة المجاز وقوله أو لتكتب على صيغة المبني للمفعول مسنداً إلى الأساطير عطف على ليحفظها وهذا إشارة إلى جواز حمل الإملاء على حقيقته والمعنى وهي تملي عليه ليكتب له أي ليكتبها كاتب له.

---

(١) والإملاء والإملال بمعنى واحد وهو حمل الكاتب على الكتابة بإلقائه ما يكتبه ثم استعير هنا لإلقائه للحفظ وقد يستعمل الإملاء بمعنى الكتابة ولذا قيل الملة لأنها مما يملى ويكتب كما صرح به الفاضل الخيالي لكن المراد هنا الالقاء للكتابة أو للحفظ بقرينة اكتتبها.

besturdubooks.wordpress.com

في ذروة الأعلى من البلاغة وهو الأصح المشهور قوله وتضمن ماض عطف على أعجزكم وفي بعض النسخ وتضمنه بالضمير فحينئذٍ يكون مصدراً معطوفاً على فصاحته ومنشأ الإعجاز لكنه ضعيف.

قوله: (وأشياء مكنونة لا يعلمها إلا عالم الأسرار) وأشياء مكنونة كالجنة والنار وما فيهما من الأسرار فإنها وإن كانت موجودة الآن لكنها غائب عنا فلذا جعل هذه مقابلة للمغيبات المستقبلة التي لم توجد الآن بل توجد في المستقبل كالأخبار التي لم توجد مضمونها بعد ووجد في المستقبل كما أخبرت كقوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾ [الروم: ١ ـ ٣] الآية ونظائرها كثيرة فالقادر على تركيب نظم القرآن لا بد وأن يكون عالماً بكل المعلومات ظاهرها وباطنها وهو الله تعالى لا غير فالسر هنا بمعنى الغيب مطلقاً سواء كان موجوداً غاب عن حسنا أو معدوماً سيوجد في وقته المقضي له وللتنبيه على ذلك قيد المغيبات بالمستقبلة مع أن الأشياء المكنونة من المغيبات أيضاً لكنها ليست من المغيبات المستقبلة قوله إلا عالم الأسرار إشارة إلى أن اللام في السر للاستغراق ولكون استغراق المفرد أشمل اختير المفرد.

قوله: (فكيف تجعلونه أساطير الأولين) أو فكيف تجعلونه إفكاً افتراه وإنكار كيفية الجعل المذكور إنكار الجعل كناية.

قوله: (فلذلك لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها أو استحقاقكم أن يصب عليكم العذاب صباً) فلذلك لا يعجل الخ إشارة إلى مناسبة الخاتمة الابتداء في المعنى فإن قوله تعالى: ﴿قل أنزله الذي يعلم السر﴾ [الفرقان: ٦] يوهم أن الفاصلة إنه عليم أو خبير ونحوه لكن يعرف بعد التأمل أن اللائق هو أنه غفور رحيم لأنه لا يعجل في عقوبة من شنع كتاباً بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم إلا الغفور الرحيم وإلى ذلك أشار بقوله لا يعجل في عقوبتكم الخ لكن الظاهر أن هذا معنى رحيم فإنه يستلزم الحلم وهو عدم التعجيل في العقوبة ومعنى الغفور هنا غفور لمن تاب منهم ولظهوره لم يذكره ولو قيل إن المعنى لا يعجل في عقوبتكم لعلهم يتوبون فيغفر الله لهم فيكون هذا معنى غفور بهذا الاعتبار ومعنى رحيم متفضل على عباده مع المغفرة

قوله: فلذا لا يعجل في عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها أو استحقاقكم أن يصب عليكم صباً يعني لما كان ما قبل هذه الآية في معنى الوعيد للكفرة الذين قالوا ما قالوا من موجبات العقوبة عقبه بقوله: ﴿إنه كان غفوراً رحيماً﴾ [الفرقان: ٢] دلالة بوجه الكناية على أنه قادر على العقوبة لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على المؤاخذة لكن لم يعجل في عقوبتهم لاتصافه بالمغفرة والرحمة وتنبيهاً على أنهم استوجبوا لمكابرتهم هذه أن تصب عليهم العقوبة صباً وهذا الوجه أوفق لتأليف النظم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ذكر المغفرة والرحمة بعد ذلك لأجل أن يعرفوا أن هذه الذنوب العظيمة المتجاوزة عن الحد مغفورة إن تابوا وإن رحمته واصلة إليهم بعدها ولا ييأسوا من رحمته بما فرط منهم.

besturdubooks.wordpress.com

وقيل كان الظاهر أنه عليم ونحوه فأشار المص إلى مطابقة الخاتمة للمعنى بأن ما تقدمه في معنى الوعيد فعقبه بما يدل على قدرته على الانتقام منه كناية لأنه لا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر أو هو تنبيه على استحقاقهم للعذاب ولكنهم لم يعجلوا به لمغفرته ورحمته وهذا بعيد وإن كان له وجه في الجملة لأن ما يذكر بعده شديد العقاب ونحوه وأما غفور رحيم فيذكر بعد الوعد واللطف ويشهد له الاستقراء.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾﴾

قوله: (وقالوا مال هذا الرسول ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم) مال هذا الرسول وقعت في الكشاف اللام مفصولة عن هذا في خط المصحف وهو سنة لا تغير لكن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي لكن الكاتبين غيروا خط المصاحف العثمانية فيه وفي أمثاله أصلح الله تعالى شأنهم.

قوله: (كما نأكل) أي يأكل مما نأكل لا من غير ما نأكل حتى يكون خارقاً للعادة فلا ينافي النبوة أو يأكل أكلاً يشابه أكلنا فيترتب على أكله ما يترتب على أكلنا من نقض الوضوء ونحوه فينافي الرسالة وهذا مراد المص بهذا القيد وفهم هذا القيد مما ذكر في موضع آخر من قوله تعالى: ﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون﴾ [المؤمنون: ٣٣] فعلم منه أنه اكتفى هنا بالأكل عن الشرب أو الأكل عام له بعموم المجاز.

قوله: (لطلب المعاش كما تمشي) إشارة إلى أن مشيه للاحتياج إلى تحصيل المعاش فإنه مناف للرسالة لا المشي مطلقاً والقرينة على هذا القيد قوله في الأسواق أو لكون هذا المقال لإنكار الرسالة وما ينافي الرسالة في زعمهم المشي في الأسواق لطلب المعاش المشعر للاحتياج المنافي للرسالة ولا بعد في أن يكون المشي في الأسواق كناية عن الاحتياج المنافي لها فلا يقتضي المشي في الأسواق.

قوله: (والمعنى إن صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا) إن هنا بمعنى لو المستعمل في الاستدلال فيكون لانتفاء الأول لانتفاء الثاني أي لو صح دعواه فيخالف حاله حالنا لكن التالي منتف وكذا المقدم وكون المعنى ذلك لأن ما في مال هذا الرسول استفهامية للإنكار الوقوعي أي لا سبب لهذا الذي يزعم أنه رسول في أكله ومشيه سوى عدم الرسالة فإن شأن الرسالة عدم الأكل والمشي فحاصل المعنى ما ذكره المص قوله لم يخالف حاله أي في الأكل والمشي حالنا أو الحال مطلقاً من خواص البشر فيكون ذكر

قوله: وفيه استهانة وتهكم أي وفي تعبيرهم عمن لا يعتقدوا رسالته بلفظ الرسول استحقار له واستهزاء به.

besturdubooks.wordpress.com

الأكل والمشي من باب الاكتفاء بهما أو هما كناية عن جميع الخواص البشرية والاكتفاء بهما لأنهما غالباً حاجات الإنسان إليهما.

قوله: (وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فإن تميز الرسل عمن عداهم ليس بأمور جسمانية وإنما هو بأحوال نفسانية كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠]) لعمههم العمه في البصيرة وهي إدراك المعقولات كالعمى في البصر فكما أن العمى يمنع رؤية المبصرات كذلك العمه يمنع إدراك الحقائق إذ البصيرة كما عرفت قوة القلب المنور بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها والعمه انتفاء تلك القوة وهو مستلزم للتحير في الأمر ولذا فسره المص به في سورة البقرة وقصور نظرهم أي قصره على المحسوسات لما عرفت أن بصيرتهم مؤوفة بالعاهات فظنوا بسبب ذلك أن تميز الرسل عمن عداهم بأمور محسوسة جسمانية ليست متحققة في الرسل وليس كذلك بل التميز بأحوال نفسانية تستدعي شرف النفس بالتحلي بالفضائل والكمالات القدسية لأن الرسالة رتبة روحانية تقتضي كمالات روحانية فالأكل والمشي وأمثالهما لا ينافي ذلك كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿أنما أنا بشر مثلكم﴾ [الكهف: ١١٠] نأكل ونشرب ونحو ذلك مثلكم ﴿يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ [الكهف: ١١٠] أي وإنما تميزت عنكم بذلك لا غير.

قوله: (لولا أنزل إليه ملك) لولا للتحضيض أي هلا أنزل ولما لم يصح التنديم هنا يراد به النفي فقط أي ما أنزل إليه ملك.

قوله: (لنعلم صدقه بتصديق الملك) أي إياه فهو مضاف إلى الفاعل والمفعول متروك والظاهر أنه حمل كون الملك معه نذيراً على تصديق الملك أنه نبي وكونه نذيراً لأنه متضمن القول بأنكم إن لم تؤمنوا به فقد خسرتم خسراناً مبيناً ولفظ مع هنا لمجرد الجمع ولا يضره عدم اتحاد زمانهما لأن هذا في لفظ مع أكثري لا كلي وتمام الكلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ولما دخل معه السجن فتيان﴾ [يوسف: ٣٦] ولم يجوز هنا كون المعنى فيكون رسولاً إلينا كما جوزه فيما سيأتي لأن قوله إليه يأبى عنه فيكون بالنصب لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام كذا في الكشاف أو حكمه حكم النفي كما صرح به في كتب النحو وهو الراجح إذ المعنى هنا على النفي كما أشرنا إليه وقرىء بالرفع فحينئذٍ يكون معطوفاً على أنزل ومحله الرفع ويؤيده أنه يقال هلا ينزل بالرفع.

قوله: وذلك لعمههم العمه عدم البصيرة كما أن العمى عدم البصر قوله وقصور نظرهم على المحسوسات من قصرت الشيء على كذا إذا حبسته عليه ولم يتجاوز به إلى غيره يقال قصرت اللقحة على فرسي إذا جعلت درها له.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾﴾

قوله: (﴿**أو يلقى إليه كنز**﴾) أي لولا يلقى إليه كنز عطف على أنزل والمضارع هنا للدلالة على الاستمرار التجددي للاحتياج إليه تجدداً وهذا أولى مما قيل للدلالة على أن الكنز الملقى يبقى ويستمر لعدم نفاده فإن هذا مفاد الجملة الاسمية دون مفاد المضارع والتعبير بالإلقاء لأن المراد النزول من السماء والإلقاء هو الطرح والإنزال من السماء هو الطرح منها ولذا لم يقولوا أو يكون له كنز كما قالوا أو تكون له جنة ولعل الباعث على ذلك كونه خارقاً للعادة يدل على صدقه بلسان الحال كما أخبر صدقه الملك بلسان المقال ولم يعبره بالإنزال للتفنن.

قوله: (**فيستظهر به ويستغني به عن تحصيل المعاش**) فيستظهر به بالنصب جواب لولا إذ المعنى أو لولا يلقى إليه كنز كما مر.

قوله: (**هذا على سبيل التنزل أي إن لم يلق إليه كنز فلا أقل من أن يكون له بستان**) هذا على سبيل التنزل أي قوله أو تكون له جنة الخ في الكشاف يعنون أنه أي الرسول يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الإنذار والتخويف ثم نزلوا أيضاً فقالوا وإن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء ثم نزلوا فقنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه فجعل الثلاثة تنزلاً وخص المص التنزل بالأخير فخالفه لأن ما قبله استئناف جواب سؤال هو كيف يخالف حاله حالكم كما يشهد له قطعه فيه أي عدم العطف كذا قيل وقال بعضهم إنه لا مخالفة بينهما وذكر التنزل هنا لنفيه التنزل فيما قبله بالكلية لأن ما قبله لا يدفع اعتراضهم لعدم مخالفته لهم في الأكل والمشي إذ هي غير لازمة من الإنزال والإلقاء بل المعنى إن لم يوجد المخالفة فهل لا يكون معه من يخالف فيهما فإن لم يوجد فهلا تخالف في إحديهما وهو طلب المعاش برفع الاحتياج بالكلية فإن لم يوجد فلا أقل من رفعه في الجملة بإيتاء ما يتعيش بريعه انتهى وجعل الزمخشري التنزل التنزل عن

قوله: هذا على سبيل التنزل تمام بيانه ما في الكشاف وهو أنهم يعنون أنه كان يجب أن يكون ملكاً مستغنياً عن الأكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا أيضاً فقالوا وإن لم يكن مرفوداً بملك فليكن مرفوداً بكنز يلقى إليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج إلى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بأن يكون رجلاً له بستان يأكل منه ويرتزق كما للدهاقين والمياسير أو يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم تم كلامه الدهقان بكسر الدال وضمها فارسي معرب يقال تدهقن الرجل إذا تعيش في القرى بالفلاحة ونحوها وجمعه دهاقين والمياسير جمع ميسور بمعنى غني واليسار الغنى قوله فيتعيش بريعه الريع النماء والزيادة.

besturdubooks.wordpress.com

اقتراحهم أن يكون ملكاً إلى اقتراح أن يكون إنساناً معه ملك الخ فكيف يقال إن المص خالفه مع أن ذلك التنزل بديهي غاية الأمر خص التنزل الأخير بالذكر ليعلم الباقي بالمقايسة كما هو عادته روماً للاختصار ولك أن تقول كلمة هذا إشارة إلى المذكور من التنزلات الثلاثة وتخصيص البيان بالأخير لما ذكرنا قوله جواب سؤال ضعيف لأنهم صرحوا المخالفة بعدم الأكل وأوضحه المص بقوله وذلك لعمهم الخ فلا مجال للسؤال ولا الجواب فلا مجال لإنكار أن يكون الثلاثة تنزلاً فعلم منه ضعف ما قيل أيضاً من أنه ذكر التنزل هنا لنفيه التنزل فيما قبله بالكلية إذ التنزل من أن يكون الرسول ملكاً ولا ريب في التنزل عنه بالكلية وقس عليه باقي كلامه وما ذكر ههنا ذهول عن قول صاحب الكشاف ثم نزلوا عن اقتراحهم أن يكون ملكاً الخ وسبب ترك العطف في ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ لعدم الجامع لا لكونه استئنافاً معانياً فلا ريب أنه استئناف نحوي أي ابتداء كلام مسوق لإلزام الرسول بزعمهم ثم المراد بالتنزل مجاراة الخصم للتبكيت لا لتسليم أن الرسول يجوز أن يكون بشراً كذا فإن قوله تعالى حكاية عنهم ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم إلا أن قالوا ابعث الله بشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] قال المص هناك إلا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً يدل على ما قلنا حيث قصر سبب إنكارهم على أن يرسل الله بشراً رسولاً فما ذكر هنا وأمثاله من باب مجاراة الخصم للإسكات والإلزام تعنتاً وعناداً في دخول الإسلام ومن هذا البيان ظهر أن قول المص في أوائل سورة الأنعام فإنهم تارة يقولون لولا أنزل عليه ملك وتارة يقولون ﴿لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ فيه تسامح إذ قولهم ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ من باب مجاراة الخصم لما عرفت أنهم ينكرون كون البشر رسولاً ولو كان معه ملك قرين له يكلمنا أنه نبي لكنه لإسكات الخصم على زعمهم تارة يقولون كذا وتارة أخرى لولا يلقى إليه كنز أو تكون له جنة أو يكون لك بيت من زخرف أي من ذهب فعلم منه أيضاً أن اكتفاءه في سورة الأنعام بالقول الأول بناء على التساهل أو على أنه أغلب أقوالهم في المحاورات وفي إبراز الترهات.

قوله: (كما للدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائي بالنون والضمير

قوله: وقرأ الكسائي بالنون أي قرأ نأكل بالنون قال صاحب الكشاف النصب في فيكون لأنه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على أنه معطوف على أنزل ومحله الرفع الاتراك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لأنهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون إلا مرفوعاً قال أبو البقاء أو يلقى أو يكون معطوف على أنزل لأن أنزل بمعنى تنزل أو يلقى بمعنى ألقى وقال صاحب الكشاف أو يلقى إليه كنز أو يكون له جنة كلاهما بالرفع لا غير داخل في التخصيص فليس بجواب له وقال الطيبي الوجه في قراءة فيكون بالرفع أن يجعل من تتمة انزل مرتباً عليه غير مستقل باستقلال يلقى ويكون ليكون مطابقاً لقراءة النصب وعليه المعنى والقائلون هم كفار قريش.

besturdubooks.wordpress.com

للكفار) كما للدهاقين ما موصولة وموصوفة أي مثل البستان التي للدهاقين والمياسير في احتوائه أشجاراً كثيرة ومنافع وافرة وأنواع الأثمار بحيث يستغني عن سائر ما يحتاج إليه التجار الدهاقين جمع دهقان وهو صاحب الضيعة والزراعة وهو معرب دهحان أي رئيس القرية والمياسير جمع موسر بمعنى الغني والظاهر أن هذا الجمع على خلاف القياس.

قوله: (وضع الظالمون موضع ضميرهم تسجيلاً عليهم بالظلم فيما قالوه ما تتبعون).

قوله: (سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر[١] **وهو الرئة أي بشراً لا ملكاً)** ذا سحر بضم السين وسكون الحاء كذا في منتخب الصحاح وقيل بفتح السين وسكون الحاء وقد تفتح وهو الرئة فيكون المسحور للنسبة كلابن وتامر ومفعول كفاعل يأتي للنسبة ولو قليلاً.

قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾

قوله: (أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة) الأقوال الشاذة الخ أشار إلى أن الأمثال هنا مستعار للأقوال الغريبة المستبعدة في الغرابة.

قوله: (عن الطريق الموصل إلى معرفة خواص النبي عليه السلام والمميز بينه وبين المتنبي) فخبطوا خبط عشواء كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع وأصل الخبط ضرب اليد أو الرجل على الأرض أو نحوها العشواء الناقة التي لا تبصر ما أمامها فجعل مثلاً للسلوك إلى ما لا يليق الذي يؤدي إلى الهلاك أو إلى الفساد. **(إلى القدح في نبوتك أو إلى الرشد والهدى).**

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾

قوله: (﴿تبارك الذي إن شاء﴾) [الفرقان: ١٠] الآية تكاثر خير الذي إن شاء جعل لك الظاهر ان إن بمعنى لو أي لو شاء الجعل المذكور جعل لك ذلك لكن لم يشأ ذلك لحكمة دعته ولحقارة الدنيا فلم يوجد ذلك وقيل إن ههنا بمعنى إذا أي قد جعلنا لك في الآخرة ولم يرض به المص حيث قيده بفي الدنيا وإن أبقي إن على ظاهرها لاحتاج إلى التمحل وضرب من التأويل ولعل وجهه التنبيه على أنه لا حق لأحد على الله تعالى ولو كان رسولاً مقرباً فالمشية في نفسها محتمل الوقوع واللاوقوع

قوله: وقيل ذا سحر السحر بضم السين وسكون الحاء الرية والجمع أسحار.

قوله: أي قالوا فيك الأقوال الشاذة واخترعوا لك الأحوال النادرة من نبوة مشتركة بين إنسان وملك والقاء كنز إليه من السماء وغير ذلك فضلوا أي فبقوا متحيرين ضلالاً لا يجدون قولاً يستقرون عليه أو فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقاً إليه.

---

(١) قوله إلا رجلاً أي رجلاً يتنفس ويأكل ويشرب.

besturdubooks.wordpress.com

وإن كان تعالى عالماً بأحد الطرفين جزماً وإذا حمل على معنى لولا استغنى عن التأويل.

قوله: (في الدنيا) قيده به لأن الكفار أرادوا بالجنة الجنة في الدنيا فهذا جواب عن شبهتهم فلا بد من هذا القيد.

قوله: (مما قالوه ولكن أخره إلى الآخرة لأنه خير وأبقى) مما قالوه لأن ما قالوه كنز وجنة من نخيل وأعناب كما صرح به في سورة الإسراء وما جعل له تعالى إن شاءه ما لا خطر ببال أحد ولم ير مثله قوله ولكن أخره مؤيد لما قلنا من أن إن بمعنى لو إذ المعنى لكنه تعالى لم يشأ ذلك في الدنيا بل أخره إلى الآخرة وهذا شائع في التعبير بلو دون إن الاستقبالية.

قوله: (جنات تجري من تحتها الأنهار) وقد بالغ في الجواب وردهم حيث قالوا أو تكون له جنة فأجاب سبحانه وتعالى بأنه لو شاء لجعل له جنات متعددة تجري من تحت أشجارها الأنهار إما من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد أي تجري نهر واحد من تحت أشجار جنة جنة أو المراد جري الأنهار الكثيرة في كل واحدة من تلك الجنات وهو الظاهر الراجح.

قوله: (بدل من خيراً) بدل الكل فإن الخير لكون استعماله بمن في معنى الجمع هنا فيوافق البدل في الجمعية.

قوله: (عطف على محل الجزاء) ومحله مجزوم واختيار المضارع هنا ظاهر وأما الماضي في المعطوف عليه فالنكتة فيه إظهار رغبة المقترحين ولذا اختير الماضي في الشرط أيضاً بخلاف جعل القصور فإنه لم يذكر هنا رغبتهم فيه.

قوله: (وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر بالرفع[1] لأن الشرط إذا كان ماضياً جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله:

وإن أتاه خليل يوم مسغبة   يقول لا غائب مالي ولا حرمُ)

قوله: عطف على محل الجزاء يعني ويجعل لك بالجزم عطف على محل جعل لك الواقع جزاء الشرط الذي هو إن شاء.

قوله: كقوله وإن اتاه خليل الخليل صفة لا اسم رجل مشتق من الخلة بالضم وهي الحاجة والفقر والحرم الحرمان قال أبو عبيدة يقال مال حرم إذا كان لا يعطى منه قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ارتفاع يجعل على أنه جملة مبتدأة معطوفة على الجملة الشرطية لا على الجزاء أي أو يزيد لك على ما قالوا وهذا قول الزجاج حيث قال ومن رفع فعلى الاستئناف والمعنى سيجعل لك قصوراً أي سيعطيك الله أكثر مما قالوا.

---

(١) وليس على حذف الفاء كما ذهب إليه المبرد ولا الجواب محذوف وهذا على نية التقديم كما ذهب إليه سيبويه ويبتني على الخلاف جواز جزم المعطوف وهل رفع الجواب لازم أو جائز قولان للنحاة أيضاً كذا قيل.

besturdubooks.wordpress.com

بالرفع لأن الشرط الخ لأنه لما لم يظهر أثره في المجاور له لم يؤثر في البعيد واستشهد على فصاحة الرفع أيضاً بقول زهير في قصيدة مدح بها هرم بن سنان بالسخاء والعطاء في يوم اشتد فيه حاجة الفقراء لكن هذا إنما يتم إذا لم يكن رفعه لضرورة الشعر والظاهر أنه لمحافظة الوزن خليل من الخلة بفتح الخاء وهي الفقر والاحتياج مسغبة مفعلة من السغب وهو الجوع ووقع في نسخ القاضي مسألة بدل مسغبة وهي تحريف من الناسخ إذ المشهور مسغبة.

قوله: (ويجوز أن يكون استئنافاً بوعد ما يكون له في الآخرة) فحينئذٍ الواو ليست بعاطفة بل ابتدائية والمراد استئناف نحوي لا بياني إذ لا وجه للسؤال بأنه كيف حاله في الآخرة حتى يجاب به فإن حاله عليه السلام في الآخرة أجلى من كل جلي وكونه مستقبلاً على هذا واضح.

قوله: (وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو) نقل عن سيبويه أنه قال إنه ضعيف وقيل إنه شبيهي بالنفي انتهى لكن هذا الوجه فيما إذا لم يكن الشرط والجزاء واقعين كما هنا بخلاف ما إذا لم يكن معلوماً وجودهما ولا انتفاؤهما أو كانا واقعين وكلامهم أنه جواب بالواو إما للشرط أو للجزاء مطلقاً ولا يخفى ضعفه.

قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾﴾

قوله: (﴿بل كذبوا بالساعة﴾) إضراب انتقالي معطوف على ما حكي عنهم يقول بل بأعجب من ذلك كله كذا في الكشاف والظاهر أن مراده أنه عطف على مقدر يفهم من السابق والمعنى أنهم تجاسروا على هذه الأقاويل الفاسدة بل تجاسروا بأشنع من ذلك وكذبوا بالساعة أي بوقوعها أو إمكانها.

قوله: (فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا) فقصرت أنظارهم إشارة إلى ما

قوله: وقرىء بالنصب على أنه جواب بالواو أي وقرىء ويجعل بالنصب على أنه جواب الشرط بالواو وقال ابن جني قرأ عبد الله بن موسى وطلحة بن سليمان يجعل لك بالنصب على أنه جواب الجزاء بالواو كقولك إن تأتني آتك وأحسن إليك وجازت إجابته بالنصب لما لم يكن جواباً إلا بوقوع الشرط من قبل وليس قوياً مع ذلك ألا تراه أنه بمعنى قولك افعل كذا إن شاء الله تم كلامه وقيل إنما نصب في جواب الشرط لأنهما ليسا بواقعين حال المشارطة فكانا كالتمني اعتبر ابن جني كونه جواباً للجزاء دون الشرط كما اعتبره صاحب الكشاف فإنه ذهب إلى أن النصب على أنه جواب الشرط بالواو وكان قول القاضي رحمه الله وقرىء بالنصب على أنه جواب من غير تعرض إلى أنه جواب الشرط أو جواب الجزاء تجويز منه كلا الاحتمالين.

قوله: فقصرت أنظارهم على الحطام الدنيوية الحطام الهشيم وهو النبات اليابس المتكسر والشجرة البالية المتكسرة يأخذها الحاطب من حطمته حطماً أي كسرته والحطام ما تكسر لليبس استعير لما اكتسبه الرجل من المال.

besturdubooks.wordpress.com

ذكر في الكشاف فعلى هذا قوله تبارك جملة معترضة والأحسن أن المعطوف عليه مقدر قبل قوله تعالى: ﴿بل كذبوا﴾ [الفرقان: ١١] كما ذكرنا والمعنى فقصرت لإنكارهم الحشر أنظارهم وأفكارهم ومساعيهم على الحطام أي على تحصيل الأموال الفانية سريعاً أو فقصرت أنظارهم والتفاتهم على الحطام أي زخارف الدنيا وزينتها فلا حاجة إلى تقدير المضاف قوله وظنوا الخ يؤيد المعنى الأخير.

قوله: (إن الكرامة إنما هي بالمال فطعنوا فيك بفقرك) إن الكرامة أي العزة والشرافة منحصرة على المال لا غير وتسبب ذلك كله طعنك بفقد المال فطعنوا فيك وقالوا: ﴿لولا ألقي إليه﴾ [الزخرف: ٥٣] الآية ولما كان هذا التكذيب سبباً لهذا القول كان التكذيب أعجب من هذا القول.

قوله: (أو فلذلك كذبوك) أي لأجل تكذيبهم بالساعة كذبوك لأن من كذب الساعة لا

قوله: أو فلذلك كذبوك عطف على قوله فقصرت أنظارهم فسر رحمه الله قوله تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ [الفرقان: ١١] بوجوه أربعة الوجه الأول أن يكون هو كلاماً متصلاً بما طعنوا به فيه من الفقر حيث قالو أو يلقى إليه كنزاً وتكون له جنة وارداً في معرض التعليل والمعنى أن طعنهم ذلك لقصر نظرهم على الاعراض الدنيوية من المال والمنال وتكذيبهم بالساعة والوجه الثاني أن يكون هذا كلاماً متصلاً بتكذيبهم له عليه الصلاة والسلام بأن قالوا ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ والمعنى بل كذبوا بالساعة فلذلك كذبوك فيما ادعيت أنه رسول وإن ما جئت به كلام الله والوجه الثالث أن يكون متصلاً بما يليه من قوله سبحانه: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً منها﴾ [الفرقان: ١٠] الآية والمعنى كيف يصدقون بهذا الجواب المفصح عن وعده بجزيل الثواب في الآخرة والمجازاة الأخروية إنما تكون بعد قيام الساعة وهم يكذبون بها ومن يكذب بقيام الساعة لا يصدق بهذا الجواب الناطق بثبوتها والوجه الرابع أن يكون معطوفاً على ما حكي عنهم وموصولاً به والمعنى بل أتوا بأعجب من ذلك وهو التكذيب بالساعة فلا تتعجب بتكذيبهم إياك والفرق بين الوجه الثاني والرابع مع أن كليهما على تقدير كونه إضراباً عن قولهم ﴿إن هذا إلا إفك افتريه﴾ أن الوجه الثاني مبني على كونه تعليلاً لتكذيبهم إياه عليه الصلاة والسلام والوجه الرابع مبني على نفي التعجب عن تكذيبه وتسلية رسول الله قال الإمام رحمه الله أجاب الله تعالى عن شبهتهم بوجوه أحدها قوله انظر كيف ضربوا لك الأمثال وبيانه أن الذي يميز الرسول عن غير الرسول هو المعجزة وهذه الأشياء المذكورة لا يقدح شيء منها في المعجزة كأنه قيل انظر كيف اشتغل القوم بضرب هذه الأمثال التي لا فائدة فيها لأنهم ضلوا وأرادوا المقدح في نبوتك فلم يجدوا إلى القدح سبيلاً وثانيها قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾ [الفرقان: ١٠] أي من الذي ذكروه من نعم الدنيا كالكنز والجنة وفسر الخير بقوله: ﴿جنات﴾ [الفرقان: ١٠] فنبه بذلك على أنه قادر على أن يعطي الرسول ﷺ كلما ذكروه لكنه تعالى يعطي عباده بحسب المصالح أو على وفق المشيئة ولا اعتراض لأحد عليه سبحانه وثالثها قوله: ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ [الفرقان: ١١] كأنه قيل ليس ما تعلقوا به شبهة علمية بل الذي حملهم على تكذيبك تكذيبهم بالساعة ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يكذبون بالساعة فلا يرجون ثواباً ولا عقاباً ولا يتحملون كلفة النظر والفكر فلهذا لا ينتفعون بما ورد عليهم من الدلائل.

besturdubooks.wordpress.com

يتحمل مشاق التكاليف والفائدة من تصديق الرسول عليه السلام تحمل التكاليف التي بلغها إليهم متوقعاً في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها وهو النعم الباقية في الآخرة فلا جرم أن من أنكر الآخرة لا يصدق النبي فتكذيبهم الساعة سبب لتكذيب الرسول عليه السلام فيكون هذا أعجب من ذلك كما في الأول ولما كان قولهم المذكور مشعراً[١] بتكذيب الرسول عليه السلام فكان هذا القول ترقياً من هذا التكذيب إلى تكذيب الساعة.

قوله: (لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة) فإن المطاعن الفاسدة سببها تكذيبهم الساعة كما عرفته فإنكارهم الساعة سبب لهما فلا يكون المطاعن سبباً لتكذيب الرسول عليه السلام فإنه ليس بأولى من عكسه والقصر مستفاد من الفحوى إذ المتبادر من السبب السبب التام فلما كان تكذيب الساعة سبباً لتكذيب الرسول عليه السلام انتفى عنه أي عما تمحلوا وهذا ينافي ما ذكر في تفسير قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى﴾ [الكهف: ٥٥] الآية والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله بشراً فإنه حصر سبب الإنكار على إنكارهم أن يرسل الله بشراً رسولاً إذ الجمع بين الحصرين مشكل التمحل التكلف في استعمال الحيلة في توجيه الكلام وتصحيح المقام وهذا ليس بمذموم في توجيه الكلام بل ربما كانت ممدوحة وأما التمحل في مثل هذه المطاعن فمذموم جداً.

قوله: (أو فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله[٢] لك في الآخرة) أو فكيف يلتفتون الخ فحينئذٍ يكون متصلاً بقوله: ﴿تبارك﴾ [الأعراف: ٥٤] كأنه قيل بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب وكيف يصدقون بمثل ما وعدك الله تعالى في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة كذا في الكشاف فحينئذٍ يكون معطوفاً على تبارك كذا قيل والأظهر أنه عطف على محذوف متصل بتبارك والمعنى لا يلتفتون إلى هذا الجواب بل كذبوا كما نبه عليه الشيخان والترقي من عدم التفات هذا الجواب إلى بيان أنهم لا يؤمنون بالآخرة رأساً.

قوله: (أو فلا تعجب من تكذيبهم إياك فإنه أعجب منه) أو فلا تعجب الخ فيكون إضراباً معطوفاً على ما حكي عنهم كما في الأولين والأولى عدم الفصل بالوجه الثالث وجه الأعجبية أنهم أنكروا الساعة الذي هو سبب لإنكار الرسالة فإن من صدق الآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب كذا بينه المص في تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به﴾ [الأنعام: ٩٢] الآية فإنكار السبب أعجب من إنكار المسبب ومغايرة هذا الوجه للوجه الثاني هي أنه لوحظ هنا

---

(١) وهذا إشارة إلى الفرق بين الوجهين إذ الأول ترق من القول المذكور وحكايته إلى التكذيب والثاني ترق من تكذيب الرسول عليه السلام المنفهم من قولهم إلى تكذيب الساعة.

(٢) قوله بما وعد الله لك الخ هذا على تقدير كون ويجعل لك قصوراً مستأنفاً بوعد ما يكون له في الآخرة فلا ينافي قوله جعل لك في الدنيا.

besturdubooks.wordpress.com

أعجبية تكذيب الساعة من تكذيب النبي عليه السلام فنهى عن التعجب في تكذيبهم إياك بخلاف الوجه الثاني فإنه لوحظ فيه مجرد السببية.

قوله: (ناراً شديدة الاستعار) أي التوقد والالتهاب[1] فهي نكرة ولذا دخلت عليه الألف واللام في مثل قوله تعالى: ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾ [الملك: ١٠].

قوله: (وقيل هو اسم لجهنم) أي مطلقاً أو هو اسم لواحدة من دركات جهنم وقد صرح به المص في تفسير قوله تعالى: ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ [الحجر: ٤٤] فلا وجه لتمريضه هنا إلا أن يقال إن العلم ما هو محلى باللام وأما كون النكرة بدون اللام علماً فضعيف أو كونه علماً لمطلق الدار العقاب ضعيف إذ الكلام فيه فإن من كذب بالساعة عام لأصحاب الدركة المخصوصة وهم الصابئون وغيرهم فلا يراد به الدركة المخصوصة.

قوله: (فيكون صرفه باعتبار المكان) إذ الظاهر أنه غير منصرف ح للتأنيث والعلمية لكنه صرف لتأويله بالمكان أو للتناسب ورعاية الفاصلة كقوله تعالى: ﴿كانت قواريراً﴾ [الإنسان: ١٥].

قوله تعالى: إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

قوله: (إذا كانت بمرأى منهم) أي قريباً منهم وصارت منهم بقدر ما يرى منه وكون السعير بالحيثية المذكورة عبر بالرؤية مجازاً لكونه سبباً للرؤية باعتبار النوع وإن لم يكن ذلك القرب سبباً لرؤية السعير وتحقق علاقة المجاز في النوع كاف واحتياج هذا التأويل بحسب العادة إذ الرؤية شأن ذي الحياة وسيجيء وجه آخر.

قوله: (كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما) أوله أن المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما وفي النهاية معناه يجب على المسلم أن يتباعد منزله عن منزل المشرك

قوله: كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا تتراءى ناراهما أي لا تتقاربان بحيث يكون أحدهما بمرأى من الآخر على المجاز يعني قوله لا تتراءى ناراهما مجاز في معنى تتقاربان بحيث يكون أحدهما بمرأى من الآخر وجه التجوز أن تراءى ناراهما لازم لتقاربهما على هذه الحيثية فاستعمل اللفظ الموضوع للازم في الملزوم هذا إذا لم يكن عندهما نار وإن كانت تكون كناية لا مجازاً قال صاحب الانتصاف معنى لا تتراءى ناراهما أنه يجب على المسلم أن يباعد منزله عن منزل المشرك ولا ينزل بالمنزل الذي إذا أوقدت فيه نار تلوح وتظهر لنار المشرك وقال الطيبي رحمه الله إذا جعل قوله رأتهم مجازاً كان قوله ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ ترشيحاً قوله هذا فصل الخطاب يؤتى بمثل هذا عند تمام كلام والشروع في كلام آخر معناه المذكور هذا أو هذا ما ذكروه أو خذ هذا أو هذا تأويل المعتزلة.

---

(١) السعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار أي ألهبتها.

besturdubooks.wordpress.com

والتباعد الواجب كون نار أحدهما إذا أوقدت لم ير الآخر والمص أشار إليه بقوله أي لا تتقاربا بحيث تكون إحداهما بمرأى من الأخرى والمراد تباعد منزله عن منزل المشرك تباعداً بحيث لا يعد الجار القريب كناية وأن يرى نار أحدهما الآخر لأن هذا متفاوت بكثرة النار وقلتها واستواء الأرض وانخفاضها وغير ذلك من الأسباب وبهذا يحصل التلفيق بين هذا وبين قوله عليه السلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد وهو المشرك من أهل الكتاب كذا قال المص في سورة النساء في تفسير قوله تعالى: ﴿والجار ذي القربى والجار الجنب﴾ [النساء: ٣٦] الآية فالمراد بالجار المشرك الجار البعيد فلا منافاة بينهما فثبت أن قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كناية عن التباعد المعتد به في الشرع.

قوله: (أي لا تتقاربان بحيث يكون إحديهما بمرأى من الأخرى على المجاز) أي المجاز المرسل لما عرفت أن التقارب سبب للرؤية فذكر المسبب وأريد السبب لقرينة فإن الرؤية من خواص الحيوان وقيل والظاهر أنه استعارة بالكناية(١) شبه ناراهما بشخصين متباعدين قوله لا تتراءى أي تخييل فقول المص أي لا يتقاربان بيان حاصل المعنى ولا يخفى بعده(٢) وعدم لطافته والاستشهاد بالحديث مع كونه أيضاً محتاجاً إلى الاستشهاد إشارة إلى أنه تجوز معروف وإلا فوجود العلاقة كاف في صحة التجوز وأيضاً هذا ليس بأولى من عكسه وشراح الحديث أن يستشهد بهذه الآية.

قوله: (والتأنيث لأنه بمعنى النار أو جهنم) وهي مؤنث معنوي أو جهنم وجهنم علم لدار العقاب وهو في الأصل مرادف للنار وهي مؤنث أيضاً قوله لأنه بمعنى الخ لف ونشر على تفسيري السعير وأما التذكير فيما قبل بالتأويل بالمكان فالمناسب التأنيث بالتأويل بالبقعة.

قوله: (وهو أقصى ما يمكن أن يرى منه) أراد به دفع إشكال فإنه معنى البعد مع الرؤية فيه إشارة إلى أنها لشدة غيظها صوت صوت تغيظ أول الرؤية فهذا المكان قريب لتمكن الرؤية منه وبعيد بالنسبة إلى كونه أقصى ما يمكن أن يرى منه فلا كلام في اجتماع القرب والبعد في شيء واحد من جهتين ولفظة من ابتدائية.

قوله: (صوت تغيظ شبه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره) فذكر اسم المشبه به وهو صوت تغيظ إذ تغيظا على حذف المضاف أي صوت تغيظ كما قاله المص وأريد المشبه وهو صوت غليان فهو استعارة مصرحة تحقيقية وهذا هو الظاهر وقيل إنه استعارة مكنية أو تمثيلية(٣) أما الأول فهو شبه السعير بالشخص المغتاظ في أخذ

---

(١) ولما كان المجاز أبلغ اختير هذا على القول وإذا رأوها من مكان بعيد الخ.

(٢) وكذا القول بأنه استعارة تمثيلية.

(٣) شبهت النار مع الأحوال العارضة لها بمن له تلك الحال فمفردات الكلام على حالها كما هو شأن الاستعارة التمثيلية.

besturdubooks.wordpress.com

الانتقام وهذه مكنية وإثبات الغيظ تخييلية وأما كونه استعارة تمثيلية فتعرف بطليقة سليمة.

قوله: (**وهو صوت**[١] **يسمع من جوفه هذا**) شبه صوته بإخراج النفس من جوف الحيوان بل الحمار في الكراهة والنفرة فيكون استعارة مصرحة ويحتمل المكنية والتمثيلية والمراد إخراج النفس مع المد وأصله من الزفر وهو الحمل الثقيل ولما كان النفس المذكور غالباً على صاحبه أطلق عليه ثم أطلق على صوت يسمع من جوف الحيوان والمراد بالجوف ما يشبه به وهو وسط النار ولما كان الزفير مسموعاً لم يقدر الصوت بخلاف التغيظ فإن نفسه ليس بمسموع فلذا قدر الصوت.

قوله: (**وإن الحياة لما لم تكن مشروطة عندنا بالبنية أمكن أن يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر**) إشارة إلى توجيه آخر وهو حمل الكلام على ظاهره فلا مجاز في رؤية السعير وتغيظه وزفيره بل هي على حقيقتها والمراد بالبنية الجسد قال الإمام مذهب أصحابنا ليست البنية شرطاً في الحياة والنار على ما هي عليه يجوز أن يخلق الله الحياة والعقل والنظر فيها وعند المعتزلة ذلك غير جائز انتهى ولذا قال المص عندنا احترازاً عن مذهب المعتزلة وإنما لم يذكر العقل والنظر لأنهما تابعان للحياة وإنما أخر هذا الوجه مع أنه لكون اللفظ محمولاً على حقيقة أحرى بالتقديم لكونه خلاف الظاهر والمجاز والاستعارات شائعة في كلام الله تعالى والحمل على الحقيقة بطريق خرق العادات ضعيف لا داعي له غاية الأمر أنه ممكن لا ممتنع كما زعم أهل الاعتزال وعن هذا قال المص أمكن أن يخلق الله تعالى الحياة فيها وفي قوله تعالى: ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ [الملك: ٨] الآية لم يذكر هذا الاحتمال بل ذهب إلى أنه تمثيلي[٢] أو أنه بتقدير المضاف وقيد الإمكان أشار إلى تزييف ما قاله الإمام قال أصحابنا قول الله تعالى في صفة النار ﴿إذا رأتهم من مكان﴾ [الفرقان: ١٢] الآية يجب إجراؤه على الظاهر لأنه لا امتناع في أن يكون النار حية انتهى لأن قوله لأنه لا امتناع لا يفيد الوجوب بل يفيد الإمكان.

قوله: (**وقيل إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف**) والنسبة إليها يجوز

قوله: وقيل إن ذلك لزبانيتها فنسب إليها على حذف المضاف قال الإمام هذا قول الجبائي والرؤية والتغيظ عندنا يجب إجراؤهما على الظاهر فإنه لا امتناع في أن يكون النار حية مغتاظة على الكفار والمعتزلة لما جعلوا البنية شرطاً في الحياة احتاجوا إلى التأويل ولذا حمله صاحب الكشاف على التشبيه حيث قال في تفسيره سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر وقال صاحب الانتصاف لا حاجة إلى المجاز لأن رؤية جهنم جائزة وقد تظاهرت الظواهر بوقوع هذا الجائز نحو قوله تغيظاً وزفيراً ومحاجتها مع الجنة وقولها

---

(١) ولما كان هذا الصوت صوتاً غريباً مختصاً بها قيل سمعوا لها ولم يقل سمعوا منها أو فيها.

(٢) حيث قال وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم.

besturdubooks.wordpress.com

على الإسناد المجازي من غير تقدير المضاف بل هذا أبلغ مما ذكره ومرضه إذ التقدير خلاف الظاهر ولا حاجة إليه لكن ضعف هذا وعدم ضعف احتمال خلق الحياة فيها منظور فيه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُواْ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

قوله: (﴿وإذا ألقوا منها مكاناً﴾) هذا بيان أحوال الكفرة بعد إدخالهم السعير ذكر ذلك بعد ذكر حال النار حين رأتهم قبل دخولهم النار وذلك ما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وجيء يومئذٍ بجهنم﴾ [الفجر: ٢٣] وفي الحديث يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها لها زفير وتغيظ وفي التعبير بالإلقاء مبالغة فإنه هو الطرح فإنهم يطرحون طرح الحطب في النار بخلاف الإدخال في دار البوار.

قوله: (**أي في مكان ومنها بيان تقدم**) أي في مكان أشار إلى أن المكان ظرف هنا وأما في قوله تعالى: ﴿من مكان بعيد﴾ [الفرقان: ١٢] فاسم الظرف لا الظرف قوله ومنها أي لفظ منها بيان تقدم للاهتمام إذ الأهم الإلقاء في مكان هو من جهنم لا الإلقاء في المكان ولفظة من للتبعيض لا للبيان المصطلح.

قوله: (**فصار حالاً**) لفظ صار للتنبيه على أن كل جار ومجرور بعد نكرة فهو صفة لا حال فإذا قدم انتقل من كونه صفة إلى حال لتخصيص النكرة بتقديمها وتعلقها بألقوا بعيد إذ ابتداء الإلقاء من خارج النار لا من النار كما هو الظاهر.

قوله: (**لزيادة العذاب**) بيان لوجه ضيقه والزيادة بحسب الكيف وأنها جزاء أعمالهم وفاقاً لا الزيادة على ما يستحقونه.

قوله: (**فإن الكرب**) بسكون الراء بعد الفتح.

قوله: (**مع الضيق**) أي في الجملة أي يورث كرباً وغماً في الجملة وإن كان المتمكن فرحاً فخوراً وكونه باعثاً لزيادة العذاب بانضمام العذاب الروحاني والجسماني.

﴿هل من مزيد﴾ واشتكت النار إلى ربها ولو فتح باب التأويل في أحوال المعاد يجر إلى مذهب الفلاسفة خذلهم الله ونحن متعبدون بالظاهر ما لم يمنع مانع.

قوله: ومنها بيان تقدم فصار حالاً أي منها بيان لمكان حين تأخر عنه على أنه صفة مبينة له فتقديره وإذا القوا مكاناً كائناً من السعير ضيقاً فقدم فصار حالاً فالمعنى وإذا القوا كائناً منها مكاناً مثل جاءني راكباً رجل ونكتة التقديم كون المقصود تقييد العامل لا توصيف المكان لزيادة العذاب لفظ زاد يستعمل متعدياً ولازماً وكذا نقص والمعنى ههنا على التعدية انسب لكونه علة غائية لألقوا.

قوله: فإن الكرب مع الضيق والروح مع السعة الكرب الغم الذي يأخذ النفس وكذلك الكربة بالضم يقال أكربه الغم إذا اشتد عليه والكرائب الشدائد والروح بفتح الراء بمعنى الراحة ضد الكرب.

besturdubooks.wordpress.com

قوله : (والروح مع السعة) بفتح الراء وسكون الواو والراحة والاستراحة وهذا مثل ما ذكر في الكرب وإلا فأي روح من السعة لأصحاب الهموم وبالعكس **(ولذلك وصف الله تعالى الجنة بأن عرضها السموات والأرض وقرأ أبو بكر ضيقاً بسكون الياء)** .

قوله : (قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل) أو قرنوا بالشياطين في سلسلة أو قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد الزائغة والأعمال الكاسدة أو قرنوا مع العقائد الباطلة والملكات الردية في الأصفاد وما ذكره المص من قبيل صفة جرت على غير ما هي له ولا وجه للاكتفاء به مع المساغ إلى الحمل على الحقيقة قوله قرنت أيديهم أي وأرجلهم إلى أعناقهم أيضاً **(في ذلك المكان)** .

قوله : (هلاكاً أي يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعالى فهذا حينك) أي يتمنون الهلاك وهو الموت لفرط كربتهم وغاية دهشتهم مع علمهم بأنهم خالدون فيها لا موت فيها ولا خروج عنها وفيه إشارة إلى أن المراد بالدعاء النداء والصراخ وهو مجاز عن التمني فإنه قد يستعمل له كما صرحوا في قوله :

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي

وهذا[1] بناء على أن التمني ليس من عمل القلب وإن سلم كونه بالقلب قولهم يا ثبوراً يدل على تمنيهم يا ثبوراه نزل منزلة العاقل والحق الألف للاستغاثة والهاء للوقف فنودي نداء العاقل تعالى أمر من التعالي بفتح اللام والياء لتأنيث الثبور لأنه يراد به الكثرة وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه للتعميم أي ائت فهذا الوقت حين إتيانك الفاء للتعليل والكاف في حينك بالكسر .

قوله : قرنت أيديهم إلى أعناقهم بالسلاسل روي عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أنه أي المكان يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الاصفاد الزج بضم الزاي الحديدة في الرمح تقول أزججت الرمح فهو مزج إذا عملت له زجاً وزججت الرجل أزجه زجاً إذا طعنته بالرمح والجوامع جمع جامعة وهي الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق .

قوله : هلاكاً أي يتمنون الهلاك وينادونه قال ابن عباس ثبوراً أي ويلاً وقال الضحاك هلاكاً وفي الحديث أن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبورهم وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوره وينادون يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً .

---

(١) وكما صرحوا به في نحو يا نسيم الشمال بلغ سلامي .

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾

قوله: (يقال[1] لهم ذلك) أي لا تدعوا مقول للقول المقدر إذ لا ارتباط بدونه والجملة حال من ضمير دعوا ويجوز الاستئناف والنهي متوجه إلى الوحدة لا إلى الجنس فإن اسم الجنس حامل للماهية والوحدة فالنهي في مثل هذا ناظر إلى الوحدة أو غيرها من العدد دون الماهية ومنه قوله تعالى: ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ [النحل: ٥١] ولهذا يقال لهم ﴿وادعوا ثبوراً﴾ كثيراً زيادة في التحسر والتوجع ومثل هذا النهي والأمر للإهانة والتحقير.

قوله: (لأن عذابكم أنواع كثيرة) كالإحراق بالنار والزمهرير وسقي الماء الحميم والغساق والحيات والعقارب فالكثرة لتعدد أنواعه فضلاً عن إفراده فإنه غير متناهية.

قوله: (كل نوع منها ثبور لشدته) أي مهلك لكن لا يترتب عليه الهلاك قال تعالى: ﴿يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت﴾ [إبراهيم: ١٧] الآية وأصل الثبور الهلاك لكن استعمل هنا في المهلك مجازاً للمبالغة.

قوله: (أو لأنه يتجدد لقوله تعالى: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ [النساء: ٥٦]) أو لأنه يتجدد الخ. فحينئذٍ يكون الكثرة باعتبار الأفراد الغير المتناهية قدم الاحتمال الأول لأن أنواع العذاب وإن كانت متناهية لكن كل نوع منها مشتمل على أفراد غير متناهية ولما كان سبب دعاء الثبور كثيراً أمروا بدعاء الثبور الكثير تهكماً.

قوله: (أو لأنه لا ينقطع فهو في كل وقت ثبور) أو لأنه أي العذاب لا ينقطع هذا في معنى الوجه الثاني لأن ما ينقطع هو الافراد كما عرفته لكن لم يلاحظ فيه عدم الانقطاع وهنا اعتبر عدم الانقطاع فهما متغايران اعتباراً أخره لأن إطلاق الكثرة على الغير المتناهي غير متعارف بدون القيد بغير متناه وأما القول بأن المراد الدعاء بألفاظ ثبور كثيرة كيالهفاه ويا حسرتاه فوصف الثبور بالكثرة لكثرة الدعاء أو المدعو به فلا يناسب النظم الجليل إذ الظاهر حينئذٍ أن يقال دعاء كثيراً.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾

قوله: (الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم) الإشارة

قوله: الإشارة إلى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد للتقريع مع التهكم أي الإشارة إلى العذاب بكلمة ذا المفيدة لتوجيههم نحوه واراءتهم إياه رأي عين سيما بلفظ موضوع للإشارة إلى البعيد المستعمل للبعد الرتبي المنبه على عظم العذاب والاستفهام بالهمزة عن الأمر المعلوم المستغني عن الاعلام والاستعلام والتفضيل بكلمة خير والحال أنه شر محض لهم والترديد بأم في مقام الجزم والتعيين لتقريعهم بما اختاروه في الدنيا من موجبات ذلك العذاب على موجبات جنة

---

(١) القائل الملك ويحتمل أن يكون الله تعالى للتقريع.

besturdubooks.wordpress.com

إلى العذاب فصيغة البعد للتحقير قوله والاستفهام لأن أم المتصلة للاستفهام قوله والترديد أي بحسب الظاهر للتقريع والتوبيخ وإدخال مع في التهكم إشارة إلى أصالة التهكم وجه التهكم أن ما هو خير محض متعينة خيريته جعله مقابلاً لما هو شر محض والترديد بينهما في الخيرية بناء على زعم الكفرة توبيخ عظيم لكافر لئيم وتهكم جسيم والمراد بالمتقين من اتقى عن الشرك بقرينة المقابلة لكافرين والتوصيف بالتي وعد المتقون للتنبيه على أنهم إنما وعدوا لاتقائهم والمحروم عنه لعدم اتقائهم عن الشرك.

قوله: (أو إلى الكنز والجنة والراجع إلى الموصول محذوف) أو إلى الكنز والجنة في قولهم أو يلقى إليه كنز بتأويل ما مضى ذكره فالاستفهام أيضاً للتقريع لكن التفضيل في محله إذ الكنز وجنة الدنيا فيها خير في الجملة وأخر هذا إما لبعده أو لاحتياجه إلى التأويل أو لأن الوجه الأول أدخل في التقريع والعائد المحذوف ضميرها تقديره وعدها المتقون مفعول ثانٍ لوعد لأنه يتعدى إلى المفعولين لتضمنه معنى الإعطاء.

قوله: (وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح) أي إضافتها للتخصيص أي هي مختصة بالخلد ليس لها فناء وبهذا يحصل المدح فلا يضره عدم معلوميتها للكفرة لأنها من شأنها المعلومية ولذا قيل التي وعد المتقون ومضمون الصلة يجب أن يكون معلوماً مع أن الكفرة لا يعرفونها لكن من شأنهم أن يعرفوا ذلك ولذا قال المص في صدر السورة وهذه الجملة وإن لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها أجريت مجرى المعلوم ولك أن تقول إن الإضافة ومضمون الصلة معلوم للرسول عليه السلام وأهل الإسلام ولا يلزم أن يكون معلوماً لكل أحد لكن لكون الكلام مسوقاً لرد الكفار والتقريع والتهكم اختير الوجه الأول.

قوله: (أو الدلالة على خلودها أو التمييز عن جنات الدنيا) أو الدلالة على خلودها أي في نفسها وهذا لا يستلزم خلود أصحابها ولذا ذكر بعده خلود أصحابها وأما القول لا للدلالة على خلودها لأنها حاصلة بقوله خالدين فضعيف لأن إغناء المتأخر عن المتقدم ليس بمتعارف وغير مضر على أن حصول المدح بالدلالة المطابقة

الخلد والاستهزاء بهم بدل استهزائهم لرسول الله ﷺ بقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل عليه ملك أو القي إليه كنزاً وتكون له جنة معنى الاستهزاء مستفاد من كلمة التفضيل حيث تدل على ثبوت أصل الخير للعذاب مع أنه لا خير فيه لهم قطعاً.

قوله: والراجع إلى الموصول محذوف تقديره وعدها المتقون.

قوله: وإضافة الجنة إلى الخلد للمدح مثل الإضافة في قولك هو عبد السلطان وجه إفادة هذه الإضافة المدح أن المنتسب إلى الممدوح ممدوح.

قوله: أو للدلالة على خلودها أي أو ليدل الإضافة على أن الجنة التي وعدها المتقون خالدة أي خالد فيها أهلها.

besturdubooks.wordpress.com

أقوى ثم إنه لم يذكر خبر أم جنة[١] الخلد لأنه لو ذكر لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع والانقطاع ليس بمراد.

قوله: (كانت لهم في علم الله أو اللوح) أي الماضوية بالنسبة إلى علم الله تعالى أي تعلق علمه تعالى في الأزل أن الجنة للمتقين وهذا التعلق قديم ليس بزماني ولا متغير أو المضي هنا بالنسبة إلى كونها لهم فحينئذٍ لا مجاز في الماضي وكذا الكلام في اللوح.

قوله: (أو لأن ما وعده الله تعالى في تحققه كالواقع) فعلى هذا يكون كانت استعارة تبعية شبه الكون في المستقبل بالكون في الماضي في تحقق الوقوع فذكر لفظ المشبه به وهو الماضي وأريد المشبه وهو المستقبل ادعاء وهذا هو المشهور في مثل هذا إذ الماضوية والمضارعية بالنظر إلى وقوع النسبة في نفس الأمر في زمان كذا لا في علم الله تعالى وألا يكون أكثر ما يعد مضارعاً ماضياً ولا يخفى بعده فالأولى الاكتفاء بالوجه الأخير ألا يرى أن أئمة البيان اختاروا في مثل هذه الألفاظ الاستعارة ولم يميلوا إلى ماضويته بالنسبة إلى علم الله.

قوله: (على أعمالهم بالوعد) أي بسبب الوعد لا باستحقاق العبد فإنه كأجير أخذ أجرته قبل العمل.

قوله: (ينقلبون إليه) أشار إلى أن المصير المنقلب سواء كان بطريق العود إليه بعد التحول عنه أو الانقلاب بدون ذلك وهو المراد هنا والمصير من جنس الجزاء إذ المراد الجنة فهو من قبيل عطف الخاص على العام تنبيهاً على نباهته كأنه ليس من جنس الجزاء.

قوله: (ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز أن

قوله: أو للتمييز عن جنات الدنيا أي أو الإضافة لبيان أن الجنة التي وعد المتقون ممتازة عن جنان الدنيا باتصافها بصفة الخلود دونها.

قوله: ولا يمنع كونها جزاء لهم أن يتفضل بها على غيرهم برضائهم يعني يوهم ظاهر قوله تعالى: ﴿كانت لهم جزاء﴾ أن لا يعطي الجنة غيرهم من عصاة المؤمنين تفضلاً من الله لأنها موعودة على صفة التقوى والعصاة لا تقوى لهم لكن الحجج متعاضدة على دخولهم الجنة ولو بعد استيفاء الحقوق في جهنم فأزال رحمه الله ذلك الوهم بقوله ولا يمنع إلى آخره فقوله برضائهم ليصحح أدراج هؤلاء العصاة في زمرة المتقين قوله مع جواز أن يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم فإن ذكر المتقين في مقابلة الكافرين قرينة على أن المراد بالمتقي من يتقي الكفر فعلى هذا يكون عصاة المؤمنين داخلين في زمرة المتقين لأنهم يتقون عن الكفر أيضاً

---

(١) وهو خبر قال صاحب المفتاح وقد يكون حذف المسند بناء على أن ذكره يخرج إلى ما ليس بمراد كقولك أزيد عندك أم عمرو فإنك لو قلت أزيد عندك أم عمرو عندك لخرج أم عن الاتصال إلى الانقطاع وتمام الكلام في المطول في بحث حذف المسند والمراد هنا أي الأمرين كان وليس المراد الاضراب عن الأول والسؤال عن الثاني كما هو مقتضى أم المنقطعة وقس عليه مثل هذا.

besturdubooks.wordpress.com

يراد بالمتقين من يتقي الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلتهم) ولا يمنع كونها الخ جواب عن استدلال المعتزلة بهذه الآية على مذهبهم من وجوب الثواب لمن اتقى عن الشرك وسائر المعاصي الكبيرة ووجوب عقاب غيره من الكافرين وعصاة الموحدين لأن اللام للاختصاص وتقديم الخبر يفيد الحصر على من اتقى عن المعاصي فأجاب أولاً بأن كونه جزاء بمقتضى وعده وهذا لا ينافي كونه لغيرهم تفضلاً إذ الحصر على كونها لهم بطريق الجزاء دون مطلقاً ولو سلم ذلك فلا يضرنا إذ المراد من يتقي عن الشرك المخلد والقرينة كونهم في مقابلتهم فهو عام لجميع الموحدين ولو صاحب الكبيرة فالمستفاد من النظم منع كونها للمشركين وهو ملتزم بالاتفاق وكونها جزاء للعصاة باعتبار إيمانهم وهو عمل القلب قوله برضاهم أي ملابساً برضاء الله تعالى عنهم بسبب إيمانهم وليس المعنى برضاء المتقين فإنه غير صحيح.

قوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾

قوله: (ما يشاؤونه من النعيم) أي ما موصولة أو موصوفة والعائد محذوف وعدم البيان للتعميم في النعيم.

قوله: (ولعله يقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته) جواب إشكال بأن عموم الموصول يقتضي أنه إذا شاء أحد رتبة من كان فوقه كالأصفياء والأولياء أعطيت لها وليس كذلك فأجاب بأنه ولعله يقصرهم كل طائفة من العمال على ما يليق برتبته لصرف الله تعالى عن تمني رتبة فوق رتبته كما صرفه عن تمني مجموع الجنة كما صرح به شراح الحديث في شرح قوله عليه السلام تمن فإن لك ما تمنيت الحديث مع أن في الجنة مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فالعموم يجوز أن يصرف إليها فقوله ولعله الخ إشارة إلى ما ذكرنا لا إشارة إلى جواز إبقائه على عمومه.

قوله: (إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك الكامل بالتشهي) أي ناقص الأعمال غير مكمل الأحوال لا يدرك شيئاً مما يدركه الكامل فإن المشية تتبع العلم فالتفاوت في درجات أهل الجنة وأنواع تلذذهم بحسب علمهم ولقائل أن يقول لم لا يجوز مشية الناقص رتبة فوق رتبته بعد اطلاع منازل الأخيار ولذات الأبرار فالجواب الحاسم التمسك بصرف الله تعالى عن مشية ذلك أو تجيب الله تعالى ما أعطي له وإلقائه فيه بأن ما ناله ألذ الأشياء حتى يخطر

فالعصاة لكونهم متقين عن الكفر من جملة من وعدهم الله جنة الخلد جزاء على أعمالهم هذا مبني على أن يعم العمل الاعتقاد والقول وقوله ولعله يقصرهم كل طائفة على ما يليق برتبته يقصر على لفظ المبني للمفعول والهم القصد أي لعل الشأن أن هم كل طائفة من أهل الجنة مقصور على ما يقتضيه مرتبته في التقرب من الله تعالى فإن القريب لا ينال من النعيم ما يناله الأقرب فيشاء كل من النعيم على ما يقتضيه حاله ومرتبته وهذا معنى قوله إذ الظاهر أن الناقص لا يدرك الكامل بالتشهي أي ناقص المرتبة لا يدرك من النعيم ما هو الكامل بالتلذذ من ملاذ الجنة.

besturdubooks.wordpress.com

بباله بأنه لم يكرم أحد مثل إكرامي وفي بعض النسخ لا يدرك شأو الكامل الشأو بفتح الشين وسكون الهمزة بعدها واو المد والنهاية والمآل واحد قوله بالتشهي تكلف شهوة ما لا يليق به متعلق بلا يدرك.

قوله: (وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة) وفيه تنبيه الخ إذ تقديم الخبر يفيد القصر.

قوله: (حال من أحد ضمائرهم) حال مقدرة إن جعل حالاً من الضمير الأول وهو الموافق لسائر المواضع وقرب الثالث غير مرجح لما ذكرنا من أن خالدين في سائر المواضع حال مقدرة واتحاد النصوص في المعنى مرغوب فيه وإن لم يكن تقييد المشية بها مخلاً بالمقصود وأما الوسط فقد قيل إنه لأن خير الأمور أوساطها ولم يذكر كونه حالاً من المتقين لأنه بعيد على أن الضمير الأول والثالث عبارتان عنهم.

قوله: (الضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود أي كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يسأل ويطلب) الضمير في كان لما يشاؤون فحينئذٍ يكون كالتأكيد لما قبله ولذا اختير الفصل وصيغة المضي مثل ﴿كانت لهم﴾ [الفرقان: ١٥] الآية وفي قوله على ربك مزيد لطف له عليه السلام حيث لم يجيء كان على ربهم الوعد بمعنى الموعود قوله مسؤولاً مجاز أولى أشار إليه بقوله حقيقاً بأن يسأل ويطلب تفسير له أراد به التنبيه على أن السؤال سؤال استعطاء لا سؤال استعلام.

قوله: (أو مسؤولاً سأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أو

قوله: وفيه تنبيه على أن كل المرادات لا تحصل إلا في الجنة معنى التخصيص مستفاده من تقديم الظرف على عامله أعني من تقديم فيها على ما يشاؤون أي لهم في الجنة ما يشاؤون لا في الدنيا ومعنى الكلية في المرادات مستفاد من لفظ المبهم وهو ما الموصولة والعائد من الصلة محذوف أي ما يشاؤونه من نعيم الجنة ومستلذاتها.

قوله: خالدين حال من أحد ضمائرهم أي من أحد ضمائر المتقين وهي الضمير المجرور في لهم في قوله كانت لهم وفي قوله ﴿لهم فيها ما يشاؤون﴾ والضمير المرفوع في يشاؤون فهذه ثلاثة ضمائر راجعة إلى المتقين فيكون خالدين حالاً مقدرة لأن مضمون الحال ليس بمقرون مع العامل فالمعنى كانت لهم أو حاصل لهم أو يشاؤونه مقدراً خلودهم في ذلك.

قوله: كان ذلك موعوداً حقيقاً بأن يسأل يعني السؤال الذي تضمنه لفظ مسؤولاً إما غير واقع من السائلين لكن لكون الموعود جزاء وأجراً مستحقاً حقيقاً بأن يسأل ويطلب منه نزل منزلة المسؤول المتعلق به سؤال سائل وأما واقع وصادر منهم فالسائل إما ناس أو ملك قوله وما في على معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده حمله على الوجوب الوعدي لعدم الخلف في وعده تعالى فقوله هذا رد على المعتزلة القائلين بوجوب اثابة المطيع على الله تعالى وجوباً استحقاقياً وفسره صاحب الكشاف على أصلهم حيث قال في تفسير ﴿كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ أي كان ذلك وعداً واجباً على ربك انجازه.

besturdubooks.wordpress.com

مسؤولاً سأله الخ فيكون مسؤولاً على حقيقته أخره مع كونه حقيقة إذ السوق يقتضي كونه سؤالاً في الآخرة فإن مقتضى على المفيد للوجوب يناسب ذلك.

قوله: (أو الملائكة لقولهم ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن﴾ [غافر: ٨]) أو الملائكة عطف على الناس فهو باق على ظاهره أي مسؤولاً سأله الملائكة عن ربهم للمؤمنين بقولهم: ﴿ربنا وأدخلهم﴾ [غافر: ٨] الآية والمسؤول هنا ما يشاؤون في الجنة لا الجنة نفسها لكن لما كانت الجنة مشتملة على ما تشتهيه الأنفس فسؤالهم الجنة سؤال ما يشاؤون ولأجل هذا التمحل أخر هذا الاحتمال.

قوله: (وما في على[1] من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده) أي على الوجوب عليه تعالى والوجوب المستفاد من على بمقتضى وعده والوجوب بمقتضاه مؤيد للاختيار لا مناف له ومراده بالوجوب منزلة الوجوب بقرينة أن أهل السنة لا يقولون بالوجوب عليه تعالى ولا الوجوب عنه وامتناع التخلف ليس عين الوجوب قال المحقق الدواني في شرح العقائد العضدية على أنه بعد التسليم إنما يدل على استحالة وقوع التخلف لا على الوجوب عليه إذ فرق بين استحالة الوقوع والوجوب عليه كما أن إيجاد المحال محال في حقه تعالى ومع ذلك لا يقال إنه حرام عليه ومن حمل قول المص لامتناع الخلف في وعده على الوجوب عليه تعالى ثم شنع بأنه وهم فقد ترك الإنصاف وتمسك بالاعتساف.

قوله: (ولا يلزم منه الإلجاء إلى الإنجاز) لما عرفت من أن امتناع التخلف لا يستلزم الوجوب بل يستلزم منزلة الوجوب فإنه لو وجب عليه لوجب عنه قال الفاضل السعدي والأول يستلزم الثاني فلذا اهتم به ومراده اللزوم العربي دون العقلي إذ الوجوب عليه بمقتضى الشرع يستلزم سلب الاختيار في الشاهد قال الله تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ [الأحزاب: ٣٦][2] قال

قوله: ولا يلزم منه الالجاء إلى الانجاز فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز أي ولا يلزم من الوجوب الوعدي الكائن لامتناع الخلف في وعده تعالى الالجاء إلى انجاز الوعد المقتضي أن لا يكون قادراً على تركه لأن الانجاز مستند إلى الوعد والوعد مستنداً إلى إرادته تعالى فإنجازه مستند إلى إرادته تعالى الناشئة من القدرة عليه فالإنجاز صادر منه تعالى بإرادته التابعة فللقدرة تكون بالاختيار لا محالة لا بالقسر والالجاء قال الإمام قالوا الواجب هو الذي لو لم يفعل الا استحق تاركه الذم أو أنه الذي يكون عدمه ممتنعاً فعلى التقديرين يلزم أن يكون فاعله ملجأ إلى الفعل والملجأ إلى الفعل لا يكون قادراً ولا يكون مستحقاً للثناء والمدح فمعنى قوله وعداً مسؤولاً من حقه أن يكون مسؤولاً لأنه حق واجب بحكم الاستحقاق على قول المعتزلة أو بحكم الوعد على قول أهل السنة فليس وجوبه وجوباً شرعياً ولا عقلياً عندنا وعند المعتزلة.

---

(١) قوله في على مبتدأ خبره لامتناع الخلف دلالة على على الوجوب ليست بالوضع بل بالقرينة.

(٢) ثم قال بل الوجوب والحرمة ونحوهما فرع القدرة على الواجب والحرام وقال عبد الرحمن الأمدي ـ

besturdubooks.wordpress.com

المص أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله تعالى فثبت ما قلنا من أن الوجوب عليه يستلزم سلب الاختيار بموجب الشرع إذ جعل اختيار العبد تبعاً لاختيار الله تعالى سلب للاختيار وكذا الحال لو فرض ثبوت الوجوب في الغائب.

قوله: **(فإن تعلق الإرادة بالموعود مقدم على الوعد الموجب للإنجاز)** أي إذا أراد خيراً ووعد به بعد ذلك وعداً لا يخلفه فالوعد مؤخر عن تعلق الإرادة والوعد وإن كان ملجئاً سالباً للاختيار لكن تعلق الإرادة وهي الاختيار قبل الوعد فالاختيار متحقق قبل والوعد إن كان حادثاً فظاهر وإن كان قديماً بأن كان بالكلام النفسي فالتقدم والتأخر بحسب الذات وهو لا يستلزم الحدوث وهذا البيان لا يلائم قول أهل السنة الإرادة مقارنة للفعل وهو الموعود به هنا وأيضاً هذا بناء على أن تعلق الإرادة قديم كنفس الإرادة وذلك مذهب بعض المتكلمين والمشهور أن صفة الإرادة قديمة وتعلقها حادث كما هو مقتضى قولهم الإرادة مع الفعل وأيضاً الإشكال بفعل الموعود به حيث خطر بالبال بأن فعله تعالى لا يكون اختيارياً متعلقاً للحمد والثناء فإنه يكون على الجميل الاختياري فلو امتنع الخلف ووجب فعل الموعود لزم المحذور المذكور وليس الإشكال بأنه لا يوجد الإرادة في صورة الوعد حتى يجاب بأن الإرادة وتعلقها بالموعود مقدم على الوعد والقول بأن تعلق الإرادة بالموعود قبل الوعد يكفي أن يكون الفعل مختاراً جميلاً ضعيف لأنه في وقت صدور الفعل لم يبق الاختيار والاعتبار في الاختيار وعدمه وقت صدور الفعل وفي ذلك الوقت انتفى الاختيار فالأولى في الجواب أن يقال إن المراد بالامتناع في امتناع الخلف الامتناع بالغير(١) فلا ينافي الإمكان بالنظر إلى ذاته فلا ينافي الاختيار فلا وجوب عليه حقيقة ولا وجوب عنه أيضاً كما مر تحقيقه غايته أنه بمنزلة الوجوب عليه والوجوب عنه فلا محذور فيه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾

قوله: **(ويوم تحشرهم للجزاء وقرىء بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص**

قوله: يعم كل معبود سواه أي يعم عقلاء أو غيرهم فإذا كان عاماً للعقلاء وغيرهم كان مقتضى الظاهر أن يقال من بدل كلمة ما تغليباً للعقلاء على غيرهم ولما عدل عن مقتضى الظاهر لزمه أن يبين وجهه فقال رحمه الله واستعمال ما لأن وضعه أعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف أي هو موضوع لأن يستعمل في العقلاء وغيرهم بدليل قولك إذا رأيت شبحاً من بعيد ما هو فإذا قيل لك هو إنسان تقول إذ ذاك من هو.

= لاستحالة هي الامتناع وقد قرر في الطبقات أن ما امتنع عدمه وجب وجوده فامتناع الخلف مستلزم لوجوب العقاب انتهى وأنت خبير بأن كون امتناع الخلف مستلزماً للوجوب معناه أنه مستلزم للوجوب بالغير لا الوجوب بالذات فالإمكان في نفسه متحقق فلا وجوب عليه ولا عنه.

(١) لأن امتناعه وقوع الكذب على الله تعالى على تقدير عدم وقوع ما اخبر به.

besturdubooks.wordpress.com

بالياء) ويوم نحشرهم متعلق باذكر معطوف على قل كذا قيل ويلزم منه أن المذكور إلى هنا مقول القول وأما هذا القول فلا يكون من مقول القول لمكان نحشرهم وجعله من قبيل قوله تعالى: ﴿قل يا عبادي الذين﴾ [الزمر: ٥٣] الآية مع جعله من المقول تكلف لكن قوله تعالى: ﴿كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ [الفرقان: ١٦] يأبى عن كونه من مقول القول لكن الأولى أن هذه الجملة ابتدائية غير معطوفة.

قوله: (يعم كل معبود سواه واستعمال ما إما لأن وضعه أعم) ردده لأن كون وضعه أعم مذهب البعض ولذا أشار إلى المذهبين[1] في المواضع.

قوله: (ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف) لكل شبح أي صورة يرى من بعيد ولا يعرف أنه هل هو من العقلاء أو من غيرهم قوله ولذلك يطلق دليل أني لعموم وضعه للعاقل وغيره.

قوله: (أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم) والوصف ليس من العقلاء وإن كان وصفاً للعقلاء قوله كأنه قيل ومعبوديهم وهو وإن دل على الذات والصفة لكن المقصود الصفة قال في سورة الشمس وإنما أوثرت ما على من لإرادة معنى الوصفية فعلم أن المقصود في المشتقات الصفات فحينئذٍ ذكر ما أوقع من ذكر من كأنه قيل ومعبوديهم الذين يرجو عابدوهم بعبادتهم نفعاً وشفاعة فلا إشكال بأنه دل أيضاً على الذات.

قوله: (أو لتغليب الأصنام تحقيراً أو اعتباراً لغلبة عبادها) أي تحقير المغلب عليهم

قوله: أو لأنه أريد به الوصف كأنه قيل ومعبوديهم هو عطف على قوله أو لأن وضعه أعم ألا يرى أنك إذا أردت السؤال عن صفة زيد تقول ما زيد تريد به أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب ولا تقول من زيد لأنه يطلب به الذات.

قوله: أو لتغليب الأصنام تحقيراً أو اعتباراً لغلبة عبادها هو أيضاً عطف على قوله لأن وضعه أعم وهذه الوجوه الثلاثة على تقدير أن يكون المراد من ما في ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ معنى عاماً شاملاً للعقلاء وغيرهم لكن الوجه الأول مبني على الوضع والوجه الثاني على استعمال العرب والوجه الثالث على التغليب لهم أو لتغليب غير العقلاء من معبوديهم وهم الأصنام على العقلاء وتغليبها عليهم إما لتحقير شأنها بالتعبير عنها بلفظ يعبر به عن الجمادات وإما لغلبة عباداً لأصنام والحاصل أن الأصل في باب التغليب أن يغلب الأشرف على غير الأشرف إلا أن يكون المغلب خفيفاً على اللسان كالقمرين والعمرين فكان الأصل هنا أن يغلب أولو العقل على غيرهم ويقال من بدل ما ولكن عكس تحقيراً لها وتنزيلاً عن درجة الدخول تحت لفظ يعبر به عن الأشراف أو اعتبار لغلبة عبدة الأصنام وكثرتهم فغلب ما هو كثير عبدته على من قل عابدوه إقامة للأكثر مقام الكل.

---

(١) ولا يقال هذا مخالف لما أسلفه في قوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون﴾ الآية لأنه موافق لما أسلفه في قوله تعالى: ﴿ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض﴾ [النحل: ٤٩] من سورة النحل على أنه أشار إلى عدم وضعه للعموم هنا أيضاً فأين المخالفة.

besturdubooks.wordpress.com

وهم الأنبياء والملائكة فحينئذٍ المراد بالتحقير بعدهم عن استحقاق العبادة وتنزيلهم منزلة ما لا علم له ولا قدرة بالنسبة إلى ذاته وعبارة التحقير من جانب الله تعالى لا من طرف العبد حتى يقال وهو لا يدفع ما في عبارة التحقير أو المراد تحقير الأصنام حيث خصوا بالذكر في بيان حشر المعبودين وعتابهم كما أريد تعظيم المغلب في قوله تعالى: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] ولا إشعار في كلام المص بتحقير المغلب عليهم فالواجب حمله على تحقير المغلب لما قلنا وكونه تبكيتاً للعبدة لا ينافيه إذ ظاهره عتاب المعبودين قوله أو لغلبة عبادها والمشهور في الغلبة غلبة المنغلب وكثرته وأما التغليب بكثرة العباد وغيرهم فليس بمتعارف.

قوله: (أو يخص الملائكة وعزيراً والمسيح بقرينة السؤال والجواب أو الأصنام ينطقها الله تعالى) أو يخص الملائكة الخ عطف على قوله ويعم فما أطلقت على العقلاء خاصة إما لوضعه أعم أو لإرادة الوصف كقوله تعالى: ﴿والسماء وما بينهما﴾ [الشمس: ٥] لو أطلقت مجازاً ولبيانه أولاً سكت هنا قدم الملائكة لتقدم وجودهم ولهذا قدم عزير على المسيح عيسى ابن مريم مع أنه صاحب شرع جديد وكتاب رشيد ولما كان التخصيص خلاف الظاهر أيده بقوله بقرينة السؤال والجواب السؤال قوله ﴿ءأنتم أضللتم﴾ والجواب قولهم سبحانك إلى آخره فإن السؤال والجواب الحقيقيين مختص بالعقلاء ولما كان القرينة ضعيفة جوز الاحتمالات الأخر وعن هذا قال أو الأصنام الخ أخره لاحتياجه إلى التمحل وكون السؤال والجواب قرينة بناء على الظاهر وكون المراد الأصنام بناء على أن ما موضوع لغير العقلاء فكون السؤال والجواب غير آب عنه بناء على أن الله تعالى جعلها عقلاء قادرين على فهم السؤال والجواب بالمقال أو المراد التكلم بلسان الحال وإن كان السؤال بالمقال وبالجملة لا بد في كل احتمال من التمحل إما في لفظة ما أو في السؤال والجواب قدم الأول لأن ما ظاهر في العموم أو الحشر عام ثم قدم الثاني لأنه أوفق بالسؤال والجواب وإن ما يمكن على الحقيقة كما عرفت لكن يلزم على الأول الجمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز.

قوله: (أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل)[1] أي في نطق

قوله: أو يخص الملائكة عطف على قوله يعم كل معبود قال مجاهد ما يعبدون من دون الله من الملائكة والجن والإنس عيسى وعزير قال عكرمة والضحاك والكلبي يعني الأصنام قوله أو الأصنام بالنصب عطف على الملائكة أي أو يخص الأصنام غير متناول لهؤلاء.

قوله: أو تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الأيدي والأرجل أي كما قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ [يس: ٦٥] بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على أفعالها.

---

(١) وهو خلق الله تعالى العقل والفهم والنطق حقيقة أو المراد التكلم بلسان الحال وهو انطق من لسان المقال.

besturdubooks.wordpress.com

الأيدي والأرجل وشهادتهما وكذا شهادة سمعهم وأبصارهم وجلودهم وقد سبق رؤية جهنم هذا تنظير لما قبله ويجري الاحتمالان معاً فيها أيضاً.

قوله: **(فيقول أي للمعبودين)** فيقول أي الله تعالى بقرينة قوله عبادي الفاء للتعقيب وقوله أي للمعبودين فيه تغليب على الأول أو تنزيل لغير العاقل منزلة العاقل.

قوله: **(وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون)** على تلوين الخطاب أي الالتفات كما في السعدي وفيه خفاء والمراد الالتفات من التكلم إلى الغيبة ما اختاره المص من القراءة وأما على القراءة بالياء فلا التفات قيل وجه الالتفات هو أن الحشر أمر عظيم مناسب لنون العظمة بخلاف القول ولا يلائم هذا قراءة ابن عامر بالنون فالوجه أن هذا القول عتاب فيناسب الغيبة وإضافة عبادي للتوبيخ على عبادة غيره تعالى بأنهم مخلوقون لي وهم عابدون غيري لا للتعظيم[١] بمعونة القرينة والمراد بالمرشد الرسول عليه السلام[٢] وأمناؤه.

قوله: **(لإخلالهم بالنظر الصحيح وإعراضهم عن المرشد النصيح)** لإخلالهم الخ علة للأخير إذ المراد به الضلال بنفسه وأما علة الأول فلم يذكرها لأن المراد به تبكيت العابدين كسؤال الموؤودة ﴿بأي ذنب قتلت﴾ [التكوير: ٩] فلم يقصد نسبة الإضلال إليهم حقيقة حتى يرام العلة لها.

قوله: **(وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة)** الظاهر أنه حمل أم على أم المتصلة ولا يبعد أن يحمل على أم المنقطعة أي بل أهم ضلوا السبيل بأنفسهم لكن مراده باستفهام تقريع وتبكيت الاستفهام الأول إذ التبكيت إنما يحصل به أو التقريع ناظر إلى قوله: ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧] والتبكيت ناظر إلى قوله: ﴿ءأنتم أضللتم﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يكتف هنا بقوله ﴿ءأنتم أضللتم عبادي﴾ كما اكتفى في قصة عيسى عليه السلام بقوله: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] حيث لم يجيء أم هم اتخذوا[٣] الخ لمزيد التقريع والتوبيخ مع التبكيت قال المص هناك يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم فعلم منه أن قوله هنا وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة معنى قوله: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] ولم يشر إلى معنى قوله: ﴿أم هم ضلوا السبيل﴾ [الفرقان: ١٧] لظهوره وهو إنكار ضلالهم إنكاراً واقعياً والتقريع عليه فهو كالتأكيد لما قبله من ضلالهم بإضلال غيرهم وإن لم يكن الإضلال واقعاً تحقيقاً بل تنزيلاً لكن الضلال متحقق[٤].

---

(١) لأنهم مشركون فلا يطلق عليهم عبادي للتعظيم ويطلق للتوبيخ ونحوه.

(٢) فالتخصيص بالرسول ليس بمناسب إذ المراد بما يعبدون وبالعابدين عام إلى يوم القيام.

(٣) أي اتخذوك وأمك الهين من دون الله.

(٤) إذ كلمة عن لا يقتضي عدم فقده رأساً ألا يرى أن قوله تعالى: ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ في حق من فقدوه رأساً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وأصله ﴿أأضللتم عبادي﴾ [الفرقان: ١٧] أم ضلوا فغير النظم ليلي حرف الاستفهام) وأصله أي أصل النظم بمقتضى الظاهر إذ الظاهر السؤال عن الإضلال والضلال على سبيل الإنكار فأصله بناء على الظاهر أأضللتم أم ضلوا فغير النظم الخ.

قوله: (المقصود بالسؤال وهو المتولي للفعل دونه لأنه محقق لا شبهة فيه) المقصود بالسؤال أي السؤال ظاهراً قوله وهو المتولي أي الفاعل للفعل دونه دون الفعل لأنه محقق لا شبهة فيه أي الفعل وهو الضلال وأما الإضلال فلا يكون واقعاً بل الواقع الضلال لكن الإضلال واقع تنزيلاً فلا شبهة في وقوعه تنزيلاً كما لا شبهة في وقوع الضلال تحقيقاً لأن المتولي للفعل في الأول الذي سئل عنه منزهون عن الإضلال فقصر الفعل على الضلال من القصور لأن مراده توجيه الكلام في الموضعين ففي الأول الفعل هو الإضلال وبهذا البيان اندفع الإشكال بأن كلامه منتظم للثاني فقط واعتراض بعض الناظرين.

قوله: (وإلا لما توجه العتاب) فتوجه العتاب دليل على أن الفعل مسلم والمسؤول عنه هو الفاعل وقد تقرر في علم المعاني أن ما يلي الهمزة هو المسؤول عنه وأنت خبير بأن هذا إذا كان الفعل مسلماً غير منكر مثل قوله تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ [الزخرف: ٣٢] والقسمة واقعة في نفس الأمر لكن فاعلها هو الله تعالى دونهم واعتبار هذا ههنا ليس بصحيح إذ الضلال منكر إنكاراً واقعياً وإن كان موجوداً في نفس الأمر وأما القسمة مثلاً فهي واقعة في نفس الأمر وغير منكر ولا يدري وجه ما قاله الشيخان وتبعهما

قوله: وأصله أضللتم أم ضلوا الخ يعني أن أصل الكلام أن يقال أأضللتم أم ضلوا لأن الاستفهام بالفعل أولى لكن غير الأصل فقدم المسند إليه وهو أنتم وهم وأدخل حرف الاستفهام عليه دلالة على أن أصل الفعل وهو الاضلال والضلال معلوم الحصول موجود محقق لا حاجة إلى أن يسأل عن وقوعه وحصوله إذ لولا وجوده لما توجه هذا العتاب لفاعله وإنما المراد بالاستفهام السؤال عن فاعل ذلك الفعل الموجود من هو ولما كان المقصود بالاستفهام فاعل الفعل لا نفس الفعل أولى المقصود الهمزة حتى يعلم أنه هو المسؤول عنه لا الفعل وليس المراد حقيقة الاستفهام والسؤال لتقدس ذاته تعالى عن الجهل بالأشياء واستعلامها لإحاطة علمه بالكل وإنما المراد به التقريع والعتاب للضالين وفي ضمنه إنكار الفعل لأن الفاعل إنما يستحق العتاب لكون فعله منكراً مستوجباً للمعاتبة فإن قيل التقريع والعتاب يكونان بالخطاب وتوجيه الكلام إلى من عوتب به شفاها والمعاتبون هنا غيب حيث قيل أم هم ضلوا السبيل قلنا يجوز أن يكون المعاتبون حضراً مستمعين عند توجيه هذا الخطاب إلى معبوديهم بقوله: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] فإنه إذا خوطب بعض من الجماعة الحاضرين بكلام يكون الباقي من ذلك في حكم الغائب وإن كانوا حاضرين عند المخاطب بذلك الكلام ويجوز أن يكون نكتة الاستفهام والسؤال استنطاق معبوديهم ليخبروا على وجوههم بأنهم ضلوا من عند أنفسهم بترك النظر الصحيح والتدبر في الآيات التي جاءتهم على أيدي السفرة الرسل الكرام لا من اضلالنا إياهم فيسمعوا ذلك من السنة معبوديهم فلا يأتوا بعذر باطل بأن يقولوا إنا إذا خلينا وأنفسنا لم تكن نختار الضلال على الهدى ولكن هؤلاء اضلونا فأشار رحمه الله إلى هذا الوجه بقوله وتبكيت للعبدة.

besturdubooks.wordpress.com

غيرهم فلو قيل أأضللتم عبادي أم ضلوا للإنكار لكان له وجه كقوله تعالى: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ [الصافات: ٩٥] فالعبادة منهم واقعة في الخارج لكنه منكرة للتوبيخ فكذا ما نحن فيه بلا فرق وكذا قوله ﴿اتتخذ أصناماً آلهة﴾ [الأنعام: ٧٤] ونظائره كثيرة فيرام نكتة غير ما ذكر ولعله مثل قوله تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ [يونس: ٩٩] جعل صاحب الكشاف من قبيل التخصيص وجعل صاحب المفتاح من تقوية الحكم للإنكار وهذا هو المناسب هنا فالمنكر هو الفعل أي الضلال تحقيقاً والإضلال تنزيلاً وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية الحكم الإنكاري أو للتخصيص بالعناية فإن قيل إن مراد الشيخين أن المسؤول عنه هو الفاعل دون الفعل فإنه لا شبهة فيه من غير نظر إلى كون ذلك الفعل الواقع منكراً قلنا إنه لا كلام في أن النظر إنكار ذلك الفعل للتقريع كما صرح به.

قوله: (وحذف صلة ضلوا للمبالغة) أي لفظة عن لأن ضل مطاوع أضل فالمعنى ﴿ضلوا عن السبيل﴾ كما أن المعنى في الأول ءأنتم أوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق فحذف عن للمبالغة فإن فيه الدلالة على أنهم فقدوه رأساً من أول الأمر لا أنهم خرجوا عنه كما يشعر به كلمة عن وهذا علة مصححة لا موجبة وحذف صلة أضل مع مدخولها للمبالغة أيضاً كأنه قيل ءأنتم أضللتم عبادي عن كل شيء حتى عن طريق الحق.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَـٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾﴾

قوله: (قالوا) صيغة المضي بعد قوله فيقول لتحقق وقوعه كالواقع.

قوله: (تعجباً مما قيل لهم لأنهم إما ملائكة أو أنبياء معصومون[١] أو جمادات لا تقدر على شيء) تعجباً مما قيل لهم هذا لازم معناه إذ التنزيه عن الأنداد يستلزم التعجب عن القول بالأنداد له لأنهم معصومون فيبعد عنهم كل البعد الإضلال الذي هو فعل الغاوين فإن الإضلال بطريق الكسب ضلال[٢] بخلاف الإضلال بمعنى خلق الإضلال قوله أو

قوله: وحذف صلة ضل للمبالغة أي حذف صلة ضل وهي كلمة عن وأصل الاستعمال أن يقال ضلوا عن السبيل لقصد المبالغة في تعلق الضلال بالسبيل وبيان شدة اتصاله به حيث جعل السبيلة مضلولاً به لا مضلولاً عنه.

قوله: تعجباً مما قيل لهم أي قال الملائكة والأنبياء الذين عبدوا من دون الله سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء تعجباً من نسبة جريمة الاضلال إليهم وهم معصومون عن اقتراف الآثام أو قالت الأصنام ذلك القول وهو سبحانك الخ تعجباً من أن ينسب الإضلال إليها لأنها جمادات لا تقدر على الإضلال.

---

(١) كلمة أو لمنع الخلو فينتظم جميع الاحتمالات.

(٢) وفيه دفع إشكال بأنه تعالى أسند الإضلال إلى ذاته العلي في قوله: ﴿يضل من يشاء﴾.

besturdubooks.wordpress.com

جمادات لا يقدر على شيء فضلاً عن إضلال الغير ولو أريد بقول الأصنام التكلم بلسان الحال لكان قالوا القول بالنطق وبلسان الحال فيكون جمعاً بين الحقيقة والمجاز أو بطريق عموم المجاز قوله لا تقدر بالمثناة الفوقية مسند إلى ضمير الجمادات والقول أو بالمثناة التحية مسند إلى ضمير الجماد في ضمن الجمادات مثل المرفوعات هو ما اشتمل ليس بجيد إذ الإعجام تترك كثيراً فيجب أن تعتبر على وفق المرجع وإلا فيمكن هذا الترديد في أكثر المواضع والتزامه قبيح وأما قوله المرفوعات هو ما اشتمل فالتأويل متعين فيه فلا يقاس مثل تقدر عليه.

قوله: (أو إشعاراً بأنهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم إضلال عبيده) أو إشعاراً بأنهم هذا بناء على تخصيص ما بالعقلاء وجه الإشعار هو أنه لما جعلوا سبحانك مفتاح الجواب فهم منه أن عادتهم التسبيح وأما إشعار التحميد فلدلالة التسبيح عليه كدلالة الحر على البرد في قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل: ٨١] ولم يعكس إذا التخلية مقدمة على التحلية فكيف يليق بهم إضلال عبده أي بالإشراك والحق على عبادة غيره تعالى الذي هو خلاف ما وسموا به.

قوله: (أو تنزيهاً لله عن الأنداد) هذا معناه الحقيقي لكن أخره إذ في الأولين مبالغة وبيان أنهم مبرؤون عن مثل هذا الفعل القبيح وأما على هذا المعنى فيفهم ذلك التزاماً ففيه أيضاً الجمع بين الحقيقة والمجاز أو عموم المجاز إذا أريد التعميم إلى الأصنام.

قوله: (﴿ما كان ينبغي لنا﴾ يصح لنا) النفي لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار قوله يصح لنا إشارة إلى أن ينبغي ليس على ظاهره إذ نفي اللياقة لا ينافي الصحة فنبه على أن المراد عدم الصحة بمعونة المقام فذكر العام وأريد الخاص.

قوله: (للعصمة أو لعدم القدرة) أي لعصمتنا أن تتولى أحداً دونك متعلق بينبغي المنفي أو لعدم القدرة ناظر إلى الجمادات كما أن الأول ناظر إلى الملائكة والأنبياء ومن خص بالعقلاء اكتفى بالأول وهو الظاهر ولذا لم يذكر في الكشاف عدم القدرة.

قوله: (فكيف يصح لنا أن ندعو غيرنا أن يتولى أحداً دونك وقرىء أن نتخذ على البناء للمفعول) فكيف يصح لنا الخ أشار به إلى وجه كون ما ذكر جواباً فإنه ليس بياناً لعدم الإضلال فأشار إلى أن عدم إضلالهم منفهم من المذكور بطريق الأولوية لأن العلة المذكورة وهي العصمة وعدم القدرة جارية فيه أيضاً على وجه الأولوية فلا إشكال بأن من تجنب عن أمر قد يدعو غيره إليه فيوقعه فيه وإنما يختارون هذا المسلك لأنه أبلغ من جهة

قوله: للعصمة تعليل لعدم صحة اتخاذ الملائكة والمسيح وعزير أولياء وقوله وعدم القدرة تعليل لعدم اتخاذ الأصنام أولياء وعطف عدم القدرة على العصمة بالواو الجامعة دون أو اختيار منه أن المراد بما تعبدون معنى عام شامل للعقلاء والأصنام إذ لو كان المراد منه المعنى الخاص كالعقلاء فقط أو الأصنام فقط كان المناسب أن يقول في التعليل للعصمة أو عدم القدرة.

besturdubooks.wordpress.com

تكثير المعنى وإيجاز المبنى حيث نفوا عن أنفسهم الضلال والإضلال بلا إطناب في المقال قوله أن يتولى أحداً دونك فيه مبالغة أيضاً حيث لم يقل أن ندعو غيرنا إلى عبادتنا وأن يتولينا كما هو مقتضى الجواب بل عم الكلام مبالغة في بيان تبريهم[١] عن الإضلال.

قوله: (من اتخذ الذي له مفعولان كقوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ [النساء: ١٢٥] **ومفعوله الثاني من أولياء)** من اتخذ الذي له مفعولان وهو بمعنى صير ومفعوله الأول ضمير المتكلم القائم مقام الفاعل والفاعل عابدهم والإنكار المستفاد حينئذٍ إنكار الواقع إذ العبدة اتخذوهم بعض الأولياء لكن هذا الاتخاذ لا يصح أن يقع وعلى الأول إنكار الوقوع أي لم يقع هذا الاتخاذ منهم وأيضاً على هذه القراءة الجواب ليس على ظاهره لأنه كناية عن انتفاء الإضلال فإن إنكارهم اتخاذهم العبدة أولياء مستلزم لعدم إضلالهم إياهم.

قوله: (ومن للتبعيض) لا زائدة فإنها لا تزاد في المفعول الثاني وهو مسلك الزجاج

قوله: ومن للتبعيض وعلى الأول مزيدة أي لفظة من في قوله من أولياء للتبعيض على قراءة نتخذ مبنياً للمفعول وإنما حملها على هذه القراءة على التبعيض دون الزيادة لعدم صحة المعنى على كونها زائدة على ما قال الزجاج هذه القراءة خطأ لأنك تقول ما اتخذت من أحد ولياً ولا يجوز ما اتخذت أحداً لأن من إنما دخلت لأنها تنفي واحداً في معنى جميع تقول ما من أحد قائماً وما من رجل محباً لما يضره ولا يجوز ما رجل من محب لما يضره ولا وجه عنده لهذا البتة ولو جاز هذا لجاز في قوله تعالى: ﴿فما منكم من أحد عنه حاجزين﴾ [الحاقة: ٤٧] ما أحد عنه من حاجزين إلا أن يسقط من الثانية فيقال أن نتخذ من دونك أولياء فيصح الكلام ويصح المعنى وقال الزجاج أيضاً وأجاز الفراء هذه القراءة على ضعف وزعم أنه يجعل من أولياء هو الاسم ويجعل الخبر ما في يتخذ كأنه يجعله على القلب ونقل صاحب المطلع عن صاحب النظم أنه قال الذي يوجب سقوط هذه القراءة أن من لا يدخل إلا على مفعول لا مفعول دونه فإذا كان قبل المفعول مفعول سواه لم يحسن دخول من مثل قوله تعالى: ﴿ما كان الله أن يتخذ من ولد﴾ [مريم: ٣٥] فقوله من ولد مفعول لا مفعول سواه ولو قال ما كان ينبغي لنا أن نتخذ قد قامت النون المضمومة فيه مقام المفعول وشغل الاتخاذ به لم يقتض من في المفعول الذي بعده وقال ابن جني قراءة نتخذ مبنياً للمفعول هي قراءة زيد بن ثابت وأبي الدرداء وأبي جعفر ومجاهد والحسن وغيرهم فعلى هذا من أولياء في موضع المفعول به أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك أولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي كقولك اتخذت زيداً وكيلاً فإن نفيت قلت ما اتخذت زيداً من وكيل وهذا في المفعول به وأما على قراءة الجماعة فقوله من أولياء في موضع المفعول به كقولك ضربت رجلاً فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل فعلم من هذا أن ابن جني أجاز أن يزاد من في المفعول الثاني وأبى الزجاج إلا أن يزاد في المفعول الأول وذهب صاحب النظم إلى أنه تزاد في مفعول واحد وبنى القاضي رحمه الله كلامه على كلام الزجاج فجعل من تبعيضية لا مزيدة ويجوز أن يكون مزيدة بناء على تأويل ابن جني وكلام الكشاف مبني أيضاً على كلام الزجاج حيث قال صاحب الكشاف

---

(١) كأنهم قالوا نحن لا ندعو غيرنا مطلقاً سواء كان هؤلاء أو غيرهم إلى عبادتنا ولا ريب في مبالغته.

besturdubooks.wordpress.com

واختاره المص وجوزه ابن جني وجه تنكير أولياء حينئذٍ لأن المعنى ما صح أن يتخذونا من دونك بعض أوليائهم لكن القائلين لما كانوا هم الملائكة والأنبياء تعين أن يكون الباقي الجن والأصنام لأن المعبودين محصورون في هؤلاء قيل قوله من أولياء من مقابلة المتعدد بالمتعدد كأنه قيل ما يصح لواحد منا أن يتخذ ولياً من أولياء فلا يرد أن نفي المتعدد فيه يجامع بثبوت الواحد انتهى وهذا في القراءة الأولى وأما في الثاني فمن التبعيضية يدفع هذا الاحتمال ثم قولهم لكن لما كان القائلون هم الملائكة الخ الحصر فيه ممنوع لأن الأصنام[١] من جملة القائلين والجن لم يذكرهم هنا المص والزمخشري في زمرة المعبودين فكيف يقال تعين الباقي الجن والأصنام تصحيحاً لتنكير أولياء فالأحسن ما نقل عن السجاوندي أنه قال والمعنى ما ينبغي لنا أن تحسب من بعض من يصلح للولاية فضلاً عن الكل فإن الولي قد يكون معبوداً[٢] ومالكاً ومخدوماً ويجوز على هذه القراءة أن يكون مما له مفعولان الأول هذا بزيادة من والثاني من دونك وعلى ما ذكروه يكون حالاً فليحرر انتهى فحمل البعضية على بعض الولاية لا على بعض[٣] الأفراد من الأولياء وهذا وإن كان خلاف الظاهر لكن الإشكال المذكور على قولهم القائلون هم الملائكة الخ غير وارد عليه وبالجملة لا تخلو هذه القراءة وهي قراءة أبي جعفر المدني من الشواذ عن دغدغة قال الإمام قال الزجاج أخطأ من قرأ بفتح الخاء وضم النون لأن من إنما تدخل في هذا الباب في الأسماء إذا كانت مفعولة ولا تدخل على مفعول الحال انتهى وأنت خبير بأن الخدشة فيها غير ما ذكر[٤].

قوله: (وعلى الأول مزيدة لتأكيد النفي) فالنفي متوجه إليه ومنسحب عليه لأن الاتخاذ معمول النفي وإذا انتفى الابتغاء انتفى متعلقه وهو اتخاذ ولي من دون الله وإدخال كان مع ينبغي المضارع للاستمرار وقد عرفت أن النفي ليس بمتوجه إلى الاستمرار بل الاستمرار ناظر إلى النفي واتخذ حينئذٍ متعد إلى مفعول واحد وهو أولياء ومن دونك حال من أولياء أو متعلق بنتخذ أو مفعول ثانٍ إن جعل نتخذ متعدياً إلى مفعولين.

قوله: (ولكن متعتهم وآباءهم بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات) ولكن متعتهم استدراك مما فهم من الكلام السابق أي إنا لم نضلهم وآباءهم ذكر الآباء لأن لهم مدخلاً

والقراءة الثانية من المتعدي إلى مفعولين فالأولى ما بني له الفعل والثاني من أولياء ومن للتبعيض أي نتخذ بعض أولياء.

---

(١) لأن الأصنام من جملة القائلين إما بالمقال أو بلسان الحال كما صرح به المص والزمخشري فكيف يصح الحصر.

(٢) لأن قوله فإن الولي قد يكون معبوداً الخ بناء على كون الولاية بمعنى العبادة وبمعنى الملك وبمعنى الخدمة إذ المراد من المشتق مأخذ الاشتقاق فلا تغفل.

(٣) ولو حمل على بعض الافراد من الأولياء يكون باعتبار الولاية.

(٤) وما المانع من حملها على التبعيض في الأول أيضاً بل فيه مبالغة.

besturdubooks.wordpress.com

في الغفلة فإنهم يرثون تلك النعم منهم وتمتعهم وإن كان قبل أبناءهم لكن المحاورة معهم وعن هذا قدموا في الذكر وآباءهم إن كانوا ممن يعبد من دون الله فالمحاورة تكون معهم أيضاً فذكرهم لبيان مزيد غفلتهم فلهم حيثيتان كونهم أبناء وآباء حتى ينتهي إلى أب لم يعبد من دون الله.

قوله: (حتى غفلوا عن ذكرك) فاللام عوض عن المضاف إليه أو للعهد والمراد به الإيمان بالله تعالى والقرآن والشرائع والمراد بالنسيان الغفلة رأساً ولذا فسره بها لا أنهم ذكروه أولاً ثم نسوه ثانياً فهو مجاز عن الغفلة.

قوله: (أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك) أو التذكر لآلائك أي لنعمك ونسيان ذلك التذكر مؤد إلى نسيان المنعم والإيمان به فبهذا الاعتبار صار سبباً لضلالهم وكذا الكلام في التدبر في آياتك وكون الذكر بمعنى التذكر معنى مشهور له وإن كان مجازاً في الأصل فإن الذكر ما يكون باللفظ موافقاً لما في القلب والتذكر أمر قلبي وفي الأكثر يستعمل في الاستحضار بعد النسيان لكن له فسحة في البيان وحاصل المعنى إنا لم نضللهم ولم نحملهم على الضلال لكنهم ضلوا عن السبيل بسبب تمكينهم من الاستغراق بالتنعم بأنواع المستلذات والاستيفاء بالشهوات وفيه رمز خفي إلى أمر جلي تحاشوا عن تصريحه محافظة للآداب في حضور الملك الوهاب.

قوله: (وهو نسبة الضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا إليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة) وهو أي هذا القول

قوله: حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك الوجه الأول على أن يكون متعلق الذكر هو الله تعالى والثاني على أن يكون متعلقه الاءه تعالى ونعماءه.

قوله: وهو نسبة للضلال إليهم من حيث إنه بكسبهم وإسناد له إلى ما فعل الله بهم فحملهم عليه أي قوله تعالى: ﴿ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر﴾ [الفرقان: ١٨] نسبة للضلال إليهم لأن نسيان الذكر ضلال ونسبة النسيان إليهم هي نسبة الضلال وهذه النسبة لكون الضلال بكسبهم وإسناده إلى فعل الله الذي هو تمتيعهم بأنواع النعم لكونه سبباً حاملاً لهم عليه وجه إسناد الضلال إلى فعله تعالى من حيث إنه جعل النسيان غاية لتمتيعهم بأنواع النعم.

قوله: وهو عين ما ذهبنا إليه أي وإسناد الضلال إلى فعله تعالى عين ما ذهب إليه أهل السنة من أن إسناد الإضلال في قوله تعالى: ﴿يضل من يشاء﴾ إلى الله تعالى إسناد حقيقي لأن إعطاءهم سبب الضلال مع علمه تعالى بأنهم يضلون به إضلال فلا يقوم الآية حجة للمعتزلة علينا وقال المعتزلة إسناد الإضلال ﴿في يضل من يشاء﴾ إسناد مجازي من باب الإسناد إلى المسبب حيث يمتعهم الله ويخولهم في نعمه حتى كان ذلك سبباً مؤدياً إلى ضلالهم فصار كأنه أضلهم فتكون هذه الآية عندهم كأنها شرح وبيان لوجه إسناد الإضلال إليه تعالى في ﴿يضل من يشاء﴾ على طريق المجاز وما ذكره القاضي رحمه الله هو توجيه للآية مطابقاً لما ذهب إليه أهل السنة رحمهم الله وخرج منه الجواب عن طعن صاحب الكشاف في أهل السنة حيث قال في الكشاف في تفسير هذه الآية وفيه كسر بين لقول من يزعم أن الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه

besturdubooks.wordpress.com

ممن عبدوه مبتدأ خبره نسبة الضلال إليهم أي إلى العابدين والمراد نسبة الضلال إليهم نسبة نسيان الذكر فإنه نسبة الضلال قوله من حيث إنه الخ تعليل له أي تلك النسبة ليست بأنهم خالقون الضلال بل من حيث إنه يكسبهم وصرف الاختيار الجزئي إليه قوله وإسناده له أي الضلال إلى ما فعل الله بهم وهو تمتيعهم وآباءهم بأنواع النعم فحملهم أي ما فعل الله تعالى حملهم عليه أي على الضلال وهو أي هذا المذكور وهو إسناد الفعل كالضلال مثلاً

ءأنتم أضللتم عبادي أم هم ضلوا بأنفسهم فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين ويقولون بل أنت تفضلت من غير سائقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها أن تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فإذا برأت الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشياطين إليهم واستعاذ وآمنه فهم لربهم الغني العدل أشد تبرئة وتنزيهاً منه ولقد نزهوه حين أضافوا إليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها وأسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار إلى الكفرة فشرحوا الإضلال المجازي الذي أسنده الله إلى ذاته في قوله: ﴿يضل من يشاء﴾ [النحل: ٩٣] ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد أن يقولوا بل أنت أضللتهم إلى هنا كلامه وقال صاحب الفرائد أما الجواب عن قوله فيتبرؤون من إضلالهم ويستعيذون به أن يكونوا مضلين إنما تبرؤوا واستعاذوا به منه لأنهم يستحقون العذاب بإضلالهم ولم يكن منهم إضلال لهم فيجب عليهم أن يقولوا ذلك الكلام وهو قولهم: ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ [الفرقان: ١٨] ليندفع عنهم ما يستحقون به من العذاب وذلك أنهم مسؤولون عما يفعلون والله تعالى لا يسأل عما يفعل فيلحق بهم النقصان إن ثبت عليهم الإضلال ولا يمكن لحوقه به تعالى لأنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يسأل عما يفعل وعن قوله ولقد نزهوه حين اضافوا إلى آخره فهو أن قولهم ولكن متعتهم الخ لا ينافي نسبة الإضلال إليه على الحقيقة وأيضاً ما يؤدي إلى الضلال إذا كان منه تعالى وكان معلوماً له أنهم يضلون به كان فيه ما في الإضلال بالحقيقة فوجب على مذهبه أن لا يجوز عليه وعن قوله ولو كان هو المضل على الحقيقة لكان الجواب التعيد أن يقول بل أنت أضللتهم بأن هذا غير مستقيم لأنه تعالى لا يسألهم إلا عن أحد الأمرين إضلالهم إياهم أو ضلالهم بأنفسهم فكيف يكون بل أنت أضللتهم جواباً عتيداً له بل هو جواب من قال من أضلهم والله الهادي وقال الإمام قالت المعتزلة لو كان قوله ولكن متعتهم وآباءهم دل على ما ذكرتموه للزم أن يصير الله تعالى محجوجاً ومعلوم أنه ليس الغرض ذلك بل الغرض أن يصير الكافر محجوجاً مفحماً ملوماً وأجاب أصحابنا بأن القدرة على الضلال إن لم تصلح للاهتداء فالإضلال من الله وإن صلحت لم يترجح مصدريتها للضلال على مصدريتها للاهتداء إلا لمرجح من الله تعالى وعند ذلك يعود السؤال وهو أن يكون الإضلال من الله تعالى باعتبار أن مرجح مصدرية القدرة للضلال منه تعالى ثم قال الإمام الاستفهام في ﴿ءأنتم أضللتم عبادي﴾ وارد على سبيل التقريع للمشركين لأنه تعالى كان عالماً في الأزل بحال المسؤول عنه كما قيل لعيسى عليه السلام ﴿ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ وفائدته أن المعبودين لما برؤوا أنفسهم وأحالوا ذلك الضلال إليهم صار تبرؤهم عنهم أشد في حسرتهم وحيرتهم فوافق جوابهم هذا ﴿سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ [الفرقان: ١٨] جواب عيسى عليه السلام سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق وقال الطيبي رحمه الله لما كان السؤال على التعريض التوبيخي والمقصود تبكيتهم والزام الحجة عليهم

besturdubooks.wordpress.com

إلى العباد بسبب كسبهم وإسناده إلى الله تعالى لكونه خالقاً له عين مذهبنا أي عين مذهب أهل السنة فكيف يقول الزمخشري إن هذه الآية تدل على أن أفعال العباد مخلوقة لهم وأنه لا يجوز إسناد القبائح إليه تعالى مع إسناد التمتيع إليه تعالى الحامل على نسيان الذكر فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً وقد أوضح المص ردهم في تفسير قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧] الآية مع أن علماء الكلام بينوا فساد مسلكها تمام المرام ولم يلتفت إلى رد قول الزمخشري تبرأ الملائكة والرسل أنفسهم من نسبة الإضلال الذي هو عمل الشيطان إليهم واستعاذوا منه والغني العدل أشد تبرئة منهم لظهور الجواب وهو إن كسب القبيح قبيح دون خلقه كما حقق في محله.

قوله: (في قضائك) توجيه لصيغة المضي أو في علمك لكن القضاء مناسب هنا وهنا

وتفضيحهم على رؤوس الأشهاد أجابوا أولاً بما يدل على تبرئهم من نسبة الإضلال إلى أنفسهم بأقصى ما يمكن من المبالغة خذلاناً لهم وكان من حق الظاهر أنا ما أضللناهم فأطنبوا أولاً بقولهم سبحانك إلى آخره تعجباً أي كيف يصح منا أن تصفك بما يليق بحالك ونحن عاملون بالتقديس وكيف يستقيم لنا أن نحمل غيرنا أن يتولونا دونك ونحن العابدون وثانياً بما يدل على أن الكفرة هم ضلوا السبيل لكن بتقدير الله وإضلاله فأطنبوا في تعبيرهم بقولهم ولكن متعتهم الخ يعني متعتهم بطول العمر وسعة الرزق حتى يجعلوا ذلك سبباً في زيادة الشكر من قبول الذكر الذي عرض عليهم وهو القرآن والتمسك بمقتضاه من تصديق من جاء به لكونه معجزة والإيمان بما فيه من إثبات التوحيد والحشر والنشر فعكسوا ذلك وجعلوه سبباً للثبات على اتخاذ الشركاء حتى جرهم ذلك إلى ترك الذكر وعدم المبالاة به لقوله تعالى: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢] وينصر القول بأن المراد بالذكر القرآن قوله صاحب الكشاف والذكر ذكر الله والإيمان به والقرآن وما قال محيي السنة في تفسيره حتى نسوا الذكر تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ويساعد هذا التأويل قضية النظم فإن قوله: ﴿ويوم يحشرهم﴾ [الفرقان: ١٧] متصل بأول السورة وهو قوله تعالى: ﴿ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك﴾ [الإسراء: ١١١] وقوله: ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾ [الفرقان: ٣] أي اتخذوا من دون الله آلهة زعموا أنها أولاد لله سبحانه وشركاء له في الالهية وأدى ذلك إلى تكذيبهم الذكر أي القرآن أولاً بقولهم: ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ [الفرقان: ٤] وأساطير الأولين وتكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام ثانياً بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق فرضوا بالإله أن يكون حجراً وأبوا الرسول أن يكون بشراً وتكذيبهم الله آخراً حيث أنكروا البعث والنشور وإليه الإشارة بقوله ﴿بل كذبوا بالساعة﴾ فإنه مستلزم لتكذيب الله وتحرير المعنى ﴿ويوم نحشرهم﴾ [الأنعام: ٢٢] ﴿وما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ حينئذٍ يعلمون أنهم أول من يخاصمهم الله ويخذلهم إذا سئلوا ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] أي أكنتم أولياء هم وشركاء لله وأنتم حملتموهم على ذلك التقول والتكذيب أم هم من عند أنفسهم تفوهوا به فيجيبوا بما يلقمهم الحجر أي هؤلاء الكافرون للنعمة هم الذين عكسوا الأمر وضلوا وحقت عليهم كلمة العذاب والبوار يدل عليه قوله فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً فظهر من بيان النظم أنهم لو أجابوا بقولهم بل أنت أضللتهم أبعدوا عن المرمى.

besturdubooks.wordpress.com

محذوف[١] ثابت باقتضاء النص فكفروا واشركوا قوله وكانوا والتعبير بالواو الفصيحة غير متعارف وهذا زيادة في الجواب فإنه تم بقولهم حتى نسوا الذكر تسفيهاً لرأيهم مع الإشارة إلى أن ذلك مقضى لهم بسبب علمه تعالى بأنهم يختارون ذلك الشر بإرادتهم الجزئية فلا جبر.

قوله: (هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع أو جمع بائر كعائذ وعوذ) مصدر بوزن شغل وصف به للمبالغة فقوله هالكين بيان حاصل المعنى وإلا فقد عرفت مما نقلنا عن الشيخ عبد القاهر أن مثل هذا يجب إبقاؤه على حاله بلا تأويل لئلا يفوت المبالغة قوله ولذلك أي ولكونه مصدراً يستوي فيه الواحد والجمع كسائر المصادر لأن المراد بالمصدر الماهية وهي متحققة في الواحد والجمع ولم يذكر التثنية[٢] لأن المصدر لا يطلق عليه بدون اعتبار العدد والنوع أو جمع بائر فالبور يجيء مصدراً وجمعاً رجح المصدرية للمبالغة فيه كأنهم عين الهلاك أو هذا الجمع نادر ولذا استشهد بقوله كعوذ وعائذ بالعين المهملة والذال المعجمة جمع عائذ وهي من الحديثة النتاج من الظباء والخيل.

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾

قوله: (التفات إلى العبدة بالاحتجاج والإلزام) التفات إلى العبدة من الغيبة إلى الخطاب تشديداً في العتاب ولذا قال بالاحتجاج الخ.

قوله: (على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون) على حذف القول أي فقلنا لهم فقد كذبوكم لأن هذه الجملة من كلام الله تعالى ابتداء اتفاقاً الفاء في فقد كذبوكم فصيحة فجائية أي قلنا تبرؤوا فقد كذبوكم كما قال تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآية والمعنى فقد كذبكم المعبودون بعضهم بلسان الحال وبعضهم بالمقال أو كلهم بالمقال إن قيل بنطق الجماد.

قوله: (في قولكم إنهم آلهة أو هؤلاء أضلونا والباء بمعنى في) في قولكم أشار إلى أن ما مصدرية والباء بمعنى في والجار والمجرور متعلق بالفعل.

قوله: (أو مع المجرور بدل من الضمير) بدل اشتمال وعد الجار من البدل من المسامحات المشهورة إذ الظاهر أن الباء حينئذٍ زائدة فإن التكذيب متعد بنفسه فعلى الأول

---

(١) إطلاق الحذف على المقتضى اصطلاح البعض ولك أن تقول وهنا معطوف عليه لقوله: ﴿كانوا﴾ ثابت باقتضاء النص.

(٢) هذا ما ثبت في الأصول من أن الوحدة تراعى في اسم الجنس سواء كانت الوحدة حقيقة أو اعتبارية لكن نقل الإمام عن أبي عبيدة أنه قال يقال رجل بور ورجلان بور ورجال بور فيصرح بأنه يطلق على التثنية أيضاً فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

الكاذب القائل بمعنى أنه أخبر لا على ما هو عليه وعلى الثاني الكذب صفة القول بمعنى أن حكمه غير مطابق للواقع قدم الأول لأنه أبلغ في التقبيح والتسفيه.

قوله: **(وعن ابن كثير بالياء)** إشارة إلى أنه رواية شاذة عنه كذا قيل.

قوله: **(أي كذبوكم بقولهم)** أشار إلى أن ضمير يقولون راجع إلى المعبودين وأما في الخطاب فالضمير عبارة عن العبدة فحينئذٍ الباء للملابسة أو للآلة فالكذب صفة القائلين فقط.

قوله: **(سبحانك ما كان ينبغي لنا)** وكون هذا تكذيباً لهم باعتبار اللزوم لكن قولهم إنهم آلهة مذكور صريحاً في كلامهم وإن لم يذكر ههنا.

قوله: **(فما يستطيعون أي المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين)** فرع عدم استطاعتهم على كذبهم وهذا على القراءة الثانية واضح وأما على القراءة الأولى فالتفريع على كونهم ليسوا بآلهة منفهم من سوق الكلام فلا وجه للاعتراض على تقدير قوله: ﴿فقد كذبوكم﴾ [الفرقان: ١٩] مقولاً للقول المقدر بأنه لا تعلق له بما بعده من عدم استطاعتهم للصرف والنصر وتفريع عدم الاستطاعة على ما قبله لا ينافي عدم استطاعتهم في أنفسهم بلا ملاحظة ما قبله فإنهم لا يقدرون نفعاً ولا ضراً مطلقاً كما ذكر ذلك في مواضع كثيرة بلا تفريع على أمر ما.

قوله: **(صرفاً دفعاً للعذاب عنكم)** أصل الصرف رد الشيء من حالة إلى حالة وهنا بمعنى رد العذاب فهرا أو شفاعة قوله عنكم خطاب للعبدة وهذا على قراءة الياء وأما على القراءة بالتاء فالتقدير عن أنفسكم والمعنى فما تستطيعون أيها العابدون عن أنفسكم والمذكور في موضع آخر إن المعبود لا يقدر نصرة العابدين فإنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فنفى الله تعالى ذلك ولذا اختار المص القراءة بالياء.

قوله: **(وقيل حيلة من قولهم إنه ليتصرف أي يحتال)** وقيل حيلة هذا مأخوذ من قولهم واستعمال العرب أنه ليتصرف أي يحتال وهذا معنى مجازي لأنها سبب الرد والدفع.

قوله: **(فيعينكم عليه)** أي فيعين أي الناصر أو المعبود عليه أي على دفع العذاب عنكم بعد إصابته إذ الرد يستعمل فيما قبل الإصابة فلا جرم أن المراد بالصرف دفع العذاب قبل الإصابة والنصر رفعه بعد الإصابة فلا تكرار والأولى فينصركم بدل فيعينكم إذ النصرة مختص بدفع الضر والمعونة أعم فيعينكم[١] منصوب على أنه جواب النفي.

قوله: **(أيها المكلفون)** لم تقل أيها المشركون لاحتياجه إلى التأويل بيدم إذ المراد بالظلم هنا الشرك كما في اللباب وإن أريد المعنى العام للكافر والفاجر فظاهره مراد الخطاب على العموم وهو مختار المص.

---

(١) فاعله ضمير راجع إلى الناصر.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (نذقه) فيه استعارة تبعية للتهكم استعير لإدراك ألم العذاب لتنزيل الألم منزلة السرور.

قوله: (هي النار) قال عليه السلام ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم.

قوله: **(والشرط وإن عم كل من كفر أو فسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقاً وهو التوبة والإحباط بالطاعة إجماعاً)** وإن عم كل من كفر الخ هذا إرخاء العنان مع الزمخشري حيث استدل بهذه الآية الكريمة على مذهبه من أن مرتكب الكبيرة لا يعفى بل العذاب الكبير لاحق به كالمشرك والمص حاول الجواب فمنع[1] أولاً عمومه فلا يتناول الفاسق وسلم ثانياً عمومه الفاسق فأجاب بأن الآية مقيدة بعدم المزاحم اتفاقاً أي منا ومن المعتزلة عموماً والإحباط بالطاعة عطف على المزاحم إجماعاً أي منا ومن الجبائيين واتباعهما فإنهم ذهبوا إلى أن من زادت طاعاته على معاصيه أحبطت طاعاته عتاب زلاته وكفرتها ومن زادت زلاته على طاعاته أحبطت ثواب طاعاته كما فصل في علم الكلام ولعل لذلك اختار هنا لفظ إجماعاً وفيما قبله اتفاقاً فإن الأول لا خلاف فيه لأحد من المعتزلة

قوله: والشرط وإن عم كل من كفر وفسق لكنه في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المراحم وفاقاً وهو التوبة والاحباط بالطاعة وبالعفو عندنا هذا رد على صاحب الكشاف حيث قال الخطاب على العموم للمكلفين والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ والفاسق ظالم لقوله: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] إلى هنا كلامه وفي كلامه هذا إشارة إلى مذهبه حيث ادخل المؤمن الفاسق في هذا الحكم الذي هو اذاقه العذاب الكبير وقرنه معهم في عدم العفو حين مات غير تائب بناء على هو مذهبه من أن العدل والمجازاة على الأعمال واجبة على الله ففسره القاضي رحمه الله بأن اقتضاء الشرط الذي هو ظلمهم ذلك الجزاء الذي هو اذاقة العذاب الكبير مشروط بعدم التوبة وبعدم الفعل المحبط بجزيمة الكفر والفسق فالمعنى نذقه عذاباً كبيراً ما لم يتب ذلك الظالم ولم يعمل عملاً صالحاً فإن الكافر والمؤمن الفاسق إذا تابا وأحبطا جريمتهما بالعمل الصالح لا يلحقهم عذاب أليم اتفاقاً بيننا وبين المعتزلة ويجوز عندنا لا عندهم أن يعفو الله تعالى عن المؤمن الفاسق وإن لم يتب قال الطيبي رحمه الله ذهب عن صاحب الكشاف أن الخطاب مع الكفرة المعاندين الذين نزلت في شأنهم الآيات من أول السورة فكيف وقد سبق فقد كذبوكم وهذه الآية كالخاتمة لما يجري عليهم من الأهوال والنكال من لدن قوله إذا رأتهم من مكان بعيد يعني ومن يظلم أي من ندم منكم على ما هو عليه من أنواع الكفر بعد تلك البيانات الشافية التي ما تركت من الزواجر والروادع بقية نذقه عذاباً كبيراً تم كلامه وعلى هذا لا يكون الخطاب عاماً شاملاً لفسقة المؤمنين كما زعمه صاحب الكشاف بل هو يخصن الكفار بقرينة سياق الآي وسباقها وقال صاحب الفرائد يجب أن يحمل الظلم على الشرك بدليل ما تقدم ولأن الحمل على ما ذكره صاحب الكشاف يؤدي إلى أن الظلم مع الإيمان يستلزم العذاب الكبير ولا يجوز العفو والتجاوز وليس كذلك لقوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨].

---

(١) المنع والتسليم مفهومان من كلمة أن الوصلية في قوله وإن عم كل من كفر الخ.

besturdubooks.wordpress.com

والثاني غير مسلم عند بعض المعتزلة وإنما هو قول البعض كما عرفت وما ثبت في محله أن المحبط بالطاعات هو الصغيرة دون الكبيرة غاية الأمر أن الكبيرة مرجو إحباطها بالحسنات كما ذهب إليه بعض شراح الحديث قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] وفي الحديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر انتهى وهذا يؤيد ما قلناه ولعله اختار كون الكبيرة محبطة بالطاعات لكنه بعيد جداً.

قوله: (وبالعفو عندنا) عطف على الإحباط أو على المزاحم أي مقيد بعدم العفو عندنا أي عند معاشر أهل السنة فإنه يجوز عفو الكبيرة بلا توبة عندنا وهذا هو الجواب عن إشكال الزمخشري وما تقدم تمهيد له.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾

قوله: (أي إلا رسلاً أنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه) وفي الكشاف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين وهو أوضح مما ذكره المص والنفي المستفاد من الحصر عدم أكلهم ومشيهم بقرينة أنه جواب لقولهم ﴿ما لهذا الرسول﴾ [الفرقان: ٧] الآية فالقصر إضافي وقصر قلب يعني أن هذا عادته تعالى مستمرة في جميع رسله المرسلين إلى الإنسان فلا وجه لهذا الطعن من أهل الطغيان كما أن قوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً﴾ [الفرقان: ١٠] الآية جواب لقولهم أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة وأما جواب قولهم: ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ [الفرقان: ٧] فمذكوره في سورة الأنعام حيث قال تعالى: ﴿ولو أنزلنا[1] ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ [الأنعام: ٨].

قوله: (كقوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤]) والمعنى وما منا أحد إلا له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله في تدبير العالم فأقيمت الصفة مقام الموصوف هنا وهناك قيل وعدل عما في الكشاف لأن فيه فصلاً بين الصفة والموصوف بإلا وقد رده أكثر النحاة كما في المغني فجعله صفة لموصوف محذوف بعد

قوله: أي إلا رسلاً أنهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه وفي الكشاف الجملة بعد إلا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين وإنما حذف اكتفاء بالجار والمجرور أعني من المرسلين ونحوه عز من قائل: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] على معنى وما منا أحد تم كلامه قدر صاحب الكشاف رحمه الله الموصوف قبل إلا والقاضي رحمه الله قدره بعد إلا.

---

(١) والمعنى أن الملك لو أنزل بحيث عاينوه كما اقترحوه لحق إهلاكهم فإن سنة الله تعالى جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون أي لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين.

besturdubooks.wordpress.com

إلا هو بدل مما حذف قبله وأقيمت صفته مقامه فلم تفصل إلا بين الصفة والموصوف بل بين البدل والمبدل منه وهو جائز انتهى والعلامة الزمخشري إمام في العلوم العربية فلا يضر مختاره اختلاف بعض النحاة بل لا يبعد أن يقال إن رد بعض النحاة مردود لتجويز ذلك صاحب الكشاف وفي المطول واعلم أنه قد يقع بعد إلا في الاستثناء المفرغ الجملة وهي إما خبر مبتدأ أو صفة نحو ما جاءني منهم رجل إلا يقوم انتهى وكذا ما وقع في شرح المفتاح والقول بأنه مردود كما صرح به شارح المغني سخيف جداً قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [الصافات: ١٦٤] وما منا أحد إلا له مقام معلوم فقدر الموصوف قبل إلا فلم يعدل عما في الكشاف بل أشار إلى جواز الوجهين في الموضعين.

قوله: (ويجوز أن يكون حالاً اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) ويجوز أن يكون حالاً الخ أشار إلى ضعفه إذ صرح في أوائل سورة الأعراف أن الاكتفاء بالضمير غير فصيح ولكن نص في تفسير قوله تعالى: ﴿قلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ [البقرة: ٣٦] الآية أنه حال استغني فيها عن الواو بالضمير لأنه مأول بالمفرد حيث قال والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله وهنا كذلك كما أشار إليه صاحب الكشاف حيث قال وما أرسلنا قبلك أحداً من المرسلين إلا آكلين وماشين ولكل جزء من أجزاء الجملة مدخل في حصول المفرد وهو شرط تأويل الجملة بالمفرد قوله وهو جواب أي[1] جواب لغوي بطريق الإشارة وقد مر توضيحه.

قوله: ويجوز أن يكون حالاً اكتفى فيها بالضمير أي ويجوز أن يكون أنهم ليأكلون الطعام حالاً من المرسلين والمعنى ما أرسلنا قبلك من المرسلين على حال من الأحوال إلا على حال أكل الطعام والمشي في الأسواق وإذا وقعت الجملة الاسمية حالاً يكون الربط بالواو وبالضمير لكن اكتفى هنا بالضمير ولا يجوز أن يكون ذو الحال المستثنى المقدر بعد إلا أعني رسلاً لكونه نكرة وذو الحال إذا كانت نكرة يجب تقديم الحال عليه ويجوز حمله على الحال على توجيه صاحب الكشاف أيضاً وذو الحال هو أحد المطوى ذكره وهو إن كان نكرة لكنه نكرة موصوفة فيكون في حكم المعرفة ولذا قال الطيبي رحمه الله فلو جعله حالاً كان له وجه لأن ذا الحال موصوف قال أبو البقاء كسرت أن لأجل اللام في الخبر وقيل ولو لم تكن اللام لكسرت أيضاً لأن الجملة حالية إذ المعنى إلا وهم يأكلون وقال الزجاج وأما دخول أنهم بعد إلا فعلى تأويل ما أرسلنا رسلاً إلا وهم يأكلون أو إلا وإنهم ليأكلون وحذفت رسلاً لأن من في قولك ﴿من المرسلين﴾ دليل على ما حذف وقال صاحب المطلع وكسرة إن لمكان الابتداء كما لو قيل إلا وهم يأكلون لا لمكان اللام ودخولها وخروجها سواء كما يقال ما قدم علينا أمير إلا أنه مكرم لي.

---

(١) أي رد لقولهم إذ كونه جواباً موقوف على اعتراف أن الأنبياء المتقدمين أكلوا ومشوا في الأسواق مع كونهم نبيين وهم ينكرون ذلك أيضاً إلا أن يقال إنه جواب تحقيقي لا الزامي وحاصله أنه رد له.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقرىء يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس) وقرىء يمشون من التفعيل أصله يمشيون فاعل فصار يمشون بتشديد الشين المفتوحة مع ضم الياء وهي قراءة علي رضي الله تعالى عنه وعبد الرحمن بن عبد الله وهو للتكثير وهي قراءة شاذة وفاعله المحذوف إما حوائج فيكون الإسناد مجازياً أو الناس فيكون الإسناد حقيقياً أخره لأن تمشيتهم الناس لا معنى له ظاهراً فالظاهر الحوائج والتوجيه أن الناس يمشونهم لتعليم الدين والحق اليقين.

قوله: (أيها الناس) لم يقل أيها المكلفون كما سلف لأن هذا[1] عام.

قوله: (ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم) ابتلاء أي اختبار أو امتحاناً أصل الفتنة الامتحان وهو المناسب هنا وفيه مبالغة إذ المعنى وجعلنا بعضكم لبعض سبب الفتنة والامتحان فجعل نفس الفتنة مبالغة أشار إليه بقوله ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء فالأغنياء ليسوا فتنة بل من بهم الفتنة وهذا اختبار بأمر الدنيا تعرضه لرعاية عموم النظم وإلا فلكون الكلام مسوقاً لتصبير رسول الله عليه السلام ينبغي أن يكتفي بقوله والمرسلين بالمرسل إليهم نعم فيه تسلية لرسول الله عليه السلام حيث عيروه عليه السلام بالفقر حين قالوا ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ الخ والمعنى أنه تعالى جعل الأغنياء سبب فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون ولا يمدون أعينهم إلى ما منعنا بهم أم لا وهل يعرفون أن ذلك مبني على الحكمة ولعل ذلك خير لنا أم لا يعرفون ذلك.

قوله: (وبمناصبتهم لهم العداوة وإيذائهم لهم) المناصبة العداوة من قولهم نصب له إذا عاداه وأصله من نصب الشبكة للصيد وهذا هو المراد هنا لمكان العداوة في العبارة وإيذائهم بأقاويلهم الموحشة الخارجة عن حد الإنصاف فالمعنى أيضاً أنه تعالى جعل المرسل إليهم اختبار أو معاملة امتحان للمرسلين وما به الامتحان مناصبتهم وإيذاؤهم لكن جعل أنفس المرسل إليهم فتنة للمبالغة وللتعميم.

قوله: وقرىء يمشون أي يمشيهم حوائجهم أو الناس قال ابن جني يمشون بضم الياء وفتح الشين المعجمة قراءة علي وعبد الرحمن بن عبد الله كقولك يدعون على المشي وجاء على فعل لتكثير الفاعل إذ هم عليهم السلام جماعة ولو كانت يمشون بضم الشين لكانت أوفق لقوله تعالى: ﴿ليأكلون الطعام﴾ [الفرقان: ٢٠] إلا أن معناه يكثرون المشيء يعني يوافقه من حيث إنه أسند الفعل إليهم وإن أريد به التكثير ولم ترد في يأكلون قوله ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالأغنياء والمرسلين بالمرسل إليهم فالغني فتنة للفقير يقول الفقير ما لي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف للوضيع والمرسل إليهم فتنة للرسل لينظر أنه هل يصبر على أذى المرسل إليهم أم لا.

قوله: وبمناصبتهم لهم العداوة من نصبت لفلان نصباً أي عاديته وناصبته الحرب مناصبة أي أقمت عليه الحرب.

---

(١) أي عام لغير المكلفين كالصبي والكفار عند بعضهم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وهو تسلية لرسول الله عليه السلام على ما قالوه بعد نقضه) وهو أي هذا النظم الجليل تسلية أي تحميل على الصبر فإن معناه أنك لست بأوحدي في ذلك فإن الرسل المتقدمين قد كذبوا وأوذوا حتى آتيهم نصرنا بعد نقضه بقوله تعالى: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً﴾ [الفرقان: ١٠] الآية.

قوله: (وفيه دليل على القضاء والقدر) أي في أفعال العباد حيث جعل مثل مناصبة الكفار وإيذائهم بجعل الله تعالى[١] وهو عبارة عن القضاء والقدر في الأزل قيل قال ابن السيد في مثلثاته قدر الله قضاؤه ومنهم من يفرق بينهما فيجعل القدر تقديره الأمور قبل أن تقع والقضاء إنفاذ ذلك القدر بخروجه من العدم وهو الصحيح لما في الحديث من أنه عليه السلام مر بحائط مائل فأسرع مشيه حتى جاوزه فقيل اتفر من قضاء الله فقال أفر من قضاء الله إلى قدره انتهى قال المص في سورة البقرة أطلق القضاء على تعلق الإرادة الإلهية لوجود الشيء من حيث إنه يوجبه والظاهر أن مراده التعلق الأزلي[٢] ويؤيده ما قيل والقضاء عند الأشاعرة هو إرادة الله تعالى الأزلية المتعلقة بالأشياء على ما هي عليه فيما لا يزال والقدر إيجاده إياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها وأحوالها وقيل المبرم قضاء وغيره قدر والأوضح أن القدر أي التقدير تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد فيه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك واستوضح بتصوير النقاش الصورة في ذهنه رهذا نظير التقدير ثم نقشه على وفق تصويره نظير القضاء ولهذا المقام تفصيل في أوائل شرح المشكاة لعلي القاري ومراده رد المعتزلة فإنهم ينكرون القضاء والقدر في الأفعال الاختيارية الصادرة عن العباد ويثبتون علمه تعالى هذه الأفعال ولا يسندون وجوده إلى ذلك العلم بل إلى اختيار العباد وقدرتهم فأشار إلى أن هذه الآية حجة عليهم فمن قال إنه لا

قوله: وهو تسلية لرسول الله ﷺ على ما قالوه بعد نقضه أي بعد نقض ما قالوه بقوله: ﴿وما أرسلنا قبلك﴾ [الفرقان: ٢٠] الآية وفي الكشاف وهذا تصبير لرسول الله ﷺ على ما قالوه واستبدعوه من أكله الطعام ومشيه في الأسواق بعد ما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم أيها الناس ببعض والمعنى أنه بلى المرسلين بالمرسل إليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وأقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وأنواع أذاهم وطلب منهم الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيراً وأن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور.

قوله: وفيه دليل على القضاء والقدر وجه الدلالة أنه إخبار بالماضي فإنه يدل على أن الابتلاء قد كان وقدر في علمه الأزلي وقضائه قبل إن يخلقوا قوله والمعنى: وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم أيكم يصبر والعلم مجاز في التمييز وإلا فالله تعالى عالم بمن يصبر ومن لا يصبر فالمعنى لتميز الصابر عن غير الصابر.

---

(١) إذ الجعل بمعنى الايجاد إن جعل فتنة حالاً أو التصيير إن جعل مفعولاً ثانياً وهو يستلزم الايجاد.

(٢) لأن بعض المتكلمين ذهبوا إلى أن تعلق الإرادة قديم وبعضهم اختار كونه حادثاً وهو الظاهر وكلام المص يميل إلى قدم التعلق ويحتمل أن يكون مراده التعلق الحادث وأما نفس الإرادة فقديم.

besturdubooks.wordpress.com

دلالة فيها على ذلك فقد كابر وبعد عن فهم المرام كما هو عادته في أكثر المقام.

قوله: (علة للجعل والمعنى ﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ [الفرقان: ٢٠] لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧]) علة للجعل أي واقع موقع العلة كما أشار إليه بقوله والمعنى وجعلنا الخ بقرينة ذكره بعد ذكر الفتنة بمعنى الابتلاء فجملة الاستفهام معمولة للعلم المقدر المعلق عنها كما قال لنعلم أيكم يصبر ونظيره قوله تعالى: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ [هود: ٧] أشار به إلى أن أتصبرون واقع بعد ذكر الفتنة موقع أيكم بعد الابتلاء في قوله تعالى: ﴿أيكم﴾ [هود: ٧] الآية وحاصل المعنى لنعلم بالتعلق الحادث أيكم يصبر بعد وجود الصبر منكم موافقاً لعلمنا بالتعلق القديم أيكم يصبر قبل وجود الصبر بمعنى أنه سيوجد فلا وجه لما قيل أي ليظهر لكم ما في علمنا وغرضه من التنظير بالآية المذكورة التنبيه على أن الفتنة لكونها بمعنى الابتلاء تدل على إرادة العلم فإن المقصود من الابتلاء أي الامتحان العلم كما نبهنا عليه إلا أن العلم مضمن في تلك الآية وما نحن فيه مقدر فالتشبيه ليس من كل وجه لأن التشبيه لا يقتضيه.

قوله: (أو حث على الصبر على ما افتتنوا به) عطف على قوله علة فالاستفهام حينئذٍ للترغيب بواسطة أن الاستفهام للتقرير بمعنى التحقيق والتثبيت[1] فلا يقدر العلم إذ الفتنة أمارة على إرادة العلم لا دليل قطعي وفي بعض النسخ وقع أوجب عليهم الصبر بدل أو حث فحينئذٍ يكون من تتمة ما قبله فعلى الأول منقطع عما قبله كما عرفته فعلى هذا أتصبرون بمعنى اصبروا بمعنى الإيجاب ولا يخفى أن هذا لا يلائم قوله لنعلم أيكم يصبر فالنسخة المعول عليها أو حث بالحاء المهملة والثاء المثلثة ولفظة أو حرف عطف قوله افتتنوا بصيغة المجهول أي أوذوا به فالفتنة هنا ليست بمعنى[2] ما في النظم.

قوله: (بمن يصبر أو بالصواب فيما يبتلى به وغيره) بمن يصبر مفعوله المقدر قدمه لأنه على الحقيقة وأما على الثاني[3] فبمعنى العلم أي عليماً بالصواب الخ إذ الصواب ليس من المبصرات وعند الجمهور البصر صفة أخرى مغاير لصفة العلم قيل وارتباط هذا بما قبله لأن جعلهم آكلين ماشين لا ملائكة للابتلاء وهذا لا ينافي إن عدم جعلهم ملائكة لعدم

قوله: أو حث عليهم الصبر على ما افتتنوا به افتتنوا على لفظ المبني للفاعل يقال افتتن الرجل وفتن فهو مفتون إذا أصابته فتنة.

---

(١) لا بمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه.

(٢) إذ الفتنة هنا بمعنى المحنة والأذية وما في النظم بمعنى الابتلاء ومعاملة الامتحان ولا يبعد أن يحمل على ما في النظم.

(٣) والزمخشري اكتفى بالمعنى الثاني وأصاب المص في زيادة المعنى الأول وترجيحه.

besturdubooks.wordpress.com

الطاقة البشرية رؤية الملائكة على صورتهم نأمل[١] قول المص وهو تسلية لرسول الله عليه السلام إشارة إلى الارتباط.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾﴾

قوله: (لا يأملون) من أمل من الثلاثي نقل عن المصباح أنه قال الأمل ضد اليأس وأكثر ما يستعمل فيما يبعد حصوله والطمع يكون فيما قرب حصوله والرجاء بين الأمل والطمع فإن الراجي يخاف أن لا يحصل مأموله ولذا استعمل بمعنى الخوف فإن قوى الخوف استعمل استعمال الأمل كما يستعمل الأمل بمعنى الطمع انتهى هذا يشعر الفرق بين الرجاء والأمل وبالنظر إليه لا يحسن تفسير الرجاء بالأمل لكن استعمل كل منهما بمعنى الآخر كما فسر أحدهما بالآخر صاحب القاموس وكلام المص مبني عليه وصاحب الكشاف فسر الرجاء بالأمل وهو من ثقات نقل اللغة وكفى به سنداً للمص وقيل فرق بينهما كما في قول ابن الهلال في فروقه الأمل رجاء يستمر ولأجل هذا قيل للنظر في الشيء إذا استمر وطال تأمل انتهى وإنما لم يفسر[٢] المص الرجاء بترقب الخير يقوى في النفس وقوعه لئلا يتوهم توجه النفي إلى القيد بناء على أن النفي إذا دخل في الكلام المقيد يتوجه إلى القيد كما صرح به الشيخ عبد القاهر وخلافه قليل نادر فيفيد الكلام كونهم آملين للبعث وعن هذا فسره بمطلق الأمل.

قوله: (بالخير) متعلق بلقائنا والباء للملابسة والمراد بالخير الثواب والجنة ومن لا يرجو ذلك لا يخافون العذاب أيضاً.

قوله: (لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاءنا بالشر) وهو العذاب في دار الحجاب لكفرهم بالبعث ومن كان كذلك لا يأملون الثواب أيضاً فأحد الوجهين مستلزم للآخر قدم الأول لكونه حقيقة ولم يجمع بينهما لئلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وإن كان جائزاً عند المص ولك أن تقول قوله أو لا يخافون لمنع الخلو فقط.

قوله: (على لغة تهامة) إن أراد أنه حقيقة عندهم فوجه التأخير التنبيه على ضعف هذه اللغة بالنسبة إلى غيرها وإن أراد أنهم يخصون الرجاء بالخوف في استعمالاتهم فالأمر ظاهر.

قوله: لقاءنا بالخير قال الراغب الرجاء يستعمل فيما في حصوله مسرة وقوله تعالى: ﴿ما لكم لا ترجون لله وقاراً﴾ [نوح: ١٣] قيل: ما لكم لا تخافون ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان قال الله تعالى: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾ [التوبة: ١٠٦] إما يعذبهم وإما يتوب عليهم.

---

(١) إشارة إلى ضعف هذا الوجه فالأولى ما ذكره المص.

(٢) فيه إشارة إلى وهم ابن كمال مع جوابه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء) وهذا يستلزم المصادفة ولذا قال في سورة البقرة اللقاء المصادفة وأما المماسة فليست بمعتبرة في مفهومه وإن تحققت في بعض الأحوال قال الفاضل المحشي وفيه بحث فإنه قال المحقق الرضي الترجي ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله فمن ثمة لا يقال لعل الشمس تغرب ويدخل في الارتقاب الطمع والإشفاق فالطمع ارتقاب شيء محبوب والإشفاق ارتقاب شيء مكروه وهكذا في كلام أكثر النحاة فينتظم لا يرجون كلا المعنيين ولا يحتاج إلى الحمل على لغة تهامة فتأمل انتهى. ولا يخفى أن كلام النحاة في الترجي وكلام الشيخين في الرجاء ولا نزاع في تفاوت معنى الثلاثي والمزيد فيه في بعض المواد وأما الجواب عنه بأن الكلام هنا في لفظ رجى وكلام النحاة فيما يدل عليه مثل لعل فضعيف إذ المعنى لا يتفاوت باختلاف ما يدل عليه فالترجي المستفاد من لعل والمستفاد من لفظ الترجي معنى واحد على أن كلام النحاة في الترجي[١] لا فيما يدل عليه كلعل.

قوله: (ومنه الرؤية فإنه وصول إلى المرئي) ومنه أي من اللقاء الرؤية فصله عما قبله لأن إطلاق اللقاء على الرؤية مجاز إذ اللقاء سبب لها قيل أي ومن متناولات اللقاء الرؤية فمن تبعيضية وفيه نظر إلا أن يقال إن اللقاء جنس تحته أنواع أحد أنواعه الرؤية فإنه يصل الرائي برؤيته إلى حقيقة المرئي فسمي الرؤية لقاء لكن الاستعمال يؤيد كون الوصول بالأبدان ولا يقال إذا رأى شخصاً من بعيد أنه وصل إليه ولقيه.

قوله: (والمراد به الوصول إلى جزائه) بتقدير المضاف[٢] سواء أريد اللقاء بالخير أو اللقاء بالشر قوله أولاً وأصل اللقاء الخ احتراز عن مثل هذا المقام فإن أصله متعذر هنا للأدلة القاطعة على أنه تعالى منزه عن جميع سمات النقص والوصول يستلزم الجسمية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

قوله: (ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول)[٣] ويمكن أن يراد به أي باللقاء الرؤية

قوله: وأصل اللقاء الوصول إلى الشيء ومنه الرؤية أي ومن الوصول إلى الشيء الرؤية أي رؤية ذلك الشيء لأن الرؤية وصول إلى المرئي فيصح أن يستعمل اللقاء في الرؤية لأنه هي.

قوله: ويمكن أن يراد به الرؤية على الأول أي على أن يكون بالرجاء والأمل دون معنى الخوف لأن الرجاء بالمعنى الأول يستعمل كما ذكر فيما فيه مسرة فيناسبه أن يكون اللقاء بمعنى الرؤية التي لا مسرة تساويها أو يدانيها ومعنى الخوف لا يناسب ذلك قال صاحب الكشاف جعلت الصيرورة إلى جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقياً وكلامه هذا إشارة إلى مذهبه من استحالة الرؤية من حيث إنه صرف اللقاء عن حقيقته التي دخل فيها معنى الرؤية وجعله من باب التمثيل قوله أو ما هو

---

(١) فإنهم قالوا الترجي ارتقاب شيء الخ ولم يقولوا لعل ارتقاب شيء الخ.

(٢) أو بطريق الكناية.

(٣) وإنما قال الأول إذ الرؤية لا معنى لكونها مخوفة بل هي مأمولة.

besturdubooks.wordpress.com

أي رؤية الله في الآخرة كما هو مذهب أهل السنة لما عرفته من أن الرؤية من متناولات اللقاء فتكون هذه الآية دليلاً على جواز الرؤية بل على وقوعها في الآخرة وإنما ضعفه لأنه غير متعارف استعماله في الرؤية وإن سلم كونها من أنواعه كما صرح به الإمام قوله هلا أي لولا تحضيضية لا امتناعية.

قوله: (فيخبروننا بصدق محمد عليه السلام) جواب لولا فيكون منصوباً بصدق محمد عليه السلام فيكون هذا كقولهم لو أنزل إليه ملك لكن هنا قالوا أنزل علينا وجمع الملائكة إما لتعدد القصة أو هذا وإن خالف ما سبق لفظاً فهو طبقه في المقصود والإنزال[١] عدي بعلى لكونه من علو وبإلى للانتهاء إليه والملك جنس شامل للقليل والكثير والإنزال كما يكون على النبي عليه السلام يكون على أمته أيضاً وقد مر توضيحه في سورة البقرة[٢].

قوله: (وقيل فيكونون رسلاً إلينا) مرضه لأن إيراد الملائكة جمعاً لا يلائمه وإلا فادعاؤهم أنه لا يكون البشر رسولاً يلائم المعنى الثاني وقد مر في قوله تعالى: ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ [الفرقان: ٧] ما ينفعه في هذا المقام.

قوله: (فيأمرنا بتصديقه واتباعه) وهذا لا يلائم أيضاً القول فيكونون رسلاً وإنما قيده بهذا للإشعار بارتباطه بما قبله وأما في قوله تعالى: ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥] فبمعنى آخر يناسب ذلك المقام.

قوله: (أي في شأنها حتى أرادوا لها) فمعنى استكبروا في أنفسهم أوقعوا الاستكبار في شأنها فنزل الفعل المتعدي منزلة اللازم قال في سورة البقرة والتكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وهو أن يرى شبعان وليس كذلك وهنا طلب الرجل الكبر وليس له ذلك[٣] فاختيار استكبروا على تكبروا للإشعار بذلك وهذا أبلغ مما في الكشاف فإن قلت ما معنى في أنفسهم قلت معناه أنهم أضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه كما قال: ﴿إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه﴾ [غافر: ٥٦] والمص عدل عنه فقال أي في شأنها أي استكبروا أنفسهم وعدوها كبيرة حتى أرادوا لها لأنفسهم ما يتفق الخ. ولم يحمل في أنفسهم على إضمار الكبر في أنفسهم أي في قلوبهم بل جعله من قبيل أن امرأة عذبت في هرة أي في شأنها سواء أظهروا

أعظم من ذلك عطف على ما في قوله أرادوا لها ما يتفق للإفراد أي أرادوا ما يتفق للإفراد أو ما هو أعظم مما يتفق لهم وهو الرؤية والأمر بالتصديق والاتباع.

---

(١) هذا شروع في بيان طبقه في المقصود والمعنى.

(٢) فلا تكرار مع قوله ﴿لولا أنزل إليه ملك﴾ فتأمل.

(٣) أي ليس له سبب من أسباب الكبر وهو أشنع من التكبر وكلاهما حرام سوى وقت الحروب والتكبر على التكبير.

besturdubooks.wordpress.com

الاستكبار أو أضمروه لكن الظاهر إظهاره حيث قالوا: ﴿أو نرى ربنا﴾ [الفرقان: ٢١] والأنفس بمعنى القلوب على ما اختاره الزمخشري وبمعنى الذوات على ما اختاره المص.

قوله: **(ما يتفق للأفراد من الأنبياء الذين هم أكمل خلق الله تعالى)** أي فرد من الأنبياء عليهم السلام على أن اللام للجنس فيضمحل معنى الجمعية والباعث على التعبير بالجمع إرادة التعظيم إذ رؤية الله تعالى بعين الرأس غير واقعة سوى نبينا عليه السلام ليلة المعراج مع اختلاف فيه وكذا رؤية الملائكة قال المص في سورة النجم قيل ما رآه أحد من الأنبياء في صورة فجبريل إياه غير محمد عليه السلام انتهى فقوله ما يتفق للأفراد لا يخلو عن خدشة سواء كان المراد رؤية الملك أو رؤية الله تعالى أو كلاهما وهذا غاية توجيه كلامه وظاهره ليس بمراد لما ذكرناه ألا يرى أنه تعالى قال: ﴿لن تراني﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي في الدنيا ﴿يا موسى﴾ [الأعراف: ١٤٤] الآية.

قوله: **(في أكمل أوقاتها)** والضمير راجع إلى الأفراد الأولى في أكمل أوقاتهم وهو الوحي كما قيل أو المعراج كما هو الظاهر إذ الرائي هو نبينا عليه السلام فقط(١).

قوله: **(وما هو أعظم من ذلك)** أي وأي شيء أعظم من رؤية الله تعالى الاستفهام للإنكار فيفيد هذا لا أعظم شيء من هذه ومعنى هذا التركيب في العرف هو أن رؤية الله تعالى أعظم من كل شيء حتى رضوان الله تعالى ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ [التوبة: ٧٢] لأنه بالنسبة إلى الجنة ونعيمها الجسماني ولعلي القاري في شرح المشكاة مناقشة في ذلك قد أجبنا عنها في توضيح تلك الآية وفي بعض النسخ أو ما هو أعظم من ذلك فهو على وفاق قوله أو نرى كذا قيل فحينئذٍ يكون المراد بقوله ما يتفق للأفراد الخ رؤية الملك على صورته فلا يرد الإشكال المذكور لكن نسخة الواو الواصلة أصح لأن المص ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥] هذه العبارة بعينها حيث قال وذلك أي رؤية الله تعالى للمؤمنين في الآخرة والأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا انتهى وأورد(٢) الأفراد جمعاً في الموضعين ولم نطلع على القول بأن رؤية الله تعالى في الدنيا بعين الرأس واقعة لغير نبينا عليه السلام كما يقتضيه عبارة المص في الموضعين بل الثابت في محله خلافه فلا جرم أن كلامه مأول بمثل ما ذكرناه **(وتجاوزوا الحد في الظلم)**.

قوله: **(بالغاً أقصى مراتبه)** تفسير لكبيراً وعتوا مصدر بوزن دخول جاء هنا على الأصل وأما عتياً بالياء في سورة مريم فقد مر تفصيله هنا.

---

(١) كما عرفته وكون المراد بما يتفق للافراد الخ رؤية الملك فقط بعيد على أنه صرح هذا القول بعينه في تفسير قوله تعالى: **﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾** الآية.

(٢) والقول بأن مراده بما في ما يتفق رؤية الله ورؤية الملك والإفراد بالنسبة إلى رؤية الملك تكلف على أن رؤية الملك بصورته قد خص البعض بنبينا عليه السلام وهذا وإن تم على قول البعض.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (حيث عاينوا المعجزات القاهرة فأعرضوا عنها واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف) ما سدت أي منعت دونه أي عنده مطامح النفوس الخ أي ارتفاع أبصار النفوس أو طلبهم وهو رؤية الله تعالى أو رؤية الملك بصورته أو كلاهما واللام أي في لقد جواب الخ والمعنى والله لقد استكبروا أو بالله لقد استكبروا التأكيد مضمون ما ذكر وتحقيقه.

قوله: (وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم) وفي الاستئناف أي الاستئناف النحوي أو البياني جواب عن سؤال ما شأنهم في ذلك فأجيب بالله لقد استكبروا بالجملة أي جملة لقد استكبروا حسن أي حسن عظيم بالغ غايته لأنه لما ذكر فيما قبله أمر عظيم يقتضي إنكاره والاستغراب منه وعدل عن مقتضى الظاهر حتى كأنه لم يتمالك أن يقول هذا عند قولهم ذلك فذكر شناعة فعلهم مؤكدة بالقسم فأفاد التعجب لوقوعه في موضع يقع في مثله التعجب ولهذا قال وإشعار بالتعجب بشهادة الذوق وعن هذا قال صاحب الكشاف وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب ألا ترى أن المعنى ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم وإلى هذا التفصيل أشار المص بقوله وإشعار بالتعجب الخ.

قوله: (كقوله:

وجارة جساس أبأنا بنابها كليباً غلت ناب كليب بواؤها)

قوله: واقترحوا لأنفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية المطامح جمع مطمح بمعنى الطموح من طمح بصره إلى الشيء أي ارتفع وكل مرتفع طامح.

قوله: واللام جواب قسم محذوف مثل وعزتي فهذه هي اللام المسماة بالموطئة للقسم.

قوله: وفي الاستئناف بالجملة حسن وإشعار بالتعجب من استكبارهم أي قوله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ [الفرقان: ٢١] جملة استئنافية قسمية تستدعي أن يتلقى بها من يبالغ في الإنكار كأنه لما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا حمل هذا القول السامع على أن يقول ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم لأن هذه الجملة اشتملت على أمر يقتضي التعجب منه فلا يتمالك أن يترك هذا القول عند قولهم ذلك فوضعت هذه الجملة موضع ما أشد استكبارهم وما اكبر عتوهم.

قوله: كقوله وجاره جساس البيت وجساس هو قاتل كليب وجارته بسوس وهي امرأة والناب ناقة بسوس رماها كليب فقتلها فشكت بسوس إلى جساس فقال لأقتلن غداً فحلاً هو أعظم من ناقتك فبلغ ذلك الخبر كليباً فظن أنه فحله وكان جساس يعني بالفحل نفس كليب كذا ذكره الميداني أبانا أي قتلنا من البوء وهو التساوي في القصاص وإباءته بفلان إذا قتلته به والبوء في القود مهموز أي ما أغلى ناباً بواها كليب وحاصل المعنى أنا قتلنا كليباً الذي هو من الأشراف مكان ناقة بسوس التي قتلها هو وجعلناه كفواً لها في القتل فما اغنسي ناقة يكون كليب مع شرفه كفواً لها وجه الاستشهاد به أن قوله غلت ناب كليب بواؤها جملة استئنافية واقعة لاشتمالها على أمر يتعجب منه موقع فعل التعجب لأنها وضعت موضع ما أغلى ناباً بواءها كليب كما أن قوله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً﴾ [الفرقان: ٢١] جملة مستأنفة وضعت من حيث إنها مشتملة لما يتعجب منه موضع ما أشد استكبارهم وما أكبر عتوهم.

besturdubooks.wordpress.com

كقوله أي قول المهلهل وجساس لقب مرة بن ذهل الشيباني قاتل كليب وجارته هي البسوس بنت منقل التميمية وهي خالة جساس قوله[١] أبأنا أي قتلنا من الأباء افعال من البوء وهو المماثلة والمساواة يقال أباء القاتل بالقتل إذا قتله به قصاصاً والناب الناقة المسنة وقوله غلت بالمعجمة أي ما أغلاها إذا قتل فيها كليب وهو محل الاستشهاد قيل وفيه بحث لأن ما ذكره في النظم مسلم لأنه كقولك لمن جنى جناية فعلت كذا وكذا استعظاماً وتعجب منه ومثله كثير في الألسنة لكن البيت ليس من هذا القبيل لأن الثلاثي المحول إلى فعل لفظاً أو تقديراً موضوع للتعجب كما صرح به النحاة انتهى قول الزمخشري[٢] وفي أسلوبها قول القائل وجارة جساس الخ إشارة إلى الفرق بينهما.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾

قوله: (ملائكة العذاب) قدمه لأنه المناسب للمقام لأنهم استكبروا وعتوا فهددوا به وقيل لأنه المناسب لقوله وقدمنا الآية.

قوله: (أو الموت[٣] أي ملائكة الموت وهم غير ملائكة العذاب لأنهم وإن عذبوهم وقت نزع أرواحهم فهم غيرهم لأن المراد عذاب الآخرة).

قوله: (ويوم نصب باذكر أو بما دل) نصب باذكر[٤] على أنه مفعول به فهو اسم ظرف لا ظرف أو نصب على أنه مفعول فيه إن قدر المفعول به أي اذكر الحادث يوم كذا والمراد باليوم مطلق الوقت لا بياض النهار وفي قوله نصب إشارة إلى أنه معرب لا مبني وإن جاز البناء في مثله لإضافته إلى الجملة المبنية.

قوله: (فإنه بمعنى بيمنعون[٥] البشرى[٦] أو يعدمونها ويومئذٍ تكرير) فإنه بمعنى

قوله: فإنه بمعنى يمنعون البشرى أو يعدمونها أي فإن لا بشرى يومئذٍ للمجرمين بمعنى يمنعون البشرى على صيغة المبني للمفعول ويعدمونها على صيغة المبني للفاعل أي يفقدونها من عدم يعدم على وزن علم يعلم يقال عدمت الشيء بمعنى فقدته وإنما لم يجعل انتصابه ببشرى لأنه مصدر بتقدير أن مع الفعل وما في حيز أن لا يتقدمها فوجب أن يجعل عامل ذلك النصب فعلاً دل

---

(١) وهذا البيت يدل على قصة وهي أن كليباً رمى الناقة المذكورة فقتلها فشكت الجارة إلى الجساس فقتل الجساس كليباً.

(٢) فيه إهمال في البيان فليطلب من محله بالبرهان.

(٣) وفي بعض النسخ ملائكة الموت أو العذاب فتقديمه لأنهم طلبوا رؤية الملائكة فأخبر الله تعالى أنهم يرون الملائكة آخر حياتهم ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

(٤) والجملة مستأنفة مسوقة لتهديدهم.

(٥) يمنعون بصيغة المعلوم فإن لا بشرى مقول الملائكة ويمنعون مدلوله فالفاعل هم الملائكة وكونه مجهولاً احتمال لكونه لازماً له ويقدر ويمنعون بعد الملائكة والمعنى يوم يرون الملائكة يمنعونهم البشرى قائلين لا بشرى يومئذٍ للمجرمين وإن جعل مجهولاً بقدر فوق يوم يرون.

(٦) وهذا بيان خيبتهم بالمشافهة في أول الأمر ليدل على نهاية البأس.

besturdubooks.wordpress.com

يمنعون البشرى لأن كلمة النفي وهي لا تدل على ذلك فيوم متعلق يمنعون ولا يجوز تعلقه بالبشرى لكونه مصدراً ولأجل كلمة لا فإن ما بعد لا لا يعمل فيما قبلها ولو قدر لا بشرى لتعلق اليوم به والزمخشري قدم كونه متعلقاً بما دل عليه والمص أخره وهو الظاهر المتداول في مثله ويومئذٍ تكرير فهو تأكيد للأول أو بدل منه[١] ولذا قال تكرير ولم يقل تأكيد.

قوله: (أو خبر) أي خبر للا باعتبار متعلقه اخره مع أن الأول ناقشه أبو حيان لأنها مدفوعة وتعلقه بالبشرى وكونه خبراً يوهم أن لهم البشرى في وقت غير ذلك الوقت لا سيما عند القائلين بالمفهوم وإشكال أبي حيان على الأول بأن عامله جميع عامل الأول فيلزم عمل ما قبل لا المبني معها اسمها فيما بعدها وأجيب بأن الجملة المنفية مغمولة للقول المضمر الواقع حالاً من الملائكة معمول ليرون ويرون معمول اليوم فلا وما في حيزها من تتمة الظرف الأول من حيث إنه معمول لبعض ما حيزه فليست بأجنبية ولا مانع من أن يعمل ما قبله فيما بعده وبهذا ظهر الجواب عن القول بأن تقديم العامل مانع الصدارة مع أن كون لا لها الصدارة مطلقاً أو إذا مبني مع اسمها ليس بمسلم عند النحاة لأنها لكثرة دورها خرجت عن الصدارة كذا قيل.

قوله: (وللمجرمين تبيين) أي اللام للتبيين[٢] مثل لك في قوله: سقياً لك فهي متعلق بمحذوف لا ببشرى حتى تكون معربة أو متعلق به وهو معرب وعدم تنوينه لألف التأنيث وقد سبق أن ابن مالك قال ومثل هذا معرب لكنه انتزع تنوينه تشبيهاً بالمضاف.

قوله: (أو خبر ثانٍ أو ظرف لما يتعلق به اللام) عطف على تكرير وأما قوله أو خبر

عليه لا بشرى لأنفسه فيكون يومئذٍ بعده تكريراً للأول أو خبر لا لنفي الجنس في لا بشرى تقديره لا بشرى حاصل يومئذٍ لهم فيكون يومئذٍ ظرفاً مستقراً في موضع خبر لا وللمجرمين تبيين لبيان من منع البشرى فاللام فيه كاللام في هيت لك في كونها للبيان أو هو خبر ثانٍ للأول خبرها الأول يومئذٍ قوله أو ظرف لما يتعلق به اللام عطف على قوله تكرير يعني يومئذٍ تكرير للأول أو خبر أو ظرف لما يتعلق به اللام الجارة في للمجرمين فالتقدير لا بشرى حاصل للمجرمين يومئذٍ فيومئذٍ منصوب على أنه مفعول فيه لمتعلق اللام وهو حاصل قوله أو بشرى عطف على ما في لما يتعلق به أي أو ظرف لبشرى على كونها منونة تقديراً لا مبنية مع لا لنفي الجنس فيكون إعرابه تقديرياً لا محلياً ويكون هو عاملاً في يومئذٍ.

قوله: وللمجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان أي إما عام للكافرين وعصاة المؤمنين فيتناول حكم العام وهو سلب البشرى ومنعها حكم الجميع من طريق البرهان ولثبوته عليهم بالبينة لإشعاره بأن سلب البشرى عنهم لجريمتهم فورد على ظاهر عمومه سؤال وهو أن عصاة المؤمنين لا يكون محكوماً عليهم بهذا الحكم فأجاب رحمه الله بأن قال ولا يلزم الخ.

---

(١) متعلق بما يتعلق به الأول.

(٢) وكذا قوله تعالى: ﴿هيت لك﴾ كأنه قيل هذا مقول للمجرمين أو كائن لهم.

besturdubooks.wordpress.com

ثانٍ فعطف على تبيين ففي كلامه نوع تعقيد قوله لما يتعلق به اللام أي لام المجرمين والمعنى لا بشرى كائنة للمجرمين يومئذٍ وتقديمه على عامله إما للاهتمام أو للحصر.

قوله: (أو لبشرى إن قدرت منونة غير مبنية مع لا فإنها لا تعمل) أو لبشرى أي أو متعلق للبشرى قوله فإنها أي المبنية مع لا لا تعمل فإنها لو عملت لكان اسم لا معرباً كما حقق في علم النحو ومنع الصرف للتأنيث اللازم فلذا قال إن قدرت منونة.

قوله: (وللمجرمين إما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان) وللمجرمين إما عام للعصاة الذين يعتقدون لقاءه تعالى والكفار الذين لا يرجون لقاءه فيتناول حكمه أي حكم العام وهو سلب البشرى حكمهم أي حكم المعهودين وهم الذين لا يرجون لقاءه تعالى من طريق البرهان بأن يقال الذين لا يرجون لقاءنا أكمل المجرمين فهم أولى بسلب البشرى عنهم إذ السبب لذلك الإجرام وهذا مما لا يحتاج إليه فإن سلب البشرى عنهم بعبارة النص إذ المجرمون لكونه محلى بلام الاستغراق عام للكافرين وما ذكره فيما ثبت[1] بدلالة النص فلا تغفل.

قوله: (ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذٍ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر) ولا يلزم من نفي البشرى جواب سؤال نشأ من القول بعموم المجرمين للعصاة من الموحدين وتقرير الجواب ظاهر قوله حينئذٍ أي حين رؤية الملائكة وفيه إشارة إلى أن يومئذٍ متعلق بالبشرى وهذا وجه ضعيف بالعفو والشفاعة أي لمن لهما أهل وهو عصاة المسلمين ولظهوره لم يصرح به لأن النصوص قد دلت على عفو صاحب الكبيرة وثبوت الشفاعة لهم فحينئذٍ يحصل لهم البشرى لهم وأما الكفار فلا عفو لهم ولا شفاعة فلا بشرى حينئذٍ ولا في وقت آخر.

قوله: (وأما خاص وضع موضع ضميرهم) أي بالكفار السابق ذكرهم وهذا هو الراجح المتبادر أما أولاً فلمناسبة ليرون فإن ضميره راجع إلى الكفار وكذا ضمير يقولون وأما ثانياً فلأن المجرم شائع استعماله في الكافرين في النظم الجليل كما يشهد به الاستقراء وأما ثالثاً فلأن الاستغناء عن الاعتذار المذكور مستحسن والقول بأن هذا خلاف مقتضى الظاهر معارض بأن هذا مطابق لمقتضى الحال[2] كما ذكره وضع موضع ضميرهم الخ.

قوله: وإما خاص أي وإما خاص بالكفرة لا يدخل فيه عصاة المؤمنين فالظاهر حينئذٍ أن يقال لا بشرى يومئذٍ لهم لأنه موضع ضمير لكن وضع الاسم الظاهر وهو المجرمين موضع ضميرهم تسجيلاً على جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى وهو جرمهم الموجب بما يقابل البشرى وهو النفي بالعذاب.

---

(١) كحرمة ضرب الوالدين وشتمهما فإنها ثبت من طريق البرهان بقوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف﴾ الآية وما نحن فيه ليس كذلك.

(٢) وهو راجح على مقتضى الظاهر.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (تسجيلاً على جرمهم وإشعاراً بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها) بما هو المانع للبشرى وهو الجرم بمعنى الكفر وفيه اعتراف بأن الجرم غير الكفر غير مانع للبشرى وإلا فلا يتم الإشعار المذكور وقوله والموجب لما يقابلها كالصريح لما ذكرناه لأنه منتظم للجرم الذي هو كفر فلا يدري وجه تعرض الاحتمال الأول فضلاً عن تقديمه.

قوله: (عطف على المدلول أي ويقول الكفرة حينئذٍ) عطف على المدلول أي المفهوم من سوق الكلام والمعنى يشاهد الكفرة أهوال القيامة ويقنطون من البشرى ويقولون ومعنى حينئذٍ أي حين قيام الساعة أو حين رؤية الملائكة ولم يجعل معطوفاً على يرون لأن هذا القول وقته غير وقت رؤيتهم الملائكة كما عرفته والعطف يقتضي كون يقولون مضافاً إليه لليوم يوجب اتحاد زمانهما وأما فصل لا بشرى بينهما فلا يضر لأنها ليست بأجنبية كما سبق.

قوله: (هذه الكلمة استعاذة وطلباً من الله تعالى أن يمنع لقاءهم) استعاذة الخ أشار به إلى أن هذه الكلمة يضعونها موضع الاستعاذة ذكر سيبويه في باب المصادر الغير المتصرفة المنصوبة بأفعال متروك إظهارها نحو معاذ الله كما في الكشاف.

قوله: (وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو أو هجوم مكروه) وهي أي هذه الكلمة وهي ﴿حجراً محجوراً﴾ مما كان يقولون الخ أي في الدنيا وكذلك يقولون في الآخرة لهجوم مكروه وهذه عادة العرب قال أبو علي القارسي مما كانت العرب تستعمله لكن في الآخرة يقول الكفار كلهم وذكر محجوراً للتأكيد كشعر شاعر.

قوله: (أو تقولها الملائكة بمعنى حراماً محرماً عليكم الجنة أو البشرى) أو تقولها الملائكة فحينئذٍ يكون المعنى غير ما ذكر وعن هذا قال بمعنى حراماً محرماً فأشار إلى أن لها معنيين أحدهما ما ذكر أولاً وهو الشائع المتعارف عند العرب وقت الاستعاذة لأن المستعيذ طلب من الله تعالى أن يمنع المكروه فلا يلحقه وكان المعنى اسأل الله تعالى أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً وثانيهما[1] بمعنى حراماً محرماً الجنة مثلاً إذ المعنى الأول لا يناسب كونه مقول الملائكة كما أن الثاني لا يصح كونه مقول الكفرة لكن على الثاني ضمير يقولون راجع إلى الملائكة ففيه حينئذٍ تكفيك[2] الضمير ولذا أخره.

قوله: (وقرىء حجراً بالضم وأصله الفتح غير أنه لما اختص) وقرىء حجرياً لضم

قوله: وأصله الفتح غير أنه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه أي أصل حجر الفتح لأنه من حجره حجراً بمعنى منه فلما اختص بموضع كموضع خوف واستعاذة تصرفوا فيه بالكسر والضم وذلك أن حجراً محجوراً إنما يقال عند لقاء عدو أو

---

(١) والظاهر أنه معطوف كما في الوجه الأول على يمنعون بصيغة المعلوم وقيل حال على تقديرهم أي وهم يقولون وجوز كونه حالاً في الوجه الأول أيضاً.

(٢) إلا أن يقال إنه عطف على يمنعون فلا تفكيك.

besturdubooks.wordpress.com

قراءة شاذة وهي قراءة الحسن والضحاك وأبو رجاء وقرىء بالفتح أيضاً كما حكاه أبو البقاء كما هو أصله حيث قال وأصله الفتح الخ.

قوله: (بموضع مخصوص) أي بالاستعاذة حين قاله الكفرة ومن لقي عدوه وبالحرمان وقت قاله الملائكة ومثلهم غير من الفتح إلى الكسر كما في القراءة المتواترة وإلى الضم كما في الشاذة ليوافق اللفظ المعنى في التغير أيها ما بأنه لفظ آخر لكن هذه علة مصححة لا موجبة ولهذا قرىء بالفتح على الأصل وعامة المنقولات باقية على حالها.

قوله: (كقعدك وعمرك) قعدك بفتح الكاف وحكى كسرها المازني وأنكره الأزهري ولهذا لم يتعرض له المص والعين ساكنة يقال قعدك الله بنصب الاسم الشريف وقعدك منصوب على المصدرية وأصل معناه حفيظك الله ثم نقل إلى القسم فقيل قعدك الله لفعلت أو لا أفعل كذا وعمرك الله بفتح العين وضمها والراء منصوب على المصدرية ثم اختص بالقسم والتمثيل للاختصاص والتغيير أيضاً أما الاختصاص فقد ظهر مما ذكرنا في حل معناه وأما التغيير فلأن أصله إقعاد الله وتعميره أي إدامته لك فغير معناه للقسم ولفظه إلى ما ذكر كذا قيل فالتغيير فيهما في هيئة الكلمة وفيما مر في الحركة.

قوله: (ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه) ولذلك أي للزوم النصب لا يتصرف فيه بالرفع والجر والمصادر الغير المتصرفة هي التي لا يستعمل إلا منصوباً بأو الظرف الغير المنصرف هو الذي يلزم الظرفية وهذا مجموع حجراً محجوراً لا حجراً فقط.

قوله: (ووصفه بمحجوراً للتأكيد كقولهم موت مائت) يعني أنه اشتق له من لفظه اسم مفعول صفة له للتأكيد في الاستعاذة أو في المنع والحرمان وجه التأكيد هو أن المنع

هجوم نازلة فإنه هكذا عبارة عن استعاذة فلذلك تصرفوا فيه بالكسر والضم فقوله ولذلك لا يتصرف معناه لا يتصرف فيه بالفتح كقعدك بكسر القاف ونصب الدال يقال قعدك الله لآتينك وهو يمين العرب والمعنى بصاحبك الذي هو صاحب كل نجوى كما يقال نشدنك الله وعمرك الله معناه بتعميرك الله أي بإقرارك له بالبقاء تصرفوا فيهما حيث كسروا القاف في قعدك وهو في الأصل مفتوح وفتحوا العين في عمرك وهو في الأصل مضموم كذا قال بعض شراح الكشاف قال الزمخشري ذكره سيبويه في باب المصادر غير المنصرفة المنصوبة بأفعال مضمرة ترك اضمارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها عند لقاء عدو أو نزول حادثة أو نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة وقال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجراً أي منعاً لأن المستعيذ طالب من الله أن يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله أن يمنع ذلك منعاً ويحجره حجراً.

قوله: ووصفه بمحجوراً للتأكيد أي لتأكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان والمعنى في الآية أنهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم إذا رأوهم عند الموت أو يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لأن الملائكة لا يلقونهم إلا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور والشدة النازلة.

besturdubooks.wordpress.com

بلغ نهايته حتى صار محجوراً أي ذي حجر على أن الصيغة للنسبة أو على الإسناد المجازي وهو المشهور عند أرباب المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ (٢٣)

قوله: (من عمل) أي من عمل صالح[١] بقرينة قوله تعالى: ﴿فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] إذ الكلام مسوق لخسرانهم في تجارتهم فلا ريب في حسن بيان ﴿ما عملوا من عمل﴾ وإلى ذلك أشار المص بقوله من مكارمهم الخ.

قوله: (أي وعمدنا إلى ما عملوا في كفرهم من مكارمهم كقري الضيف وصلة الرحم وإغاثة الملهوف فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم وأعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم لي أشياءهم فمزقها وأبطلها ولم يبق لها أثراً والهباء غبار يرى في شعاع الشمس تطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار) أي وعمدنا إلى ما عملوا هذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما في شروح الكشاف نبه أولاً على أن القدوم مجاز عن القصد إذ القدوم إنما هو بالقصد فهو مجاز مرسل بعلاقة السببية والمسببية ثم أشار إلى أنه استعارة تمثيلية وقد قرر في موضعه أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها فقوله وهو تشبيه حالهم ليس[٢] وجهاً آخر حتى يقال إنه خلط بين المعنيين بل حمل المص على معنى واحد وهو استعارة تمثيلية بعض مفرده وهو القدوم مجاز عن القصد كما مر وإنما حمل الكلام على الاستعارة التمثيلية مع أن المعنى يصح بدون اعتبارها لأن فيه مبالغة عظيمة وبراعة جسيمة وتوضيحه أنه شبه الهيئة المنتزعة من الكفار وأعمالهم الصالحة في أنفسها وعدم قبولها لفقد شرطه وهو الإيمان بالهيئة المنتزعة من قوم استعصوا سلطاناً ومع ذلك فعلوا أشياء زعماً منهم أنهم بسببها تقربوا إلى السلطان فقدم السلطان القاهر بنفسه قاصداً إلى أشيائهم فمزقها وأبطلها بحيث لم يبق لها أثر فذكر اللفظ المركب

قوله: فأحبطناه لفقد ما هو شرط اعتباره وهو الإيمان فإن سائر الأعمال الصالحة عند عدمه لا يعتد بها ولا ثمرة لها لأنها لا أساس لها.

قوله: وهو تشبيه حالهم وأعمالهم الخ يعني قوله عز من قائل: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾ [الفرقان: ٢٣] من قبيل الاستعارة التمثيلية إذ ليس ههنا قدوم حقيقة ولكن مثلت حال هؤلاء الكفرة ومستحسنات أعمالهم التي عملوها في كفرهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم السلطان إلى أسباب معاشهم وعمد إلى ما هو تحت تصرفهم فأفسدها رأساً ولم يبق منها أثراً أو لا عثيراً فاستعمل في الحال الأولى المشبهة من الكلام ما شأنه أن يستعمل في الحال الثانية المشبهة من الكلام بها.

---

(١) فلا إشكال بأنه بيان نفسه بحسب الظاهر وهذا أولى من القول بأن صحة البيان باعتبار التنوين لأنه للتعظيم ومآله ما ذكرنا أي الخير.

(٢) أي ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء.

besturdubooks.wordpress.com

الموضوع للمشبه به وأريد المشبه قوله شبه عملهم المحبط الخ لا ينافي كون الكلام استعارة تمثيلية لما عرفته من أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها[1] سواء كانت حقائق كلها أو مجازاً كلها أو بعضها حقيقة وبعضها مجاز وفي التشبيه المشبه به حقيقة فلا ينافي ذلك التشبيه الاستعارة التمثيلية قوله لفقد ما هو شرط اعتباره وهو الإيمان فحينئذ الأولى أن يقال في المشبه به بحال قوم أظهروا الانقياد إلى السلطان بأنواع التحف فأبطل الملك ولم يقبلها لفقد شرطه وهو الإطاعة باطناً وفي نفس الأمر كما أشرنا إليه في تقرير الاستعارة التمثيلية فتدبر قوله في كفرهم أي في حال كفرهم وأما العمل الصالح الذي عمله بعد الإيمان إن آمن فهو مقبول عندهم هذا مراده من هذا القيد لكن لا حاجة إليه والإغاثة بالغين المعجمة والثاء المثلثة أو بالعين المهملة والنون كلاهما بمعنى واحد والملهوف بمعنى المظلوم قوله فقدم إلى أشيائهم جمع شيء وهو الصحيح وفي نسخة أسبابهم بمهملة وبموحدتين جمع سبب.

قوله: (ومنثوراً صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه) ومنثوراً صفته أي صفة احترازية عن الهباء الغير المنثور لأنه به تم التشبيه فيكون كقوله تعالى: ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح﴾ [إبراهيم: ١٨] الآية فإن المقصود المبالغة في حبوطه وعدم رؤيتهم له أثر ثواب وذلك إنما يفهم بوصف الهباء بالمنثور فهو تتميم للهباء المشبه به إذ لم يكتف بجعله في تفرقه الهباء حتى بين أنه جعله منثوراً.

قوله: (أو تفرقه نحو أغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها) أو تفرقه عطف على

قوله: شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه بالمنثور من الهواء في انتشاره بحيث لا يمكن نظمه أقول لا يلزم أن يصار إلى التشبيه في مفردات الاستعارة التمثيلية عند محققي علم البيان كما قال صاحب الكشاف وفي تفسير قوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [المائدة: ٦٤] وتمحل التشبيه من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة أعوام ولذا قال في تفسير هذه الآية وليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء بحال قوم خالفوا سلطانهم قوله أو تفرقه بالجر عطف على قوله في انتشاره أي ثم شبه عملهم المحبط بالمنثور من الغبار في كونه منتشراً غير مضبوط أو في كونه متفرقاً نحو أغراضهم التي يتوجهون به نحو تلك الاغراض أي ثم شبه ما يعدونهم عملاً صالحاً في أن لا يكون خالصاً لوجه الله بل لغرض آخر دنيوي بالمنثور من الغبار الذي إذا حركته الريح تناثر وذهب كل مذهب.

---

(١) وقد عرفت أن بعض مفرداتها قد يكون حقيقة وقد يكون مجازاً فمن ادعى عدم جواز التشبيه في الاستعارة التمثيلية فعليه البيان وكفى بنا إشارة صاحب الكشاف إلى ما ذكرناه حيث قال ليس هنا قدوم ولا ما يشبه القدوم لكن مثلت حال هؤلاء وأعمالهم الخ ثم قال شبه بالهباء في قلته وحقارته الخ فاستفدنا من ذلك البيان أن مفردات الاستعارة التمثيلية قد يكون مشبهاً به ومشبهاً قبل الاستعارة كما يكون مجازاً قبلها فاحفظ.

besturdubooks.wordpress.com

انتشاره نحو أغراضهم أي جانبها التي الخ والفرق بينهما هو على الأول لا يمكن جمعه فإنك ترى الهباء منتظماً مع الضوء فإذا حركته الريح رأيته قد تناثر وعلى الثاني هو إجراء له على حاله وجزاء من جنس العمل لأن أغراضهم متفرقة في أعمالهم السيئة فمعناه حينئذٍ جعلنا عملهم متفرقاً نحو أغراضهم من خبث الخلق كذا فهم من تقرير البعض والحاصل أن ثمرة الانتشار عدم نظمه وثمرة التفرق[1] ليس عدم[2] النظم أي لا يلاحظ فيه ذلك وإن كان متحققاً بل التفرق إلى جانب أغراضهم وبملاحظة الثمرة عطف بأو الفاصلة وإن كان الانتشار والتفرق مجتمعان.

قوله: (أو مفعول ثالث من حيث إنه كالخبر بعد الخبر كقوله: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥]) أو مفعول ثالث أي مفعول ثانٍ آخر ذكر بعد مفعول ثانٍ فهو مفعول ثالث باعتبار التعدد نبه عليه بقوله من حيث إنه كالخبر بعد الخبر أي جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كما أن قوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [البقرة: ٦٥] معناه جامعين للخسوء والمسخ.

قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ (٢٤)

قوله: (مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات للتجالس والتحادث) أشار أولاً إلى أن المستقر اسم مكان وسيجيء احتمال آخر ولما كان المكان كله مستقراً لا سيما أن الجنة كلها مستقر أشار إلى فائدة ذلك الخبر بقوله في أكثر الأوقات للتجالس الخ أي المراد أنه

قوله: أو مفعول ثالث عطف على قوله صفته والمعنى ومنثوراً صفة الهباء أو مفعول ثالث لجعلنا من حيث إنه كالخبر بعد الخبر فإن المفاعل الثانية أو الثالثة في باب أفعال القلوب بمنزلة الإخبار للمبتدأ إذ هي من دواخل المبتدأ والخبر وجعل وإن كان متعدياً إلى مفعولين لا إلى المفاعيل لكن لما كان منثوراً بمنزلة الخبر بعد الخبر كان كأنه مفعوله الآخر غير الأولين وهو وإن كان بهذا الاعتبار بمنزلة المفعول الثاني لكن لوقوعه في المرتبة الثالثة في الذكر وكون معناه غير معنى المفعول الثاني ومقصود الاثبات للأول قال رحمه الله أو مفعول ثالث فالمعنى فجعلناه جامعاً لحقارة الهباء والتناثر كقوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾ [الأعراف: ١٦٦] جامعين للمسخ والخسوء فيكون مثل قولك هذا حلو حامض أي جامع لهذين الطعمين وبهذا الاعتبار يمكن أن يكون لكل فعل من أفعال القلوب مفاعيل كثيرة غير الثاني والثالث مثل علمت زيداً عاقلاً فاضلاً كاملاً كاتباً شاعرا إلى غير ذلك.

قوله: مكاناً يستقر فيه في أكثر الأوقات وإنما حمل مستقراً على هذا المعنى والجنة مستقرهم أبداً ومقامهم ليصح حمل مقيلاً على معنى مكان الخلوة للاستراوح إلى أزواجهم ليجمع بين حالتي التعظيم والشرف ويكون من باب التكميل.

---

(١) ووجه الشبه لا بد وأن يكون مشتركاً بينهما والتفرق نحو الاغراض الخ غير متحقق في المشبه به فتدبر.
(٢) وأيضاً قيد في هذا يكون التفرق نحو أغراضهم الخ بخلاف الأول.

besturdubooks.wordpress.com

موضع استقرار لتحادث أهل الجنة لا مطلقاً وقيد بالأكثر احتراز عن كونه مقيلاً ونبه على أن اجتماعهم للتحادث في أكثر الأوقات بخلاف استراحتهم بالأزواج لكن النظم لا يدل عليه بل هو مستفاد من الخارج قال الزمخشري كما أن المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب.

قوله: (مكاناً يؤوى إليه للاسترواح بالأزواج والتمتع بهن تجوز له من مكان القيلولة) مكاناً الخ فمقيلاً أيضاً اسم مكان قوله يؤوى إليه بناء على ما سبق من أن المراد بالأول أكثر الأوقات فلا جرم أن المراد بالثاني أقل الأوقات وعن هذا قال هنا يؤوى إليه مع أنه موضع استقرار أيضاً للاسترواح استفعال من الراحة والتمتع أي التمتع بالأزواج فيكون تفسيراً له أو التمتع بها وبغيرهن من أنواع النعم فيكون عطف العام على الخاص.

قوله: (على التشبيه) أي شبه مكان الاستراحة والتمتع في الجنة بمكان القيلولة في الدنيا والجامع كون كل منهما محل استراحة فهو استعارة بديعية.

قوله: (أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً إذ لا نوم في الجنة) عطف على التشبيه بحسب المعنى تجوز له للتشبيه أو لأنه[1] لا يخلو فيكون مجازاً مرسلاً ذكر اسم المقيد وهو مكان

قوله: تجوزاً من مكان القيلولة على التشبيه وإنما لم يحمله على الحقيقة إذ لا نوم في الجنة فلا قيلولة.

قوله: أو لأنه لا يخلو من ذلك غالباً هو عطف على قوله تجوزاً أي أو لأن ذلك المكان لا يخلو من القيلولة التي هي بمعنى الاستراحة نصف النهار غالباً هذا الوجه مبني على أن يكون القيلولة حقيقة في معنى الاستراحة نصف النهار لا بمعنى النوم حتى يصح عطفه على تجوزاً قال الأزهري القيلولة والمقيل الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال ﴿وأحسن مقيلاً﴾ والجنة لا نوم فيها إلى هنا كلام الأزهري فالحاصل أن المقيل هنا إما حقيقة في معناه أو مجاز فإذا كان حقيقة يراد به مكان الاستراحة نصف النهار لا مكان النوم وإذا كان مجازاً يراد به مكان استرواح أهل الجنة بأزواجهم على وجه المجاز المستعار تشبيهاً لمكان استرواحهم ذلك بمكان النوم وعلى كلا الوجهين لا يراد به مكان النوم وهذا هو معنى قوله رحمه الله بعد ذكر الوجهين إذ لا نوم في الجنة وعلى كونه مجازاً مستعاراً لمكان القيلولة يكون وصفه بالحسن إرادة الحسن ساكنيه على طريق الكناية الرمزية فحينئذٍ لا يكون أحسن أفعل التفضيل بل يكون صفة مشبهة وقال الإمام إنه تعالى لما بين حال الكفار في الخسار الكلي والخيبة الشانية شرع في وصف أهل الجنة بأن مستقرهم خير من مستقر أهل النار على نحو العسل أحلى من الخل هذا أوفق لتأليف النظم ولقول ابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار فيقيل في قول ابن مسعود مشتق من القائلة بمعنى الظهيرة أي يدخل أهل الجنة الجنة في وقت الظهيرة وأهل النار النار في ذلك الوقت لا من القيلولة بمعنى النوم ولا بمعنى الاستراحة.

---

(١) أو لأنه لا يخلو يعني اطلق المقيل وأريد به مكان الاسترواح مطلقاً سواء وقعت القيلولة فيه أم لا بطريق التغليب كذا قيل.

besturdubooks.wordpress.com

الاستراحة بالقيلولة وأريد مكان الاستراحة مطلقاً ثم أريد مكان الاستراحة بغير القيلولة والنوم فيكون مجازاً بمرتبتين وهكذا في كل مقيد ذكر وأريد به مقيد آخر إذ لا نوم الخ تعليل للقول بالتجوز دون الحقيقة فإن النوم لإزالة التعب والفتور وهما ليسا في الجنة.

قوله: (وفي أحسن رمز إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من المحاسن ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم[1] **أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمنة)** وفي أحسن رمز الخ أي أحسنيته ليس باعتبار ذاته فقط بل في الخارج أيضاً وهو يتزين به مقيلهم فيكون حسناً عارضياً مستفاداً من الخارج قيل لأن حسن المنزل إن لم يكن باعتبار ما يرجع لصاحبه لا تتم المسرة والظاهر أن حسن المنزل لا يكون بذاته فقط بل باعتبار ما يرجع لصاحبه فقول المص ليس للاحتراز بل لبيان الواقع إذ حسنه باعتبار نفسه بلا رجوع إلى صاحبه أي بدون انتفاع صاحبه غير متصور أو غير مفيد ولخفائه بنوع الخفاء قال رمز[2] الخ وسكت عن بيان خير والظاهر أن فيه رمزاً إلى مثل هذا فإن الخيرية تستلزم الأحسنية واختيار الخير في الأول والأحسن في الثاني لمجرد التفنن إذ كل منهما مستلزم للآخر فإن المراد بالحسن هنا ملائمة الطبع وموافقة الغرض.

قوله: (والتفضيل إما لإرادة الزيادة مطلقاً أو بالإضافة إلى ما للمترفين في الدنيا) والتفضيل إما لإرادة الزيادة[3] مطلقاً أي من غير ملاحظة زيادته على غيره فيكون مجازاً لاستعماله في جزء معناه أو استعمال المقيد في المطلق أو بالإضافة الخ لا بالإضافة إلى ما في جهنم فيكون حقيقة آخره مع كونه حقيقة لأنه خلاف الظاهر ولك أن تقول إن هذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء أي أحسنيته وخيريته أبلغ من سوء مستقر أهل جهنم وشربته فحينئذٍ يلائم قوله يومئذٍ إذ المتبادر وجود المفضل عليه في ذلك اليوم وإن لم يلزم.

قوله: (روي أنه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل أهل الجنة في الجنة

قوله: ويحتمل أن يراد بأحدهما المصدر أو الزمان إشارة إلى أن مكانهم وزمانهم أطيب ما يتخيل من الأمكنة والأزمان أي يحتمل أن يراد بمستقر الاستقرار أو زمان الاستقرار وبمقيلاً المكان ويراد بمقيلاً القيلولة أو زمان القيلولة وبمستقراً مكان الاستقرار إشارة إلى أن زمان أهل الجنة ومكانهم أطيب ما يتخيل من الأزمنة والأمكنة وكلامه هذا مأخوذ مما قاله الإمام في التفسير الكبير وهذا مبني على أن يكون المضاف محذوفاً عند إرادة المصدر فإن أريد بمستقر المصدر يكون التقدير أصحاب الجنة خير زمان استقرار كما قدر الزمان في آتيك خفوق النجم ومعناه وقت خفوق النجم وإن أريد بمقيلاً المصدر يكون التقدير وأحسن زمان قيلولة وإلا لا يفيد الكلام ذلك المعنى المشار إليه على تقدير أن يراد بأحدهما المصدر.

---

(١) الأولى وأفعالهم بعد زمانهم.

(٢) والرمز المذكور بملاحظة المادة والهيئة.

(٣) وكذا الكلام في قوله وأطيب ما يتخيل الخ.

besturdubooks.wordpress.com

وأهل النار في النار) هذا الحديث أخرجه الحاكم وصححه كما قبل قوله يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾ [الأنعام: ٦٢] يحاسب الخلائق في مقدار حلبة شاة لا يشغله حساب عن حساب انتهى ولا بد من التوفيق بينهما فلا تغفل[1] قيل ويفهم منه وجه آخر وهو كون المراد بالمستقر موضع الحساب وبالمقيل محل الاستراحة بعد الفراغ منه ومعنى يقيلون ينقلون إليها وقت القيلولة أو يقيلون في معناه وبالنظر إلى الكفار للتهكم إذ النقل وقت القيلولة لا يلائم قوله في نصف ذلك اليوم ثم كون المراد بالمستقر موضع الحساب لا يلائم أصحاب الجنة خير مستقراً فالأحسن كونه من تتمة الوجه الأول لا وجه مغاير له.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥﴾

قوله: (﴿ويوم تشقق السماء﴾ [الفرقان: ٢٥] أصله تتشقق فحذف التاء وأدغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب) ﴿ويوم تشقق﴾ الآية منصوب باذكر أو ينفرد الله بالملك بقرينة ما بعده واليوم عبارة عن وقت متسع لكثير من الأشياء ولذا قيل إنه معطوف على يومئذٍ أو يوم يرون إذ المراد بها زمان متسع.

قوله: (بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ [البقرة: ٢١٠]) بسبب طلوع الغمام أي الباء للسببية كالباء في قوله السماء منفطر به وتقدير الطلوع إذ التشقق بسبب الطلوع فهو إما إشارة إلى تقدير المضاف أو بيان حاصل المعنى وفي الكشاف ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كأنه تشقق به السماء والمراد بالغمام سترة بين السماء والأرض قاله الحسن كما قاله الإمام وذلك الغمام مقر الملائكة إذ الأرض لا تتسع لكل الملائكة والسماء هنا عامة للسموات السبع بل الكرسي والعرش فملائكة الكرسي والعرش ينزلون أيضاً وقيل المراد بالغمام ضباب يخرج منها إذا انشقت وفيه ملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال وهذا هو المناسب لقول المص وهو الغمام المذكور في قوله تعالى الخ ولعل هذا إشارة إلى معنى آخر غير ما ذكره هناك فإن المراد بالغمام السحاب الأبيض مظنة الرحمة وإتيان العذاب منه كان أفظع والمراد بنزول الملائكة هم الآتون ببأس

قوله: بسبب طلوع الغمام منها الباء التسببية ههنا مستعملة على طريق المجاز فإن الغمام نفسه ليس سبباً لتشقق السماء لكن لما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام جعل الغمام كأنه تشق به السماء قال أبو علي قيل معناه بسبب الغمام ولما كان طلوعه سبباً لتشققها جعل الغمام كأنه الذي يشق به السماء أو معناه يشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الأمير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه.

---

(١) ودفعه إما بأن يراد بنصف اليوم وقت قليل كناية أو لفظة في يفيد البعضية أو أوحى إليه مقدار حلبة الخ وثانياً في نصف ذلك اليوم فيحصل التوفيق بذلك.

besturdubooks.wordpress.com

الله تعالى وعذابه وهذا غير ما ذكر هنا وما في الكشاف وفي معناه قوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ [البقرة: ٢١٠] الآية أحسن من بيان المص إذ نزول الملائكة للعذاب غير النزول وفي أيديهم صحائف الأعمال قال الزمخشري والمعنى أن السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة إلى الأرض انتهى وهذا غير ما نقل عن الحسن رحمه الله تعالى ولعل الأرض تكون حينئذٍ متسعة بحيث تسع جميع الملائكة والعلم عند الله تعالى ثم جوز أن يكون الباء للملابسة أو للآلة وقيل بمعنى عن لكن فرق في الكشاف بينهما فلا يحسن كونه بمعنى عن.

قوله: (في ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة) وقرأ ابن كثير وننزل بنونين من الأفعال وكذلك كتب في المصحف المكي وباقي المصاحف كتب بنون واحدة.

قوله: (وقرىء ونزلت وأنزل ونزل ونزل الملائكة ونزل بحذف نون الكلمة) وقرىء ونزلت ماض مجهول من التفعيل وأنزل ماض مجهول من الأفعال ونزل الملائكة ماض مجهول من الثلاثي وأشكل فيه بأن الثلاثي لم يسمع تعديته قال ابن جني فإما أن تكون لغة نادرة أو يكون أصله نزل نزول الملائكة فحذف المضاف ونزل الملائكة بنون مضمومة والتشديد وضم اللام على أنه مضارع من التفعيل حذف فاؤه على خلاف القياس هذا قراءة بنون وأما القراءة بنونين على أنه مضارع من الأفعال.

قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ (٢٦)

قوله: (الثابت له لأن كل ملك يبطل يومئذٍ ولا يبقى إلا ملكه)[1] الثابت له فالحق صفة مشبهة من حق يحق إذا ثبت واللام في الملك لإفادة القصر قوله لأن كل ملك الخ إشارة إلى الحصر والملك هنا بمعنى المالكية أو بمعنى الملكية وما ذكره المص في سورة الفاتحة من الفرق بين الملك بكسر الميم والملك بضم الميم ليس بكلي.

قوله: وقرأ ابن كثير ننزل على صيغة الحكاية المبنية للفاعل من الانزال وقرىء ننزل على المبني للفاعل من التنزيل على صيغة الحكاية أيضاً ونزل الملائكة على صيغة المضي المبنية للفاعل عن التنزيل وقرأ ابن كثير انزلت على صيغة المفعول من الإنزال ونزلت على صيغة المفعول من التنزيل وتزل الملائكة من الثلاثي على صيغة المضي المبنية للفاعل وأنزل على صيغة التكلم من الإنزال ونزل بضم النون وكسر الزاي المشددة والرفع أصله ننزل فحذفت نون الكلمة وهي فاء فعلها لاجتماع المثلين كما حذف إحدى التاءين في ﴿تنزيل الملائكة﴾ [القدر: ٤] لذلك فهذه ثمان قراءات.

---

(١) قوله تعالى قيد به يومئذٍ لأنه لا مالك ولا ملك يومئذٍ لا صورة ولا حقيقة بخلاف الدنيا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فهو الخبر وللرحمن صلته أو تبيين ويومئذٍ معمول الملك لا الحق) وللرحمن صلته لكونه صفة مشبهة عاملة أو تبيين فحينئذٍ يتعلق بمحذوف لا صلة له كما تقدم في قوله للمجرمين والمعنى حينئذٍ هذا كائن للرحمن أو مقول للرحمن ولم يجعل صلة للملك للفصل بينهما.

قوله: (لأنه متأخر أو صفة والخبر يومئذٍ أو للرحمن) لأنه متأخر أي مصدر متأخر وهذا عجب منه لأنه فسر الحق بالثابت فهو صفة لا مصدر إلا أن يقال إنه مصدر بمعنى الصفة فحينئذٍ يجوز عمله متأخراً مع أن المصدر المتأخر عدم عمله في الظرف مما يناقش فيه فالأولى أن يقال المقدم ما دام صحيح العمل لا يصار إلى عاملية المتأخر ومعنى يومئذٍ أي ﴿يوم تشقق السماء﴾ [ق: ٤٤] وقد عرفت أنه عبارة عن الزمان المتسع.

قوله: (شديداً) لشدة ما فيه من الهول الشديد وصف اليوم بما فيه مجازاً للمبالغة أي عسير من كل وجه ولذا أكد في سورة المدثر بقوله: ﴿على الكافرين غير يسير﴾ [المدثر: ١٠] أي يمنع هذا التأكيد أن يكون عسيراً من وجه دون وجه وهذا الكلام يشعر عدم عسره على المؤمنين لا سيما على الكاملين منهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾﴾

قوله: (من فرط الحسرة) أي زيادة تحسره وندامته على ما فرط فيه وفوت أوقات التدارك.

قوله: وهو الخبر وللرحمن صلته أي الحق خبر مبتدأ هو الملك وللرحمن متعلق بالحق قوله لأنه بمعنى الثابت فالمعنى الملك أي الملكية يومئذٍ أي يوم تشقق السماء ونزل الملائكة الثابت للرحمن لا لغيره فعلى هذا يكون للرحمن ظرفاً لغواً قال الزجاج الحق صفة الملك ومعناه الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يوم القيامة كما قال ﴿لمن الملك اليوم﴾ لأن الملك الزائل كأنه ليس بملك وعن بعضهم يومئذٍ فصل بين الصفة والموصوف والفصل بينهما بالظرف فصيح وبين المضاف والمضاف إليه يجوز في ضرورة الشعر كقوله:

هما أخوا في الحرب من لا أخا له

وقال أبو البقاء يومئذٍ معمول الملك أو معمول ما يتعلق به اللام ولا يعمل فيه الحق لأنه مصدر متأخر عنه.

قوله: أو للتبيين أي أو يكون اللام في للرحمن للتبيين كاللام في هيت لك فكأن سائلاً قال لمن يثبت الملك يومئذٍ فقيل للرحمن أي ثابت للرحمن فعلى هذا يكون الظرف مستقراً ولذا عطفه على كونها صلة للحق بأو الفاصلة قوله ويومئذٍ معمول الملك أي انتصاب يوم في يومئذٍ على أنه مفعول فيه للملك فإنه مصدر بمعنى التصرف بالأمر والنهي ومنه اشتق الملك لا معمول للحق لأن الحق مصدر مقدر بأن مع الفعل فلا يعمل فيما قبله قوله أو صفة عطف على الخبر في قوله وهو الخبر أي الحق خبر الملك أو صفة له وخبره يومئذٍ فالمعنى الملك الحق كائن يومئذٍ للرحمن أو خبره للرحمن فالمعنى الملك الحق في ذلك اليوم كائن للرحمن.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وعض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان ونحوها كنايات عن الغيض والحسرة) وعض اليدين إسقاط على يشعر بأنه صلة في النظم للإشعار بأن عضه يستعلي على يديه استعلاء الراكب على المركوب فعلى هذا الأولى أن يقال المعنى ويوم يقع العض على يديه لا زائدة ويحتمل أن يكون مراده بيان حاصل المعنى وأكل البنان الخ ذكرها تطفلاً حرق الأسنان بحاء وراء مهملتين حرق حك بعضها على بعض بحيث يسمع صوت كما يفعل في وقت الغضب الشديد والتحسر المديد.

قوله: (لأنها من روادفها) أي لوازمها باللزوم العربية فهي واقعة بعد الحسرة والندامة وفرط الغيظ فذكر ذلك وأريد لوازمها.

قوله: (والمراد بالظالم الجنس) أي جميع أفراده والمراد به الكافر ولما كان استغراق المفرد أشمل اختير على الجمع.

قوله: (وقيل عقبة[1] بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه فقال صبأت) وقيل عقبة ابن الخ فاللام للعهد حينئذٍ وقرينة العهد ما ذكره بقوله كان يكثر مجالسة النبي عليه السلام الخ ومعيط بضم الميم وفتح العين المهملة وسكون الياء المثناة عدوه باطناً قوله صبأت أي خرجت من دينك إلى دين آخر من صبأ إذا مال وكانوا يقولون لمن أسلم صبأ بالتحتانية صديقه أي صديق عقبة ظاهراً وأعدى أو أصبأت أي كنت مثل صبي في عدم كمال العقل حيث تركت دين آبائك.

قوله: (فقال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه) فقال أي عقبة لا أي لم أكن صبياً بكلا المعنيين ولكن أبى الخ أي ولكن استحييت له لأنه أبى الخ.

قوله: (فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده

قوله: عض اليدين وأكل البنان وحرق الأسنان كنايات من الغيظ والحسرة البنان أطراف الأصابع واحدها بنانة وحرق الأسنان حكها يقال فلان يحرق عليك الأرم إذا تغيظ فحك أضراسه بعضها ببعض والأرم بضم الألف وفتح الراء المشددة هي الأضراس كأنه جمع آرم قال الشاعر:

نبئت أحماء سليمى إنما ... باتوا غضابا يحرقون الأرما

فالمعنى يوم يعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد مناف على يديه ندماً وأسفاً على ما فرط في جنب الله وأوثق نفسه بالمعصية والكفر بالله لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرفقيه ثم تنبتان ثم يأكل هكذا كلما نبتت يده أكلها تحسراً على ما فعل.

قوله: وقال آلي من الصبية وقال آلى النار وفي النهاية الصبية جمع صبي والصبوة القياس والأول أكثر استعمالاً المعنى إلى من يذهب صبية هذا المقتول ومن يتكفل بمؤنتهم.

---

(١) لما بزق عقبة عاد بزاقه على وجهه فاحترق خداه فكان أثر ذلك فيه حتى الموت كذا في اللباب.

besturdubooks.wordpress.com

ساجداً في دار الندوة فقعل ذلك) فشهدت له أي ظاهراً غير موافق لساني بجناني فوجده فيه إيجاز حذف أي فأتاه فوجده عليه السلام ساجداً في دار الندوة أي في دار المشورة وهذا مراد ما قيل ودار الندوة مجتمع معروف بمكة قيل وقوله آلى بالمد أي أقسم والنسخة التي عندنا أبى أن يأكل الخ وما قيل آلى أن لا يأكل.

قوله: **(فقال عليه الصلاة والسلام لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر علياً بقتله)** قيل وقد فيما ذكره لأنه فعل بأمره والآمر كالفاعل عرفاً في بعض المواضع ولذا قالوا لو حلف ليضربنه فأمر بضربه بر إن كان حاكماً أو سيداً بخلاف غيره وكون المأمور علياً رواية وفي الطبراني عن مجاهد أنه ثابت بن الأفلح وفي الكشاف وقيل قتله عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصاري وفيه نوع مخالفة لما مر مرضه لأن سبب النزول خصوصه لا ينافي عموم الحكم فالأولى الإبقاء على عمومه فيدخل عقبة دخولاً أولياً.

قوله: **(وطعن أبياً بأحد في المبارزة فرجع إلى مكة ومات)** وطعن أي النبي عليه السلام أبياً لأنه عليه السلام قتله بنفسه في أحد نقل عن الثعلبي ولا ينافيه قوله فرجع إلى مكة الخ لأن الطعن في أحد.

قوله: **(يقول)** حال من فاعل يعض والأولى أن تكون مبينة للعض المذكور ولذا ترك العطف يا ليتني مقول القول وقصة عقبة أخرجه ابن جرير من طرق مرسلة كما قيل والمنادى محذوف أي يا قوم ليتني أو يا ويلتي.

قوله: **(طريقاً إلى النجاة)** بقرينة مع الرسول فالتنكير للتفخيم.

قوله: **(أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق)** فالتنوين للوحدة الشخصية قدم الأول لمناسبة المقام وجوز الثاني لأنه أيضاً يشعر طريقاً إلى النجاة إذ المراد الدين الحق وهو واحد ومنج فأو لمنع الخلو فقط وهذا أولى مما قيل في طريقاً إلى النجاة أي أي طريق كان فتنكير سبيلاً للشيوع لأنه ينافي ما أشار إليه في الوجه الثاني من أن طريق النجاة واحد فما معنى الشيوع.

قوله: **(ولم يتشعب بي طرق الضلالة)** لأن طريق الحق واحد ولذا عبر عنه بالنور في قوله تعالى: ﴿يخرجهم من الظلمات إلى النور﴾ [البقرة: ٢٥٧] وطرق الضلالة متعددة متفرقة ولذا عبر عنها بالظلمات.

قوله: وطعن أبياً بأحد في المبارزة أي طعن رسول الله ﷺ أبياً في غزوة أحد.

قوله: طريقاً إلى النجاة أو طريقاً واحداً وهو طريق الحق يريد أن تنكير سبيلاً للإفراد نوعاً أو شخصاً فإن أريد الأول فمعناه طريق النجاة لأنه نوع من الطرق وإن أريد به الثاني فمعناه طريقاً واحد وهو طريق الحق وهو الطريق الواحد بالشخص.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾

قوله: (وقرىء بالياء على الأصل) لأنها ياء المتكلم قلبت ألفاً للتخفيف فينادي ويلته أي هلكته يقول تعالى: فهذا أوانك لفرط التحسر وشدة الهول مع علمه بأنه لا هلاك ولا موت فيه.

قوله: (يعني من أضله) مطلقاً من الإنس والجن أو أبي بن خلف وهذه الجملة كالتأكيد لما قبلها يقول هنا خليلاً وهناك سبيلاً إذ الرسول هو الموضح للسبيل وفلان غير السبيل وغايته هو الخليل.

قوله: (وفلان كناية عن الإعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس) والمراد بالكناية ما هو اللغوي واصطلاح النحاة دون اصطلاح أهل البيان وهو أن يعبر عن شيء معين بلفظ غير صريح في الدلالة عليه لغرض من الاغراض وفلان من هذا القبيل والمراد بها ههنا ما يكنى به لا المعنى المصدري ولذا قال المص كناية عن الاعلام والجمع إشارة إلى أنه كناية عن كل علم على سبيل البدل غير مختص بعلم دون علم لا أنه كناية عن الاعلام في إطلاق واحد قال النحاة إنهم كنوا بفلان عن علم مذكر كزيد مثلاً وبفلانة عن علم مؤنث عاقلين وأيضاً كنوا بهن[1] وهنة اسم جنس مذكر ومؤنث غير علم عاقلاً كان أو غيره واشترط ابن الحاجب في فلان أن يكون محكياً بالقول كما في هذه الآية وأول فيما سمع خلافه بالقول لكنه تكلف قال ابن هشام إذا قيل جاءني فلان معناه جاءني مسماه لا العلم وأجيب بأنه على تقدير جاءني مسماه فعلى هذا يكون معنى النظم لم اتخذ مسمى فلان خليلاً ولا يخفى ضعفه والتحقيق أن فلان كالعلم مثل زيد قد أريد به المسمى وقد يراد به الاسم ففي جاءني فلان المراد المسمى بقرينة المجيء وفي قولنا فلان مكتوب المراد نفس[2] العلم.

قوله: وقرىء بالياء على الأصل فإن أصل ألف يا ويلتا ياء المتكلم بفتح التاء حذراً عن توالي الكسرات فقلبت الياء ألفا كما يجوز في يا غلامي يا غلاماً وفي يا أبتي يا أبتا فالمعنى يا ويلتي أحضري فهذا وإنك ويجب الفتح والقلب في مثل صحارى وأصله الكسر والياء.

قوله: وفلان كناية عن الإعلام كما أن هنا كناية عن الأجناس ليس المراد بالكناية المعنى الاصطلاحي الذي هو ذكر اللازم وإرادة الملزوم بل المراد به المعنى اللغوي الذي هو ضد التصريح هن على وزن أخ كلمة كناية ومعناه شيء وأصله هنو وتقول هذا هنك أي شيئك ومنه قوله:

وقـــد يـــدي هـــنـــاك مـــن الـــمـــيـــرز

---

(١) بالهاء المفتوحة والنون المخففة وقد يكنى به غير أسماء الأجناس كقوله والله اعطاك فضلاً من عطية على هن وهن فيما مضى وهن فإنه أراد عبد الله وإبراهيم وحسن كذا قيل.

(٢) بقرينة الكتابة فإن الكتابة تقع على الاسم دون المسمى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾

قوله: (عن ذكر الله أو كتابه أو موعظة الرسول أو كلمة الشهادة) عن ذكر الله فاللام عوض عن المضاف إليه أو للعهد أو كتابه أي القرآن والعمل بمقتضاه وهذه الاحتمالات الأربعة ترديد في العبارة والمآل واحد.

قوله: (وتمكنت منه) بيان لما هو المراد من المجيء وهو التمكن والاقتدار عليه وقبوله لا القبول بالفعل كما يدل عليه الرواية المذكورة فإنه وإن تكلم بالشهادتين لكنه لا عن صميم قلب فلا دلالة في الآية على إيمان عقبة ثم ارتداده.

قوله: (يعني الخليل المضل أو إبليس) فيكون الشيطان استعارة مصرحة فإنه يشبه إبليس في التمرد والإضلال قدمه لأنه مباشر للإغواء بنفسه فعلى هذا يكون ظاهراً في موضع المضمر لتسجيله على تشيطنه.

قوله: (لأنه حمله على مخالته)[1] أي المضل فيكون مضلاً بسبب وسوسة خلة المضل فإنه لم يضله ظاهراً بل أضله حملاً عليها.

قوله: (ومخالفة الرسول أو كل من تشيطن من جن أو إنس) فيكون في الشيطان عموم مجاز وهذا ناظر إلى كون المراد بالظالم الجنس كما أن الأول ناظر إلى كون المراد به عقبة وكل منهما كونه ناظراً إلى المعنيين يحتاج إلى التمحل ثم قيل قوله وكان الشيطان يحتمل أن يكون من كلام الله ابتداء أو من كلام الظالم والتعبير بالإنسان يؤيد الأول وعلى الثاني يشبه الالتفات فإن الإنسان عام لجميع أفراده والمخلصون مستثنى منه بمعونة القرينة وإن أريد به الإنسان المعهود أي عقبة فالالتفات حينئذٍ واضح واللام في للإنسان للتهكم متعلق بخذولاً أخر لرعاية الفاصلة.

قوله: (يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان) يواليه أي يجعله ولياً خليلاً حقيقة وهو الإنس أو حكماً وهو الجن إبليس فإن متابعة وسوسته اتخاذ الولاية حتى يؤديه غاية لإظهار الولاية لا الولاية حقيقة وفي نفس الأمر ثم يتركه هذا يقتضي كون المراد بالهلاك قرب الهلاك ولا ينفعه تأكيد ليتركه وهذا ثابت بطريق الاقتضاء إذ الخذلان وهو إلقاء الهلاك المعنوي أو الحسي لا يكون إلا بإظهار الموالاة والمحبة وخلافه نادر وأصل الخذلان ترك المعاونة والنصرة وقت الحاجة فعول من الخذلان فيفيد المبالغة فيه.

قوله: فعول من الخذلان أي خذول فعول من خذل خذلاناً أي ترك عونه ونصرته.

---

(١) من الخلة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾

قوله: (وهو محمد عليه السلام) الأولى وهو رسولنا عليه السلام أي اللام في الرسول للعهد وكذا المراد بالرسول فيما مر نبينا عليه السلام على وجه.

قوله: (يومئذٍ أو في الدنيا بثا إلى الله تعالى) يومئذٍ أي يوم القيامة ويوم يعض الظالم على يديه أو في الدنيا اخرها لأن يومئذٍ فيما مر لا يلائمه ظاهراً فإن معناه يوم إذ كان كذا فيناسب الآخرة فإنه ذكر ما سلف كان كذا وهو عض اليدين وتمني الهلاك ونحوه فمن غفل عن ذلك قال إنه لو كان في الآخرة لما عدل عن سنن ما تقدم والتعبير بالماضي هنا لتحقق وقوعه مثل قوله تعالى: ﴿ونادى أصحاب الجنة﴾ [الأعراف: ٤٤] وهو في القرآن كثير جداً وأما التعبير بالمستقبل فيما تقدم فبناء على ظاهره والتفنن من شعب البلاغة لا سيما أن القصد فيما سبق إلى الاستمرار التجددي وليس هنا مقصوداً ولو سلم كون الاستمرار التجددي هنا فإفادة تحقق الوقوع اختيرت هنا إذا النكتة مبنية على الإرادة ولا يبعد أن يقال في هذا الأسلوب الإشارة إلى صفة الاحتباك وإذا كان المراد الدنيا فمعنى وقال الرسول يوم طعن الكفار القرآن ولا يخفى أن انفهامه بالفحوى لا بمعونة المقام بثاً أي شكوى مما فعلوه إلى الله تعالى.

قوله: (يا رب إن قومي قريشاً) صدر بحرف النداء لمزيد إظهار الحزن الناشيء من عدم إيمانهم بهذا القرآن المعجز واسم الرب هنا أوقع وتصدير الجملة بحرف التأكيد للمبالغة في وقوع مضمون هذه الجملة أو التنبيه على أن هذه لا ينبغي أن يقع فإن ظني أنه لا يقع لظهور حقيته لا سيما لقريش فإنهم لم يقدروا أن يعارضوه وعن هذا قال إن قومي أي قريشاً ولم يقل إن الكافرين.

قوله: (اتخذوا) أي صيروا فتعدى إلى المفعولين والإشارة بهذا للتعظيم.

قوله: (بأن تركوه وصدوا عنه) بأن لم يؤمنوا به فالتصبير بالاعتقاد أنسب وصدوا عنه من الصدود اللازم فيكون تفسيراً لتركوه أو من الصد المتعدي أي منعوا الناس عن الإيمان به فيكون حينئذٍ شكوى منهم بالضلال والإضلال فهو أبلغ معنى والأول أنسب لفظاً.

قوله: (وعنه عليه السلام من تعلم القرآن وعلق مصحفه ولم يتعاهده ولم ينظر فيه) نقل عن العراقي أنه قال رواه الثعلبي من أبي هدية بن إبراهيم بن هدية وأبو هدية كذاب وعلق مصحفه بجدار ونحوه ولم يتعاهده أي لم يقرأه ولم ينظر فيه كالتفسير لما قبله حتى نسيه[1].

قوله: محمد يومئذٍ إشارة إلى أن اللام في الرسول للعهد لا للجنس والمعهود هو رسولنا محمد ﷺ.

---

(١) فعلى هذا يكون من الهجر بفتح الهاء ضد الوصل ولشهرة هذا المعنى قدمه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (جاء يوم القيامة متعلقاً به ويقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه) متعلقاً به على الحقيقة لأن النشأة الأخرى لا يقاس على الأولى ولا بعد في الحمل على التمثيل فحينئذٍ القول بلسان الحال[1] فإذا كان حال من آمن به وتعلمه ثم نسيه هذا فما ظنكم[2] بحال من كفر به وهجره بالكلية وبهذه العناية أورد هذا الحديث توضيحاً لما ذكر في النظم غاية الأمر أن ما ذكر في النظم شكوى الرسول عليه السلام وفي الحديث شكوى القرآن وهذا لا ينافي التأييد والتوضيح وفيه تأييد لكون بث النبي عليه السلام في الآخرة.

قوله: (أو هجروا ولغوا فيه إذا سمعوه أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصلها مهجوراً فيه فحذف الجار) أو هجروا ولغوا فحينئذٍ يكون مهجوراً من الهجر بضم الهاء وهو الهذيان وفحش القول وهو على الحذف والإيصال أي مهجوراً فيه كما سيجيء وهو ظاهر في الإلقاء فلذا قدمه ثم أشار إلى معنى آخر وهو الدخل بقولهم أساطير الأولين قال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ [فصلت: ٢٦] أي وعارضوه بالخرافات أو ارفعوا أصواتكم تشوشوه على القارىء اخره لأنه يحتاج إلى الحذف والإيصال أي على الوجهين وأيضاً استعماله في هذا المعنى غير شائع.

قوله: (ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول) الهجر بضم الهاء وقيل بالفتح وكون وزن مفعول مصدراً لكونه قليلاً اخره مع تمريضه وأيده بقوله كالمجلود الخ[3] ولكونه بمعنى النسبة كحجاباً مستوراً أقل لم يتعرض له.

قوله: (وفيه تخويف لقومه لأن الأنبياء إذا شكوا إلى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب) تخويف الخ على الاحتمالين أما في الدنيا فبنزول العذاب وأما في الآخرة فبتضاعف العقاب كاشتكاء القرآن لتزايد عذابهم فكذا هنا والقول بأن كونه في الآخرة لا وجه له لا صحة له وفي كلامه إشارة إلى أن هذه الجملة سيقت لإنشاء التهديد والتخويف

قوله: أو هجروا ولغوا إذا سمعوا من هجر إذا هذى أي جعلوه مهجوراً فيه فحذف الجار.

قوله: أو زعموا أنه هجر وأساطير الأولين وهذا أيضاً من هجر إذا هذى لكن الهاجر فيه غير هؤلاء بل هم زاعمون أنه هجر سطره الأولون بخلاف الوجه الأول فإن الهجر فيه صادر منهم.

قوله: ويجوز أن يكون بمعنى الهجر كالمجلود أي يجوز أن يكون المهجور هنا بمعنى المصدر أي اتخذوا هذا القرآن هجراً فقوله كالمجلود استشهاد لمجيء صيغة المفعول بمعنى الفعل الذي هو المصدر فإن المجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل.

---

(١) قيل أوان المراد الملائكة الموكلون وهو أقرب بل هذا أبعد.

(٢) وكذا حال ما لم يتعلم به مع الإيمان.

(٣) والمعنى اتخذوه هجراً وفيه مبالغة.

besturdubooks.wordpress.com

الشديد فلاشتباه بأنه لا يعرف فيه فائدة الخبر ولا لازمها وله نظائر كثيرة في القرآن فمراده بالعذاب في قوله عجل لهم العذاب نزوله في الدنيا وتضاعفه في العقبى.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ (٣١)

قوله: (كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا) ففيه تسلية[١] له عليه السلام وفي كلامه إشارة إلى ارتباطه بما قبله وكذلك الكاف هنا للتشبيه لا للقرآن والمشار إليه بذلك جعل العدو له عليه السلام والمعنى وجعلنا لكل نبي عدواً[٢] جعلاً مثل جعلناه لك فصبروا على أذاهم حتى آتيهم نصرنا فاصبر كما صبروا.

قوله: (وفيه دليل على أنه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع) وفيه دليل الخ لأن المراد بالجعل وهو الخلق أو التصيير جعل عداوتهم وخلقهم لا جعل ذواتهم لما ثبت في محله أن المراد بالصفات المشتقات مأخذ الاشتقاق وفيه إبطال لمذهب المعتزلة ويدخل فيه آدم عليه السلام لأنه مبتلى بعداوة إبليس لا ابتلاء فوقه حيث كان سبباً لخروجه عن دار النعيم إلى دار النقيم فأي ابتلاء يكون كذلك وكذا ابنه قابيل ولا ريب في تناول المجرمين إياهما فلفظة كل في معناه لا بمعنى الكثرة[٣] ولا شك في نبوة آدم في الجنة.

قوله: (إلى طريق قهرهم) قيده به لمناسبة الاشتكاء فالتعبير بالهداية أي هدايتهم للتهكم كقوله تعالى: ﴿فاهدوهم[٤] إلى صراط الجحيم﴾ [الصافات: ٢٣] وجعله بمعنى هادياً لمن آمن منهم ونصيراً على غيره لا يلائم مقام التهديد وإن كان صحيحاً في نفسه وهادياً تمييز أو حال وهذا التمييز فاعل مجازاً لا حقيقة لأن هادياً لا يكون فاعلاً بل مشتمل على الفاعل وهو الهداية لأنه لا يقال هادى الله وإلا لزم إضافة الشيء[٥] إلى نفسه بل هداية الله لما تقرر في النحو أن هذا التمييز أعني التمييز عن ذات مقدرة لا يجب أن تكون عين الذات المقدرة ومحمولاً عليها بل يكفي اشتمالها على المحمول وهنا الذات المقدرة شيء والمعنى وكفى شيء ربك بالإضافة وهادياً ليس عين ذلك الشيء لأنه يلزم إضافة الشيء إلى نفسه بل مشتمل ذلك الشيء وهو الهداية فهادياً فاعل مجازاً لاشتماله الفاعل الحقيقي وهكذا كل مشتق وقع تمييزاً فاحفظ ولا تغفل ولله دره فارساً[٦] لك عليهم.

---

(١) لأن البلية إذا عمت سهلت.

(٢) والعدو يحتمل الواحد الخ وإنما قال ذلك لأن لبعض الأنبياء مثل نبينا عليه السلام أعداء كثيرة.

(٣) كما زعمه ابن كمال باشا.

(٤) لأن المعنى هادياً إياهم إلى طريق قهرهم أي هلاكهم فالإضافة إلى الفاعل وإن كان المعنى هادياً إياك إلى طريق قهرهم فلا تهكم فالإضافة إلى المفعول.

(٥) فالله خير حافظاً.

(٦) لكن المعنى لم أنزل مفرقاً كما في الكشاف كأنهم قالوا لو كان القرآن نازلاً من عند الله لم ينزل مفرقاً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)﴾

قوله: (لولا نزل) لولا تحضيضية[1] أي هلا أنزل عليه القرآن والظاهر أن غرضهم إنكار القرآن[2].

قوله: (أي أنزل عليه كخبر بمعنى أخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة) أي نزل الذي تدل على التدريج[3] بمقتضى وضعه لكن هنا بمعنى أنزل بقرينة قوله جملة واحدة وهذا مراده بقوله لئلا يناقض قوله الخ.

قوله: (دفعة واحدة) أشار إلى أن جملة واحدة حال بمعنى دفعة واحدة لأن الإنزال جملة يستلزم كونه دفعة وواحدة صفة مؤكدة فالمراد لازمه لأن الإنزال جملة واحدة يحتمل أن يكون بدفعات متعددة بإرادة الوحدة النوعية في جملة ولو بعبداً وإلا فما الحاجة إلى ذلك التفسير.

قوله: (كالكتب الثلاثة) وهي التورية والإنجيل والزبور وهذا هو المشهور بين العلماء وقوله تعالى: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ [القصص: ٤٨] الآية من الكتاب جملة واحدة كالصريح في ذلك فلا وجه للإشكال بأن بعض العلماء بين في آخر سورة النساء التورية نزلت منجمة في ثماني عشرة سنة ويدل عليه نصوص التورية أيضاً ولا قاطع من الكتاب والسنة يمنعه ولم يثبت أيضاً نزول الزبور والإنجيل إلا جملة واحدة انتهى. وهذا بحث عجيب إذ المسألة ليست من ضروريات الدين فلا محذور في إثباته ونفيه وكلام المص بناء على الشهرة فالنظر في كونه مشهوراً[4] ضعيف جداً.

قوله: (وهو اعتراض لا طائل تحته لأن الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو منفرقاً مع

قوله: أي أنزل كخبر وأخبر لئلا يناقض يعني أن نزل بالتشديد دال بصيغته على تفرق النزول ويناقضه تعلقه بجملة واحدة فلا بد أن يفسر نزل بمعنى أنزل لئلا يقع في الكلام تناقض وتدافع لأن المعنى إذا لم يحمل على معنى الإنزال هلا فرقت نزوله جملة واحدة وإذا كان بمعنى انزل لا يلزم التدافع إذ يكون المعنى أنهم اعترضوا أن القرآن لم فرق نزوله ولم لم ينزل جملة واحدة كما أنزلت الكتب الثلاثة والقائلون هم قريش وقيل هم اليهود وهذا فضول من القول واعتراض بما لا فائدة لهم فيه لأن أمر الإعجاز ببلاغة القرآن والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرقاً مع دفعات على حسب اقتضاء الحوادث ووقوع الوقائع.

---

(١) والنبوة ولهذا قال في الكشاف وهذا أيضاً من اعتراضاتهم.
(٢) لأن وضعه للكثير وهو يدل على التدريج فيكون مجازاً في الهيئة.
(٣) أي بمعنى مجتمعاً.
(٤) ونقل عن الاتقان أنه قال كاد أن يكون إجماعاً وذكر آثاراً وأحاديث كثيرة تدل عليه.

besturdubooks.wordpress.com

أن للتفريق فوائد منها ما أشار إليه بقوله ﴿كذلك لنثبت به فؤادك﴾) وهو اعتراض الخ أي قول الكفار لولا أنزل سواء كان المراد بالكفار أهل الكتاب أو المشركين لا طائل أي لا فائدة فيه لأن الإعجاز الذي دل على حقية القرآن لا يختلف بنزوله الخ فهذا الاعتراض ونحوه لكونهم من المحجوجين والعجزة المغلوبين وغرضه أنه لا يختلف بنزوله جملة ما ذكرناه من أن دلالة الإعجاز على كونه من عند الله لا أن نزوله جملة كنزوله متفرقاً كيف كان كذلك وقد بين الله تعالى لإنزاله فوائد لا توجد في إنزاله جملة وكلام المحض من قبيل إرخاء العنان في ساحة البيان وفي كلامه دليل على ذلك لا سيما قوله ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ونزول الناسخ والمنسوخ معاً مما يبعده العقل فاضمحل ما قيل وهذا غفول عن مقتضى أصول البلاغة من وجوب رعاية المطابقة لمقتضى المقام في كل جملة من الكلام ولا بتسيير تلك الرعاية عند نزول مجموع القرآن جملة واحدة إلى آخر ما فرطه كأنه لفرط تعصبه مع الشيخين لم ينظر قوله ومعرفة الناسخ والمنسوخ فإنه صريح في أنه لا يتيسر ذلك في الناسخ وكيف ذهل عن إشارات الشيخين ثم نسب الغفلة إليهما وأيضاً كيف غفل عن باب مجاراة الخصم وأجيب أيضاً صح أن سورة الأنعام وسورة التوبة نزلتا جملة واحدة ورد ذلك ما ذكره وأيضاً المعلقات السبع وغيرها من القصائد الطوال اتفقوا على بلاغتها مع سماعهم إياها دفعة وفيه نوع إشكال مع أنه لا حاجة إليه فإن في كلامه دليلاً على أنه إرخاء العنان تبكيتاً للخصم بالبرهان.

قوله: (أي كذلك أنزلناه مفرقاً لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لأن حاله بخلاف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان أمياً وكانوا يكتبون فلو ألقي إليه جملة تعي بحفظه) لأن حاله الخ لعل تركه أولى لأنه وإن كان أمياً لكنه أعطي علوم الأولين والآخرين قوله فلو ألقي عليه جملة تعي[1] بحفظه الملازمة ممنوعة لأنه عليه السلام ذو القوة القدسية أولاً وآخراً وربما يمنع لزوم الحفظ جميعاً حين نزوله دفعة واحدة إذ ظاهره نزوله مكتوباً بأو لم ينقل حفظ موسى عليه السلام التورية دفعة واحدة فمن ادعى فعليه البيان بالبرهان.

قوله: (ولعله لم يستتب له) أي لم يتم ومآله أنه لو نزل جملة ربما لا يتم حفظه ولقد أصاب في إيراد لعل.

قوله: وكذلك صفة مصدر محذوف أي ولفظ كذلك صفة مصدر محذوف مدلول عليه بقوله: ﴿لولا أنزل عليه القرآن﴾ [الفرقان: ٣٢] جملة واحدة ودلالته عليه من باب دلالة أحد الضدين على الآخر ولفظ كذلك صفة مصدر تقديره انزلناه إنزالاً كذلك أي إنزالاً كائناً مثل ذلك الإنزال المفرق على أن يكون الكاف حرف جر أو نزلناه إنزالاً مماثلاً لذلك الإنزال المفرق على أن يكون الكاف اسماً فحاصل المعنى على التقديرين أنزلناه على صفة التفريق ﴿لنثبت به فؤادك﴾.

---

(١) تفعل من العي وهو التعب.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فإن التلقف لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً ولأن نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى) فإن التلقف أي التلقي لا يتأتى إلا شيئاً فشيئاً وهذا لا يلائم قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ [الشورى: ٥١] لأنه تمثيل ليس في ذاته مركباً من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة فلم لا يجوز أن ينزل دفعة واحدة على هذا الوجه فالأولى إسقاط هذا البيان من البين والاكتفاء بقوله لنقوي بتفريقه الخ ثم القول لأن نزوله بحسب الوقائع الخ.

قوله: (ولأنه إذا أنزل منجماً وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة في قلبه عليه السلام) ولأنه إذا أنزل منجماً الخ أي تحداهم بكل جزء جزء[١] يمكن التحدي به أقوى من التحدي بالجملة وهو ظاهر فإنه قد يكون حكم الكل مغايراً لحكم البعض وإذا كان الجزء متساوياً في التحدي للكل زاد قوة واطمئناناً في قلبه عليه السلام.

قوله: (ولأنه إذا نزل به جبرائيل حالاً بعد حال يثبت به فؤاده) يثبت به بنزوله حالاً فحالاً فؤاده لملاقاته أمين الوحي فيزول عنه ثقل الوحي واضطراب مخافة أن ينفلت بعض الوحي.

قوله: (ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ) ومنها أي من فوائد تفرقه معرفة الناسخ الخ أي بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتأتى ذلك إلا فيما أنزل مفرقاً وهذا يدل على أن قوله لأن الإعجاز لا يختلف من باب مجاراة الخصم كما مر بيانه.

قوله: (ومنها انضمام القرائن الحالية إلى الدلالات اللفظية فإنه يعين على البلاغة) أي على حصول نفس البلاغة[٢] فإنها عبارة عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهذا إنما يكون بنزوله مفرقاً ومراده بالقرائن الحالية الأمور الداعية إلى التكلم على وجه مخصوص كإنكار المخاطب الحكم الداعي إلى التكلم على وجه التأكيد والدلالة اللفظية أراد بها الدلالة المعاني على الأول وهي مدلولات التركيب والهيئات والمعاني الثواني الاعراض التي تصاغ لها الكلام مثلاً إذا قلنا هو أسد في صورة إنسان فالمعنى الأول مدلول هذا الكلام والمعنى الثاني أنه شجاع والظاهر أنه أراد بالدلالة اللفظية الدلالة على المعاني الأول إذ لا ريب أن الخواص والمزايا التي بها البلاغة إنما تعتبر في هذه المعاني ويحتمل أن يراد بها الدلالة على المعاني الثواني التي هي الكيفيات العارضة فيها لكن دلالة اللفظ على المعنى الأول اللغوي ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية على المقصود وتمام التفصيل في المطول وحواشيه.

قوله: (وكذلك صفة مصدر محذوف والإشارة إلى إنزاله مفرقاً فإنه مدلول عليه بقوله: ﴿لولا نزل عليه القرآن﴾ [الفرقان: ٣٢] جملة واحدة) وكذلك صفة مصدر محذوف

---

(١) صفة جزء.

(٢) وقيل على معرفة البلاغة لأنه بالنظر إلى الحال يتنبه السامع لما يطابقها ويوافقها.

besturdubooks.wordpress.com

أي أنزلناه إنزالاً كذلك وهو عامله والكاف في مثله للعينية فإنه مدلول عليه بقوله ﴿لولا أنزل﴾ الآية فإنه للتحضيض والتمني فيدل على عدم إنزاله جملة فيدل أيضاً على إنزاله مفرقاً.

قوله: (ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالاً والإشارة إلى الكتب السابقة) ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة فحينئذٍ يكون من مقول القول وبه يتم الكلام وحسن الوقف عليه لكن الإشارة حينئذٍ إلى إنزال الكتب المتقدمة وعلى التقديرين صيغة البعد لتفخيم الإنزال والكاف[1] للتشبيه حينئذٍ فقوله والإشارة إلى الكتب إما مسامحة أي لإنزالها أو باعتبار ما ذكر والتشبيه أيضاً في الإنزال.

قوله: (واللام على الوجهين متعلق بمحذوف) وهو أنزلناه مفرقاً أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فلأنه لما تم الكلام في كذلك أجاب الله تعالى بقوله لتثبت به والتثبيت إنما يكون بالإنزال مفرقاً.

قوله: (وقرأناه عليك شيئاً بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة) وقرأناه أي بلسان جبرائيل عليه السلام عليك يا أيها النبي شيئاً أي جزء بعد شيء جزء هذا معنى نزوله مفرقاً على تؤدة وتمهل تفسير لتؤدة.

قوله: (وأصل الترتيل في الأسنان وهو تفليجها) تفليج الأسنان عدم تلاصقها قال في سورة المزمل في تفسير قوله تعالى: ﴿ورتل القرآن﴾ [المزمل: ٤] اقرأ على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها وهنا لم يعتبر هذا المعنى لأن المناسب هنا ما ذكر فإن الغرض بيان إنزاله مفرقاً والتأني هنا في الإنزال وهناك في القراءة مع أنه يمكن المعنى الذي ذكره هناك ههنا دون العكس ثم نقل من أصل المعنى إلى التأني في الإنزال كما هنا والتأني في القراءة للتباعد بين الحروف وبين الإنزال فالنقل من اسم المشبه به إلى المشبه

قوله: ويحتمل أن يكون من تمام كلام الكفرة أي يحتمل أن يكون لفظ كذلك من تتمة كلام الكفرة والدليل على هذا الاحتمال أن القراء وقفوا عليه فيكون حالاً فمعنى كذلك كائناً كالكتب الثلاثة وإذا كان الإشارة إلى إنزاله جملة لا يكون الحال مفيدة لمعنى زائد إذ يكون المعنى لولا أنزل القرآن جملة واحدة كائناً جملة واحدة.

قوله: في عشرين سنة أو ثلاث وعشرين عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ أقام بمكة خمس عشر سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئاً سبع سنين وثمان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشراً وفي رواية أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة فمكث ثلاث عشرة سنة ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي ﷺ.

قوله: وهو تفليجها والفلج بفتح الفاء واللام في الأسنان تباعد ما بين الثنايا والرباعيات يقال رجل أفلج الأسنان وامرأة فلجاء الأسنان قال ابن دريد لا بد من ذكر الأسنان ورجل مفلج الثنايا أي منفرجها وهو خلاف المتراص الأسنان.

---

(١) لأنه حينئذٍ يكون نزول القرآن مشبهاً وإنزال الكتب السالفة مشبهاً به.

besturdubooks.wordpress.com

قوله أو ثلاث وعشرين إشارة إلى الاختلاف بين المحدثين والثاني قول الأكثرين.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

قوله: (سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك) كأنه مثل إشارة إلى أن المثل استعارة مصرحة قوله في البطلان بقرينة قوله إلا جئناك بالحق أو لأن أكثر الأمثال أموت مخيلة وفيه نظر والقدح بمثل ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ [الأنعام: ٨] الآية وأساطير الأولين.

قوله: (﴿إلا جئناك بالحق﴾) حال مجرداً عن قد والواو لأنه قصد لزوم تعقيب مضمون ما بعد إلا لما قبلها فأشبه الشرط والجزاء ومثل هذا الحال مما لا يقارن مضمونه بمضمون عامله إلا على تأويل العزم[1].

قوله: (الدامغ له في جوابه) الدامغ بميم وغين معجمة وهو المهلك له بإخراج دماغه واستعير هنا للدفع والإبطال على وجه المبالغة والكمال.

قوله: (وبما هو أحسن بياناً أو معنى من سؤالهم) وبما هو أحسن تفسيراً أشار إلى أنه عطف على الحق والتفسير بمعنى البيان والكشف وهذا هو الحق أيضاً والعطف للتغاير الاعتباري فإن المراد به الدافع له في جوابه وهنا التفسير أي إن الذي يأتي به أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من المزية والبيان والظهور فأحسن لمطلق الزيادة أو من قبيل الصيف أحر من الشتاء إذ لا حسن في سؤالهم قوله أو معنى وفي الكشاف ولما كان التفسير هو الكشف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام كيت وكيت كما قالوا معناه كذا وكذا فهو مجاز في المعنى ولذا قدم البيان على المعنى فهو من إطلاق المصدر على المفعول لأن المعنى مفسر والعلاقة التعلق فالمصدر هو المتعلق بكسر اللام وهذا أولى من القول بأنه من إطلاق اسم السبب على المسبب إذ التفسير سبب لظهور المعنى فإنه يرد عليه أن الكلام في نفس المعنى لا في ظهوره وإن أمكن دفعه بأن المراد سبب للمعنى الظاهر.

قوله: (أو لا يأتونك بحال عجيبة) أي المثل بمعنى الحال لا بمعنى السؤال كما في الوجه الأول.

قوله: (يقولون هلا كانت هذه حاله إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له) ويقولون هلا كانت حاله وصفته نحو أن يقرن به ملك

قوله: وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له أي كشفاً لما أرسلت لأجله وهو أحكام الشرع أي ولا يأتونك بحال أو صفة يريدون بذلك حط منزلتك عند الناس إلا اعطيناك ما هو أحسن كشفاً وبياناً لأحكام الشرع التي أرسلت لأجل تبليغها إلى المرسل إليهم.

---

(١) والمعنى ولا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا عازمين على مجيئنا إياك بالحق.

besturdubooks.wordpress.com

ينذر معه أو يلقى إليه كنز وغير ذلك مما تقدم ذكره إلا أعطيناك من الأحوال ما يحق أي يليق ويناسب لك في حكمتنا فجئنا على هذا بمعنى أعطينا مجازاً إذ مجيء الشيء بالشيء يستلزم الإعطاء والحق بمعنى اللائق وما هو أحسن كشفاً لما بعثت له صيغة التفضيل فيها للتعجب لأن المقام مقام التعجب وقد مر التفصيل في تفسير قوله تعالى: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ [الفرقان: ٢١] الآية يعني أن إنزال القرآن منجماً مفرقاً أحسن كشفاً لما بعثت له وأدل على صحته كما بينه المص هناك حيث قال لأن نزوله بحسب الوقائع الخ والتحدي بكل نجم أدخل في الإعجاز وأنور للحجة من أن ينزل كله جملة فإذا ثبت ذلك ظهر أن ما يتمنونه مخالف للحكمة من البعثة فما أتوا به من الأحوال السالف ذكرها باطل بالنظر إلى الحكمة لا بالنسبة إلى نفس الأمر ولعل لهذا لم يقل بحال عجيبة باطلة والتفسير هنا بمعنى كشف ما بعثت به.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾

قوله: (أي مقلوبين أو مسحوبين إليها) أي منكسين يطؤون على رؤوسهم ووجوههم الأولى الاكتفاء بالوجوه فحينئذٍ يكون إقدامهم في فوق قوله أو مسحونين أي مجرورين تجرهم ملائكة العذاب إلى جهنم وهو المنصوص عليه في قوله يسحبون في الحميم فلا تنكيس حينئذٍ آخر في سورة الإسراء ما قدمه هنا وهو الظاهر لأنه مصرح في قوله يسحبون في الحميم وأما المشي على وجوههم فليس بمصرح به في القرآن[1] ولعله جمع بينهما في بعض الكفار أو المشي على الوجوه في بعض الكفار والسحب والجر على الوجوه في بعض آخر منهم إلى جهنم صلته فقوله مقلوبين الخ بيان حاصل المعنى أو إشارة إلى أنه حال بتقدير مقلوبين الخ.

قوله: (أو متعلقة قلوبهم إلى السفليات متوجهاً وجوههم إليها) أي هو كناية عن ذلك

قوله: مقلوبين ومسحوبين إليها يريد أن الظرفين وهما على وجوههم وإلى جهنم ظرفان مستقران حالان من واو يحشرون فالمعنى يحشرون مقلوبين مكبين على وجوههم ومجرورين إلى جهنم من اسحبه أي جره.

قوله: أو متعلقة قلوبهم بالسفليات هذا التوجيه مبني على الكناية فإن توجه الوجه نحو الأرض من لوازم توجه القلب إلى الاعراض السفلية الدنيوية الدنية قوله وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف الحديث قيل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم قال الإمام رحمه الله صنف المشاة المؤمنون الذين خلطوا صالح أعمالهم سيئها ولعلهم أصحاب اليمين والركبان هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويجتنبون عن السيئات يسرعون إلى ما أعد لهم في الجنان إسراع الركبان.

---

(١) بل صرح به في الحديث قال عليه السلام إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم كذا روى المص في سورة الإسراء.

besturdubooks.wordpress.com

التعلق أو استعارة تمثيلية وهو الظاهر فكون وجوههم إليها كناية عن ميل قلوبهم إلى السفليات وهي الدنيا وزخارفها فإن كون الوجه إلى السفليات وهي الأرض وما فيها من لوازم توجه القلب إليها ولا يخفى أن المعنى الحقيقي مؤيد بالآية والحديث فلا جرم أن هذا احتمال ليس بقوي قيل ولعل كون هذه الحالة في الحشر باعتبار بقاء آثارها فتأمل لعل وجهه ما ذكرناه.

قوله: **(وعنه عليه الصلاة والسلام يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على الأقدام وصنف على الوجوه)** رواه الترمذي قوله صنف على الدواب هم المتقون والظاهر أنه على الحقيقة وقيل والمراد أنهم يسرعون إلى الجنة كالركبان وفيه ما فيه وصنف على الأقدام أي مشاة وهم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً قوله وصنف على وجوههم وهم الكفرة الفجرة وما رواه المص في سورة النبأ حيث قال سئل عنه فقال عليه السلام يحشر عشرة أصناف من أمتي الخ نقل الفاضل السعدي عن ولي الدين العراقي أنه ظاهر الوضع فلا ينافي ما ذكر هنا ولو سلم صحته فلا مفهوم في العدد ويجوز أيضاً أن يقال إنه أعلم أولاً أنه يحشر الناس على ثلاثة أصناف ثم اعلم أنه يحشر على عشرة أصناف كما قيل في نظائره.

قوله: **(وهو ذم منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره ﴿أولئك﴾ [الفرقان: ٣٤])** الآية وهو أي الذين ذم منصوب بتقدير أذم أو أعني اختاره لأن المقام مقام توبيخ الكفرة وذمهم وهذا أصرح في ذلك أو مرفوع أي ذم مرفوع على أنه خبر لمبتدأ واجب حذفه أي هم الذين يحشرون آخره مع أنه لا حذف فيه لانفهام الذم منه بالفحوى.

قوله: **(والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام)** بقرينة أنهم زعموا أنه عليه

قوله: والمفضل عليه هو الرسول على طريقة قوله: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك﴾ [الحج: ٧٢] مثوبة عند الله لما اقتضى ظاهر كلمتي التفضيل وهما لفظا شر وأضل ثبوت أصل الشر والضلال في المفضل عليه وهو الرسول عليه الصلاة والسلام والحال أنه ليس شيء فيه من الشر والضلال بل هو خير كله وهدى ورحمة للعالمين صرف الكلام عن ظاهره وحاصل تأويله رحمه الله يرجع إلى ثبوت أصل الشر والضلال فيه على زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد كأنه قيل لهم إن حاملكم على هذه السؤالات أنكم تضللون سبيله وتحقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف لعلمتم أن مكانكم شر من مكانه وسبيلكم أضل من سبيله وعليه قوله تعالى: ﴿إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ [سبأ: ٢٤] وجه تشبيه طريقته بطريقة ﴿قل هل انبئكم بشر من ذلك﴾ رجوع معنى التفضيل إلى اعتقاد الكفرة فإن المخاطبين بهل انبئكم هم اليهود وكانوا لعنوا يزعمون أن المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنهم شر عقوبة في الحقيقة من أهل الإسلام في زعمكم ودعواكم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال ليس المراد أن مكانهم شر من مكانه وسبيلهم أضل من سبيله بل المراد أن مكانهم وهو جهنم فيه كل الشر وأن سبيلهم في الضلال في غاية الكمال كأنه قيل لا مكان شر من مكانهم ولا سبيل أضل من سبيلهم وهو الاشراك بالله وما هم عليهم من الأفعال والأحوال تم كلامه ومحصوله أن كلمة التفضيل وهي

besturdubooks.wordpress.com

السلام محقر مكاناً وسبيله ضلال فقيل ﴿أولئك شر مكاناً﴾ بصيغة التفضيل على زعمهم الفاسد للتهكم.

قوله: (على طريقة قوله تعالى: ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه﴾ [المائدة: ٦٠] الآية كأنه قيل إن حاملهم على هذه الأسئلة تحقير مكانه بتضليل سبيلهم ولا يعلمون حالهم ليعلموا أنهم شر مكاناً وأضل سبيلاً) كأنه قيل إن حاملهم أي الداعي والباعث على سؤالهم تحقير مكانه الخ فزعموا أنه على شر وضلال فقيل لهم أولئك شر منه وأضل على وفق اعتقادهم وإلا فهو عليه السلام خير محض مكاناً وأسعد سبيلاً وأنت خبير بأن هذا وإن أمكن بنحو ما ذكر توجيهه لكن فيه نوع بعد فالأولى جعل هذا من قبيل الصيف أحر من الشتاء كما جعل كذلك في نظائره أو لمطلق الزيادة.

قوله: (وقيل إنه متصل بقوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً﴾ [الفرقان: ٢٤]) والمراد أنه قسيمه لكنه لبعده لم يرض به وقيل إن قسيمه ذكر من قبل ولا يخفى ما فيه.

قوله: (ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي للمبالغة) لأنه وصف صاحبه جعل مكانهم شراً ليكون أبلغ في الدلالة على شرارتهم لأنه حينئذٍ يكون كناية عن إثباتها لنفوسهم إذ المراد الشرارة بحسب الدين والكناية أبلغ من الحقيقة وأيضاً يشعر ذلك إن شرارتهم في الدين بلغت مبلغاً بحيث سرت إلى المكان وكذا الكلام في الضلال ولم يتعرض كون وصف المكان بالشرارة من الإسناد المجازي ولا يدري وجهه وقد تعرض له في سورة المائدة وقال هناك وقيل مكاناً منصرفاً أي مرجعاً ومصيراً بجعل المكان من الكون بمعنى الصيرورة(١) فحينئذٍ لا مجاز في الإسناد(٢).

شر استعملت هنا للزيادة المطلقة لا للزيادة على ما أضيف إليه ويمكن أن يحمل على الزيادة على ما أضيف إليه على التوجيه الذي ذكروه في قولك العسل أحلى من الخل.

قوله: وقيل إنه متصل بقوله ﴿أصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقراً﴾ أي هو متصل به من حيث المعنى وجه اتصاله به أنه مناسب له في كل من طرفيه تناسب التضاد فإن المسند إليه هنا الكفرة والمسند شر والمسند إليه هناك المسلمون والمسند خبر فعلى هذا لا يكون ﴿أولئك شر مكاناً﴾ خبر الذين يحشرون.

قوله: ووصف السبيل بالضلال من الإسناد المجازي ووصفه بالضلال مستفاد من وقوع المميز فاعلاً في المعنى لأن المعنى أولئك شر مكانهم وأضل سبيلهم برفع المكان والسبيل جعل سبيلهم ضالاً مبالغة في ضلالهم والأصل أولئك أضل منه في السبيل لكن جعل السبيل تمييزاً ليؤذن أن سبيلهم ضال لقوة الضلال منهم نحو مكان سائر.

---

(١) ولم يتعرض له هنا لأنه خلاف الظاهر.

(٢) لأن منصرفهم وهو جهنم شر محض.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَـٰرُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾

قوله: (ولقد آتينا) اللام جواب القسم المحذوف لما قال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ [الفرقان: ٣١] اتبعه بذكر جماعة من الأنبياء بعد ذكر عدو نبينا عليه السلام وأقاويلهم الفاسدة اللئام ﴿موسى الكتاب﴾ [الفرقان: ٣٥] أي التوراة وفيه إشارة إلى أن موسى عليه السلام أصل في الدعوة والتوراة أعطيت إليه ويؤيده إدخال مع على ضميره.

قوله: (يؤازره في الدعوة وإعلاء الكلمة) يؤازره في الدعوة أي يعينه فيها هو إشارة إلى معنى الوزارة[1] وصيغة المضارع لأن وزيراً بمعنى فعل المضارع لإفادة الاستمرار قال في سورة طه واشتقاق الوزير إما من الوزر بمعنى الثقل لأنه يحتمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الملجأ لأن الأمير يعتصم برأيه ويلتجيء إليه في أموره وهنا أشار إلى المعنى الأول والحمل على الثاني يحتاج إلى التمحل.

قوله: (ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لأن المتشاركين في الأمر متوازران عليه) ولا ينافي ذلك الخ إشارة إلى كونه نبياً لأنه وإن كان نبياً فالشريعة لموسى عليه السلام وهو تابع له فيها كما أن الوزير متبع لسلطانه فقوله لأن المتشاركين في أمر الخ بناء على التسامح لظهور أن موسى عليه السلام لم يكن وزيراً لهارون فمراده ما قاله الإمام لا منافاة بين الصفتين لأنه لا منع من أن يشركه في النبوة ويكون وزيراً ومعيناً له.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَدَمَّرْنَـٰهُمْ تَدْمِيرًا ۝٣٦﴾

قوله: (يعني فرعون وقومه أي فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها) أي فذهبا إليهم عقيب أمرنا وأمرهم بالإيمان فكذبوهما أشار إلى أن إيجاز الحذف بأكثر من جملة واحدة تنبيهاً على كمال انقيادهما وفرط مطاوعتهما بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره فاستغنى عن ذكره ولذا قال اختصر أي اقتصر على حاشيتي القصة أي على طرفيها والحاشية الطرف.

قوله: (وهو إلزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم) وهو إلزام الحجة أحد طرفي القصة قوله واستحقاق الخ طرف آخر منها إما إلزام الحجة فبقوله تعالى:

قوله: أي فذهبا إليهم فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ فالفاء في فدمرناهم هي الفاء التي يسميها علماء علم البلاغة فاء فصيحة لإفصاحها عن المحذوف كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرب فانفلق قوله فاختصر على حاشيتي القصة وهما أولها وآخرها اكتفاء لما هو المقصود من القصة بطولها.

---

(١) والوزارة لا تنافي النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد أنبياء ويؤمرون بأن يوازر بعضهم بعضاً كذا قاله ابن كمال.

besturdubooks.wordpress.com

﴿اذهبا إلى القوم﴾ [الفرقان: ٣٦] الآية وأما استحقاق التدمير فبقوله تعالى ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ وما بينهما كما ذكرناه فمتفرع على الأول ومتفرع عليه الثاني وفي القصة اقتصار غير ما ذكر مذكور تفصيله في سورة طه وغيرها وهذا وإن خالف ما في طه والشعراء والنازعات لفظاً فهو طبقه في المقصود.

قوله: (والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع) فإن حكم الله تعالى بتدميرهم كان عقيب تكذيبهم لا الوقوع فلا ينافيه وقوعه بعد أزمنة متطاولة ولك أن تقول إن ابتداء التكذيب وإن كان مقدماً بزمان طويل لكن انتهاؤه يعقبه التدمير فليكن التعقب باعتبار آخره ثم الأولى أن يقال التعقيب باعتبار الخبر لا الوقوع فإن الظاهر أن حكم الله قديم والتأويل بالإرادة بعيد ولم يحمل الفاء على السببية فقط إذ التعقيب[1] أصل فيها فإن الفاء داخل على المعلول وهو يعقب العلة وبعضهم حملها على السببية بلا تعقيب قوله تعالى: ﴿فقلنا﴾ [الفرقان: ٣٦] معطوف على جعلنا المعطوف على آتينا بالواو التي لا تقتضي ترتيباً فيجوز تقدمه مع ما يعقبه على إيتاء الكتاب فلا يرد أن إيتاء الكتاب وهو التورية بعد هلاك فرعون وقومه فلا يصح الترتيب إلا أن يراد بالكتاب الحكم والنبوة ولا يخفى بعده كذا قيل ولا يبعد أن يقال والمعنى ولقد أردنا إيتاء الكتاب.

قوله: (وقرىء فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة) فدمراهم أي موسى وهارون عليهما السلام دمراهم على الإسناد المجازي قوله بآياتنا متعلق بكذبوا

قوله: والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع لما اقتضى الفاء التعقيبية بحسب الوضع أن يترتب ما بعدها على ما قبلها دفعة بلا مهلة والتدمير لم يقع كذلك بعد الأمر بالذهاب دفعة بل وقع بعد ذلك بزمان متراخ أوله رحمه الله بأن الواقع عقيبه هو الحكم بالدمار لا نفس الدمار فالمعنى فقلنا اذهبا فحكمنا عليهم بالدمار قال صاحب المطلع فإن قيل لم يكونوا كذبوا بالآيات حين أمرا بالذهاب إليهم فكيف وصفوا بالتكذيب قلنا المعنى اذهبا بآياتنا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا المتقدمة مع الرسل الماضية وقال الإمام رحمه الله إنه تعالى بعد أن تكلم في التوحيد وإثبات النبوة والجواب عن شبهات المنكرين شرع في ذكر القصص على السنن المعلوم فبدأ بقصة موسى أي لست يا محمد بأول من أرسلناه فكذب وآتيناه الآيات فرد فقد آتينا موسى التورية وقوينا عضده بأخيه هارون ومع ذلك فقد رد وكذب وكذلك الرسل قاطبة وقال الطيبي رحمه الله إن الله تعالى لما حكى بقوله وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وسلاه بقوله: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ [الفرقان: ٣١] وجاء بتفصيل ذلك وبدأ بقصة موسى وفرعون مجملاً وثنى بقصة نوح وثلث بعاد ثم أجمل بقوله: ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾ [الفرقان: ٣٩].

قوله: وقرىء فدمرتهم على صيغة المتكلم فدمراهم على صيغة الأمر والمخاطب موسى وأخواه فدمرانهم وهو على صيغة الأمر أيضاً لكن بالنون الثقيلة الداخلة للتأكيد.

---

(١) حتى ذهب كثيرون إلى أنه لا ينفك عن الفاء لكن صرح مغني اللبيب قد يجيء لمجرد السببية وقد اعترف به المص حيث قال في قوله فتوبوا الفاء الأولى للتسبب والثانية للتعقيب.

besturdubooks.wordpress.com

فالجمع في الآيات إما لمعجزة مع دلائل التوحيد أو المراد بالجمع ما فوق الواحد إذا ظهر معجزة عصا[١] أولاً ثم أظهر اليد البيضاء وهما[٢] الآية الكبرى والقول بأن المراد الآيات التي جاءت بها الرسل الماضية ضعيف وكذا القول بأن المراد الآيات التسع بعيد لأنه حينئذٍ يحتاج إلى جعل صيغة الماضي بمعنى المستقبل لتحققه وهذا ضعيف لأن إيتاء بعض الآيات ماض فالأولى أن يقال فيه تغليب الموجود على المعدوم أو جعل منتظر الوقوع كالواقع كما قال في توجيه قوله تعالى: ﴿بما أنزل إليك﴾ [البقرة: ٤] الآية.

قوله تعالى: وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

قوله: (وقوم نوح) منصوب بإضمار اذكر أو منصوب بمضمر يفسره ما بعده ﴿أغرقناهم﴾ [الفرقان: ٣٧] فحينئذٍ يكون معطوفاً على ما قبله أعني ولقد آتينا لا دمرناهم ويجوز عطف القصة على القصة فعلى هذا يجوز العطف على تقدير اذكر وأما عطف قوم نوح على مفعول دمرناهم فلا يحسن لأن تدمير قوم نوح ليس مترتباً على تكذيب فرعون وقومه لموسى وهارون عليهما السلام وما ذكر في توجيهه من أن العطف المقصود منه التسوية والتنظير كأنه قيل دمرناهم كقوم فسخيف إذ الأئمة صرحوا بأن العطف بالواو يحتاج إلى الجامع وبالفاء لا بد من السببية والتعقيب ولو صح ما ذكره لا يحتاج إلى الجامع وإلى السببية بل التنظير وهو التشبيه كاف في العطف ولا يخفى فساده.

قوله: (كذبوا نوحاً ومن قبله) توجيه للجمع مع أن الظاهر الإفراد فحينئذٍ اللام للعهد.

قوله: (أو نوحاً وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل) فاللام حينئذٍ للاستغراق بطريق الادعاء والاستلزام والتشبيه أي تكذيب رسل واحد كتكذيب

قوله: كذبوا نوحاً ومن قبله فسر رحمه الله قوله عز من قائل:

لما كذبوا الرسل بوجوه ثلاثة الوجه الأول مبني على أن يكون اللام في الرسل للعهد والمعهود رسل مخصوصون وهم المراد بقوله نوحاً ومن قبله والوجه الثاني مبني على أنه للاستغراق بناء على أن تكذيبهم لواحد منهم تكذيب للجميع وأشار إليه بقوله أو نوحاً وحده لكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل وذلك أن لكل فرد من أفراد تلك الحقيقة حكم الجميع فمن كذب واحداً لزمه تكذيب الجميع لأن وجه دلالة المعجزة على الصدق مشترك فيهم والوجه الثالث مبني على أنه للجنس والحقيقة من حيث هي وأشار إليه بقوله:

---

(١) أو العصا لاشتمالها آيات كثيرة مثل قلبها جاناً أولاً ثم صار ثعباناً ثم صار عصا وأيضاً لها مآرب أخرى كل واحد منها آية أخرى.

(٢) وكذا كون المراد الآيات المودعة في الآفاق والأنفس ضعيف إذ قوله تعالى: ﴿فأراه الآية الكبرى فكذب وعصى﴾ [النازعات: ٢٠، ٢١] الآية يدل على كون المراد الآيات والمعجزات والقرآن يفسر بعضه بعضاً.

besturdubooks.wordpress.com

جميع الرسل في الإفساد كقوله تعالى: ﴿من قتل[1] نفساً﴾ [المائدة: ٣٢] الآية.

قوله: (أو بعثة الرسل مطلقاً كالبراهمة) مطلقاً فحينئذٍ اللام للاستغراق الحقيقي كالبراهمة وهي قوم قالوا لا بعثة لأحد وادعوا استحالتها عقلاً وهم نسبوا إلى رجل يسمى برهام هو صاحب مذهبهم كما في الملل والنحل كذا قيل والظاهر أن سائر الكفرة ينكرون للبعثة مطلقاً لأن معظم شبهاتهم أن البشر لا يكون رسولاً حيث قالوا: ﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾ [الإسراء: ٩٤] إلا أن يقال إنهم ادعوا استحالتها كما مر مطلقاً من البشر وغيره بخلاف سائر الكفرة ولكنه بعيد ويرد أيضاً أن طائفة البراهمة قوم جاؤوا بعد نوح عليه السلام كما هو الظاهر فالاكتفاء بالوجهين الأولين هو الأولى نعم الكلام على التشبيه والإشكال تحقق المشبه به حينئذٍ بالطوفان.

قوله: (وجعلنا إغراقهم أو قصتهم عبرة) إغراقهم بتقدير المضاف إذ أنفسهم ليسوا بآية أو قصتهم داخل فيها إغراقهم لكن العبرة بالإغراق فلذا قدمه.

قوله: (يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعاً للظاهر موضع المضمر تظليماً لهم) يحتمل التعميم بناء على أن اللام للاستغراق فحينئذٍ لا يكون وضعاً للظاهر موضع الضمير قوله والتخصيص أي بقوم نوح إن حمل اللام على العهد وهو الظاهر للقرينة فالتقديم به بل الاكتفاء به أولى كما هو عادته في أكثر المواضع.

قوله تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾﴾

قوله: (عطف على هم في جعلناهم) أي وجعلنا هلاك عاد وثمود أو قصتهم آية وجعلنا عطف على الجملة المتقدمة المقيدة بالظرف وهو لما لا على المظروف وحده وهو

أو بعثة الرسل مطلقاً أي كذبوا هذا الجنس المسمى بالرسل كقولهم فلان يركب الخيل وما له إلا فرس واحد والوجه الثاني والثالث كنايتان متقابلتان لما يلزم في الثاني من أن تكذيب نوح تكذيب الرسل قاطبة وفي الثالث عكسه.

قوله: كالبراهمة قيل هم قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل والبراهمة إدامة النظر وسلوك الطرق يقال برهم الرجل إذا فتح عينيه واحد النظر والبراهمة انتسبوا إلى رجل منهم يقال له برهام قد مهد لهم في نفي النبوات أصلاً وقرر استحالة ذلك في العقول.

قوله: يحتمل التعميم والتخصيص أي يحتمل أن يكون المراد بالظالمين المعنى العام الشامل لكل من اتصف بصفة الظلم وأن يكون المراد به المعنى الخاص الذي هو قوم نوح فعلى كون المراد منه المعنى الخاص يكون لفظ الظالمين موضوعاً موضع الضمير تظليماً لهم أي تسجيلاً لهم على الظلم من ظلمه أي قال له إنك ظالم أو نسبه إلى الظلم وايذاناً أن تعذيبهم وإغراقهم بسبب تكذيبهم الرسل وإذا حمل على العموم يكون من باب التذييل فيدخل قوم نوح في هذا العام دخولاً أولياً.

---

(١) بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً الآية.

besturdubooks.wordpress.com

أغرقناهم لأن كون عاد وثمود آية بتكذيب الرسل فلا بد من التقييد بالظرف والظرف وإن كان تقييداً للمحذوف المفسر به يكون تقييداً لأغرقناهم لأن المفسر يجب أن يكون عين المفسر ويحتمل أن يكون عطفاً على قوم نوح بجعله من قبيل:

علفتها تبناً وماء باردا

قوله: **(أو على الظالمين لأن المعنى ووعدنا الظالمين)** على أن تكون اللام زائدة أو عطفاً على محله ولهذه العناية أخره مع أنه أقرب لفظاً ومعنى قوله لأن المعنى وعدنا الظالمين بيان لمنصوبية المحل ميلاً إلى المعنى إذ معنى اعتدنا هيأنا وهو معنى وعدنا أي أوعدنا.

قوله: **(وقرأ حمزة وحفص وثمود على تأويل القبلة)** وصرفه باعتبار الحي.

قوله: **(وأصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فكذبوه)** وأصحاب الرس والكلام فيه مثل الكلام في عاد وثمود قوله فكذبوه إشارة إلى ما ذكرناه لكن الأولى فكذبوا الرسل فيدخل شعيب دخولاً أولياً.

قوله: **(فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية)** أي المبنية يقال طويت البئر إذا بنيتها بالحجارة.

قوله: **(فانهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود وقيل بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان فيها من**

قوله: لأن المعنى ووعدنا الظالمين لما اقتضى عطفه على الظالمين أن يكون المعطوف مجروراً مثله وهنا منصوب أول رحمه الله اعتدنا بوعدنا ليكون المعطوف عليه منصوباً لفظاً كالمعطوف أقول لا حاجة إلى ذلك التأويل في صحة العطف لأن المعطوف عليه وإن كان مجروراً باللام لكنه في تقدير النصب على أنه مفعول به لاعتدنا بواسطة حرف الجر فإنه يجوز أن يقال مررت بزيد وعمراً بنصب عمراً عطفاً على زيد المجرور وزيد في تقدير النصب على المفعولية لمررت كقوله:

يذهبن في نجد وغوراً غائرا

فإن غوراً معطوف على نجد وهو مجرور لكنه في تقدير النصب ولذا جاز عطف غوراً عليه وعلى تقدير كونه معطوفاً على الظالمين يكون من عطف الخاص على العام مبالغة في ظلم قوم عاد وثمود لأنهم رؤوس الظلمة والأوحديون فيه.

قوله: وهو البئر الغير المطوية أي غير المبنية وفي الأساس طوى البناء باللبن والبئر بالحجارة وهي الطوى.

قوله: بفلج اليمامة بفتحتين قرية عظيمة من ناحية اليمامة وموضع باليمن من مساكن عاد وبسكون اللام وادٍ قريب من البصرة.

قوله: ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء وقصة العنقاء على ما ذكره

besturdubooks.wordpress.com

كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها) فانهارت تلك البئر أي انهدمت وغارت كقوله تعالى: ﴿فانهار به في نار جهنم﴾ [التوبة: ١٠٩] قوله بفلج اليمامة بسكون اللام وفتحها وفي آخره جيم قرية عظيمة بناحية اليمامة وموضع باليمن من مساكن عاد قوله فقتلوه هذا مستلزم للتكذيب فهلكوا فقدر أهلكنا أن عطف على قوم نوح كما أشرنا وقيل الرس الأخدود وهو الحفرة المستطيلة وقال في سورة البروج الخدود الخد وهو الشق في الأرض أنطاكية بتخفيف الياء بلدة معروفة قريبة من حلب الشهباء قتلوا حبيباً النجار مرضه لعدم ملائمة المقام إذ السوق إهلاك قوم كذبوا الرسل وعطف أصحاب الرس على ما قبله يحتاج حينئذٍ إلى التمحل التام وحنظلة قيل إنه كان في فلج اليمامة وهو نبي اختلف في عصره وقيل هو خالد بن سنان وطير اسم جمع أو جمع طائر تذكير عظيم لأن فعيلاً يستوي فيه التذكير والتأنيث وقيل يجوز في الطير التذكير والتأنيث وفيه ما فيه.

قوله: (وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح أو دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم إذا أعوزها الصيد) يقال له فتح بالفاء المفتوحة والتاء المثناة من فوق وبالحاء المهملة وقيل إنها معجمة وقيل إنه بمثناة تحتية وضم ودمخ بالدال المهملة وميم ساكنة وخاء معجمة قوله وتنقض أي تنزل من ذلك الجبل قوله فتخطفهم الخطف الاختلاس والانتهاب قوله إذا أعوزها أي احتاجت إلى الصيد.

قوله: (ولذلك سميت مغرباً) فدعى عليها حنظلة فأصابتها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا مغرب بضم الميم اسم فاعل من أغرب إما لإتيانها بأمر غريب وهو اختطاف الصبي وقيل اختطفت عروساً أو لغروبها أي غيبتها فيكون مغرباً لازماً لا متعدياً كما في الأول وقال بعض المحشين وكان من عادة العنقاء أن تنقض على الطيور فتأكلها فجاعت

رحمه الله هي المذكورة في كتاب مجمع الأمثال الذي الفه الميداني ولم يظفر بها في غيره.

قوله: يقال له فتح قيل صح بالتاء المثناة من فوق والخاء المعجمة وغير المعجمة رواية وبالجيم والياء التحتاني أيضاً ذكره صاحب الاتضاح في شرح المقامات والدمخ بفتح الدال وسكون الميم والخاء المعجمة من فوق اسم جبل قال الشاعر:

كفى حزناً أني تطاللت كي أرى ذرى قلتي دمخ فما تريان

قوله تنقض على صبيانهم فتخطفهم أي تسقط على صبيانهم فتسلبهم إذا أعوزها الصيد أي إذا احتاجت إلى الصيد ولم يقدر عليه مثل أعجز صيغة ومعنى يقال أعوزه الشيء إذا احتاج إليه ولم يقدر عليه وعوز الشيء عوزاً إذا لم يوجد وعوز الرجل وأعوز أي افتقر وأعوزه الدهر أي أحوجه.

قوله: ولذا سميت مغرباً أي ولأجل خطفها الصبيان وجعلهم غرباء عن أولادهم سميت تلك الطائر مغرباً فالإضافة في قولهم عنقاء مغرب إضافة بيانية أي عنقاء هي مغرب وترك التاء لكونه اسماً بالغلبة قوله وقيل الأخدود الأخدود شق في الأرض مستطيل والمخد حديدة تخد بها الأرض أي تشق.

besturdubooks.wordpress.com

يوماً ولم تجد طيراً فانقضت على صبي فذهبت به فسميت عنقاء مغرب بالتوصيف أو الإضافة لأنها تغرب بكل ما أخذته ثم انقضت يوماً على جارية قاربت الحلم فذهبت بها فشكوها إلى نبيهم حنظلة بن صفوان فدعا عليها وقال اللهم خذها واقطع نسلها فأصابتها صاعقة فاحترقت.

قوله: (وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه أي دسوه في بئر) بمعنى ادخلوه في بئر فأصحاب الرس على هذا لفعلهم الرس في بئر وأما على الأول فلأنهم هلكوا في بئر رس فالإضافة لأدنى ملابسة في كل الاحتمالات.

قوله: (وقروناً وأهل إعصار قيل القرن أربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون) وقروناً عطف على أصحاب الرس أي وأهلكنا قروناً كثيراً ولكثرتها لم يذكر بخصوصها.

قوله: (إشارة إلى ما ذكر) من الأمم الهالكة الكثيرة ولذلك حسن دخول بين عليه وتذكير اسم الإشارة باعتبار ما ذكر[1] كما أشار واختيار صيغة البعد لتبعيدهم عن الاعتبار وتحقيرهم مع الاختصار.

قوله: (لا يعلمها إلا الله) لعدم قصتهم واستشاره في عمله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾﴾

قوله: (بينا له القصص العجيبة من قصص الأولين إنذاراً وإعذاراً فلما أصروا أهلكوا كما قال ﴿وكلا تبرنا تتبيرا﴾) بينا معنى ضربنا القصص العجيبة معنى الأمثال بطريق الاستعارة قوله العجيبة بيان الجامع إنذاراً علة لضربنا مفهوم من الفحوى وأعذاراً أي لإزالة العذر والاعتذار والمعنى حذرنا كل أمة أن ينزل بها ما نزل بمن قبلهم فلما أصروا أهلكوا ففيه تحذير هذه الأمة عن تعاطي سبب ما أهلك الأمم السالفة به.

قوله: (فتناه تفتيناً) أي فرقناه تفريقاً وأهلكناهم إهلاكاً فاعتبروا يا أولي الأبصار اعتباراً.

قوله: دسوه في بئر أي أخفوه في البئر بالتراب من دسست الشيء في التراب أدسه أخفيته فيه.

قوله: انذاراً واعذاراً والإعذار صنع ما يعذر فيه وفي المثل اعذر من أنذر قال زهير:

فـنـمـنـعـكـم أرحـامـنـا أو اسـتـعـذر

أي سنصنع ما نعذر فيه وكذا الإنذار صنع ما يعذر فيه وانذارات القرآن إنما جاءت لقطع المعاذير.

---

(١) وفي الكشاف وقد يذكر أشياء مختلفة ثم يشير إليها بذلك ويحسب الحاسب أعداداً متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك المحسوب أو المعدود.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: **(ومنه التبر لفتات الذهب والفضة)** أي التتبير التفتيت والتكسير والتبر كسار الذهب والفضة والزجاج ونحوها.

قوله: **(وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا كأنذرنا)** وحذرنا.

قوله: **(والثاني بتبرنا لأنه فارغ عن الضمير)** أي كلا الثاني منصوب بتبرنا لأنه فارغ عن المعمول بخلاف الأول فإن له معمولاً فلا يكون عاملاً لكلا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾

قوله: **(يعني قريشاً)** مرجع الضمير قريش لا المهلكون المذكورون لعدم استقامته إذ المراد بالقرية قرية قوم لوط والهالكون أكثرهم قبل قوم لوط وأيضاً قوله وإذا رأوك قرينة واضحة على كون المرجع قريشاً فهم مذكورون حكماً.

قوله: **(مروا مراراً في متاجرهم إلى الشام)** أي تعدية أتى بعلى لتضمينه معنى المرور وقد يتعدى بنفسه قد مر توضيحه في قوله تعالى: ﴿فقد جاؤوا ظلماً وزوراً﴾ [الفرقان: ٤] قوله مراراً لأن سبب المرور التجارة وهي وقعت مراراً فلا حاجة إلى القول بأنه أخذ من قوله تعالى: ﴿وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون﴾ [الصافات: ١٣٧، ١٣٨] لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً في متاجرهم أي أزمنة تجارتهم[١] ففيه بيان شدة شكيمتهم حيث لم يتعظوا بالمرور مراراً مع أن المرور الواحد كاف في الاعتبار لأولي الأبصار.

قوله: **(يعني سذوم عظمى قرى قوم لوط أمطرت عليها الحجارة)** يعني سدوم وهي بالسين والدال المهملتين كذا في الصحاح وقيل بالذال المعجمة وهو في الأصل اسم قاضيها ثم غلب على القرية وعظمى قرى قوم لوط بدل من سدوم بدل الكل أو عطف البيان وكونها صفة احتمال فسر القرية أولاً بالسدوم للإشارة إلى وجه إفراد القرية ثم نبه على أن قراهم متعددة والسدوم أعظم قراهم أمطرت عليها أي على أهلها

قوله: ومنه التبر لفتات الذهب والفضة أي كسارهما والتبتير التفتيت والتكسير.

قوله: وكلا الأول منصوب بما دل عليه ضربنا وهو أنذرنا أو حذرنا لا بضربنا لأنه مشغول بضميره وهو الضمير المجرور في له فنصب على الاضمار على شريطة التفسير لكن الفعل المفسر غير المفسر بل هو مما يدل هو عليه لملابسة بينهما بالاستلزام مثل زيداً امررت به أي جزت زيداً مررت به فإن المجاوزة مما يلزم المرور وكلا الثاني منصوب بفعل بعده وهو تبرنا لأنه فارغ له ليس مشغولاً بضميره قوله يعني سذوم عن بعضهم سذوم بالذال المعجمة وذكره الأزهري والجوهري بالدال الغير المعجمة.

---

(١) وقيل متاجر جمع متجر بمعنى التجارة.

besturdubooks.wordpress.com

الحجارة تفسير مطر السوء فمطر السوء استعارة تهكمية للحجارة من سجيل وقد مر قصتها في سورة هود والحجر.

قوله: (أفلم يكونوا) أي ألم ينظروا نظراً صحيحاً فلم يكونوا يرونها والاستفهام[١] للإنكار الوقوعي.

قوله: (في مرار مرورهم) لأن كان مع المضارع يفيد الاستمرار التجددي لكن في المنفي لا في النفي.

قوله: (فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله) عطف على لم يكونوا ليدل على نفي الاتعاظ.

قوله: (﴿بل كانوا لا يرجون نشوراً﴾ بل كانوا كفرة) بل كانوا إضراب مما فهم من الكلام أي لم ينظروا ولم يتعظوا بل كذبوا الخ ويحتمل أن يكون للترقي فإن عدم إيمانهم البعث أشنع من عدم اتعاظهم.

قوله: (لا يتوقعون نشوراً ولا عاقبته فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم أولاً يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب أو لا يخافونه على لغة التهامة) لا يتوقعون أشار به إلى أن الرجاء ليس هنا بمعنى انتظار الخير فالمراد به التوقع مجازاً ذكر الخاص وأريد العام أو المراد معناه الحقيقي بناء على أن المنفي نشور فيه خيروهم[٢] لا يرجونه أو المراد الخوف[٣] على لغة تهامة على أنه حقيقة[٤] وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ [الفرقان: ٢١] الآية.

قوله: لا يتوقعون نشوراً فسر رحمه الله معنى الرجاء على ثلاثة أوجه الوجه الأول والثالث تفسير له على التجوز والوجه الثاني على الحقيقة فإن حقيقة الرجاء انتظار الخير قال الراغب الرجاء ظن ما فيه مسرة وفي الأساس أرجو من الله المغفرة ورجوت في ولدي الرشد وأتيت فلاناً رجاء أن يحسن إلي فالكافر لا يرجو بل لا يتوقع لأن التوقع الترقب وفي الأساس توقعته ترقبت وقوعه.

قوله: كما مرت ركابهم لركاب الإبل التي يسار عليها والواحد راجلة ولا واحد لها من لفظها أي مرورهم على آثار المهلكين في عدم نظرهم إليها نظر عبرة وعدم اتعاظهم بها كمرور دوابهم التي يسيرون عليها.

---

(١) أي إنكار للنفي وإثبات للمنفي على الاستمرار التجددي.

(٢) أي ليس المراد بالنشور نشورهم بل نشور فيه خير كنشور المسلمين وهم لا يرجونه حتى يرجعوا عن كفرهم.

(٣) فالمراد حينئذٍ نشورهم.

(٤) ولقد أغرب من قال إنه مجاز بعد تصريح المص أنه على لغة تهامة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ﴿٤١﴾

قوله: (ما يتخذونك إلا موضع هزؤاً ومهزؤاً به) ما يتخذونك أشار إلى أن كلمة أن نافية بقرينة قوله إلا موضع هزء نبه به على أن هزؤاً حمل عليه مبالغة والمراد موضع هزؤ بتقدير المضاف أو بمعنى مهزوء به فيصح الحمل على الرسول عليه السلام لكن يفوت المبالغة فالأولى إبقاؤه على حاله.

قوله: (محكي بعد قول[١] مضمر والإشارة للاستحقار) محكي بعد الخ أي يقولون أهذا الذي استئناف بيان لاتخاذهم الهزء وجعله حالاً ضعيف وقيل هذا الذي جواب إذا بتقدير القول وجملة أن يتخذونك معترضة لكن الأولى كون أن يتخذونك إلا هزواً جواباً وهي تنفرد[٢] بوقوع جوابها المنفي بمأولاً وإن بدون كلمة الفاء بخلاف غيرها من أدوات الشرط وتعقيب الجواب بالشرط هو الأصل والقصر في أن يتخذونك إلا هزواً إضافي والإشارة أي بهذا للاستحقار أي للتحقير[٣] على سبيل المبالغة بمعونة المقام.

قوله: (وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الإنكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا أهذا الذي زعم أنه بعث الله رسولاً) وإخراج بعث الله

قوله: ما يتخذونك إلا موضع هزء أو مهزواً به لما كان الهزء مصدراً لا يوصف به الذات ولا يحمل عليها حمل هو هو فسره بتقدير مضاف قبله أو بجعله بمعنى المفعول.

قوله: محكي بعد قول مضمر تقديره ويقولون ﴿أهذا الذي بعث الله رسولاً﴾ قوله والإشارة للاستحقار أي الإشارة بكلمة هذا الموضوعة للإشارة إلى القريب للاستحقار والاستصغار كقولنا يا عجباً لابن عمرو هذا.

قوله: وإخراج بعث الله رسولاً في معرض التسليم بجعله صلة إلى آخره جعله صلة يؤذن بأنهم سلموا أنه رسول من الله لأن الصلة صفة للموصول والأوصاف لا بد أن يكون معلومة الانتساب لموصوفاتها على ما مر غير مرة وجعلهم بعث الله رسولاً صلة للموصول يدل على أنهم عالمون بأن الله بعثه رسولاً وهو معلومهم ومسلم عندهم فقوله وإخراج مبتدأ خبره تهكم واستهزاء وقوله وهم على غاية الإنكار جملة وقعت حالاً من فاعل الإخراج المتروك ذكره تقديره وإخراجهم بعث الله رسولاً في معرض التسليم والحال أنهم في غاية الإنكار لبعثه رسولاً تهكم منهم والمراد إنكارهم لبعث محمد ﷺ رسولاً لا إنكار بعث مطلق الرسول لأنهم لا ينكرون بعث الرسل المتقدمين قوله ولولاه أي لولا قصد التهكم والاستهزاء لكان الأنسب لاعتقادهم الفاسد أن يقولوا أهذا الذي يزعم أنه مبعوث من الله رسولاً.

---

(١) قوله مضمر أي محذوف ولا فرق بينهما وقيل المضمر يقال فيما كان له أثر ظاهر أو مقدر وهو نصب المقول محلاً لأنه مفعوله والمحذوف بخلافه انتهى واستعمال كل منهما في موضع الجر بشاهد عليه حيث يقال في مثله على حذف القول وعلى تقديره.

(٢) أي إذا.

(٣) أشار به إلى أن السين في الاستحقار للمبالغة دون الطلب حقيقة.

besturdubooks.wordpress.com

رسولا[١] الخ لأن الصلة تكون معناها معلوماً أو منزلة المعلوم والحال أنهم في غاية الإنكار تهكم واستهزاء لأنه إيراد الكلام على زعم المخاطب من غير تقدير زعم والظاهر أنه استعارة تهكمية بجعل التضاد منزلة التناسب بواسطة التهكم ولولاه أي ولولا الاستهزاء والتهكم وإفراد الضمير لأنهما كشيء واحد لقالوا أهذا الذي زعم أنه الخ وهو يؤيد ما قلنا من أن هذا الكلام ونحوه وارد على زعم المخاطب من غير تقديم زعم واستعارة تهكمية.

قوله تعالى: إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾

قوله: (أنه كاد) أشار به إلى أن إن مخففة من الثقيلة وأنه عامل في ضمير الشأن جوازاً.

قوله: (ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد) أي الإضلال بمعنى الصرف والدفع مجازاً.

قوله: (وكثرة[٢] ما يورد مما يسبق إلى الذهن أنها حجج ومعجزات) وفي قوله مما يسبق الذهن أنها حجج الخ إشارة إلى أن الكفرة لم يسلموا قوة معجزاته عليه السلام بل أرادوا به أنه عليه السلام أكثر المحاجة والجدال بأمور مخيلات يظن أنها معجزات بحيث إنه كاد ليضلنا عن آلهتنا لقوة احتياله بإيراد الموهومة نظيره قوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] قال المص هناك والمعنى أنك كنت على

قوله: بفرط اجتهاده في الدعاء إلى التوحيد وكثرة ما يورد الخ معنى فرط اجتهاده وكثرة ما يورده من الحجج والمعجزات مستفاد من لفظ كاد الموضوع للتقريب فإن قربهم إلى ترك دينهم الباطل مسبب من اجتهاد رسول الله ﷺ في الدعاء إلى التوحيد ومن كثرة إيراده الحجج والمعجزات لما أن قوله: ﴿إن كاد ليضلنا﴾ [الفرقان: ٤٢] دليل على فرط مجاهدة رسول الله في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم أن يتركوا دينهم إلى دين الإسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولفظة إن في إن كاد مخففة من الثقيلة واللام في ليضلنا هي الفارقة قال الإمام وتدل الآية على اعتراف القوم بأنهم ما اعترضوا على الدلائل كلها إلا لمحض الجحود والتقليد لأن قولهم لولا أن صبرنا عليها إشارة إلى الجحود والإصرار كدأب الجهال وإلى أنهم مقهورون تحت حجته صلوات الله عليه وما كان في أيديهم إلا مجرد الوقاحة وإلى أنهم سلموا له في آخر الأمر قوة الحجة ورزانة العقل فالقوم لما جمعوا بين الاستهزاء والاستحقار وبين رزانة العقل وقوة الحجة دل على أنهم كانوا متحيرين في أمره.

---

(١) ورسولاً حال من هذا أو من مفعول بعث.

(٢) وكثرة ما يورد الخ إشارة إلى سبب قرب وجود مضمون الخبر للفاعل قولهم ﴿لولا أن صبرنا﴾ الآية إشارة إلى وجود المانع لوجود مضمون الخبر للفاعل تأمل.

besturdubooks.wordpress.com

صدد الركون إليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا الخ وإلى هذا أشار بقوله مما يسبق إلى الذهن الخ ولم يقل لقوة خدعه وشدة احتياله تأدباً مع أن ذلك مراد الكفرة الفجرة فلا وجه لما قاله الفاضل[١] المحشي من أنه فيه دلالة على اضطرابهم وتحيرهم حيث دلت هذه الجملة على تسليمهم قوة حجته عليه السلام مع أنهم استهزؤوا به أولاً فتناقضوا ولا يحتاج أيضاً إلى ما قيل من أنه أخرج في معرض التسليم تهكماً كما في قولهم بعث الله رسولاً.

قوله: (ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا في مثل هذا تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ) لأن الجزاء وما في حكمه لا يتقدم على الشرط إذ لولا في معنى الشرط الذي هو قيد الحكم في الجزاء وهذا مذهب البصريين وعند الكوفيين يجوز تقديم الجزاء على الشرط.

قوله: (كالجواب لقولهم ﴿إن كاد ليضلنا﴾ [الفرقان: ٤٢]) ولم يقل جواب إما لكونه غير صريح فيه أو لعدم كون ما سبق سؤالاً ظاهراً لكنه في قوة سؤال أنحن في ضلال مبين أم هو صلى الله تعالى عليه وسلم حيث ترك دين آبائه فأجيب بذلك الجواب المنصف المسكت للخصم المشاغب ومن استفهامية خبرها أضل والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون لأنه معلق به وجعلها موصولة يحتاج إلى حذف صدر الجملة الواقعة صلة أي من هو أضل.

قوله: (فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له) بيان لكونه كالجواب إذ كلامهم

قوله: ولولا في مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ يعني أن كلمة لولا في مثل هذا الكلام تقيد الحكم المطلق السابق الدال على الجزاء تقييداً من جهة المعنى دون اللفظ لأن لولا ليست بموضوعة للتقييد فإن كلمات الشرط تقتضي بحسب الوضع أن يأتي بعدها جملتان شرط وجزاء وقد يؤتى في بعض المواضع الذي يراد تقييد الجملة المتقدمة بشرط محذوف جوابه كقولك آتيك غداً إن تركني فلان فقولك إن تركني تقييد لا من حيث اللفظ لأن أن ليست بموضوعة للقيد والحكم المطلق في كاد ليضلنا هو تقريب الرسول ﷺ إياهم بالاجتهاد إلى ترك دينهم صبروا عليه أو لا فقيد هذا الحكم المطلق قولهم ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ فالمعنى هو يضلنا لو لم نصبر على عبادة الهتنا ولم نتصلب على ديننا ولو صبرنا عليها لا يضلنا وهذا هو معنى تقييد الحكم المطلق وقال النحويون في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه وحكم لولا حكم كلمات الشرط في اقتضاء الجملتين وتقدير الربط بينهما.

قوله: فإنه يفيد نفي ما يلزمه ويكون الموجب له هو بيان لكون هذه الآية كالجواب لقولهم إن كاد ليضلنا يعني لما استلزم قولهم إن كاد ليضلنا اعتقادهم أنه ضال وأوجبه لأن الإضلال لا يكون إلا صفة الضال ولا يتصور من الهادي إضلال قوبل به قول وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً رداً لاعتقادهم ذلك وإيعاداً لهم.

---

(١) لما عرفت من أن قرب الشيء قد يكون بالاحتيال الكثير فأين الدلالة على الاضطراب.

besturdubooks.wordpress.com

يفيد أنه عليه السلام ضال لزعمهم أن ما هم عليه حق فنفى سبحانه وتعالى ما يلزمه نفياً ضمنياً بحيث لا مساغ في المناقشة فيه كما بيناه ويكون الموجب له عطف على يلزمه والظاهر أنه بكسر الجيم أي يفيد نفي ما يكون موجباً وباعثاً لقولهم الرديء وهو كونهم على الهداية وهذا النفي أيضاً غير مصرح به إذ لا تعيين لمن هو ضال وكلام المص[١] بناء على ما هو في نفس الأمر.

قوله: (وفيه وعيد ودلالة على أنه لا يهملهم وإن أمهلهم) وفيه وعيد في قوله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ [الفرقان: ٤٢] قوله ودلالة على أنه لا يهملهم وإن طالت المدة أشار إليه بقوله وإن أمهلهم وجه الدلالة أنه لما قال تعالى: ﴿وسوف يعلمون﴾ [الفرقان: ٤٢] الآية بكلمة سوف الدالة على التأخير علم أنه تعالى أخذهم أخذاً شديداً وإن طالت مدة الانتقام والظاهر أن أضل في بابه وقيل بمعنى مطلق الزيادة بمعنى في غاية الضلال وهو الضال المضل فيفيد نفي ما صرحوا به من كونه مضلاً فيكون جواباً لا كالجواب وهذا ذهول عن عدم تصريح من أضل سبيلاً.

قوله تعالى: أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

قوله: (أرأيت)[٢] أي أخبرت من اتخذ من استفهامية واتخذ بمعنى صير وجعل والجعل بالاعتقاد.

قوله: (بإن أطاعه[٣] وبنى عليه دينه) أي بنى أمر دينهم على التشهي وتدين بما لا يعود عليه نفعه عاجلاً وآجلاً كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب وأعرض عن دينه الذي كلفه فهو عابد هواه في نفس الأمر وجاعله آلهة الخطاب للرسول عليه السلام فيقول له هذا الذي لا يرى معبوداً إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه إلى الهدى مع أنه مقضى بقاءه على هذه الحالة الردية ولا بد من هذا القيد لأنه عليه السلام استطاع كثيراً ممن اتبع هواه على الدعوة إلى الهدى مع الاستجابة أو يقال إنه عام خص منه البعض والمنفي الاستطاعة على الدعوة المقرونة بالإجابة لا الاستطاعة مطلقاً.

قوله: (لا يسمع حجة ولا يبصر دليلاً) لا يسمع سمع قبول ولا يبصر دليلاً بنظر الاعتبار والمراد بالحجة الدلائل النقلية والدليل الآيات العقلية الأفاقية والأنفسية لأنها مبصرة والأولى مسموعة وفي قوله بأن أطاعه الخ إشارة إلى أن المراد بجعل هواه إلهه محمول على التشبيه وإنما فسر الإله بالدين لبناء أمر دينه عليه.

---

(١) حيث قال يفيد نفي ما يلزمه.

(٢) ورأى علمية فقوله أفأنت في محل المفعول الثاني أو بصرية فهي مستأنفة والفاء للعطف على محذوف كما أشرنا إليه.

(٣) أي ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه يعبده فالإله هنا مستعار للمطاع المتبع الذي هو الدين.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وإنما قدم المفعول الثاني) وإنما حسن هذا التقديم لقيام القرينة على التقديم إذ لا مساغ لكون الإله مفعولاً أولاً حتى يشتبه الأمر ووجوب تقديم المبتدأ أي إذا كانا معرفتين فيما انتفى القرينة.

قوله: (للعناية به) لأن المراد[1] إنكار اتخاذ الهوى إلهاً لا اتخاذ الإله مطلقاً نظيره قوله تعالى: ﴿أغير الله اتخذ ولياً﴾ [الأنعام: ١٤] فإن المنكر هو اتخاذ غير الله ولياً لا اتخاذ الولي والقول بأن الإله يستحق التعظيم والتقديم ضعيف فإنه في الإله الحق لا الباطل وكون التقديم للحصر يوهم خلاف الصواب.

قوله: (أفأنت تكون) أي أأنت تكون مالكاً لأمره فتكون عليه وكيلاً.

قوله: (حفيظاً تمنعه عن الشرك والمعاصي وحاله هذا) حفيظاً لم يقل متصرفاً أما أولاً فلتعديته بعلى وأما ثانياً فلا يناسب في هذا المقام إذ المعنى أفأنت تكون عليه وكيلاً من قبلنا فيكون بمعنى حفيظاً قوله تمنعه معنى حفيظاً قوله وحاله أي حال من هذا أي الإصرار على الكفر وجعل هواه إلهاً وهذه الحالة تضاد المنع عن الشرك لأن بقاءه عليه محكوم به في الأزل[2].

قوله: (فالاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار) فالاستفهام الأول

قوله: وإنما قدم المفعول الثاني للعناية به يراد أن هواه مفعول أول لاتخذوا المفعول الثاني آلهة وأصل المعنى أرأيت من اتخذ الهوى إلهاً قدم المفعول الثاني للاهتمام لأن قوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ [الفرقان: ٤٣] كلام وارد على طريق الإنكار والإلوهية الهوى ادخل في الإنكار من نفس الهوى قال صاحب الانتصاف وفيه نكتة إفادة الحصر فإن الجملة قبل دخول أرأيت واتخذ مبتدأ وخبر والمبتدأ هواه والخبر إلهه وتقديم الخبر كما علمت يفيد الحصر فكأنه قال أرأيت من لم يتخذ معبوده إلا هواه وذلك أبلغ في ذمه وتوبيخه قال صاحب الكشاف وهو كما تقول علمت منطلقاً زيداً لفضل عنايتك بالمطلق وقال صاحب الفرائد تقديم المفعول الثاني يمكن حيث يمكن تقديم الخبر على المبتدأ والمعرفتان إذا كانتا وقعتا مبتدأ وخبراً فالمقدم هو المبتدأ فقوله كما تقول علمت منطلقاً زيداً ليس بسديد وقال الطيبي رحمه الله لا شك في أن مرتبة المبتدأ التقديم وأن المعرفتين أيهما قدم فهو المبتدأ لكن صاحب المعاني لا يقطع نظره من أصل المعنى فإذا قيل زيد الأسد فالأسد هو المشبه به أصالة ومرتبته التأخير عن المشبه بلا نزاع فإذا جعلته مبتدأ في قولك الأسد زيداً أزلته عن مقره الأصلي للمبالغة وما نعني بالمقدم إلا المزال عن مكانه لا القار فيه فالمشبه به ههنا الإله والمشبه الهوى لأنهم نزلوا هواهم في المتابعة منزلة الاله فقدم المشبه به الأصلي وأوقعه مشبهاً ليؤذن بأن الهوى في باب استحقاق العبادة لها أقوى من الإله تعالى كقوله تعالى: ﴿إنما البيع مثل الربا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولمح صاحب المفتاح إلى هذا المعنى في كتابه.

قوله: والاستفهام الأول للتقرير والتعجيب والثاني للإنكار أي الاستفهام في أرأيت للتقرير

---

(١) ومن غفل عن هذه النكتة الرشيقة واعترض على المص فقد غفل.

(٢) بصرف إرادته الجزئية إليه فلا جبر.

besturdubooks.wordpress.com

وهو الهمزة في أرأيت للتقرير أي لتقرير الرؤية ويتولد منه التعجيب أي من الرؤية المذكورة وفي الحقيقة التعجيب من الاتخاذ المذكور والثاني وهو أفأنت للإنكار أي لإنكار كونه عليه السلام وكيلاً عليه إنكاراً وقوعياً فالمنكر هو الفعل هنا كما في قوله تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس﴾ [يونس: ٩٩] فحينئذٍ يكون هذا كقوله تعالى: ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ [ق: ٤٥][1].

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾

قوله: (بل أتحسب) إشارة إلى أن أم منقطعة ولم يحمل على أم المتصلة إذ المعنى على الترقي من السؤال الأول إلى ما هو أبلغ منه كما أشار إليه بقوله وهو أشد مذمة الخ فالإضراب للانتقال من القبيح إلى الأقبح من حالهم فالاستفهام للإنكار الواقعي وهو الظاهر لأن الجد والسعي البليغ في هدايتهم الحسبان منه عليه السلام ذلك أن أكثرهم يسمعون الحق سماع قبول أو يعقلون الحق بالتدبر في الآيات والمعجزات كلمة أو لمنع الخلو تنبيهاً على أن أحدهما غير متوقع منه فضلاً عن مجموعهما وإلا فلا بد منهما في قبول الهداية وجه كونه أشد مذمة منه هو لكونه سلباً للإحساس والشعور وجعلهم كالحيوان بل كالجماد وضمير أكثرهم راجع إلى من باعتبار معناه وضمير الإفراد في عليه نظراً إلى لفظه تقديم السمع لأنه آلة لتعقل الحق واكتفى به لأنه أكثر نفعاً من البصر.

قوله: (فتجدى لهم الآيات أو الحجج فتهتم بشأنهم وتطمع في إيمانهم وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق الإضراب عنه إليه وتخصيص الأكثر لأنه كان منهم من آمن) لأنه كان منهم من آمن بعد اتخاذ إلهه هواه وفيه دليل على ما ذكرناه فيما مضى من أن هذا عام خص منه البعض أو مخصوص بمن علم الله أنهم يموتون على الكفر وذكر الأكثر هنا دون ما مر للتفنن في البيان وأيضاً لكمال قلته كالمعدوم ولذا جاء الأكثر دون الكثير.

والتعجيب وفي أفأنت للإنكار التقرير هنا بمعنى الحمل على الإقرار والتعجيب بمعنى ايقاع المخاطب في العجب.

قوله: بل اتحسب إشارة إلى أن أم منقطعة بمعنى بل والهمزة.

قوله: وهو أشد مذمة مما قبله حتى حق بالإضراب عنه أي كونهم مسلوبي الاسماع والعقول أشد ذماً لهم من اتخاذهم الهوى إلهاً لأنهم لا يلقون إلى استماع الحق إذناً ولا إلى تدبره عقلاً ويتمادون في الغفلة والضلال.

---

(١) ويروى أن الرجل منهم كان يعبد الحجر فإذا رأى أحسن منه رمى به وأخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس كذا في الكشاف.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ومنهم من عقل الحق) ولم يذكر السمع لما ذكرنا من أنه ذريعة إلى معرفة الحق ونبه أيضاً على المفعول المحذوف.

قوله: (وكابر استكباراً أو خوفاً على الرياسة) فحينئذٍ تعقله كلا تعقل فالأولى الاكتفاء بقوله من آمن.

قوله: (إن هم) الضمير للأكثر إلا كالأنعام مستثنى من عموم الأشياء المشبهة.

قوله: (في عدم انتفاعهم بقرع الآيات إذ إنهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات في عدم انتفاعهم سواء كانوا مستعدين للانتفاع وأضاعوه كما في المشبه أولاً كما في المشبه به وعدم الانتفاع مشترك بينهما ولا يضره الفرق المذكور.

قوله: (من الأنعام لأنها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها وتطلب ما ينفعها وتتجنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه من إساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار ولأنها إن لم تعتقد حقاً ولم تكتسب خيراً لم تعتقد باطلاً ولم تكتسب شراً بخلاف هؤلاء ولأن جهالتها لا تضر بأحد وجهالة هؤلاء تؤدي إلى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولأنها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون أعظم العقاب على تقصيرهم)[١] لأنها أي الانعام تنقاد من يتعهدها أي تطيع من يقوم بعهدة مصالحها كأكلها وسقيها وهذا معروف مشاهد في أخس الحيوان وهو الكلاب فاعتبروا يا أولي الألباب ولقد بالغ في تحميق هؤلاء الكفرة حيث شبه أولاً بالأنعام في عدم إدراك الحق ثم حكم بأنهم أضل سبيلاً من الأنعام من الجهة التي بينها المص ولا مشابهة بينهما من هذه الحيثية وهذا أشد توبيخاً[٢] مما قبله قوله غير متمكنة من طلب الكمال لعدم عقلها الذي هو مدار تمكن طلب الكمال وفي نسخة على طلب الكمال صوابه من طلب الكمال.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾

قوله: (ألم تنظر إلى صنعه)الرؤية هنا بصرية لا قلبية فلا جرم أنه يحتاج إلى تقدير المضاف وفي نسخة إلى صنيعه أي إلى مصنوعه ونسخة صنعه مآلها أيضاً مصنوعه بناء على أنه الحاصل بالمصدر فإنه المرئي لا المعنى النسبي.

قوله: (كيف بسطه) كيف في مثل هذا منسلخ عن الاستفهامية ويكون بمعنى الحال منصوب بمد اخر لصدارته والتقدير مد الظل على أي حال شاءه أو مده على حال غريبة

---

(١) قوله لأنها تنقاد الخ وهذه الأمور ليست من قبيل الضلال فاضل بمعنى الزيادة المطلقة وأما في الوجوه الباقية فيمكن حمله على معنى التفضيل تأمل.
(٢) أشار إلى أن بل للترقي والاضراب عن الأدنى إلى الأقوى.

besturdubooks.wordpress.com

لطيفة والجملة بيان لصنيعه وهذا شروع في بيان بعض أدلة التوحيد إثر بيان إشراك المشركين ووخامة عاقبتهم وبسطه تعريف لفظي لمد.

قوله: (أو ألم تنظر إلى الظل كيف مده ربك) هذا تكلف وقد عرفت أن الصنع بمعنى الحاصل فيكون مرئياً بقرينة صنيعه لا المعنى النسبي حتى يكون معقولاً غير موجود في الخارج إذ ما تعلق الإيجاد هو الحاصل بالمصدر الموجود في الخارج.

قوله: (فغير النظم إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أن ذلك فعل الصانع الحكيم) وهو[1] دلالة حدوثه الضمير المرفوع للبرهان لا للمعقول والضمير المجرور للمعقول[2] وهو المعنى النسبي والظاهر أنه موجود في الخارج مخلوق وقد بين صاحب التوضيح في المقدمة الأولى من المقدمات الأربع أنه غير موجود في الخارج لأنه لو وجد لزم التسلسل المحال فالمراد بالمصادر في مثل هذا الحاصل بالمصدر حتى قالوا في قوله تعالى: ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ [الصافات: ٩٦] أي عملكم على أن ما مصدرية والمصدر بالمعنى الحاصل بالمصدر أي معمولكم قوله لوضوح برهانه علة لقوله كالمشاهد قدم لكونه مورداً بالبرهان قوله على أن ذلك متعلق بالدلالة والمراد بأسباب ممكنة طلوع الشمس وحركتها والأشياء المظللة قوله ممكنة ليس مما لا بد منه وإن أريد بالظل ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس كما سيجيء فالمراد بالأسباب طلوع الفجر والأجرام وقرب الشمس إلى الأفق.

قوله: (كالمشاهد المرئي فكيف[3] بالمحسوس منه) كالمشاهد المرئي خبر لقوله

قوله: أو ألم تنظر إلى الظل عطف على قوله ألم تنظر إلى صنعه قوله فغير النظم إشعاراً بأن المعقول إلى آخره يعني أن في قوله عز من قائل: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] دليلين على وجود الصانع أحدهما محسوس هو الظل والآخر معقول هو مده أي كونه ممدوداً والمحسوس أدل على وجود الصانع تعالى من المعقول فأصل الكلام أي يقال ألم تر إلى الظل كيف مده ربك لكن غير النظم عن أصله وجعل الدليل أمراً معقولاً فقيل: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] إشعاراً بأن المعقول من هذا الكلام المشتمل على المعقول والمحسوس كالمشاهد في وضوح دلالته على موجده وصانعه فكيف الحال بدلالته المحسوس على صانعه أي إذا كان الأمر العقلي المعنوي ظاهر الدلالة على وجود الرب الخالق لكونه حادثاً وممكناً فدلالة الأمر الحسي المعاين عليه أقوى وأظهر قوله ثابتاً من السكنى أو غيره، تلص من السكون فسر ساكناً على وجهين الأول أن يكون من السكنى بمعنى الاستقرار والثبوت فح لا يكون المراد به ما يقابل الحركة وإذا كان من السكون يكون المراد مقابل الحركة وبالمد الحركة لكن على التجوز من حيث إنه سمي انبساط الظل وامتداده تحركاً منه وعدم ذلك سكوناً.

---

(١) فإضافة الدلالة إلى الحدوث من إضافة الصفة إلى الموصوف أي حدوثه الدال الخ فلا تسامح.

(٢) أو الظل والمآل واحد.

(٣) وتصرفه مصدر مجهول فهو زيادته وكماله ونقصانه قوله فكيف بالمحسوس منه وهو الظل نفسه أي فكيف =

besturdubooks.wordpress.com

بأن المعقول ولذا صح تعلق الرؤية به بعد تنزيله منزلة المرئي.

قوله: (أو ألم ينته علمك إلى ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال فإن الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر) أو ألم ينته علمك الخ أي الرؤية قلبية فحينئذٍ لا تغيير في النظم ولا تنزيل المعقول منزلة المرئي قوله ألم ينته إشارة إلى أن تعديته بعلى لتضمينه معنى الانتهاء ولذا لم يقل ألم تعلم مع أنه مراده وهو فيما بين طلوع الشمس والفجر على الوجوه كلها والكلام السابق وهو قوله وهو دلالة حدوثه أي الظل المعقول يلائمه كون الظل عاماً له ولغيره بعد طلوع الشمس وإن قيل في تخصيصه بأنه أطيب الأحوال فإنه يقتضي نعمة جسيمة والكلام في الدلالة والكل سواء في الدلالة وبعض كلامه في قوله وجعلنا الشمس يشعر بالعموم قوله ويبهر البصر أي يغلبه.

قوله: (ولذلك وصف به الجنة فقال ﴿وظل ممدود﴾) لكنه مجاز وفيما نحن فيه الظل حقيقة والاستفهام في ألم تر إنكار للنفي وتقرير للمنفي أي قد رأيت أو قد انتهى علمك.

قوله: (ثابتاً من السكنى) أراد به أن ساكناً من السكنى بمعنى الاستقرار لا من السكون فيكون المعنى مستقراً غير زائل وذلك بإمساك الله تعالى الشمس قرب الأفق عن الطلوع قيل أولاً تذهب وهذا أنسب بما قبله من الامتنان بمد الظل لكن ما ذكرنا هو المناسب لتقرير المص.

قوله: (أو غير متقلص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد) غير متقلص من قلص الظل إذا ارتفع قوله بأن تكون الشمس على وضع واحد فيكون الظل لاصقاً بأصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط وهو معنى غير متقلص فلم ينتفع به ولهذا سمي انبساط الظل وامتداده تحركاً وعدم ذلك سكوناً كذا في الكشاف وهذا يقتضي كون المراد الظل بعد طلوع الشمس واكتفى الزمخشري بكونه من السكون والمص أشار إلى احتمال كون المراد الظل فيما بين طلوع الفجر أولاً والظل من طلوع الشمس ثانياً فعلى الأول يكون من السكنى ومن السكون على الثاني وهو أحسن من مختار الزمخشري.

قوله: (فإنه لا يظهر للحس حتى تطلع فيقع ضوءها على بعض الأجرام) أشار إلى أن

قوله: فإنه لا يظهر أي فإن الظل لا يظهر للحس ما لم تطلع عليه الشمس فيقع ضوؤها على بعض الأجرام كالحائط والشجر وهذا التوجيه مبني على أن يكون الظل أمراً عدمياً حيث قال لا يظهر ولم يقل لا يوجد وقوله أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها مبني على كونه وجودياً فيكون الشمس على الأول سبباً لظهوره وعلى الثاني يكون سبباً لوجوده.

= يشتبه كون المحسوس وهو الظل مشاهداً حتى يبين ويقلل ألم تر أي ألم تنظر إلى الظل أي لا حاجة إليه لظهوره ولذا غير النظم منه إلى ما ذكر.

besturdubooks.wordpress.com

الدليل باعتباره ظهوره في الحس فلولا الشمس لما عرف الظل إذ الأشياء تعرف بأضدادها[1] قوله حتى تطلع يشعر بأن المراد الظل بعد طلوع الشمس خلاف ما تقدم فالدليل أني يفيد العلم.

قوله: (أو لا يوجد ولا يتفاوت إلا بسبب حركتها) لأن وجوده بحركة الشمس إلى الأفق وتفاوته بحركتها من الأفق إلى ما فوقه عادة فلو لم يتحرك الشمس من تحت الأرض لم يوجد الظل مطلقاً أي ما بين طلوع الفجر والشمس وغيره مما بعد طلوع الشمس ولو لم يتحرك فوقها لا يتفاوت الظل مع أنه متحقق فالدليل حينئذٍ بمعنى العلة المقتضية له عادة لا بمعنى يفيد العلم وهو بهذا المعنى غير متعارف[2] ولذا أخره توضيح هذا المقام إن الظل هو الضوء الحاصل في الجسم من مقابلة المضيء لغيره كالضوء الحاصل على وجه الأرض حال الأسفار وعقيب الغروب فإنه مستفاد من الهواء المضيء لغيره وهو الشمس وهذا الظل يعرف بطلوع الشمس في الأول وبغروبها في الثاني وكالضوء الحاصل في أفنية الجدار والأشجار وفي البيوت وهو الحاصل من الهواء المضيء لغيره وهذا الظل يوجد بتحقق طلوع الشمس ويتفاوت طولاً وقصراً بحركة الشمس فوق الأفق والتفاوت مختص بهذا الظل ولهذا الظل تفاوت في الشدة والضعف فإن الحاصل في أفنية الجدار أقوى من الآخرين ولم يتعرض المص لهذا التفاوت لأن هذا التفاوت موجود في الأول وهو الظل الحاصل حال الأسفار وعقيب الغروب وأيضاً هذا التفاوت ليس بتحرك الشمس فوق الأفق وعلم من هذا البيان أن مراد المص بقوله وهو فيما بين طلوع الشمس والفجر الظل حال الأسفار لا مطلقاً ولم يذكر ما هو عقيب الغروب اكتفاء بذكره حال الأسفار.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَـٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه) أو بإيقاع الظلمة موقعه ولم يتعرضه لعدم تعرضه الظل بعد الغروب.

قوله: (لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن إزالته بالقبض إلى نفسه)

قوله: أزلناه فسر القبض بالإزالة لكونها لازمة للقبض فهو تفسير باللازم فيكون القبض في معنى الإزالة من باب المجاز المرسل.

قوله: لما عبر عن إحداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن إزالته بالقبض النشر بمعنى البسط ضد القبض ففي ذكر القبض بعد ذكر المد رعاية معنى المقابلة والتضاد وهو من محسنات الكلام يعني لما غير عن إحداثه بالمد بمعنى النشر عبر عن إزالته بالقبض رعاية لتناسب التضاد وزيادة لحسن الكلام وكذا في ذكر السكون في مقابلة المد الذي بمعنى التحريك رعاية صنعة

---

(١) ولولا النور لما عرفت الظلمة.

(٢) إلا أن يقال إنه تشبيه بليغ أي جعل الشمس كدليل في الاستتباع واللزوم سيجيء الإشارة إليه في الدرس الآتي.

besturdubooks.wordpress.com

لما عبر عن إحداثه أي عن إحداث الظل بالمد بمعنى التسيير وفي نسخة النشر وهو أنسب بالقبض.

قوله: (الذي هو بمعنى الكف) أي الجمع من كف أطراف ثوبه إذا جمعه وليس الكف بمعنى الترك والقبض جمع المنبسط من الشيء ومعنى ثم قبضناه إلينا أي إلى حيث أردنا وهذا أصل معناه ثم استعمل هنا في معنى الإزالة والإفناء بالكلية لما ذكره من قوله لما عبر عن إحداثه الخ وهذا هو الداعي إلى المجاز وأما العلاقة فلأن القبض إزالة الانبساط فأريد به مطلق الإزالة ثم إزالة الظل أو بطريق الاستعارة[١].

قوله: (قليلاً قليلاً حسبما ترتفع الشمس) هذا بقرينة الواقع وإلا فلا يدل اللفظ على التدريج كقوله تعالى: ﴿ذلك حشر علينا يسير﴾ [ق: ٤٤].

قوله: (لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق) لينظم بذلك مصالح الكون إذ الظل أطيب الأحوال ونيط به وقت الصلاة واستراحة العباد وغير ذلك وطلوع الشمس نيط به مصالح المعاش ففي مجموع ذلك منافع شتى تعرف بالتأمل الأحرى.

قوله: (وثم في الموضعين لتفاضل الأمور[٢] أي ثم) هنا للتراخي الرتبي لا للزماني

المقابلة فالمد لتضمنه معنى ابسط يقابل القبض ولتضمنه معنى التحريك يقابل السكون.

قوله: قليلاً قليلاً حسب ما يرتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون قال صاحب الكشاف ومعنى كون الشمس دليلاً أن الناس يستدلون بالشمس وبأحوالها في ميسرها على أحوال الظل من كونه ثابتاً في مكان وزائلاً ومتسعاً ومتقلصاً فيبنون حاجتهم إلى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقال وفي هذا القبض اليسير شيئاً فشيئاً من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت منافع الناس بالظل والشمس جميعاً إلى هنا كلامه ومن تلك المنافع معرفة أوقات الصلاة ومعرفة الساعات والأوقات التي ينوط بها أكثر أمور المعاش والمعاد ومنها أن في التدرج الاستئناس وفي الفجاءة التوحش قال محيي السنة في المعالم والقبض جمع المبسط من الشيء معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزء فجزء قبضاً يسيراً أي خفياً.

قوله: وثم في الموضعين لتفاضل الأمور أي لتفاضل الأمور الثلاثة التي هي مد الظل وجعل الشمس دليلاً عليه وقبضه إليه يعني ثم ههنا استعارة تبعية شبه بعد المرتبة بالبعد الزماني فاستعير للمشبه لفظة ثم ومعنى تفاضل هذه الأمور مرتبة إن قبض الظل على مهل وتدريج صنع عجيب وأمر غريب ينوط به منافع لا تحصى على ما ذكر فهو أعلى مرتبة من جعل الشمس عليه دليلاً

---

(١) شبه إزالة الظل بإزالة الانبساط.

(٢) وفي الكشاف والثاني أعظم من الأول والثالث أعظم منهما فيكون الترقي من الأدنى إلى الأعلى وبعض المحشين جوز عكسه أيضاً وما ذكر في أصل الحاشية بناء على أنه من الأدنى إلى الأعلى في الموضع الأول ومن الأدنى إلى الأعلى في الموضع الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

استعارة تشبيهاً للتباعد الرتبي بالتباعد الزماني إذ طلوع الشمس لا شك أنه لما نيط به من مصالح المعاش أنفع من الظل وإن كان أطيب الأحوال فيكون من الأدنى إلى الأعلى والقبض وهو إزالة الظل أدنى من وقت الطلوع ووقت الشعاع وليس فيه تراخ زماني.

قوله: (أو لتفاضل مبادىء أوقات ظهورها) والتراخي على هذا زماني فإن ابتداء زمان طلوع الشمس متراخ عن ابتداء وقت مد الظل وكذا ابتداء وقت ظهور قبض الظل متراخ عن ابتداء وقت الطلوع فإن القبض لا يظهر ما لم يرتفع الشمس مقداراً ما فالتراخي الزماني باعتبار الابتداء وأما باعتبار الانتهاء فلا ولو جاء بالفاء لحسن نظيره إنزال الماء[1] من السماء وإنبات النبات لكن حينئذٍ الأولى أو لتراخي مبادىء أوقات الظهور إذ التفاضل يناسب التراخي الرتبي وهذا الوجه لم يتعرض له صاحب الكشاف.

قوله: (وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الأرض تحتها فألقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلاً أي مسلطاً عليه مستتبعاً إياه) وقيل قائله الزمخشري ولتكلفه لم يرض به المص وأيضاً يفوت حينئذٍ أكثر اللطائف التي متحققة في الأول ودحا الأرض لم يقل وخلق الأرض للإشارة إلى أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء لكن دحوها متأخر عنه فألقت عليها ظلها فيه مسامحة لأنه لا ظل في ذلك الوقت كما عرفت آنفاً من أنه عبارة عن الضوء فالظاهر ظلمتها[2] كما يشاهد الآن قوله ثابتاً أشار إلى أن ساكناً من السكنى قوله: ثم خلق الشمس حمل جعل على خلق قوله أي مسلطاً الخ جعل الدليل مجازاً فيما ذكره ولا يخفى ضعفه ولذا زيفه.

قوله: (كما يستتبع الدليل المدلول) يعني الدليل ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والاستتباع في كلامه بمعنى اللزوم[3] قوله كما يستتبع الدليل الخ بناء على أنه استعارة وقيل يعني أن الشمس مسلطة عليه أي على الظل بإيجاده وإعدامه ودليلاً عليه لإظهاره فحينئذٍ يكون دليلاً على حقيقته فلا وجه لقوله كما يستتبع الدليل الخ تذكير مسلطاً باعتبار الدليل

وجعل الشمس دليلاً عليه أعلى منزلة من مد الظل لعلو رتبة الإشراق على رتبة الظل المشوب بالظلام وليس المعنى أن الله تعالى بعد ذلك المد بزمان متراخ جعل الشمس عليه دليلاً فيجب الحمل على المجاز وكذلك ثم قبضناه إلينا.

قوله: وقيل مد الظل حين بنى السماء بلا نير أي مد الله الظل حين بنى السماء بلا كوكب نير هذا بيان لوجه تفاضل مبادىء أوقات تلك الأمور الثلاثة فعلى هذا يكون استعمال ثم على حقيقته وهي التراخي في الزمان.

---

(١) ولهذا جاء في موضع أنزل من السماء ماء فأنبت الخ وفي موضع آخر جاء بثم.

(٢) فحينئذٍ يراد بالظل في النظم الكريم الظلمة ولا يخفى ضعفه مع عدم ملائمة ما بعده.

(٣) والعلاقة اللزوم فذكر الدليل وأريد المشبه وهو علية الشمس في الخارج أو المراد أنه تشبيه بليغ أي جعل الشمس كدليل في الاستتباع واللزوم.

besturdubooks.wordpress.com

وضمير عليه وإياه راجع إلى الظل بطريق الاستخدام لأن الظل الذي تكون الشمس مسلطة عليه بإيجاده وإعدامه كما اختاره البعض غير الظل الذي أريد بظاهره.

قوله: (أو دليلاً لطريق من يهديه فإنه يتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها) أو دليلاً لطريق من يهديه معطوف على مسلطاً واللام متعلق به والدليل بمعناه العرفي ومن الموصولة أو الموصوفة قيل إنها عبارة عن الظل وضمير يهديه للشمس وفي بعض النسخ دليل الطريق بالإضافة عطف على فاعل يستتبع ومن يهديه عطف على مفعوله قوله يتفاوت بحركتها استئناف لبيان الاستتباع المذكور أي بتفاوت الظل طولاً وقصراً بحركة الشمس ويتحول ذلك الظل بتحول الشمس فإذا تحول الشمس من جانب المشرق إلى المغرب تحول الظل من المغرب إلى المشرق لكن المداول يتحرك على وفق الدليل فلا يضر هذه المخالفة في التشبيه بدليل الطريق وهذه النسخة الأخيرة هي الصواب الموافقة لتقرير الكشاف حيث قال أي سلطها ونصبها دليلاً متبوعاً له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويقلص وغير المص عبارته بما هو أخفى منه قال الإمام فمقدار ما يزداد أحدهما ينتقص الآخر وكما أن المهتدي يقتدي بالهادي والدليل ويلازمه فكذا الإظلال مقتدية وملازمة للأضواء ولهذا جعل الشمس دليلاً عليها.

قوله: (ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي غاية نقصانه) ثم قبضناه الأولى أن يقال فيما مر ثم خلقنا الشمس عليه دليلاً قوله شيئاً فشيئاً أي قليلاً قليلاً كما مر لكنه تفنن هنا أي أن يسيراً بمعنى التدريج لأن المعنى متدرجاً إلى حيث أردناه بقرينة الواقع والظاهر أنه مجاز فيه إذ التدريج يستلزم اليسر إلى أن ينتهي غاية نقصانه وهو في وقت الزوال أو إلى أن يزول ذلك الظل.

قوله: (أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلة والمظل عليها) أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة وهذا هو الملائم لقوله إلينا لكن اخره لأن المقام الاستدلال على الوحدانية وبيان النعمة الجسيمة وهذا المعنى لا يلائمه فعلى هذا التعبير بالماضي لتحقق وقوعه وأما على الأول فالماضي لتغليب الموجود على المعدوم أو لتنزيل منتظر الوقوع كالواقع قوله بقبض أسبابه أي بإعدامها[١] كما أن إحداثه بإيجاد أسبابه من الأجرام المظلة وهي الأفلاك والمظل عليها وهي الأرض ويكفي الأول في المقصود.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾

قوله: (وهو الذي جعل الليل[٢] لباساً) تشبيه بليغ أي كاللباس كما قال شبه ظلامه الخ وفي هذا تنبيه على أن الليل عبارة عن زمان فيه ظلام.

قوله: (شبه ظلامه باللباس في ستره) بيان وجه الشبه وإن اختلف جهة الستر.

---

(١) إذ إعدام الأجرام المظلة يكفي في إعدام الاظلال.

(٢) فيه التفات من التكلم إلى الغيبة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (راحة للأبدان بقطع المشاغل وأصل السبت القطع) وهذا بقطع الإحساس والحركة وأصل السبت أي معناه اللغوي القطع أي قطع الشعر ونحوه فالقطع حسي وإنما سمي النوم سبتاً أي قطعاً لقطع النائم عن المشاغل والإحساس فلا إشكال بأن السبات هو النوم فيكون المعنى وجعل النوم نوماً فما الفائدة في هذا الكلام فإن المراد بالسبات أصل معناه.

قوله: (أو موتاً[1] كقوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام: ٦٠]) أو موتاً فهذا جواب آخر للإشكال المذكور ثم أيده بقوله تعالى: ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ [الأنعام: ٦٠].

قوله: (لأنه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت) لأنه قطع الحياة إشارة إلى وجه صحة إطلاق السبات على الموت ويرد عليه أنه إن أراد أنه أي النوم قطع الحياة أي الروح فغير مسلم وإن أراد أنه قطع الحواس وإثر الحياة فمسلم لكن لا يفيد لأنه ليس موتاً حقيقة فيعود الإشكال المذكور إلا أن يقال إن المعنى والنوم نوماً نوعاً من الموت وهو الذي ينقطع ولا يدوم كما قيل أو من قبيل[2] شعري شعري.

قوله: (ذا نشور أي انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش) ذا نشور بتقدير المضاف إذ بدونه لا يصح الحمل على النهار إلا على وجه المبالغة قوله أي انتشار إشارة إلى رد ما في الكشاف من أن مقابلة جعل النوم سباتاً بالنشور يرجح المعنى الثاني فأشار إلى أن النشور بمعنى الانتشار للمعاش بقرينة قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبأ: ٧٨] فهو مقابل لسكون الراحة.

قوله: (أو بعث من النوم بعث الأموات) عطف على انتشار ناظر إلى كون المعنى

قوله: راحة للأبدان فسر صاحب الكشاف السبات بالموت بقرينة مقابله وهو النشور حيث قال النشور في مقابلته يأبى تفسيره بالراحة اباء العيوف الورد وهو مرنق يعني قوله نشوراً يمتنع عن تفسير السبات بالنوم الذي هو الراحة لعدم التقابل بينهما امتناع ناقة تشم الماء فتكرهه وتدعه وهو مرنق أي وذلك الورد أي الشرب مكدر غير صاف وحاصل معنى كلام الكشاف أنه إن فسر السبات بالراحة يفوت معنى المقابلة بينه وبين النشور الذي هو بمعنى الحياة لأن الراحة لا يقابل الحياة بل يلائمه ويفهم من تشبيه السبات بالماء المكدر الذي تشمه الناقة لتشرب ثم تعافه وتكرهه والنشور بالناقة التي تريد أن تشرب منه فتشمه ثم تعافه وتتركه أن للسبات صلاحية في الجملة لأن يفسر بالراحة بأن يحمل النشور على معنى انتشار الناس في النهار لإتعاب نفوسهم في أمر المعاش المقابل للراحة فنظر القاضي رحمه الله إلى تلك الصلاحية فجوز تفسير السبات بالراحة لكن سقي الناقة ماء الشرب الذي عافته حيث ارتكب أمراً مرجوحاً لأن معنى المقابلة ليس في المعنى المطابقي بل هو في لازم المعنى على أن حمل النشور على انتشار الناس بعيد لأنه خلاف الظاهر.

---

(١) أي كالموت تشبيه بليغ كاللباس فلا يعود الإشكال المذكور.

(٢) أي وجعل النوم نوماً عرفت حاله من إزاحة الكلال وإزالة الملال.

besturdubooks.wordpress.com

والنوم سباتاً أو موتاً ولذا قال بعث الأموات فإن النوم لما جعل كالموت والقيام من النوم في النهار جعل كالبعث.

قوله: (فيكون إشارة إلى أن النوم واليقظة أنموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر) فيكون الخ تفريع على المعنى الثاني وجه الإشارة هو أنه لما جعل النوم موتاً أي كالموت واليقظة شبه ببعث الأموات كان الإشارة إلى ما ذكره واضحاً واليقظة بالفتحات وسكون القاف في بعض المواضع لضرورة الشعر وأنموذج ويقال نموذج معرب نمونه وما ذكره من لقمان تأييد لتشبيه النوم بالموت واليقظة بالنشور أي البعث لكن لا حاجة إليه لأن نص القرآن ناطق بذلك التشبيه وأيضاً في كلام لقمان شبه الموت والنشر بالنوم واليقظة لأنهما ظاهران لنا وفي العكس لأن الموت والبعث أقوى منهما ولم يجيء والنهار نشوراً تنبيهاً على كونه نعمة جسيمة على الاستقلال بخلاف النوم فإنه في الليل غالباً ولكون الليل مقدماً في الوجود قدم في الذكر ولكون النوم فيه ذكر عقيبه.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾

قوله: (وقرأ ابن كثير على التوحيد إرادة للجنس) فيكون شاملاً للقليل والكثير والمراد هنا الكثير بقرينة قراءة الجمع[1] فيوافق قراءة الجمهور فقوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً يوافق هذه القراءة أيضاً ولا يخالفه القول بأن الريح حيث أريد بها ما لا يضر جمعت وفي عكسه تفرد لأنه عند عدم قيام القرينة على إرادة الجمع كما هنا لما ذكرنا ولأن اللام للاستغراق حيث لا قرينة على العهد على أن الظاهر هذا القول في المنكر كما يشهد به الاستقراء مثل ريح عاصف وريح صرصر ومثل قوله تعالى: ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] نادر استعماله والتحقيق أن ذلك موكول على القرينة وعدمه.

قوله: (ناشرات للسحاب)[2] أشار به إلى أن نشراً حال وكذا إذا كان مصدراً وقع حالاً لكونه مأولاً بالمشتق وما سبق[3] وجهه بتقدير ذا وهنا بتأويله بالمشتق بطريق الاحتباك وكلاهما جار في الموضعين وإنما أفرد لكونه مصدراً.

قوله: (جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائي به وبفتح

قوله: جمع نشور هو بفتح النون على وزن فعول بمعنى فاعل قوله وحمزة والكسائي به

---

(١) فإن الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقة كذا قاله في سورة الأعراف ولعل هذا التخصيص بالرواية لا بطريق الحس كما قيل فإنه بعيد.

(٢) النشر بمعنى الجمع لا بمعنى التقرير.

(٣) من قوله نشوراً فإنه مصدر وجهه بتقدير ذا.

besturdubooks.wordpress.com

النون على أنه مصدر وصف به) جمع نشور كرسل جمع رسول قوله على التخفيف أي أصله بضم العين فجعل ساكناً للتخفيف قوله به أي بالسكون وبفتح الشين على أنه مصدر الخ وحال قد سبق بيانه.

قوله: (وعاصم بشراً بتخفيف بشر جمع بشور بمعنى مبشر) بشراً بتخفيف بشر بضم الباء والشين جمع بشور على وزن فعول.

قوله: (يعني قدام المطر) أي بين يدي كناية عن القدام وإن لم يكن له يد ومضاف إلى رحمته والمراد بها المطر فإنه من جملة إفراد الرحمة والإنعام فهي حقيقة فيه وإن أريد بها بخصوصه فهي مجاز[1] فيه.

قوله: (﴿وأنزلنا من السماء﴾ [المؤمنون: ١٨]) أي من السحاب أو من الفلك فمن ابتدائية.

قوله: (مطهراً لقوله تعالى: ﴿ليطهركم﴾ [المائدة: ٦]) مطهراً يعني صيغة فعول هنا بمعنى التفعيل لكن قال صاحب الكشاف وبين يدي رحمته استعارة مليحة أي قدام المطر طهوراً بليغاً في طهارته فإذا كان بليغاً في طهارته كان مطهراً فمراد المص بيان حاصل المعنى وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء كما في الكشاف.

قوله: (وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به) وهو اسم لما يتطهر به الخ[2] وهذا يحتمل أن يكون إشارة إلى وجه آخر وهو أن الطهور[3] اسم لما يتطهر به فيكون اسماً لا صفة ويحتمل[4] أن يكون إشارة إلى وجه تفسير طهور بمطهر وهو

وبفتح النون أي قرأ بسكون الشين وفتح النون على أنه مصدر وصف به والمراد الصفة المعنوية لا النعت النحوي وإلا فهو حال لا صفة بمعنى النعت قوله جمع بشور هو بفتح الباء فعول بمعنى مبشر.

قوله: مظهراً لقوله: ﴿ليطهركم﴾ [الأنفال: ١١] وفي الكشاف وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في تفسير مطهراً لغيره فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً ويعضده قوله تعالى: ﴿وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾ [الأنفال: ١١] وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به وتوقد به النار وقولهم تطهرت طهوراً حسناً كقولك وضوء حسناً ذكر سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة إلا بطهور أي بطهارة.

---

(١) إذ العام إذا استعمل في فرد خاص يحتمل أن يكون حقيقة أو مجازاً كما أشرنا إليه.

(٢) أشار به إلى أن إطلاق المطهر على الماء مجاز عقلي.

(٣) فيكون الواو بمعنى أو.

(٤) فيكون الواو على معناه.

besturdubooks.wordpress.com

أنه اسم لما يتطهر به وحاصله كونه بمعنى مطهراً لكن قال الزمخشري والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالأحسن حمل كلام المص على وجهين كما أشار إليه بقوله وقيل بليغاً في الطهارة نقل عن الأزهري في كتاب الزواهر فعول له معان مختلفة منها أنه اسم آلة لما يفعل به الشيء كغسول ووضوء ويكون صفة بمعنى فاعل أو مفعول واسماً مثل كذوب ومصدراً لكنه قليل انتهى واسم الآلة اسم ما يكون واسطة في وصول فعل الفاعل إلى المفعول وكون غسول ووضوء كذلك محل تأمل ولعل لهذا قال المص اسم لما يتطهر به.

قوله: (قال عليه السلام التراب طهور المؤمن طهور إناء أحدكم إذا ولغ الكلب فيه أن يغسل سبعاً إحداهن بالتراب) قوله عليه السلام التراب الحديث هذا الحديث الأول في السنن وقوله عليه السلام طهور إناء أحدكم الحديث وهذا في مسلم أورد هذين الحديثين لدلالتهما على أن طهوراً ورد بهذا المعنى ولغ بمعنى أدخل لسانه فيه ليشرب ما فيه والغسل سبعاً الخ مذهب الشافعي وتفصيله في كتب الفقه.

قوله: (وقيل بليغاً في الطهارة) قائله صاحب الكشاف وقال بعده وعن أحمد بن يحيى هو ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره فإن كان ما قاله شرحاً لبلاغته في الطهارة كان سديداً وإلا فليس فعول من التفعيل في شيء يريد أنه لما كان الماء بليغاً في الطهارة بحيث لم يخالطه شيء آخر يذهب المبالغة في الطهارة كالماء المستعمل فإنه طاهر لكن لما كان مستعملاً بإزالة الحدث زال المبالغة في الطهارة وبقي أصل الطهارة على الصحيح وكذا الماء المخلوط بالشيء مع غلبة ذلك الشيء فإنه طاهر وليس بمطهر ومراد العلامة الزمخشري بما ذكره أنه لازم معنى البليغ في الطهارة لا أن اللازم صار متعدياً ولا أن المبالغة في الطهارة تعلقه بالغير حتى يقال بأن إفادة المبالغة تعلقت بالغير لا يساعده اللغة ولا العرف وتفسير اللفظ بلازم معناه شائع في المحاورات وفي التعبيرات ولم ينكر العلامة كون الطهور اسماً لما يتطهر به بل صرح بأن الطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة ثم أشار إلى أنه إذا اعتبر صفة يكون المراد لازم معناه كما عرفته بقرينة قوله تعالى: ﴿ليطهركم به﴾ [الأنفال: ١١] فيكون في المآل مثل كونه اسماً فمن قال إن الطهور بمعنى المطهر عند أهل اللغة كما ذكره الأزهري وغيره من الثقات لا لأنه من التفعيل كما ظنه الزمخشري بل لأنه آلة الطهارة كالفطور لما يفطر به فقد أساء في الأدب وذهل عن مراد العلامة.

قوله: (وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث وللمصدر

قوله: وفعول وإن غلب في المعنيين لكنه قد جاء للمفعول أي صيغة فعول وإن غلب استعمالها في معنى مفعل وفي معنى مبالغ في الفعل لكنه قد جاء بمعنى مفعول كالصبوب بالصاد الغير المعجمة بمعنى المصبوب أي المسكوب وبالضاد المعجمة الحلوب بمعنى المحلوب من

besturdubooks.wordpress.com

كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به إشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده) وإن غلب في المعنيين أي كونه اسماً لما يتطهر به كوضوء وكونه للمبالغة كأكول وطهور يحتملهما والضبوث[١] بالضاد المعجمة والباء الموحدة وثاء مثلثة من ضبثه إذا جبسه بيده والمراد ناقة تجس باليد للشك في سمنها أو للمصدر[٢] كالقبول وهو قليل جداً وللاسم أي للاسم الجامد وما سبق اسم بمعنى المشتق أو اسم آله كالذنوب وهو الدلو المملوءة أو القريبة من الملأ وفي قوله تعالى: ﴿فإن للذين ظلموا ذنوباً﴾ [الذاريات: ٥٩] بمعنى نصيباً من العذاب مجازاً.

قوله: **(فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما خالطه ما يزيل طهوريته)** وهذا يؤيد ما ذكرناه من أن البليغ في الطهارة يلزمها المطهرية ومن فسر الطهور به أراد به لازم معناه وأن ما خالطه ما يزيل طهوريته طاهر أيضاً لكنه ليس بمطهر فالطهارة كلي مشكك.

قوله: (وتنبيهاً على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أولى) مما ينبغي أن يطهروها بنية التقرب إلى الله تعالى فبواطنهم بالتطهر أولى لأنه منظر الملك المولى فيعلم ذلك من النص بدلالة النص فإنه أزيد في القربة[٣].

قوله تعالى: ﴿لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾﴾

قوله: **(بالنبات وتذكير ميتاً لأن البلدة في معنى البلد)** بالنبات فالمراد بالبلدة مطلق[٤] الأرض قوله بالنبات تفسير للاحياء به فإن المراد بالاحياء تهييج القوى النامية في

قولهم يضب فلان ناقته أي يحلبها بخمس أصابع قوله كالذنوب بفتح الذال يجيء بمعنى النصيب وبمعنى الدلو الملآن ماء وبمعنى الفرس الطويل الذنب وبمعنى لحم أسفل المتن قوله وأنفع ما خالطه يحتمل أن يراد بالمجرور بمن وهو لفظ ما الماء أي وانفع من ماء خالطه ما يزيل طهوريته وأن يراد به ما الموصولة وعلى تقدير الموصولية يراد به الماء أيضاً لأن الماء من مشمولات معناها قوله لأن البلدة في معنى البلد أي لم يقل ميتة لأن معنى البلد والبلدة واحد قوله وأنه غير جار على الفعل أي الميت ليس على وزن الفعل فيكون ملحقاً بالأسماء كالذبيحة والنطيحة فلا يلزم أن يطابق موصوفه.

قوله: وتنبيهاً على أن ظواهرهم لما كانت مما ينبغي أن يطهروها فبواطنهم بذلك أي بالتطهير أولى ومنشأه معنى تتميم المنة والتنبيه المذكور جعل الأحياء والسقي علة غائية لإنزال الماء الطهور فإنه لما كان سقي الأناسي من جملة ما أنزل لأجله الماء وصفه بالطهور إكراماً لهم وتتميماً للمنة عليهم وبياناً أن من حقهم حين أراد الله لهم الطهارة أن يختاروا الطهارة في بواطنهم ثم في ظواهرهم وأن يرفعوا أنفسهم عن القاذورات كما رفعهم ربهم.

---

(١) وفي نسخة صبوب بمعنى المصبوب.

(٢) فيكون فعول مشتركاً بين هذه المعاني اشتراكاً لفظياً.

(٣) وإن لم يلاحظ القربة فدلالة النص على ذلك محل نظر.

(٤) وأما إرادة المعنى المتعارف فبعيدة.

besturdubooks.wordpress.com
الأرض وإحداث نضارتها بأنواع النبات فهذا التهييج شبه بالاحياء وهو إعطاء الحياة في مطلق إحداث النضارة فذكر اسم المشبه به وأريد المشبه فقوله لنحيي به استعارة تبعية[1] وصيغة التعظيم للتنبيه على فخامة ذلك الاحياء الباء للسببية وباء بالنبات للملابسة فلا محذور في تعلقه بنحيي.

قوله: (ولأنه غير جار على الفعل كسائر أبنية المبالغة فأجري مجرى الجامد) ولأنه غير جار على الفعل أي لا يعمل عمل فعله لعدم مشابهته بالمضارع في الحركات والسكنات فلما لم يعمل لم يكن الضمير مستتراً فيه حتى يكون مؤنثاً لتأنيث مرجعه وإلى ذلك أشار بقوله فأجري مجرى الجوامد قوله كسائر أبنية المبالغة أي كعدم جريانها على الفعل.

قوله: (يعني أهل البوادي الذي يعيشون بالحيا) بقرينة كثيراً خصص الأناسي بالبعض وإن كثيراً بمقابلة القليل قوله يعيشون بالحيا بالقصر أي المطر إشارة إلى القرينة على إرادة أهل البادية بخصوصها ولا ريب أن غير أهل البادية أكثر فالكثير بمعنى مقابلة القليل.

قوله: (ولذلك نكر الانعام والأناسي) يعني أن التنكير للنوع أي نوع من الأناسي وهم سكان البوادي وأنعامهم وكذا تنكير بلدة للنوع يراد به بلدة هؤلاء كما في الكشاف ولم يصرح به المص بل أشار إليه بعض كلامه.

قوله: (وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع فيهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقيا[2] السماء) وتخصيصهم الخ لما كان المراد سكان البادية وأنعامهم بالقرينة المذكورة حاول وجه التخصيص قوله فيهم خبر مقدم وبما حولهم عطف عليه غنية مبتدأ مؤخر.

قوله: ولذلك نكر الأنعام والأناسي أي ولكون المراد بالأناسي بعضاً من الإنسان نكر الأنعام والأناسي ليدل التنكير على أن المستقي بماء السماء بعض الأنعام وبعض الأناسي وهو أهل الوبر فيكون التنكير للإفراد النوعي ولا ينافي التنكير المفيد للقليل وصف الأناسي بالكثرة لأنهم وإن كانوا بعضاً من الناس لكنهم كثير.

قوله: وتخصيصهم لأن أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار الخ يعني أن تخصيص أهل البوادي والأخبية بالذكر لأنهم وأنعامهم أحوج إلى ماء السماء من أهل المدن وتخصيص الأنعام أيضاً لشدة احتياجهم إلى ماء السماء لأنهم لا تبعدون لطلب الماء وفي البوادي لا يوجد إلا الأنهار والعيون غالباً فتضطر إلى ماء السماء وكذا تخصيص الأنعام بالذكر لكونها انفع وأعظم قدراً عند أهلها لأن أكثر منافعهم وعلية معايشهم منوطة بالأنعام كما قدم عليها أي على الأنعام أحياء الأرض حيث قيل ﴿لنحيي به بلدة ميتاً﴾ لكون إحياء الأرض سبباً لحياة تلك الأنعام.

---

(١) وكذا شبه انتفاء القوى النامية بالموت فاستعير الميت له.

(٢) بضم السين بمعنى السقي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وسائر الحيوانات تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالباً) وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور الخ وهذا بيان وجه تخصيص الأنعام من بين الحيوانات بالذكر بعد بيان وجه تخصيص أنعام أهل البادية بالذكر تبعد في طلب الماء كذا في الكشاف ولا يظهر وجهه لأنها تحتاج إلى الشرب قوله فلا يعوزها أي لا يحوجها الشرب غالباً أي إلى المطر فحينئذٍ يظهر وجهه وإن لم يقدر المطر فلا يدري وجهه.

قوله: (مع أن مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظيم القدرة فهو لتعداد أنواع النعمة والأنعام قنية الإنسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الأرض فإنه سبب لحياتها وتعيشها وقرىء نسقيه بالفتح)[1] مع أن مساق هذه الآيات أي من قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك﴾ [الفرقان: ٤٥] الآية إلى هنا هذا وجه آخر لتخصيص الأنعام بالذكر على عظيم القدرة وعلى الوحدة بل هذا هو الأنسب لما قبلها قوله قنية الإنسان بكسر القاف وضمها ما يقتنيه[2] لنفسه وعلية معاشهم بضم العين وسكون اللام جمع على كصبية وصبي والعلي هنا بمعنى أكثرهم لا بمعنى الشريف وهذا الوجه أحسن ولذا أدخل لفظة مع عليه.

قوله: (وسقى وأسقى لغتان) أي بمعنى كقوله تعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ [الإنسان: ٢١] وقوله: ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ [المرسلات: ٢٧].

قوله: (وقيل أسقاه جعل له سقياً) وقيل فرق بينهما فقال أسقاه جعل له سقياً أي بمعنى تهيأ له وأعده ومعنى السقي أوصله إلى ما يشربه وهو متقارب لمعنى التهييء.

قوله: (وأناسي بحذف الياء وهو جمع إنسي أو إنسان كظرابى في ظربان على أن أصله أناسين فقلبت النون ياء) وأناسي أي وقرىء أناسي بحذف ياء أفاعيل فصار وزنه أفاعل وهو جمع إنسي على القياس ككرسي وكراسي أو جمع إنسان فحينئذٍ يكون أصله أناسين فقلبت النون ياء على خلاف القياس فأدغمت ولهذا أخره كظرابى في ظربان بكسر الظاء وسكون الراء المهملة وباء موحدة دويبة منتنة الريح وتجمع على ظرابي بتشديد الباء أصله ضرابين قيل وكون أناسي جمع إنسان مذهب سيبويه وكونه جمع إنسي قول الفراء والمبرد والزجاج وأورد عليه في الدر المصون أن فعالي إنما يكون جمعاً لما فيه ياء مشددة إذا لم تكن للنسب ككرسي وكراسي وما فيه ياء النسب يجمع على أفاعلة كأرزقي وارازقة

قوله: كظرابى في ظربان الظربان بكسر الظاء مثل القطران أن بكسر القاف دويبة كالهرة منتنة الريح تزعم الاعراب أنها تفسو في ثوب أحدهم إذا صاده فلا تذهب رائحته حتى يبلى الثوب وفي المثل فسا بينهم الظربان إذا تقاطع القوم وربما جمعوه على ظرابى كأنه جمع ظرباء كذا في الصحاح.

---

(١) بفتح النون من الثلاثي.
(٢) أي ما اكتسبه الإنسان لنفسه لا للتجارة.

besturdubooks.wordpress.com

وكون ياء إنسي ليست للنسب بعيد فحقه أن يجمع على أناسية وقال في التسهيل إنه أكثري فلا يرد ما ذكر انتهى وعن هذا اختار كونه جمع إنسي[١] لأن في الثاني تكلفاً ولم يذكر فائدة توصيف الماء بالطهور مع أن إحياء الأرض وسقي الأنعام بالماء ولو غير طهور لإشارته فيما سلف بقوله وتتميم للمنة فيما بعده فإن الماء الطهور أهنأ الخ أو لم يجمع كثيراً لأن فعيلاً يستوي فيه الواحد والجمع صرح به في سورة الملك والظاهر أنه وصف للأناسي وقيل وصف لهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

قوله: (صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب) المفهوم من السوق وهو جعل الليل لباساً إلى هنا فمرجع الضمير مذكور حكماً والتصريف التكرير وسائر الكتب إشارة إلى أن التصريف والتكرير على وجوه ولغات مختلفة بين الناس الأولى بين الأناسي.

قوله: (أو المطر بينهم في البلدان المختلفة والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما) أو المطر أي ضمير صرفناه راجع إلى المطر المذكور فيما قبله برحمته فمرجع الضمير مذكور[٢] لفظاً أو راجع إلى الماء في قوله ماء طهوراً وتصريفه تحويل أوقاته وأماكنه وإنزاله على أحوال متفاوتة من وابل مطر عظيم القطر وطل وهو المطر الصغير القطر اخره لأن التصريف متعارف في التكرار وحمله على التكرار حينئذٍ لا حسن له وإن صح إذ الاعتبار بالصرف عنهم وإليهم كما سيجيء.

قوله: (وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عام أمطر من عام ولكن الله تعالى قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية) وعن أبي عباس رضي الله تعالى عنهما ما عام أي ليس سنة أمطر أي أكثر مطراً من سنة ولكن الله الخ يعني ليس تفاوت السنين في المطر إلا لتقسيمه تعالى هكذا لحكمة جليلة والظاهر أن هذا أثر ويحتمل أن يكون رواية

قوله: أو المطر عطف على هذا القول أي صرفنا المطر في البلدان المختلفة.

قوله: ومن وابل وطل بيان لتفاوت صفات المطر قالوا بل المطر الشديد والطل أضعف المطر قوله: أو في الأنهار عطف على قوله في البلدان فالمعنى صرفنا المطر في الأنهار والمنابع أي صرفناه بعد نزوله من السماء بأن أجريناه فيهما.

قوله: وعن ابن عباس ما عام أمطر من عام وهذا كما روي مرفوعاً ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا السماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء وذكر ابن إسحاق وابن جريج ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بأمطر من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا نزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار.

---

(١) مع أن قائله الإمام سيبويه وهو إمام جليل في ذلك الباب.

(٢) فيدخل ذكر إنشاء السحاب وإنزال القطر.

besturdubooks.wordpress.com

عن النبي عليه السلام لأنه هو الظاهر قيل هذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وتلا هذه الآية تأييد للمعنى الثاني وروي أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لأنه لا يختلف عليه البلاد فتاوت السنين ليس إلا بالتحويل من مكان إلى مكان بسبب العصيان وإذا عصوا جميعاً حول إلى الغيافي كما ورد في الخبر.

قوله: (أو في الأنهار[1] **أو في المنابع)** أو في الأنهار عطف على البلدان.

قوله: (ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة في ذلك ويقوموا بشكره) ليتفكروا أي الناس والمراد الدوام بالنسبة إلى العارفين.

قوله: (أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم) أو ليعتبروا هذا ناظر[2] إلى كون المراد صرف الأمطار وقرأ حمزة والكسائي بسكون الذال وضم الكاف مخففة.

قوله: (﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾) إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها فأبى الآية أي لم يفعل أو لم يأت[3] أكثرهم وهم غير العارفين النعم والمنعم وعكسه قليل قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] الاكتراث المبالاة.

قوله: أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم أي بصرف المطر عنهم وصرفه إليهم ليعتبروا ويتدبروا أن ذلك إنما كان لسوء أفعالهم أو لابتلاء الله إياهم هل يشكرون أو يكفرون.

قوله: إلا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها أو جحودها يعني الكفور إما من كفران النعمة أو من الكفر بمعنى ستر الحق وجحوده بأن يقولوا مطرنا بنوء النوء سقوط نجم من منازل القمر التي هي مواقع النجوم التي نسبت إليها العرب الأنواء المستمطرة وهي ثمانية وعشرون منزلاً: السرطان، والبطين، والثريا، والدبران، والهقعة، والهنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجبهة، والزبرة، والصرفة، والعواء، والسماك، والغفر، والزباني، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والرشاء، ينزل القمر كل ليلة في واحد من تلك المنازل لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا تفاوت يسير فيها من ليلة المستهل إلى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين أو ليلة إذا نقص الشهر فالنوء سقوط نجم من تلك المنازل في المغرب مع الفجر وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوماً وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا الجبهة فإن لها أربعة عشر يوماً وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها فمن لا يرى هذه الحوادث إلا من الأنواء معتقداً أن المؤثر فيها هي تلك الأنواء فهو كافر لإسناد إيجاد الحوادث إلى غير الله والله تعالى هو الخالق لكل شيء دون من عداه ومن يرى أنها من خلق الله والأنواء وسائط وأمارات فهو ليس بكافر وأحسن من ذلك ما قال الإمام من جعل الأفلاك والكواكب مستقلة باقتضاء هذه الأشياء فلا شك في كفره وأما من قال إنه تعالى

---

(١) أي أجريناه في الأنهار حتى انتفعوا بالشرب وبالزراعات وأنواع المعاش به.

(٢) وما وقع في بعض النسخ من الواو بمعنى أو.

(٣) أشار إلى أن أبى بمعنى النفي لأن الاستثناء مفرغ ولا يقع في الإيجاب.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو جحودها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الأمطار إلا من الإنواء كان كافراً) أو جحودها أي إنكار النعمة رأساً بإضافتها إلى الغير على أنه موجدها بأن يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن نوء كذا وهو الأوفق لقوله إلا من الانواء إذ الباء ظاهر في الوساطة والمقصود استقلال الانواء في ذلك قوله كان كافراً أي باقياً على الكفر أو صار كافراً ومشركاً حيث اعتقد أن النواء فاعل مؤثر على الاستقلال في الأمطار والنوء في أدب الكاتب سقوط النجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق من ناء أي نهض لأن الطالع ينهض وبعضهم يجعل النوء السقوط فهو من الأضداد وكانوا إذا سقط نجم وطلع آخر فكان عنده مطراً وريح أو برد نسبوه إلى الساقط إلى أن يسقط الذي بعده فإن سقط ولم يكن مطر قيل خوى وأخوى انتهى كما قيل.

قوله: (بخلاف من يرى أنها من خلق الله تعالى والانواء وسائط وأمارات بجعله تعالى) بخلاف من الخ فإن خطأه لا يبلغ إلى حد الكفر كذا قاله الإمام فأشار إلى أنه خطأ أيضاً وكذا سائر أحكام النجوم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾﴾

قوله: (نبياً ينذر أهلها فيخف عليك أعباء النبوة) نبياً ينذر أهلها ويبشره لكن المقدم لم يتحقق في الخارج وكذا التالي وصدق الجملة الشرطية لا يتوقف على صدق الطرفين قوله فيخف عليك الخ بيان فائدة البعثة المذكورة.

قوله: (لكن قصرنا الأمر عليك إجلالاً لك وتعظيماً لشأنك) هذا أقيم مقام لكن لم نشأ فقصرنا الأمر أي أمر النبوة مع إزالة أعباء النبوة كما قال تعالى: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ [الشرح: ٢] الآية إجلالاً لك حيث خصصنا بك المنصب العظيم والفضل الروحاني الجسيم.

قوله: (وتفضيلاً لك على سائر الرسل) حيث خصصنا بك إرسال الناس كافة وهذا في نوح عليه السلام اتفاقي[(١)].

قوله: (فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد في الدعوة وإظهار الحق) فقابل ذلك إشارة

جعلها على خواص وصفات تقتضي هذه الحوادث فلعل خطأه لا يبلغ إلى حد الكفر قوله فيخفف عليك أعباء النبوة أي أحمالها جمع عبء بكسر العين وسكون الباء وهو الحمل.

قوله: لكن قصرنا عليك الأمر وهو أمر الإنذار قوله فقابل على صيغة الأمر أي فقابل إجلالنا وتعظيمنا إياك بالثبات والاستقرار في الجهد والتصبر على أحمال الرسالة وتبليغ الأحكام إلى العباد.

---

(١) فلا نقض به فإنه لما هلك جميع من في الأرض سوى أصحاب السفينة تحقق كونه مبعوثاً إلى كافة الناس الموجودين اتفاقاً لا أنه مبعوث إلى كافة الأنام مقصوداً.

besturdubooks.wordpress.com

إلى ارتباطه بما قبله وتمهيد لما بعده قوله والاجتهاد في الدعوة فإن هذا لازم مع أنه صعب لكثرة المخالفين المعاندين فلا يكون الشكر على نعمة جليلة وهي قصر الرسالة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم إلا بإعلاء كلمة الله وإزاحة الشرك وتكميل النفوس الناطقة قهراً أو اختياراً.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾

قوله: (فيما يريدونك عليه) أي يحملونك عليه والمراد أن الكفار يجتهدون في توهين أمرك فقابلهم بالاجتهاد فيما تغلبهم به وتعلوهم نقل عن الأساس أنه قال أراده على كذا إذا حمله عليه فعلى هذا يكون المعنى ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما يحملونك عليه من قولهم لك متعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة وغير ذلك مما بينه المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء: ٧٣] الآية الفاء في فلا تطع لترتيب ما بعده وهو عدم الإطاعة والمجاهدة بالقرآن فمدخول الفاء جملة لا تطع مع ما عطف عليها ولا ريب في أن المجاهدة بالقرآن مرتب على هذه النعمة بل ترك إطاعة الكافرين مرتب على هذه النعمة الجسيمة ولا حذف في الكلام حتى يتكلف في مجيء الفاء في فلا تطع دون الواو قول المص فقابلهم ليس إشارة إلى أنه محذوف ومعطوف عليه لقوله فلا تطع بل غرضه أن هذا مفهوم من عرض الكلام إذ ذكر النعمة العظيمة ترغيب إلى المقابلة بالشكر المناسب لتلك النعمة فلا وجه للتكلف الذي ارتكبه الفاضل المحشي دفعاً لإشكال بعض الأهالي.

قوله: (وهو تهييج له وللمؤمنين) أي تحريك على دوام ما كان عليه وكذا قول المص فقابلهم تهييج أيضاً قوله وللمؤمنين إشارة إلى جواب[1] آخر وهو أن المراد بالخطاب له

قوله: فيما يريدونك عليه قال الطيبي رحمه الله وفي قوله ولا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه إشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ [الفرقان: ٥١] متصل بقوله: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣] لأنه إنكار على حرصه على إسلامهم وتهالكه فيه حيث كان يبذل فيه وسعه ومجهوده وبلغ ذلك إلى أن خوطب بقوله: ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤] وبقوله: ﴿وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك﴾ [الإسراء: ٧٣] فكذلك قال أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أي أتحسب أنك إن أطعتهم فيما يريدونك عليه يسمعون قولك أو يعقلون الآيات ويشكرون نعم الله عليهم فإنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ألا ترى كيف غفلوا عن أظهر الأشياء دلالة وهو مد الظل وقبضه وغمضوا أعظم النعم كفراناً وهو جعل الليل لباساً والنهار نشوراً وإرسال الرياح وإنزال الماء لإحياء أراضيهم واستقاء مواشيهم وإذا كان كذلك كيف تطيعهم فيما يريدونك عليه كأنك لم تستقل بأعباء النذارة ولو شئنا لخففنا عنك وإنما قصرنا الأمر عليك تفضيلاً لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالصبر والجهاد ولا تطعهم فيما يريدونك عليه وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً.

---

(١) قوله في تفسير ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ يؤيد ما ذكرناه.

besturdubooks.wordpress.com

عليه السلام خطاب أمته وكونه من تتمة الجواب كما يشعر به العطف بالواو ضعيف فلا إشكال بأن الإطاعة غير متصورة حتى ينهى.

قوله: **(بالقرآن[١] أو بترك طاعتهم الذي يدل عليه فلا تطع)** بالقرآن الذي يدل عليه قصر البعثة عليه صلى الله تعالى عليه وسلم.

قوله: **(والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقك فقابلهم بالاجتهاد في مخالفتهم وإزاحة باطلهم)** والمعنى أي على الاحتمال الثاني ولم يتعرض على الأول لظهوره فالباء على الأول للآلة وعلى الثاني للملابسة ولما كان المجاهدة بترك طاعتهم خفياً أوضحه وبينه أن المراد الأمر بالاجتهاد في مخالفتهم بإزاحة باطلهم وإزالته لا مجرد ترك الطاعة والإعراض عن المحاجة فإنه كلا ترك الطاعة والفرد الأكمل ترك الطاعة والسعي في إزالة شبهاتهم بل الاجتهاد أيضاً في تكميل نفوسهم فعلم منه أن المجاهدة بترك الطاعة لا تنفك عن المحاجة بالقرآن.

قوله: **(لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف)** بيان فائدة قيد الكبير ولما كان الكبر بالنسبة إلى الغير عبر بالأكبر ولرعاية الفاصلة جاء في النظم كبيراً هذا ناظر إلى المجاهدة بالقرآن.

قوله: **(أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين أظهرهم مع عتوهم وظهورهم أو لأنه جهاد مع كل الكفرة لأنه مبعوث إلى كافة القرى)** أو لأن مخالفتهم ناظر إلى الوجه الثاني قوله فيما بين أظهرهم خبر ان يعني أن هذه المخالفة أصعب من كل صعب ولذا قيد بكبيراً

قوله: والمعنى أنهم يجتهدون في إبطال حقك حقه منصب الرسالة وشرف النبوة أي يجدون ويجتهدون في توهين أمرك فقابلهم بجدك واجتهادك وجاهدهم جهاداً كبيراً قوله لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر تعليل لكبر الجهاد.

قوله: أو لأن مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم الأظهر جمع ظهر بمعنى الجانب القصير والظهور جمع ظهر بمعنى العون ويجوز أن يكون مصدر ظهر ضد بطن يعني أو كبر الجهاد لأن مخالفة الرسول إياهم كانت فيما بين جوانبهم القصيرة وهو فيما بينهم مع عتوهم فإن من جاهد الأعداء وهو فيما بينهم مع أن أعداءهم أعتى وأظهر يكون جهاده جهاداً كبيراً فإن مخالفة الأعداء من بعيد وهم منه غائبون أهون من مخالفتهم شفاها.

قوله: أو لأنه جهاد مع كل الكفرة فإن الجهاد مع الكل أكبر من الجهاد مع البعض قوله خلاهما متجاورين قال الزجاج يقال مرجت الدابة وأمرجتها إذا خليتها ترعى ويقال مرجت عهودهم وأماناتهم إذا اختلطت وفسدت وقال ابن عباس رضي الله عنه مرج البحرين أي أرسلهما في مجاريهما كما يرسل الخيل في المسرح قال الراغب أصل المرج الخلط.

---

(١) وجوز في الكشاف رجوعه إلى كونه نذيراً أي جاهدهم بسبب كونك نذيراً للكافة وكونه نذيراً مفهوم من النظم الشريف إشارة فالباء حينئذ سببية ولم يتعرض المص لخفائه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله أو لأنه جهاد مع كل كفرة بالمخالفة ولا شك في كونه كبيراً وهذا أيضاً بيان أكبرية الجهاد بالمخالفة وإبطال باطلهم لكن كونه عليه السلام مجاهداً مع الكفرة قاطبة بالمخالفة محل تأمل ولم يحمله على الجهاد بالسيف لأن السورة مكية ولم يؤذن بالجهاد بالسيف حينئذٍ قوله إلى كافة القرى واستعمال كافة معرفة لكونه مجرورة لا حالاً قيل وقد منعه بعضهم ولا وجه له.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾

قوله: (خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته إذا خلاها) خلاهما بالتشديد متجاورين أشار إلى أن المرج هنا ليس بمعنى الاختلاط التام بقرينة قوله: ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ [الفرقان: ٥٣] فلو اكتفى بالمجاورة ولم يذكر الملاصقة لكان أولى قوله بحيث[1] لا يتمازجان إشارة إلى ما ذكرنا وإلى الفرق بين المرج والمزج فمعنى خلاهما تركهما بحيث بينهما خلاء قوله مرج الدابة إذا أرسلها وتركها لترعى قال في سورة الرحمن في تفسير قوله تعالى: ﴿مرج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣] أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب يتجاوران ويتماس سطوحهما أو بحري فارس والروم أشار أولاً إلى أن المراد بالبحرين الماءان الكثيران وسيجيء التفصيل والتخلية والإرسال متلازمان والظاهر من كلامه أن الإرسال معنى حقيقي للمرج كما أن الاختلاط معنى له ويحتمل أن يكون مجازاً.

قوله: (هذا عذب) حال بتقدير مقولاً فيه هذا عذب وهو صفة مشبهة بمعنى موصوف بالعذوبة وتوصيفه بالفرات وهو شديد العذوبة للمبالغة فيه وبيان كمال قدرته ببيان أن مجاورة الماء الملح لا يبغي ولا يزيل عذوبته الشديدة فضلاً عن إزالة عذوبته رأساً.

قوله: (قامع للعطش من فرط عذوبته) بيان لازم معناه وأن المراد منه الفرات من فرته وهو مقلوب رفته إذا كسره وسمي به الماء العذب لأنه يكسر سورة العطش وهو المراد بالقمع.

قوله: (بليغ الملوحة وقرىء ملح على فعل ولعل أصله مالح فخفف كبرد في بارد)

قوله: وقرىء ملح على فعل بفتح الفاء وكسر العين أصله مالح فتخفف كبرد بفتح الباء وكسر الراء في تخفيف بارد قال ابن جني وهي قراءة طلحة بن مصرف وأنكره أبو حاتم ويجوز أن يراد به مالح فحذفت الألف تخفيفاً كما في قوله:

أصبح قلبي صرداً لا يشتهي أن يردا

---

(١) والمرج وإن كان مطلق الاختلاط ومنه الهرج والمرج لكن ما ذكره يفهم مما بعده إذ لو اختلطا لم يبق الخلاء فيه والإشارة إلى كل منهما بأداة القرب دالة على ذلك فإنها يدل على تمييز كل منهما عن الآخر مع شدة التقارب بينهما تأمل.

besturdubooks.wordpress.com

بليغ الملوحة مستفاد من وصفه بالأجاج وفيه أيضاً تنبيه على ما ذكرناه من أن فرط ملوحته لا يزول بمجاورة العذب الشديد العذوبة فضلاً عن ملوحته بالمرة ولذا وصف الماء في الموضعين بوصف يفيد المبالغة في بابه ولم يذكر هنا نظير ما هو مذكور أولاً بقوله خارج منه اللؤلؤ والمرجان لعدم الإشارة إليه في النظم الجليل وقدم الأول لأنه نعمة جسيمة لا يوازنه منحة من المنح ولعل أصله مالح الخ والباعث عليه أنه لم يسمع ملح بمعنى مالح ولهذا أنكر هذه القراءة الشاذة أبو حاتم قوله كبرد في بارد تأييد للتخفيف المذكور قوله ولعل لعدم الجزم في عدم سمع ملح بمعنى مالح إذ الاستقراء التام مشكل والناقص غير مفيد.

قوله: (حاجزاً من قدرته) أي مانعاً بالامتزاج التام وذلك المانع محض قدرة الله تعالى لا الأرض ونحوه وسيجيء وجه آخر.

قوله: (وتنافراً بليغاً) بيان حاصل المعنى وهو التمييز التام وعدم التمازج بينهما بحيث لا يبغي أحدهما على الآخر بإبطال الخاصية.

قوله: (كأن كلاً منهما يقول للآخر) إشارة إلى الاستعارة التمثيلية[1] شبه البحران

إلا عـراد اعـردا وصـلـيـانـا بـردا وعـنـكـثـا مـلـتـبـدا

يريد عاردا باردا يقال صرد الرجل بالكسر يصرد أي يجد البرد سريعاً والعراد نبت والصليا بقلة وهي فعليتان الواحدة صليانة والعنكث أيضاً نبت والتبدت الشجرة كثر أوراقها وقال الشارح زحمت الاعراب في ضرب أمثالها على لسان البهائم أن الضفدع كان ذا ذنب وأن الضب سلب ذنبه وذلك أنهما خاطرا في الظمأ أيهما أصبر وكان الضب ممسوح الذنب فصبر الضب يوماً فناداه الضفدع يا ضب وردا وردا فقال الضب أصبح قلبي صردا الخ فناداه في اليوم الثاني فأجابه كما أجابه في اليوم الأول فلما كان في اليوم الثالث ناداه فلم يجبه وبادرا الضفدع إلى الماء فتبعه الضب فأخذ ذنبه وقد أجاز ابن الاعرابي مالح وأنشد:

بـصـريـة تـزوجـت بـصـريـا يـطـعـمـهـا الـمـالـح والـطـريـا

وفيما قرىء على أحمد بن يحيى فاعترف بصحته فقال يقال سمك مالح وماء مالح ولذا يقال مملوح ومليح هذا أفصح والأول يقال.

قوله: حاجزاً من قدرته معناه الحاجز هو قدرته تعالى لا شيء آخر غير القدرة كالجبل والحجر وغيرهما من الأجسام الحائلة كقوله عز من قائل: ﴿بغير عمد ترونها﴾ [الرعد: ٢] يريد بغير عمد مرئية وهو قدرته.

قوله: وتنافرا بليغاً أي تنافراً بالغاً اقصى غاياته ومعنى المبالغة مستفاد من وصف حجراً بمحجوراً وهو كالوصف في قولهم ليل اليل وشعر شاعر.

قوله: كأن كلا منهما يقول للآخر ما يقول المتعوذ عنه وفي الكشاف حجراً محجوراً هي

---

(١) قيل ظاهره على أن حجراً محجوراً مجاز عن التنافر بعلاقة اللزوم فإن هذا القول يستلزمه فقوله كأن كلا =

besturdubooks.wordpress.com

بطائفتين متعاديتين يريد كل منهما البغي على الآخر لكنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي مجبر فهي مصرحة تمثيلية بولغ فيه هنا حيث جعل المعنى المستعار كالملفوظ المقول كأن كلاً منهما يتعوذ من صاحبه فانقلبت المصرحة[1] مكنية ولذا كانت من أحسن الاستعارات فلما منعها الله تعالى من الاختلاط شبه ذلك المنع بجعلهما قائلين هذا القول فعبر بأنه جعل بينهما هذه الكلمة عن ذلك كذا نقل البعض عن شرح الكشاف ثم قال وظاهر تقريرهم أنه لا تقدير وقد جعل بعضهم على هذا حجراً محجوراً منصوباً بالقول المقدر ولا بعد فيه انتهى وظاهر كلام المص أنه جعل أولاً مجازاً مرسلاً عن تنافر تام فتعلق الجعل بالتنافر مما لا كلام فيه ثم أشار إلى أنه يمكن أن يكون استعارة تمثيلية لأن قوله كأن كلاً الخ نص في التشبيه شبه الهيئة المنتزعة من البحرين ومجاورة أحدهما بالآخر بحيث يكاد لا يبغي أحدهما على الآخر لكنه يمنعه مانع قوي بالهيئة المنتزعة من الشخصين المتعاديين القريبين يريد أحدهما البغي على الآخر قائلاً حجراً محجوراً لكنهما لم يقدرا على ذلك لمانع قوي

الكلمة التي يقولها المتعوذ وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له حجراً محجوراً كما قال لا يبغيان أي لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازحة فانتفاء البغي ثمه كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من أحسن الاستعارات وأشهدها على البلاغة وقال الطيبي لما كان هذا المجاز استعارة والاستعارة مسبوقة بالتشبيه قال في صورة الباغي شبه البحران بطائفتين متقابلتين يريد كل واحدة منهما بغي صاحبتها ومصادفتها ثم إنهما امتنعا من ذلك لمانع قوي ودافع مجبر كما يقال ثمة لامتناع الاختلاط أنهما لا يبغيان كذلك قيل ههنا حجراً محجوراً فهو استعارة مصرحة تمثيلية ثم بولغ ههنا حيث جعل هذا المعنى المستعار كالملفوظ والمقول كما قال كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه فانقلبت المصرحة مكنية ولا ارتياب إذ الاستعارة كلما كانت أبعد من الشبيه وأوغل في التخييل كانت أحسن وأن المكنية أبعد من المصرحة فكما أن التشبيه للمصرحة كذلك المصرحة مقدمة للمكنية فإنك تقول أولاً المنية سبع ثم تدخل المشبه في جنس المشبه به في المصرحة فإذا أردت المبالغة جعلت المشبه به عين المشبه في التخييل ثم تتخيل له لازمه قائلاً انياب المنية انشبت بفلان كذلك ههنا جعل كل واحد من البحرين بعد تشبيههما بطائفتين متقابلتين وادخال المشبه في جنس المشبه به ادخالاً بليغاً في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه ولهذا قال وهي من أحسن الاستعارات وأقول هذا الذي ذكره الطيبي رحمه الله مبني على أن يكون قولك زيد أسد من باب الاستعارة وهو ليس باستعارة عند محققي علماء البيان بل هو تشبيه بليغ فإن الاستعارة مبنية على تناسي التشبيه وذكر المشبه ينافي ذلك.

= منهما بكون تصويراً للتنافر البليغ ويجوز أن يكون الكلام على الاستعارة التمثيلية فقوله تنافراً بليغاً بيان لحاصل المعنى وقوله كأن كلا منهما الخ لتصوير الاستعارة انتهى وهذا الأخير هو الظاهر من العبارة إذ ذكر أداة التشبيه كالصريح في الاستعارة وأيضاً عادة المص ذلك.

(١) فانقلبت المصرحة مكنية هذا غريب لأن الكلام إذا احتمل المكنية فليحمل عليها في أول الأمر فالداعي إلى حملها مصرحة أولاً ثم القول بانقلابها مكنية.

besturdubooks.wordpress.com

لا يمكن المخالفة فاستعمل اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبه بها في الهيئة المشبهة وقد حقق في موضعه أن في تشبيه المركب لا يرام المناسبة بين كل فرد فرد فقد ظهر أنه لا حاجة إلى جعل المعنى المستعار كالملفوظ الخ ولا حاجة أيضاً إلى جعل منع الله تعالى من الاختلاط شبيهاً بجعلهما قائلين هذا القول فظهر ما في شرح الكشاف من الاختلال والاضطراب لدى أولي الألباب.

قوله: (ما يقوله المتعوذ منه) إذ قد مر أن حجراً محجوراً يقوله المستعيذ لما يخافه وقد مر بيانه وإعرابه هناك.

قوله: (وقيل حداً محدوداً) فعلى هذا حجراً بمعنى منعا بمعنى المشتق أي مانعاً محجوراً وحاصله أي ستراً ممنوعاً عن الأعين فهذا مجاز أيضاً مرضه لعدم الدليل عليه وأيضاً الوجه الأول أدل على قدرة كاملة وعلى وحدانية إذ الآية مسوقة لذلك.

قوله: (وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلافه فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الأرض) وذلك أي مرجهما مع الحد بينهما إن قيل إنه من تتمة القول أو مطلقاً إن كان من كلام المص ابتداء كدجلة أي كمرج دجلة وهي نهر بغداد البحر قوله تدخل الخ استئناف مبين لذلك المرج فالمراد بأحد البحرين النهر العظيم سمي البحر لسعة مائها وإطلاق البحر على النهر مجاز وكذا الكلام في قوله النهر العظيم والفرق أن المراد بالبرزخ حاجز وهو محض قدرة الله تعالى وهنا الأرض وقال في سورة الرحمن أو بحري فارس والروم وهذا أولى لكونه حقيقة.

قوله: (فيكون القدرة في الفصل) وفي الأول كمال القدرة بدون فصل وشتان ما بين الدلالتين على القدرة وعن هذا مرضه.

قوله: (واختلاف الصفة مع أن مقتضى طبيعة أجزاء كل عنصر إن تضامت وتلاصقت وتشابهت في الكيفية) واختلاف الصفة عطف على الفصل ثم بين وجه الدلالة على القدرة

قوله: فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة لما كان المراد من قوله سبحانه: ﴿هو الذي مرج البحرين﴾ [الفرقان: ٥٣] الآية بيان كمال قدرته والقدرة حين كانا متلاصقين بحيث لا يتمازجان ظاهرة وحين كان بينهما برزخ وحائل مثل الأرض وغيرها فالقدرة في فصلهما أي في كون أحدهما مفصولاً عن الآخر واختلاف كيفيتهما مع أن طبيعة الماء وطبائع سائر البسائط تقتضي أن تتضام وتتلاصق أجزاؤها وتتشابه في الكيفية فإن تحويل حال شيء واحد وتغييره إلى حال لا يقتضيها طبيعة من كمال قدرة الله تعالى ويجوز أن يكون قوله فيكون القدرة في الفصل واختلاف الصفة بياناً للقدرة في الوجهين الأخيرين المذكورين بعد قيل في الموضعين إذ في كل منهما معنى الفصل والاختلاف في الكيف لكن المراد بالاختلاف في الكيف في الأول من هذين اختلاف الفاصل والمفصول وفي الثاني اختلاف المفصولين وبالفصل انفصال الشقين في الأول وانفصال البحرين في الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

بقوله مع أن مقتضى الخ وبين على وجه العموم ليكون دليلاً على ما نحن فيه قوله إن تضامت ناظر إلى الفصل بالأرض وتشابهت الخ ناظر إلى اختلاف الصفة من العذوبة والملوحة والماء إذا خلى وطبعه لا يكون بين أجزائه فصل ويكون كل أجزائه على كيفية واحدة من العذوبة والملوحة فالفصل واختلاف الكيفية يكون من قادر مختار واحد لا شريك له فعلم من هذا البيان ارتباطه بما سبق من بيان التوحيد وكمال التفريد قوله إن تضامت خبر ان لأنه في تأويل المصدر.

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

قوله: (يعني الذي خمر به طينة آدم أو جعله جزء من مادة البشر ليجتمع ويتسلس ويقبل الاشكال والهيئة بسهولة) خمر به طينة آدم فمعنى خلقه من الماء المعروف لكونه جزء من مادته فيكون كقوله تعالى: ﴿خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩] وآدم إشارة إلى أنه المراد من البشر والبشر مرادف الإنسان فذكره كذكره وأما القول بأنه لم يقل إنساناً لأن حقيقة الإنسان وهو الروح يرده قوله تعالى: ﴿خلق من ماء دافق﴾ [الطارق: ٦] مع أن قوله لأن حقيقة الإنسان الخ ليس في محله أو جعله جزء من مادة البشر فحينئذٍ يكون المراد بالبشر آدم وذريته إلى يوم القيام ويتسلس بمعنى يلين فيكون هذا إشارة إلى أن الإنسان مركب من العناصر الأربعة كسائر الأجسام المركبة وهذا مذهب الفلاسفة.

قوله: (أو النطفة) عطف على قوله الذي خمر به الخ فحينئذٍ يكون المراد بالبشر ذرية آدم دونه إلا أن يتكلف.

قوله: (أي قسمه قسمين[1] ذوي نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر) أي قسمة قسمين الأولى فقسمه بالفاء ذوي نسب بتقدير المضاف أي ذكوراً الخ ففيه إشارة إلى أن النسب إلى الآباء.

قوله: (أي إناثاً يصاهر بهن كقوله تعالى: ﴿وجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ [القيامة: ٣٩] حيث خلق من مادة واحدة بشراً إذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله

قوله: أو النطفة عطف على قوله الذي خمر به طينة آدم يعني اللام في الماء للعهد والمعهود هو الماء الذي خمر به طينة آدم عليه السلام أو الذي جعل جزء من مادة البشر أو النطفة فسر الماء بثلاثة أوجه وهو في الوجه الأول يخص آدم أباً لبشر وفي الوجهين الأخيرين يعم كل البشر ولا ينافي كونه للعهد كونه للجنس كما قال صاحب المفتاح لا معنى للام غير العهد.

قوله: أي إناثاً يصاهرهن الصهر واحد الاصهار وهي أهل بيت المرأة وهي ههنا الإناث ويقال صاهرت إليهم إذا تزوجت فيهم واصهرت بهم إذا اتصلت وتحرمت بجوار أو نسب أو تزوج.

---

(١) ولم يتعرض لمعنى نسب وصهر حين كون المراد بالبشر آدم عليه السلام قيل فالمراد من قوله ﴿فجعله نسباً وصهراً﴾ أما خلق حواء منه أو جعل ذريته كذلك والمعنى ﴿فجعل ذريته نسباً﴾ الآية والحكم على الآباء بأحوال الأولاد وبالعكس شائع في كلامهم.

besturdubooks.wordpress.com

قسمين متباعدين متقابلين) أي المصاهرة التزوج أي يقع التزوج بهن قوله ذا أعضاء مختلفة فإن بعض أعضاء الذكور مخالف لبعض أعضاء الإناث وهذا مفاد قوله نسباً وصهراً وطباع متباعدة طباع جمع طبع والتباعد أي التخالف بيان للواقع لا مفاد الآية وأنه عام للذكور والإناث والمراد بالوحدة الوحدة النوعية.

قوله: (وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكراً وأنثى) وهذا أدل على القدرة الكاملة والوحدة وسائر الصفات الكمالية بل فيه دليل على الإعادة.

قوله تعالى: وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

قوله: (يعني الأصنام أو كل ما عبد من دون الله إذ ما من مخلوق) يعني الأصنام فيكون ما مستعملاً في غير ذوي العقول أو كل ما عبد من دون الله فيكون استعمال ما إما لأن وضعه أعم أو لأنه أريد به الوصف وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون﴾ [الفرقان: ١٧] الآية قدم هناك احتمال العموم وأخره هنا تنبيهاً على جواز الاحتمالين على السواء قوله إذ ما من مخلوق تعليل على الوجه الأخير.

قوله: (يستقل بالنفع والضر) وإن كان له مدخلاً فيهما بطريق الكسب بالنسبة إلى العاقل وأما ضره في الدنيا بالقتل ونحوه وفي الآخرة بالعذاب المؤبد فضربا لغير والمنفي هو الضر[1] بنفسه.

قوله: (يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك) يظاهر أشار إلى أن فعيلاً بمعنى مفاعل كرقيب بمعنى مراقب وأنه بمعنى المضارع فيفيد مع كان الاستمرار وتقديم على ربه على عامله لرعاية الفاصلة والمعنى وكان الكافر على عداوة ربه وشركه أو على رسول ربه.

قوله: (والمراد بالكافر الجنس) أي اللام للاستغراق واستغراق المفرد أشمل وأظهر موضع المضمر للتسجيل على كفره وأنه علة الحكم.

قوله: (أو أبو جهل) فحينئذٍ اللام للعهد ولا يكون من باب وضع الظاهر موضع

قوله: وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكر أو انثى كون التوأمين من نطفة واحدة محل نظر لاحتمال أن يخلقهما الله تعالى من نطفتين منصوبتين في الرحم مرتين اللهم إلا أن يراد بالوحدة في قوله من نطفة واحدة الوحدة النوعية.

قوله: يعاون الشيطان بالعداة الظهير بمعنى المظاهر أي المعاون والمعنى أن الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والبغضاء.

قوله: والمراد بالكافر الجنس فالمعنى أن بعضهم مظاهر لبعض على إطفاء نور دين الله وإن كان المراد به أبا جهل يكون المعنى كان مظاهراً للشيطان على اطفاء نور الدين.

---

(١) فلا إشكال بقوله تعالى: ﴿**يدعو لمن ضره أقرب من نفعه**﴾ الآية.

besturdubooks.wordpress.com

المضمر أخره لأن التخصيص خلاف الظاهر فيدخل تحت العموم دخولاً أولياً مع أنه لا قرينة للعهد سوء اشتهاره بعداوة الرسول عليه السلام.

قوله: (وقيل هينا مهيناً لا وقع له عنده تعالى من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله: ﴿ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم﴾ [آل عمران: ٧٧]) وقيل هيناً أي هذا الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر كان على ربه هيناً مهيناً لا وقع له عنده تعالى ولا يلتفت إليه فيكون ظهيراً بمعنى مظهور به أي مرمياً به وراء الظهر قال الإمام ومعناه هين على الله وهو مستهين بكفره وهو مجاز عن عدم الالتفات قوله ظهرت به إشارة إلى أن ظهيراً بمعنى مظهور به قوله فيكون أي على المعنى الأخير ولا يكلمهم الآية ومفاد هذا أن الكافر نفسه غير ملتفت وكلام الزمخشري يوهم أن الذي هو غير ملتفت هو عبادته ما لا ينفع ولا يضر كما ذكرناه والظاهر كلام المص قوله هيناً أي يسيراً مهيناً مستحقراً أي كفره كما أشار إليه الإمام أو نفسه كما هو الظاهر من كلام المص وهذا حاصل المعنى أو هيناً أي ذليلاً مهيناً مستحقراً وهو الظاهر.

قوله تعالى: وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾

قوله: (﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾) [الإسراء: ١٠٥] أي في حال من الأحوال إلا حال كونك مبشراً ونذيراً فالقصر إضافي أي وقد فعلت[1] ما أمرت به وما عليك أن لا يزكوا فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا أو لا تحزن فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل حتى أتاك نصرنا.

قوله: (للمؤمنين والكافرين) للمؤمنين ناظر إلى التبشير والكافرين والعصاة مبشرون أيضاً إذ الاعتبار إلى العاقبة قدم مبشراً بناء على غلبة الرحمة واختير صيغة المبالغة في الإنذار إذ الغرض من البعثة الإنذار ولذا اكتفى بالإنذار في أكثر المواضع.

قوله تعالى: قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾

قوله: (على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه ﴿إلا مبشراً ونذيراً﴾ [الإسراء: ١٠٥])

قوله: وقيل هيناً مهيناً أي وقيل معنى ظهيراً هيناً مهيناً فمعنى الكلام وكان الذي يفعل هذا الفصل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه مهيناً لا وقع له عند الله فيكون ظهيراً فعيلاً بمعنى مفعول من قولهم ظهرت به إذا خلفته خلف ظهرك أي مهاناً مطروداً كمن نبذ وطرد إلى خلف لهوانه وصغاره فيكون قوله وكان الكفار على ربه ظهيراً من باب الاستعارة التمثيلية.

قوله: للمؤمنين والكافرين نشر على ترتيب اللف.

قوله: على تبليغ الرسالة الذي يدل عليه إلا مبشراً ونذيراً لما اقتضى الضمير في عليه سبق

---

(١) إشارة إلى ارتباطه بما قبله.

besturdubooks.wordpress.com

على تبليغ الرسالة ولم يقل على التبشير والإنذار تنبيهاً على أن المقصود عدم طلب الأجر على كل تبليغ تبليغ الأحكام والتبشير والإنذار وغير ذلك ودلالة التبشير والإنذار على التبليغ التزامية.

قوله: (إلا فعل من شاء أن يتقرب إليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعة فصور ذلك بصورة الأجر من حيث إنه مقصود فعله واستثناه منه قلعاً لشبهة الطمع) إلا فعل من شاء أي إن كان فعل من شاء أجر أفكنت ممن أسأل أجراً على التبليغ وهذا محال فهو في المعنى تعليق بالمحال وهذا من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وعن هذا قال فصوره ذلك الخ وإنما قدر مضافاً وحمل الكلام على أنه استثناء متصل إذ الأصل في مطلق الاستثناء هو الاتصال فذكر أداته قبل ذكر ما بعده وهو المستثنى يوهم إخراج شيء مما قبله وإذا وليها صفة مدح وتحول الاستثناء من الاتصال إلى الانقطاع تحقق تأكيد المدح بما يشبه الذم وهنا لما استثنى فعل من شاء التقرب أشعر الكلام بأنه لم يوجد طلب أجر ما حتى يستثنيه فاضطر إلى استثناء صفة مدح وهي كون قصده عليه من تبليغ الرسالة منحصراً فعل من شاء أن يتخذ فحصل المدح على المدح وإلى هذا البيان إلا وفي أشار بقوله واستثناه منه قلعاً لشبهة الطمع الخ لما عرفت أنه تعليق بالمحال فلا ريب في قلع شبهة طمع الأجر قوله مقصود فعله إشارة إلى أن القصد ملحوظ فوق فعل من شاء فيكون صفة مدح له عليه السلام كما أشرنا إليه فيكون نظير قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم تلام بنسيان الأحبة والوطن

قوله: (وإظهاراً لغاية الشفقة حيث اعتد بإنفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص عن العقاب أجراً وافياً مرضياً به مقصوراً عليه) وإظهاراً لغاية الشفقة الخ هذا من مقتضيات هذا المقام ولا يلزم ذلك في كل تأكيد المدح بما يشبه الذم قوله بإنفاعك

ذكر المرجع إليه والحال أنه لم يذكر قبله قدره وأوله أي المرجوع إليه لذلك الضمير هو تبليغ الرسالة وهو وإن لم يسبق ذكره لكنه في حكم المذكور لدلالة مبشراً ونذيراً عليه لأن البشارة والنذارة لا تكونان إلا بتبليغ الرسالة.

قوله: واستثناه منه قلعاً لشبهة الطمع واظهاراً لغاية الشفقة إفادة الاستثناء قلع شبهة الطمع وغاية الشفقة من حيث إنه عد انتفاع العبد نفسه يتعرضه للثواب ويخلصه عن العقاب أجراً وافياً مقصوراً عليه لأن المستفاد من ما وإلا الكائنين في الآية أنه لا أجر له في تبليغ الرسالة سوى انتفاع المرسل إليهم إن كان انتفاعهم ذلك أجراً له لكنه ليس بأجر فيكون الكلام وارداً على اسلوب قوله سبحانه: ﴿لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦] وقوله: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ وكقول النابغة ولا عيب فيهم البيت فيكون من باب تأكيد الشيء مما يشبه نقيضه فلما أفاد سلب الأجر على وجه المبالغة افاد قلعاً لشبهة الطمع واظهار غاية الشفقة من حيث افادته أن انتفاعهم عين انتفاعه عليه الصلاة والسلام فكأنه أجر له على تبليغ الرسالة لما جعلهم بمنزلة نفسه عليه الصلاة والسلام أن اطاعوا واتخذوا إلى ربه سبيلاً وطلبوا الزلفى منه.

besturdubooks.wordpress.com

الأولى بإنفاعه[١] نفسه مقصور عليه لوقوعه بعد إلا فيكون مقصوراً عليه قصراً إضافياً ولا ينافيه كون المقصور عليه المودة في القربى في سورة الشورى إذ القصر إضافي كما عرفت قوله أجراً أي أجراً صورياً وافياً مرضياً مستفاد من الحصر عليه قوله قلعاً مفعول له وعلة تحصيلية وجعله حالاً بمعنى قالعاً تكلف لفظاً[٢] ومعنى وكذا الكلام في إظهاراً الخ أجراً مفعول اعتد لتضمينه معنى جعل قوله به متعلق بمرضياً لتضمينه معنى قانعاً.

قوله: (**وإشعاراً بأن طاعاتهم تعود عليه صلى الله تعالى عليه وسلم بالثواب من حيث إنها بدلالته**) من غير أن ينقص من أجورهم شيء من حيث إنه بدلالته أي بهدايته وإرشاده فيكون المراد ثواب الدلالة كما أشرنا إليه قوله أن يتقرب إليه أي المراد باتخاذ السبيل إليه تعالى لازم معناه وهو التقرب بالقرب المعنوي لأن من سلك طريق شيء على الاستقامة قرب إليه وربما وصله وذلك إشارة إلى فعل من شاء وصيغة البعد تنبيهاً على فخامته وترك من شاء مراد اكتفى بالفعل أو هو بمعنى الكف فيندرج في الفعل.

قوله: (**وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً فليفعل**) الاستثناء منقطع فلا يقدر فعل فإلا يكون بمعنى لكن فيكون طالباً للخبر وهنا محذوف أي فليفعل فيفوت المبالغة المذكورة ولذا مرضه والاستثناء على الأول متصل لما أوضحنا ثم تحول إلى الانقطاع فلا إشكال بأنه منقطع في الأول أيضاً.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾

قوله: (**وتوكل**) خطاب له عليه السلام وهو تهييج له وبالنسبة إلى أمته على ظاهره عطف على قل.

قوله: (**في استكفاء شرورهم والإغناء عن أجورهم**) إشارة إلى الارتباط بما قبله.

قوله: وإشعاراً بأن طاعتهم تعود إليه فعلى هذا يكون الاستثناء على ظاهره ولا يكون من تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه لأن المستثنى حينئذٍ يكون من جنس الثواب من حيث إنه فعل يستلزم الثواب لهم بالمباشرة وللمبلغ بالدلالة قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال التقدير الآمال من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً لأن الأجر هنا المال والمعنى ما اسألكم على تبليغ الوحي مالاً إلا مال من يتخذ بإنفاقه إلى ربه سبيلاً أي يتقرب إليه ويطلب الدرجة عنده وذلك المال المسؤول له لا لي وقال الطيبي هذا المعنى لا يستقيم في قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣] فوجب حمله على ذلك المعنى وإلى ما ذكره صاحب الفرائد أشار صاحب الكشاف بقوله وقيل المراد التقرب بالصدقة والنفقة في سبيل الله.

قوله: في استكفاء شرورهم وهو من استكفيته الشيء فكفانيه فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه

---

(١) الانفاع لم يوجد في اللغة كما قيل لكن المؤلفين استعملوه.

(٢) إما لفظاً فلاحتياجه إلى التأويل وإما معنى فلأن مقارنته لزمان عامله غير ظاهرة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من يتوكل عليهم) فإنه الحقيق الخ هذا الكلام يفيد الحصر ولذا قال دون الأحياء الخ وجه بيانه على طريق الحصر لأن النظم الجليل يفيد القصر إذ الحي لا يموت هو الله تعالى وحده وعن هذا عدل عن الظاهر أي وتوكل على الله فلما عدل عنه أفاد الحصر بمعونة المقام أو بملاحظة العلة قال في سورة البقرة وإذا وصف بالحياة الباري أريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة للقوة الحساسة أو ما يقتضيها التي معنى الحياة.

قوله: (ونزهه عن سمات النقصان مثنياً عليه بأوصاف الكمال طالباً لمزيد الإنعام بالشكر على سوابقه) ونزهه عن سمات النقصان تهييج أيضاً بالنسبة إليه عليه السلام الأمر في الموضعين مستعمل في القدر المشترك بين الوجوب والندب قوله مثنياً عليه إشارة إلى أن يحمده حال من الفاعل والباء للملابسة والتسبيح التنزيه أي نسبته تعالى إلى النزاهة على أن بناء التفعيل للنسبة والحمد هو الثناء باللسان فكيف يحصلان في زمان واحد حتى يكون حالاً من فاعل التسبيح مع أن مقارنة زمان الحال لزمان وقوع مضمون الفعل المقيد بالحال واجبة والجواب أنه في تأويل عازماً بحمده تعالى أو التسبيح بالقلب والحمد باللسان أو العكس إن أريد بالحمد المعنى العرفي أو بداية الحمد ملابس بنهاية التسبيح وهذا كاف في وحدة الزمان قوله مثنياً عليه اختيار المعنى اللغوي بأوصاف الخ لمناسبة سمات النقص ولا يعد في المعنى العرفي وكون المعنى مثنياً عليه بالأذكار والعبادات طالباً لمزيد الخ لقوله تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] قوله بالشكر على سوابقه من النعم السابقة وفي بعض النسخ من سوابغه بالغين المعجمة بمعنى نعمه كما قال تعالى: ﴿وأسبغ عليكم نعمه﴾ [لقمان: ٢٠] الآية وفيه إشارة إلى أن المراد بالحمد ما هو في مقابلة الإنعام فأوصاف الكمال محمود بها والإنعام محمود عليها وفي الأمر بالتسبيح وجعل الحمد قيداً له تنبيه نبيه على الأهم المقدم التخلية ثم التحلية.

قوله: (ما ظهر منها وما بطن) أي بالنسبة إلى العباد هذا التعميم منفهم من الجمع المضاف لأنه كالجمع المحلى باللام من ألفاظ العموم وخبيراً حال وجعله تمييزاً يحتاج إلى العناية وبذنوب عباده معمول خبيراً قدم لرعاية الفاصلة والخبرة معرفة بواطن الأمور ومن علم البواطن علم الظواهر بالأولوية وعن هذا قال ما ظهر منها وما بطن.

قوله: (مطلعاً فلا عليك إن آمنوا أو كفروا) فلا عليك أي فليس عليك بأس إن آمنوا

دون الأحياء الذين يموتون معنى الحصر مستفاد من تخصيص الحي الذي لا يموت بالذكر فإن أصل الكلام أن يقال توكل علي ثم توكل على الله فخص الحي الذي لا يموت ليكون تعريضاً بأن الحي الذي لا يموت حقيق بأن يتوكل عليه وإن غيره لا يصح أن يتوكل عليه أما الأصنام فإنها أموات لا يكفي أمر من يتوكل عليها وأما الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع المتوكل ولهذا قال بعض السلف حين قوله هذه الآية لا يصح لذي عقل أن يثق بعدها بمخلوق.

قوله: طالباً لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه أي على سابق الانعام فإن الشكر على النعمة السابقة يستجلب مزيد الانعام على مقتضى قوله سبحانه: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧].

besturdubooks.wordpress.com

أو كفروا أي في إيمانهم أو كفرهم الأولى الاكتفاء بكفرهم[١] قال تعالى: ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ [عبس: ٧] فغرضه بهذا بيان ارتباطه وكون إن بكسر الهمزة ضعيف.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

قوله: (قد سبق الكلام فيه) أي في سورة الأعراف.

قوله: (ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقاً بأن يتوكل عليه) فليس بتكرير إما زيادة التقرير في كون الموصول صفة الحي فظاهرة وأما على كونه مبتدأ فلأنه جملة مسوقة لذلك التقرير وإنما قال لزيادة التقرير لأن أصل التقرير حصل بقوله الحي الذي لا يموت كما بينه المص.

قوله: (من حيث إنه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأني في الأمر فإنه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ أمره في كل مراد خلق الأشياء على تؤدة وتدرج) من حيث إنه الخالق للكل وحده لا خالق سواه مستقلاً أو اشتراكاً حتى يتوكل عليه وتحريض الخ عطف على زيادة تقرير هذا مفاد قوله في ستة أيام[٢] كما أن قوله والمتصرف

قوله: قد سبق الكلام فيه قال صاحب الكشاف في ستة أيام يعني في مدة مقدارها هذه المدة لأنه لم يكن حينئذٍ نهار ولا ليل وقيل ستة أيام من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها الجمعة ووجهه أن يسمي الله تعالى لملائكته تلك الأيام المقدرة بهذه الأسماء فلما خلق الشمس وأدارها ورتب أمر العالم على ما هو عليه جرت التسمية على هذه الأيام وأما الداعي إلى هذا العدد أعني الست دون سائر الأعداد فلا نشك أنه داعي حكمة لعلمنا أنه لا يقدر تقديراً إلا بداعي حكمة وإن كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي إلى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم أصحاب النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعاً والأرض كذلك والصلوات خمساً وأعداد النصب والحدود الكفارات وغير ذلك والإقرار بدواعي الحكمة في جميع أفعاله وبأن ما قدره حق وصواب وهو الإيمان وقد نص عليه في قوله ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيماناً ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ ثم قال ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ وهو الجواب في أن لم يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير إنما خلقها في ستة أيام وهو قادر أن يخلقها في لحظة تعليماً لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فجعله عيداً للمسلمين.

---

(١) إلا أن يقال ذكر الإيمان للمبالغة في عدم ضرر كفرهم أي كما لا يضر إيمانهم لا يضر كفرهم أيضاً.

(٢) من أيام الآخرة وكل يوم ألف سنة والظاهر أنها من أيام الدنيا أي من مقدارها وعن مجاهد أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة كذا في الكشاف سوى قولنا من مقدارها.

besturdubooks.wordpress.com

في الكل مفاد قوله ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢] ولا يضر عدم مدخلية ذلك التحريض الارتباط بما قبله إذ خالقية الكل يكفي فيه والتؤدة التأني وتدرج إيجاده شيئاً فشيئاً وإنما قال لعل لأن الجزم في بيان المزايا ليس بمناسب حتى قال الفاضل المحشي ويحتمل أن يكون جواب سؤال تقديره لم أمهلهم مع علمهم بذنوبهم يعني أن عادة الله تعالى جرت على الإناءة والصبر في الأمور ويشهد لذلك ذكر الرحمن فلا جزم في بيان النكات وإن ذكرت في صورة الجزم خبر للذي إن جعلته مبتدأ أو لمحذوف إن جعلته صفة للحي أو بدل من المستكن في استوى وقرىء بالجر على أنه صفة للحي.

قوله: (فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء) فيه إشارة إلى أن مرجع الضمير في به راجع إلى المتعدد باعتبار ما ذكر ولما كان السؤال سؤال استعلام وتعديته إلى المسؤول عنه بعن قال عما ذكر وتعديته إلى المسؤول[١] بنفسه فلذلك جاء خبيراً والظاهر أن مراده أن الباء بمعنى[٢] عن إذ المعنى الاستعلام والتفتيش وميل أكثرهم أن مراده بيان حاصل المعنى لا أن الباء بمعنى عن فإن أرادوا أن حاصل المعنى الاستعلام والتفتيش فهو عين ما ذكرنا وإن أرادوا أن حاصله الاعتناء فلا وجه لذكر عن.

قوله: (عالماً يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى أو جبرائيل أو من وجده في الكتب المتقدمة) عالماً الخ الجمع بين العلم والاخبار لأن الخبير كما عرفت عالم بالبواطن ويستلزم الإخبار فلا يلزم الجمع بين المعنيين وهو الله تعالى قدمه لأنه مرجع الكل وقيل يخبرك جواب الأمر لا تفسير الخبير بالمخبر وفيه نوع خفاء والظاهر أنه صفة لعالماً.

قوله: (ليصدقك فيه) ناظر إلى الأخير وعلى الأولين فالسؤال عن حقيقته وتفصيله بعد العلم إجمالاً بإخباره تعالى وهو أمس بالمقام وعن هذا قدمهما على الأخير.

قوله: (وقيل الضمير للرحمن والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من أهل الكتاب ليعرفوا مجيء ما يرادفه في كتبهم وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ) وقيل الضمير للرحمن أي لإطلاقه ولذا قال والمعنى إن أنكروا إطلاقه على الله تعالى فاسأل عن إطلاقه من يخبرك الخ فخبيراً يراد به حينئذٍ أهل الكتاب وغرض

قوله: فاسأل عما ذكر يعني الباء في به بمعنى عن والضمير للخلق والاستواء وخبيراً بمعنى عالماً من الخبرة وهي العلم بباطن الشيء وقيل الضمير في به راجع إلى الرحمن وعلى هذا يجوز أن يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده وهو ﴿فاسأل به خبيراً﴾ وهو إنشاء لا يقع خبراً إلا بتقدير القول أي الرحمن نقول في شأنه اسأل به خبيراً والفاء لكون اللام في الرحمن بمعنى الذي فإنه بمعنى الذي رحم.

---

(١) وقد يتعدى إلى المفعول الأول بعن مثل قوله عليه السلام ما المسؤول عنها بأعلم من السائل.

(٢) ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن به صلة خبيراً كما سيأتي فصلة فاسأل محذوف وهو عما ذكر.

besturdubooks.wordpress.com

السؤال تبكيتهم لا الاستعلام ولا التصديق وإنما قال ما يرادفه لأن كتبهم ليست بعربية مرضه إذ الضمير حينئذٍ يرجع إلى لفظ الرحمن مراد به معناه وأنه يحتاج إلى تقدير الإطلاق والكل خلاف الظاهر.

قوله: (والخبر ما بعده) وهو فاسأل به في كون الإنشاء خبراً اختلاف ودخول الفاء في الخبر ليس في محله وقيل الفاء زائدة في الوجوه وفيه تأمل.

قوله: (والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء) والسؤال كما يعدى بعن الخ يعني في الأصل متعد إلى الاثنين بنفسه كقوله تعالى: ﴿ويسألونك ماذا ينفقون﴾ [البقرة: ٢١٩] لكن الظاهر أنه من قبيل الحذف والإيصال فتعديته إلى المفعول الثاني إما بعن وهو الشائع في الاستعمال لتضمنه معنى التفتيش وهو متعد بعن ويعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء الذي يتعدى بالباء لكن معنى(١) الاعتناء ليس بمناسب هنا ولذا قال عما ذكر ولم يقل بما ذكر وقد أوضحناه هناك والتفتيش يستلزم الاعتناء وبالعكس وإن تغايرا مفهوماً ولعل قوله فيما مر فاسأل عما ذكر إشارة إلى ما ذكرنا.

قوله: (وقيل إنه صلة خبيراً) إنه أي به قدم للفاصلة ومفعول فاسأل محذوف ويحتمل كون قوله السابق إشارة إليه مرضه لاحتياجه إلى التقدير.

قوله: والسؤال كما يعدى بعن إلى آخره أي كما يعدى بعن كما في قوله سبحانه: ﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ [التكاثر: ٨] لتضمنه معنى التفتيش أي ثم لتفتشن عن النعيم مسؤولاً كذلك يعدى بالباء لتضمينه معنى الاعتناء والاعتداد كقوله تعالى: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ [المعارج: ١] أي اعتنى به سائلاً عنه وإلا فالسؤال مما يتعدى بنفسه لا بواسطة الجار يقال سأله بمعنى طلبه.

قوله: وقيل إنه صلة خبيراً أي فاسأل خبيراً به أي فاسأل من يعلمه قال صاحب الكشاف أو صلة خبيراً مفعول سل تريد فاسأل عنه رجلاً عارفاً يخبرك برحمته أو فسئل رجلاً خبيراً به وبرحمته أو فسئل بسؤاله خبيراً كقولك رأيت به أسداً أي برؤيته والمعنى إن سألته وجدته خبيراً تم كلامه فعلى هذا الوجه الأخير لا يكون الباء صلة خبيراً بل يكون صلة سل على معنى التسبيب ويكون الكلام من باب التجريد كما قال السجاوندي ﴿فسئل به خبيراً﴾ نحو قولك في الشجاع إذا لقيته لقيت به ليثاً وفي الجواد إذا سألت به الغيث إلى هنا كلامه فعلى هذا لا حاجة إلى ارتكاب معنى التضمين في استعمال السؤال بالباء ههنا ولا إلى جعل الباء قائماً مقام عن وإن ورد في قول الشاعر:

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بادواء النساء طبيب

لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله قال الزجاج اسم الرحمن مذكور في كتب الأولين ولم يكونوا يعرفونه أنه من اسمائه تعالى ومعناه ذو الرحمة التي لا علية بعدها في الرحمة لأن فعلان

---

(١) أي لكون الاعتناء في ضمن معناه فالمراد التضمين اللغوي ويحتمل التضمين الاصطلاحي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩﴾ (٦٠)

قوله: (﴿اسجدوا للرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠]) لما قال تعالى: ﴿ثم استوى على العرش﴾ [الرعد: ٢] الرحمن وهنا ذكر هذا الاسم الشريف وأيضاً لما أنكروا إطلاقه عليه تعالى ذكر هنا تعليماً لهم لكن لشدة شكيمتهم لم يتفطنوا وإنما قالوا وما الرحمن إذ السؤال عن معناه أو لأن وضعه أعم أظهر في موضع الضمير للتقرر في الذهن أو لمكان الالتباس أو لأن المتعارف السؤال بالاسم الظاهر والظاهر أن اسجدوا بمعنى صلوا مجازاً وهو يستلزم الأمر بالإيمان سواء كان المراد السجدة وحدها أو الصلاة.

قوله: (لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى أو لأنهم ظنوا أنه أراد به غيره) أو لأنهم ظنوا لأن الرحمن يطلق على مسيلمة الكذاب ويقال رحمن اليمامة تعصباً في الكفر ولذا ظنوا أنه أراد به غيره وهذا يوهم أنهم لا ينكرون إطلاقه عليه تعالى وقد سبق أنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى ثم إنه على هذا التقدير فالسؤال بما سؤال عن تعيين الرحمن وهذا غير متعارف في السؤال بما.

قوله: (ولذلك قالوا ﴿أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان: ٦٠]) ولذلك أي ولأجل ظنهم المذكور قالوا أنسجد بالاستفهام الإنكاري الوقوعي ولذلك أي ولأجل هذين الأمرين قالوا الخ.

قوله: (أي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بسجوده) للذي تأمرنا ناظر إلى التفسير الثاني قوله بمعنى تأمرناه أي ما موصولة والعائد محذوف بمعنى تأمرنا بسجوده قيل على الحذف والإيصال والأصل تأمرنا بالسجود له ثم بسجوده ثم تأمرنا سجوده كإمرتك الخير ثم تأمرناه بحذف المضاف ثم تأمرنا كما ذكره أبو البقاء وهل هذا الحذف تدريجي أو لا قولان وفي اللباب وما يجوز أن يكون بمعنى الذي والعائد محذوف لأنه متصل لأن أمر يتعدى إلى الثاني بإسقاط الحرف.

قوله: (أو لأمرك لنا من غير عرفان) أي كلمة ما مصدرية واللام للتغليل والمسجود له محذوف ولذا اخره قيل وهذا ناظر إلى التفسير الأول ومعنى من غير عرفان من غير عرفان من هو المسمى بهذا الاسم فحينئذٍ يكون السؤال عن حقيقة الرحمن كقول فرعون وما رب العالمين وإن كان المعنى من غير عرفان ما هو المراد من هذا الاسم فيكون

بناء المبالغة قوله أو للذي تأمرناه على أن يتعدى لمفعولين بلا واسطة مثل أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به فالمعنى لما تأمرنا سجوده على حذف المضاف من الهاء في تأمرناه وما وقع في بعض النسخ لما تأمرناه بسجوده بالباء سهو من الناسخ لما لا يطابق الشرح المشروح قال أبو البقاء ما موصولة أو نكرة موصوفة أي لما تأمرنا بالسجود له ثم سجوده ثم تأمرنا وهذا قول أبي الحسن وعلى قول سيبويه حذفت ذلك كله من غير تدريج وقوله أو لأمرك لنا مبني على أن يكون ما مصدرية.

besturdubooks.wordpress.com

السؤال سؤالاً عن هذا الاسم ومن هو مسمى بهذا الاسم وهذا المعنى أنسب بالتفسير الأول إذ الظاهر أنهم مقرون بالله تعالى وعارفون بأن الرحمن صفة تفيد المبالغة في الإنعام لكنهم لا يعرفون إطلاق اسم الرحمن على الله تعالى ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله وادعوا الرحمن﴾ [القصص: ٦٤] الآية وقد فصل المعنى المص[١] هناك.

قوله: (وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعوه) وقرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء على أنه قول بعضهم لبعض **(أي الأمر بسجود الرحمن عن الإيمان)** وقيل لأنه كان معرباً أي أصله عبراني ورخمن بالخاء المعجمة مرضه لأنه أضعف لم يسمعوه فعلى فرض صحته يكون السؤال عن تعيين معنى بلفظ يرادفه مثل ما القسورة والقسورة الأسد أي الأمر بالسجود للرحمن مع أنه يوجب السجود فهو عطف على قالوا لا على المقول قوله عن الإيمان ولم يقل عن السجود لأنه فهم من قولهم أنسجد.

قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾﴾

قوله: (يعني البروج الاثني عشر) التي في الفلك الأعلى والمراد بالسماء فلك الأفلاك كذا قاله مولانا سعدي في سورة البروج والظاهر أن المراد بالسماء جنس السماء لأن في كل منها بروجاً أي مواضع مرتفعة وأما كون المراد بالبروج الاثني[٢] عشر فبناء على مسلك الحكماء وهي في الفلك الثامن فحينئذٍ يكون المراد بالسماء الفلك الثامن وهو خلاف الظاهر.

قوله: (سميت به وهي القصور العالية لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها)

قوله: وقيل لأنه كان معرباً لم يسمعوه قال ثعلب إنه عبراني وهو في الأصل رخمن بالخاء المعجمة إذ لو كان عربياً لما انكرته العرب وقد أنكروه يدل عليه قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن﴾ [الفرقان: ٦٠] ولأنه لو كان مشتقاً من الرحمة لما حسن تقديمه على الرحيم لأنه أشد مبالغة منه حينئذٍ إلى هنا كلامه.

قوله: على أنه قول بعضهم لبعض يعني ليس المخاطب به على هذه القراءة النبي عليه الصلاة والسلام بل المخاطب به بعضهم أي قال بعضهم لبعض انسجد لما يأمرنا محمد بسجوده.

قوله: لأنها الكواكب السيارة كالمنازل لسكانها وفي الكشاف البروج منازل الكواكب السبعة السيارة: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت، سميت بالبروج التي هي القصور العالية لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها أي لسكان السماء.

---

(١) نزل حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الهاً آخر انتهى وهذا صريح في أنهم عارفون الرحمن لكنهم لم يعرفوا إطلاقه عليه تعالى وباقي الاحتمال ضعيف جداً.

(٢) وهي الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والحوت، والدلو.

besturdubooks.wordpress.com

وهي القصور العالية أي البروج في الأصل هي القصور العالية وشبهت منازل السيارات[١] بها في كونها منازل السيارات كما أن القصور منازل لسكانها فأطلقت البروج على تلك المنازل استعارة تصريحية وإلى هذا أشار بقوله لأنها للكواكب الخ وعلى ما ذكرناه من أن البروج عند أهل الشرع عبارة عن مواضع مرتفعة فلا نقل ولا استعارة لكن المص طاب الله ثراه مال إلى مسلك الفلاسفة وبين معنى النظم الجليل على رأيهم.

قوله: (واشتقاقه من التبرج لظهوره) أي الاشتقاق الكبير[٢] وضمير اشتقاقه للبرج الدال عليه البروج.

قوله: (وجعل فيها) أي السماء وفيه دلالة على أن المراد بالسماء جميع السموات لأن السماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماة ولو أريد بالسماء الفلك الثامن لاحتياج إلى التكلف لأن الشمس في السماء الرابعة والبروج الاثني عشر في الفلك الثامن ومن هذا ظهر أن كون ضمير فيها راجعاً إلى البروج يحتاج إلى التمحل.

قوله: (يعني الشمس لقوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦][٣] **وقرأ حمزة والكسائي سرجاً)** يعني الشمس فيكون سراجاً استعارة مصرحة وفي قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦] تشبيه بليغ لأنها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عما حوله وشتان ما بين الإزالتين لكن السراج لما كان معروفاً لنا شبهت الشمس به.

قوله: (وهي الشمس والكواكب الكبار) وفيه أيضاً دليل على عموم السماء ولم يرض بكونه من قبيل أن إبراهيم كان أمة لأنها لعظمها وكمال إضاءتها كأنها سرج كثيرة أو باعتبار الأيام والمطالع لأنه تكلف والإفراد في قراءة غيرهما لا يلائمه وكذا وروده في النظم الكريم مفرداً يأبى عنه.

قوله: (مضيئاً بالليل وقرىء قمراً أي ذات قمر وهو جمع قمراء) مضيئاً الأولى منيراً بالليل لما قاله في سورة يونس وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور إلا أن يقال إن ميله

قوله: وقرىء قمراً أي ذا قمر وهو قراءة الحسن والأعمش وهي جمع ليلة قمراء فالمعنى ذا قمر لأن الليالي تكون قمراً بالقمر فإضافة إليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف إليه مقامه قول حسان:

يسقون من ورد البريض عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

يريد ماء بردى وهو نهر دمشق ومن ثمة ذكر يصفق.

---

(١) والسيارات القمر، والزهرة، والعطارد، والشمس، والمريخ، والمشتري، والزحل.

(٢) كاشتقاق الوجه من المواجهة.

(٣) وقيل السراج الشمس كما في القاموس فيكون حقيقة لكن هذا يشكل في قوله تعالى: ﴿وجعل الشمس سراجاً﴾ [نوح: ١٦].

besturdubooks.wordpress.com

أن النور أعم من الضوء قوله أي ذات قمر قدر المضاف لأنه جمع قمراء بمعنى منيرة وهي الليلة ذات القمر وصاحبها هو القمر نفسه[1] ويوافق القراءة المشهورة فيحسن وصفه منيراً على القراءتين ويتضح جعله في السماء لأن القمر وإن لم تكن في السماء لكن صاحبه وهو القمر فيها.

قوله: (ويحتمل أن يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب) بمعنى القمر فلا حذف فيه كالرشد الخ استشهاد على ذلك.

قوله تعالى: وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

قوله: (أي ذوي خلفة يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه فيما ينبغي أن يعمل فيه) ذوي خلفة تثنية ذوو جعل خلفة مفرداً لكونه مصدراً في الأصل ولما قدر المضاف قدره مثنى لوجوب المطابقة بين المفعول الأول والثاني لجعل في القاموس الخلف والخلفة بالكسر المختلف فعلى هذا لا يحتاج إلى تقدير المضاف والمعنى وجعلهما مختلفين وإفرادها لكونهما على زنة المصدر ولم يلتفت إليه المص أولاً بل الخلفة على معنى الخلف كما قال يخلف كل منهما الخ وهذا المعنى ذكره الزمخشري وهو ثقة في اللغة.

قوله: (أو بأن يعتقبا لقوله واختلاف الليل والنهار وهي للحالة من خلف كالركبة والجلسة) أو بأن يعتقبا والمعنى ذوي[2] عقبة يعقب هذا ذاك وذاك هذا قدم الأول لمناسبة

قوله: أي ذوي خلفة على لفظ التثنية الخلفة من خلف كالركبة وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار يعني أن خلفة مفرد لفظاً ومتعدد قال أبو البقاء خلفة مفعول ثانٍ أو حال وأفرد لأن المعنى يخلف أحدهما للآخر فلا يتحقق أحدهما إلا منهما.

قوله: أو بأن يعتقبا قال الزجاج هذا قول أهل اللغة وأنشد لزهير:

بها العين والارام يمشين خلفة ... واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

العين بالكسر بقر الوحش والآرام جمع رام وهو الولد والبقر والاطلاء جمع طلاء وهو الولد من ذوات طلف والمجثم مأوى الوحش وقال وجاء في التفسير أيضاً خلفة مختلفات قال الله تعالى واختلاف الليل والنهار وروى محيي السنة عن مجاهد يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه فجعل هذا أبيض وهذا أسود وقال الطيبي في كلام الزجاج إشعار بأن قول مجاهد على خلاف اللغة ولهذا اعتذر له صاحب الكشاف بقوله: ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة: ١٦٤] ويقال بفلان خلفة واختلاف إذا اختلف كثيراً إلى متبرزه.

---

(١) لأن الليالي تكون قمراً بالقمر فأضافه إليها كما في الكشاف.

(٢) كذا في الكشاف فعلى هذا لم يلتفت الشيخان إلى ما ذكر في القاموس لما عرفت من أنه لا يحتاج إلى تقدير ذوا فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

المقام وأيضاً المعنى الثاني مذكور في المواضع الكثيرة قوله لمن أراد أن يذكر يرجح المعنى الأول نعم المعنى الثاني أدل على وحدانيته تعالى وادعى إلى العبادة وسجود الرحمن وفيه توبيخ على نفورهم عن الإيمان وسجدة الرحمن كما أن الآية الأولى مسوقة لذلك وهي للحالة أي المصدر للنوع من خلف بمعنى الخلافة أو التعاقب.

قوله: (أن يتذكر آلاء الله ويتفكر في صنعه فيعلم أنه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد) أن يتذكر فأدغم فصار أن يذكر آلاء الله أي نعم الله تعالى دنيوية وأخروية روحانية أو جسمانية كسبية أو موهبية وتذكرها بأنواع العبادات والاجتناب عن المنكرات في الليالي والنهار حتى إذا فاته ما يعمل في النهار يعمله في الليل وبالعكس وبهذا يتضح حسن المعنى الأول في خلفة قوله ويتفكر في صنعه أي حذف المفعول للتعميم إلى التذكر والتفكر في نعم الله تعالى وفي صنعه التذكر يتنوع بالإضافة[1] فبالنسبة إلى آلاء الله تعالى يتحقق في العبادات البدنية والمالية وبالإضافة إلى صنعه ومصنوعاته يوجد في التفكر والنظر الصحيح المفيد للعلم الصريح ولذا قال فيعلم أنه لا بد الخ وفيه

قوله: أن يتذكر الاء الله ويتفكر في صنعه إلى آخره قال صاحب الكشاف عن أبي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم أنه لا بد لانتقالهما من حال إلى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ [القصص: ٧٣] أو ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما من العبادة قام به في الآخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب وفي النهاية استعتبه طلب أن يرضى عنه كما تقول استرضيته ومنه الحديث لا يتمنين أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله استعتب أي يرجع عن الاساءة ويطلب الرضى ومنه الحديث ولا بعد الموت من مستعتب أي ليس بعده استرضاء وكلمة أو في قوله عز وجل: ﴿أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] للتخيير والاباحة كما في قوله: ﴿أو كصيب من السماء﴾ [البقرة: ١٩] أو للجمع كما في قوله سبحانه: ﴿عذراً أو نذراً﴾ [المرسلات: ٦] ومن ثمة أتى صاحب الكشاف بالواو في موضعين حيث قال لينظر ويشكر وقال في وقتين للمتذكرين والشاكرين قال الطيبي في قوله لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً تعريضاً بأن الذين قالوا وما الرحمن انسجد لما تأمرنا أبوا التفكر في آيات الله جحوداً وعناداً وامتنعوا عن الشكر عتواً واستكباراً وتصريح بأن الذين توسموا بعباد الرحمن على خلاف ذلك قال ﴿والذين يمشون على الأرض هوناً﴾ وقال الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً ليقابل قولهم أنسجد وقوله وزادهم نفوراً وقال الإمام إنه تعالى لما حكى عن الكفار مزيد النفرة من السجود ذكر بعده ما لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود أو العبادة فقال: ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ [الفرقان: ٦١] يعني أن الذين قالوا وما الرحمن ما تفكروا في هذه القدرة وما شكروا هذه النعمة.

---

(١) فلا إشكال بأنه جمع بين المعنيين إما بالاشتراك اللفظي أو بالحقيقة وكلاهما مختلف فيهما بل أراد معنى مشتركاً بين المعنيين اشتراكاً معنوياً تدبر.

besturdubooks.wordpress.com

تنبيه على أن سبب نفورهم عن الإيمان والانقياد إلى الرحمن تركهم النظر الصحيح والإصرار على التقليد.

قوله: (أن يشكر الله على ما فيه من النعم) أي بصرفه جميع ما أنعم عليه إلى ما خلق له وهذا أكمل مراتب الشكر وأما الحمد المستفاد من قوله أن يتذكر آلاء الله تعالى فأعم منه فلا تكرار إنما قيل لمن أراد أن يذكر ولم يجيء لمن تذكر أو شكر إذ الخلفية تقتضي الإرادة لأن من أراد أن يذكر في الليل ولم يتيسر له التذكر ففيه تدارك في النهار وبالعكس وأما العمل بالفعل فلا يظهر له الخلفية واللام صلة جعل وعلة له ولما كان الخلفية لمن أراد المبرات بين أن فائدة ذلك لمن أراد التقرب إلى الله تعالى وأما بالنسبة إلى الأمور الدنيوية فلم يعتبر خلفيتهما لأنها ساقطة الاعتبار وأيضاً قيام كل واحد منهما مقام الآخر في الأمور الدنيوية غير ظاهر إذ ما فعل في أحدهما ينبغي أن يفعل فيه.

قوله: (أو ليكونا وقتين للمتذاكرين والشاكرين من فاته ورده في أحدهما تداركه في الآخر وقرأ حمزة أن يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائي فيه) أو ليكونا وقتين وجه آخر وإشارة إلى أن الوقت مقدر ولام التعليل داخل في الوقت لكن المآل واحد وكلامه ناظر إلى التفسير الأول أي الخلفية حيث قال من فاته ورد الخ قوله للمتذاكرين الخ حاصل المعنى ولم يذكر الإرادة لأن المتذاكرين أعم من الفعل والقوة قوله والشاكرين إشارة إلى أن أوفى النظم لمنع الخلو واختير شكوراً لرعاية الفاصلة وقدم التذكر لأن التفكر في صنعه ذريعة إلى الشكر الورد بكسر الواو الوظيفة من تلاوة وتسبيح وتحميد وغير ذلك حمل الخلفية في الأمور المندوبة وفي عبادة اللسان والظاهر العموم فإن من فاته صلاة واجبة في النهار قضاها في الليل وبالعكس قوله من ذكر أي الثلاثي.

قوله تعالى: وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾

قوله: (مبتدأ خبره أولئك يجزون الغرفة).

قوله: (أو الذين) الآية اخره مع قربه إذ الكلام مسوق لتبشيرهم بالجنة والمعنى وعباد الرحمن الموصوفون بهذه الصفات الحميدة أولئك يجزون الغرفة.

قوله: (وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أو لأنهم الراسخون في عبادته)

قوله: مبتدأ خبره ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ أي قوله وعباد الرحمن مبتدأ خبره في آخر السورة كأنه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ وفي الكشاف ويجوز أن يكون خبره الذين يمشون فعلى هذا يكون تعريضاً بالذين قالوا وما الرحمن ﴿انسجد لما تأمرنا﴾ لمقابلته مع ما عطف عليه بتضمنه معنى الخضوع والانقياد واستكبار هؤلاء الكفرة وامتناعهم من السجود.

قوله: وإضافتهم إلى الرحمن للتخصيص والتفضيل أي لتخصيصهم وتفضيلهم بجعلهم عباد

besturdubooks.wordpress.com

وإضافتهم إلى الرحمن من الأسماء الحسنى للتخصيص أي لتخصيص كمال الرحمة وأما أصل الرحمة فعام للموحدين الغير الموصوفين بمجموع هذه الصفات أو لتخصيص الرحمة وتمييزهم بها عن الكفار الذين لم يسجدوا الرحمن وكذا الكلام في التفصيل وقيل وإضافتهم إلى الرحمن يعني مع أن الكل عبيده للتخصيص أي لتمييزهم من بين العباد بذلك التشريف وفيه نظر لأن هذا جار في إضافتهم إلى غير الرحمن من الأسامي السامية لا سيما إلى الاسم الأعظم فالنكتة في إضافتهم إلى الرحمن دون غيره من الأسماء.

قوله: (على أن عباد جمع عابد كتاجر وتجار) على أن عباد بكسر العين وبالباء الموحدة جمع عابد هذا على الوجه الثاني وأما على الأول فجمع عبد والعباد بضم العين وتشديد الباء فلم يذكر هنا وعلى كلا المعنيين فيه تعريض[1] بالذين ﴿قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ [الفرقان: ٦٠] وبهذا يعلم ارتباطه بما قبله قوله وتجار بكسر التاء وتخفيف الجيم وقيل الظاهر أنه بضم العين وتشديد الباء وهي قراءة كما في الدر المصون كتاجر وتجار بضم التاء وتشديد الجيم وهذا لا كلام فيه لكن سوق كلام المص حيث قال على أن عباد الخ ظاهر فيما ذكر أولاً ولم يتعرض قراءة عباد بضم العين وتشديد الباء ولو قيل إن قوله على أن عباد جمع عابد إشارة إلى تلك القراءة لأوهم مثل هذه العبارة قراءة في غير هذا الموضع ولا يخفى فساده.

قوله: (هينين أو مشياً هيناً مصدر وصف به) هينين حال من الفاعل وأفرد لكونه

الرحمن هذا التأويل مبنٍ على أن يكون عباد الرحمن بالكسر جمع عبد من العبادة وهي أن يفعل العبد ما يرضاه الرب والعباد بالضم من العبودة وهي أن يرضى العبد بما يفعله الرب كذا ذكره الطيبي فقوله أو لأنهم الراسخون في العبادة مبنٍ على قراءة عباد بالضم جمع عابد كتاجر وتجار.

قوله: مصدر وصف أي هوناً مصدر وصف به مبالغة والمعنى على كونه حالاً هينين وعلى كونه صفة مشياً هيناً وفي جعله حالاً وصف به أيضاً لأن الحال صفة ذي الحال في المعنى فإن الركوب في قولك جاء زيد راكباً صفة زيد في المعنى بمعنى أن الركوب معنى قائم بزيد ولذا قال صاحب الكشاف بعد ذكر الوجهين إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث أحبب حبيبك هوناً ما وقوله المؤمنون هينون لينون والحديث المروي عن ابن مسعود حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس والمثل إذا عز أخوك فهن ومعناه إذا عاسرك فياسره والمعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع ولا يضربون بأقدامهم ولا يخففون تبعاً لهم اشراً وبطراً ولهذا كره بعض العلماء الركوب في الأسواق قوله لا خير بيننا وبينكم ولا شر داخل في شرح مقول قالوا أي قالوا تسليماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا وبينكم ولا شر فهو معنى المتاركة قوله أو سداداً عطف على تسليماً أي قالوا قولاً سديداً محكماً مستقيماً يسلمون لهم فيه من ايذائهم ومن الاثم.

---

(١) أي فيه بأنهم لبسوا عباداً له تعالى بهذا المعنى حيث تركوا عبادته وعبد غيره وإن كان عباداً بمعنى مخلوقون لهم وعن هذا قيل فيما مر: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾.

besturdubooks.wordpress.com

مصدراً هذا أصل معناه وسيجيء ما هو المراد قوله أو مشياً هيناً الأولى تركه مصدر الخ أي هون مصدر بمعنى اللين ضد الخشونة والرفق ضد الغلظة وصف به الذات مبالغة كرجل عدل هذا على كلا الوصفين لأن الحال وصف لصاحبها.

قوله: (والمعنى أنهم يمشون بسكينة وتواضع) والمعنى أنهم الخ يعني أنه كناية عما ذكر والتواضع صفة الماشي لا المشي واعتبار المبالغة في مثله ليس بحسن وذكر على الأرض مع أن المشي لا يكون إلا في الأرض للتنبيه على عموم الأرض وعلى عموم الأوقات كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ [هود: ٦] الآية وإنما ذكر على دون في كقوله تعالى: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ [الإسراء: ٣٧] الآية تنبيهاً على أنهم مع كونهم مستعلين على الأرض يتواضعون ويكون مشيهم بسكونة ووقار لا بالاستكبار.

قوله: (﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ [الفرقان: ٦٣]) الآية لما لم يكن مشيهم متواضعاً محافظاً للحدود خالياً عن مرور السفهاء ومخاطبتهم باللهو والإيذاء بين الله تعالى معاملتهم مع الجاهلين وإعراضهم عن مقابلة الغافلين عملاً بما ورد في الإنجيل لا تخاطبوا السفهاء فإنهم كالزنابير وتصدير الكلام بإذا والماضي لتحقق وقوعه وكثرة إيذائهم والتعبير بالجهل إشارة إلى علة الخطاب المذكور بأنواع الإيذاء وإن من قابله بمثل هذا الترهات فقد صار من زمرة الجاهلين العتاة ففيه زجر عظيم عن مخاطبة السفهاء لا سيما يظن أنه من الفقهاء[١].

قوله: (تسليماً منكم ومتاركة لكم لا خير بيننا ولا شر) تسليماً نصب على المصدرية أي نسلم منكم تسليماً والجملة مقول القول والأولى نسلم عليكم إذ ما حكي عنهم في سورة القصص ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص: ٥٥] قوله ومتاركة إشارة إلى أن السلام سلام التوديع والمتاركة لا سلام التحية ومثل هذا التسليم غير ممنوع عن الكفار وفي اللباب وقال الأصم قالوا سلاماً أي سلام توديع لا تحية كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه قال سلام عليك ونقل عن سيبويه أنه قال في كتابه قالوا سلاماً أي براءة[٢] منكم لأنها مكية والسلام في النساء وهي مدنية ولم يؤمر المسلمون بمكة أن يسلموا على المشركين وإنما هذا على معنى براءة منكم وتسلماً لا خير بيننا وبينكم ولا شراً واختاره المص.

قوله: (أو سداد من القول يسلمون فيه) أو سداداً من القول بفتح السين وهو عطف على تسليماً فحينئذٍ لا إشكال بأنهم كيف يسلمون الكفار حتى يتمحل في دفعه بالوجه المذكور وهذا ترك مقابلتهم بالوجه الذي هو غير ما حكي عنهم في سورة القصص فلا يتوجه ما قيل وهذا ليس بسديد لأن المراد هنا يقولون هذه اللفظة لا أنهم يقولون قولاً ذا سديد بدليل قوله ﴿سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ إذ لا حصر فيه فكما يقولون هذه

---

(١) فإن لزام الفقهاء العتاة أصعب من خرط القتاة.

(٢) ولعل للإشارة إلى معنى البراءة عدي السلام بمن لكن الاستعمال في النظم الجليل بعلى في هذه الحكاية.

besturdubooks.wordpress.com

اللفظة في ترك المقابلة بالسوء يقولون أيضاً قولاً ذا سديد سواء كان هذا اللفظ بخصوصه فإنه من سداد القول أو غير هذا اللفظ وكون القرآن مفسراً بعضه بعضاً لا يتمشى هنا إذ المعنى ظاهر في الموضعين وفي دفع الإيذاء سواء المسلكين.

قوله: (من الإيذاء والإثم لا ينافيه آية القتال) من الإيذاء استعمال الإيذاء كغيره صحيح قياساً واستعمالاً كما ذكره الراغب في مفرداته قوله والإثم هذا من جانب الموحدين كما أن الإيذاء من جانب المشركين.

قوله: (لتنسخه) أي آية القتال ما في هذه الآية أي لا تنسخه لعدم المنافاة بينهما ولو كانت منافية لنسخته لأنها مكية وآية القتال مدنية.

قوله: (فإن المراد هو الإغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام) فإن المراد الخ تعليل لعدم المخالفة وعدم النسخ هو الإغضاء أي إغماظ العين وترك مقابلتهم في الكلام كالتفسير لما قبله ولا ينافي ذلك المحاربة بالسيوف فهذا الحكم باق إلى الآن وغرضه رد القول بالنسخ كما نقل عن سيبويه.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾﴾

قوله: (والذين) أعيد اسم الموصول للتنبيه على أنه وصف مغاير لما قبله يحصل به المدح على حياله وبهذا يتغاير الموصوف تنزيلاً لتغاير الأوصاف منزلة تغاير الموصوفين وبهذه الملاحظة حسن العطف وكذا الكلام في باقي الموصولات.

قوله: (في الصلاة وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أحمز وأبعد من الرياء وتأخير

قوله: ولا ينافيه آية القتال وهي اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم لأن المراد بهذه الآية وهي ﴿إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾ [الفرقان: ٦٣] الاغضاء أي الاعراض عن السفهاء وترك مقابلتهم وهو لا ينافي مشروعية حكم القتال حتى تنسخه كما روي عن أبي العالية أنه نسختها آية القتال ولا حاجة إلى ذلك لأن الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع.

قوله: وتأخير القيام للروي الروي في النثر كالقافية في النظم وهو الحرف الأخير من الكلمة التي يراعى تطابقه في الاسجاع وفواصل الآي مثل الظاء في قوله يقرع الاسماع بزواجر عظه ويطبع الاسجاع بجواهر لفظه وقد روعي في هاتين القرينتين التطابق في الحروف الأخيرة في كل كلمة من كلماتهما وتسمى مثل هذه صنعة الترصيع.

قوله: أو مصدر أجري مجراه في جعله حالاً كجعل هوناً حالاً من واو يمشون.

قوله: وتخصيص البيتوتة لأن العبادة بالليل أشق وأبعد من الرياء البيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو تنم وقالوا من قرأ شيئاً من القرآن في صلاة وإن قل فقد بات ساجداً وقائماً وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر أنه وصف لهم بإحياء الليل أو أكثره يقال فلان يظل صائماً ويبيت قائماً قوله لازماً ومنه الغريم لملازمته وفي الكشاف غراماً

besturdubooks.wordpress.com

القيام للروي وهو جمع قائم أو مصدر) لأن العبادة بالليل الخ ويدخل فيها الصلاة دخولاً أولياً ولذا لم يقل لأن الصلاة فيها الخ ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن المراد بالصلاة مطلق العبادات البدنية أحمز بالحاء المهملة والزاي المعجمة بمعنى اشتق لكون الليل زمان النوم والراحة فمن عبد في الليل عبد في النهار أيضاً بطريق الأولوية فيدل عليه النص الكريم بدلالة النص وتأخير القيام مع أنه مقدم للروي أي لرعاية الفاصلة أو لشرافة السجدة قال عليه السلام أقرب ما يكون العبد إلى ربه إذا سجد أو رغماً للمستكبرين لإبائهم عنه ولعل التعبير بالبيتوتة[1] إشارة إلى أنهم يعبدون في أكثر الليل كقوله تعالى: ﴿وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ [الذاريات: ١٧] وذكر الرب هنا أوقع واللام لإفادة الإخلاص وفي ذكر القيام والسجود تقوية المجاز مع أنه يكفي فيه أحدهما كما في بعض المواضع.

قوله: (أجري مجراه) أي مجرى الجمع لأنه يشمل القليل والكثير وسجداً يرجح الجمعية ولذا قدمه ولعله اكتفى به.

قوله تعالى: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾

قوله: (﴿والذين يقولون﴾ [الفرقان: ٦٥]) الآية مدح لهم بأنهم مع كونهم قائمين في أكثر الليالي يتضرعون إلى ربهم ويستعيذون من عذاب جهنم كما سيجيء.

قوله: (لازماً ومنه الغريم لملازمته) لازماً غير مفارق بعد الإصابة سواء كان على التأبيد أو لا لأن اللزوم لا يستلزم التأبيد قوله ومنه الغريم الخ إشارة إليه وهذا استعاذة من سوء الحال المؤدي إلى العذاب وشدة السؤال.

قوله: (وهو إيذان بأنهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون إلى الله تعالى في صرفه عنهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم) بأنهم أي عباد الرحمن مع حسن مخالطتهم وقع في بعض النسخ مخالقتهم بالقاف مفاعلة من الخلق وصيغة المفاعلة ليست للمغالبة بل للمبالغة كقوله وخالق الناس بخلق حسن وأما نسخة مخالفتهم بالفاء فتحريف من الناسخ وهذا مفاد قوله

هلاكاً وخسراناً ملحاً لازماً ومنه الغريم لإلحاحه ولزامه وقال الراغب الغرم ما ينوب الإنسان من شدة ومصيبة وقال ابن الأعرابي الغرام الشر الدائم والعذاب.

قوله: مبتهلون إلى الله في صرفه عنهم أي متضرعون إليه في صرف العذاب عن أنفسهم لعدم اعتدادهم بأعمالهم أي لا يعتمدون على أعمالهم ولا يعدونها شيئاً ولا يثقون على استمرار حالهم على الإيمان والعمل الصالح لما علموا أن العبرة إلى الخواتيم فيبتهلون إلى الله في دفع العذاب عنهم كأنهم لم يعملوا عملاً صالحاً كقوله: ﴿والذين يؤتون ماتوا وقلوبهم وجلة﴾ [الفرقان: ٦٠] أي هم مع اجتهادهم خائفون متضرعون إلى الله.

---

(١) البيتوتة خلاف الظلول وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم كذا في الكشاف.

besturdubooks.wordpress.com

تعالى: ﴿الذين يمشون﴾ [الفرقان: ٦٣] الآية واجتهادهم الخ الاجتهاد منفهم من التعبير بالبيتوتة كما أشرنا إليه في عبادة الحق والتعبير بالعبادة لأن الصلاة جامعة لجميع العبادات أو هي مجاز أو كناية عن جميع المبرات البدنية قوله لعدم اعتدادهم لعدم علمهم بالخواتم أو بقبولها قوله والوثوق أي لعدم وثوقهم على استمرار أحوالهم لما مر من أن العاقبة ليست بمعلومة فكم من سعيد يشقى كعكسه وهذا مفاد قوله تعالى: ﴿يقولون ربنا اصرف﴾ [الفرقان: ٦٥] الآية وفي بيانه إشارة إلى وجه تقديم الأول على الثاني والثاني على الثالث إذ الواو وإن لم يقتض الترتيب لكن لا بد للترتيب الذكري فائدة وأيضاً فيه إشارة إلى الجامع بين المتعاطفين وعلى هذا فقس ما عداه من الموصولات فإن الجامع بينها باعتبار صفاتهم.

قوله تعالى: إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾

قوله: (أي بئست مستقراً وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به يرتبط الجملة باسم إن) أي بئست أشار به إلى أن ساء من أفعال الذم مثل بئس فإنه قد يستعمل في معنى أحزن كما سيجيء وفيها ضمير مبهم هو فاعلها قوله ضمير محذوف وهو هي.

قوله: (أو أحزنت وفيها ضمير اسم إن) أو أحزنت معنى آخر لساءت فيكون حينئذٍ من الأفعال التامة ومفعوله محذوف أي أحزنت أهلها وسكانها.

قوله: (ومستقراً حال أو تمييز) حال وهو الظاهر أو تمييز من النسبة وفاعل مجازاً أي أحزن استقرارها أهلها وعدم تعرضه لقوله مقاماً للتنبيه على أنه للتأكيد[1] والعطف للتغاير الاعتباري.

قوله: والمخصوص بالذم ضمير محذوف فالمعنى أنها أي أن جهنم بئست مستقراً ومقاماً هي ويجوز أن يكون ساءت بمعنى أحزنت وفيها ضمير اسم أن ومستقراً حال أو تمييز وأما على الأول فتمييز لا غير والتعليلان وهما ﴿إن عذابها كان غراماً وإنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٥، ٦٦] يجوز أن يكونا متداخلين بأن يكون الأول تعليلاً لسؤال صرف عذاب جهنم عنهم والثاني تعليلاً لمضمون التعليل الأول وأن يكونا مترادفين بأن يكون كلاهما تعليلاً لسؤال صرف العذاب وأن يكونا من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم قال صاحب المطلع فإن قيل كيف ذكر المفسر والمفسر مؤنث قلت لما أنث المفسر بمعنى الدار أو المنزلة وجب تأويل المفسر به كأنه قيل ساءت الدار داراً أو منزلة فالمفسر بمنزلة الاسماء الغير المشتقة فلذا لم يطابق المفسر قال الإمام كلاهما يمكن أن يكون ابتداء كلام الله ويمكن أن يكون حكاية لقولهم فقوله: ﴿إن عذابها كان غراماً﴾ [الفرقان: ٦٥] إشارة إلى كونها مضرة خالصة عن شوائب النفع وقوله: ﴿إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٦] إشارة إلى كونها دائمة والفرق بين المستقر والمقام بأن المستقر للعصاة من أهل الإيمان فإنهم يستقرون فيها ولا يقيمون والإقامة للكفار إلى هنا كلامه.

---

(١) والقول بأن المستقر للعصاة والمقام للكفرة ضعيف.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: **(والجملة تعليل للعلة الأولى)** والجملة أي جملة أنها ساءت تعليل للعلة الأولى فإن في المستقر والمقام دلالة على اللزوم لكن لا مدخل لقوله ساءت في العلية وأيضاً اللزوم فيه دلالة على الاستقرار والإقامة فالأولى الاحتمال الثاني.

قوله: **(أو تعليل ثان)** وترك العاطف للإشارة إلى صلوح كل منهما للتعليل على حياله وتقديم الأول لأن فيه تهويلاً عظيماً بذكر العذاب ولزومه بل تأييده نظراً إلى الظاهر المتبادر.

قوله: **(وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله تعالى)** أي من مقول قول العارفين وهو مقتضى السوق وعن هذا قدمه وعلى هذا التعليل للمقول وعلى الثاني التعليل للقول ولذا لم يعين المعلل فيما مر.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

قوله: **(﴿والذين إذا أنفقوا﴾)** فيه اختصار والمعنى ﴿والذين ينفقون في سبيل الله﴾ وإذا أنفقوا لم يسرفوا ولذا جيء بإذا مع الماضي.

قوله: **(لم يجاوز واحد الكرم)** وفيه زجر عظيم عن الإسراف في كل شيء حتى في الخير إذ لا خير في السرف وبيان تجاوز حد الكرم البسط كل البسط قال تعالى: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

قوله: **(ولم يضيقوا تضييق الشحيح)** أي البخيل.

قوله: **(وقيل الإسراف هو الإنفاق في المحارم والتقتير منع الواجب)** وقيل الإسراف[1] الخ مرضه لأن التخصيص خلاف الظاهر ويدخل هذا في التفسير الأول ومنع

قوله: ولم يضيقوا تضييق الشحيح والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الإسراف والإسراف مجاوزة الحد في النفقة وصفهم بالاقتصاد الذي هو بين الغلول والتقصير وبمثله أمر رسوله ﷺ بقوله عز قائلاً: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] وقيل الإسراف إنما هو الإنفاق في المعاصي فأما في القرب فلا إسراف وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز أنه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته وأحسن إليه فقال وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك إنما هو كلام أعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته وأحواله فقال الحسنة بين السيئتين يعني أن حال نفقتنا الاقتصاد وهو حسنة بين الإسراف والتقتير وهما سيئتان فعرف عبد الملك أنه أراد ما في هذه الآية فقال لابنه يا بني هذا مما أعده أيضاً وقيل أولئك أصحاب محمد كانوا لا يأكلون طعاماً للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوباً للجمال والزينة ولكن يأكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكفهم من الحر والقر.

---

(١) ومبنى هذا أن القرب لا إسراف فيه وسمع رجل رجلاً يقول لا خير في الإسراف فقال لا إسراف في الخير كأنه لم يصل إليه قوله تعالى: ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء: ٢٩] الآية.

besturdubooks.wordpress.com

الواجب كما يكون تقتيراً كذلك تنقيص الواجب يكون تقتيراً ومنع بذل ما يكون بذله مروءة تقتير أيضاً ولذا قال تضييق الشحيح ولا ريب في كون خلاف المروءة بخلاً وشحاً.

قوله: (قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسرة التاء وقرأ نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرىء بالتشديد والكل واحد) وقرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء كذا في النسخ المصححة ووقع في بعض النسخ بضم الياء وهو سهو من الناسخ وقد جرى المص على عادته وهي جعل قراءة الأكثر أصلاً.

قوله: (وسطاً وعدلاً سمي به لاستقامة الطرفين[1] كما سمي سواء لاستوائهما) وسطاً وعدلاً أي معتدلاً معنى وسطاً قوله سمي أي الوسط بمعنى عدلاً معتدلاً به أي بالقوام لاستقامة الطرفين كان كلاً منهما يقاوم الآخر توضيحه أن الوسط في الأصل اسم المكان الذي يستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي الإفراط والتفريط وهنا المراد الجواد الذي هو بين الإسراف والبخل ثم سمي ذلك الوسط بالقوام بفتح القاف وهو العدل بين الشيئين أي المعتدل لا إفراط فيه ولا تفريط وضمير كان راجع إلى الإنفاق الدال عليه أنفقوا والمعنى وكان إنفاقهم بين ذلك المذكور من الإسراف والإقتار قواماً معتدلاً.

قوله: (وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر ثانٍ أو حال مؤكدة ويجوز أن يكون الخبر وبين ذلك لغواً) وقرىء بالكسر وهو ما يقام به الحاجة الخ فالمعنى حينئذٍ وكان إنفاقهم بين ذلك قواماً ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمراد الحاجة الشرعية والمعنيان متحدان معنى قدم الأول لأنه الأنسب لذكر الإسراف والتقتير وهو خبر ثانٍ والخبر الأول بين ذلك أو حال مؤكدة يشير إلى أنه كالتأكيد للخبر الأول حين كونه خبراً ثانياً وهذا عزيز في الخبر قوله وبين ذلك لغواً أي ظرف لغو متعلقاً بقواماً قدم لرعاية الفاصلة.

قوله: (وقيل إنه اسم كان لكنه مبني لإضافته إلى غير متمكن وهو ضعيف) وقيل إنه

قوله: سمي به لاستقامة الطرفين أي سمي الوسط بالقوام لاستقامة طرفيه.

قوله: أو حال مؤكدة ومعنى تأكيده أنه أفاد قوله بين ذلك معنى القوام لأن معناه وكان وسطاً فكأنه قيل وكان وسطاً وسطاً.

قوله: وقيل إنه أي لفظ بين اسم كان لكن لم يرفع لفظاً بل فتح النون لاكتسابه البناء بإضافته إلى المبنى وهو اسم الإشارة.

قوله: وهو ضعيف أي كون بين ذلك اسم ذلك ضعيف لأن معنى بين ذلك هو معنى القوام فيكون كان يقال وكان وسط ذلك وسطاً وهو الإخبار بالشيء عن نفسه وإنما قال رحمه الله

---

(١) أي تعادلهما وعدلاً بمعنى متعدلاً كأن كلا منهما يقاوم الآخر فيحصل الكيفية المتوسطة.

besturdubooks.wordpress.com

أي بين ذلك اسم كان فلا ضمير فيه راجع إلى الإنفاق لكنه أي بين مبني لإضافته إلى غير متمكن أي مبني وهو اسم الإشارة المضاف قد يكتسب البناء مما أضيف إليه إذا كان المضاف ظرفاً أو في حكمه كما ذكر في كتب النحو.

قوله: (لأنه بمعنى القوام فيكون كالإخبار بالشيء عن نفسه) لأنه بمعنى القوام فلذا قال حال مؤكدة هذا على قراءة الفتح كما اختاره وكلامه بناء عليه وأما قراءة كسر القاف فلا لأن معناه ليس بين ذلك وكونه من قبيل شعري شعري لا يدفع الضعف لاحتياجه إلى التأويل بأنه قواماً مقبولاً وقد يقال بين ذلك أعم من القوام بمعنى العدل الذي يكون نسبة كل واحد من أطرافه إليه على السوية فإن ما بين الإقتار والإسراف لا يلزم أن يكون قواماً بهذا المعنى لأنه يجوز أن يكون دون الإسراف بقليل وفوق الإقتار بقليل فيكون الإخبار عن الأعم بالأخص وهو غير صحيح على وجه العموم كما هو الظاهر هنا وعلى وجه البعضية صحيح لكن لا أداة ولا قرينة عليها سوى الفساد مع أنه يرد عليه أنه يبعد أن يكون مدحهم لمراعاة حاق الوسط مع ما فيه من الحرج الذي نفاه عن الإسلام فلا يتحقق المدح من لا يراعي ذلك مع الإتيان لغيره من أصول الطاعات وإن أمكن دفعه بأن المراد الحاق الوسط تقريباً فلا حرج فيه وبالجملة لا يخلو ذلك عن ضعف وإن صح في الجملة.

كالإخبار لتغايرهما لفظاً وقائل هذا الوجه الضعيف الفراء فإنه أجاز ذلك وقال صاحب الكشاف وهو من جهة الإعراب لا بأس به ولكن المعنى ليس بقوي ووجه عدم قوته ما ذكره القاضي رحمه الله موافقاً لما في الكشاف وأجاب عنه صاحب المطلع أن ما بين الإسراف والاقتار لا يلزم أن يكون قواماً أي عدلاً لأنه يجوز أن يكون دون الإسراف بقليل أو فوق الاقتار بقليل فما بينهما وسط بسكون السين يتناول العدل وغيره فالتقدير وكان الوسط بين ذلك قواماً وأجيب عنه بأنه يلزم من هذا الحرج المنفي في قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ [الحج: ٧٨] فإن في قواماً على ما مر دلالة على مراعاة حاق الوسط بمعنى أن قوله بين ذلك كان يحتمل معنى الوسط بالسكون الذي هو اسم مبهم لداخل الدائرة فأخبر بقوله قواماً أن المراد منه الوسط بالتحريك الذي هو اسم لعين ما بين طرفي الشيء كمركز الدائرة ولا ارتياب أن مراعاة ذلك متعذراً ولا يتيسر إلا بالندرة أقول ليس المراد بالقوام ذلك الحد المتعذر رعايته بل المراد به ما يعد وسطاً في متعارف الناس وهو مقدار معلوم يمكن رعايته وهذا الحد المتعارف لكونه معلوماً مغاير للوسط المبهم فيفيد أن يخبر به عنه فائدة يعتد بها وقال صاحب الفرائد ما أورده صاحب الكشاف على الفراء وارد عليه في قوله المنصوبان أعني بين ذلك قواماً جائز أن يكونا خبرين معاً ويمكن أن يقال في جوابه إن المراد من القوام العدل وهو بهذا المعنى يصح أن يكون خبر البين ذلك فهو لا يخلو عن فائدة والحق في الجواب ما ذكره ابن جني من أن الثاني جار مجرى الصفة المؤكدة أي توسطاً مقيماً كقوله تعالى: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم: ٢٠] والأخرى توكيد.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

قوله: (﴿والذين لا يدعون مع الله﴾ [الفرقان: ٦٨]) أي لا يشركون به غيره لأن من يعبد الله تعالى مع غيره فقد عبد غيره.

قوله: (أي حرمها بمعنى حرم قتلها) بقرينة لا يقتلون لأن الحل والحرمة وإن تعلقا بالذوات حقيقة عند علمائنا لكن المراد الفعل من الأفعال وهنا القتل وفي قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة﴾ [المائدة: ٣] الأكل وفي مذهب الشافعي الحل والحرمة إنما يتعلق بالأفعال وتعلقهما بالأعيان مجاز.

قوله: (متعلق بالقتل المحذوف) أي في حرم الله قتلها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق المعروف في الشرع ولذا عرف الحق فيكون الاستثناء مفرغاً في الإثبات وهو صحيح لاستقامة المعنى بإرادة العموم فلا حاجة إلى جعل حرم بمعنى النفي.

قوله: (أو بلا يقتلون) اخره لبعده لفظاً ومعنى لأنه حينئذٍ لا يفهم صريحاً عدم حرمة قتلها بالحق وهو الردة معاذ الله تعالى والزنا بعد الإحصان والقتل عمداً وقد جوز فيه أن يكون صفة مصدر محذوف على أن الباء للملابسة أي قتلاً ملتبساً بالحق أو حالاً أي ملتبسين بالحق.

قوله: (نفى عنهم أمهات المعاصي بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات إظهاراً لكمال إيمانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضاً للكفرة بأضداده

قوله: متعلق بالقتل المحذوف أي الجار في قوله بالحق متعلق بالقتل المحذوف الواقع مفعول حرم المضاف إلى ضمير النفس كما صوره بقوله حرم قتلها أو بلا يقتلون المذكور.

قوله: نفى عنهم أمهات المعاصي وهي الإسراف في الانفاق والإشراك بالله وقتل النفس بغير حق والزنا بعد ما أثبت لهم أصول الطاعات التي هي مشيهم على الأرض هوناً وقولهم سلاماً حين ما خاطبهم الجاهلون وبيتوتتهم لربهم سجداً وقياماً وتضرعهم إلى ربهم ودعاؤهم بصرف عذاب الآخرة عنهم اظهاراً لكمال إيمانهم وإشعاراً بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك أي وإشعاراً بأن الأجر المذكور بقوله: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ [الفرقان: ٧٥] الواقع خبراً لقوله: ﴿وعباد الرحمن﴾ [الفرقان: ٦٣] موعود لمن جمع بين تلك الصفات الثمانية المذكورة التي أربع منها ثبوتيات وأربع سلبيات.

قوله: وتعريضاً للكفرة بأضداده الضمير في بأضداده راجع إلى المشار إليه بلفظ ذلك في قوله للجامع بين ذلك أي بأضداد ما عليه عباد الرحمن من الصفات الثمانية المذكورة أي وصفهم بالصفات المذكورة تعريضاً للكفار القائلين انسجد لما تأمرنا بأنهم موصوفون بأضداد ما عليه المؤمنون والأنسب لمعنى التعريض أن يكون الذين يمشون على الأرض هوناً مع ما عطف عليه خبراً لقوله وعباد الرحمن لإفادته بطريق القصر أن العباد الذين يحقون أن يقال لهم عباد الرحمن هم الموصوفون بهذه الخصال الحميدة لا الكفرة لأنهم على خلاف ما هم عليه من محاسن

besturdubooks.wordpress.com

ولذلك عقبه بالوعيد تهديداً لهم فقال ومن يفعل الخ) نفى عنهم أمهات المعاصي أي أصولها ومعظمها بعد ما ثبت الخ وهي القتل بغير حق والزنا مع تقديم الشرك عليهما لأنه أعظم من كل المعاصي لا أعظم فوقه وما عداه أعظم بالنسبة وفي كلامه إشارة إلى وجه الترتيب المذكور لأن الطاعات تشمل الكف عن المعاصي وفي قوله أمهات المعاصي وأصول الطاعات تنبيه على أنهم مواظبون على جميع الطاعات ومجتنبون عن كل المنكرات بقدر الاستطاعة وهم ممن ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ [آل عمران: ١٠٢] وإلى هذا أشار بقوله إظهاراً لكمال إيمانهم الخ والمراد بالأجر الموعود في قوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ [الفرقان: ٧٥] الآية وكون هذا الموعود للجامع بين ذلك وهو أعلى مواضع الجنة لا ينافي نفس الجنة موعوداً للمؤمن الغير الجامع بين ذلك ولذلك قال تعريضاً للكفرة الخ أشار إلى أن المراد بمن في قوله ومن يفعل ذلك الكفار لأن الإشراك بالله داخل في الفعل وحال عصاة الموحدين مسكوت عنها كما في أكثر المواضع والمراد بذلك الشرك بالله والقتل والزنى وإفراد اسم الإشارة باعتبار ما ذكر وصيغة البعد للتحقير.

قوله: (جزاء إثم أو إثماً بإضمار الجزاء) جزاء إثم إذ اللقاء إنما هو للجزاء فجوز احتمالين كون الآثام بمعنى الجزاء[1] كما ذكره بعض أهل اللغة فلا تقدير حينئذٍ أو الآثام بمعنى الإثم فيقدر مضاف أي الجزاء لما ذكرنا ويجوز المجاز في الكلمة[2].

قوله: (وقرىء أياماً أي شدائد يقال يوم ذو أيام أي صعب) وقرىء أياماً أي شدائد مجازا تسمية للظرف باسم ما وقع فيه ثم صار كحقيقة عرفية لأن معنى الأيام الوقائع الحاصلة فيها.

قوله تعالى: يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

قوله: (بدل من يلق لأنه في معناه) وفيه تأمل والظاهر أنه بدل اشتمال إذا للقاء بالجزاء ليس عين مضاعفة العذاب بل هو مشتمل به إلا أن يقال إنهما متحدان ذاتاً هنا وإن تغايرا مفهوماً.

الأوصاف وإذا كان خبر المبتدأ ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ [الفرقان: ٧٥] يجوز أن يكون تعريضاً أيضاً بأن مقابليهم لا يجزون ذلك الجزاء لكن الأول أنسب وأعرف بحسب المعنى.

قوله: جزاء اثم أو اثماً يريد أن الآثام إما أن يراد بها جزاء الاثم كالثواب لجزاء الطاعة مثل الوبال والنكال صيغة ومعنى وإما أن يراد به مطلق الآثم فحينئذٍ يحتاج إلى تقدير مضاف وهو المراد بقوله جزاء أثم وفي الأساس كانوا يفزعون من الآثام أشد ما يفزعون من الآثام وهو وبال الاثم.

---

(١) فإن الآثام كالوبال والنكال وزنا ومعنى كذا في الكشاف.
(٢) أي ذكر الاثم وأريد جزاؤه بعلاقة السببية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا   تجد حطباً جزلاً وناراً تأججا)

تلمم أي تنزل بدل من تأتنا بدل الكل والباء في بنا للتعدية وهذا محل الاستشهاد والاستشهاد به لمجرد الإبدال من الشرط وليس جواب الشرط لعدم الفائدة فيه إلا أن يأول فالجواب تجد جزلاً أي عظيماً يابساً كثيراً وتأججا الألف للإشباع كقوله أخوك أخو الخ فكيف التاء وتذكير تأجج لتأويل النار بالمذكور إذ التأنيث يخل الوزن وأما كونه تثنية لتغليب الحطب على النار فجيء بالتذكير وكذا كون الألف مبدلة من نون التأكيد الخفيفة والفعل مضارع حذف منه إحدى التاءين فضعيف[1] جداً لا طائل تحته قطعاً حيث ظهر صحة اعتبار كونه ماضياً مذكراً بألف الإشباع.

قوله: (وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال وكذلك قوله ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ [الفرقان: ٦٩]) أو الحال من فاعل يلق وهذا يؤيد ما قلنا من أن يضاعف ليس عين معنى يلق بل الاستئناف أيضاً والمراد استئناف نحوي ويحتمل أن يكون استئنافاً معانياً.

قوله: (وابن كثير ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع فيهما مع التشديد وحذف

قوله: كقوله:

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا

البيت تلمم أي تنزل من ألم بالمكان إذا نزل فيه والجزل الكثير والتأجج بالجيمين المعجمتين مهموز من الأجيج والأجيج والتأجج التلهب يقال أجت النار تؤج أجيجاً واججتها الهبتها فتأججت أي تلهبت والأولى في تأججا أن يكون تثنية مسنداً إلى ضمير الحطب والنار وتذكيره لتغليب الحطب على النار وقيل تأججن بالنون الخفيفة والأصل تتأججن حذف إحدى التاءين كقوله تعالى: ﴿لنسفعا﴾ وكقول الشاعر:

ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا

أي الله فاعبدن والاستشهاد في تلمم وهو بدل من تأتنا منجزم مثله.

قوله: وقرأ أبو بكر بالرفع على الاستئناف أو الحال أما الأول فلبيان كيفية لقائه جزاء الاثم فكان قائلاً قال كيف يكون المجازاة لفاعل تلك الآثام فأجيب بأنه يضاعف له العذاب وأما الثاني فلبيان حال من يلقى الآثام حين المجازاة وذو الحال الضمير في يلقى أي يلقى الآثام مضاعفاً له العذاب وكذا قوله سبحانه: ﴿ويخلد فيه مهاناً﴾ [الفرقان: ٦٩] في احتمال الاستئناف والحال لأنه معطوف عليه.

قوله: وابن كثير ويعقوب عطف على أبو بكر في قوله وقرأ أبو بكر أي قرأ ابن كثير ويعقوب يضعف على صيغة المجهول بالجزم والتشديد وقرأ ابن عامر بالرفع فيهما أي في يضعف ويخلد مع التشديد فيهما وحذف الألف في يضعف وقرىء يخلد مخففاً على بناء

---

(١) ويستغني عن التمحل بأنه يجوز الحاق النون بالمضارع الخالي عن الطلب للضرورة كما نقل عن سيبويه.

besturdubooks.wordpress.com

الألف في يضعف) مع التشديد للمبالغة والتكثير متعلق بالقراءتين وفي يضعف متعلق بالتشديد وحذف الألف.

قوله: (وقرأ أبو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففاً وقرىء مثقلاً وتضعف له العذاب) وقرأ أي يخلد مثقلاً مجهولاً وتضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب كذا في الكشاف.

قوله: (ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر) أي ليس تلك المضاعفة بالزيادة على ما يستحقه بل هي بانضمام المعصية إلى الكفر فالمضاعفة بالنسبة إلى الكفر وحده أو المعصية سوى الكفر وحدها فلا إشكال بأن ظاهره لا يلائم قوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ [الشورى: ٤٠] فإن الجزاء هنا مثل سيئة لكن لما كانت السيئة مضاعفة كانت العقوبة أيضاً مضاعفة وهذا بناء على أن الكفار مخاطبون بالفروع ولك أن تقول إن مضاعفة العذاب بسبب ترك اعتقاد الفروع أعني ترك اعتقاد فرضية الصلاة مثلاً وهكذا فلا يدل على أنهم مخاطبون بالفروع.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾

قوله: (ويدل عليه قوله: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً﴾ [الفرقان: ٧٠] الآية) ويدل عليه قوله الخ وجه الدلالة انضمام العمل الصالح إلى الإيمان واستثناء المؤمن يدل على اعتبار الكفر في المستثنى منه واستثناء العمل الصالح يدل على اعتبار تركه في المستثنى منه وما قيل إن المستثنى هو الجامع بين التوبة والإيمان والعمل الصالح فلا يلزم اعتبار الكفر والمعصية في المستثنى منه فتأمل والمستثنى منه من يفعل ذلك والفعل كناية عن مجموع الشرك والقتل والزنا وترتب الجزاء عليه يدل على أن للمعصية مدخلاً في تلك المضاعفة وإلا لخلا ذكر المعصية عن الفائدة ومراد المص بقوله ويدل عليه الخ مزيد تقوية ذلك ولذلك قال فيما مر وتعريضاً بأضداده ولعل لهذا قال فتأمل وبالجملة كون المستثنى منه جامعاً بين أضداد ما ذكر في المستثنى أظهر من أن يخفى بالفكر الأوفى.

قوله: (بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لو أحمق طاعاتهم) بأن يمحو

المفعول من الاخلاد ومثلاً من التخليد وقرىء نضعف بالنون على بناء الفاعل ونصب العذاب.

قوله: ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية إلى الكفر فيضاعف الم العذاب لمضاعفة الاثم ويتكثر العقوبة لتكثر المعاقب عليه.

قوله: بأن يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة أول رحمه الله معنى التبديل بتأويلين التأويل الأول مبني على أن يكون المراد بالحسنة الواقعة بدل السيئة نفس التوبة والإيمان والعمل الصالح والتأويل الثاني على أن يكون المراد بها ما يحصل بعد تلك الأمور الثلاثة فإن ملكة الطاعة في النفس لا تحصل في بدء

besturdubooks.wordpress.com

سوابق الخ فالتبديل بإقامة شيء مقامه ومعنى التبديل والاستبدال أخذ الأول بدل الثاني بعد أن كان حاصلاً أو في شرف الحصول وإطلاقه على إقامة شيء مقام شيء آخر غير ظاهر.

قوله: (أو يبدل ملكة المعصية في النفس بملكة الطاعة) أو يبدل ملكة المعصية الخ والمتعارف في الاستعمال إدخال الباء على المتروك دون الحاصل قال تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين﴾ [سبأ: ١٦] وأشار إلى أن التبديل يتعدى إلى المفعول الواحد بنفسه وإلى الثاني بالباء لكن على وجه ما ذكرنا ففي النظم حذف وإيصال والبعض ذهب إلى أن التبديل يتعدى إلى المفعولين استدلالاً بهذه الآية ونحوها ويرده قوله تعالى: ﴿وبدلناهم بجنتيهم جنتين﴾ [سبأ: ١٦] وعلى هذا يكون المراد بالسيئات ملكتها وبالحسنات ملكتها مجازاً لكون الملكة وهي كيفية راسخة سبباً لها ومعنى التبديل فيها أظهر من الأول.

قوله: (وقيل بأن يوفقه لأضداد ما سلف منه) مرضه لأن هذا عين التوبة والإيمان والعمل إذ المراد بما سلف الكفر وسائر المعاصي وما قيل في وجه التمريض لأن مآله إلى أحد الوجهين السابقين فبعيد.

قوله: (أو بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً) فيكون المراد بالسيئات والحسنات عقابها وثوابها مجازاً فذكر السبب وأريد المسبب عكس ما ذكر في الملكة روي أنه عليه السلام قال ليأتين ناس يوم القيامة ودوا أنهم استكثروا السيئات قيل من هم يا رسول الله قال عليه السلام هم الذين بدل الله سيئاتهم حسنات كذا في الحاشية السعدية اخر هذا المعنى مع أنه مؤيد بهذا الخبر الشريف لأن فيه نوع بعد والخبر خبر واحد فلا يقاوم ما دل عليه النصوص من أن التائب مغفور وأما عقابه يبدل ثواباً فلا نص عليه صريحاً وهذا البيان مقتضى تأخيره ويرجى ذلك من سعة فضله.

قوله: (وكان الله غفوراً رحيماً فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات)

حدوثها بل بعد التمرن عليها والباء في بأن يمحو وبأن يوفق وبأن يثبت متعلقه بيبدل في قوله عز من قائل: ﴿يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ [الفرقان: ٧٠].

قوله: بأن يثبت له بدل كل عقاب ثواباً يدل عليه حديث أبي ذر قال رسول الله ﷺ آخر رجل يخرج من النار يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال له أعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عليه كبارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال أعطوه مكان كل سيئة حسنة فيقول إن لي ذنوباً ما أراها ههنا قال أبو ذر فلقد رأيت النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه رواه الترمذي وقيل رواه مسلم عن أبي ذر مع تغيير فيه فهذه المعاملة مع من هو آخر الناس خروجاً من النار فكيف بالمؤمن التائب الآتي بالأعمال الصالحة وروى الإمام عن سعيد بن مكحول يمحي السيئة ويثبت له بدلها الحسنة لما ورد ليتمنين أقوام أنهم أكثروا من السيئات قيل من هم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا يبعد ذلك من حيث الدليل فإن التائب النادم كلما تحسر على ذنب صدر عنه استغفر الله لأجله أو خضع واستكان نال من الزلفى إلى الله من الدرجات ما لا يناله بالطاعة.

قوله: فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب على الحسنات وهو نشر على ترتيب اللف فإن قوله:

besturdubooks.wordpress.com

الغفور ناظر إلى محو السيئات والرحيم ناظر إلى التبديل المذكور بأي معنى كان وعن هذا قال فلذلك يعفو عن السيئات الخ فهذا أحسن مراعاة النظير.

قوله تعالى: وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾

قوله: (عن المعاصي بتركها والندم عليها) عن المعاصي ويدخل فيها الشرك والكفر قوله بتركها الخ إشارة إلى ركن التوبة وهو الندامة وهي ركن أعظم ولها ركن آخر وهو العزم على أن لا يعود واكتفى بالركن الأعظم وأما مطلق الترك فليس بتوبة ويدخل في الندامة إعادة الفرائض ورد المظالم واستحلال الخصوم.

قوله: (يتلافى به ما فرط أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة مرضياً عند الله تعالى ماحياً للعقاب محصلاً للثواب) يتلافى بالفاء بمعنى يتدارك ولعل هذا إشارة إلى ما قاله في سورة التحريم من قوله ومن التوبة أن تربي نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية أو إلى إعادة الفرائض كما ذكرنا قوله أو خرج عن المعاصي هذا ناظر إلى التوبة ودخل في الطاعة وإن لم يكن تدارك ما فرط وهو الفرق بينهما وأما القول بأن المراد خرج عن المعاصي أي جنس المعاصي وإن لم يفعلها وهو الفرق بينهما فبعيد إذ إطلاق التوبة على الخروج بدون فعل ليس بمعروف في الشرع.

قوله: (يرجع إلى الله تعالى بذلك) أي بذلك المذكور من التوبة فهذا رجوع مخصوص وهذا الرجوع إلى رضاء الله تعالى بشراشره كقوله تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾ [هود: ٣] الآية وأما الرجوع إلى الله تعالى بالموت والبعث فعام فلا مساس له هنا على أن قوله متاباً معناه مرضياً وهذا ليس بعام قوله مرضياً أي متاباً مرضياً بناء على أن التنوين للتعظيم والمراد بالثواب الثواب الحاصل من لواحق الطاعات أو الثواب المبدل من العقاب.

﴿يعفو عن السيئات﴾ [الشورى: ٢٥] ناظر إلى كونه غفوراً وقوله: يثيب على الحسنات إلى كونه رحيماً لأن الرحمة بمعنى الانعام المناسب للاثابة على الحسنات.

قوله: يتلافى به التلافي بالفاء التدارك يقال تلافيته أي تداركته هذا التأويل مبني على أن يكون المراد بالمعاصي ما عمله التائب وبالعمل الصالح عملاً يصلح أن يتدارك به ما فرط منه وقوله أو خرج عن المعاصي ودخل في الطاعة مبني على أن يكون المراد بالمعاصي والطاعة الجنس فالمعنى على الأول من تاب عن المعاصي التي فعلها بأن تركها وندم عليها وتدارك ما فرط منه بأن يعمل عملاً صالحاً بدله ﴿فإنه يتوب﴾ [الفرقان: ٧١] الآية وعلى الثاني ومن تاب عن جنس المعاصي ودخل في جنس الطاعة ﴿فإنه يتوب﴾ [الفرقان: ٧١] الآية.

قوله: مرضياً عند الله ماحياً للعقاب محصلاً للثواب وذلك أن الشرط والجزاء إذا اتحدا معنى حمل الجزاء على نهاية ما يحتمله من المعنى ونحوه قولهم من ادرك الضمان فقد ادرك وقولهم من نجا من ورطة الهلاك فقد نجا وإلى اتحاد الشرط والجزاء أشار رحمه الله بقوله بذلك حيث قال يرجع إلى الله بذلك أي يرجع بذلك التوبة إلى الله متاباً حسناً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو يتوب متاباً إلى الله الذي يحب التائبين ويصطنع بهم) الذي يحب التائبين بقرينة قوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين﴾ [البقرة: ٢٢٢] قوله ويصطنع أي يحسن ويرفق بهم بيان معنى محبة الله تعالى وتعدية يصطنع بالباء لتضمنه معنى اللطف لأن الله لطيف بعباده.

قوله: (أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً) وهذا هو الرجوع بالموت أو بالبعث فإنه وإن كان عاماً لكن الرجوع بالمرجع الحسن خاص بهم.

قوله: (وهذا تعميم بعد تخصيص) أي بحسب الظاهر وإلا فقد عرفت أن في كلامه تنبيهاً[1] على عموم الأول أيضاً والفرق بينهما أن ههنا اعتبر رجوعه إلى الله تعالى دون الأول وهناك اعتبر التبديل المذكور دون هنا وفيه صنعة الاحتباك ولو أبقى ما سبق على

قوله: أو يتوب إلى الله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم يعني أعيد المعنى ليناط به صريح اسمه الجامع ليؤذن به أن من يكون توبته إلى من اسمه الله فتوبته أعظم فإن اسمه الأعظم الجامع لسائر صفاته الحسنى واسمائه العظمى وله في كل مقام نجل بحسب اقتضاء ذلك المقام والقابل له وهذا المقام مقام التوبة والتجلي بوصف التوابية وأشار إليه رحمه الله بقوله الذي يحب التوابين ويصطنع بهم وقال صاحب الكشاف في هذا الوجه أو فإنه تائب متاباً إلى الله الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد تم كلامه روى البخاري ومسلم والترمذي عن الحارث بن سويد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فإذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فالله سبحانه وتعالى أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته واللام في لله للابتداء والدوية القلاة والمفازة والراحلة البعير الذي يركبه الإنسان ويحمل عليه متاعه والفرح من الله غاية الرضى.

قوله: أو فإنه يرجع إلى الله وإلى ثوابه مرجعاً حسناً وعلى هذا يكون معنى يتوب يرجع مطلقاً غير مقيد بالرجوع عن الذنب بخلاف الوجهين الأولين فإن معنى التوبة فيهما الرجوع من الذنب وأشار رحمه الله إليه بقوله وهذا تعميم بعد تخصيص فإن قلت ما الفرق بين الوجهين الأولين حتى جعل الموصوف في الأول متاباً وفي الثاني الله تعالى مع أن الشرط والجزاء متحدان فيهما قلنا إن القصد الأول في التكرير على الأول إلى جعل الجزاء عين الشرط من غير نظر إلى ذكر الله لأن المراد حينئذٍ اطلاق الجزاء لا تقييده بالمرجوع إليه ليفيد معنى المبالغة في المصدر كما ذكر في قولهم من ادرك الضمان فقد ادرك فوصف مصدر الفعل وهو متاباً وعلى الثاني إلى مجردة اناطة اسم الله عز وجل من غير نظر إلى المنوط به فوصف ما لأجله التكرير وهو الله تعالى لأنه المقصود.

---

(١) حيث عبر بأمهات المعاصي عنها فمن احترز عن أمهاتها احترز عن فروعها.

besturdubooks.wordpress.com

ظاهره يكون هذا تعميماً بعد التخصيص والنكتة في التخصيص التنبيه على كمال شناعتها لأن الزنا أشنع أحوال الإنسان والشرك والقتل غني عن البيان.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾

قوله: (أي لا يقيمون الشهادة الباطلة) أي يؤدون الشهادة والإقامة هنا غير مستحسن أو أكثر استعماله بل عمومه في الأمور الممدوحة وإنما فسرها بها ليحصل المقابلة للوجه الآتي.

قوله: (أو لا يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه) أو لا يحضرون الخ وهذا مجاز والعلاقة ما أشار إليه بقوله فإن مشاهدة الباطل الخ أولاً يشهدون من الشهود بمعنى الحضور فحينئذٍ يكون قوله فإن مشاهدة الباطل أي بالاختيار بيان فساد ذلك الحضور والزور إما منصوب على المصدرية أو بنزع الخافض إن كان من الشهادة أي شهادة الزور أو بالزور وإن كان من الشهود فهو مفعول به بتقدير مضاف[1] كما أشار إليه بقوله محاضر الكذب سواء كان ذلك شهادة الزور أو لا ولذا قال الكذب فالثاني أعم والأول أهم.

قوله: لا يقيمون الشهادة الباطلة أو لا يحضرون محاضر الكذب الوجه الأول تفسير للشهادة على المعنى المصطلح عند الفقهاء والثاني تفسير لها على المعنى اللغوي.

قوله: فإن مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة إلى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه في الاثم لأن حضورهم ونظرهم دليل الرضى وسبب وجوده وسبب الزيادة فيه لأن الذي سلط على فعله وحمل الفاعل عليه هو استحسان الناظرين ورغبتهم في النظر إليه وفي مواعظ عيسى ابن مريم صلوات الله عليه إياكم ومجالسة الخطائين ويدخل فيما لم يسوغه الشريعة ابنية الظلمة واثنيتهم وحضور مجالسهم قال أبو حامد في الإحياء إن السلاطين في زماننا هذا ظلمة قل ما يأخذون شيئاً على وجهه بحق فلا تحل معاملتهم ولا معاملة من يتعلق بهم حتى القاضي ولا التجارة في الأسواق التي بنوها بغير حق والورع اجتناب الربط والمدارس والقناطير التي بنوها بالأموال المغصوبة التي لا يعلم مالكها قال أكثر المفسرين المراد بقوله لا يشهدون الزور الشرك يعني لا يشركون بالله تعالى شيئاً وقال علي بن أبي طلحة يعني شهادة الزور وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في الأسواق وقال ابن جريج المراد به الكذب وقال مجاهد يعني أعياد المشركين وقال قتادة لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد ابن الحنفية لا يشهدون اللهو والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق.

---

(١) وكان الأصل لا يشهدون شهادة الزور بإضافة الخاص إلى العام فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه كذا قيل والزور يصلح أن يكون مفعولاً مطلقاً ولا يضر عمومه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ما يجب أن يلغى ويطرح) بالغين المعجمة تفسير للغو قوله ويطرح عطف لقوله يلغي على طريق التفسير واحتمال كونه بالقاف ضعيف.

قوله: (معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه) معرضين عنه هذا ثابت بالاقتضاء ولذا قدمه مكرمين أنفسهم يعني أن كراماً جمع كريم بمعنى مكرم وقد أنكر الشيخان كون فعيلاً بمعنى مفعلاً في قوله تعالى: ﴿ولهم عذاب أليم﴾ [البقرة: ١٠] لكن قد اعترفاه في قوله تعالى: ﴿بديع السموات﴾ [البقرة: ١١٧] الآية كما هنا قوله أنفسهم إشارة إلى المفعول المحذوف خصصه لأنه لا إكرام لغيره بالصفح ونحوه لأن ما يجب طرحه يجب منعه والصفح ليس بممدوح ولعل مدح ذلك عند عدم القدرة على دفعه.

قوله: (ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به) ومن ذلك أي ومن المرور المذكور الإغضاء أي الإغماض عن الفواحش أي عن إفشائه والصفح أي الإعراض عن الذنوب أي إذا لم يستطع دفعها ودخول الكتابة فيه مع أنه لا مرور فيه بطريق دلالة النص ولذلك فصل بقوله ومن ذلك الخ وفي قوله والخوض فيه تنبيه على أن المراد باللغو وغير اللغو الذي خاطبهم الجاهلون ولم يجيء والذين إذا مروا باللغو لأنه من قبيل عدم شهود الزور وفي أسلوبه فلم يفصل عنه كما لم

قوله: معرضين عنه أي مروا معرضين عن اللغو مكرمين أنفسهم عن التوقف عليه والخوض معهم فيه كقوله تعالى: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين﴾ [القصص: ٥٥].

قوله: ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش أي ومن المرور عن اللغو كراماً غض البصر وعدم الالتفات إلى الفواحش والاغضاء في الأصل ادناء الجفون والكناية عما يستهجن التصريح به أي ومن ذلك المرور عن اللغو كراماً أن يكنى عما يستقبح التصريح بذكره كما إذا ذكروا النكاح كنوا عنه روى محيي السنة عن الحسن والكلبي اللغو المعاصي كلها يعني إذا مروا بمجالس اللهو والباطل مروا كراماً مسرعين معرضين يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنها أي لم يشنهم المعاصي ثم هذه الخاتمة أعني قوله عز قائلاً: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢] إذا فسرت قوله: ﴿لا يشهدون الزور﴾ [الفرقان: ٧٢] بأنهم لا يحضرون محاضر الكذب كانت كالتتميم له لأنه يفيد المبالغة في الاعراض عن الكذب وإذا فسرته بأنهم لا يقيمون الشهادة الباطلة كانت كالتكميل له فإنه لو اقتصر على وصفهم بأنهم لا يقيمون الشهادة الباطلة لتوهم أنهم إذا مروا على اللغو فعسى ينظرون ويلتفتون إليه فأتى به على طريق التكميل لدفع هذا الوهم وإنما قلنا كالتكميل لإمكان أن لا يتوهم ذلك فلا يحتاج إلى التذييل على وجه التكميل بل يكون هذا الكلام وارداً على وجه التتميم ويجوز أن يكون تتميماً على قول الحسن لأن من وقف مواقف السفهاء سفيه ويكون قدحاً في عدالته فجيء بقوله: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢] وصفاً لهم بالعدالة التي هي شرط قبول الشهادة فيكون هذا التتميم كالعلة لمضمون الجملة السابقة وبيان العلة ههنا هي نكتة التذييل بالتتميم.

besturdubooks.wordpress.com

يفصل قوله ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ عن قوله الذين يمشون لتعلقه به بالوعظ أو القراءة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾

قوله: (**لم يقيموا عليها غير واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر**) لم يقيموا عليها أي على سماعها قوله غير واعين الخ أشار به إلى أن صماً وعمياناً تشبيه بليغ ولذا قال كمن لا يسمع الخ وقد جوز في مثله الاستعارة كما مر بيانه في تفسير قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي﴾ [البقرة: ١٨] الآية وفيه إشارة إلى أن فيه تعريضاً بالمنافقين.

قوله: (**بل أكبوا عليها سامعين بآذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفي نفي الحال دون الفعل كقولك لا يلقاني زيد مسلماً**) بل اكبوا عليها الخ فيه تنبيه على أن النفي متوجه إلى القيد دون المقيد ثم صرح به بقوله فالمراد من النفي الخ فالإقامة المنفهمة على مقابل ما نفى وهو الإقامة سامعين بآذان واعية أي حافظة أي من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظها والوعي أن تحفظ الشيء في نفسك والمراد بالحفظ العمل بموجبها وإشاعتها والتفكر فيها وللتنبيه على ذلك لم يكتف بسامعين وقيده بالأذن الواعية وكذا الكلام في قوله مبصرين بعيون الخ وراعية مديمة للنظر والإسناد فيهما مجاز والتنكير للتقليل فالمراد من النفي نفي الحال أي نفي القيد وهو هنا حال نبه به على أن صماً حال دون الفعل لأن إثباته مقصود كما عرفته.

قوله: (**وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو**) فيتوجه النفي إلى الفعل مرضه

قوله: فالمراد نفي الحال لا نفي الفعل أي المراد بالنفي في لم يخروا صماً وعمياناً نفي الحال التي هي الصمم والعمى فإن صماً وعمياناً حالان من واو لم يخروا مقيدتان للخرور فإذا وجد في الكلام قيد فالغالب أنه ينسحب معنى النفي إلى ذلك القيد كما قال صاحب الكشاف لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور إنما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني زيد مسلماً فإن معناه ليس نفي لقاء زيد لأن لقاءه ثابت وإنما المراد نفي إسلامه والمعنى أنهم إذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصاً على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم في أكبابهم عليها سامعون بآذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأمثالهم والنكتة فيها التعريض بمن هو ليس على صفتهم وما أحسن اقتران هذا الوصف مع قوله: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ [الفرقان: ٧٢] فكان المعنى لا يختلط جدهم بهزل وحقهم بباطل فإذا اعتراهم الهزل تنزهوا عنه كل التنزه وإذا اشتغلوا بالحق لا يحوم الباطل حوله أو المعنى إذا مروا بالهزل مروا مكرمين متغافلين كأنهم ما سمعوه ولا نظروا إليه وإذا حاولوا الجد اقبلوا إليه بشراشرهم واجتنبوا عن أن يكونوا كالغافلين عنه اللهم اجعلنا منهم واحشرنا في زمرتهم برحمتك الواسعة.

قوله: وقيل الهاء للمعاصي المدلول عليها باللغو أي الضمير في عليها راجع إلى المعاصي

besturdubooks.wordpress.com

لبعده لفظاً والمتعارف توجه النفي إلى القيد وإلا لكفى أن يقال لم يخروا عليها مع أن ذكرها في حيز جواب إذا بعيد.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

قوله: (بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل) وطلب التوفيق لأنفسهم ثابت باقتضاء النص مع أن قولهم واجعلنا للمتقين صريح في الدعاء لأنفسهم بأنواع الكرامات وإلى هذا أشار بقوله فإن المؤمن الخ وحيازة الفضائل إحرازها وتحصيلها والفضيلة مزية لا يلزم تعديها فيندرج فيه تحصيل العلوم الدينية والخصال المرضية.

قوله: (فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وقر بهم عينه) فإن المؤمن تعليل لكون المراد التوفيق لا أمر دنيوي والمراد بأهله زوجه وذريته في طاعة تعم الفضائل الدينية ونبه به على أن عطف حيازة الفضائل عطف الخاص على العام سربهم أي سر بطاعتهم قلبه الذي هو أمير البدن وإنما قدمه لأن قرة العين مسببة عن سروره وإنما ذكر قرة العين دون سرور القلب لأنها مشاهدة محسوسة فيدل على سرور القلب اقتضاء لأنه لازم مقدم ما لم يسر القلب لم تقر العين.

قوله: (لما يرى من مساعدتهم له في الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة) لما يرى فيحصل السرور في قلبه وظهر أثره في العين وتوقع لحوقهم الأولى وتوقع جمعهم معه في الجنة إذ اللحوق مستعمل في الأكثر فيمن دون العمل لا المشارك له فيه فإنه ليس بأولى من عكسه.

قوله: (ومن ابتدائية) متعلقة بهب بملاحظة مفعوله وإنما قدم على المفعول به الصريح لأنهم أهم حيث كانوا سبباً للهبة المذكورة وهذا بناء على أن من الابتدائية لا يلزم أن يكون له انتهاء وإلا فلا انتهاء له ظاهراً وقدم الأزواج لأن مشاركتها في الطاعة أعون ممن عداها.

لا إلى الآيات فحينئذٍ يكون النفي راجعاً إلى أصل الفعل مع القيد جميعاً والمعنى لا خرور لهم على المعاصي ولا صمم ولا عمى عند تذكيرهم بالآيات.

قوله: فإن المؤمن إذا شاركه أهله في طاعة الله سر بهم قلبه وعن محمد بن كعب ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد إذا رآه يكتب الفقه وقيل سألوا أن يلحق الله بهم أزواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم.

قوله: ومن ابتدائية أو بيانية فالمعنى على كونها ابتدائية هب لنا من جهتهم ما يقر به عيوننا من طاعة وصلاح وكونها بيانية يكون المعنى من باب التجريد كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً أي أنت أسد كذا في الكشاف وفيه إشعار بأن من البيانية في كل موضع تجريدية لقوله وهو من قولهم رأيت منك أسداً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو بيانية كقولك رأيت منك أسداً) أو بيانية متعلقة[١] بمقدر وجواز تقدم المبين على المبين جائز عند المص كقولك رأيت أسداً منك أي[٢] من تجريدية إن من في المثال يحتملهما أيضاً فعلى البيانية رأيت أسداً هو أنت وعلى الابتدائية رأيت من جهتك أسداً والمتعارف في من التجريدية من الابتدائية وجوز أرباب الحواشي من البيانية فيه.

قوله: (وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر وذريتنا وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة تعظيماً وتقليلها لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم) وذريتنا بالإفراد والذرية تطلق على الواحد والمتعدد فمآل القراءتين واحد وتنكير الأعين يعني أعين القائلين معينة لإرادة تنكير القرة للتعظيم ولا سبيل إلى تنكير المضاف إلا بتنكير المضاف إليه فلا جرم أن الأعين نكرت قوله وهي قليلة بالإضافة الخ قال أبو حيان هذا ليس بجيد لأن الأعين يطلق على العشرة فما دونها وعيون المتقين كثيرة جداً قلت المراد أنه استعمل في معنى القلة مجرداً عن تعيين العدد والقرينة للتجريد العلم بكثرة القائلين وعيونهم فلا إشكال كذا قاله الفاضل المحشي والحاصل أن جمع القلة مستعارة لجمع الكثرة للقرينة المذكورة والتعبير بلفظ جمع القلة للإشارة إلى قلتها بالإضافة وإن كانت كثيرة جداً في أنفسها.

قوله: (يقتدون بنا في أمر الدين بإفاضة العلم والتوفيق للعمل) أشار به إلى كون استحقاقه الإمامة لأجل تفوقه بالعلم والعمل ففي الحقيقة التضرع إلى الله تعالى والدعاء بإفاضة العلم الشرعي وزيادة العمل حتى يكون مستحقاً للإمامة بالمتقين ومثل هذا يعد من

قوله: وتنكير الأعين لإرادة تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه كأنه قيل هب لنا منهم سروراً وفرحاً أي سروراً لا يكتنه كنهه قوله تعظيماً علة لتنكير المضاف الذي هو القرة وقوله وتقليلها مبتدأ خبره لأن المراد إلى آخره أي مجيء أعين على صيغة جمع القلة لأن المراد أعين المتقين وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم أي المتقون وإن كانوا كثيرين في أنفسهم لكنهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم وعيونهم كذلك قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال صاحب الانتصاف والظاهر أن المحكي كلام كل واحد من المتقين أي يقول كل واحد منهم اجعل لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وقال هذا التأويل أحسن لأن المتقين وإن كانوا قليلين بالنسبة إلى غيرهم فهم كثيرون في أنفسهم وقلتهم بالنسبة إلى غيرهم والمعتبر في جمع القلة أن يكون الشيء قليلاً في نفسه لا بالنسبة إلى غيره.

قوله: بإفاضة العلم متعلق باجعلنا أي اجعلنا إماماً لهم بإفاضتك علينا علماً وتوفيقك لنا إلى العمل فإن استحقاق الإمامة لا يحصل إلا بتكميل القوتين النظرية والعملية وذلك لا يكون إلا بإفاضة العلم والتوفيق للعمل.

---

(١) كأنه قيل هب لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت قوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسداً كذا في الكشاف.

(٢) أي منتزع منهم قرة أعين مثلهم ولذلك لم يجيء هب لنا أزواجنا بدون لفظة من.

besturdubooks.wordpress.com

الإيجاز البديع البارع وذكر المتقين دون المؤمنين لإظهار فرط علو الهمة حيث سألوا الله تعالى مرتبة فوق مراتب المتقين ومنازل العلماء الربانيين.

قوله: (وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله تعالى: ﴿ثم نخرجكم طفلاً﴾ [الحج: ٥]) وتوحيده أي توحيد الإمام مع أنه مفعول ثانٍ للجعل والمطابقة بينه وبين المفعول الأول واجبة فبين وجهه بوجوه خمسة لدلالته على الجنس الشامل للقليل والكثير وعدم اللبس أي الالتباس لكون المراد واحداً للقرينة القائمة على إرادة الجمع.

قوله: (أو لأنه مصدر في أصله) وهو موضوع للماهية بالاتفاق وأما سائر اسم الجنس فهو موضوع للماهية عند بعض وللفرد المنتشر عند بعض آخر وعن هذا قابله بكونه للجنس وإن كان مآلهما واحداً.

قوله: (أو لأن المراد واجعل كل واحد منا) هذا مع قطع النظر عن كونه اسم جنس يجوز إطلاقه على المتعدد ولا يخفى أن تقدير كل واحد وتقدير من يؤدي إلى تفسير النظم تغيير كثير مع صحة المعنى بدونه.

قوله: (أو لأنهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم) أو لأنهم كنفس واحدة فتوحيد الإمام بناء على التشبيه فإن المفعول الأول حينئذٍ واحد اعتباراً لأن اتحاد طريقتهم جهة واحدة لهم وهذا التوجيه بناء على أن التشريك في الدعاء ادعى للإجابة كذا قاله الإمام في تفسير قوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٥] وإلا فالظاهر أنه صدر عن كل واحد اجعلني إماماً فعبر عنهم للإيجاز بضمير الجمع وبقي إماماً على حاله على إفراده.

قوله: (وقيل جمع آم كصيام وصائم معناه قاصدين لهم مقتدين بهم) جمع آم بالمد أصله أمم فأدغم بمعنى القصد ولذلك قال معناه قاصدين أي على كونه جمع آم قوله مقتدين بهم إشارة إلى أن القصد هنا لطريق الاقتداء فيتحد الوجوه الخمسة[1] مرضه لبعده وعدم السماع عن الثقات.

قوله: وتوحيده لدلالته على الجنس أي توحيد إماما حيث لم يقل أئمة كما هو مقتضى الظاهر لأن المفعول الأول لجعل جماعة لقصد الدلالة على أن المراد جنس الإمام ولعدم الالتباس لأن من المعلوم أن ليس المراد طلب جعل الجماعة إماماً واحداً أو لأنه مصدر في أصله كالصيام والقيام المصدرين لصام وقام وقيل جمع آم كصيام في جمع صائم وقيام في جمع قائم والمعنى واجعلنا قاصدين للمتقين مقتدين بهم وعلى هذا يكون الإمام المتقين وهم المؤتمين وقيل هذا من المقلوب أي واجعل المتقين لنا إماماً واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم.

---

(١) لأن اسم الفاعل بمعنى النسبة ومعنى مقتصدين أي ذو اقتداء وذو قصد فيكون بمعنى اسم المفعول مثل عيشة راضية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥﴾

قوله: (أعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس أريد به الجمع لقوله تعالى ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] وللقراءة بها) أريد به الجمع بقرينة قوله تعالى: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] وتعدد المشار إليه.

قوله: (وقيل هي من أسماء الجنة) فلا حاجة إلى التأويل المذكور ولضعفه اخره ومرضه لأن أسامي الجنة مضبوطة والغرفة ليست منها كما عدها في أوائل سورة البقرة.

قوله: (بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات) والمضض أصله الوجع[1] والمشاق بمعنى الشدائد ونبه على أن المراد بالصبر أنواعه الصبر على الطاعات وعن المنكرات والصبر على المصيبات إذ المذكور فيما قبله عام لها.

قوله: لقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] جمع الغرفات في تلك الآية يدل على أن الغرفة ههنا جنس أريد به الجمع لأن كل واحدة من هاتين الآيتين واردة في حق أهل الجنة وكذا يدل عليه القراءة بالجمع ههنا قال الطيبي رحمه الله ويمكن أن يقال القرينة اثبات الغرفة الواحدة للجماعة.

قوله: بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات يقال امضى الجرح إمضاضاً إذا أوجعك والكحل يمض العين أي يحرقها والمضض وجع المصيبة والمراد ههنا مطلق المشقة وثقل الطاعات وترك مفعول الصبر لقصد التعميم ولذا عبر عنه رحمه الله في بيانه بما يعم جميع التكاليف الشرعية فقال بصبرهم على المشاق من مضض العبادات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ومآل الجميع واحد وهو الصبر على مشاق التكاليف جميعاً قال صاحب الكشاف واطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه يعني لم يؤت بمتعلق صبروا لئلا يقتصر عليه ويتناول كل مصبور عليه ويحيط به قال الطيبي فإن قلت قد تقرر أن اسم الإشارة إذا عقب به من أجرى عليه الأوصاف دل على أن المذكور قبله جدير بما بعده لأجل تلك الأوصاف الجارية عليه فأذن السبب في أنهم يجزون الغرفة تلك الأوصاف التي أجريت على عباد الرحمن وكان من حق الظاهر أن يجاء بدل بما صبروا بما فعلوا ليكون كناية عن تلك المذكورات بأسرها فما فائدة العدول قلت فائدته الإيذان بأن ملاك العبادات الصبر وأن حبس النفس على طاعة الله هي الطلبة وقطعها عن مشتهياتها هي المرام وقال الراغب الصبر حبس النفس عما يقتضيه الهوى ويختلف باختلاف مواقفه وربما يخالف بين اسمائه بحسب اختلاف مواقفه فإن كان في مصيبة فيقال صبر لا غير وضده الجزع وإن كان في محاربة يسمى شجاعة وضدها الجبن وإن كان في نائبة مضجرة يسمى صاحبه رحب الصدر وضده ضيق الصدر وإن كان في إمساك النفس عن الفضولات يسمى قناعة وعفة وضدها الحرص والشره وإن كان في إمساك كلام الضمير يسمى كتماناً وضده الافشاء وعلى هذا يقاس جميع الفضائل من الأخلاق.

---

(١) والمراد هنا ثقلها.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (دعاء بالتعمير والسلامة أي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه) أي يحييهم الملائكة أشار به إلى أن المراد بالتعمير أي الدعاء بطول العمر مجرد التعظيم وإلا فالبقاء أمر محقق أصل التحية القول حياك الله تعالى على الإخبار من الحياة استعمل للدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام ولما كان مقابلاً لسلاماً هنا حمل الدعاء بالتعمير قوله أو يحيي الخ لما لم يكن الفاعل مذكوراً بينه بوجهين قال الإمام يمكن أن يكون من الله تعالى[١] كقوله تعالى: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يس: ٥٨] والمعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بغير واسطة تعظيماً لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ولم يتعرض له المص لاحتمال أن يكون المعنى أن الله تعالى يسلم عليهم بواسطة الملائكة.

قوله: (أو تبقية دائمة وسلامة من كل آفة) أو تبقية دائمة عطف على دعاء بالمغفرة أي دعاء بالبقاء الدائم ومآله ما مر قوله وسلامة من كل آفة هذا مغاير لما سبق والمراد به التكريم والتعظيم واعتداد بالنعمة قيل أو تبقية تفسير له على أنه لم يرد به الدعاء بل وصفهم بما ذكر فيكون المعنى أو حكم بالبقاء والسلامة الخ.

قوله: (وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يلقون من لقي يلقو) من الثلاثي[٢] وقراءة غيرهم بتشديد القاف.

قوله تعالى: خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾

قوله: (لا يموتون ولا يخرجون).

قوله: (مقابل ساءت مستقراً معنى[٣] ومثله إعراباً) مقابل ساءت فهو إما فعل تام

قوله: دعاء بالتعمير وبالسلامة وفي الكشاف التحية دعاء بالتعمير وبالسلامة يعني أن الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم أو يحيي بعضهم بعضاً ويسلم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة وهذان الوجهان مبنيان على القراءتين على تشديد يلقون وتخفيفه فالمناسب على القراءة بالتشديد أن يكون التحية بمعنى الدعاء بالتعمير والسلام بمعنى الدعاء بالسلامة والمناسب على القراءة بالتخفيف أن يكون التحية بمعنى التبقية والتخليد أي يلقون البقاء والتخليد مع السلامة لكن فسر صاحب الكشاف يلقون بقوله يعطون قال الله تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ [الإنسان: ١١] أي أعطاهم وفي بعض الحواشي التحية مشتقة من الحياة وهي التبقية في الحقيقة ومنه قولنا التحيات لله أي التبقيات له تعالى.

قوله: مقابل ﴿ساءت مستقراً﴾ معنى ومثله إعراباً أي قوله عز وجل ههنا ﴿حسنت مستقراً

---

(١) وما يفهم من قول الإمام إن التحية بمعنى السلام وسلاماً للتأكيد وكذا بين صاحب اللباب تحية الملائكة بقوله تعالى: ﴿سلام عليكم بما صبرتم﴾ الآية.

(٢) من الثلاثي كقوله: ﴿يلق آثاماً﴾ وتشديد القاف كقوله: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ فيلقون صيغة معلومة من الثلاثي.

(٣) لأنه بمعنى نعمت وسرت.

besturdubooks.wordpress.com

فاعله ضمير راجع إلى الغرفة ومستقراً تمييزاً ومن أفعال المدح فاعله ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالمدح محذوف فعلى هذا تأنيث الضمير لتأويل المستقر والمقام بالجنة أو الغرفة لأنها مخصوصة بالمدح.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾﴾

قوله: (ما يصنع بكم من عبأت الجيش إذا هيأته) فما استفهامية قوله من عبأت الجيش الخ فما ذكره لازم معناه لأن الشيء إنما يهيأ ليصنع في الأكثر.

قوله: (أو لا يعتد بكم) فما نافية هذا التفسير بناء على أن ما ولا بمعنى واحد وقد فرق بينهما في سورة الكافرون بأن لا لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال فلا تغفل وهذا من العبء بمعنى الحمل وهذا أيضاً لازم معناه ما لا يعتد به لا يحمل وعدي تعديته كما عدي في الأول تعدية يصنع قدم الأول لأن العبء بمعنى التهيؤ أشهر وفي كون ما استفهامية مبالغة وخصص كونها استفهامية بالأول ونافية بالثاني إذ الاستفهام لا يصح في الثاني والنفي في الأول.

قوله: (لولا عبادتكم فإن شرف الإنسان وكرامته بالمعرفة والطاعة) لولا عبادتكم أي الدعاء بمعنى العبادة إذ الدعاء[1] مخ العبادة وأيضاً العبادة مشتملة له وأشار إلى أن الدعاء مضاف إلى الفاعل وجواب لولا محذوف أي ما يصنع أو لا يعتد بكم فالخطاب حينئذٍ للمتقين قوله فإن شرف الإنسان الخ إشارة إلى ارتباطه بما قبله فالعبادة شاملة لترك المنهيات أيضاً لأنها مذكورة فيما سبق أيضاً قوله بالمعرفة أي معرفة الله تعالى أو معرفة الأحكام الشرعية مع معرفة الله تعالى والطاعة إشارة إلى العمل بالأحكام ففيه تنبيه على أن شرف الإنسان بتكميل القوتين فإن تكميل القوة النظرية فقط أو القوة العملية فحسب لا يعتد به فاعتداده تعالى ورضوانه إنما هو باستكمال القوتين.

قوله: (وإلا فهو وسائر الحيوانات سواء) أي وإن لم يكن له معرفة أو طاعة أو

ومقاماً﴾ [الفرقان: ٧٦] في حق المؤمنين مقابل قوله فيما قبل: ﴿ساءت مستقراً ومقاماً﴾ [الفرقان: ٦٦] في حق الكافرين أي هو مقابله معنى ومثله إعراباً إما مقابلته معنى فلان حسنت مستقراً لتضمنه معنى نعمت مستقراً يكون بمعنى إنشاء المدح كما أن ذلك إنشاء الذم وإما كونه مثله في الاعراب فمن حيث إن مستقراً ومقاماً يحتمل الحال والتمييز في الموضعين.

قوله: ما يصنع بكم من عبأت الجيش إذا هيأته أي ما يفعل بكم المعنى ما يخلقكم لولا دعاؤكم أي لولا عبادتكم كما قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] وهو قول مجاهد وابن زيد وابن عباس أو ما يعتد بكم ربي لولا عبادتكم يقال ما عبأت به شيئاً أي لم أعده فوجوده وعدمه سواء.

---

(١) فذكر المقيد وأريد المطلق وفي الثاني مجاز مرسل بعلاقة اللزوم أو الجزئية.

besturdubooks.wordpress.com

كلاهما فهو سلب جزئي فهو أي الإنسان وسائر الحيوانات سواء أي مستوون بل هو أضل.

قوله: (وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة) فالخطاب للكفار مطلقاً أو لكفار قريش فيكون حينئذٍ كقوله تعالى: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ [النساء: ١٤٧] الآية قال المص هناك أيتشفى به غيضاً أو يدفع ضراً أو يستجلب به نفعاً إلى آخر ما قال فعلم منه أن ما على هذا استفهامية إنكارية لا غير وأما ما يصنع بكم فعلى الأول معناه أنكم لا تستأهلون شيئاً كذا في الكشاف أي ما يصنع أي شيء يصنع ويفعل بكم من الإحسانات والكرامات لولا عبادتكم والمعنى ما يفعل بكم شيئاً من الإحسانات لولا عبادتكم لكن لما كان عبادتكم موجودة كما سبق ذكره من خصالكم أيها العارفون المتقون يفعل بكم ربكم ما أخفى لكم من قرة أعين فالاستفهام للإنكار الوقوعي على فرض عدم العبادة وللتقرير على تقدير وجود العبادة وهذا تفصيل ما قاله الزجاج لا وزن لكم عندي لو كان عبادتكم غير موجودة لكن العبادة موجود فوزن عظيم لكم عندي.

قوله: (وما إن جعلت استفهامية فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل أي عبأ يعبأ بكم) النصب على المصدر وعامله يعبأ بكم قدم عليه للصدارة والعبأ بفتح الباء مصدر.

قوله: (فقد كذبتم بما أخبرتكم به حيث خالفتموه) الفاء للسببية كما نبه عليه بقوله بما أخبرتكم والإخبار وإن كان سبباً للتصديق في نفس الأمر لكنهم جعلوه سبباً للتكذيب قوله حيث خالفتموه إشارة إلى أن التكذيب بدلالة الحال كالتكذيب بالمقال قيل فالتكذيب استعير للمخالفة والإخبار إما إخبار في قوله: ﴿ما يعبأ﴾ [الفرقان: ٧٧] الآية أو الإخبار المطلق وهو الظاهر.

قوله: وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة أي ما يفعل بعذابكم لولا شرككم كما قال: ﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ [النساء: ١٤٧] وقيل معناه لا يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه آلهة وقيل ما يعبأ بكم لولا دعاؤكم إياه في الشدائد كما قال: ﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله﴾ [العنكبوت: ٦٥] وقال ﴿فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾ [الأنعام: ٤٢] قوله وقيل: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ [الفرقان: ٧٧] يقول ما خلقتكم ولي إليكم حاجة إلا أن تسألوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر لكم هذا كله على أن يكون ما للنفي وإذا كان للاستفهام يكون المعنى أي عبأة يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فيكون الاستفهام للإنكار فيؤول المعنى إلى النفي أيضاً أي لا عبأة يعبؤها ربي لو دعاؤكم ومعنى ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده.

قوله: بما اخبرتكم به حيث خالفتموه والفاء في فقد كذبتم فاء الجزائية والشرط محذوف تقديره على ما في الكشاف إذا علمتكم أن حكمي أني لا اعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه أن من عادتي أن أحسن إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال إذا لم يبالغ فيه) وقيل فقد قصرتم في العبادة وهذا هو الملائم لكون الخطاب للمؤمنين لكن مرضه لعدم شهرة التكذيب في هذا المعنى من قولهم كذب القتال الخ الظاهر أنه من التفعيل على أنه لازم كما في النظم والمتبادر أنه معنى حقيقي له لكنه غير مشتهر.

قوله: (وقرىء فقد كذب الكافرون أي الكافرون منكم) كأنه أشار إلى ربط الكلام بما قبله فاعتبر منكم في النظم الكريم.

قوله: وقرىء فقد كذب الكافرون منكم لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب لما كانت هذه القراءة وهي قراءة فقد كذب الكافرون منكم مخالفة ظاهراً لقراءة كذبتم لإيجاب قراءة كذبتم تكذيب جميع الناس على تقدير عموم الخطاب وإيجاب قراءة فقد كذب الكافرون منكم تكذيب بعض دون بعض أول رحمه الله آية العموم وهي كذبتم تلفيقاً بين القراءتين بأن الخطاب في كذبتم إلى الناس عامة ولا يلزم من كون الناس مخاطبين به صدور التكذيب منهم جميعاً بل يصح أن يكونوا مخاطبين بكذبتم إذا صدر من بعضهم عبادة ومن البعض الآخر تكذيب كما يصح أن يقال لجماعة قبيلة أنتم قتلتم فلاناً والقاتل واحد منهم وإنما ادرج في توجيه صحة عموم الخطاب بكذبتم العبادة حيث قال بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب والحال أنه يكفي في تصحيح عموم الخطاب أن يقال لأن توجه الخطاب عامة بما وجد في جنسهم من التكذيب لأن المخاطبين بما يعبأ بكم لولا دعاؤكم وبما كذبتم واحد وهم الناس جميعاً فأوجب الخطاب بما يعبأ بكم لولا دعاؤكم وبما كذبتم العبادة للمخاطبين لأن لولا انتفاء الثاني لوجود الأول لأن التقدير لولا دعاؤكم ما يعبأ بكم ربي ومعناه يعبأ بكم ربي لدعائكم أي لعبادتكم وأوجب الخطاب بكذبتم التكذيب لهم فلما وجد من بعض الناس عبادة ومن بعضهم تكذيب خوطب الناس جميعاً بهذين الخطابين لما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب قال صاحب الفرائد أصل الكلام لولا دعاؤكم أي عبادتكم لم يبعأ بكم لكن لم تكن عبادتكم لأنه أرسل الرسول إليكم فكذبتموه فلم يعبأ بكم فقوله ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ واقع موقع لم يعبأ بكم والنظم يساعد هذا التأويل لأن هذه السورة الكريمة على ما سبق مشتملة على بيان عناد كفار قريش وتكذيبهم آيات الله وتسميتهم القرآن بأساطير الأولين وطعنهم في الرسول بقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق وأما ذكر المؤمنين فتعريض بهم إلى هنا كلامه فعلى هذا التأويل لا يكون الخطاب في ما يعبأ بكم وفي كذبتم خطاباً عاماً لجميع الناس كما ذهب إليه صاحب الكشاف والقاضي رحمهما الله بل يكون لكفار قريش خاصة كما قال محيي السنة في المعالم في تفسير ما يعبؤ بكم لولا دعاؤكم فقد كذبتم ما يفعل بعذابكم لولا شرككم أي دعاؤكم الآلهة كما قال ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وقيل فقد كذبتم أيها الكافرون فخاطب أهل مكة يعني أن الله تعالى دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته فكذبتم الرسول ولم تجيبوه وقال الطيبي رحمه الله في جعل الخطاب عاماً لجميع الناس ما أبعد هذا التأويل كيف يتصور أن يدخل الأنبياء والصالحون من التابعين في خطاب فقد كذبتم فسوف يكون الزاماً فالوجه أن يكون الخطاب متوجهاً إلى قريش لا سيما واللزام مفسر بيوم بدر وقال ثم إن هذه الخاتمة ناظرة إلى الفاتحة أي ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً﴾ [الفرقان: ١] المعنى قد انذر وبالغ

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لأن توجه الخطاب إلى الناس عامة) أشار به إلى أن الخطاب متوجه إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومنهم مكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب كذا في الكشاف ثم قال وقرىء فقد كذب الكافرون ولم يذكر لفظة منكم ومنه يعلم ما في كلام المص من الخلل.

قوله: (بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب) قيل فلا يتوهم دخول الأنبياء عليهم السلام فيهم فلا يعرف له وجه.

قوله: (يكون جزاء التكذيب لازماً يحيق بكم لا محالة أو إثره لازماً بكم حتى يكبكم في النار) يكون جزاء التكذيب أي الضمير راجع إلى المصدر الدال عليه الفعل المتقدم بتقدير المضاف قوله أو أثره أي أثر التكذيب وهو المعاصي التي تترتب عليه قوله حتى يكبكم النار إشارة إلى أن المضارع للاستمرار أي دام واستمر أثره إلى أن يدخلكم والوجه الأول هو الأولى وعن هذا قدمه يكب من أكب اللازم قال في سورة الملك يقال كببته فأكب وهو من الغرائب والتفصيل فيها لكن لتعديته هنا الظاهر من كب فيكون الباء مفتوحاً.

قوله: (وإنما أضمر من غير ذكر) أي صريحاً وإلا فهو مذكور ضمناً كما مر أو مراده لم يذكر الجزاء أو الأثر.

قوله: (للتهويل والتنبيه على أنه مما لا يكتنهه الوصف) والتنبيه الخ بيان للتهويل نقل عن الأزهري أنه قال اكتنهت الأمر اكتناهاً إذا بلغت كنهه والمعنى لا يحيط بكنهه وحقيقته الوصف ولا يدخل في تحت الوصف.

قوله: (وقيل المراد قتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزاماً وقرىء لزاماً بمعنى

فيه وبين بالآيات الظاهرة والبراهين الباهرة أن الحكمة في الايجاد معرفة الخالق إما تصريحاً ففي قوله: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] وإما تعريضاً في عد فضائل المؤمنين ثم قال وإذا أعلمكم رسولي أن حكمي ذلك وأني لا اعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم أنتم بتكذيبكم كتابي ورسولي حكمتي في الايجاد فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم وهو الاستئصال يوم بدر والعذاب الشديد السرمدي في النار يوم القيامة وبالله التوفيق.

قوله: يكون جزاء التكذيب يريد أن الضمير في يكون راجع إلى مصدر كذبتم بتقدير مضاف لأن اللازم لهم ليس نفس التكذيب بل هو شيء مضاف إلى التكذيب وذلك المضاف إما الجزاء أو الأثر فأشار إلى الأول بقوله جزاء التكذيب وإلى الثاني بقوله أو أثره.

قوله: وإنما أضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه على أنه مما يكتنهه الوصف أي وإنما أضمر اسم يكون من غير ذكر المرجوع إليه ذكراً صريحاً لقصد المبالغة في كونه شيئاً هائلاً وفي أنه شيء لا يدرك كنهه بالوصف: الحمد لله على الابتداء والاختتام وعلى الرسول أفضل التحية والسلام اللهم منك الفيض والتوفيق وبك الحول لا قوة إلا منك اللهم اجعل رضاك متقلبي في جميع متقلبي اللهم كما وفقتني حل ما في تفسير سورة الفرقان وفقني لكشف ما في تفسير سورة الشعراء بمنتك العظمى إنك تقول الحق وتهدي السبيل فالآن أقول متيمناً.

besturdubooks.wordpress.com

اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب) وقيل الخ مرضه لبعده عن المقام والحديث الذي رواه موضوع الحمد لله الذي يسر لنا إتمام ما يتعلق بسورة الفرقان وهو الكريم الديان والصلاة والسلام على رسوله الذي هو من بني عدنان وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا القرآن في شهر ذي القعدة يوم أحد قبل الظهر في سنة ١١٨٦.

besturdubooks.wordpress.com

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين.

قوله: (سورة الشعراء مكية إلا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها وهي مائتان ست أو سبع وعشرون آية) مكية إلا قوله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] إلى آخرها استثناه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وزاد غيره قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٩٧] كما في الإتقان وهي مائتان ست أو سبع وعشرون آية نقل عن التيسير أنه قال الاختلاف في قوله تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ [الشعراء: ٢١٠] نقل عن الداني أنه قال روي بسند صحيح أنها نزلت في شاعرين تهاجيا في الجاهلية مع كل واحد جماعة فالسورة على هذا كلها مكية.

قوله تعالى: طسٓمٓ ﴿١﴾

قوله: (قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالإمالة ونافع بين بين) أي في رواية أبي علي الفارسي في الحجة وعليه اعتماد الزمخشري والمص في نقل القراءات.

قوله: (كراهة العود إلى الياء المهروب منها) كراهة العود تعليل لعدم الإمالة الصرفة لكنه علة مصححة ألا يرى أن القراء المذكورين مالوا إلى الإمالة ولم يذكر علة الإمالة وسببها المجوز لظهوره إذ الإمالة في الاصطلاح أن تنحى بالفتحة نحو الكسرة بأن تشرب الفتحة شيئاً من صوت الكسرة فتصير الفتحة بينها وبين الكسرة ثم إن كان هناك ألف فلا محالة تصير بين الألف والياء قيل قوله كراهة العود تعليل لعدم الإمالة الصرفة ويعنى به أن الألف منقلبة عن ياء فلو أميلت إليها انتقض غرض القلب وهو التخفيف انتهى كون ألف

سورة الشعراء مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم **قوله**: ونافع بين بين أي وقرأ نافع الطاء بين الإمالة والألف كراهة للعود إلى الياء المهروب منها أي لم يقرأ نافع بالإمالة بل قرأ بين بين لأن في الإمالة ميلاً إلى الياء المهروب منها لثقلها.

besturdubooks.wordpress.com

طسم منقلة عن ياء بناء على أن الفات أسماء التهجي يآت كما صرح به في سورة مريم ومن لم يمل من القراء كعاصم نظر إلى أن الطاء حرف استعلاء يمنع من الإمالة وقد بين وجهه في محله فمن جوز الإمالة الصرفة والإمالة بين بين إنما جوزه لأن الحروف المستعلية إن كانت خاف وطاب وهو ما ألفه مقلوبة عن مكسور أو مقلوبة عن ياء لا تمنع الإمالة لقوة السبب فيه لأنه في نفس الحرف الممالة قبل وإنما كان منفصلاً لأنها أسماء حروف مقطعة[١] ومن أدغمها رآها متصلة في حكم كلمة واحدة خصوصاً على القول بالعلمية.

قوله: (وأظهر نونه حمزة لأنه في الأصل منفصل عما بعده) وأظهر نونه أي لم يدغم نون سين في الميم لما ذكره وأدغمها غيره لما مر من أنه في حكم كلمة واحدة ولاتصالها بحرف من حروف الميم.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾

قوله: (الظاهر إعجازه وصحته) أي المبين[٢] من أبان اللازم بمعنى ظهر لا من أبان المتعدي بمعنى أظهر وإن جاز ذلك أيضاً بحذف مفعوله وهو الشرائع والأحكام لأن ما ذكره المص أنسب بالمقام الظاهر صفة جرت على غير ما هي له إما على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وإما على سبيل الإسناد المجازي وهو الراجح وصحته أي صحة كونه من عند الله بسبب ظهور إعجازه فهو لازم للأول فلا إشكال بأن اعتبار كلاهما في إطلاق واحد غير مناسب.

قوله: وأظهر نونه حمزة أي اظهر حمزة نون سين في طسم لأن سين منفصل عن ميم في الأصل لأنهما اسمان مستقلان لحرفين من حروف المباني والتفصيل فيه أنه قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطسن ويسن وحم بكسر الطاء والياء والحاء وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر وقرأ الآخرون بالفتح على التفخيم وأظهر النون من السين أبو جعفر وحمزة وأخفاها الآخرون روى عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وروي عن ابن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء القرآن وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظي بطوله وسناه وملكه أي الطاء إشارة إلى طوله تعالى بفتح الطاء وهو القوة والسين إشارة إلى سناه تعالى والميم إشارة إلى ملكه تعالى.

قوله: الظاهر اعجازه وصحته جعل رحمه الله المبين من ابان بمعنى بان أي ظهر ففسره بالظاهر أي الظاهر إعجازه بكمال بلاغته وصحته أنه من عند الله وشاهد أنه من الله هو كماله في البلاغة بحيث أعجز مصاقع بلغاء البشر عن أن يأتوا بأقصر سورة من مثله.

---

(١) وحروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع عما بعدها.

(٢) قال في سورة الحجر يبين الرشد من الغي بياناً عربياً فحمل المبين هناك على أنه من أبان المتعدي لكنه تفنن وجعله هنا من أبان اللازم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (والإشارة إلى السورة أو القرآن) أي السورة المصدرة به فتكون السورة المشار إليها مفهومة من طسم بأن يجعل اسماً لها فحينئذٍ صيغة البعد للتفخيم والتأنيث على حالها وأما إذا كان الإشارة إلى القرآن فالتأنيث بأن يأول القرآن بالآيات أو باعتبار الخبر وعلى هذا أخره وأيضاً كون الإشارة إلى القرآن بأن يجعل طسم اسماً له ثم المراد بالقرآن إما هذه السورة وحدها أو مجموع القرآن وكذا الكلام في الكتاب فإن كلاً منهما يطلق على البعض وعلى المجموع ولو جعل الإشارة إلى آيات السورة كما قاله في سورة الحجر لم يبعد قوله تلك آيات الكتاب بمعنى هذا المؤلف منها إن جعل تعداداً للحروف مراداً به قرع العصا كذا قيل وطسم مبتدأ خبره تلك والكتاب المبين صفة لأن الكتاب في معنى المشتق وإن كان اسماً للقرآن أو الصفة المبين والكتاب موطىء له مثل ﴿قرآناً عربياً﴾ والصفة صفة موضحة أو طسم مبتدأ وتلك مبتدأ ثانٍ وآيات الكتاب خبر لمبتدأ ثانٍ والجملة خبر المبتدأ الأول.

قوله: (على ما مر في أول البقرة) فيعلم منه الأمر هنا بالمقايسة وإن كان الاحتياج إلى التأويل على العكس لأن تذكير اسم الإشارة هناك متى أريد بألم السورة لتذكير الخبر وهو الكتاب أو لتذكير صفته الذي هو هو وهو الكتاب إن جعل صفة له وهنا الاحتياج إلى التأويل في تأنيث الإشارة حين جعل الإشارة إلى القرآن وذكر البقرة بدون السورة إشارة إلى أن البقرة اسم للسورة البقرة بدون السورة وأن إضافة السورة إلى البقرة من قبيل إضافة العام إلى الخاص قد مر الكلام على وجه الإشباع في أوائل سورة الفاتحة ومعنى طسم وإعرابه قد مر توضيحه في أوائل البقرة.

قوله تعالى: لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

قوله: (﴿لعلك باخع﴾ [الشعراء: ٣]) الآية جملة معترضة بين المتعاطفين[١] فائدة الاعتراض بيان فرط حرصه عليه السلام على تكميل الغير.

قوله: والإشارة إلى السورة أو القرآن أي الإشارة بتلك إلى السورة وتأنيثه باعتبار تأنيث السورة وأما تأنيثه على تقدير الإشارة إلى القرآن فلاشتماله على الآيات أو السورة اعلم أن طسم إما أن يجعل اسماً للسورة أو تعداداً لحروف التهجي والثاني إما وارد على قرع العصا أو تقدمه لدلالة الاعجاز كما سبق في بيان الفواتح في أول سورة البقرة ثم المناسب أن يفسر الكتاب هنا بالقرآن إذا جعل طسم اسماً للسورة ويكون طسم مبتدأ ولفظ تلك مبتدأ ثانياً وآيات الكتاب خبر تلك والجملة خبر المبتدأ الأول فالمعنى هذه السورة تلك آيات القرآن المبين وإذا جعل تعداد للحروف يفسر الكتاب بالسورة ويقدر مضاف قبل طسم فالمعنى آيات المؤلف من جنس هذه الحروف المبسوطة تلك آيات السورة وإنما فسر الكتاب على هذا التقدير بالسورة ولم يفسر بالقرآن إذ لو فسر بالقرآن لا يفيد الكلام زيادة معنى لكون المعنى حينئذٍ آيات القرآن تلك آيات القرآن لأن المراد بالمؤلف من هذه الحروف البسيطة حينئذٍ هو نفس القرآن.

---

(١) وكذا قوله إن نشأ ننزل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (قاتل نفسك وأصل البخع أن يبلغ بالذبح البخاع وهو عرق مستبطن الفقار وذلك أقصى حد الذبح) قاتل نفسك[1] من جهة الحزن العارض من عدم إيمانهم تهالكاً على إيمانهم لما فسر باخعاً بقاتل حاول التفصيل فقال وأصل البخع الخ البخاع بكسر الباء عرق الخ هذا المعنى مما أثبته الزمخشري وهو ثقة في اللغة فلا يعبأ إنكار ابن الأثير في النهاية حيث قال إنه لم يوجد في شيء من كتب اللغة واستعمال العرب وهذا الكلام يقتضي عدم التفات كلام الزمخشري إذا لم يوجد في كلام غيره ولا يخفى ضعفه لأن العلماء يستنبطون من كلامه القاعدة الكلية فضلاً عن ثبوت اللغة من بيانه مستبطن الفقار جمع فقارة وهي عظام الظهر هذا أصل معناه واستعمل هنا في القتل لأنه لازم له.

قوله: (وقرىء باخع نفسك بالإضافة) بناء على أن باخع يعمل لكونه بمعنى المستقبل فيكون مضافاً إلى معموله بخلاف ما في سورة الكهف فإن فيه تفصيلاً لا يجري هنا كما لا يخفى على من راجع إليه قال المص في سورة الكهف شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو ينحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم أي لعلك كالباخع نفسك في حصول الوجد في الصدر فالكلام من قبيل التشبيه البليغ أو شبهت الهيئة المنتزعة من حاله وحالهم في امتناعهم من الإيمان ومداخلة الوجد له عليه السلام لذلك بالهيئة المنتزعة من حال رجل فارقته أعزته ولم يتعرض له هنا ولا أرباب الحواشي أما اكتفاء ببيانه هناك أو قوله تعالى: ﴿على آثارهم﴾ [المائدة: ٤٦] هناك له مدخل في التشبيه والاستعارة التمثيلية ولم يذكر على آثارهم هنا لكنه يمكن هنا بأدنى تمحل وتغيير يسير فلا تغفل.

قوله: (ولعل للإشفاق أي أشفق على نفسك أن تقتلها) ولعل للإشفاق لأن لعل

قوله: وهو عرق مستبطن الفقار الفقار جمع فقرة والفقرة بكسر الفاء والفقارة بفتحها واحد فقار الظهر ومستبطن على صفة اسم المفعول والمراد به الموضع أي عرق في مستبطن الفقار أي في باطنها أو على صيغة اسم الفاعل ونصب الفقار على نزع الخافض أي عرق مستبطن في الفقار أو على إضافة العرق إلى مستبطن بفتح الطاء وإضافته إلى الفقار أي عرق مستبطن الفقار ومال الجميع واحد قال ابن الأثير في النهاية بحثت في كتب اللغة والطب والتشريح فلم أجد بخاع بالباء مذكوراً فيها وفي الكواشي ولقد تتبعت بخع زماناً طويلاً فما رأيت فيه شيئاً مما قال الزمخشري وهو قد قال في عربيته الفائق هو من بخع الذبيحة بالغ في ذبحها وهو أن يقطع عظم رقبتها ويبلغ بالذبح البخاع بالباء وهو العرق الذي في الصلب والنخع بالنون دون ذلك وهو أن يبلغ بالذبح النخاع بضم النون وهو الخيط الأبيض الذي في جوف الفقار وفي الأساس في باب الباء مع الخاء يخع الشاة بلغ بذبحها الفقار ومن المجاز بخعه الوجد إذا بلغ منه المجهود وأنشد بيت ذي الرمة:

ألا أيها ذا الباخع الوجد نفسه ... لشيء تحته عن يديه المقادر

قوله: ولعل للاشفاق أي كلمة لعل في لعلك باخع للاشفاق أي للشفقة أي أشفق على

---

(١) الأولى قاتلها كما قال في سورة الكهف.

besturdubooks.wordpress.com

للترجي في المحبوب وللإشفاق في المكروه أي الخوف وهذا أيضاً كالترجي لا يتصور في شأنه تعالى فهو للمخاطب وللإشارة إلى هذا قال أي أشفق الخ وإنما أوله بالأمر لأن الإشفاق غير واقع أي أشفق على نفسك بتخفيف[1] هذا الغم والحزن أي خف على نفسك وهو الملائم لكلام المص وإنما اختار ذلك لدلالة الإنكار المستفاد من السوق أي إنك تفعل ذلك أي التحسر والتهالك فلا تفعل هكذا قالوا ولو قيل إن الكلام مبني على التشبيه البليغ أو على الاستعارة التمثيلية[2] لا يحتاج إلى هذا التمحل فلم يحمل هذا على أحد ما ذكر كما حمل عليه في سورة الكهف ولهذا سكت هناك عن هذا التكلف ولعله سلك صنعة الاحتباك.

قوله: (لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا) لئلا يؤمنوا أي في الاستقبال لأن كلمة إن مختص بالاستقبال قيل أي لاستمرارهم على عدم قبول الإيمان وكلمة كان في التنزيل للاستمرار اعتبر بعد النفي فإذا استمر النفي وصيغة الاستقبال لتأكيد معنى الاستمرار ولا يخفى أن التحسر والغم على استمرار عدم إيمانهم باعتبار الحال والمستقبل إذ لا فائدة في الحزن على ما مضى ويؤيد ما ذكرناه قول التهالك فالبخع والتحسر عدم إيمانهم بعد التبليغ وللإشارة إلى ذلك أسقط فعل الكون كما هو عادته في أكثر المواضع ويحمل فعل الكون على زيادة الربط أو لأجل الفاصلة والفاضل المحشي لما حمل كان على استمرار النفي قال فلا غفول من المص فائدة إدخال فعل الكون على ما توهم ابن كمال باشا وهذا كلام جيد

نفسك أن تقتلها حسرة لعدم إيمانهم أي حسرة على ما فاتك من إيمان قومك دل على الأمر بالاشفاق اقتضاء كلمة لعل في أمثال هذا المقام الإنكار أي أنك تفعل ذلك فلا تفعل قال الإمام لما بين الله تعالى أن الكتاب مبين للأشياء قال بعده ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] منبهاً على أن الكتاب وإن بلغ في البيان كل غاية فلا مدخل له في إيمانهم لما أنه سبق حكم الله بخلافه فلا تبالغ في الحزن والأسف لأنك إن بالغت فيه كنت كمن يقتل نفسه ثم لا ينتفع بذلك أصلاً فصبره وعزاه وعرفه أن غمه لا ينفع كما أن مجرد وجود الكتاب ووضوحه لا ينفع.

قوله: لئلا يؤمنوا أو خيفة أن لا يؤمنوا وإنما أوله بهذين التأويلين لأن قوله: ﴿أن لا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣] تعليل لقوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] وليس مضمون أن لا يؤمنوا وهو عدم إيمانهم فعلاً لفاعل الفعل المعلل الذي هو البخع فوجب أن يكون أن لا يؤمنوا مقدراً باللام كلام التعليل في أكرمتك لإكرامك إياي أو يكون مقدراً بمضاف هو فعل لفاعل الفعل المعلل نحو مخافة أو خيفة أن لا يؤمنوا فيكون منصوباً على أنه مفعول له لوجود شرائط نصبه.

---

(١) وفي الكشاف يعني أشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلام قومك فحينئذٍ والمعنى خف على نفسك الخ وما ذكرنا في أصل الحاشية منفهم من كلام ابن كمال حيث قال أشفق على نفسك بتخفيف هذا الغم والهم فحينئذٍ يكون الاشفاق بمعنى الخوف فتأمل.

(٢) والمعنى أنت يا محمد في صورة من يرجى منه البخع فحينئذٍ لا إنكار ولا يحتاج إلى التأويل بالأمر بالاشفاق والنهي عن التحسر والتهالك.

besturdubooks.wordpress.com

لكن يخالف ظاهر كلامه في مواضع أخر وفي الكشاف لئلا يؤمنوا ولامتناع إيمانهم أو خيفة أن لا يؤمنوا وكأنه جعل نفي الكينونة في معنى نفي الصحة فهو عطف تفسير لامتناع إيمانهم كما في قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [البقرة: ١٤٣] وعلى الثاني هو بمعناه لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل علة للبخع لكونه غير معلوم قدر الخيفة ولا يخفى أن جعل نفي الكينونة في معنى نفي الصحة كما في قوله تعالى: ﴿وما كان الله﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية ليس بحسن[1] هنا يعرف بالتأمل وأيضاً قوله لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل الخ غير تام لأن المراد بالمستقبل بالنسبة إلى الدعوة وعقيب الدعوة فهو معلوم بل الظاهر أنه علة للبخع دون ما هو قبل التبليغ فإنه لا يكون علة له كما أشرنا إليه آنفاً ومنشأ ذلك جعل المستقبل عاماً وليس كذلك بل ما هو عقيب الدعوة وتقدير خيفة إشارة إلى مسلك آخر في مثل هذا المسلك الأول تقدير الجار في أن والآخر تقدير المضاف المناسب للمقام والمناسب هنا الخيفة وقيل تقدير اللام في الوجه الأول لانتفاء اتحاد فعل الفاعل المعلل به وتقدير المضاف في الثاني لتحصيله أي لتحصيل الاتحاد الظاهر أن الخيفة علة حصولية مثل قعدت عن الحرب جبناً ولهذا قال بعض المحشين لكن لما لم يصح كون عدم الكون في المستقبل علة للبخع لكونه غير معلوم قدر الخيفة وإن كان فيه بحث كما عرفته.

قوله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾

قوله: (دلالة ملجئة إلى الإيمان) دالة أي على نبوتك وصدق القرآن ملجئة وفي نسخة دلالة ملجئة أي بإلجاء الله تعالى عباده عند ظهور أمثالها فالإسناد إلى الدلالة مجازي وقيدها بالجاء لأن غيرها متحقق وأما المنتفي بانتفاء المشيئة الآية الملجئة إلى الإيمان والإلجاء لأنه سنة الله تعالى عند ظهور أمثالها وعدم إنزالها لئلا يكون الإيمان بالمشاهدة أو كالمشاهدة والمقبول الإيمان بالغيب وقيل يعني أن إيمان تلك الطائفة ليس بمراد لنا وأن المقصود من بعثك تبليغ أحكام التكليف على ما يقتضيه الحكمة فليس أمرنا عن إرادة ولا نهينا عن كراهة انتهى وهذا يوهم أن الآية الملجئة نازلة حين كون إيمان طائفة مراداً له تعالى ولا يخفى ضعفه فالمقصود من هذه الآية الكريمة تسلية له عليه السلام وتسكين له حيث دلت على أن التوفيق للإيمان وعدمه لله تعالى: ﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ [النور: ٥٤] وقد بلغه فلا وجه للتحسر والتألم من عدم إيمانهم فالجملة كالتعليل للأمر بالإشفاق على نفسه.

قوله: (أو بلية قاسرة عليه) أي على الإيمان بالجبر عليه وجه قيده بالجبر لأن غيرها نازلة عليهم كما مر وكونها قاسرة قاهرة لما ذكر لا لأن عليهم يدل عليه لأن استعمال

---

(١) إذ الإيمان صحيح منهم لكنه لم يقع منهم بخلاف قوله تعالى: ﴿وما كان الله﴾ الآية إذ الاضاعة ليست بصحيحة.

besturdubooks.wordpress.com

الإنزال بإلى وعلى قال تعالى: ﴿قل آمنا بالله وما نزل علينا﴾ [آل عمران: ٨٤] الآية فكما لم يدل على في علينا على القسر والقهر هناك كذلك لا يدل عليه هنا وذكر على هنا لكون التنزيل من علو ولذا قيد بقوله من السماء أي من جانب السماء ولما لم تكن الآية مشتهرة في معنى البلية اخرها وجه الاستعمال هو أن البلية والمصيبة العظيمة مما يكون علامة دالة على صدق النبوة قال تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى تسع[١] آيات بينات﴾ [الإسراء: ١٠١] الآية.

قوله: (منقادين) وأصل الخضوع اللين والانقياد كذا قاله في سورة البقرة ومقتضاه كون منقادين حقيقة لكن بعض المحشين ذهب إلى أنه مجاز أو كناية عن الانقياد وكذا ما قيل الخضوع أمارة الانقياد اللازم للإذعان وهو المراد هنا بطريق الكناية وهذا تكلف والظاهر كونه حقيقة.

قوله: (وأصله فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على أصله) وأصله أي مقتضى الظاهر فظلوا لها خاضعين إذ الخضوع والانقياد للذات لا للأعناق لكنه عدل عن هذا الأصل فأقحمت الأعناق أي أدخلت لبيان موضع الخضوع أي موضع ظهوره ولما كان الخضوع وضده يظهر في الرأس والعنق جعل محله فأسند الخضوع إليه مجازاً لأنه يتراءى قبل التأمل أنه هو الخاضع وهذا يقتضي[٢] ما ذكر في النظم الجليل وهو مقتضى الحال ومراده بالأصل مقتضى الظاهر وترك الخبر وهو خاضعين على أصله أي قبل إقحام الأعناق فبقي جمع العقلاء على حاله[٣] مع أن الأعناق ليست من العقلاء وإن أمكن أن يقال إنها اكتسبت التذكير وصفات العقلاء من المضاف إليه لكن الثاني ليس بمتعارف بخلاف الأول.

قوله: (وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم) وقيل لما وصفت

قوله: وترك الخبر على أصله أي ترك خبر ظلت على أصله أي لم يغير عن إسناده إلى ضمير العقلاء حيث قيل خاضعين ولم يقل خاضعة على الإسناد إلى ضمير اسم ظل والقياس أن يسند إليه لما أن إخبار الأفعال الناقصة تسند إلى أسمائها لكن لكون أصل المعنى ظلوا خاضعين خولف الأصل في إسناده إلى اسمه المقحم حيث قيل ظلت بإسناده إلى الأعناق لبيان موضع الخضوع ولم يخالف في الخبر.

قوله: وقيل لما وصفت الأعناق بصفات العقلاء أجريت مجراهم هذا التوجيه على إسناد

---

(١) وبعض تسع آيات البلية كالجراد والقمل والضفادع كما بينه المص هناك.

(٢) فما ذكر في النظم هو المطابق لمقتضى الحال ومراده بالأصل ما هو المطابق لمقتضى الظاهر لكن بالنظر إلى البلاغة الأصل ما اختير في النظم الجليل.

(٣) وبهذا البيان اتضح الفرق بين الوجهين إذ في الثاني صيغة جمع العقلاء لذلك الإجراء بخلاف الأول وإن كان صيغة العقلاء مجازاً فيهما.

besturdubooks.wordpress.com

الخ عطف على قوله وترك الخبر على أصله يعني أن صيغة العقلاء ليست لكونها على أصلها بل لكون الأعناق موصوفة بصفات العقلاء وهو الخضوع أجريت تلك الأعناق مجرى العقلاء فاستعملت صيغة العقلاء فيها مجازاً كقوله تعالى: ﴿والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ [يوسف: ٤] أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم وهي السجود والجمع مع أن الخضوع هنا والسجود هناك واحد لكثرة الموصوفين فنزلت تلك الصفة الواحدة منزلة الصفات المتعددة للتغاير الاعتباري ولفظة لها صلة ظلت أو خاضعين قدم للفاصلة ومعنى ظلت هنا صارت لا بمعنى ثبت لها ذلك في جميع النهار وإن صح في الجملة.

قوله: (وقيل المراد بها الرؤساء) أي مجازاً مرسلاً والعلاقة الكلية والجزئية وكون المراد رؤساءهم وشرفاءهم إذ العنق من أشراف الأجزاء فيثبت الحكم حينئذٍ لغير الرؤساء بدلالة النص وبالطريق الأولى.

قوله: (أو الجماعة من قولهم جاءنا عنق من الناس لفوج منهم) أو الجماعة وفي نسخة أو الجماعات لما مر من أنه مجاز بعلاقة الجزئية والمراد الجماعة مطلقاً رؤساء أولاً لكن يشبه أن يكون إضافة الشيء إلى نفسه والتفصي جعل الإضافة بيانية ولعل هذا مراد من قال فالمعنى ظلت جماعاتهم أي جملتهم لأنهم[1] جماعة من الناس فلا إشكال.

قوله: (وقرىء خاضعة) أي قرىء فظلت أعناقهم لها خاضعة على الإسناد المجازي فلا يحتاج حينئذٍ إلى التمحل المذكور لكن يخل الفاصلة.

قوله: (فظلت عطف على ننزل عطف واكن على فاصدق لأنه لو قيل أنزلنا بدله لصح) فظلت عطف على ننزل الخ أي عطف عليه في المعنى عطف واكن على فاصدق فإن أكن معطوف على موضع الفاء فإنهم لعلهم يجعلون المصدر المسلول من أن وصلتها مبتدأ محذوف الخبر والجملة جواب شرط مقدر أي إن أخرتني فتصدقي ثابت واكن من الصالحين فالفاء رابطة لا عاطفة فلا إشكال بأنه ليست الفاء وما بعدها هنا في موضع جزم لأن ما بعد الفاء منصوب بأن مضمرة وإن والفعل في تأويل المصدر معطوف على مصدر متوهم مما تقدم على ما هو المشهور فأين موضع الجزم كذا بينه الفاضل السعدي هناك مع تفصيل فيه وقيل المنصوب بعد الفاء في غير النفي ينجزم بعد سقوط الفاء تقول في زرني

خاضعين إلى ضمير الأعناق فيكون مثل رأيتهم لي ساجدين وإنما قال بصفات العقلاء بجمع الصفات والحال أن الصفة واحدة وهي الخضوع باعتبار اتصاف كل عنق من تلك الأعناق بصفة خضوع فالجمع باعتبار أفراد الخضوع الظاهر في آحاد الأعناق وقيل المراد بها الرؤساء وهذا توجيه لإسناده إلى ضمير الأعناق إذ المراد بالأعناق حينئذٍ العقلاء فيصح في صفاتها بهذا التأويل الجمع بالواو والنون وإنما أطلق الأعناق على رؤساء القوم ومقدميهم تشبيهاً لهم بالأعناق في التقدم كما يقال لهم الرؤوس والنواصي والصدور.

---

(١) تعليل لتسميتهم الجملة جماعة.

besturdubooks.wordpress.com

فأكرمك زرني أكرمك بالجزم ولهذا يعطف المجزوم على المنصوب بعد الفاء نحو فأصدق واكن من الصالحين وحاصل كلامه إن ظلت معطوف على المضارع الذي لو استعمل ببدله الماضي لكان صحيحاً كما أن اكن معطوف على اصدق على أنه لو قيل اصدق مجزوماً لكان صحيحاً وهذا مراده من التشبيه لا الجزم والنصب كما هو المتبادر منه وإلى ذلك أشار بقوله لأنه لو قيل أنزلنا بدله أي بدل ننزل لصح فيصح عطف الماضي عليه وإنما تمحل في هذا العطف مع أن عطف الماضي على المضارع صحيح لأن ترتب الماضي بالفاء التعقيبية أو السببية غير معقول بل المعقول عكسه فلا بد من تأويل أحد الفعلين فأشار إلى تأويل ننزل بأنزلنا فالتقدير إن نشأ أنزلنا على أن المراد بالماضي معناه لا المستقبل كقوله تعالى: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ [المائدة: ١١٦] ويؤيده قراءة لو شئنا لأنزلنا وأيضاً يؤيده أن الواقع في نظائرها كلمة أو مثل قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ [الأنعام: ٣٥] ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وغيرهما والمشهور في مثله إيراد كان ونحوه إذ كلمة أن للاستقبال فلو أريد الماضي أقحم كلمة كان كقوله تعالى: ﴿إن كنت قلته فقد علمته﴾ [المائدة: ١١٦] الآية فالأولى تقدير كلمة كان والمعنى إن كنا نشأ ولو أول ظلت بالمضارع وقد قرىء به كما في الكشاف لاندفع الإشكال أيضاً لكن المناسب هنا المعنى المضي فلذا اختار في النظم المعنى المضي فأول المضارع بالماضي وقيل إن نظر إلى زمان الحكم كان الجواب مستقبلاً فيأول ظلت بتظل كما قرىء به وإن نظر إلى زمان الحكاية يأول ننزل بأنزلنا كما قرىء به وهو الذي اختاره الشيخان انتهى ولو قيل إنه وإن كان الجواب مستقبلاً بالنظر إلى زمان الحكم لكنه ماض بالنظر إلى زمان الحكاية واختير زمان الحكاية للإشارة إلى أن نزول تلك الآيات لقوة سلطانه ترتب ما ذكر عليه كأنه كان واقعاً قبلها لم يبعد.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾

قوله: (موعظة أو طائفة من القرآن) موعظة أسقط من للإشارة إلى أنها صلة إن أريد بالذكر الموعظة قوله أو طائفة من القرآن تنبيه على أن من تبعيضية إن أريد به القرآن قدم الأول إذ سبب الإعراض الوعظ لا إتيان القرآن بدون وعظ فهو المراد به أيضاً والتقابل بعموم الأول إلى السنة أيضاً لأنها[1] من الرحمن أيضاً.

قوله: (بوحيه إلى نبيه) بوحيه متعلق بيأتيهم فلو ذكره قبل قوله من الرحمن لكان أبعد من الاشتباه وإيثار الرحمن هنا أوقع لأن فيه إشارة إلى أنه رحمة جسيمة وقد كانوا محرومين عن الانتفاع بها لانهماكهم على التقليد وإصرارهم على الكفر العنيد.

قوله: (مجدد إنزاله لتكرير التذكير وتنويع التقرير) مجدد إنزاله أول به لأن إنزال كل ذكر محدث قوله لتكرير التذكير علة للتجديد إذ تكريره مما يتأثر به القلوب ويندفع به

---

(١) لأنه عليه السلام ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى غايته أنه وحي غير متلو.

besturdubooks.wordpress.com

الاعتذار عند الملك العلام الغيوب قوله وتنويع التقرير أي التثبيت في الأذهان أو الحمل على الإقرار إجمال ما فصلناه.

قوله: (إلا كانوا عنه معرضين) استثناء من عموم الأحوال وحال بتقدير قد والمعنى وما يأتيهم من ذكر مبتدأ من الرحمن[1] في حال من الأحوال إلا وقد كانوا معرضين عنه أي حال كونهم معرضين عنه فيه إشارة إلى أن إعراضهم عقيب إتيانهم بلا تلعثم وبلا نظر صائب.

قوله: (إلا جددوا إعراضاً عنه وإصراراً على ما كانوا عليه) إلا جددوا إعراضاً عنه

قوله: إلا جددوا إعراضاً فإن قيل قوله تعالى: ﴿كانوا معرضين﴾ [الشعراء: ٥] لا يدل إلا على المضي ولفظ معرضين لا يدل إلا على الثبوت لا التجدد فمن أين قال المفسر في تفسيره إلا جددوا إعراضاً وأي لفظ أفاد الاستمرار التجددي قلنا معنى التجدد والاستمرار مستفاد من وقوع المضارع وهو ما يأتيهم مقابلاً للمضي كما اعتبروا الاستمرار التجددي من وقوع المضارع في حد المضي في قولهم لو تحسن إلي لشكرت قال صاحب المفتاح قصدوا بتحسن أن إحسانه مستمر الامتناع فيما مضى وقتاً فوقتاً وأما لفظة محدث فلتوكيد معنى التجدد المستفاد من يأتيهم في ما يأتيهم من آية قال الطيبي رحمه الله وأما قضية النظم فإن هذه الآية متصلة معنى بقوله تعالى: ﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين﴾ [الشعراء: ١، ٢] فإنه تعالى أعلم أولاً أنه أنزل هذا الكتاب الكريم في نهاية من الوضوح والبيان وأنهم ما رفعوا إليه رأساً ثم نبه ثانياً على أن هذا الكتاب مع وضوح آياته إنما أنزل على سبيل التدرج ليكون ادخل في التذكير وانجع في الاتعاظ به وهم مع ذلك قابلوا كل حصة منه بتكذيب واستهزاء كل ذلك تسلية لحبيبه لئلا يذهب بنفسه حسرات ولذلك أوقع قوله: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ [الشعراء: ٣] الآية اعتراضاً بمعنى انظر إليهم وإلى ما فعلوا بمثل هذا الكتاب الكريم على أنه قادر على أن يقسرهم على الإيمان وهم مهانون خاضعون فاشفق على نفسك أن تقتلها حسرة على ما فاتك من إسلامهم وأنت أيها المتأمل في كتاب الله المجيد إذا امعنت النظر فيما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة وجدته نازلاً تسلية لقلب الحبيب صلوات الله عليه من تكذيب القوم إياه والطعن فيما أنزل عليه والاستهزاء به ألا يرى كيف ذيل كل قصة من القصص المذكورة فيها بقوله: ﴿إن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ [الشعراء: ٩] وجعل كالتخلص إلى قصة أخرى وكالمهتم بشأنه فرجع إليه إذ لو جد له محل يناسبه يعني لا تتحسر على إصرارهم على الكفر وتكذيبهم ما أنزلنا عليك إن ربك عزيز منتقم ورحيم عليك بأن يقدر لك من يؤمن بك إن لم يؤمن هؤلاء ولذلك قرن معه وقدم عليه كل مرة قوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [الشعراء: ٦٧] ومن تسليته تعالى لرسوله ﷺ أن بدأ سبحانه بأمر نفسه وذكر أنه تعالى مع كبريائه وجلاله أنزل عليهم دليل السمع فاعرضوا وكذبوا واستهزؤوا ونصب لهم الدلائل الظاهرة واراهم آيات يفتح بها أعينهم من إنبات كل صنف بهيج فما التفتوا ولا رفعوا له رأساً ثم فصل ذلك بتلك الفاصلة وقرنها بتلك القرينة وثنى بقصة موسى عليه السلام وختمها أيضاً بتلك الفاصلة والقرينة وثلث بقصة الخليل عليه السلام وختمها بها وهلم جرا إلى آخر السورة وقال انظر أيها المتأمل في

---

(١) إشارة إلى أن من في الرحمن ابتدائية.

besturdubooks.wordpress.com

هذا بالنظر إلى النوع المتحقق في ضمن فرد فرد ويدل عليه قوله وأصروا على ما كانوا عليه فإن الإعراض عن ذكر مجدد إنزاله قد تحقق قبل إتيانه في ضمن ذكر قبله لأن مدلولهما واحد فإذا أتى ذكر بعده وأعرض عنه ولم يلتفت إليه جدد الإعراض الذي تحقق قبله في ضمن ذكر سابق عليه فلا إشكال بأنه لا يتصور الإعراض عن شيء قبل وجوده وجه دفعه ظاهر مما قررناه.

قوله تعالى: فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰؤُا مَا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾

قوله: (أي بالذكر) إن أريد به القرآن فالتكذيب ظاهر وإن أريد به الموعظة فتكذيبها إما راجع إلى تكذيب القرآن أو السنة.

قوله: (بعد إعراضهم وأمعنوا في تكذيبه بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمناً في قوله: ﴿فسيأتيهم﴾ [الشعراء: ٦]) بعد إعراضهم هذا مقتضى الفاء فالأولى عقيب إعراضهم بدل بعد إعراضهم أي كذبوا بالمقال واللسان عقيب تكذيبهم بالإعراض والجنان وفيه إشارة إلى شدة شكيمتهم حيث لم يكتفوا بالإعراض الذي تكذيب فعلي بل تجاسروا على التكذيب بالقول الذي يتضمن الاستهزاء ولذا قال وأمعنوا أي بالغوا فيه حيث ضموا التكذيب بالقول إلى التكذيب بالفعل قاصدين الاستهزاء وفي الكشاف[1] كأنه قيل حين أعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية فاختلاف الألفاظ وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء لاختلاف الأغراض فعلم من مجموع ذلك أن الفاء في قوله تعالى: ﴿فسيأتيهم﴾ [الشعراء: ٦]

كتاب الله المجيد المستخرج للطائفة من قعر بحره الملتقط لدره بغوص فكره إلى رفعة منزلة سيدنا محمد صلوات الله عليه ونباهة قدره كأن التنزيل بجملته نازل لتسكين نادرته وتسلي حزنه وتثبت خلده ورباط جأشه وتهذيب أخلاقه وإرشاد أمته مع مراعاة ألفاظ التلويح والتعريض والرمز قوله أي كذبوا بالذكر بعد إعراضهم معنى البعدية مستفاد من الفاء التعقيبية في فقد كذبوا كأنه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لأن من كان قائلاً للحق مقبلاً عليه كان مصدقاً به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقاً به كان موقراً له.

قوله: وأمعنوا في تكذيبهم بحيث أدى بهم إلى الاستهزاء به يعني تدرجوا حالاً بعد حال اعرضوا أولاً عن الذكر وكذبوه ثانياً وتوغلوا في التكذيب حتى أدى تكذيبهم إلى الاستهزاء به فالاستهزاء نتيجة التكذيب المسبب عن الإعراض فالفاء في قوله فسيأتيهم سببية وهي فاء فصيحة لأن مدخولها وعيد للمستهزىء والوعيد مسبوق بحصول الاستهزاء فكان المعنى اعرضوا فكذبوا واستهزؤوا ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾.

---

(١) قال في الكشاف فإن قلت كيف خولفوا بين الألفاظ والغرض واحد وهي الإعراض والتكذيب والاستهزاء قلت إنما خولف بينها لاختلاف الاغراض كأنه قيل حين اعرضوا عن الذكر إلى آخر ما ذكر في أصل الحاشية.

besturdubooks.wordpress.com

للعطف على كذبوا ولا حاجة إلى أن يقال إن الفاء فصيحة تقديره[١] فقد كذبوا واستهزؤوا.

قوله: (أي إذا مسهم عذاب الله يوم بدر أو يوم القيامة) إذا مسهم الخ أشار إلى أن المراد بالإنباء الإنباء بالفعل دون الإنباء بالقول والأول أقوى وإن كان مجازاً بجامع الظهور قوله أو يوم القيامة أو لمنع الخلو قدم الأول لوقوعه مقدماً وإن كان كالمعدوم في جنب العذاب في الآخرة ولقد تفنن في البيان حيث قال في سورة الأنعام عند ظهور الإسلام وارتفاعه وهنا قال إذا مسهم الخ وهما متغايران وإن تلازما.

قوله: (من أنه كان حقاً أم باطلاً وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم قدره أو يكذب فيستخف أمره) من أنه كان حقاً الخ بيان الانباء على وجه الإنصاف المسكت للخصم الألد الشاغب وإلا فإنباؤه أنه كان حقاً وأنه جدير وواجب أن يصدق به.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (٧)

قوله: (أو لم ينظروا إلى عجائبها) أو لم ينظروا فسره به لتعدية الرؤية بإلى قوله إلى عجائبها منفهم من قوله كم أنبتنا والظاهر أنه بتقدير المضاف تقدير هذا أكذبوا ولم ينظروا إلى العجائب[٢] التي أودعت في الأرض الهمزة الاستفهامية لإنكار الواقع للتوبيخ والاكتفاء بالأرض هنا لقربها إياهم ومشاهدتهم عجائبها بالعيان.

قوله: (كم أنبتنا) كم الخبرية للتكثير صيغة أنبتنا لتغليب الموجود على المعدوم أو لتنزيل المنتظر منزلة الواقع وجملة كم أنبتنا بيان للعجائب المودعة في الأرض.

قوله: (صنف) إشارة إلى أنه ليس المراد بالزوج هنا معناه المتعارف وهو أحد القرينتين من ذكر وأنثى بل المراد أصناف وأنواع سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض نقل عن الراغب أنه قال إنه يطلق عليه لتركبه انتهى والظاهر أن الإطلاق حقيقة.

قوله: (محمود[٣] كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى) محمود كثير المنفعة

قوله: من أنه كان حقاً أو باطلاً لفظة من بيانية والمقصود بيان الانباء لا بيان ما ﴿في ما كانوا به يستهزئون﴾ أي فسيأتيهم أنباؤه وأحواله التي كانت خافية عليهم فسيعلمون حينئذٍ أهو حق أم باطل وحقيق بالتصديق والتعظيم أم لا أي سوف ينبئون عن حال ما كذبوا واستهزؤوا به ح بما هو الحق فيه.

قوله: محمود كثير المنفعة معنى الكثير مستفاد من صيغة المبالغة في الكريم.

قوله: وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى في بابه يقال وجه كريم إذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم أي مرضي في معانيه وفوائده قال حتى يشق الصفوف من كرمه أي من كونه مرضياً في شجاعته والنبات التكريم هو المرضى فيما يتعلق به من المنافع.

---

(١) كما ذهب إليه ابن كمال باشا.

(٢) إشارة إلى أن إضافة العجائب إلى الأرض بمعنى في أو لأدنى ملابسة.

(٣) الأولى ممدوح بدل محمود.

besturdubooks.wordpress.com

قال في سورة الحج والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله فهو حقيقة في كل نوع قوله هنا وهو صفة الخ إشارة إلى ما ذكره في سورة الحج.

قوله: (وههنا يحتمل أن تكون مقيدة) أي للصنف بتخصيصه بما ذكر فيخرج ما ليس كذلك من الأصناف.

قوله: (لما يتضمن الدلالة على القدرة) لما يتضمن أي الكريم الدلالة على القدرة أي على البعث لأن مفعول كذبوا المقدرة في أو لم ينظروا هو البعث وإن احتمل العموم والمراد بالدلالة الزائدة في الظهور على القدرة الكاملة وإلا فكل ما نبت دال على القدرة وأيضاً فيه بيان النعمة الجسيمة والزوج الكريم من أعظم النعم فكونه للتقييد والتخصيص أولى.

قوله: (وأن تكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة إما وحده أو مع غيره) وأن تكون مبينة أي موضحة لا مخصصة فيتناول كل ما نبت إذ ما من نبت إلا وله فائدة الخ فيكون كله كريماً بهذا المعنى والكريم بهذا المعنى أعم قوله أو مع غيره كالنبات المر فإن له فائدة مع الحلو المزيل لمرارته.

قوله: (وكل لإحاطة الأزواج وكم لكثرتها) وكل لإحاطة الأزواج بحيث لا يشذ منها

قوله: وههنا يحتمل أن تكون مقيدة لما تتضمن الدلالة على القدرة أي الكريم ههنا يحتمل أن يكون صفة مقيدة للزوج بما يتصف بالكرم والنفع من أنواع النباتات ليخرج منها ما هو ضار غير نافع لأن الآية أو صفة الكرم متضمنة للدلالة على قدرة الله تعالى والقدرة في النافع اظهر وما في لما تتضمن مصدرية وضمير الفاعل في تتضمن راجع إلى الآية أو الصفة والأول أنسب.

قوله: وأن يكون مبينة منبهة على أنه ما من نبت إلا وله فائدة أي ويحتمل أن لا يكون الكريم صفة مقيدة ويدخل فيها جميع النبات نافعه وضاره ويصفها جميعاً بالكرم تنبيهاً على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا وفيه فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة بالغة وغاية صحيحة وعاقبة حميدة وإن غفل عنها الغافلون ولم يتوصل إلى معرفة كنهها العاقلون فيكون الكريم صفة مادحة كما أنه على الأول فارقة.

قوله: وكل لاحاطة الأزواج وكم لكثرتها أي الفائدة في الجمع بين لفظي كم وكل أن في لفظة كل دلالة على الاحاطة بأزواج النبات على سبيل التفصيل وفي لفظة كم دلالة على أن هذا المحيط متكاثر قال صاحب الانتصاف فعلى هذا يكون المراد بالتكثير المستفاد بكم تكثيراً لأنواع والظاهر أن المراد به تكثير آحاد الأزواج لا الأنواع فلو اسقطت كلا وقلت انظر إلى الأرض كم أنبت الله فيها من الصنف الفلاني لكنت مكثراً آحاد ذلك الصنف فإذا ادخلت كلا آذنت بتكثير آحاد كل صنف لا آحاد صنف معين وقال الطيبي ههنا صور ثلاث أحدها أنبتنا فيها من زوج فالكثرة في آحاد صنف واحد لا في آحاد كل صنف وثانيتها ﴿أنبتنا فيها من كل زوج﴾ [الشعراء: ٧] فليس فيها إلا استيعاب الأصناف وثالثتها ما عليه التلاوة فكل لاحاطة جميع الأصناف وكم لكثرة أفراد كل صنف من تلك الأصناف أي صنف كان فعلى هذا يكون قول القاضي رحمه الله وكم لكثرتها منظوراً فيها لأن الضمير في قوله لكثرتها راجع إلى الأزواج

besturdubooks.wordpress.com

فرد من أصناف غرضه دفع توهم التكرار أي لا تكرار فيه إذ الفرق بين الكثرة والشمول واضح وأحدهما لا يغني عن الآخر والمعنى أنبتنا شيئاً كثيراً هو كل زوج فمن بيانية أو شيئاً كثيراً من كل زوج فمن ابتدائية أو المراد كثرة إفراد كل صنف فمن تبعيضية لكن كثرة الأنواع أدل على القدرة إلا أن يقال لما كان المراد كثرة إفراد كل صنف يستلزم كثرة الأنواع فكم لتكثير الإفراد وكل لإحاطة الأصناف وهذا الاحتمال راجح.

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

قوله: (أي في إنبات تلك الأصناف أو في كل واحد على أن منبتها[1] تام القدرة والحكمة وسابغ النعمة والرحمة) أي في إنبات تلك الأصناف يعني المشار إليه الإنبات ولذا أفرد اسم الإشارة وكون المشار إليه أزواجاً وتوحيد اسم الإشارة لاتحادها في المقصود كان الكل آية واحدة تكلف وإن كان وجهاً صحيحاً كما مر مثله في ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤] على أنه لا يكون المشار إليه أزواجاً بل زوجاً لأن المفرد الداخل عليه حرف الاستغراق بمعنى كل فرد لا مجموع الافراد واسم الإشارة بعدها يكون مفرداً كالضمير والصفة فإنه امتنع وصفه بالجمع[2] فالإنبات في كلام المص إما بمعنى المصدر أو الحاصل بالمصدر وهو المنبت هذا هو الظاهر إذ الآية الممكن الحادث وأما إيجاده فكونه آية غير متعارف وإن كان صحيحاً فإن الاستدلال بالأمور الموجودة الممكنة.

قوله: (في علمه وقضائه) توجيه لصيغة الماضي ولو كان المراد إخبار حالهم في الواقع لقيل وأكثرهم كافرون[3] والقول بزيادة كان ضعيف[4] وعلم منه أيضاً أن حالهم في

والمراد بها الأصناف هذا ففائدة الجمع التكميل إذ لو اقتصر على أحدهما لم يعلم المعنى الآخر.

قوله: أن في إنبات تلك الأصناف أو كل واحد منها لآية على أن منبتها تام القدرة والترديد بأو إشارة إلى جواب سؤال عسى يورد ههنا وتقرير السؤال أن الكثرة المستفادة من كلمتي كم وكل تقتضي أن يقال الآيات على صيغة الجمع دون آية على صيغة الوحدة فأجاب رحمه الله بوجهين أحدهما أن يكون ذلك إشارة إلى مصدر أنبتنا فكأنه قال إن في ذلك الإنبات لآية عظيمة على كمال قدرة الله تعالى وثانيهما أن يكون إشارة إلى كل واحد من تلك الأزواج فالمعنى أن في كل واحد منها لآية فهو مثل قوله في هذه السورة: ﴿إنا رسول رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٦] والمعنى أن كل واحد منا رسول رب العالمين وعلى كل من الوجهين تنكير آية للتعظيم كما أشار إليه أي إلى كون التنكير للتعظيم صاحب الكشاف بقوله فكأنه قال إن في ذلك الإنبات آية أي آية.

---

(١) الأولى خالقها وموجدها إذ إطلاق المنبت عليه تعالى ليس بمعلوم من الشرع.
(٢) وتمام البحث في المطول في قوله ولا تنافي بين أفراد الاسم.
(٣) أشار إلى أن القليل منهم مؤمنون فظهر ضعف ما قيل في صدر السورة من أن المراد منهم من كان في علم الله تعالى كافراً على إطلاقه.
(٤) لظهور فائدته فلا صحة لزيادته.

besturdubooks.wordpress.com

الواقع الكفر لامتناع وقوع خلاف علمه تعالى ولما كان تعلق علمه تعالى بفعل العبد أو تركه أنه يفعله أو يتركه باختياره فلا جبر والمص لم يدع أن علمه تعالى وقضاءه مانعان من الإيمان بل نبه على وجه إيراده بصيغة الماضي ونظيره في الإثبات مثل قوله تعالى: ﴿إن يوم الفصل كان ميقاتاً﴾ [النبأ: ١٧] الآية ونظائره كثيرة والاعتراض عليه بأن علمه تعالى ليس علة لعدم إيمانهم لأن العلم تابع للمعلوم لا بالعكس مدفوع بأن معنى كون علمه تعالى تابعاً للمعلوم أن علمه تعالى في الأزل بمعلوم معين حادث تابع لماهيته بمعنى أن خصوصية العلم وامتيازه عن سائر المعلوم إنما هو باعتبار أنه علم بهذه الماهية وأما وجود الماهية وفعليتها فيما لا يزال فتابع لعلمه الأزلي التابع لماهيته بمعنى أنه تعالى لما علمها في الأزل على هذا الخصوصية لزم أن يتحقق ويوجد على هذه الخصوصية فيما لا يزال فلا جبر ولا يبطل قاعدة التكليف لأنه تعالى يعلم مثلاً أن زيداً يفعل باختياره كذا لكون زيد في نفسه كذا وهذا محقق للاختيار لا مناف له فنفس موتهم على الكفر وعدم إيمانهم متبوع لعلمه الأزلي ووقوعه تابع له فاحفظ هذا فإن أكثر[1] الناس عنه غافلون.

قوله: **(فلذلك لا ينفعهم أمثال هذه الآيات العظام)** لما عرفت من أن وقوع خلاف معلومه محال قوله أمثال هذه الآيات الخ شاهد على ما ذكرناه من أن المراد بالإنبات المنبت وهو الزوج والجمع لدلالة الكل على الافراد ولو على طريق البدلية.

قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾

قوله: **(الغالب القادر على الانتقام من الكفرة حيث أمهلهم أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن)** الانتقام من الكفرة تخصيص الكفرة لبيان ارتباطه لما قبله وذكر الرحيم للتنبيه على أن عدم تعجيل الانتقام لكونه رحمته سابقاً على غضبه وفي جمعهما صنعة طباق وقدم العزيز لرعاية الفاصلة وقيل لأن ما قبله بيان القدرة والغالب تفسير العزيز وإطلاقه ثابت بالنص[2] قال تعالى: ﴿والله غالب على أمره﴾ [يوسف: ٢١] الآية.

قوله تعالى: وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾

قوله: **(مقدر باذكر)** على أنه مفعول فيه لأنه لازم الظرفية عنده كما صرح به في سورة البقرة والمفعول به محذوف تقديره واذكر الحادث في وقت كذا وهو ابتداء كلام

قوله: مقدر باذكر أو ظرف لما بعده فيكون إذ على الأول مفعولاً به لاذكر أي اذكر وقت نداء ربك لموسى ﴿بأن ائت﴾ [الشعراء: ١٠] الآية وعلى الثاني مفعولاً فيه لقال في قوله: ﴿قال رب إني أخاف أن يكذبون﴾ [الشعراء: ١٢] أي قال موسى في وقت نداء ربك إياه ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾.

---

(١) بل أكثر العلماء عنه ذاهلون.

(٢) ولم ندر وجه ما قيل قوله الغالب تفسير العزيز لا وصف لله تعالى حتى يقال لم يستمع إطلاقه على الله تعالى انتهى قال تعالى ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [يوسف: ٢١].

besturdubooks.wordpress.com

مسوق لتسلية الرسول عليه السلام وقيل إنه عطف على مقدر آخر أي خذ الآيات أو ترقب إتيان إنباء ما كانوا به يستهزئون والجملة المقدرة جملة ابتدائية فلتكن هذه الجملة ابتدائية وأما كونه عطف قصة[1] على قصة فبعيد.

قوله: (أو ظرف لما بعده) وهو قال إني أخاف وهذا يؤيد ما ذكرناه من أنه ظرف لا ذكر المقدر لا مفعول به أي ظرف لما بعده كما أنه ظرف للنداء على أن المراد الوقت المتسع وهو ظرف لقال معنى حين تعلقه باذكر.

قوله: (أي ائت أو بأن ائت بالكفر واستبعاد بني إسرائيل وقتل أولادهم) أي ائت أشار إلى أن ان تفسيرية وعلى الثاني مصدرية بتقدير حرف جر قبلها قدم الأول لسلامته عن الحذف وأيضاً منع البعض دخول إن المصدرية على الأمر فهي تفسيرية عنده في كل موضع والمعنى على المصدرية ﴿ونادى ربك موسى﴾[2] [الشعراء: ١٠] بالإتيان أو بأن قلنا له ائت قوله وقتل أولادهم الأولى وقتل أبنائهم.

قوله تعالى: قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١١)

قوله: (بدل من الأول أو عطف بيان له) بدل من الأول بدل الكل للتقرير والتوضيح ولما لم يظهر الفرق بينه وبين عطف البيان كما نقل عن الشيخ الرضي قال أو عطف بيان وكون البدل هو المقصود بالنسبة والأول في حكم التنحية ليس بكلي كما في المطول فمآلهما واحد وترجيح الثاني مخالف لتقديم المص البدل ولا يكون وصفهم بالظلم في حكم التنحية في البدل كما في عطف البيان.

قوله: أي ائت أو بأن ائت إشارة إلى احتمالي كون أن مفسرة ومصدرية.

قوله: بالكفر واستعباد بني إسرائيل وذبح أولادهم قال الزمخشري في الكشاف سجل عليهم بالظلم بأن قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكأنهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد إن شاء ذاكرهم عبر عنهم بالقوم الظالمين وإن شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين من جهة ظلمهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني إسرائيل باستعبادهم لهم.

قوله: ولعل الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعون أولى بذلك يعني أن القصد الأصلي من إرسال موسى دعوة فرعون إلى الدين الحق لأنه اعتاهم كفراً وظلماً فمقتضى الظاهر أن يقال ائت فرعون وقومه لكن اقتصر على ذكر قومه وترك ذكر فرعون مع كونه مقصوداً أصلياً من إرسال موسى عليه السلام للعلم بأن فرعون أولى بذلك أي بالاتيان إليه للدعوة لشهرته بفرط العتو وغاية

---

(١) فإن في عطف القصة على القصة يشترط كون الغرض المسوق لهما متناسباً وهنا غير ظاهر ولو اكتفى بأدنى المناسبة لأمكن في كل موضع والتزامه مشكل.

(٢) أشار بذلك إلى أن معنى الأمر حين دخول أن المصدرية عليه ليس بباقٍ أو معناه باقٍ بإضمار القول فاحفظ هذا فإن هذا جار في كل موضع أشار إليه المص في أوائل سورة نوح.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ولعل الاقتصار على القوم للعلم بأن فرعون أولى بذلك)[١] أي ثبت الأمر بالإتيان إلى فرعون بدلالة النص فالاقتصار في العبارة لا في المراد وفي هذا الاقتصار تنبيه على أن ظلم فرعون إشد لكن هذا علة مصححة فإن في موضع آخر اقتصر على فرعون حيث قيل اذهب إلى فرعون إنه طغي وسيأتي فأتيا إلى فرعون[٢] وهذا وإن خالف ما في مواضع أخر لفظاً فهو طبقه في المقصود ويشير إليه المص في سورة القصص.

قوله: (استئناف اتبعه إرساله إليهم) استئناف أي استئناف نحوي غير داخل تحت النداء اتبعه تعالى إرساله لما ذكره المص وقيل استئناف بياني بتقدير ما أقول إذا جئتهم وأنت خبير بأن حق الكلام الخطاب[٣] إذ الكلام حينئذٍ بالمشافهة.

قوله: (للإنذار تعجيباً له) مستفاد من التعبير بالقوم الظالمين فإن الأمر بالإتيان إليهم ليس إلا للإنذار قوله تعجيباً له أي لموسى عليه السلام أي الهمزة الاستفهامية[٤] للتعجيب لاستحالة التعجب منه تعالى.

قوله: (من إفراطهم في الظلم واجترائهم عليه) الإفراط منفهم من ﴿ألا يتقون﴾ أي عن الظلم وعدم الاتقاء عنه إفراط فيه وجسارتهم من غير مبالاة عليه.

قوله: (وقرىء بالتاء على الالتفات إليهم زجراً لهم وغضباً عليهم وهم وإن كانوا غيباً

الكفر حتى انتهى أمره في الكفر إلى دعوى الألوهية فكان كأنه مذكور بدلالة الحال.

قوله: استئناف اتبعه إرساله إليهم للإنذار تعجيباً له من افراطهم في الظلم أي اتبع الله تعالى قوله: ﴿ألا يتقون﴾ [الشعراء: ١١] قوله: ﴿ائت القوم الظالمين﴾ [الشعراء: ١٠] تعجيباً لموسى من افراطهم في ظلمهم فكأنه قيل يا موسى إما انتهى تماديهم في الظلم وإما بلغ زمان إنذارهم وأن تخويفهم بأيامي وهي أيام الآخرة وعقابي فيتقون ما أعجب حالهم في الظلم قال صاحب الفرائد يمكن أن يقال في الغيبة ائت قوم فرعون قائلاً قولي لهم ألا يتقون كقوله تعالى: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ [البقرة: ١٨٦] أي فقل لهم إني قريب ومبلغاً قولي وكذا في قراءة كسرة النون وفي الخطاب قائلاً لهم ﴿ألا تتقون﴾ قال الزمخشري ويحتمل أن يكون حالاً من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله وعقابه فأدخلت همزة الإنكار على الحال.

قوله: وقرىء بالتاء على الالتفات زجراً لهم وغضباً عليهم وفي الكشاف وأما من قرأ ﴿ألا تتقون﴾ على الخطاب فعلى طريقة الالتفات وجبههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم كما ترى من يشكون من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجاني حاضر فإذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثته وأقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له ألم تتق الله ألم تستحي من الناس.

---

(١) أولى بذلك أي بالاتيان لأنه منشأ الإضلال أو بالوصف بالظلم.

(٢) وقيل قوم فرعون شامل له كشمول بني آدم له.

(٣) وفي الكشاف ويحتمل أن يكون ﴿ألا يتقون﴾ حالاً من الضمير في الظالمين أي يظلمون غير متقين الله عقابه فادخلت همزة الإنكار على الحال هذا بناء على أن الفصل بقوله قوم فرعون ليس بأجنبي واعمال قبل الهمزة فيما بعدها جائز للتوسع في الهمزة وكلاهما منظور فيه.

(٤) وقيل إلا للعرض ولا استفهام فيه.

besturdubooks.wordpress.com

حينئذٍ أجروا مجرى الحاضرين) على الالتفات إليهم وفيه دلالة على أن المراد بالاستئناف استئناف نحوي إذ لو كان معانياً لكان الخطاب في موقعه إذ الخطاب في وقت الإتيان كما قرره فلا يلائمه قوله وهم وإن كانوا غيباً الخ لأن غيبتهم وقت النداء لا وقت المجيء.

قوله: (في كلام المرسل إليهم من حيث إنه مبلغه إليهم واسماعه مبدأ اسماعهم) في كلام المرسل إليهم الكلام مصدر مضاف إلى المفعول أي في تكليم الله تعالى من أرسله إليهم وهو موسى عليه السلام من حيث إنه مبلغه[1] إليهم بصيغة اسم الفاعل وإسماعه أي من أن إسماعه مبدأ اسماعهم يعني نزل موسى عليه السلام منزلتهم فخوطبوا وهذا مراده ولا يخفى ما فيه إذ في مثل هذا[2] الالتفات لا يحتاج إلى هذا التمحل على أنه عليه السلام واحد والخطاب بالجمع يحتاج إلى التغليب مع ركاكة خطابه بعدم التقوى وإن كان تنزيلاً له منزلتهم ففي كل موضع يراد الزجر وإظهار فرط الغضب يصار إلى الالتفات فإنه أدخل في الزجر كما تشكوا جناية جان حاضر عندك لآخر فإذا حمي غضبك أقبلت على الجاني تقول أما تخاف الله تعالى أما تستحيي من الناس وهذا من شعب البلاغة ولا يحتاج إلى التنزيل المذكور كما لا يخفى على من تتبع مواضع الالتفات.

قوله: (مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده) مع ما فيه أي في الالتفات وكذا سائر الضمائر أدخل مع للإشارة إلى أن هذا الحث[3] هو الأصل والزجر

قوله: وهم وإن كانوا غيباً حينئذٍ أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم يعني نكتة الالتفات إلى الخطاب لا تتصور إلا عند حضور المخاطبين وهم ما كانوا حاضرين عند تكلمه لموسى عليه السلام وأمره بالاتيان إليهم للدعوة إلى الحق فقال رحمه الله في توجيهه وهم وإن كانوا غائبين حينئذٍ أي حين إرساله إلى قوم فرعون لكن أجروا مجرى الحاضرين في كلام المرسل إليهم أي في كلامه تعالى للمرسل إليهم وهو موسى عليه السلام أي في تكليم المرسل إليهم فإضافة الكلام إلى المرسل إليهم من إضافة المصدر إلى مفعوله والأظهر من هذا ما في الكشاف حيث قال فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم والقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهاه بين الناس وله فيه لطف وحث على زيادة التقوى.

قوله: مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده يعني أن في ألا يتقون

---

(١) الضمير في قوله مبلغه للكلام يعني أنه إذا بلغهم به خاطبهم كذا قيل.

(٢) وفي الكشاف فإن قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاه والملتفت إليهم غيب لا يشعرون قلت إجراء ذلك في تكليم المرسل إليهم في معنى إجرائه بحضرتهم والقائه إلى مسامعهم لأنه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس.

(٣) وفي الكشاف وفيه لطف وحث على زيادة التقوى وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لها واعتباراً بموردها انتهى وغير المص فذكر لمن تدبره وتأمل مورده بدل للمؤمنين كأنه أراد التعميم إلى المؤمن والكافر لكن التأمل والتدبر شأن المؤمنين.

besturdubooks.wordpress.com

وإظهار الغضب من مستتبعاته لأن هذا مراد مع الغيبة لأن همزة الاستفهام للتعجيب والتعجيب من عدم الاتقاء يستلزم الحث على التقوى وقيل مزيد الحث إشارة إلى الاشتمال قراءة الغيبة على الحث لأن كلمة إلا للعرض ولا يخفى أن هذا يخالف مذاق المص حيث قال تعجيب له إشارة إلى أن الهمزة للاستفهام وكلمة لا للنفي وإن كان هذا الوجه صحيحاً في نفسه قوله لمن تدبره لكونه منتفعاً به ومورده هنا هو مقام الغضب.

قوله: (وقرىء بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة) اكتفاء بها يعني كان الأصل يتقونني بالنونين وياء المتكلم فحذف نون الوقاية وحذف الياء لاجتماع النونين[١] والاكتفاء بالكسرة عن ياء المتكلم وهذا مراد المص بياء الإضافة.

قوله: (ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله ألا يا اسجدوا) بمعنى ألا يا ناس اتقون[٢] فحذف المنادى وأوصل حرف النداء الفعل محذوفاً منه الألف عبارة لاجتماع الساكنين ورسمه حينئذٍ بإسقاط الألفين مخالف للقياس والقياس الرسم مثل يا اسجدوا أعني يا اتقون لأن ما بعده فعل أمر مثل اسجدوا ولا يخفى عليك ما في هذا الاحتمال من التعسف والاضطراب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله: (قال) أي موسى استئناف رب أي يا رب إني أخاف أكده للابتهال والتضرع ويضيق صدري عطف على أخاف جزم عليه السلام في هذين الأمرين لسبق التجربة في

على القراءة بالياء على الغيبة حثاً على التقوى أيضاً لأن في كلمة إلا في معنى العرض لكن في الخطاب به زيادة حث عليه لما أن في خطاب المشافهة جبها لهم وضرباً في وجوههم بالإنكار وفي الكشاف وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبراً لهم واعتباراً بموردها.

قوله: وقرىء يتقون بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الإضافة والأصل يتقونني فحذفت الياء اكتفاء بكسرة النون عنها كما في ﴿والليل إذا يسر﴾ [الليل: ٤].

قوله: ويحتمل أن يكون بمعنى ألا يا ناس اتقون كقوله: ﴿ألا يسجدوا﴾ [النمل: ٢٥] هذا من باب حذف المنادى وحق الكتابة أن يكتب هكذا ألا يا اتقون وألا يا اسجدوا ولكن في إمام المصاحف كتباً متصلين كما قرئا على الوصل ونحوه قول الشاعر:

ألا يا أسلمي يا دار مي على البلا

أي ألا يا دار فحذف المنادى.

---

(١) واجتماع المثلين فيه نوع ثقلة فحذف إحدى النونين لزوم التخفيف.

(٢) وعلى هذا يكون معمولاً للقول المقدر.

besturdubooks.wordpress.com

مثل هذا الشأن بخلاف التكذيب فإنه غير معلوم وغايته خوفه هذا في قراءة الجمهور وسيجيء قراءة يعقوب.

قوله: (رتب استدعاء ضم أخيه إليه وإشراكه له في الأمر على الأمور الثلاثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالاً عنه) الترتيب معنى الفاء إذ الدعاء بإرسال جبريل إلى هارون عليهما السلام مسبب عن هذه الأمور الثلاثة المترتبة[1] فإن التكذيب سبب لضيق القلب وهو سبب لعدم انطلاق اللسان وفي كلام المص إشارة إليه قوله وضيق القلب انفعالاً عنه أي المراد بالصدر القلب لأنه محله والباعث لذلك المبالغة حتى يتجاوز الضيق إلى الصدر وعن هذا ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٥] للمبالغة في الشرح قوله ضم أخيه إليه لم يذكر في هذه الآية صريحاً كون هارون أخاه والضم إليه لكن لكونه مذكوراً في سورة طه اعتبره هنا إذ القرآن يفسر بعضه بعضاً ويمكن أن يقال إنه منفهم من الفحوى وإشراكه له أي على وجه كونه وزيراً في الأمر أي في أمر النبوة قوله مست الحاجة إلى معين الخ إشارة إلى ما ذكرناه قوله انفعالاً عنه أي عن التكذيب إشارة إلى أن الضيق مسبب عن التكذيب كما ذكرناه.

قوله: (وازدياد الحبسة في اللسان) هذا ميل إلى القول بعدم زوال العقدة بالكلية حيث قال وازدياد الحبسة ولم يقل والحبسة هذا إذا كان بعد دعائه عليه السلام ﴿رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٠] الآية وأما إذا كان قبله فالأمر واضح.

قوله: رتب استدعاء ضم أخيه إليه أي رتب موسى عليه السلام طلب ضم أخيه إليه بالفاء حيث قال فأرسل إلى هارون فإن معنى إرسال هارون إليه ضمه إليه وجعله مقروناً معه للمعونة وإشراكه له في أمر الدعوة ويدل على أنه المراد به حكاية قوله في موضع آخر حيث قال ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري واشركه في أمري﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٢] قوله على الأمور الثلاثة متعلق برتب وقوله خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد الحبسة في اللسان بيان للأمور الثلاثة التي رتب الاستدعاء عليها وهذا على تقدير رفع يضيق ولا ينطلق عطفاً على أخاف وأما على تقدير نصبهما عطفاً على ما في حيز أن يكون المرتب عليه شيئاً واحداً وهو خوف الأمور الثلاثة التي هي التكذيب وضيق الصدر وانحباس اللسان المدلول عليه بقوله ﴿ولا ينطلق لساني﴾ وإنما قال وازدياد الحبسة والمفهوم من ﴿لا ينطلق لساني﴾ نفس الحبسة لا ازديادها لأن في لسان موسى عليه السلام حبسة ما فخاف عند ملاقاة فرعون أن تزداد تلك الحبسة قوله لأنها إذا اجتمعت إلى آخره علة رتب أي لأن هذه الأمور الثلاثة إذا اجتمعت احتيج إلى معين قوله ولا ينبتر الانبتار انفعال من البتر وهو القطع أي لا ينقطع حجته باعتراء الحبسة على لسانه المخل لاداء الرسالة وأمر الدعوة قوله وليس ذلك تعللاً منه أي ليس قوله: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني﴾ [الشعراء: ١٢] تعللاً منه بل قال ذلك طلباً من الله تعالى معونة على امتثال الأمر قوله وتمهيد عذر فيه أي في امتثال الأمر.

---

(١) إذ لا بد في الترتيب الذكري من فائدة والفائدة هنا الترتيب في الواقع كأنها مذكورة بالفاء.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بانقباض الروح إلى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لأنها إذا اجتمعت مست الحاجة إلى معين يقوي قلبه وينوب منابه) بانقباض الروح متعلق بازدياد الحبسة لما مر من أن الحبسة نفسها بعدم زوال العقدة والمراد بالروح الشعاع الخارج من القلب المنتشر المسمى بالروح الحيواني الذي يتحرك به العضلات عند ضيقه متعلق بانقباض الروح والمراد بضيقه الغم المقتضي لرجوع الروح وانقباضه قوله بحيث لا ينطلق اللسان على وجه يفيد تمام البيان قوله لأنها إذا اجتمعت الخ متعلق برتب لتنويره.

قوله: (متى يعتريه حبسة حتى لا يختل دعوته ولا ينبتر حجته) متى يعتريه حبسة هذا يؤيد زوال العقدة بكمالها وهو مختار البعض فأشار إلى القولين في الموضعين[1] وتفصيل العقدة التي في لسان موسى عليه السلام وزوالها في تفسير قوله تعالى: ﴿قال رب اشرح لي صدري﴾ [طه: ٢٠] الآية ولا ينبتر أي لا ينقطع البتر القطع فعلم مما ذكرناه أن مفعول أرسل محذوف وهو جبريل عليه السلام لكمال التضجر وعدم اللبس.

قوله: (وليس ذلك تعللاً منه وتوقفاً في تلقي الأمر بل طلباً لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه) وليس ذلك الخ جواب سؤال مقدر بأنه كيف ساغ لموسى عليه السلام أن لا يتلقاه بالإجابة وتثبت بأصناف العلل وأجاب بما ترى قوله وتمهيد عذر فيه أي في طلب المعونة وكون الأمر للفور على ما اختاره البعض لا ينافيه ذلك الطلب على أن المختار أن الأمر للطلب استعلاء والفور والتراخي مفوضان إلى القرينة.

قوله: (وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فيكونان من جملة

قوله: وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفاً على يكذبون فإن قيل تعليق الخوف بهذه الأمور الثلاثة يدل على أنها غير حاصلة لأن حقيقة الخوف غم يلحق الإنسان لأمر سيقع ونفي انطلاق اللسان واقع أجيب بأن المراد من نفي الانطلاق زيادة الحبسة وهي غير واقعة على أن تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته بقوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ لقوله ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ فإن قيل يرد هذا الجواب الأخير القراءة برفع يضيق ولا ينطلق عطفاً على أخاف لأنها تدل على أن حبسة اللسان واقعة بالفعل فتناقض القراءتان من جهة المعنى أجيب بما يجمع القراءتين بأن يحمل القراءة بالرفع على أن هذا القول كائن قبل أن يقول ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ والنصب على أنه بعده فلا تناقض لاختلاف الزمان وكذا يرتفع ظاهر التناقض الحاصل بعد ثبوت الحبسة المدلول عليه بقراءة الرفع وبين انتفائها المدلول عليه بقراءة النصب بأن يحمل الثبوت على أصلها والانتفاء على ازديادها فلا تناقض لاختلاف الجهة هذا الذي ذكرنا هو ملخص ما في الكشاف فأقول في الجواب باختلاف الزمان نظر لأن القراءتين ثابتتان سواء كان هذا القول قبل دعاء حل العقدة أو بعده فإن فرض قبله اشكل انتفاء الحبسة المدلول عليه بقراءة النصب وإن فرض بعده أشكل بثبوت الحبسة المدلول عليه بقراءة الرفع فالأولى في رفع التناقض أن يرجع إلى تغاير الجهة لا إلى اختلاف الزمان.

---

(١) ومنه ظهر ضعف ما قيل إن المضاف مقدر وهو ازديادها أو تنويه للتقليل.

besturdubooks.wordpress.com

ما خاف عنه) أي بحسب دلالة اللفظ وإلا ففي قراءة الرفع أيضاً كذلك بحسب المعنى على ما قرره المص كما سبق تقريره كذا قيل ولا يخفى عليك أن المتفرع على خوف التكذيب الضيق وعدم الانطلاق بالفعل لا خوفهما إذ الخوف هو الحزن[1] المتوقع فهما مجزومان على قراءة الرفع غاية الأمر أنهما مترتبان على المتوقع فإذا وقع ذلك المتوقع ترتباً عليه مجزوماً لما ذكرنا من أنهما حاصلان بالتجربة قوله متى يعتريه حبسة يؤيد ما ذكرنا لأن المراد عروض الحبسة بالفعل لا خوفها فالفرق بين القراءتين واضح ومنشأ ذلك ادعاء أنهما مترتبان على خوف التكذيب والمترتب على المخوف مخوف وليس كذلك بل هما مترتبان على التكذيب المخوف بالفعل كما عرفته من تقرير المص ولو كان الأمر كذلك لقال متى يخاف حبسته على أن الحاجة إلى معين وقوع الحبسة بالفعل المترتب على وقوع الضيق بالفعل لا خوفهما واختلال الدعوة وانقطاع الحجة بحصولهما بالفعل لا بخوفهما.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾

قوله: (أي تبعة ذنب) في القاموس التبعة كفرحة أي ما يتبعه من جزائه.

قوله: (فحذف المضاف أو سمي باسمه والمراد قتل القبطي) أو سمي باسمه فيكون

قوله: أي تبعة ذنب أي لهم على قود ذنب أو دعوى ذنب وهو قتل القبطي التبعة والتباعة حق يجب للمظلوم قبل الظالم يقال لي قبل فلان تبعة وتباعة أي ظلامة وهي ما تطلبه عند الظالم قوله أو سمي باسمه أي أو سمي التبعة باسم الذنب للمشاكلة كما يسمى جزاء السيئة بالسيئة.

قوله: والمراد قتل القبطي أي المراد بالذنب قتل القبطي وإنما سماه ذنباً أي إنما سمي قتل القبطي ذنباً على زعم القبط وإلا فقتل الحربي ليس بذنب أو هو قتل خطأ وهو لا يعد ذنباً شرعاً لأنه ليس عن قصد لكنه يعد ذنباً في زعمهم وإن كان خطأ قوله وهذا اختصار قصته الموصوفة في مواضع منها ما ذكر في طسم القصص حيث قيل هناك ﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له أنه هو الغفور الرحيم﴾ [القصص: ١٥ ـ ١٦] قوله به قبل اداء الرسالة والباء في به للمقابلة والضمير راجع إلى الذنب أي فأخاف أن يقتلني قوم فرعون بدل ذلك الذنب فرجع هذا الضمير إلى الذنب بمعنى الجناية مع أن المراد بالذنب المذكور جزاء الجناية وهو تبعة الذنب من باب الاستخدام وهو أن يراد بلفظ له معنيان أحدهما ثم يراد بضميره معناه الآخر كقوله:

إذا نزل السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

فإن المراد بلفظ السماء الغيث وبضميره في رعيناه النبت والسماء يطلق على الغيث والنبت مجازاً فهما معنياها المجازيان قوله وهو أيضاً ليس تعللاً أي قوله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ ليس تعللاً وتوقفاً في تلقي الأمر وامتثاله بل هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن قوله: ﴿رب إني أخاف أن يكذبون﴾ [الشعراء: ١٢] الآية ليس تعللاً فيه بل هو استمداد واستظهار في الدعوة.

---

(١) ويقويه ما قيل الخوف انزعاج النفس بتوقع الضرر.

besturdubooks.wordpress.com

مجازاً مرسلاً بعلاقة السببية وأما الأول فمجاز في الحذف والثاني أبلغ وبالتقديم أليق.

قوله: (وإنما سماه ذنباً على زعمهم) وإنما سماه ذنباً بناء على عادتهم عليهم السلام في استعظام محقرات فرطت منهم ولذا استغفر ربه فغفر له كما سيجيء في سورة القصص.

قوله: (وهذا اختصار قصته المبسوطة في مواضع) وقد عرفت أن هذا وإن خالف ما في مواضع أخر لفظاً فهو طبقه في المقصود.

قوله: (به قبل أداء الرسالة وهو أيضاً ليس تعللاً وإنما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما أن ذاك استمداد واستظهار في أمر الدعوة) قبل أداء الرسالة المأمور بتبليغها وهذا هو البلية المتوقعة فطلب الله تعالى دفعها بدفع شر القوم عنه وهذا هو المراد من الخبر فالخبر في الموضعين خبر لفظاً وإنشاء معنى أشار إليه بقوله بل هو استدفاع الخ ثم قال كما أن ذاك استمداد أي قوله ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ استمداد أي طلب المدد والعناية والاستدفاع والاستمداد طلب وإنشاء قوله قبل أداء الرسالة إشارة إلى أنه عليه السلام أراد بهذا الكلام خوف مصلحة الرسالة لا خوف تلف النفس كما هو عادة الأبرار المقربين حيث يكون مطمح أنظارهم في كل الأطوار جانب الملك العلام لا مصلحة أنفسهم فالمص لم يتعرض لخوف تلف النفس لأنه غير لائق بمنصب الرسالة لا سيما أولو العزم من الرسل عليهم السلام قيل وهو أن نبياً غير عالم ببقائه إلى أداء الرسالة وإن أمره بشرط التمكين مع أنه له نسخ ذلك قبله فإنه فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل ثم قال والأقرب أن الأنبياء يعلمون إذا حملهم الله على أداء الرسالة أنه منهم يمكنه من أدائها ويبقون إلى إلقائها وإن كان بناء على الأكثر لقتل بعض الأنبياء عليهم السلام وفيه نظر يظهر وجهه بما ذكره[1] أولاً فلا تغفل وإنما قيده بقوله قبل أداء الرسالة مع أن الخوف واستدفاع البلية بعده حاصل لأنه أهم لعدم غرض الرسالة بعد أدائها.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾

قوله: (قال كلا فاذهبا بآياتنا إجابة له إلى الطلبتين بوعده للدفع اللازم بردعه عن الخوف وضم أخيه إليه في الإرسال فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر) إلى الطلبتين

قوله: إجابة له إلى الطلبتين أي قوله عز من قائل: ﴿كلا فاذهبا بآياتنا﴾ [الشعراء: ١٥] إجابة لموسى عليه السلام إلى مطلوبية اللذين طلبهما وهما ضم أخيه إليه للمعونة ودفع ما يخاف منه فكلمة الردع وهي كلا إجابة إلى طلبة دفع الخوف وقوله: ﴿فاذهبا﴾ [الشعراء: ١٥] إجابة إلى طلبة ضم أخيه إليه.

قوله: فالخطاب في فاذهبا على تغليب الحاضر أي على تغليب الحاضر الذي هو موسى

---

(١) من أنه تعالى فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل ولا يعلل أفعاله بالاغراض فكما يجوز النسخ قبل العمل بل قبل التمكن منه يجوز أن يبقيه حتى يؤدي الرسالة الخ.

besturdubooks.wordpress.com

تثنية طلبة بكسر اللام وهي المطلوب قوله اللازم صفة لوعده ردعه مفعول اللازم والردع من كلا وأطلق الخوف ليتناول الخوف عن التكذيب وعن القتل لكن قوله للدفع اللازم الخ يقتضي كون الخوف الخوف من القتل هذا ناظر إلى ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ وضم أخيه الخ ناظر إلى فأرسل إلى هارون لف ونشر مشوش لكن ضم أخيه مستفاد من قوله فاذهبا والردع من كلا وأراد بالإرسال المعنى اللغوي دلالة كلا على الفعل مع أنها حرف دلالة التزامية قوله على تغليب الحاضر وهو موسى على الغائب وهو هارون عليهما السلام ولا يظن ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ منسوخ لأن إتيانه عليه السلام بالأصالة وإتيان هارون بالوزارة والإعانة.

قوله: (لأنه معطوف على الفعل الذي يدل عليه كلا كأنه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب أنت والذي طلبته) لأنه معطوف الخ تعليل للتغليب لأن كلا بمعنى ارتدع فالخطاب له فقط وخطاب هارون بالتبع أشار إليه بقوله ارتدع يا موسى عما تظن الخ إذ قوله والذي طلبته عبارة عن هارون عليه السلام لكن الأولى عما تخاف بدل عما تظن كأنه أشار إلى ما نقل عن البقاعي أنه جوز كون أخاف بمعنى أعلم أو أظن لكنه بعيد.

قوله: (يعني موسى وهارون وفرعون مستمعون) يعني موسى الخ إشارة إلى التغليب في فرعون بعد التغليب في هارون واختاره لأنه يقتضيه إنا مستمعون وقيل يجوز أن يراد موسى وهارون ومن يتبعهما من قومهما فيتضمن الكلام البشارة بالإشارة إلى علو أمرهما واتباع القوم لهما والخلاص مما خاف وهذه البشارة حاصلة مما اختاره المص أيضاً مع أن قوله واتباع القوم لهما يوجب أن الاتباع لم يوجد حين الخطاب فيكف يندرج قومهما في هذا الخطاب وقيل يجوز أن يراد بضمير الجمع والخطاب موسى وهارون فقط للتعظيم كما يراد به الواحد والكل تكلف لأن الاستماع يقتضي ملاحظة فرعون إذ الاستماع ليس بمتعلق بما يجري بين موسى وهارون ولا بمتعلق أيضاً بما يجري بين موسى وهارون وقومهما وأما الإشكال بأن لفظة مع مع تباين للكافر غير مستحسن فليس بشيء لأن المراد به التهديد[1] بالنسبة إلى فرعون والوعد بالنصرة بالنسبة إليهما عليهما السلام كقوله تعالى: ﴿ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾ [المجادلة: ٧] وكقوله تعالى: ﴿والله معكم أينما كنتم﴾ إذ الظاهر أن الخطاب عام وأيضاً أنه كناية عن كمال علمه فلا ضير في الاستعمال مع الكفار كما لا محذور في علمه أحوال الفجار.

على الغائب وهو هارون وقرينة التغليب كون المخاطب موسى وحده في الخطاب بكلا الدال على ارتدع الذي عطف فاذهبا عليه بالفاء فلما علم غيبة هارون من انفراد موسى بخطاب ارتدع حمل خطاب فاذهبا على تغليب الحاضر فالمعنى اذهب أنت وأخوك هارون الذي طلبته فاظهر كما عليه أي فاعينكما واغلبكما على فرعون.

---

(١) ويقربه ما قيل خصوص المعية لا يلزم أن يكون معية الشفقة والنصرة بل قد يكون تخليص أحد المتخاصمين عن الآخر بنصرة المحق وانتقام المبطل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (سامعون لما يجري بينكما وبينه فأظهر كما عليه مثل نفسه[١] بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لإمداد أوليائه منهم) أشار به إلى أن مستمعون مجاز عن سامعين ثم صرح به مثل نفسه أي مثل حاله إذ التمثيل في الهيئة المنتزعة من أمور عديدة بمن حضر أي بحال من حضر لما ذكرنا والهيئة المشبهة الهيئة الحاصلة من خبير لطيف وسماع الكلام الذي يجري بينهما عليهما السلام وبين فرعون والنصرة لهما على فرعون والهيئة المشبه بها الحاصلة من الشخص الحاضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم ومجادلة قوم وترقب ذلك الشخص القادر على الإمداد لإمداد أوليائه منهم فذكر اللفظ المركب الموضوع للهيئة المشبه بها واستعمل في الهيئة المشبهة فيكون قوله: ﴿إنا معكم مستمعون﴾ [الشعراء: ١٥] استعارة تمثيلية قوله فأظهر كما عليه أي اجعل لكما غالبين عليه وهذا إشارة إلى أن إنا معكم مستمعون كناية عن ذلك.

قوله: (مبالغة في الوعد بالإعانة) علة لمثل تحصيلية وجه المبالغة لأن الاستعارة أبلغ لا سيما التمثيلية.

قوله: (ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الإصغاء) أي ولقصد المبالغة تجوز بالاستماع الخ والعلاقة كون الاستماع مستلزماً للسماع وقد ثبت في موضعه أن مفردات الاستعارة التمثيلية باقية على حالها حقيقة كلها أو مجازاً كلها أو حقيقة بعضها ومجاز بعضها والاستماع في المستعار منه كان مجازاً عن السمع فقد يوجد الاستماع بدون السمع وبالعكس فكذا في المستعار له فمن قال إن مفردات الاستعارة على حقائقها على إطلاقها فقد غلط وخبط قوله تجوز بالاستماع وفي الكشاف أنه جعل مستمعون قرينة معكم فمن كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف بأنه سميع وسامع ولا يوصف بأنه مستمع انتهى أما وصفه بأنه سميع فثابت بالشرع وأما سامع فقد قال علي القاري في شرح الجزري ثم من المعلوم أنه لم يرد سامع في المسامع أي في المشروعات بحسب إطلاقه وإن جاء في بعض

قوله: ولذلك تجوز بالاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو مطلق ادراك الحروف أي ولأجل تمثيله تعالى نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعاً لما يجري بينهم وترقباً لامداد أوليائه مبالغة في الوعد استعارا لاستماع لمطلق ادراك الحروف أي شبه أولاً إدراك الحروف بالاستماع أي الاصغاء ثم استعمل في المشبه ما هو موضوع للمشبه به جرى التشبيه والاستعارة أولاً بين المصدرين ثم سريا إلى المشتق فقيل مستمعون فلفظ مستمعون استعارة تمثيلية تبعية والتعبير بلفظ مثل دون شبه لأن كلا من الطرفين أي المستعار والمستعار له هيئة مركبة من أمور وهي الحضور على المجادلة والاستماع لما يجري بين المجادلين والترقب لإعانة الأولياء فلما كان الاستماع كالجامع لتلك الأمور وقع التشبيه والاستعارة فيه فقيل مستمعون فناسبه التعبير بلفظ التمثيل.

---

(١) الأولى مثل ذاته بدل نفسه.

besturdubooks.wordpress.com

الروايات يا سامع خلقه فجواز وصفه بأنه سامع مطالب من صاحب الجزري وأما صاحب الكشاف فيجوز عنده الإطلاق بلا توقف على الشرع فيما لم يوهم المنقصة وهو مسلك المعتزلة قوله تجوز باستماع الذي هو الإصغاء إشارة إلى ما ذكر وما ذكر في القرآن والحديث على سبيل التجوز أو المشاكلة كالمكر لا يصح إطلاقه عليه تعالى فلا يقال إنه تعالى مستمع وخادع[١] قوله الذي هو بمعنى الإصغاء إشارة إلى وجه عدم إطلاقه عليه على الحقيقة وإلى علاقة المجاز بأنه سبب للسمع بالنسبة إلى المخلوق وأريد المسبب هنا وعن هذا قال سامعون في تفسير مستمعون.

قوله: (للسمع الذي[٢] هو مطلق إدراك الحروف والأصوات) إشارة إلى أن كون ذلك بخصوص الحاسة مما لا دخل له في حصول المقصود مع أن أهل السنة السمع عندهم لا يتعلق بالحاسة المخصوصة بل هو في اللغة للانكشاف المخصوص كما قاله الإمام وأما تعلقه بالحاسة المخصوصة بالنسبة إلى المخلوق فلا احتياجنا إليها في ذلك الانكشاف المخصوص لا لكونه مأخوذاً في مفهومه فلا يكون استعمال السمع في حقه تعالى مجازاً وهذا كالرؤية فإنها عبارة عن الانكشاف المخصوص سواء كانت بالحاسة المخصوصة أو لا ألا ترى أنهم يقولون يجوز أن يرى أعمى في الصين بقعة أندلس أي أن ينكشف بقعة أندلس للأعمى الكائن في الصين فإطلاق السميع والبصير عليه تعالى على الحقيقة لا على المجاز[٣].

قوله: (وهو خبر ثانٍ أو الخبر وحده ومعكم لغو) أي ظرف لغو متعلق بمستمعون فقول المص ومعكم لغو فيه خلل في الجملة والمعنى إنا مستمعون معكم لما يجري بينكم من المقال والجدال قيل والأظهر أن يجعل ظرفاً مستقراً من ضمير مستمعون قدم للاهتمام أو الفاصلة ودخول مع على المخاطبين لما أنهم المباشرون للاستماع فهم متبوعون من هذه الحيثية صرح بمثله صاحب الإرشاد أبو السعود في سورة البقرة في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الله مع الصابرين﴾ [البقرة: ١٥٣] حيث قال ودخول مع على الصابرين لما أنهم المباشرون حقيقة للصبر فهم متبوعون[٤] من هذه الحيثية فاحفظ هذا وأجر مثله في سائر المواضع فإنه مما خفي على كثير من الناس.

قوله: وهو خبر ثانٍ أي قوله تعالى: ﴿مستمعون﴾ [الشعراء: ١٥] خبر ثانٍ لأن وخبره الأول الظرف وهو معكم أو الخبر هو ومعكم ظرف لغو متعلق بمستمعون.

---

(١) صرح بذلك النحرير في شرح المقاصد.

(٢) وفي كلامه إشارة إلى أن السمع والبصر صفتان له تعالى مغايرتان لصفة العلم وقد ادعى الشيخ أبو الحسن الأشعري رجوعهما إلى صفة العلم وكلام المص يحتمله.

(٣) والمص اعترف في تفسير قوله تعالى: ﴿ختم الله﴾ كون السمع إدراك الأذن كما أن البصر إدراك العين وهو الظاهر لكن صفاته مخالفة بالحقيقة لصفاتنا فيكون السمع والبصر في حقه عبارتان عن الانكشاف المخصوص بلا حواس وآلة كما في سائر صفاته تعالى.

(٤) وهنا تفصيل ذكرنا في حاشيتنا هناك فارجع إليه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله: (أفرد الرسول لأنه مصدر وصف به) يراد به الماهية فيحتمل الكثير والقليل والمراد هنا التثنية بقرينة فقولا إنا ولما جمعا في الضمير المسند إليه لا وجه لما قيل إن هارون لما كان تابعاً له عليه السلام في الرسالة لوحظ هنا جهة التبعية فأفرد الرسول لأن المراد به موسى عليه السلام وأما في قوله تعالى: ﴿فقولا إنا رسولا ربك﴾ [طه: ٤٧] فالتثنية للنظر إلى جهة الرسالة من الله تعالى فإنه ذهول عن قوله تعالى: ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا﴾ [الشعراء: ١٦] ومخالف لمساق الكلام.

قوله: (فإنه مشترك بين المرسل والرسالة) أي الرسول مشترك بين المعنيين فحين أفرد يراد به[1] المصدر للمبالغة كرجل عدل وحين ثني يراد به المشتق.

قوله: (قال:

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم ... بسر ولا أرسلتهم برسول

ولذا ثني تارة وأفرد أخرى) قال أي الشاعر لقد كذب اللام جواب القسم الواشون أي النمامون ما فهمت عندهم الخ أي ما وقفوا على سري بالذات ولا بالواسطة ومعنى ولا أرسلتهم برسول ما أرسلتم برسالة وهذا محل الاستشهاد على كون الرسول بمعنى المصدر قيل وفيه بحث إذ يجوز كونه بمعنى المرسل فلا يتم الاستدلال توضيحه إن أرسلتهم يجوز أن يكون بمعنى أرسلت إليهم على الحذف والإيصال وهو غير عزيز في أفصح الكلام فضلاً عن الشعر الذي هو محل الضرورة فضمير الغائب في أرسلتهم راجع إلى المرسل

قوله: فإنه مشترك بين المرسل والرسالة أي فإن الرسول لفظ مشترك يطلب على المرسل وعلى المصدر الذي هو الرسالة وإطلاقه على المرسل ظاهر معروف لا يحتاج إلى الشاهد وأما إطلاقه على معنى غير المصدر فكما في قول الشاعر:

لقد كذب الواشون

البيت اللام في لقد كذب لام موطئة للقسم وكذب بالتخفيف أي تكلم بكلام كاذب الواشي التمام وما في ما فهت نافية أي ما تكلمت بسر ولا أرسلتهم برسول أي لا أرسلتهم برسالة قيل وفي الاستشهاد بقوله ولا أرسلتهم برسول نظر لأنه يحتمل أن يكون بمعنى المرسل فروعي فيه المطابقة.

قوله: ولذلك ثنى تارة وأفرد أخرى أي ولأجل أن الرسول مشترك بين المرسل والرسالة ثنى الله تعالى في كتابه الكريم تارة وباعتبار كونه بمعنى المرسل فروعي المطابقة لما أسند هو إليه لكونه صفة مشتقة كما في قوله تعالى: ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾ [طه: ٤٧] وأفرده تارة أخرى باعتبار كونه بمعنى الرسالة كما في هذه الآية فلم يراع المطابقة لكونه مصدراً.

---

(١) والمعنى حينئذ فقولا إنا ذوو رسالة.

besturdubooks.wordpress.com

إليهم لا إلى المرسل فحينئذٍ يكون الباء لتقوية العمل نحو علمت بشيء فلا يرد أن المتعارف أن الباء لا تدخل إلا على ما مع الرسول كالهدية فلا يقال أرسلت برسول وإنما يقال أرسلت الرسول بالهدية أو بالكتاب لما عرفت من أن زيادة حرف الجر لتقوية العمل شائع في كلامهم ولعدم الالتباس نعم إن الكلام يحتمل ما اختاره المص وبهذا القدر يتم الاستدلال ولا يضره احتمال كونه بمعنى المرسل بل يضره عدم جواز ما ذهب إليه المص ولا مجال لإنكاره.

قوله: (**أو لاتحادهما في الاخوة**) فكأنهما شخص واحد بالنظر إلى الجهة الوحدة كما أنهما اثنان بالنظر إلى أنفسهما بلا ملاحظة الوحدة المذكورة فساغ التعبير بالإفراد كما هنا وبالتثنية كما في سورة طه واعتبار الجهتين في الموضعين من شعب البلاغة والتفنن في العبارة.

قوله: (**أو لوحدة المرسل**) اسم فاعل وهو الله تعالى.

قوله: (**والمرسل به**) وهو الشريعة ومعظمهما التوحيد فوحد الرسول في الحكاية للتنبيه على ذلك فجهة وحدتهما حينئذٍ وحدة المرسل والمرسل به كما أن الآخرة جهة وحدتهما فيما مر.

قوله: (**أو لأنه أراد أن كل واحد منا**) فحينئذٍ لا بد أن يوحد الرسول في الحكاية ليصح الحمل لكن لاحتياجه إلى التقدير اخره وقد مر مثله في ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤] ومعنى أنا رسول أن كلاً منا رسول رب العالمين مأمور بالتبليغ ولو منفرداً ولا يفيد التثنية ذلك بالعبارة بل إنما يفيده بالفحوى.

قوله تعالى: أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾

قوله: (**أي أرسل لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول يقال أرسلت**

قوله: أو لوحدة المرسل والمرسل به المرسل على صيغة الفاعل والمرسل به على صيغة المفعول يعني أو يكون توحيد الرسول مع كون ما أسند هو إليه جمعاً لوحدة من أرسلهما وهو الله تعالى ووحدة ما أرسلا به وهو الكتاب الواحد والشريعة وعبارة الكشاف اظهر منه حيث قيل هناك ويجوز أن يوحد لأن حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة واحدة واتحادهما لذلك وللأخوة كان حكماً واحداً.

قوله: لتضمن الرسول معنى الإرسال المتضمن معنى القول هو تعليل لتفسير كلمة أن في أن أرسل بكلمة أي حيث قال في تفسيرها أي أرسل يعني أن أن التفسيرية لا تذكر إلا بعد معنى القول ولا تستعمل بعد صريح لفظ القول فلا بد أن يأول بتضمن الرسول معنى الرسالة التي فيها معنى القول لأن الرسالة ليست إلا لتبليغ أحكام الشرع إلى المرسل إليه وذلك لا يكون إلا بالقول بل في مطلق الرسالة معنى القول كما تقول أرسلت إليك أن أفعل كذا في المناداة والكتبة والمراد بالإرسال التخلية والإطلاق كقولك أرسل البازي فالمراد بأرسل معنا بني إسرائيل خلهم واطلقهم

besturdubooks.wordpress.com

إليك أن افعل كذا) أي أرسل أشار به إلى أن ان تفسيرية ومآله أي التفسيرية قوله لتضمن[1] الرسول الخ تنبيه على تحقق شرط ان تفسيرية وهي كونه بعد ما في معنى القول فلا يقع بعد القول الصريح ولا بعد ما ليس في معنى القول والمعنى فقولا إنا أرسلنا الله تعالى بلفظ وهو أن تقول لك أرسل يا فرعون ويحتمل أن يكون مصدرية كما في قوله تعالى: ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ [الشعراء: ١٠] ولاحتياجه إلى التأويل سكت عنه هنا أو اكتفى بذكره آنفاً.

قوله: (والمراد خلهم يذهبوا معنا إلى الشام) والمراد خلهم يا فرعون ولا تمنعهم إن خليت يذهبوا معنا إلى الشام مقر آبائهم فالمراد بالإرسال هنا لازمه[2] لا معناه الحقيقي والظاهر أن هذا بعد الدعوة إلى التوحيد الذي هو المهم كما يدل عليه بيان القصة في موضع آخر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾

قوله: (أي فرعون لموسى) خصه لأن الخطاب بألم نربك مختص بموسى عليه السلام إذ هارون عليه السلام لم يكن في تربية فرعون وكذا باقي القصة مختص به عليه السلام.

قوله: (بعد ما أتياه فقالا له ذلك) إشارة إلى أن في الكلام إيجاز حذف أكثر من جملة والقرينة عليه أن مقال فرعون لا يتصور إلا بعد الإتيان والتبليغ.

قوله: (في منازلنا) قدر المضاف لتصحيح الظرفية ويكفي في منزلنا إذ المراد بالمتكلم مع الغير فرعون ولذلك قال المص بنعمتي في قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ [الفرقان: ١٩].

قوله: (طفلاً سمي به لقربه من الولادة) أي سمي الطفل بالوليد وهو فعيل بمعنى

عن القيد يذهبوا معنا إلى الشام وهناك مسكنهما وهو فلسطين يروى أنهما انطلقا إلى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة حتى قال البواب إن ههنا إنساناً يزعم أنه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فأديا إليه الرسالة فعرف فرعون موسى فقال له: ﴿ألم نربك﴾ [الشعراء: ١٨] إلى آخره قوله أي قال فرعون لموسى بعد ما أتياه فقالا له ذلك هذا إشارة إلى أن في الكلام تقديراً لأن قول فرعون هذا القول وهو ﴿ألم نربك﴾ إلى آخره لم يكن عقيب أمره تعالى إياهما بأن يأتياه ويقولا إنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بني إسرائيل دفعة بل إنما قال فرعون ذلك القول بعدما أتياه وقالا له ذلك القول الذي أمرا بتبليغه وفي الكشاف حذف فأتيا فرعون فقالا ذلك لأنه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل.

---

(١) وهذه العلة ملحوظة في قوله تعالى: ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ ومحل الذكر هناك.

(٢) وهو الإطلاق عن الاستعباد والتكاليف.

besturdubooks.wordpress.com

المفعول أي المولود قوله لقربه من الولادة لأن فعيلاً قد يدل على قرب التلبس بالمعنى الذي يدل عليه كحليب ووليد كما صرح به أهل اللغة كأنه أخذ من صيغة المبالغة لما كانت الولادة لا تفاوت فيها فيصرف المبالغة إلى القرب لكن هذا لا يلائمه قوله: لبث فيهم ثلاثين سنة.

قوله: (قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج إلى مدين عشر سنين ثم عاد إليهم يدعوهم إلى الله تعالى ثلاثين سنة ثم بقي بعد الغرق خمسين سنة) ثم خرج إلى مدين سيجيء تفصيل القصة في سورة القصص قوله عشر سنين أي أقام في مدين عشر سنين قوله يدعوهم إلى الله تعالى إلى توحيده وهو معظم المقصود من البعثة ثم بقي بعد غرق فرعون خمسين فكان عمره عشرين ومائة سنة كعمر يوسف عليه السلام.

قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٩﴾

قوله: (﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني قتل القبطي وبخه به معظماً إياه بعد ما عدد عليه نعمته) وفعلت فعلتك ولعل التعبير بالفعل العام عن القتل للتفخيم في بابه حتى يوحش ذكره صريحاً فينبغي أن يذكر كناية وكذا الكلام في فعلتك ثم وصفها بالتي فعلت للتقييد بقوله ﴿وأنت من الكافرين﴾ قوله وبخه به معظماً الخ إشارة إلى ما ذكرناه والتعبير بالموصول زاده تعظيماً لشأنه وتهويلاً وأرباب الحواشي اكتفوا في بيان التعظيم بالتعبير بالموصول حيث قالوا تعظيم القتل بما في الموصول من الإبهام الذي يستعمل لذلك كما في قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٨] والأولى ما ذكرناه قوله بعد ما عدد نعمته أي إنعامه ولهذا الترتيب مدخل في التوبيخ.

قوله: (وقرىء فعلتك بالكسر لأنها كانت قتلة بالوكز) قتلة أي فعلة للنوع وكذا قتله نوع من القتل وهو القتل بالوكز وهو الضرب بجمع كفيه وعلى الفتح للمرة أي قتلة واحدة

قوله: وبخه به معظماً اياه أي وبخ فرعون موسى بقتله القبطي معظماً ذلك القتل معنى التعظيم مستفاد من ذكره مجملاً حيث قال فعلت فعلتك التي فعلت ولم يقل قتلت رجلاً منا مصرحاً بخصوصية القتل بل عبر عنه بلفظ عام وهو لفظ فعلت ووصف فعلته بالمبهم الذي هو قوله التي فعلت ايذاناً بأنه لفظاعته لا ينطلق به كقوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ [طه: ٧٨].

قوله: لأنها كانت قتلة بالوكز أي قرىء فعلتك بالكسر على أنها نوع من الفعل وهو القتل بالوكز والأولى في قتله فتح القاف على أنها مرة من القتل ومعنى كونها نوعاً من القتل يستفاد من قيدها بالوكز لأن معنى كلامه هذا وقرىء فعلتك بالكسر على أنها للنوع لأن ذلك الفعلة كانت قتلاً بالوكز فلكون القتل الوكز نوعاً من مطلق القتل صحت قراءة فعلتك بالكسر بناء على أنها نوع من الفعل وفي الكشاف وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لأنه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل وأما الفعلة فلأنها كانت وكزة واحدة قال الأصمعي وكزه مثل نكزه أي ضربه ودفعه ويقال وكزه أي ضربه بجمع يده.

besturdubooks.wordpress.com

وقعت بالضرب[1] مرة فلها جهتان روعيتا في القراءتين فعلم أن فعلتك مفعول مطلق[2] وأن المراد بالإخبار التوبيخ مجازاً لخلو الخبر عن فائدة الخبر ولازمه.

قوله: (بنعمتي حتى عمدت إلى قتل خواصي) بنعمتي أي المراد كفران النعمة قوله حتى عمدت الخ دليل عليه الأولى لأنك عمدت فإنه المتعارف في بيان الدليل وجه ما ذكره إنك بالغت في كفران نعمتي إلى أن عمدت قتل خواصي والظاهر إلى أن قتلت خواصي إذ العمد لا يستلزم الفعل فذكره تنبيه على أن هذه القتلة وقعت منك عمداً لا خطأً قبل قتل خواصي الإضافة جنسية فيشمل الواحد فلا يتوجه أن المقتول كان واحداً ولعل التعبير بالجنس للإشارة إلى أن قتله مثل قتل نفوس كثيرة من الخواص لعظم قدره عنده فلك أن تقول التعبير بالجمع للتعظيم.

قوله: (أو ممن تكفرهم الآن فإنه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية) أو ممن تكفرهم الآن من الإكفار بمعنى النسبة إلى الكفر أي وأنت من زمرة الأشخاص الذين تنسبهم إلى الكفر فأنت من جملتهم وزمرتهم فما بالك أن تدعي النبوة وأشار المص إلى سبب ذلك الزعم الفاسد لرئيس الزاهد فقال فإنه عليه السلام كان الخ أي وهذا الزعم منه بناء على ظاهر الحال لاختلاطه بهم والتقية معهم بعدم إنكار ما كانوا عليه لمصلحة دعت وحكمة اقتضت لما عرف من أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكفر قبل النبوة وبعدها بالاتفاق فهو عليه السلام موحد منذ ولد وعامل بشرع يعقوب[3] عليه السلام كما هو الظاهر من قصته إلى أن أعطي التورية قيل ولم يذكر المص احتمال الافتراء عليه لبعده فإنه لو كان عالماً بأن موسى يتدين بغير دينهم لسجنه أو قتله انتهى فالصواب أنه لو علم إسلامه لأراد التسجين أو أراد القتل لكن أنى له ذلك.

قوله: بنعمتي إشارة إلى احتمال أن الكافرين من الكفر الذي هو بمعنى كفران النعمة وقوله أو ممن تكفرهم الآن إشارة إلى احتمال كونه من الكفر بالحق المقابل للإسلام أي وأنت إذ ذاك أي إذا فعلت تلك الفعلة كنت من الذين تحكم الآن بكفرهم وتدعوهم إلى الدين وقوله هذا إما افتراء منه عليه بالكفر وموسى ما كان كافراً قط وما كان منهم لأن الله يعصم من يريد استنباءه من الذنوب فكيف بالكفر وأما بناء على ظنه لجهله بأن مؤمن حينئذٍ لأن موسى عليه السلام كان يخفي إيمانه ح خوفاً منهم وكان يعايشهم بالتقية والحذر التقية والتقاة بمعنى واحد وهو أن يتقي الرجل الناس ويرى الصلح والاتفاق والباطن بخلاف ذلك وعليه قوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ [آل عمران: ٢٨] أي تخالفهم ظاهراً وتخالفهم باطناً ومنه قولهم كن وسطاً وامش جانباً.

---

(١) وبهذا الاعتبار يفيد الإخبار بأنه قتلة واحدة وإلا فقتل الشخص الواحد لا يكون إلا قتلة واحدة.

(٢) لا مفعول به هو الشخص المقتول.

(٣) أو بشرع إبراهيم عليه السلام.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فهو حال من إحدى التاءين ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلهيته أو بنعمته) فهو حال من إحدى والأخير أليق به وكونه حالاً أنسب بكون المراد كفران النعمة ويؤيده كون الكلام للتوبيخ إذ لا توبيخ في الكفر الذي التزمه وإن كان أكذب فيه ويجوز الخ فالواو وابتدائية وكونها عاطفة لا يلائم قوله مبتدأ الخ بأنه عليه السلام من الكافرين بإلهية فرعون أو بنعمته فالكفر بمعنى الجحد أو على زعمه.

قوله: (لما عاد عليه بالمخالفة) بيان علة كونه جاحد النعمة أي منشأ كفران النعمة هنا عوده عليه السلام بالمخالفة وما سبق قتل خواصه فالتغاير بينه وبين الوجه الأول بهذا الطريق.

قوله: (أو من الذين كانوا يكفرون في دينهم) هذا بناء على ظاهر الحال وعلى زعمهم والفرق أن في الأول اعتبر الإكفار من جانبه عليه السلام وهنا الإكفار من جانب غيرهم.

قوله تعالى: قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾

قوله: (﴿قال فعلتها﴾) استئناف بياني اختير اللف والنشر المشوش لرجحان الفصل الواحد على الفصلين أقر بالقتل وبين سببه بأن فعله غير عالم بالعواقب فالقتل المذكور ليس بعمد وهو متضمن لرد ما زعمه فرعون أنه عمد إذ التوبيخ بكفران النعمة على القتل العمد وعن هذا قال المص هناك إلى أن عمدت قتل خواصي وأقر بالقتل لثقة وعد الله تعالى بحفظه بقوله: ﴿إنا معكم مستمعون﴾ [الشعراء: ١٥] فإن المراد به وعد بحفظه وأما حين فراره فلم يكن وعد الله تعالى بحفظه.

قوله: (من الجاهلين وقد قرىء به والمعنى من الفاعلين فعل أولي الجهل والسفه) من

قوله: فهو حال من إحدى التاءين أي قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ [الشعراء: ١٩] جملة واقعة حالاً من إحدى التاءين وهما تاء فعلت الأول وتاء فعلت الثاني فالمعنى فعلت أنت تلك الفعلة كائناً من الكافرين ويجوز أن يكون حكماً مبتدأ عليه بأنه من الكافرين بإلهيته أو بنعمته أي ويجوز أن يكون قوله: ﴿وأنت من الكافرين﴾ [الشعراء: ١٩] جملة مبتدأة اعتراضية غير متعلقة بما قبله واردة على وجه التذييل وكلمة على في عليه متعلقه بحكماً أي حكماً على موسى عليه السلام بأنه من الكافرين بإلهيته أي بالهية فرعون والترديد بأوفى.

قوله: بإلهيته أو بنعمته ناظر إلى احتمالي معنى ليكفر في قوله: ﴿من الكافرين﴾ [الشعراء: ١٩].

قوله: من الجاهلين يريد أن الضلال ليس على حقيقته لأن الضلال ضد الرشد والاهتداء وموسى عليه السلام حين قتل القبطي رشيد مهتد غير ضال فوجب أن يحمل الضلال في قوله فعلتها إذاً وأنا من الضالين على المجاز فيراد به إما الجهل وهذا أيضاً مأول لأن موسى حينئذٍ لم يكن من زمرة الجاهلين فمعنى من الجاهلين من الفاعلين فعل أولى الجهل وإما الخطأ فمعناه من

besturdubooks.wordpress.com

الجاهلين نقل عن ابن جرير أنه قال العرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال والظاهر أنه حقيقة أو مجاز لاستلزام أحدهما الآخر ولو ادعائياً إذ العلم بدون عمل يعد جهلاً وقد قرىء به[١] تأييد لهذا المعنى ولذا قدمه والمعنى من الفاعلين الخ فالضالين بمعنى الجاهلين نزل منزلة اللازم وعطف السفه عليه إشارة إلى ما ذكرناه من أن علم السوء مع ارتكابه جهل أي سفه قال تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة﴾ [النساء: ١٧] الآية.

قوله: (أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله) وإن قصد الضرب فالتعبير بالضلال لما مر من أن الأنبياء عليهم السلام عادتهم استعظام محقرات فرطت منهم.

قوله: (أو الذاهلين عما يؤول إليه الوكز لأنه أراد به التأديب) فالجهل على بابه والفرق بين الأول والثالث هو أن في الأول نزل منزلة اللازم كما أشرنا إليه وفي الثالث اعتبر تعديته إلى عما يؤول إليه الوكز والفرق بين الثالث والثاني هو أن الثاني اعتبر فيه الخطأ في القصد وفي الثالث اعتبر الذهول عما يؤول إليه الوكز وشتان ما بين الاعتبارين وإن تلازما.

قوله: (أو الناسين من قوله: ﴿أن تضل إحديهما﴾ [البقرة: ٢٨٢]) أو الناسين أي الضالين بمعنى الناسين وأيده بقوله ﴿أن تضل إحديهما﴾ فإن الضلال فيه بمعنى النسيان إذ الضلال فقدان المطلوب والنسيان من هذا القبيل لعل المراد نسيان ما يؤول إليه الوكز والفرق بينه وبين الثالث إن في الثالث اعتبر الذهول وهو الذهاب عن القوى الحافظة دون المدركة والنسيان[٢] الذهاب عنهما رأساً وإذن جواب وجزاء معاً لأن قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت جديراً بأن يجازي بنحو ذلك الجزاء هذا مختار الزمخشري وقيل إذا هنا حرف جواب فقط قال أبو حيان وهذا أي ما ذكره الزمخشري مذهب سيبويه يعني أنها للجزاء والجواب معاً ولكن شراح الكتاب فهموا أنه قد يتخلف عن الجزاء والجواب معنى لازم لها (حكمة).

المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل وأما الذهاب فالمعنى وإنا من الذاهبين عما يأول إليه الوكز وهو القتل وفي الكشاف والذاهبين عن الصواب وأما النسيان فمعناه من الناسين كما أن الضلال في قوله تعالى: في حق شهادة امرأتين أن تضل إحديهما فتذكر إحديهما الأخرى والمعنى أن تنسى إحديهما بقرينة فتذكر لأن التذكير إنما يكون في النسيان وقالوا فيه إشارة إلى أن كفران نعمة الكافر قبيح فكيف بنعمة المسلم فضلاً عن نعم الله السابقة ظاهراً وباطناً.

---

(١) قارئه ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كما في الكشاف.

(٢) والحاصل النسيان زوال الصورة عن المدركة والحافظة والذهول كالغفلة زوال الصورة عن المدركة دون الحافظة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾

قوله: (رد أولاً بذلك ما وبخه به قدحاً في نبوته) رد أولاً الخ أي كذب فرعون ودفع الوصف بالكفر وبرأ ساحته ما وبخه به وهو القتل بغير حق قدحاً في نبوته زعماً منه أن الأنبياء عليهم السلام معصومون عن مثل هذا القتل وجه الرد أن موهبة الله تعالى الحكم والنبوة بعد تلك الحادثة ولا يجب عصمة الأنبياء عن أمثاله قوله قدحاً تعليل لما وبخه علة تحصيلية.

قوله: (ثم كر على ما عده عليه من النعمة ولم يصرح برده لأنه كان صادقاً غير قادح في دعواه بل نبه على أنه كان في الحقيقة نقمة لكونه مسبباً عنها فقال وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل) ثم كر بمعنى رجع أي ثم رجع إلى رد ما ادعاه من نعمة التربية فإنها تربية ظاهراً نقمة حقيقية وثم للتراخي الرتبي إذ تبرئة النفس الشريفة أهم ومقدم رتبة وإلا فالظاهر وكراً وفكر والتعبير بكر بالنسبة إلى نوع الرد إذ نوعه تحقق أولاً في ضمن رد ما وبخه ثم رجع إليه في ضمن رد نعمة التربية وإلا فحق العبارة ثم بين أحوال ما عد عليه الخ ولم يصرح برده أي وإن رده ضمناً والتزاماً ولذا لم يقل ولم يرده لأنه اعترف بكون ظاهرها نعمة مع التنبيه على أنها نقمة حقيقة بخلاف الأول كما عرفته من أنه لما قدح نبوته بالقتل العمد رده بأنه ليس بعمد وأنه قبل النبوة.

قوله تعالى: وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾

قوله: (أي وتلك التربية نعمة تمنها علي بها ظاهراً) أي تلك التربية أي المشار إليه

قوله: ثم كر على ما عد فرعون عليه من النعمة يقال كره أي رجعه كرا وكر بنفسه كروراً يعدى ولا يعدى أي ثم رجع موسى على ما عد فرعون عليه من النعمة بقوله: ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [الشعراء: ١٨].

قوله: ولم يصرح برد ما عده عليه نعمة وهو التربية حيث لم يقل صريحاً أنت ما ربيتني لأن التربية كانت واقعة ثابتة غير مانعة لدعواه في أنه رسول رب العالمين بل نبه على أن ما عده نعمة فهو في الحقيقة نقمة لأنه مسبب عنها لأن تربيته ذلك كانت بسبب ذبحه أبناء بني إسرائيل وتعبيدهم وذبح أبنائهم كان سبباً لإلقاء موسى في التابوت والقائه في اليم والقاؤه في أليم كان سبباً لوصوله إلى فرعون وتربيته فتربيته له مسببة عن النقمة التي هي تعبيد بني إسرائيل وقصد ذبح أولادهم بهذه الوسائط وفي الكشاف وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بأن وضع الضالين موضع الكافرين وبدأ بمحل من وشح للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله واستأصله من سنحه وأبى أن تسمى نعمته إلا نقمة حيث بين أن حقيقة إنعامه عليه تعبيد بني إسرائيل لأن تعبيدهم وقصدهم بذبح أبنائهم هو التسبب في حصوله عنده وتربيته فكان امتن عليه بتعبيد قومه إذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيداً أي إذا حققت التربية والمنة التي امتن بها فرعون على موسى عليه السلام كانت بتعبيد بني إسرائيل وهي نقمة لا نعمة فهو من تعكيس الكلام.

besturdubooks.wordpress.com

التربية المنفهمة من ألم نربك لأن الاستفهام إنكار النفي وتقرير المنفي قوله ظاهراً وهذا دليل على ما ذكرناه من أنه اعترف بكونها نعمة ظاهراً لا حقيقة فرد كونها نعمة أيضاً أي مثل رد الأول وهذا باعث كونه صادقاً قوله تمنها أي تعدها من المن بمعنى التعداد وهو على ظاهرها من الاستقبال أو تنعمها من المنة بمعنى المنحة فحينئذٍ صيغة الاستقبال لاستحضار الحال الماضية والأول أولى إذ حكاية الحال الماضية من طرفه عليه السلام ليست بمستحسنة هنا.

قوله: (وهي في الحقيقة تعبيدك بني إسرائيل وقصدهم بذبح أبنائهم فإنه السبب في وقوعي إليك وحصولي في تربيتك) وهي في الحقيقة تعبيدك في هذه الجمل مبالغة حيث جعل النعمة حقيقة نفس تعبيده والمراد أنه مسبب عن ذلك التعبيد قوله فإنه أي التعبيد السبب في وقوعي الخ[١] إشارة إلى ما ذكرنا كقوله فيما سبق لكونه مسبباً عنها قوله وقصدهم الأولى وقصدك بذبح أبنائهم هذا داخل في التعبيد ولذا أورده عقيبه.

قوله: (وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت) مرضه لأنه خلاف الظاهر مع أن همزة الاستفهام لا تحذف في اختيار الكلام إلا عند الأخفش لكن على هذا يوجد الرد حينئذٍ صريحاً قوله وهي أن عبدت هذه جملة حالية مؤكدة للإنكار.

قوله: (ومحل أن عبدت الرفع على أنه خبر محذوف) ومحل أن عبدت أي على الوجهين[٢] والمبتدأ هي كما نبه عليه بقوله وهي في الحقيقة فحمله عليها بملاحظة الحقيقة

قوله: وقيل إنه مقدر بهمزة الإنكار أي أو تلك نعمة تمنها علي وهي أن عبدت فيستفاد من الاستفهام الإنكاري أن ما عددته نعمة ومننت بها علي ليست بنعمة بل هو تعبيدك قومي بني إسرائيل وهي نقمة علي قال محيي السنة في المعالم اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار فمن قال هو إقرار قال عدها موسى نعمة منه عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل غلمان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل مجازه بلى وتلك نعمة علي عبدت بني إسرائيل وتركتني فلم تستعبدني ومن قال هو إنكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام يعني أو تلك نعمة حذف ألف الاستفهام كقوله: ﴿فهم الخالدون﴾ [الأنبياء: ٣٤] يقول تمن علي أن ربيتني وتنسى جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أهين قومه ذل فتعبدك بني إسرائيل قد احبط إحسانك إلي وقال صاحب الكشاف فإن قلت إذن جواب وجزاء والكلام وقع جواباً لفرعون فكيف وقع جواباً جزاء قلت قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى أنك جازيت نعمتي بما فعلت فقالت له موسى فعلتها مجازياً لك تسليماً لقوله لأن نعمته كانت عنده جديدة بأن يجازي بنحو ذلك الجزاء.

---

(١) ولو تركهم لرباه أبواه فكان فرعون أمتن على موسى عليه السلام بتعبيد قومه وذبح أبنائهم وإخراجه من حجر أبويه فظهر أن انعامه عليه تعبيد بني إسرائيل.

(٢) أي على الوجهين الأولى أي على الوجه الأول فتأمل.

besturdubooks.wordpress.com

وإلا فهما متباينان وبعد ملاحظة الحقيقة فالحمل من باب المبالغة والجملة حالية.

قوله: (أو بدل نعمة) أي بدل الكل بناء على المبالغة وفي نسخة أو بدل من المبتدأ أو الخبر والمبتدأ تلك والخبر نعمة بناء على المبالغة لكونها مسببة عن التعبيد كأنها هو.

قوله: (أو الجر بإضمار الباء أو النصب بحذفها) أو الجر الخ فحينئذٍ لا يكون من باب المبالغة أو النصب أي نصب محله بملاحظة حذف الباء كما أن محله مجرور بتقديرها.

قوله: (وقيل تلك إشارة إلى خصلة شنعاء مبهمة وأن عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بني إسرائيل نعمة تمنها علي وإنما وحد الخطاب في تمنها وجمع فيما قبله لأن المنة كانت منه وحده) إلى خصلة شنعاء مبهمة لا يدري ما هي إلا بتفسيرها بأن عبدت وقد مر مراراً أن الحمل للمبالغة فحسن حمل النعمة على تلك الخصلة الشنعاء مرضه للفصل بينهما بأجنبي لكن بحسب المعنى أمس بالمقام.

قوله: (والخوف والفرار منه ومن ملئه) والخوف أي خوف القتل والفرار لخوفه منه أي من فرعون وملئه يدل عليه قوله: ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ [القصص: ٢٠] الآية هذا الاستدلال يتوقف دخول فرعون في الملأ وفيه نظر وقوله: ﴿منكم لما خفتكم﴾ [الشعراء: ٢١] فيه تغليب الحاضر على الغائبين.

قوله تعالى: قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾

قوله: (﴿قال فرعون﴾) أظهر فرعون هنا دون ما سبق للالتباس هنا في بادىء النظر وما رب العالمين لما قالا له إنا رسول رب العالمين خص هذا بالذكر هنا وفي طه قال: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾ [طه: ٤٩] لأنهما قالا له إنا رسولا ربك فالقصة إما متعددة أو محمول على الحكاية بالمعنى وقد مر أن هذا وإن خالف لفظاً ما في سورة طه لكنه مطابق في المقصود.

قوله: (لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى أنه لم يرعو بذلك) ورأى أي علم أنه

قوله: وإنما وحد الخطاب في تمنها أي وحد الخطاب في تمنها وعبدت وجمع في منكم وخفتكم لأن الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ﴿إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك﴾ وأما الامتنان فمنه وحده وكذا التعبيد.

قوله: لما سمع جواب ما طعن به فيه أي لما سمع فرعون من موسى عليه السلام جواب ما طعن به زيد فيه أي لما سمع فرعون من موسى من قوله وفعلت فعلتك التي فعلت الضمير في به لما وفي فيه لموسى.

قوله: ورأى أنه لم يرعو بذلك أي لم ينزجر بما طعن به شرع في الاعتراض على دعواه في أنه رسول من رب العالمين فقال ومآرب العالمين قال الإمام لم يقل لموسى ومآرب العالمين إلا وقد دعاه إلى طاعة رب العالمين ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ إذ لا بد أن يكونا متمثلين بالأمر مؤديين لتلك الرسالة بعينها عند اللعين فعند ذلك أنكر اللعين ذلك الكلام مفصلاً رد أولا صدر

besturdubooks.wordpress.com

أي موسى عليه السلام لم يرعو أي لم ينته ولم ينكف من ارعوى بمعنى انتهى.

قوله: (شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل) شرع في الاعتراض على دعواه أي دعوى وجود واجب الوجود ووحدانيته بقرينة قوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] وما تقدم الاعتراض على دعوى النبوة فلا إشكال فبدأ بالاستفسار الخ والمراد به ليس طلب الحق بل للتعنت[1] عن حقيقة المرسل ويصح إسناد الإرسال إليه تعالى لكن إطلاق المرسل عليه تعالى ليس بمعلوم في الشرع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٢٤﴾

قوله: (عرفه بأظهر خواصه وآثاره) تنزيلاً لسؤاله عن الحقيقة منزلة السؤال عن خواصه تنبيهاً على أنه الأليق بحاله لما كان السؤال عن الحقيقة بقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] أجاب بأنه تعالى رب هذه الأجرام المحسوسة فإنها تدل على أن له خالقاً واجباً وجوده فإن هذا استدلال ببعض أفراد العالمين لكونها محسوسة ممكنة فلا يتوهم شائبة المصادرة بأن فرعون لما لم يعرف أن للعالم رباً فالجواب بأنه تعالى رب السموات من قبيل إعادة الدعوى وفي تقرير المص إشارة إليه وبالجملة هذا استدلال بأن

الكلام وكونهما رسولين بقوله: ﴿ألم نربك فينا وليداً﴾ [الشعراء: ١٨] إلى آخره وثانياً بقوله: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] ولذلك جيء بالواو والعاطفة وتقرير الأول ألم نعرفك أما كنت عندنا رضيعاً صغيراً ونحن ربيناك سنين كالأولاد وعرفناك أيضاً كافر النعمة حيث جازيت تلك النعمة بقتل بعض خدمنا فمن أين أنت والرسالة فأنكر نبوته بتحقير شأنه وكفرانه النعمة وادمج فيه معنى الامتنان وأجابه موسى عليه السلام بقوله: ﴿فعلتها إذاً وأنا من الضالين﴾ [الشعراء: ٢٠] الآية مسلماً مقتضاه ومثبتاً رسالته ومبطلاً انعامه يعني هب أني كنت كما تقول صبياً رضيعاً عندكم قاتلاً للنفس وذلك كيف يقدح في دعوى رسالتي لأن الله تعالى فاعل مختار يختص برسالته من يشاء فاختارني للرسالة ووهب لي حكماً يعني أني كنت إذ ذاك غير عالم بالشرائع فوهب لي ربي معرفة من الأحكام وجعلني مرسلاً ثم رجع إلى جواب ما أدمج اللعين في الاعتراض من الامتنان قائلاً وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل فأبطله من أصله تبرئاً من تلك الرذيلة التي نسبها اللعين إليه من كفران النعمة ثم رجع اللعين إلى قوم موسى رب العالمين بعدما القمه نبي الله الحجر في إنكار الرسالة مستفهماً ومآرب العالمين يعني هب أنك رسول رب العالمين فما مرادك وما تعني بقولك رب العالمين وما قصدك في تخصيصه بالذكر اتعني به التعريض بإنكار الهيتي أم غير ذلك يدل عليه قوله بعد هذا: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فأجاب عليه السلام بما فيه إنكار الهيته وأن يكون رب العالمين تعريضاً بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ [الشعراء: ٢٤] إن كنت أنت وهؤلاء البهائم الذين اتخذوك إلهاً وسموك برب العالمين من الذين يحققون الأشياء بالنظر الصحيح الذي يؤديهم إلى الايقان.

---

(١) ليتفرع عليه أغراضه الفاسدة كما هو دأب المناظرين فأنى له ذلك.

besturdubooks.wordpress.com

هذا المحسوس له مبدأ واجب لذاته على أن جميع الممكنات له مبدأ واجب الوجود إذ لا فرق بين ممكن وممكن فإذا ثبت لبعضه خالق واجب لذاته ثبت للكل.

قوله: (لما امتنع تعريف الأفراد إلا بذكر الخواص والأفعال) لما امتنع ما مصدرية[1] أي لامتناع تعريف الأفراد لأن الفرد المعين لا يحد لأنه يشار إليه بالإشارة الحسية وكل ما هذا شأنه إنما يعرف بالإشارة وهي غير معرفة في الحقيقة وإنما المعرف خواصه ومشخصاته ولا يخفى عليك أن الإشارة الحسية ممتنعة في حقه تعالى ومنشأ امتناع تعريفه تعالى أمران وفي سائر الأفراد أمر واحد والحاصل أن تعريف الأفراد بما يفيد تعينها وتشخصها بحيث لا يمكن اشتراكه بين كثيرين بحسب العقل أي التعقل إنما يحصل بالإشارة والهذية ولذا قيل إدراك زيد قبل الرؤية بالتعريف الذي هو يخص به في الخارج وفي نفس الأمر كلي لا جزئي وإن كان منحصراً في فرد في الخارج وإنما قال تعريف الأفراد ليكون إثبات الدعوى بالبرهان.

قوله: (وإليه أشار بقوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤]) وإليه أشار أي إلى امتناع تعريفه بالحد حقيقة كسائر الأفراد والجزئيات الحقيقة إلا بذكر الخواص والأفعال وعبر بالإشارة لظهور أنه لا تصريح فيه والحصر المستفاد من تقديم المعمول بالقياس إلى كونه رب السموات فإن هذا القول لا إشارة فيه إليه بل صريح فيه ولذا قال في جواب الشرط المحذوف علمتم أن الأجرام الخ إلى قوله ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخ فإن هذا مشار إليه[2] غير مسوق له الكلام.

قوله: (أي ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] الأشياء محققين لها) قدر المفعول العام والمراد الأشياء الموجودة ممكناً أو واجباً قوله محققين لها توضيح معنى الإيقان إذ الإيقان اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه وهو معنى التحقيق وكلمة الشك في إن كنتم لأن الإيقان صاحبه[3] قليل نادر.

قوله: (علمتم أن هذه الأجرام المحسوسة) قدر مفعوله غير مفعول الشرط ليفيد

قوله: لما امتنع تعريف الأفراد تعليل لقوله عرفه بأظهر خواصه أي عرفه بما هو اظهر خواصه لامتناع تحديد الأفراد جميع الفرد بمعنى البسيط فإن البسائط لا تحد لأن الحد مركب من الجنس والفصل والبسائط لا تركب فيها وإنما قال تعريف الأفراد ولم يقل تعريف البسائط تأدباً منه إذ يقال الله تعالى فرد ولا يقال بسيط لأن اسماء الله تعالى توفيقية.

قوله: علمتم جواب شرط هو إن كنتم موقنين قوله وذلك المبدأ أي مبدأ هذه الأجرام

---

(١) هذا إذا كان بالتخفيف وهو الظاهر في التعليل ولذا اكتفى به ويحتمل لما بالتشديد جوابه محذوف يدل عليه عرفه وهو تكلف.

(٢) نبه به على أن المراد الإشارة في اصطلاح الأصول.

(٣) بل الظاهر أنه بمعنى لو أي لو كنتم موقنين لعلمتم فكلاهما منتفيان هنا.

besturdubooks.wordpress.com

الفائدة المذكورة وفي الأجرام تغليب لأن ما بينهما ليس منهما قوله المحسوسة أي بعضها محسوس وكثيرها غائب عنا.

قوله: (ممكنة لتركبها وتعددها وتغير أحوالها فلها مبدأ واجب لذاته) ممكنة لتركبها هذا في الإمكان كاف قوله وتعددها الخ لمزيد التوضيح هذا صغرى وكبراها مطوية أي وكل ما هذا شأنه فله مبدأ خارج عن سلسلة الممكنات واجب لذاته فقوله

المحسوسة لا بد وأن يكون مبدأ لجميع الممكنات وإلا لزم تعدد الواجب أي وإن لم يكن ذلك المبدأ مبدأ لسائر الممكنات فإن كان لسائر الممكنات مبدأ آخر غيره لزم تعدد الواجب وإن لم يكن لها مبدأ لزم استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما مح فلما سمع جواب موسى عليه السلام اختد العين وقال لمن حوله ألا تسمعون أي ألا تسمعون هذه العظيمة وألا ترون هذه الجراءة فثنى نبي الله التقريع بقوله: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦] تفصيلاً لذلك المجمل فإن المشاهد من الآيات الدالة على وجود الصانع ينقسم إلى دليلي الآفاق والأنفس فنبه به على غباوتهم وأن الرب ينبغي أن يكون متقدماً على المربوب ومتأخراً عنه هو الأول والآخر فكيف تتخذونه ربا سوى ربكم الحقيقي والحال أن آباءكم الأولين قد تقدموا عليه وأنه سيموت قبلكم أو قبل أبنائكم فعند ذلك زاد في تفر عنه وشدة شكيمته فنسبه إلى الجنون استكباراً وعناداً وتهكم به بقوله: ﴿إن رسولكم﴾ [الشعراء: ٢٧] الآية وتوكيده بوصف يدل على مزيد تقرير التهكم برسالته سفاهة فعاد نبي الله إلى تقريع ثالث بقوله: ﴿رب المشرق والمغرب﴾ [الشعراء: ٢٨] عرض به أن الرب ينبغي أن يكون قادراً على ما في يده وتحت تصرفه وأنتم تعلمون أن مشارق الأرض ومغاربها ليست في تصرفه ولا يملك منها على شيء والا حاط منها علماً بشيء وذيله بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] رداً لنسبة الجنون إليه أي كيف تنسبون إلى الجنون وأنتم مسلوبو العقل فاقدو اللب حيث لا تميزون بين هذه الشواهد ولا تنظرون إلى هذه الآيات البينات ولما عجز اللعين عن المحاجة عدل إلى التخويف بالسجن كما هو دأب المفحم المبهوت ولما قهره نبي الله في الاحتجاج انتقل إلى نوع آخر من الدلائل وهو اظهار المعجزة قائلاً أو لو جئتك بشيء مبين وهذا الذي ذكرناه هو المسطور في بعض حواشي الكشاف قوله: ألا تسمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أحواله قال صاحب المفتاح ولكون ما للسؤال عن الجنس والسؤال عن الوصف وقع بين فرعون وبين موسى عليه السلام ما وقع لأن فرعون كان جاهلاً بالله معتقداً أن لا موجود مستقلاً بنفسه سوى أجناس الأجسام كأنه قال أي جنس من أجناس الأجسام هو وحين كان موسى عليه السلام عالماً بالله عز وجل أجاب عن الوصف تنبيهاً على النظر المؤدي إلى العلم وهو المراد من قول القاضي رحمه الله عرفه بأظهر خواصه يريد أن الجواب من الاسلوب الحكيم أرشده بقوله: ﴿رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] إلى طريق المعرفة وتحصيل الإيقان يعني من يكون هذه الأجرام العظام مربوبة مخلوقة له وهو مالكها ومدبر أمرها لا يكون هو من جنسها قوله أو يزعم عطف على يذكر أي لا يذكر أي ألا يستمعون جوابه وهو يزعم أنه رب السموات وقوله أو غير معلوم عطف على واجبة أي وهو يزعم أنه رب السموات وهي غير معلوم افتقارها إلى مؤثر قيل ومن حوله هم أشراف قومه من الملوك المشار إليهم وهم كانوا خمسمائة ملك عليهم الأساور وكانت الملوك خاصته.

besturdubooks.wordpress.com

فلها مبدأ واجب لذاته نتيجة الدليل أما الصغرى فبديهية وأما الكبرى فلامتناع الدور والتسلسل لأن سلسلة الممكنات لو لم تنته إلى الواجب لزم إما الدوران رجع أو التسلسل إن ذهب إلى غير النهاية وكلاهما محال ولظهوره لم يتعرض له المص هنا وقد بين في علم الكلام بما لا مزيد عليه.

قوله: (وذلك المبدأ لا بد أن يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن أن يحس بها وما لا يمكن وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه إلا بلوازمه الخارجية) وذلك المبدأ الخ شروع في بيان التوحيد إثر إثبات الواجب الوجود بالوجه الذي قررناه حاصله أن ذلك المبدأ الواجب كما يكون مبدأ لما يحس من الممكنات لا بد وأن يكون مبدأ لسائر الممكنات سواء كان ممكناً حسه ولا نحسه أو لا يمكن حسه وإلا لزم تعدد الواجب أو استغناء بعض الممكنات عنه أي عن الواجب واللازمان باطلان وكذا الملزوم أما الأول فلبرهان التمانع وقد قرره المص في سورة البقرة[1] مع التفصيل منا وأما الثاني فلأن الممكن لإمكانه يحتاج إلى مؤثر في وجوده وإلا يلزم الوجود بلا موجد ولا إيجاد إذ الممكن ما لا يقتضي ذاته وجوده ولا عدمه فإنه ما لم يكن واجباً بالعلة التامة لا يكون موجوداً ومن أراد الاستقصاء في هذا المرام فليراجع إلى المقدمات الأربع مع شرحنا عليها فقوله: ﴿رب السموات﴾ [الشعراء: ٢٤] كما دل على وجود واجب لذاته كذلك دل على وحدته كما عرفته وفرعون وإن كان منكراً لوجود الواجب لذاته وإثباته فقط كاف في رده لكن أثبت وحدانيته أيضاً تتميماً للفائدة وإسكاتاً للخصم بالمرة ثم حاول بيان أن في قوله: ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] إشارة إلى امتناع تعريفه تعالى كسائر الأفراد فقال ثم ذلك الواجب الخ.

قوله: (لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه) لاستلزامه توقف الشيء على نفسه واستحالته بديهية.

قوله: (لاستحالة التركيب في ذاته) وجه إشارة قوله ﴿رب السموات﴾ إليه هو أنه لما كان السموات لكونها مركبة كانت ممكنة محتاجة إلى مؤثر علم أنه تعالى ليس بمركب وإلا يكون ممكناً لا واجباً وجوده فإذا لم يكن مركباً لا يمكن التعريف بما هو داخل فيه وأما امتناع التعريف بنفسه فلا إشارة إليه في هذا القول فذكره لتكميل البحث.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ۝٢٥﴾

قوله: (جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله) جوابه مفعول ألا تستمعون حذف للفاصلة قد مر الفرق بين السمع والاستماع والاستفهام للإنكار والتعجب قال فرعون سألته

---

(١) حيث قال إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لإلهيته وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد كما أشار إليه بقوله تعالى: **﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾** الآية.

besturdubooks.wordpress.com

عن حقيقته فإن ما يسأل بها عن الحقيقة مطلقاً سواء كان من أولي العلم أو لا فلذا لم يقل ومن رب العالمين وهو يذكر أفعاله ولم يراع مطابقة الجواب للسؤال مراده به القدح والتعلل بعدم التصديق.

قوله: (أو يزعم أنه هو رب السموات وهي واجبة متحركة لذاتها كما هو مذهب الدهرية) أو يزعم عطف على يذكر لكن هو عين المعطوف عليه في المآل فالأولى أنه عطف على سألته وهي أي السموات واجبة لذاتها جملة حالية تفيد عدم كون السموات مخلوقة فلا يكون له رب وكذا الكلام في الأرض كما هو مذهب الدهرية النافين للصانع وفرعون لما احتمل كونه دهرياً كما سيصرح به ذكر هذا الاحتمال في قوله: ﴿قال لمن حوله﴾ [الشعراء: ٢٥] الآية وكونها واجبة متحركة لذاتها بناء على عدم العلم بإمكانها[١] وحدوثها والخطأ في النظر وعدم المعرفة بمعنى الواجب لذاته والإمكان لذاته.

قوله: (أو غير معلوم افتقارها إلى مؤثر) فلا يثبت ما قاله عليه السلام على زعمه على التقديرين أما على الأول فظاهر وأما على الثاني فلأنها ح لا قطع بافتقارها بعد تسليم إمكانها وعدم كونها واجبة لذاتها إذ الافتقار فرع إمكان تأثير الغير أما في الماهية[٢] أو في الوجود أو الموصوفية والكل غير معلوم ثبوته إذ الماهية ليست بمجعولة بسيطة أو مركبة كما بين في محله مع اختلاف فيه وكذا الوجود لأنه أيضاً ماهية من الماهيات وكذا اتصاف الماهية بالوجود بمعنى أنه أي المؤثر يجعل اتصافها موجوداً متحققاً في الخارج وأما بمعنى أنه يجعلها متصفة بالوجود بعد أن لم تكن متصفة به فتأثير الفاعل فيه ثابت متحقق مما لا ينبغي أن ينازع فيه لكن لمن حرم من النظر الصائب والفكر الثاقب أن ينازع فيه وعن هذا قال أو غير معلوم افتقاره إلى مؤثر[٣] بناء على زعمه وسائر الدهرية بدون قطع في أحد الطرفين وإنما تعرض هذا الاحتمال الواهي ولم يكتف بالوجه الأول وهو قوله سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله مع أنه كاف في حل قوله: ﴿لمن حوله ألا تسمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] إذ قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿قال ربكم﴾ [الشعراء: ٢٦] الآية ملائم للاحتمال الثاني الذي بطلانه واضح كما أشار إليه بقوله عدولاً إلى ما لا يمكن الخ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: (عدولاً إلى ما لا يمكن أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره إلى مصور حكيم

قوله: عدولاً مفعول له لقال أي قال: ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [الشعراء: ٢٦] عدولاً

---

(١) الذي هو علة الحاجة إلى المؤثر.

(٢) عبر بالماهية بشيء إشارة إلى أن كل شيء اسأله فهو يجيبني عن شيء آخر مغاير لما سألته فضلاً عن الماهية وجوابها وفيه مبالغة جداً.

(٣) أو غير معلوم افتقاره إلى مؤثر لأنه غير معلوم كون وجوده واجباً أو ممكناً وهذا هو المناسب للمقام ولا حاجة إلى التفصيل الذي ذكر في أصل الحاشية تبعاً للبعض مع بعض شيء الحقناه.

besturdubooks.wordpress.com

ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل) عدولاً إلى ما لا يمكن الخ يعني أنه عليه السلام كان قادراً على إثبات كون السموات والأرض ممكنة مفتقرة إلى مؤثر واجب لذاته مستغن عن جميع ما عداه كما مر تقريره بقوله لتركبها وتعددها وتغير أحوالها لكن أعرض عن معارضته الفاسدة واعتراضه عليها إلى الاحتجاج بما لا يقدر فيه أن يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره دفعاً للمشاغبة وقصراً للمسافة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي إلى مثال جلي[1] أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل وهذا مثل محاجة رئيس الموحدين خليل الله مع نمرود عدو الله ومثل هذا لا يسمى إلزاماً بل عدول عن إتمام الأول إلى ما هو أوضح منه وإلى هذا التفصيل أشار طاب الله ثراه بقوله عدولاً إلى قوله وأوضح عند التأمل وجه الأوضحية أنه لا يشك في حدوثه وافتقاره إلى مؤثر واجب الوجود متعالياً عن معارضة غيره ومن شك في حدوث ما ذكر إما مغالط أو مجنون قوله مثله الضمير لما مر من الوجوب لذاته أو عدم الافتقار على تقديراً إمكانه ومثل كناية كقوله: ومثلك لا يبخل وليست بمقحمة وبهذا البيان ظهر فساد الوجه الأول من الوجهين الأخيرين في تفسير قال: ﴿لمن حوله﴾ [الشعراء: ٣٤] الآية وأما الوجه الأول فيجوز عليه أن يقال إنه عليه السلام عدل إلى ذكر لازم أجلى وأظهر من الأول تنبيهاً على عدم إمكان تعريفه بدون خواصه وإنما لم يتعرض له صراحة لانفهامه من التقرير المذكور بأدنى عناية والمص لم يبن كلامه

إلى دليل آخر اظهر من الدليل الأول وهو عالم الأنفس كما أن ذلك عالم الآفاق فإنه مما لا يمكن أن يتوهم فيه رب آخر مثله أي مثل ربهم الحقيقي قوله ويشك عطف على يمكن وقوله ويكون عطف على لا يمكن أي عدولاً إلى ما لا يمكن أن يشك في افتقاره إلى مصور حكيم وإلى ما يكون أقرب إلى الناظر وجه كونه أقرب أن أقرب المنظور فيه للناظر نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع الناقل له من حال إلى حال ومن هيئة إلى هيئة من وقت ولادته إلى وقت وفاته ثم خصص المشرق والمغرب بالذكر من بين سائر المشاهدات لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به على الصانع الحكيم ولظهور ذلك انتقل إلى الاحتجاج به إبراهيم عليه السلام حيث قال إن الله يأتي بالشمس من الشرق فإن بها من المغرب عن الاحتجاج بالاحياء بقوله وهو يحيي ويميت ولما قال نمرود وأنا أحيي وأميت انتقل إبراهيم منه إلى دليل اظهر منه فقال ﴿إن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ [البقرة: ٢٥٨] فقوله رحمه الله ويكون أقرب إلى الناظر وأوضح عند التأمل إشارة إلى أن الدلائل المنبثة في السموات والأرض أبعد متناولاً من النظر في أنفسهم وآبائهم لأن الأول مشتمل عليه وعلى الدلائل الآفاقية أيضاً والثاني أبعد منظوراً من الثالث لأن المنظور في الثاني الانتقال من هيئة إلى هيئة ومن حال إلى حال من وقت الولادة إلى وقت الوفاة ولا كذلك النظر في طلوع الشمس وغروبها في فصول السنة فالمراد بقوله أقرب إلى الناظر الدليل الثاني وبقوله وأوضح عند التأمل الدليل الثالث.

---

(١) وفيه إشارة إلى أن هذا العدول ليس من برهان إلى برهان آخر حتى يظن الافحام في الجملة وقد أوضحنا ذلك في قصة إبراهيم عليه السلام.

besturdubooks.wordpress.com

على تفسير هذه الآية على الوجهين الأخيرين في تفسير الآية السابقة بناء على ترجيحهما على الأول كيف لا ورجح الأول حيث قدم ولأنه مناسب لمذاق[1] الكلام.

قوله تعالى: قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾

قوله: (اسأله[2] عن شيء فيجيبني عن آخر) اسأله عن شيء وهو السؤال عن حقيقته فيجيبني عن آخر وهو الجواب بذكر خواصه وأفعاله وهذا الجواب على الأسلوب الحكيم كما أشرنا إليه من أنه عليه السلام نزل سؤاله بمنزلة السؤال عن خواصه فأجاب بذكرها لكن لكمال حمقه لم يفهم ذلك فظن أن الجواب لا يطابق السؤال[3] وكلامه هنا شاهد على ما قلنا من أن مساق الكلام جواب فرعون بالأسلوب الحكيم واستغرابه بعدم مطابقة الجواب السؤال لعدم معرفته لفرط حمقه وتعرض المص في قوله قال: ﴿لمن حوله ألا تستمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] قوله أو يزعم أنه هو رب السموات لتضمنه قوله سألته عن حقيقته وهو يذكر أفعاله.

قوله: (وسماه رسولاً على السخرية) أي على الاستعارة التهكمية أو بناء على زعم المخاطبين المصدقين به عليه السلام.

قوله تعالى: قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

قوله: (تشاهدون كل يوم أنه يأتي بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذي قبله حتى يبلغها إلى المغرب على وجه نافع ينتظم به أمور الكائنات) يأتي بالشمس أي طلوع الشمس في كل يوم حادث لا بد له من صانع وكذا تحرك الشمس على مدارات مختلفة مع إمكان غيرها من أنحاء متشتتة لا بد له من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعالياً عن معارضه غيره فهو أيضاً دليل على وجود الواجب لذاته ووحدانيته وهذا أيضاً مما لا يمكن أن يتوهم فيه ما يتوهم في السموات ذكره بعد ما رماه من الإفك الجسيم إظهاراً لفرط حماقته وتحريضاً للفكر الصائب لعله يتذكر أو يخشى قوله حتى يبلغها إشارة إلى كونه رب المغرب كما أن قوله على وجه نافع الخ إشارة إلى كونه تعالى رب ما بينهما ونبه بهذا أن المراد بالمشرق والمغرب طلوع الشمس[4] وغروبها وتحريكها على وجه مخصوص من وجوه مختلفة ممكنة.

---

(١) إذ الكلام أنه ظن عدم مطابقة جوابه عليه السلام لسؤاله فلما قال ﴿ربكم ورب آبائكم﴾ بهمت وعجز عن الشك الذي أوقعه في قوله: ﴿رب السموات﴾ ومعلوم بالبديهة أنه فعلة وخواصه فيكون التزاماً جواباً بذكر أفعاله ولذا قال إن رسولكم الذي أرسل الخ وفسره المص بأنه أسأله عن شيء الخ.

(٢) حكاية الحال الماضية وكذا فيجيبني.

(٣) مع أنه مطابق على الاسلوب الحكيم.

(٤) قال في الكشاف ثم خصص المشرق والمغرب لأن طلوع الشمس من أحد الخافقين وغروبها في الآخر انتهى وهو قريب مما فهم من كلام المص ولك أن تحمل كلام المص على ما قاله الكشاف.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (إن كان لكم عقل علمتم أن لا جواب لكم فوق ذلك) إن كان لكم عقل خالص عن الوهم فلذا أتى بكلمة الشك وأشار إلى أن تعقلون من العقل بمعنى القوة التي بها تدرك النفس الأشياء الكلية ويمكن حمله على ذلك الإدراك أي إن كنتم تعلمون حقيقة الأشياء أو إن كنتم من أهل العلم واكتفى بالأول للتعريض بأن المجنون في الحقيقة من غفل عن ربه ونسب الجنون إلى العارف بالله تعالى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (٢٩)

قوله: (لاينهم أولاً ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم وعارضهم بمثل مقالتهم عدولاً إلى التهديد عن المحاجة) لاينهم من اللينة على وزن المفاعلة عاملهم باللين والرفق لما قال لهم ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٦] ثم خاشنهم وأغلظ في الرد عليهم بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] قوله عن المحاجة متعلق بقوله عدولاً والتعبير بالمحاجة لكونها في صورة المحاجة.

قوله: (بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج) بعد الانقطاع أي بعد انقطاع البحث ولم يكن له محال بالمناقشة ولم يكن له أن ينكر ظهور آثار صنعه تعالى ديدن بفتح الدال العادة المحجوج المغلوب.

قوله: (واستدل به على ادعائه للألوهية وإنكاره للصانع) واستدل به أي بقوله: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري﴾ [الشعراء: ٢٩] أو بقول: ﴿وما رب العالمين﴾ [الشعراء: ٢٣] إلى هنا على أن فرعون يدعي الألوهية وهذا لا يلائم قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨] قال المص هناك نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه انتهى. وهذا لا يلائم الادعاء

قوله: لاينهم أولا ثم لما رأى شدة شكيمتهم خاشنهم هذا بيان لوجه قوله عليه السلام أولاً ﴿إن كنتم موقنين﴾ [الشعراء: ٢٤] وفي هنا ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] يعني لاين موسى عليه السلام أولاً وخاطبهم بالرفق حيث لم يخاطبهم أولا بما يوهم أنهم منسلبون عن العقل بل خاطبهم بما يوهم أنهم مسلوبو اليقين وجه الرفق فيه أن سلب اليقين لا يستلزم سلب العقل والتمييز ثم لما رأى منهم شدة الشكيمة في العناد وقلة الإصغاء إلى عرض الحجج خاشن وعارض قوله: ﴿إن رسولكم لمجنون﴾ [الشعراء: ٢٧] بقوله: ﴿إن كنتم تعقلون﴾ [الشعراء: ٢٨] حيث خاطبهم بما يوهم أنهم مسلوبو العقل والتميز.

قوله: وهذا ديدن المعاند المحجوج أي التهديد بعد انقطاع الكلام والعجز عن المحاجة ديدن المعاند المحجوج أي عادة المعاند المغلوب بالحجة.

قوله: واستدل به على ادعائه للألوهية أي واستدلوا بقول فرعون لأن اتخذت إلهاً غيري على ادعائه للألوهية وإنكاره للصانع على أن تعجبه بقوله: ﴿ألا تستمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] كان من نسبة الربوبية إلى غيره لا من عدم طباق الجواب السؤال كما أول به آنفاً.

besturdubooks.wordpress.com

وعن هذا نسب الاستدلال إلى غيره ولم يقل وهو دليل على ادعاء الألوهية[١].

قوله: (وإن تعجبه بقوله: ﴿ألا تستمعون﴾ [الشعراء: ٢٥] من نسبة الربوبية إلى غيره ولعله كان دهرياً أو اعتقد أن من ملك قطراً وتولى أمره بقوة طالعه استحق العبادة من أهله واللام في من المسجونين للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني فإنه كان يطرحهم في هوة عظيمة عميقة حتى يموتوا) وإن تعجبه أي واستدل بتعجبه معطوف على قوله به ولعله كان دهرياً صيغة الترجي لعدم الجزم بذلك والقطر بضم القاف وسكون الطاء جانب من الأرض قوله استحق العبادة من أهله وهذا معنى كونه إلهاً رباً قال المص في تفسير قوله تعالى حكاية عن فرعون فقال ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] أي أعلى من يلي أمركم ولم يرد به أنه خالق السموات والأرض وغيرها فإن العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنوناً ولو كان مجنوناً لما جاز من الله تعالى بعثة الرسول إليه كذا قيل في تفسير قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] وأشار المص في التقرير إلى ذلك قوله بقوة طالعه بناء على زعمه في تأثير الكواكب.

قوله: (ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك) لخلوه عن تلك الدلالة ولاحتمال خلف الوعيد بخلافه من المسجونين لأن المسجونين أمر محقق فكونه من زمرتهم يكون أمراً مقطوعاً[٢] قيل وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فرداً لا يبصر فيها ولا يسمع وكان ذلك أشد من القتل ولو قيل لأسجننك لم يؤد هذا المعنى وإن كان أخصر.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ۝٣٠﴾

قوله: (أي أتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين صدق دعواي يعني المعجزة فإنها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعي نبوته) أي أتفعل

قوله: ولذلك جعل أبلغ من لأسجننك أي ولإفادة لأجعلنك من المسجونين بدلالة لام التعريف في المسجونين معنى لأجعلنك ممن عرفت حالهم في سجوني جعل أبلغ من لأسجننك وإن كان هو اخصر منه والهوة المهواة أي المسقط.

قوله: اتفعل ذلك ولو جئتك بشيء مبين يريد أن عامل الحال وذي الحال ما دل عليه قوله: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فالمعنى اتفعل ذلك أي اتجعلني منهم وإن جئتك ببينة ومعجزة قاهرة تدل على صدقي في دعواي هذه أي اتجعلني منهم حال كوني جائياً بشيء مبين.

---

(١) وإن كان قوله ﴿ويذرك والهتك﴾ يقتضي أنه مشترك قيل ولا ينافي قوله ويدرك والهتك لجواز أن يدعي الألوهية لنفسه ولها أيضاً والأولى أن يكون مراده من غيري من العاقل.

(٢) وليس هذا من قبيل قوله تعالى: ﴿وكانت من الفاتنين﴾ وذاك نوع آخر فيه بلاغة أخرى كما ذكره ابن جني كذا قيل.

besturdubooks.wordpress.com

ذلك أي جعلك إياي من المسجونين ولو جئتك بشيء مبين مظهر صدق دعواي أشار إلى أن مبين من أبان المتعدي ومفعول صدق دعواي وهو قوله: ﴿إني رسول رب العالمين﴾ [الأعراف: ١٠٤] وإن الله تعالى رب السموات فلذا قال فإنها أي المعجزة الجامعة بين الدلالة الخ خص الخطاب به لأنه رئيس القوم وأن الكلام معه وإلا فالمعجزة عامة لهم.

قوله: (فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل) فالواو للحال ولو منسلخة عن معنى الشرطية[1] وليها[2] الهمزة بعد حذف الفعل فلا يتوهم كون الحال إنشاء إذ مدخول الهمزة الفعل المقدر وفي مثل هذا جوز كونها عاطفة للمبالغة أي أتفعل ذلك مع إنكار نبوتي لو لم آتيك بمعجزة ولو جئتك بها ويفيد المبالغة أيضاً ما اختاره المص والاستفهام للإنكار أي لا تقدر ذلك في تلك الحال.

قوله: فالواو للحال أي الواو في أو لو جئتك للحال وليها همزة الاستفهام بعد حذف الفعل الناصب للحال العامل في ذي الحال وهو اتفعل ذلك فلما حذف الفعل زحلفت الهمزة إلى صدر الحال قال الطيبي يمكن أن يقال إن الواو في أو لو جئتك بشيء مبين عاطفة وهي تستدعي معطوفاً عليه وهو ما سبق في أول المكالمة بين نبي الله وعدوه والهمزة مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه للتقرير والمعنى أو تقر بالوحدانية وبرسالتي إن جئتك بعد الاحتجاج بالبراهين القاهرة والمعجزات الباهرة الظاهرة ولو بمعنى أن غير عزيز ويؤيد هذا التأويل ما في الأعراف ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾ [الأعراف: ١٠٥] قال: ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين﴾ [الأعراف: ١٠٦] تم كلامه ومعنى التقرير في قوله والهمزة مقحمة للتقرير الحمل على الإقرار ولذا أول معناها بقوله اتقر بالوحدانية فالمعنى على هذا التوجيه قال موسى أرسل معنا بني إسرائيل واتقر بوحدانية الله تعالى وبرسالتي إن جئتك بشيء مبين أي قال موسى هذين القولين أقول يقتضي هذا التوجيه أن يقدم الواو على الهمزة والهمزة في الآية مقدمة على الواو على أن الاستفهام التقريري إنما يقرر مضمون الجملة والإقرار ليس بمضمون ما دخلت الهمزة عليه بل هو معنى الهمزة على تقدير فرضها للتقرير أي الحمل على الإقرار قال صاحب الكشاف وفي قوله: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ٣١] أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق في دعواه لأن المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب أن مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من أهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات قال صاحب الانتصاف هذا تعريض بتفضيل فرعون على أهل السنة وحكم على القدرية أن فيهم نصيباً من الفراعنة إذ كل أحد يزعم أنه خالق ومبدع لافعاله وجحود على الله أن يفعل إلا ما واطأ عقولهم وقال الطيبي رحمه الله صاحب الكشاف بني الكلام على الحسن والقبح العقليين ثم شنع على أهل السنة ولا يلزم من قولهم يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد وأنه لا يوجد شيء من الكائنات إلا بإرادته ومشيئته تصديق الكاذبين بالمعجزات لأنه ظهر وعلم بالاستقراء أنه تعالى ما حكم ولا أراد تصديق الكاذبين بالمعجزات ولهذا قطع الأصحاب أن سنة الله جرت على أن لا يظهر المعجزة على يد الكاذب.

---

(١) إذ المعنى اتفعل ذلك جائياً بها بالمعجزة.

(٢) مبتدأ خبره بعد حذف الفعل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

قوله: (﴿قال فأت به﴾) الفاء للسببية إذ ادعاء إتيان المعجزة سبب للأمر بها.

قوله: (في أن لك بينة أو في دعواك فإن مدعي النبوة لا بد له من حجة) في أن لك بينة مفعول الصادق المفهوم من الصادقين لا مفعول الصادقين قدمه لشدة مناسبته لما قبله قوله أو في دعواك في إنك رسول من رب العالمين قوله فإن مدعي النبوة الخ هذا يوهم أن فرعون يعترف بذلك وفيه تأمل فالأولى الاكتفاء بالأول.

قوله تعالى: فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾

قوله: (﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب إذا فجرته فانفجر) فألقى عصاه الفاء للتعقيب أي ألقى عصاه عقيب طلب آية فإذا هي كلمة إذا للمفاجأة أي انقلبت عصاه حية عظيمة لا شيء يشبهها ظاهر ثعبانيته أي ليس بتمويه وتخييل كما فعله السحرة والثعبان مشتق من ثعبت الماء سمي به لجريانه قيل يقال انثعب الماء إذا جرى باتساع والمثعب المجرى الواسع ومنه الثعبان لأنه يجري باتساع لعظمه والمص بين وجه التعبير بالثعبان مرة وبالجان مرة أخرى وبالحية تارة أخرى في سورة طه.

قوله تعالى: وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾

قوله: (روي أن فرعون لما رأى الآية الأولى قال فهل غيرها فأخرج يده قال فما فيها فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يعشي الأبصار ويسد الأفق) روي أن فرعون الخ وفي الكشاف روي أنها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا انتهى فعلم منه أن طلب غيرها بعد هذا قوله فأخرج يده أي من جيبه قال فرعون فما فيها فأي شيء من المعجزة فيها فأدخلها الخ يعشي بالعين المهملة ويكاد مما يقر به الصحة ويسد الأفق أي غلب شعاعها على شعاع[1] الشمس.

قوله: ظاهر ثعبانيته والظهور مستفاد من لفظ مبين أي فإذا هي ثعبان ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كالأشياء المزورة بالشعوذة والسحر روي أنها انقلب حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة إلى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا أخذتها فأخذها فعادت عصا.

---

(١) قال المص في سورة الأعراف فإذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعه شعاع الشمس.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

قوله: (مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال) مستقرين يعني أنه منصوب لفظاً على الظرفية والظرف مستقراً وقع حالاً وللتنبيه على ذلك قال فهو ظرف الخ ولم يجعله صفة لأنه لا يناسب المقام مع أنه يحتاج إلى جعله من قبيل ولقد أمر على اللئيم يسبني.

قوله: (فائق في علم السحر) أخذه من صيغة المبالغة.

قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: (بهره سلطان المعجزة حتى خطه عن دعوى الربوبية) بهره سلطان المعجزة أي غلبه قوة المعجزة.

قوله: (إلى مؤامرة القوم) الذين هم بزعمه عبيده والمؤامرة المشاورة قال في تفسير قوله ﴿فماذا تأمرون﴾ تشيرون[1] في أن يفعل في سورة الأعراف وفي سورة الأعراف: ﴿قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم﴾ [الأعراف: ١٠٩] قال المص هناك قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكى عنه في سورة الشعراء وعنهم وعن فرعون هنا انتهى لكن صوابه وعنهم هنا بدون فرعون وبهذا يحصل التوفيق بين الموضعين.

قوله: (أو ائتمارهم وتنفيرهم عن موسى وإظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه) وتنفيرهم عن موسى بقوله: ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ [الشعراء: ٣٥] أي أرض مصر والاستشعار[2] طلب الشعور بظهوره واستيلائه.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله: (أي أخر أمرهما) أي الإرجاء التأخير كأنه اتفقت آراؤهم فأشاروا به إلى فرعون أي اخر أمرهما إلى أن يأتيك السحرة بقرينة ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ [الشعراء: ٣٧].

قوله: فهو ظرف وقع موقع الحال ففيه نصبان نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف وهو مستقرين والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال كلمة قال ولقد تحير فرعون لما أبصر الآيتين وبقي حيران حتى زال عنه دعوى الألوهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه خوفاً فتضرع واستكان لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الهمم وشاورهم وقوله: ﴿إن هذا لساحر عليم﴾ قول باهت إذا غلب ومتمحل إذا لزم.

قوله: واظهار الاستشعار عن ظهوره الاستشعار من استشعر فلان خوفاً أي اضمره أي واظهار ما اضمره من الخوف عن ظهور موسى عليه السلام.

قوله: اخر أمرهما يقال ارجأته إذا أخرته قال صاحب الكشاف ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لأمر الله تعالى قال صاحب الانتصاف حرف صاحب

---

(١) أي الأمر هنا من آمرته فآمرني إذا شاورته فأشار عليك برأي والتفصيل في سورة الأعراف.

(٢) حيث قال فماذا تأمرون فإنه متضمن بطلب الشعور واستيلائه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقيل[١] **احبسهما)** مرضه لأن الإرجاء التأخير لا الحبس لكن الحبس نوع من التأخير[٢] ولذا جوز مع الضعف.

قوله: (شرطاً) بضم الشين وفتح الراء جمع شرطة بفتح الراء وسكونها هم أعوان الولاة.

قوله: (يحشرون السحرة) أي اسم الفاعل بمعنى المستقبل مجازاً ومفعوله السحرة بقرينة جواب الأمر.

قوله تعالى: يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾

قوله: (يفضلون عليه في هذا الفن وأمالها ابن عامر وأبو عمرو والكسائي وقرىء بكل ساحر) يفضلون في هذا الفن هذا مستفاد من صيغتي المبالغة المراد بالفضل هو الفضل في العمل لأنه الذي هو المقصود من جمع السحرة فإن سحار يفيد المبالغة في عمل السحر لا في العلم ولا يضرهم التساوي في علمه ولكون المراد من السحار الفضل في عمله ذكر بعده عليم للتنبيه على أن كمال عملهم لكمالهم في فنه علماً وقرىء بكل ساحر فحينئذٍ لا يفيد الأفضلية.

الانتصاف الكشاف في تفسير المرجئة وأهل السنة هم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويرجعون بأمرهم إلى المشيئة فإن كان المرجئة هؤلاء فاشهدوا أنها مرجئة قال صاحب النهاية المرجئة فرقة من فرق الإسلام يعتقدون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة سموا مرجئة لاعتقادهم أن الله ارجأ تعذيبهم على المعاصي أي أخر عنهم والمرجئة بهمزة وبلا همزة كلاهما بمعنى التأخير.

قوله: شرطاً يحشرون السحرة يريد أن حاشرين صفة موصوف محذوف وهو مفعول به لقوله وابعث وفي النهاية الإشراط العلامات واحدتها شرط بالتحريك وبه سميت شرط السلطان لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها هكذا قال أبو عبيدة وحكي عن بعض أهل اللغة أنه أنكر هذا التفسير وقال أشراط الساعة ما ينكره الناس من صغار أمورها قبل أن تقوم الساعة وشرط السلطان طائفة من أصحابه الذين تقدمهم علي غيرهم من جنده قوله تأبط شراً علم شاعر قوله هل أنت باعث دينار البيت هل أنت حث وتحريض على البعث ودينار اسم رجل وكذا عبد رب اسم رجل آخر وعبد رب منصوب معطوف على محل دينار ومحله منصوب على أنه مفعول به لباعث قد أضيف إليه وأخا عون منادى مضاف ولا نعت أو عطف بيان لعبد رب يريد ابعث أحدهما النار ولا تبطىء به وكذلك هل أنتم مجتمعون أريد به استبطاؤهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق إذا أراد أن يحرك منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخيل أن الناس قد انطلقوا وهو واقف.

---

(١) وهذا يدل على تقدم قصد فرعون بقتله على ما دل عليه قوله: ﴿وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه﴾ الآية فقالوا اخر أمره وقتله واغلبه بالحجة كيلا يدخل على الناس شبهة.

(٢) فالتأخير أعم من الحبس.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾

قوله: (فجمع السحرة) في المفتاح تعريف السحرة عهدي وفي شرح الفاضل المحقق له أن المعهود قد يكون عاماً مستغرقاً كما هنا ولا منافاة بينهما كما يتوهم سلمنا ذلك لكن العموم المستغرق هنا غير مسلم إذ سحرة فرعون شرذمة قليلون من أفراد السحرة ولو سلم كثرته فلا نزاع في عدم استغراقه ومنشأ ذلك قوله: ﴿يأتوك بكل سحار عليم﴾ [الشعراء: ٣٧] مع أن كلمة الإحاطة ليسكنوا بعض قلقه واضطرابه كما صرح به ابن كمال باشا اللهم إلا أن يراد الاستغراق العرفي نحو جمع الأمير الصاغة فيكون كلمة كل بالنظر إليه ثم الفاء فصيحة أي أرسل الحاشرين في المدائن وأنهم حشروا وجمعوا السحرة فجمع السحرة والكلام في لام المدائن مثل الكلام في لام السحرة.

قوله: (لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى) لما وقت به أي عين وهو مخصوص بالزمان كما هو الظاهر من كلام المص حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾ [البقرة: ١٨٩] المواقيت جمع ميقات من الوقت ثم قال والوقت الزمان المفروض لأمر ما وما وقع في الكشاف هنا من قوله والميقات ما وقت به أي حدد به من زمان أو مكان ومنه مواقيت الإحرام فمحمول على المجاز[(١)] في المكان يشير إليه بإضافة الميقات إلى الإحرام.

قوله: (من يوم الزينة) وهو يوم عاشوراء أو يوم النيروز ويوم العيد لقوله تعالى: ﴿موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى﴾ [طه: ٥٩] وإنما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك في الأقطار قاله المص في سورة طه.

قوله تعالى: وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾

قوله: (فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثاً على مبادرتهم إليه كقول تأبط شراً) استبطاء لهم في الاجتماع أي الاستفهام هنا مجاز عن الحث والاستعجال وهو المراد بالاستبطاء هنا في الكشاف استبطاء لهم في الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم وأشار إليه بقوله حثاً الخ.

قوله:

(هل أنت باعث دينار لحاجتنا ... أو عبد رب أخا عون بن مخراق

أي ابعث أحدهما سريعاً) باعث دينار أي مرسل رجل مسمى بدينار أو عبد رب بنصب عبد عطفاً على محل دينار كما رواه سيبويه والجر وإن صح عطفاً على لفظ دينار

---

(١) وشاع فيه بعد ذلك حتى الحق بالحقيقة كذا قيل ولا حاجة إلى هذا القدر إذ الاستعمال في الزمان أكثر من أن يحصى. كان لهم في كل عام.

besturdubooks.wordpress.com

لكنه مخالف للرواية وعبد رب اسم رجل أيضاً وكذا عون ومخراق بالخاء المعجمة غلمان أيضاً وأخا عون إما منادى بحذف حرف النداء أو عطف بيان لما قبله أي ابعث أحدهما إلينا سريعاً ولا تبطىء به فمعنى قوله استبطاء لهم نهى[١] لهم عن البطء وهذا المعنى المجازي للاستفهام غير الاستبطاء[٢] الذي ذكره أرباب المعاني مثاله قوله تعالى: ﴿متى نصر الله﴾ [البقرة: ٢١٤] فليحفظ هذا.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: (لعلنا نتبعهم في دينهم إن غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم الأصلي أن لا يتبعوا موسى عليه السلام لا أن يتبعوا السحرة) والترجي باعتبار الغلبة أي غلبة السحرة هذا جواب سؤال مقدر ولذا قال ومقصودهم الخ فلا ينبغي أن يترجى اتباع السحرة لكن لما كان الغلبة مقتضية للاتباع أبرز الكلام في صورة الترجي ليتوسل به إلى ما هو المقصود كناية قوله في دينهم تنبيه على أن المراد بالاتباع موافقتهم في مدعاهم.

قوله: (فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى) مساق الكناية والمعنى الحقيقي هنا بالنسبة إلى فرعون وإن كان ممتنعاً لأن مدعي الألوهية لا يتبع غيره فيكفي في إمكانه وقوعه في غيره أو يقال إنه لدهشته وغلبة خوف الاستيلاء جوز اتباعهم كما طلب الأمر ممن حوله والأولى أن قائلي هذا الكلام وهو لعلنا نتبع السحرة اتباع فرعون دونه فإمكان المعنى الحقيقي بالنسبة إليهم متحقق فلا إشكال بأنه شرطوا في الكناية جواز إرادة المعنى[٣] الحقيقي وهنا مفقود لامتناع اتباع مدعي ألوهية السحرة في الدين وغيره.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: فساقوا الكلام مساق الكناية لأنهم إذا اتبعوا السحرة لم يتبعوا موسى فتوسلوا بذكر اللازم الذي هو اتباع السحرة إلى الملزوم الذي هو مطلوبهم الأصلي وهو عدم اتباعهم لموسى عليه السلام وهذا هو معنى الكناية أقول في جعله من قبيل الكناية دون المجاز نظر لأن الكناية لا ينافي إرادة المعنى الموضوع له اللفظ وههنا لا يجوز أداة المعنى الموضوع له اللفظ فكيف وأنه مدع للإلهية والربوبية والاتباع في الدين والتدين بدين لا يكون إلا للمألوه والمربوب ومدعي الالهية يتنزه عن أن يسند إلى نفسه مثل ما هو صفة المألوه والمربوب من الاتباع والتدين بدين.

---

(١) لما قال صاحب الكشاف ولا تبطىء به بعد قوله سريعاً.

(٢) وارجاع أحدهما إلى الآخر بعيد فهذا معنى آخر مجازي للاستفهام استفدناه من كلام العلامة.

(٣) بل جوز بعضهم إرادته معنى مع معنى الكناية وهو مختار صاحب المفتاح.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (﴿فلما جاء السحرة﴾ [الشعراء: ٤١]) فيه إيجاز حذف أي أرسل الحاشرين إلى المدائن التي هي تحت تصرفه فجمعوا السحرة من جهات مختلفة إذ الحشر السوق من جهات مختلفة إلى مكان واحد فلما جاء السحرة إلى فرعون قالوا له أإن لنا أجراً الأجر الجزاء على العمل بالخير وإذا كان بالشر يسمى عقاباً والاستفهام للتقرير أي لحمل المخاطب على الإقرار وكلمة إن للمبالغة في التقرير ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ الضمير المنفصل لإفادة الحصر.

قوله: (**التزم لهم الأجر والقربة عنده زيادة عليه إن غلبوا**) التزم لهم الأجر العظيم إذ التنكير للتكثير والتفخيم قوله والقربة عنده لأن اللام في المقربين للعهد أي إنكم إذا حين الغلبة لمن المقربين المعهودين قربهم عندي وقد مر توضيحه في قوله: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فهو أبلغ من القول وقربتموني حينئذٍ أي قربتكم لي.

قوله: (**فإذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرىء نعم بالكسر وهما لغتان**) فإذن مبتدأ خبره على ما يقتضيه من جواب القول وجزاء الفعل أشير إليه بأن غلبوا والمراد بالكسر كسر العين مع فتح النون كما قيل.

قوله تعالى: قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾

قوله: (﴿**قال لهم موسى**﴾) أي فلما جمع السحرة مع موسى عليه السلام مكاناً سوى يوم الزينة في وقت الضحى قال لهم موسى بعد ما قالوا له ﴿يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى﴾ [طه: ٦٥] مراعاة للأدب أو إظهاراً للجلادة القوا ما أنتم ملقون مقابلة الأدب بالأدب أو ازدراء بهم ووثوقاً على شأنهم وقد قال لهم أولاً ﴿ويلكم لا تفتروا على الله كذباً﴾ [طه: ٦١] الآية.

قوله: (**أي بعد ما قالوا له ﴿إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين﴾ [الأعراف: ١١٥] ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه**) يعني أن السحر حرام وبعضه كفر كما فصل في موضعه فلا

قوله: فإذن على ما يقتضيه من الجواب والجزاء أي فكلمة إذن مستعملة على ما يقتضيه وضعها فإنها موضوعة للجواب والجزاء فكان قوله: ﴿وإنكم إذن لمن المقربين﴾ [الشعراء: ٤٢] جواباً لقول السحرة ﴿أئن لنا لأجراً﴾ [الشعراء: ٤١] وهو في معنى الجزاء للشرط الذي هو ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ وهو ليس جزاء له لتقدمه عليه وقد تقرر أن الجزاء لا يتقدم على الشرط لكنه دليل الجزاء والجزاء مقدر مؤخراً تقدير الكلام إن كنا نحن الغالبين فهل لنا من أجر فأجيبوا بقوله: ﴿نعم وإنكم إذن لمن المقربين﴾ [الشعراء: ٤٢] أي إن غلبتم فلكم الأجر فكان قوله: ﴿وإنكم إذن لمن المقربين﴾ [الشعراء: ٤٢] جزاء لفعلهم المفروض وهو فعل الغلبة المدلول عليه بقولهم ﴿إن كنا نحن الغالبين﴾ كما أنه جواب لقولهم ائن لنا لأجراً وهذا التأويل قريب من التأويل الذي سبق في قوله تعالى: ﴿فعلتها إذن وأنا من الضالين﴾ [الشعراء: ٢٠].

قوله: وقرىء نعم بالكسر والقارىء به الكسائي.

قوله: ولم يرد به أمرهم بالسحر والتمويه أي لم يرد موسى عليه السلام بقوله القوا أن يأمر

besturdubooks.wordpress.com

يليق بالنبي المعصوم الأمر به فأجاب بأن الأمر هنا ليس على حقيقته لأنهم فاعلوه لا محالة وإن لم يقل لهم ذلك أي القوا كما أشار إليه بقوله: ﴿ما أنتم ملقون﴾ [يونس: ٨٠] لا محالة سواء وجد الإذن مني أو لا فالمراد بالأمر الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لتضمنه خيراً كثيراً وهو التوسل إلى إظهار الحق فليس الإذن في فعلهم لأنهم فاعلوه البتة فلا فائدة في الإذن بل الإذن في تقديمه المطلوب فالرضاء المستفاد من الإذن رضاء تقديمه لا نفس الفعل على أنه لا ضير في الرضاء به للتوسل إلى إبطاله وهذا عين استقباحه لكن المعول صرف الرضاء إلى تقديمه ليتوسل إلى إبطاله لا صرفه إلى الفعل فإنه لا يليق[1] بمنصب النبوة ولو كان له محمل صحيح.

قوله: **(بل الإذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلاً به إلى إظهار الحق)** ما هم فاعلوه لا محالة أي في ظنه عليه السلام اكتفاء بالأدنى ولا يضره احتمال كونه عالماً به بقرينة صادقة أو الهام أو وحي لأن هذا ليس بقطعي والاكتفاء بالظن أولى.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله: **(اقسموا بعزته على أن الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في أنفسهم ولإتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر)** اقسموا بعزته لأن الباء للقسم على أن الغلبة لهم أي بمؤكدات للوثوق على أنهم ماهرون في هذا الفن لا يقاومهم أحد من الساحرين وهو كذلك في نفس الأمر

السحرة بالتمويه أي التلبيس من موهت الشيء أي طليته لما كان السحر باطلاً والنبي لا يجوز له أن يأمر بالباطل كيف وقد أرسل للإرشاد إلى الحق وقمع الباطل حمل صيغة الأمر في القوا على معنى الإذن في تقديم الفعل.

قوله: اقسموا بعزته وهي من إيمان الجاهلية وكذا كل حلف بغير الله ولا يصح في الإسلام إلا الحلف بالله معلقاً ببعض أسمائه وصفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العرش وعزة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله ﷺ لا تحلفوا بآبائكم وبأمهاتكم ولا بالطواغيث ولا تحلفوا إلا بالله وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في إسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الأولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شيء لم تقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم برأس سلطانه فإذا أقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف لحالف قوله تبتلع قال الجوهري لقفت الشيء بالكسر القفه لقفاً وتلقفته أيضاً ناولته بسرعة.

---

(١) ولا حاجة إلى الاعتذار بأن الممتنع هو رضا الكفر على طريق الاستحسان لا مطلق الرضاء وما اشتهر من قولهم رضاء الكفر كفر ليس على إطلاقه كما عليه المحققون من الفقهاء وأهل الأصول انتهى هذا عجب لأن رضاء الكفر على الحقيقة كفر مطلقاً ولا أظن أن أحداً ذهب إلى خلافه ومراد المحققين من ذلك أن من طلب كفر الغير لغرض صحيح مثل قوله موسى عليه السلام ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا﴾ للانتقام مثلاً لا لأجل الرضاء فلا ضير فيه والرضاء غير متحقق في صورة ما من الصوره الجواز خصوصاً هنا الإذن في التقديم لا الفعل نفسه وقد ذهلوا عن قول المص الإذن في تقديم ما هم فاعلوه الخ.

besturdubooks.wordpress.com

لأن كمال السحر متحقق في ذلك الزمان لكنهم مخطئون غافلون عن أن موسى عليه السلام ليس من جملة الساحرين فوقعوا فيما وقعوا فلما ألقوا[١] سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم فأوحى الله تعالى إلى موسى ﴿أن ألق عصاك﴾ [الأعراف: ١١٧].

قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: (﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف﴾ تبتلع وقرأ حفص تلقف بالتخفيف) فألقى موسى عصاه عقيب أمره تعالى بالإلقاء فإذا هي وإذا فجائية تلقف بالشديد أصله تتلقف وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً للصورة البديعة أو التلقف بالنسبة إلى الإلقاء مستقبل وكذا الكلام في ﴿ما يأفكون﴾.

قوله: (ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسعى) ما يقلبونه أي الإفك هو الصرف وقلب الشيء عن وجهه وعن طريقه وأشار إلى أن ما موصولة والمراد به حبالهم وعصيهم وهم يقلبونها عن وجوههم التي كانت هي عليها وهو الحبالية وكونها عصياً بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم بذلك التمويه[٢] والحيل حيات تسعى وتمويههم[٣] أنهم لطخوا بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل أنها تتحرك.

قوله: (أو إفكهم تسمية للمأفوك به مبالغة) أشار إلى جواز كون ما مصدرية وهي مع الفعل مصدر بمعنى المفعول والتلقف والابتلاع بلغ في النهاية مبلغاً حتى سرى إلى الإفك نفسه قوله تسمية للمأفوك به مبالغة إشارة إليه قوله للمأفوك به إشارة إلى أن المحذوف العائد إلى ما الموصولة الجار والمجرور.

قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (﴿فألقي السحرة﴾) جعلهم الله ملقين على وجوههم تنبيهاً على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك.

قوله: ما يقلبونه عن وجهه فإن معنى الإفك على ما سبق صرف الشيء عن وجهه ومنه سمي الكذب إفكا لكونه صرفاً للمعنى عما هو عليه في نفس الأمر.

قوله: أو إفكهم يعني أن كلمة ما في ﴿ما يأفكون﴾ إما موصولة أو مصدرية فإن كانت موصولة فهو الوجه الأول وإن كانت مصدرية فهو الوجه الثاني وعلى الثاني سمي المأفوك بالإفك للمبالغة لكونه من قبيل الوصف بالمصدر.

---

(١) وقد مر أن في الحكاية اختصاراً.

(٢) فإنه لو جاز انقلاب الشيء بالسحر عن حقيقته لما تيقنوا أن مثله لا يتأتى بالسحر وأنه من المعجزة الخارقة كذا قيل.

(٣) التمويه التلبيس من موه الأمر إذا ظهر منه ما ليس فيه وأصله إذا طلا بالذهب المذاب كالماء لكن كل سحر ليس بتمويه كما فصل في سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئاً لا حقيقة له وأن التبحر[1] في كل فن نافع) يخيل شيئاً الخ فيه نوع مخالفة لما قرره في سورة البقرة قوله وأن التبحر في كل فن ولو حراماً تعليمه وتعلمه نافع وإن علم السحرة بأن ما جاء به موسى عليه السلام ليس من باب السحر إثر سحرهم بتبحرهم في علم السحر ألا يرى أنه لم يحصل ذلك العلم لغيرهم والتفصيل في سورة البقرة في قصة هاروت وماروت.

قوله: (وإنما بدل الخرور بالإلقاء ليشاكل ما قبله ويدل على أنهم لما رأوه ما

قوله: لعلمهم بأن مثله لا يتأتى بالسحر أي القي السحرة ساجدين لأنهم علموا جزماً ويقيناً أن انقلاب عصا وهي خشبة يابسة ثعباناً ساعياً متلقفاً لما أفكوه من حبالهم وعصيهم التي خيلوها في أعين الناظرين أنها حيات تسعى لا يتيسر ولا يمكن بصنعة السحر فلما علموا وتيقنوا أنه ليس بسحر آمنوا وخروا ساجدين روي أنهم قالوا إن يك ما جاء به موسى سحراً فلن يغلب وإن يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما القى موسى عصاه فابتلعت ما أتوا به علموا أنه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء.

قوله: وفيه دليل على أن منتهى السحر تمويه وتزوير والدال عليه لفظ الإفك في ﴿ما يأفكون﴾ لأن معناه صرف الشيء عن وجهه وحقيقته بتمويه وتلبيس والسحر كذلك تزوير وتمويه يخيل شيئاً لا حقيقة له أي يلقى في الخيال شيئاً لا حقيقة لذلك الشيء كما يلقى حبالهم وعصيهم في خيال الناظرين صور الحيات لكن لا حقيقة لتلك الحيات بل حقيقتها هي الحبال والعصي كما ترى بالتمويه كصور الحيات.

قوله: وإنما بدل الخرور بالالقاء أي قيل القى بدل خر رعاية للمشاكلة لما ذكر الالقاء قبيل هذا بقوله: ﴿ألقوا ما أنتم ملقون﴾ [الشعراء: ٤٣] وبقوله: ﴿فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ [الشعراء: ٤٤] وبقوله: ﴿فألقى موسى عصاه﴾ [الشعراء: ٤٥] وقيل هنا فألقى السحرة بدل خر ليشاكل تلك الالقاءات وفي الكشاف وإنما عبر عن الخرور بالالقاء لأنه ذكر مع الالقاءآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه أيضاً مع مراعاة المشاكلة أنهم حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم إلى الأرض ساجدين كأنهم أخذوا وطرحوا طرحاً.

قوله: ويدل على أنهم لما رأوها لم يتمالكوا أنفسهم أي ويدل أيضاً قوله عز من قائل: ﴿فألقي السحرة﴾ [الشعراء: ٤٦] على أن لهم ملقياً ألقاهم قسراً على وجوههم ساجدين لأن الالقاء متعد فلا بد له من ملق بخلاف خر فإنه لازم لا يدل على أن خرورهم بالقسر والالجاء فالملقي حين عاينوا ذلك هو الله تعالى أو ما شاهدوه من المعجزة الباهرة على الإسناد المجازي قال صاحب الكشاف ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن القوا بمعنى خروا وسقطوا قال صاحب الفرائد هذا منظور فيه لأن المعدى إلى المفعول لا بد له حينئذٍ من الفاعل وإذا أسند إلى المفعول صار الفاعل متروكاً وما ذكره صاحب الكشاف من لوازم معناه لا معناه وقال الطيبي أراد بقوله أن لا تقدر فاعلاً أن لا تخصص على نحو قتل الخارجي فإن المقصود حصول قتله وكونه مقتولاً لا أن

---

(١) والتبحر من البحر وتفعل منه وهو عبارة عن زيادة العلم وسعته.

besturdubooks.wordpress.com

رأوا لم يتمالكوا أنفسهم وكأنهم أخذوا فطرحوا على وجوههم) وإنما بدل الخرور الخ أي الموجود هنا الخرور لا الإلقاء لكنه عبر به مجازاً للمشاكلة بجامع السقوط والإشكال عليه بأن الله تعالى خالق خرورهم عند أهل الحق وخلقه هو الإلقاء فلا حاجة إلى ارتكاب التجوز مدفوع بأن الفعل ينسب إلى الكاسب حقيقة والفعل الموجود هنا هو الخرور دون الإلقاء كسباً فينبغي أن يقال ﴿وخروا له ساجدين﴾ وخلق الخرور لا يسمى خروراً ولا إلقاء حقيقة ولغة كما لا يسمى خلق الضرب ضرباً حقيقة قوله وكأنهم أخذوا بصيغة المجهول إشارة إلى أن الإلقاء هنا مستعار شبه[1] خرورهم بالإلقاء في عدم تمالك أنفسهم فذكر الإلقاء وأريد الخرور وما سبق من قولنا بجامع السقوط أي السقوط بدون اختيار يحتمل الاستعارة كما يحتمل المجاز المرسل إذ الخرور لازم للإلقاء وإن كان كلام المص لا يلائمه لكن النظم يحتمله قيل فالمشاكلة المذكورة هي ما حصل في ضمن الاستعارة هذا بناء على أنه لا يكون فيه حينئذٍ مجاز مرسل وإن احتمله النظم وإلا فالمشاكلة المذكورة في ضمن المجاز المرسل.

قوله: (وأنه تعالى ألقاهم بما خولهم من التوفيق) وأنه تعالى ألقاهم إشارة إلى أن الفاعل هو الله تعالى حذف للعلم به فجعل الفعل مجهولاً هذا معطوف على قوله أخذوا بأدنى تغيير أي كأنهم ألقاهم الله بما خولهم فلا يرد بحث الفاضل المحشي بأنه إذا كان الإلقاء مجازاً عن الخرور فلا إلقاء حقية حتى يطلب له فاعل قوله بما خولهم أي أعطاهم من التوفيق شاهد على ما قلناه وما وقع في الكشاف من قوله ولك أن لا تقدر فاعلاً لأن ألقوا بمعنى خروا وسقطوا فوجه آخر غير ما ذكره أولاً إن أريد التشبيه فالفاعل يلاحظ فيه وإن نسي التشبيه كما هو شأن الاستعارة فلا يقدر فاعل.

قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٤٧﴾

قوله: (بدل من ألقي بدل اشتمال أو حال بإضمار قد) وهو الظاهر لأن شرط بدل الاشتمال غير ظاهر تحققه ويحتمل الاستئناف كأنه قيل فماذا قولهم في هذا الفعل الجميل فأجيب بأن قولهم في هذا الفعل أجمل من كل جميل.

القاتل من هو وكذا القصد هنا إلى كونهم ملقين ساقطين لا إلى أن الملقي من هو.

قوله: بدل من القى بدل اشتمال أي قوله عز من قائل: ﴿قالوا آمنا﴾ [الشعراء: ٤٧] بدل من القى السحرة بدل الاشتمال لملابسة بينهما بالملازمة فإن الخرور على وجه السجود يلزمه أن يقولوا ﴿آمنا برب العالمين﴾ وبالعكس ويكفي في بدل الاشتمال تعلق ما.

---

(١) فالاستعارة تبعية وما ذكرناه فالاستعارة في المصدر ويعلم منه الاستعارة في الفعل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾

قوله: (إبدال للتوضيح ودفع التوهم والإشعار على أن الموجب لإيمانهم ما أجراه على أيديهما) إبدال للتوضيح وجه كونه للتوضيح ما ذكره بقوله ودفع التوهم وهو توهم أنهم أرادوا برب العالمين فرعون لقولهم بعزة فرعون الخ ولقول فرعون ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] ولغاية ضعفه لبعده عن المقام عبر بالتوهم قوله والإشعار الخ يشير هذا وجه تخصيصهما بالذكر بعد ذكر العالمين.

قوله تعالى: قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

قوله: (﴿قال أمنتم﴾) استئناف آمنتم لتقييده بقوله: ﴿قبل أن آذن لكم﴾ [الشعراء: ٤٩] والظاهر أن ﴿قبل أن آذن لكم﴾ بمعنى النفي[1] أي بلا إذني كقوله تعالى: ﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية ﴿إنه لكبيركم﴾ [الشعراء: ٤٩] استئناف يجري مجرى التعليل أي سارعتم إلى الإيمان بدون إذن مني بسبب أنه كبيركم في فن السحر الذي ﴿علمكم﴾ [الشعراء: ٤٩] صفة كاشفة له.

قوله: (فعلمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أوفوا عهدكم ذلك وتواطأتم عليه أراد به التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا أنهم آمنوا عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وروح آأمنتم بهمزتين وبال ما فعلتم به) فعلمكم شيئاً من السحر دون شيء منه فكان علمكم دون علمه ولذلك غلبكم وعلمكم جميع طرق السحر لما غلبكم قوله: ﴿أوفوا عهدكم﴾ عطف على فعلمكم الخ أي جرى بينكم اتفاق على إظهار المغلوبية

قوله: إبدال للتوضيح يعني أن قوله: ﴿رب موسى وهارون﴾ [الشعراء: ٤٨] بدل من رب العالمين بدل الكل من الكل وفائدته التوضيح لئلا يتوهم متوهم أن مرادهم به فرعون لادعائه الربوبية وفائدته أيضاً الإشعار بأن الموجب لإيمان السحرة ما أجراه الله تعالى على أيديهما من المعجزة وهي انقلاب العصا ثعباناً وإشراق يده والمشعر لهذا المعنى هو إضافة الرب إليهما لدلالتها على أن رب العالمين هو الذي يدعو إليه هذان والذي أجرى على أيديهما ما أجرى فيكون إبداله مضافاً إليهما كناية عمن عرفت الهيئة بواسطتهما.

قوله: فعلمكم شيئاً دون شيء فلذلك غلبكم أي علمكم بعضاً من علم السحر دون بعض فغلبكم بما لم تعلموه من البعض الذي اخفاه منكم ولم يعلمه إياكم.

قوله: أو فوادعكم ذلك أي صالحكم والموادعة المصالحة أي صالحتم وتوافقتم على ذلك أي على السحر.

---

(١) أشار إليه مولانا السعدي بقوله أي بادرتم إلى الإيمان بلا إذن مني وقد صرح به في قوله تعالى ﴿قبل أن تنفد﴾ كونه بمعنى النفي لأن الإخبار العاري عن الفائدة ولازمها يحمل على ما يناسب المقام واختير الإخبار لظهوره فظهر ضعف تقدير الاستفهام هنا للإنكار.

besturdubooks.wordpress.com

فراعيتم حق التعليم والاستاذية فأبطلتم حقي ومراده أن غلبته عليكم لم يكن بالمعجزة بل بما علمكم من السحر إما بتعليمه على سبيل النقصان أو بمراعاتكم حق الاستاذية وإلى ذلك أشار المص بقوله أراد به التلبيس الخ وروح بفتح الراء مشهور بين القراء ﴿آمنتم﴾ والاستفهام للإنكار الواقعي أي ما ينبغي أن تؤمنوا لأنكم تعلمون وبال ما فعلتم حين عذبتم.

قوله: (وقوله **﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾** [**الأعراف: ١٢٤**] **بيان له**) أي للمفعول المحذوف حذف أولاً للتهويل أو لرعاية الفاصلة ثم بينه لزيادة التقرر في الذهن ولذا ترك العطف والإسناد في ﴿لأقطعن﴾ الخ مجازي وكذا في ﴿ولأصلبنكم﴾ للتهويل الشديد والمراد بالبيان بيان تفسير.

قوله تعالى: قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾

قوله: (**لا ضرر علينا في ذلك**) لا ضرر أي لا ضير بمعنى ضرر وخبر لا محذوف في

قوله: لا ضرر علينا في ذلك أي في قطع أيدينا وأرجلنا وصلبنا الضر والضير والضور واحد.

قوله: بما توعدنا به أي ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ [الشعراء: ٥٠] بما تخوفنا به من القطع والصلب أو بسبب من أسباب الموت عطف على بما توعدنا أي ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ بسبب من أسباب الموت والقتل أنفع تلك الأسباب لما يحصل لنا به من الاعواض وارجاها من الرجاء بالجيم بمعنى الأمل فارجاها تفضيل بمعنى المفعول مثل اشغل وفي الكشاف أهون الأسباب واوحاها المهملة أي أسرعها الوحا بالمد والقصر السرعة ومنه موت وحي وذكاة وحية والقتل بالسيف أوحى أي أشرع وقولهم السم يقتل إلا أنه لا يوحى صوابه يحي من وحي الذبيحة إذا ذبحها ذبحاً وحياً ولا يقال أوحى كذا في المغرب وفي الكشاف أرادوا لا ضرر علينا في ذلك بل لنا فيه أعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله من تكفير الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة أو لا ضير علينا في ذلك فيما توعدنا به من القتل أنه لا بد لنا من الانقلاب إلى ربنا بسبب من أسباب الموت والقتل أهون أسبابه وارجاها أو لا ضير علينا في قتلك إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا من السبق إلى الإيمان تم كلامه قال الطيبي لما أجابوا اللعين بقولهم لا ضير وعللوه بقولهم: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ [الشعراء: ٥٠] فسره صاحب الكشاف بهذه الوجوه الثلاثة اعتبر في الوجه الأول في لا ضير جميع ما يهدد به الملعون من القطع والصلب حيث أتى باسم الإشارة في قوله لا ضرر علينا في ذلك ثم أتى في العلة بمتعدد من تكفير الخطايا والثواب العظيم والاعواض واعتبر في الوجه الثاني وعيده بجملته وعبر عنه بالقتل وعلله بقوله إنه لا بد من الانقلاب إلى ربنا والانقلاب حينئذٍ عبارة عن الرجوع إلى الله تعالى ولا بد لكل أحد منه وأسباب الرجوع إليه سبحانه كثيرة ولهذا قال والقتل أهون أسبابه واعتبر في ثالثها نفس القتل من غير اعتبار تفصيله ولا الوعيد به وهو بمنزلة الموت حينئذٍ وعلله بقوله إنك إن قتلتنا انقلبنا إلى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته فادخل أنا نطمع في التعليل وجعله بدلاً منه دلالة إلى إظهار الرغبة في القتل يعني أنه مطلوبنا لما يحصل به الفوز بهذه البغية السنية وذكر صاحب الكشاف في سورة الأعراف وجهاً آخر وهو أنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون تنقلب إلى الله فيحكم بيننا أي ينتقم لنا منك بما فعلت بنا وتثيبنا على ما قاسينا منك لأنا

besturdubooks.wordpress.com

مثله نحو لا بأس في ذلك أي في المذكور من القطع والصلب فإنه وإن كان ضرراً ظاهراً لكنه فيه نفع عظيم وخير جسيم حيث يكون ذلك سبباً إلى وصول ما وعدنا ربنا حقاً.

قوله: (بما توعدنا به فإن الصبر عليه محاء للذنوب) بما توعدنا معلوم من الأفعال أو مجهول من التفعل والباء للسببية وما يوعده قطع الأيدي والصلب.

قوله: (موجب للثواب والقرب من الله تعالى) موجب للثواب بمقتضى الوعد[1] من الملك الوهاب وأشار به إلى أن المراد بالانقلاب إلى الرب بسبب ما يوعده فرعون الانقلاب إلى ثوابه وكرامته وقرب الله تعالى قرباً معنوياً بتقدير المضاف فإن القطع والصلب سبب للكرامة عنده تعالى والتأكيد في إنا إلى ربنا لكمال العناية بذلك قوله فإن الصبر محاء للذنوب الخ ثابت باقتضاء النص.

قوله: (أو بسبب من أسباب الموت) أو بسبب الخ عطف[2] على بما توعدون فلا حاجة إلى تقدير الثواب والقربة وإن صح ذلك في الجملة.

قوله: (وقتلك أنفعها وأرجاها) فلا ضير في ذلك أيضاً قوله وقتلك الخ إشارة إلى الربط بما قبله على هذا الاحتمال ولم يذكر كون المراد مصيرنا ومصيركم إلى ربنا يحكم بيننا الخ كما ذكره في سورة الأعراف بناء على عادته وهي ترك بعض الوجوه المذكورة في محل آخر لتكثير الفائدة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥١﴾

قوله: (لأن كنا) إشارة إلى قراءة الفتح وأنها على تقدير الجار وسبب المغفرة وإن

نطمع أن يغفر لنا ربنا وأنت لا تطمع والله أعلم أقول والأظهر منه في الفرق بين هذه الوجوه الثلاثة أن الوجه الأول مبني على أن علية الانقلاب لسلب الضير لكونه مؤدياً إلى النفع الذي هو تكفير الخطايا وحصول الثواب والمعنى منقلبون إلى ثوابه والوجه الثاني مبني على أن علية الانقلاب له من طريق التسلية لنفوسهم والمعنى أن الموت الذي لا بد منه لكل أحد بسبب من الأسباب فلحوقه بناء بهذا السبب الذي هو القتل أهون وأيسر علينا لإيجابه الموت بسرعة فالنفع هو اليسر في الموت والوجه الثاني مبني على أن نفس الانقلاب هو المطلوب لنيابته مناب المطلوب الذي هو المغفرة والرحمة لأن الموت والانقلاب إلى الله عز وجل على الإيمان أصل جميع المطالب.

قوله: لأن كنا يعني قوله عز من قائل: ﴿أن كنا﴾ [الشعراء: ٥١] مقدر باللام تعليل ليغفر وكانوا أول جماعة مؤمنين من أهل زمانهم أو من أهل فرعون واتباعه أو من أهل المشهد أي من أهل شهود تلك المعجزة العجيبة الشأن.

---

(١) إذ لا يجب على الله شيء فالواجب بناء على الوعد وحاصله كالموجب.

(٢) إذ المراد بالانقلاب الموت وهو كائن لا محالة ومن لم يمت بالصلب ونحوه مات بغيره فلا ضير ولا جزع لوقوعه بما هو أنفع لنا.

besturdubooks.wordpress.com

كان كونهم من المؤمنين لكن كونهم من أولهم لمسارعتهم إلى الخير أولى بالمغفرة وعن هذا قالوا إن كنا أول المؤمنين.

قوله: (**من اتباع فرعون**[1] **أو من أهل المشهد**) لم يتعرض من أهل زمانهم كما في الكشاف لأن بني إسرائيل مؤمنون قبلهم إذ ليس المراد الإيمان بموسى عليه السلام لقولهم رب موسى وإيمان بني إسرائيل في ذلك الوقت به عليه السلام غير متحقق ويرد عليه أن قوله آمنتم له يدل على أن المراد إيمانه بموسى عليه السلام نعم قولهم ﴿آمنا برب العالمين﴾ [الشعراء: ٤٧] يلائم ما ذكره القيل فحينئذٍ[2] ما ذكره الزمخشري يكون تاماً فيكون قولهم ﴿آمنا برب العالمين﴾ إنشاء فهم أول من آمن بموسى عليه السلام من أهل زمانه كافة.

قوله: (**والجملة في المعنى تعليل ثانٍ لنفي الضير**) والجملة في المعنى الخ وإنما قال في المعنى لأن كلمة أن ليست بصريح في إفادة العلة عند البعض أو أنه تعليل له مع علته أو إشارة إلى أن المقصود ليس التعليل ليكون المقام مقام العطف وفيه تأمل.

قوله: (**أو تعليل للعلة المتقدمة**) بناء على أن المراد بالانقلاب الانقلاب إلى ثوابه والطمع المذكور تعليل له إذ الاحتساب له مدخل في نيل الثواب قال عليه السلام من أحيى ليلة القدر إيماناً واحتساباً الحديث وأما الانقلاب بالموت فلا يكون هذا علة له ولهذا اخره.

قوله: (**وقرىء إن كنا على الشرط**) قال أبو حيان ويحتمل أن يكون إن هي المخففة

قوله: والجملة في المعنى تعليل ثانٍ لنفي الضير أو تعليل للعلة المتقدمة يعني أن قولهم: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ [الشعراء: ٥٠] استئناف وقع جواباً لما عسى يسأل عن نفي الضير فكان قائلاً قال ما العلة في انتفاء الضير في القطع والصلب وهما ضير ظاهراً فقالوا: ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ [الشعراء: ٥٠] أي انقلابنا ورجوعنا إلى ربنا هو العلة في كون القطع والصلب غير ضائر لنا فهذه الجملة أي جملة إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا تعليل ثانٍ بحسب المعنى أي بذكره بعده لا بالواو العاطفة فلو قيل وإنا نطمع لكانت تعليلاً ثانياً بحسب اللفظ وإذا كانت تعليلاً للعلة المتقدمة تكون استئنافاً لبيان أن علة الانقلاب هي طمع المغفرة.

قوله: وقرىء إن كنا على الشرط لهضم النفس أي قرىء إن بكسر الهمزة على أنها حرف شرط موضوع للشك في حصول الشرط وإنما جيئت بها ومضمون الشرط محقق الوقوع لأنهم آمنوا قطعاً لهضم النفس أي لكسر النفس والتواضع وعدم الاعتماد على العواقب والاعتبار إلى الخواتيم.

---

(١) من اتباع فرعون المراد أنه أول من اظهر الإيمان منهم عنده كفاحاً فلا يرد عليه ما قيل إنه متقوض بمؤمن آل فرعون وآسية.

(٢) فحينئذٍ أي حين كون المراد الإيمان بموسى عليه السلام يكون ما ذكره الزمخشري تاماً لأنهم حينئذٍ يكونون أول من آمن بموسى عليه السلام من أهل زمانه كائناً من كان.

besturdubooks.wordpress.com

من الثقيلة وجاز حذف اللام الفارقة لدلالة الكلام على أنهم مؤمنون فلا يحتمل النفي حتى يحتاج إلى اللام الفارقة ولم يلتفت إليه المص لأن احتمال النفي في أول الأمر ثابت وأن احتمال النفي ليس بلازم في كل ما جيء باللام فيه لمجيئه فيما لا يحتمله كقوله تعالى: ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة: ٤٥].

قوله: (لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة) لهضم النفس وأنه نزله منزلة المشكوك كذا قيل والأولى أن يكون وعدم الثقة الخ عطف تفسير له لأن تنزيل اليقين منزلة المشكوك ليس بوارد في الشرع وأما عدم الثقة بالخاتمة فلا كلام في حسنه وعليه يحمل قول المؤمن أنا مؤمن إن شاء الله تعالى.

قوله: (أو على طريقة المدل بأمره) أو على طريقة المدل[1] اسم فاعل مشدد اللام

قوله: أو على طريقة المدل بأمره والدال الغنج وقد دلت المرأة تدل بالكسر وقد تدللت وهي حسنة الدال والدلال وفلان يدل على أقرانه في الحرب كالبازي يدل على صيده وهو يدل على فلان أي يثق به قال أبو عبيد لدل قريب المعنى من الهدى وهما السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وفي الحديث كان أصحاب عبد الله يدخلون إلى عمر فينظرون إلى سمته وهديه ودله فيتشبهون به فيجوز أن يكون قولهم إن كنا بالكسر على الشرط على طريقة قول المدل بأمر يعبر عن المحقق بلفظ المشكوك فيه دلالاً وغنجاً لأمره كقول المحسن إليك إن كنت أحسنت إليك فلا تنس حقي فإن إحسانه واقع محقق لا شك فيه لكن يعبر عنه بلفظ الشك جاعلاً المحقق كالمشكوك دلالا ونظيره قول العامل لمن يؤخر جعله إن كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ [الممتحنة: ١] مع علمه أنهم لم يخرجوا إلا لذلك.

قوله: وهو علة الأمر بالإسراء معنى العلية مستفاد من وقوعه على طريق الاستئناف جواباً للسؤال من علة الأمر بالإسراء وفي الكشاف وعلل الأمر باتباع فرعون وجنوده آثارهم كأنه قيل أسر بعبادي لأن فيه نجاتكم وهلاك القوم بالاتباع لكن الهلاك لما كان مسبباً عن الاتباع وضع موضعه أي أسر بعبادي ليتبعوكم فهلكوا في البحر والمعنى أني بينت تدبير أمركم وأمرهم على أن تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم فأهلكهم روي أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن أجمع بني إسرائيل كل أربعة أبيات في بيت ثم اذبحوا الجراء واضربوا بدمائها على أبوابكم فإني سآمر الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابه دم وسآمرهم بقتل أبكار القبط واختبزوا خبزاً فطيراً فإنه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيك أمري قوله على إرادة القول تقديره قائلاً إن هؤلاء لشرذمة قليلون أو قال: ﴿إن هؤلاء﴾ [الشعراء: ٥٤] الآية قوله: وإنما استقلهم أي وإنما عدهم قليلين بالإضافة إلى جنوده.

---

(١) ولا يبعد أن يكون الشك ناظراً إلى الأولية لأنها غير مقطوع وقوعه ولا وقوعه وإن كان المراد بالنسبة إلى اتباع فرعون أو من أهل مشهد ولو أبقى على عمومه فالأمر واضح.

besturdubooks.wordpress.com

من الأفعال في القاموس أدل عليه أي انبسط كتدلل وأوثق لمحبته فأفرط عليه وحاصله أنه من قولهم تدلل عليه إذا أظهر مخالفته تعنتاً لاعتماده على محبته وليس بمراد لكنه أبرز لتنزيل الأمر المعتمد منزلة غيره تلميحاً كقول القائل:

إن كنت عملت لك فوفني حقي

وقوله تعالى: ﴿إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي﴾ [الممتحنة: ١] الآية.

قوله: (إن أحسنت إليك فلا تنس حقي) إن أحسنت حال أو وصف بتقدير القول أي قائلاً ذلك المدل إن أحسنت إليك فلا تنس حقي وهو جازم في إحسانه أو بدل من المدل بدل الاشتمال كذا قيل.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله: (﴿وأوحينا إلى موسى﴾ [الشعراء: ٥٢]) لما دنا هلاك فرعون وجنوده وتخلص وجه الأرض عن إفسادهم أوحى الله إلى رسوله موسى عليه السلام ﴿أن أسر بعبادي﴾ [الشعراء: ٥٢] أن تفسيرية أو مصدرية كما مر في نظيره والإضافة هنا[1] للتشريف لإيمانهم وانقيادهم الإسراء السير في الليل والباء إما للتعدية أي اجعل لهم سارين في الليل معك أو للملابسة أي كن سارياً ملابساً بهم والمآل واحد والإسراء والسير بمعنى واحد صرح به في أوائل سورة الإسراء.

قوله: (وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا إلا عتواً وفساداً وقرأ ابن كثير ونافع إن أسر بكسر النون ووصل الألف من سرى وقرىء إن سر من السير) وذلك أي ذلك الوحي بعد سنين أي ثلاثين سنة كما صرح به في قوله تعالى: ﴿ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [الشعراء: ١٨] قوله من سرى إشارة إلى أن أسرى وسرى واحد معنى قوله سر من السير أي من الأجوف وأما الأول فمن الناقص ومعناهما واحد وإن الإسراء والسيرا بمعنى السير في الليل.

قوله: (يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الأمر بالإسراء أي تسر بهم) يتبعكم أي متبعون بمعنى الاستقبال فهو مجاز لأنه حقيقة في الحال وفي الماضي مختلف فيه.

قوله: (حتى إذا اتبعكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم إلى البحر بل يكونون على أثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم) حتى إذا اتبعكم أي فرعون اكتفى به لأنه رئيس القوم والمراد جميعهم ولذلك قيل مصبحين لقوله: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ [الشعراء: ٦٠] كان لكم تقدم عليهم مستفاد من قوله: ﴿إنكم متبعون﴾ [الشعراء: ٥٢] فإنه مستلزم للتقدم عليهم قوله بحيث لا يدركونكم الخ منفهم مما

---

(١) وإنما قال هنا لأن في مثل قوله تعالى: ﴿أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ [الفرقان: ١٧] الآية ليس الإضافة للتشريف بل للتوبيخ.

besturdubooks.wordpress.com

ذكر بعده ﴿قال إن معي ربي سيهدين﴾ [الشعراء: ٦٢] قوله قبل وصولكم إلى البحر ومعلوم جزماً أنهم بعد وصولهم إلى البحر لا يدركونهم لأنهم مغرقون فلا مفهوم قوله حين تلجون من الولوج أي الدخول.

قوله: (فأطبقه عليهم فأغرقهم) فأطبقه بالرفع عطف على يدخلون والجامع خيالي لكن العطف مشكل عند من شرط اتحاد المسند إليه والمسند ولعله مراد من قال إنه بالنصب على جواب الأمر أي الأمر بالإسراء وإن توقف كونه جواباً على تقدير أمور كثيرة فتأمل وكن على بصيرة.

قوله تعالى: فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾

قوله: (﴿فأرسل فرعون﴾ حين أخبر بسراهم) فأرسل الفاء فصيحة أي ففعل موسى عليه السلام وخرجوا من مصر ليلاً فأخبر بذلك فرعون فأرسل وإنما اختير ذلك تنبيهاً على أن الحكاية بالأمر كاف وأما الإخبار بإجابته عليه السلام فأمر مفروغ عنه لظهوره.

قوله: (﴿في المدائن حاشرين﴾) أي مدائن مصر وما هي في تحت تصرفه فاللام إما للعهد أو للاستغراق، وقيل في تعدية أرسل بفي دون إلى للتنبيه على الاستعجال منه وسرعة الامتثال من الرسل وعلى أن ملك مصر كان معموراً في عهده بحيث سار الرسل كما خرجوا من عنده في المدائن وفيه كسر استبعاد ما ذكر في كثرة جنوده انتهى يعني للتنبيه على الاستعجال منه من فرعون كأنه وقع الإرسال في المدينة فاستعمال كلمة في المفيدة للظرفية للتنبيه على ذلك الاستعجال فالكلام محمول على الاستعارة والتشبيه.

قوله: (العساكر ليتبعوهم) العساكر مفعوله المحذوف حذف للفاصلة قد عرفت أن الحشر السوق من جهات مختلفة.

قوله تعالى: إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾

قوله: (على إرادة القول وإنما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين ألفاً بالإضافة إلى جنوده إذ روي أنه خرج وكانت مقدمته سبعمائة ألف) على إرادة القول مع اعتبار المحذوف أكثر من جملة والمعنى[1] وجمع الرسل العساكر من كل مدين إليه فساروا في أثرهم فرأوهم فقال فرعون إن هؤلاء الخ ويحتمل أن يكون المعنى فأرسل حال كونه قائلاً إن هؤلاء الخ وهو الظاهر من كلام المص والأوفق لهؤلاء ما ذكرناه أولاً.

قوله: وكانت مقدمته سبعمائة ألف وخرج فرعون بجمع عظيم ومعه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسور مع كل ملك ألف وكانت مقدمته سبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة.

---

(١) لكن قوله تعالى: ﴿فأخرجناهم﴾ يؤيد الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (والشرذمة الطائفة القليلة ومنها ثوب شراذم لما بلي وتقطع) ثوب شراذم هذا من قبيل وصف المفرد بالجمع للمبالغة كأن كل جزء منه متصف بالبلى والتقطع وهذا الكلام يشير إلى أن شرذمة يقال على بقية كل شيء خسيس ولذا قال ومنها ثوب شراذم الخ كأن جماعة قليلة تقطع من جماعة كثيرة.

قوله: (وقليلون باعتبار أنهم أسباط كل سبط منهم قليل) وقليلون الخ جواب سؤال بأن الظاهر شرذمة قليلة فما وجه الجمع فأشار إلى وجهه أن الشرذمة وإن كان لفظها مفردة[1] لكنها باعتبار اشتمالها الأسباط جمع صفته فنبه على أن كل سبط منهم قليل والقلة المستفادة من الشرذمة ناظرة إلى المجموع من حيث المجموع بالإضافة إلى جنوده لأن مقدمته فقط أكثر منهم والقلة المستفادة من قليلون ناظرة إلى كل سبط من الأسباط فلا تكرار وإن حمل القلة على الذلة ولا يحمل على قلة العدد فالأمر واضح يعني أنهم لقلتهم كماً وكيفاً لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله: (لفاعلون ما يغيظنا) من الخروج[2] من مصر ليلاً وخفية بلا إذن مع ما عندهم من أموالنا المستعارة إذ روي أن قوم موسى قالوا لقوم فرعون إن لنا في هذه الليلة عيداً واستعاروا منهم حليهم وحللهم بهذا السبب ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل جانب البحر.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله: (وإنا لجمع[3] من عادتنا الحذر واستعمال الحزم في الأمور) من عادتنا الحذر

قوله: والشرذمة الطائفة القليلة ذكرهم بالاسم الدال على القلة وهو لفظ الشرذمة ثم جعلهم قلائل بوصفهم بالقلة ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو للقلة والحال أنه يمكن أن يجمع القليل على أقلة وقلل فبالغ في تقليلهم بهذه الوجوه الأربعة قال صاحب الانتصاف وفيه وجه خامس وهو جمع الصفة والموصوف مفرد كقوله دمعاً جياعاً كأنه جعل كل جزء من أجزاء المعاء خالياً من الغذاء صفراً من الطعام مبالغة في الجوع وقال صاحب الكشاف جمع قليلاً بالواو والنون لموافقة رؤوس الآي وإن أفردها جاز لأن لفظة الشرذمة مفرد.

قوله: من عادتنا الحذر واستعمال الحزم هذا تفسير الحذر بمعنى التيقظ في الأمور.

---

(١) وفي الكشاف ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلاً بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلام التي هي للقلة انتهى وهو أوضح بياناً.

(٢) وتقديم اللام للحصر أو الفاصلة واللام لجعله منزلة اللازم كما يشير إليه بتفسيره بفاعلون أو لتقوية العمل وجعله بمنزلة اللازم لا يلائمه قوله ما يغيظنا حيث ذكر المفعول وفي هذا القول إشارة إلى كون اللام صلة.

(٣) إشارة إلى أن الجميع بمعنى الجمع وليست التي يؤكد بها ولو كانت هي المؤكدة لنصبت.

besturdubooks.wordpress.com

بكسر الحاء وسكون الذال أي الاحتراز أو بفتح الحاء والذال وكون عادتهم ذلك مستفاد من صيغة فعل الدالة على الثبات مع المبالغة واستعمال الحزم في الأمور.

قوله: (أشار أولاً إلى عدم ما يمنع عن اتباعهم من شوكتهم ثم إلى تحقق ما يدعو إليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ في شأنهم حثاً عليه أو اعتذر بذلك إلى أهل المدائن) أشار أولاً الخ أي بقوله ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون﴾ شروع في بيان إيراد هذه الكلمات إنما قال أشار لعدم التصريح به لكن فهم من كلامه التزاماً ثم أشار إلى تحقق ما يدعو إليه بقوله لغائظون قوله من فرط عداوتهم تنبيه عليه قوله ووجوب التيقظ في شأنهم أي عموماً لا سيما في شأنهم هذا عطف على فرط عداوتهم وذلك بقوله وإنا لجميع حذرون قوله حثاً عليه تعليل لقوله أشار وضمير عليه راجع إلى الاتباع فعلم منه أن الإشارة المذكورة مما سيق إليها الكلام فلا يكون إشارة بالمعنى الاصطلاحي لأرباب الأصول بل بالمعنى اللغوي قوله أو اعتذر بذلك الخ فأو لمنع الخلو ويؤيده نسخة الواو الواصلة وفي نسخة واعتذاراً بالنصب عطفاً على حثاً وفي نسخة واعتذر عطف على أشار.

قوله: (كيلا يظن به ما يكسر سلطانه) كيلا يظن به أي بفرعون أي اعتذر من إرساله إليهم بأنهم ليسوا بشيء يخاف منه وإنما تكثير الجيوش لحزم كما هو عادتنا وإراءة قوته لهم وهذا مع الإشارة إلى المقتضى ذلك والمراد من قوله ما يكسر سلطانه هو الخوف منهم.

قوله: (وقرأ ابن عامر والكوفيون حاذرون والأول للثبات والثاني للتجدد) حاذرون

قوله: حثاً عليه مفعول له لقوله أشار أي أشار إلى عدم ما يمنع اتباعهم أليس فيهم كثرة وشوكة حتى تمنع اتباعنا إياهم مع أن فيهم كثرة عداوة داعية على الاتباع وإن عادتنا التيقظ في الأمور ودفع ما يضر شوكتنا قال ذلك حثاً لهم على الاتباع.

قوله: أو اعتذر بذلك عطف على أشار أي قال فرعون ﴿إن هؤلاء لشرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حذرون﴾ إشارة إلى ما ذكر حثاً لهم على الاتباع أو اعتذاراً به إلى أهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر به سلطانه أي كيلا يظن أهل المدائن أن بفرعون شيئاً كاسر السلطنة قد غلبه موسى ولذلك احتاج إلى الاستعانة وجمع العساكر.

قوله: والأول للثبات والثاني للتجدد أي حذرون للثبات لأن وضع صيغة الصفة المشبهة لثبات المعنى كأنه صفة غريزية مجبولة مع موصوفها بخلاف الحاذر فإن صيغته للتجدد.

قوله: وقيل الحاذر المؤدي في السلاح المؤدي على لفظ اسم المفعول من الأداة أي ذو اداة وعدة والسلاح اداة الحرب.

قوله: وقرأ ابن عامر وذكوان حادرون بالدال المهملة قال ابن جني قرأها ابن عمار الحادر القوي الشديد يقال حدر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحماً وشحماً والمراد هنا تام السلاح فإن ذلك أي تمام السلاح يوجب حدارة أي غلظاً وضخامة في أجسامهم.

besturdubooks.wordpress.com

فحينئذٍ لا يكون المعنى وإنا لجمع عادتنا الحذر الخ وإنما المعنى وإنا لجمع نجدد الحذر والتيقظ حسبما تحقق موجبهما.

قوله: (وقيل الحاذر المؤدي في السلاح وهو أيضاً من الحذر لأن ذلك إنما يفعل حذراً) المؤدي في السلاح في القاموس أدى فهو مؤد قوي فهو للسفر تهيأ وقيل أي الداخل إلى عدة الحروب كالدرع فإن المؤدي بالهمزة هو صاحب السلاح لأنه صاحب أداة أي آلة وآلة الحرب تسمى حذراً مجازاً كما في قوله تعالى: ﴿خذوا حذركم﴾ [النساء: ٧١] وإليه أشار بقوله وهو أيضاً الخ مرضه لتكلفه مع وجود الوجه الخالي عنه قوله لأن ذلك إنما يفعل حذراً تنبيه على ذلك واعتبار معنى الحذر مغن عنه لعمومه له ولغيره مع أن التخصيص ليس له مخصص واعتبار المعنى العام كالواجب.

قوله: (وقرىء حادرون بالدال أي أقوياء قال:

أحب الصبي السوء من أجل أمه ... وأبغضه من بغضها وهو حادر

أو تامو السلاح فإن ذلك يوجب حدارة في أجسامهم) وقرىء حادرون الخ من حدر حدارة إذا امتلأ شحماً ولحماً قوله وهو أي الصبي حادر أي قوي سمين حسن فكنى عن حسنه بكونه حادراً فعلم أن الحادر بمعنى القوي السمين ولهذا قال في تفسيره أي أقوياء فحينئذٍ يكون استعارة إذا أريد به تام السلاح فإنه يوجب حدارة في أجسامهم بيان العلاقة ويحتمل أن يكون مجازاً مرسلاً إن اعتبر العلاقة اللزوم دون المشابهة وكناية إن اعتبر صحة المعنى الحقيقي أو اعتبر مع المعنى الكنوي المعنى الحقيقي أيضاً.

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨)﴾

قوله: (بأن خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه يعني المنازل الحسنة والمجالس البهية) بأن خلقنا الخ[1] أي أخرجنا مجاز عن خلق داعية الخروج فعبر عن خلق داعية الخروج بالإخراج مجازاً لكونه سبباً للإخراج لكن قوله فحملتهم عليه يقتضي بحسب الظاهر كون الإسناد مجازاً ولذا ذهب أرباب الحواشي إليه وخلق الدواعي لا ينافي كون الخروج مخلوقاً له تعالى فالفاعل الحقيقي الداعية وفيه تأمل فالأولى كون المجاز في الكلمة قوله بهذا السبب أراد به الذي يتضمنه الآيات الثلاث المذكورة من كونهم قليلين والغيظ والحذر الباء متعلق بقوله خلقنا لا للداعية قيل ولو قال ابتداء جعلنا لهم الخروج

قوله: يعني منازل الجنة والمجالس البهية تفسير لمقام كريم فإن كرم المقام حسنه وبهاؤه.

---

(١) على ما ذهب إليه صاحب المفتاح من أنه يجوز إرادة المعنى الكنوي والحقيقي معاً كما صرح به في التلويح والمفتاح.

قوله تعالى: ﴿وكنوز﴾ وعطف كنوز بل عيون على جنات من قبيل علفتها تبناً وماء بارداً أي فرقناهم من عيون وكنوز أو وبعدناهم.

besturdubooks.wordpress.com

لكفى ولكن أراد المص كيفية خلقه تفصيلاً فيكون الإسناد حينئذٍ حقيقياً وقد قال أولاً إنه إسناد مجازي[١] والمراد بالكنوز الأموال التي لم ينفق منها في سبيل الله تعالى كما مر في سورة البراءة وكون المراد المال المدفون تحت الأرض ليس بمناسب للمقام ولذا قال في الكشاف وعن مجاهد سماه كنوزاً لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى ومن قال إنما خصها لأن أموالهم الظاهرة قد انطمست ومن غفل عن هذا قال سماها كنوزاً لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى فقد ناقش الرواية وكذا ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كل ما أدت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم يؤد زكاته فهو الذي ذكره الله تعالى وإن كان على وجه الأرض.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله: (مثل ذلك الإخراج أخرجناهم فهو مصدر أو مثل ذلك المقام الذي كان لهم على أنه صفة مقام) فهو مصدر فالكاف في مثله للعينية كما مر بيانه في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ [البقرة: ١٤٣] فلا إشكال بأنه يلزمه تشبيه الشيء بنفسه لأنه لا يراد التشبيه حقيقة بل التفخيم والتهويل نظيره شعري شعري وكذا الكلام في قوله أو مثل ذلك المقام الخ.

قوله: (أو الأمر كذلك فيكون خبر المحذوف) أو الأمر كذلك أي الشان كذلك أي مثل ما بيناه فيكون تقريراً لما قبله فيكون هذه الجملة وأخرجناهم جملتان معترضتان بين المتعاطفين[٢] والنكتة تقريراً لإخراج المذكور أو بيان هو له أو فخامته وعلى الأولين يكون المعترضة جملة وأورثناها فحسب والواو اعتراضية لا عاطفة كما في الأخير والنكتة في الاعتراض تقرير الإخراج وبيان منحة الله تعالى على بني إسرائيل بعد كونهم أذلاء في أيدي الكفرة الفجرة وقدم الوجه الأول لأنه متعارف مع أنه يفيد مزيد التأكيد ثم الثاني لعدم الاحتياج إلى التقدير كالأول.

قوله: (وأورثناها) ليس عطف على أخرجناهم داخل في حيز الفاء بل اعتراض هو استعارة شبه تمليك مصر بعد إغراق الفراعنة بني إسرائيل بالإرث في التمليك بلا عوض واللزوم فاستعير لفظ المشبه به للمشبه فيكون استعارة تبعية هذا إن قيل إنهم دخلوها وملكوها لكن روي أنهم لم يدخلوها في حياة موسى عليه السلام والداخلون المالكون أولادهم وبنو إسرائيل في النظم الجليل يحتمل كونهم من معي موسى عليه السلام وكونهم[٣] أولادهم.

---

(١) إلا أن يقال إن الإسناد إلى الكاسب حقيقي وإلى الخالق مجازي.

(٢) وهو فأخرجناهم فاتبعوهم.

(٣) وعدم ذكر موسى عليه السلام في ﴿وأورثنا بني إسرائيل﴾ يؤيد الاحتمال الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠﴾

قوله: (فاتبعوهم وقرىء فاتبعهم) فاتبعوهم[1] أي فرعون وقومه بني إسرائيل عطف على أخرجناهم بالفاء لأنه سبب للاتباع ووقع عقيبه.

قوله: (داخلين في وقت شروق الشمس) داخلين أي مشرقين لازم وهمزة الافعال للدخول وهو المراد بقوله: ﴿مصبحين﴾ [الحجر: ٦٦] في قوله: ﴿حتى إذا اتبعكم مصبحين﴾ فيكون مشرقين حالاً من الفاعل يقال اتبع فلان فلاناً من الافعال وتبع من الثلاثي إذا اقتفى أثره نقل عن الزجاج أنه قال شرقت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت لكن المراد هنا ليس ما ذكر إذ الإشراق صفة القوم ومعناه الداخل في وقت شروق الشمس أي طلوعه كما يستفاد من كلامه ولذا قال شروق الشمس ولم يقل في وقت إشراق الشمس وإن كان له وجه في الجملة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١﴾

قوله: (تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الآخر وقرىء قراءة الفئتان) تقاربا حمل الكلام على التقارب لأنه يلائم قولهم إنا لمدركون لا لرؤية من بعيد.

قوله: (لملحقون) والتأكيد بأنا لأن المقام مقام الإنكار ولذا قال عليه السلام كلا وهذه الجملة المؤكدة بناء على الظاهر للغفلة عن وعد الخلاص والمعنى إنا لمدركون في اعتقادنا فلا كذب هذا من أدركه من الافعال.

قوله: (وقرىء لمدركون من أدرك الشيء إذا تتابع ففنى أي لمتابعون في الهلاك على أيديهم) وقرىء لمدركون بتشديد الدال وكسر الراء من أدرك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ [النمل: ٦٦] الآية قال الحسن جهلوا علم الآخرة كذا في الكشاف وهو في الأصل بمعنى التتابع وهو ذهاب أحد على إثر آخر ثم صار في عرف اللغة بمعنى الهلاك وأن يفنى شيئاً بعد شيء حتى يذهب جميعه وليس معنى التتابع مهجوراً بالكلية في معناه العرفي قوله لمتابعون في الهلاك الخ إشارة إلى ما قلنا من أن التتابع معتبر فيه لكن بطريق الإفناء والهلاك كأنه من قبيل نقل اسم العام إلى الخاص.

قوله: من ادارك الشيء إذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى: ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ [النمل: ٦٦] قال الحسن جهلوا علم الآخرة وفي معناه بيت الحماسة:

أبعد بني أمي الذين تتابعوا ارجى الحياة أم من الموت اجزع

والمعنى إنا لمتتابعون في الهلاك على أيديهم حتى لا يبقي منا أحد.

---

(١) أي اتبعوا أنفسهم إياهم أو اتبعوا من الافعال بمعنى اتبعوا من الافتعال.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

قوله: (لن يدركوكم فإن الله وعدكم الخلاص منهم) لن يدركوكم أي لن يلحقوا بكم أو لن يهلكوكم والمعنى ارتدعوا عما يعرض لكم من الأوهام المردية فإنه تعالى وعدكم الخلاص منهم ومن شرورهم فمن أوفى بعهده من الله تعالى.

قوله: (بالحفظ والنصرة طريق النجاة منهم روي أن مؤمن آل فرعون كان بين يدي موسى فقال أين أمرت فهذا البحر أمامك وقد غشيك آل فرعون قال أمرت بالبحر) بالحفظ والنصرة أي معنى المعية كناية عن الحفظ أو مجاز عنه والظاهر أن المراد حفظ موسى عليه السلام لأنه مطلوب فرعون وقومه فلذا خص بالذكر ولزم منه حفظ قومه لأنهم تابعون له محفوظون بواسطته وشرافته كما أنهم مطلوبون بسببه عليه السلام ويحتمل أن يكون حفظ قومه كما قال أولاً فإن الله وعدكم مع أنه تعالى وعده نقل عن بعض الفضلاء أنه قال قدم المعية هنا وأخرها في قوله ﴿إن الله معنا﴾ [التوبة: ٤٠] نظراً للمقام لأن المخاطب هنا بنو إسرائيل وهم أغبياء يعرفون الله تعالى بعد النظر والسماع من موسى عليه السلام والمخاطب ثمة الصديق وهو ممن يرى الله قبل كل شيء ولذا خص المعية هنا انتهى وأنت خبير بأن بني إسرائيل عارفون بالله تعالى فلا معنى لقوله يعرفون الله تعالى بعد النظر والسماع الخ[1] نعم بين معرفتهم ومعرفة الصديق بون بعيد وفرق سديد وبعض الكملة بين وجهه بالفرق بين حبيب الله وبين كليم الله فإن تكلمه في مقام قاب قوسين أو أدنى وتكلمه موسى في طور سيناء وقيل قال معي دون معنا لأنه هو المتيقن لذلك بما أوحى إليهم وهم خائفون ولذلك قالوا: ﴿إنا لمدركون﴾ [الشعراء: ٦١] وهذا وجه الافراد وأما وجه تقديم معي هنا ووجه تأخير معنا هناك فمسكوت عنه في كلامه على أن قوله: ﴿وهم خائفون﴾ إن أراد به أنهم غير متيقنين لذلك فبعيد لأنهم مؤمنون والخوف بحسب البشرية لا ينافي التيقن وقد

قوله: قال أمرت بالبحر قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح يرمي بموج مثل الجبال فقال يوشع يا مكلم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يواري حافر دابته الماء وقال الذي يكتم إيمانه يا مكلم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروه فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وروي أن موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل شيء والكائن بعد كل شيء فأوحى الله إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له أساف.

---

(١) فإن هذا الكلام يوهم أنهم قبل النظر وقبل السماع من موسى عليه السلام ليسوا بعارفين مع أنهم مؤمنون حينئذٍ.

besturdubooks.wordpress.com

قال تعالى: ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ [طه: ٦٧] قوله: ﴿وقد غشيك آل فرعون﴾ أي وقد قرب لحوقهم إياك ومن معك.

قوله: (ولعلي أومر بما أصنع) لعلي أومر أي أرجو أن يأمرني الله تعالى بما أصنع وهو الدخول في البحر وكان لم يؤمر به قبل الوصول إليه كذا قيل وهذا لا يلائم قوله فيما مر بل يكونون على إثركم حين تلجون البحر فيدخلون الخ فالأولى أن الترجي في مقام القطع كما هو عادة الأشراف وأومر حكاية الحال الماضية.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

قوله: (القلزم أو النيل) القلزم كعنقد هو الذي يتوصل أهل مصر إلى الطور وإلى مكة المشرفة وما والاها وقيل بلدين مصر ومكة قرب جبل الطور وإليه يضاف بحر القلزم لأنه على طرفه ولأنه يبتلع من يركبه والقلزم الابتلاع أو النيل أي نيل مصر وقد يطلق على النهر العظيم البحر.

قوله: (أي فضرب فانفلق) أي الفاء فصيحة والمعطوف عليه المحذوف ضرب.

قوله: (فصار اثني عشر فرقاً بينها مسالك) ليسلك كل سبط من الأسباط[1] الاثني عشر والمراد بالفرق ما ارتفع من الماء فصار ما تحته كالسرداب وفي الكشاف والطود الجبل المتطاول أي المرتفع إلى السماء.

قوله: (كالجبل المنيف الثابت في مقره) كالجبل المنيف أي العالي الثابت في مقره وإجماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل العالي الثابت في مقره معجزة باهرة لموسى عليه السلام كما كان معجزة تفرق الماء وروي أنه تعالى جعل في تلك الجدران المائية كوى ينظر منها بعضهم إلى بعض وهذا معجز آخر.

قوله: (فدخلوا[2] في شعابها كل سبط في شعب) شعابها جمع شعب وهو المسلك قيل الشعاب طرق في الجبال استعيرت أي استعيرت للمسلك قبل الفرق كناية عن قطعة من الماء ارتفعت عن سطح البحر بضربه حتى صارت كالجبل فلا يلزم كون الفرق ثلاثة عشرة على تقدير كون المسالك اثني عشر إلا إذا فرض أنه بكل ضربة انكشف الماء إلى ناحيتي المسلك وصار كطودين مكتنفين له فيزيد حينئذٍ عدد الفرق على المسالك أما على ما ذكر فلا والحاصل أنه لو كان المراد بالفرق طائفة انفصلت منه وصارت كالجسر لزم ما ذكر أما

قوله: فدخلوا في شعابها الشعب بالكسر الطريق في الجبل.

---

(١) وهم حفدة يعقوب عليه السلام فإن اثنا عشر ابناً كيوسف عليه السلام وبنيامين ويهوذا الخ ولكل واحد منهم ذراري لا تحصى.

(٢) لا بد من هذا التعبير ليعطف عليه وازلفنا كذا قيل.

besturdubooks.wordpress.com

لو أريد به ما ارتفع عن الأرض وصارت تحته أرض يبس كالسرداب والفرق هو الماء المرتفع كالسقف والقبة والطود فلا وقد صرح به المص بقوله كالجبل والنظم صريح فيه أيضاً انتهى قول المص وصار اثني عشر فرقاً بينهما مسالك يؤيد كون المراد بالفرق طائفة انفصلت منه وصارت كالجسر فلا بد من كون الفرق ثلاثة عشر حتى يحصل اثنا عشر مسلكاً بعدد الأسباط ليدخل كل سبط في شعب وفي كلام المص نوع خلل ولو قال اثني عشر فرقاً تحت كل منها مسالك لتم الكلام والله أعلم بالمرام.

قوله تعالى: وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤)

قوله: (وقربنا فرعون وقومه حتى دخلوا على إثرهم مداخلهم) وقربنا أي قربنا فرعون وقومه من أصحاب موسى عليه السلام ويناسبه قوله حتى دخلوا على إثرهم الخ وقيل قربنا بعضهم بعضاً كي يعمهم الفرق ولا حاصل له[1] قوله حتى دخلوا مستفاد من قوله تعالى: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ [الشعراء: ٦٦].

قوله تعالى: وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥)

قوله: (بحفظ البحر على تلك الهيئة إلى أن عبروا) من العبور بمعنى المرور أي جازوا البحر ودخلوا في البر.

قوله تعالى: ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦)

قوله: (بإطباقه عليهم) أي بإخراج البحر عن تلك الهيئة وإعادته إلى الحالة الأصلية وهذا هو المراد من إطباق البحر عليهم وكلمة ثم دلت على تأخر غرق الهالكين عن خروج الناجين وذلك بحبس جبرائيل أولهم ليلحق به آخرهم حتى لا يشذ منهم أحد كذا قيل قوله وقربنا ثم الآخرين لا يلائمه إذ الظاهر أن بداية غرقهم عقيب نجاتهم فكلمة ثم إما بالنظر إلى آخر الفرق أو المراد التراخي الرتبي قال تعالى: ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده﴾ [يونس: ٩٠] الآية فأتي بالفاء بالنظر إلى أول الأمر.

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (٦٧)

(وأية آية).

قوله: (وما تنبه عليها أكثرهم إذ لم يؤمن بها أحد ممن بقي في مصر من القبط وبنو

قوله: وأية آية يعني أن تنكير آية للتعظيم يقال جاء رجل أي رجل أي كامل في الرجولية.

قوله: وما تنبه عليها أكثرهم أي ما تنبه على تلك الآية أي المعجزة الدالة على أن ما أمر به موسى واجب الإيمان به أكثرهم أي أكثر من بقي بعد هلاك فرعون حيث لم يتأملوا فيها ولم يعتبروا ولم يتعظوا بها حتى يؤمنوا.

---

(١) إذ عموم الفرق لا يقتضي قرب بعضهم بعضاً بل يقتضي دخول البحر جميعاً.

besturdubooks.wordpress.com

إسرائيل[1] بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا ﴿لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة: ٥٥]] سألوا خبر لبنو إسرائيل أشار إلى الأكثر الذي لم يؤمنوا بعد مشاهدة هذه الآية العظيمة وهم القبطي عن آخرهم وبعض بني إسرائيل سألوا بقرة كما بينه تعالى بقوله: ﴿قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ [الأعراف: ١٣٨] لأنهم كانت لهم تماثيل على صورة البقرة فقوله بقرة استعارة البقرة للصورة.

قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

قوله: (المنتقم من أعدائه) ولذا أهلك فرعون وقومه بالبحر.

قوله: (بأوليائه) وعن هذا أنجى موسى ومن معه من البحر ومن استيلاء الأعداء وبهذه الملاحظة يظهر مناسبة ختم الكلام لما قبله وأخر الرحيم للفاصلة مع أنه ناظر إلى الإنجاء المقدر ذكراً.

قوله تعالى: وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

قوله: (على مشركي العرب) هم مذكورون[2] حكماً فإن إبراهيم جد العرب فإن نبأ إبراهيم ينبغي أن يخص بهم وإن ذهب بعضهم إلى أنه لجميع الناس والنبأ الخبر العجيب الشأن والمراد به قصته مع أبيه وقومه ذكر قصته إثر قصة موسى عليه السلام تسلية له عليه السلام بأن حزن[3] إبراهيم عليه السلام أشد من حزنه.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾

قوله: (سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة) سألهم مع علمه بأنهم عبدة الأصنام ليريهم ليعلمهم أن ما يعبدونه الخ أي أن الاستفهام ليس على حقيقته بل لأن يتوسل به إلى أن ما يعبدونه الخ وحاصله أن الاستفهام هنا للإنكار لا

قوله: سألهم ليريهم أن ما يعبدونه لا يستحق العبادة أعني ليس مراد إبراهيم من سؤاله هذا أن يعلم هو حقيقة ما يعبدونه من الأصنام لأنه عالم به ما هو بل مراده من السؤال أن يريهم ويعلمهم قطعاً بعد جوابهم له بأن نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين أن أصنامهم التي يعبدونها لا تستحق أن تعبد لاتصافها بالعجز عن النفع والضر فالمراد بالسؤال استنطاقهم ليجيبهم بما أجاب كما تقول للتاجر ما مالك وأنت تعلم أن ماله الرقيق فيقول الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال.

---

(١) أي بنو إسرائيل مبتدأ خبره سألوا.

(٢) فيكون كذكر الميت في آية الميراث.

(٣) وأنه صبر حتى أتاه نصر الله فاصبر حتى أتاك نصرنا.

besturdubooks.wordpress.com

للاستعلام قوله إذ قال بدل[١] من نبأ[٢] إبراهيم أو ظرف له.

قوله: (قالوا نعبد) استئناف ونعبد للاستمرار.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ۝٧١﴾

قوله: (فأطالوا[٣] جوابهم) يعني بزيادة قولهم نعبد فنظل لها عاكفين مع أن أصناماً يكفيه وهذا الجواب لكون ظاهر ما تعبدون استعلاماً وإلا فلا استعلام فلا يحتاج إلى الجواب.

قوله: (بشرح حالهم معه تبجحاً به وافتخاراً ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل) بشرح أي ملتبساً به قوله معه كالتأكيد لمعنى الملابسة وفي نسخة وشرح حالهم الظاهر أنه نصب على المفعول معه أو أنه من باب علفتها تبناً وماء بارداً أي ذكروا شرح حالهم معه أي مع الجواب وهو الظاهر[٤] لخلو لفظ معه حينئذٍ عن التمحل قوله تبجحاً بتقديم الجيم على الحاء أي سروراً وكون ضمير معه للأصنام بتأويل ما تعبدون أو لإبراهيم عليه السلام ومع بمعنى عند عدول عن نهج السداد قوله بمعنى ندوم أي نظل فعل تام بمعنى دام وعاكفين حال وكونه بمعنى صار وعاكفين خبراً له لا يلائم كلام المص وإن كان حسناً في نفسه قوله وقيل الخ فعلى هذا يكون فعلاً ناقصاً دالاً على

قوله: فأطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحاً وافتخاراً يعني أن قول إبراهيم عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فقط وكان القياس أن يقولوا في جوابه أصناماً كقوله ﴿ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو﴾ وماذا قال ربكم قالوا الحق ﴿وماذا انزل ربكم قالوا خيراً﴾ وهم قد جاؤوا بقصة أمرهم كاملة وزادوا في الجواب ابتهاجاً وافتخاراً فاشتمل كلامهم على جواب إبراهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار حيث عطفوا على قولهم ﴿نعبد أصناماً﴾ قولهم ﴿فنظل لها عاكفين﴾ وهذه الزيادة ليست داخلة في السؤال.

قوله: ونظل بمعنى ندوم يعني أن ظل ههنا بمعنى الدوام كما يجيء كان للدوام فالمعنى نعكف عليها عكوفاً دائماً أي ليلاً ونهاراً.

قوله: وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وهذا المعنى هو ما اختاره صاحب الكشاف حيث لم يتعرض للأول لأنه أصل معناه يقال ظللت أعمل كذا بالكسر ظلولاً إذا عملته بالنهار دون الليل مشتق من الظل لأن الظل في الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل ومنه قوله تعالى: ﴿فظلتم تفكهون﴾ [الواقعة: ٦٥] كذا في الصحاح.

---

(١) والضمير في قومه رجوعه إلى أبيه أولى من رجوعه إلى إبراهيم وإن لزم تفكيك الضمير لأنه أمر سهل لقوله: ﴿أني أريك وقومك﴾ الآية.

(٢) بدل الاشتمال والاحتمال الثاني أسلم.

(٣) المراد بالجواب مجموع الجواب وشرح حالهم بعموم المجاز فلذا أوقع الاطالة عليه مع أنه لا طول في الجواب ولم يقل اطنبوا لعدم الفائدة فيه.

(٤) إذ جعل الواو بمعنى مع يغني عن ذكر معه فاحتيج إلى التمحل.

besturdubooks.wordpress.com

اقتران مضمون الجملة بالنهار مرضه لأن كون عبادتهم بالنهار دون الليل بعيد جداً.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله: (يسمعون دعاءكم) بتقدير مضاف فيكون متعدياً إلى مفعول واحد لأنه داخل على المسموع وقد عرفت أنه إذا دخل على مسموع يتعدى إلى واحد.

قوله: (أو يسمعونكم تدعون) فعلى هذا يتعدى إلى مفعولين لأنه إذا دخل على غير مسموع يتعدى إلى اثنين بشرط أن يكون الثاني مما يدل على الصوت مثل سمعت زيداً يقول وهذا كثير في رواية الحديث مثل سمعت رسول الله أو النبي عليه السلام يقول أو يتكلم الخ هذا مختار أبي علي الفارسي وعند غيره يتعدى أيضاً إلى واحد وإن كان معرفة فالجملة حال وإلا فصفة فتدعون في قوله أو يسمعونكم تدعون إما مفعول ثانٍ أو حال.

قوله: (فحذف ذلك لدلالة إذ تدعون عليه وقرىء يسمعونكم أي يسمعونكم الجواب عن دعائكم) فحذف ذلك أي ما ذكر من المضاف على الأول أو الجملة أي تدعون على الثاني لدلالة إذ تدعون أي دلالة عقلية على ذلك وأفرد ذلك[1] لأن المذكورين عطف بأو أحدهما على الآخر قوله وقرىء يسمعونكم من الاسماع فحينئذٍ المحذوف الجواب وهو المفعول الثاني وعن دعائكم متعلق بالجواب وعلى كلتا القراءتين الاستفهام ليس على حقيقته بل ليراهم أن ما يعبدون بمعزل عن السمع أو الإسماع والنفع والضر فضلاً عن العبادة.

قوله: (ومجيئه مضارعاً مع إذ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها) يعني

قوله: يسمعون دعاءكم أو يسمعونكم يدعون لما وقع مفعول يسمع في هل يسمعونكم نفوس المخاطبين وهم ليسوا مما يصلح أن يتعلق به السماع لأن المسموع يجب أن يكون من جنس الأصوات فسره بوجهين الوجه الأول أن يكون المضاف محذوفاً فمعنى هل يسمعونكم هل يسمعون دعاءكم والثاني أن يكون تقديره يسمعونكم تدعون مثل سمعت زيداً يقول كذا ليكون تدعون حالاً من المفعول قيداً للفعل فينسحب معنى السماع إلى القيد فيكون المسموع في كلا الوجهين الدعاء وهو من قبيل الصوت ولولا تقدير المضاف أو ذكر الوصف أو الحال لم يكن منه بد فلا يقال سمعت زيداً بل يقال سمعت كلام زيد أو سمعت رجلاً قائلاً كذا أو سمعته يقول كذا كما في قوله تعالى: ﴿سمعنا منادياً ينادي للإيمان﴾ [آل عمران: ١٩٣] وقرينة المحذوف هنا على الوجهين الظرف وهو إذ تدعون.

قوله: ومجيئه مضارعاً مع إذ على حكاية الحال الماضية أي مجيء تدعون أو يسمعونكم أو كل واحد منهما فإن كل واحد منهما مظروف لإذ وهو ظرف لهما وهو يقتضي المضي لأنه موضوع لما مضى من الدهر فمقتضى الظاهر أن يقال هل سمعوا إذ دعوتموهم لكن خولف الأصل

---

(١) ومثل هذا العطف بأو دون الواو يختار الإفراد في ضميره وإشارته قال تعالى: **﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾** [البقرة: ٢٧٠] أفرد ضمير يعلمه لذلك.

besturdubooks.wordpress.com

والحال أن إذ مختصة بالمضي قوله على حكاية الحال الماضية فحينئذٍ يكون تعبدون ونعبد لحكاية الحال الماضية والأولى الاستمرار هنا وهناك فإنهم في صدد العبادة والدعاء بعد ومثل ذلك لا يقال له لحكاية الحال الماضية فحينئذٍ كلمة ﴿هل في هل يسمعونكم﴾ في موقعها ولا يحتاج إلى الاعتذار بأن المعتبر هنا زمان الحكم لا زمان التكلم وهنا كذلك[١] فلا إشكال بأن هل تخلص المضارع بالاستقبال فيضر كونها حكاية للحال الماضية.

قوله تعالى: أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

قوله: (على عبادتكم لها) عدي بعلى لتضمنه معنى الجزاء وجعلها للتعليل بعيد.

قوله: (من أعرض عنها) أي منكم فالضر متعلق بهم أيضاً لاقتضائه الخطاب وأما حذف الضمير أي لفظ كم فللفاصلة ولقد أبعد من قال قوله من أعرض إشارة إلى أن الضر لا يتعلق بهم ولذا لم يقل يضرونكم لما عرفت من الخطاب والكلام معهم قول المص اضربوا[٢] عن أن يكون لهم سمع الخ صريح فيما ذكرنا.

قوله تعالى: قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

قوله: (اضربوا عن أن يكون لهم سمع أو يتوقع منهم ضر أو نفع والتجأوا إلى التقليد) اضربوا أشار إلى أن بل ليس للترقي بل للإضراب عن المحذوف بدلالة سوق الكلام أي قال المشركون حين قال لهم إبراهيم عليه السلام ذلك لا يكون[٣] لهم سمع أو ضر بنفسه أو نفع بل وجدنا آباءنا كذلك[٤] يفعلون ففعلنا كذلك[٥] وفي هذا الجواب إشارة إلى أن ليس لهم في ذلك دليل عقلاً أو نقلاً أيضاً وإنما عبادتنا لمجرد التقليد لمن هم محرومون عن التحقيق قدم ضراً مع أنه مؤخر في النظم إشارة إلى أن كل واحد منهما يستحق التقديم من وجه إذ نفع ما مطلوب جلبه لقصد الانتفاع والتمتع والضر دفعه مطلوب

لاستحضار الصورة الماضية كأنه قيل استحضروا الأحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقتاً فوقتاً وقولوا هل سمعوا قط وهذا أبلغ في الزامهم وتبكيتهم من التعبير بلفظ المضي.

قوله: من اعرض عنها أي أو يضرون من اعرض عن عبادتهم فالضمير في عنها للعبادة لا للأصنام قوله والتجأوا إلى التقليد أي إلى تقليد آبائهم لما عجزوا عن الاحتجاج وافحموا والقموا الحجر ولم يبق لهم محاجة أجابوا بأن داعية العبادة لها التقليد لابآئهم.

---

(١) لأن السماع بعد الدعاء.

(٢) والظاهر أنهم علموا أن ما يعبدونه ليس بمستحق بالعبادة فاتضح قوله وإنما سأله لبرائهم أي ليعلمهم الخ والظاهر ترتب علمهم على إعلامه وإن لم يكن لازماً له.

(٣) أي لا نعبدهم لكونهم سامعين نافعين بل وجدنا.

(٤) مفعول يفعلون قدم للفاصلة ويفعلون إما حال إن قيل إن الوجدان بمعنى المصادفة أو مفعول ثانٍ أن قيل إنه بمعنى العلم والأول هو المعول.

(٥) لأنهم كانوا خيراً منا وأعلم.

besturdubooks.wordpress.com

بل قيل إنه أهم من جلب النفع ولذلك قدم نفع في النظم الكريم في موضع وقدم ضر فيه في محل آخر وقيل آخر النفع لمراعاة السجع مع لفظ السمع وهذا كما ترى.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦﴾

قوله: (قال) إبراهيم عليه السلام استئناف ولم يعطف الأقاويل بعضها على بعض تنبيهاً على أنها أصل على حيالها غير تبع بعضها لبعض والهمزة[١] داخلة في المعطوف المحذوف أي ءانتبهتم فعلمتم حال الذين تعبدونه من أنه لا يقدر[٢] النفع ولا الضر فلا يستحق العبادة ما تعبدونه وما عبده آباؤكم الأقدمون هذا إذا كان ما موصولة أو فعلتم أي شيء تعبدونه إذا كان ما استفهامية.

قوله: (فإن التقدم[٣] لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقاً) أشار إلى أن الاستفهام للإنكار التوبيخي حاصله لا يكون منكم تنبه ولا علم ما تعبدونه وأحواله مع أنه بديهي وأما تقدم عبادة آباؤكم الأقدمون فليس بشيء يفيد صحة تلك العبادة فإنها باطلة[٤] فالتقدم لا ينقلب به الباطل حقاً فأنى لكم التمسك بذلك قوله: ﴿ما كنتم تعبدون﴾ [الشعراء: ٧٥] يؤيد ما قلنا من أن الأفعال المضارعة هنا للاستمرار لا لحكاية الحال الماضية وصيغة العقلاء هنا لإسناد أفعال العقلاء إليهم إذ السمع والنفع والضر من أفعال العقلاء.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾

قوله: (فإنهم أي هذه الآلهة التي تعبدونها) فإنهم أي الأصنام عدو لي الفاء جزائية أي إذا ظهر عجزهم فضلاً عن استحقاق العبادة فهم عدو لي وكلمة التأكيد للمبالغة في صدق ذلك قال الفاضل المحشي أي فأخبركم وأعلمكم مضمون هذا الكلام ويجوز والله

قوله: فإن التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقاً لما أجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقوا أمر تقليدكم هذا إلى اقصى غاياته وهي عبادة الأقدمين الأولين من آبائكم فإن التقدم والأولية لا يكون برهاناً على الصحة والباطل لا ينقلب حقاً بالقدم وما عبادة من عبد هذه الأصنام إلا عبادة أعداء له ومعنى العداوة قوله تعالى: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً﴾ [مريم: ٨٢] من حيث إنهم يتضررون من جهة أصنامهم في جهنم بما يتضرر به الرجل من جهة عدوه أو لأن المغري على عبادتها أعدى عدو الإنسان وهو الشيطان.

---

(١) أي همزة أفرأيتم.

(٢) إشارة إلى أن المنفي عنهم القدرة على النفع والضر.

(٣) كأنه أشار إلى وجه وصفهم بالأقدمين.

(٤) وضلال قديم لا فائدة في قدمه إلا ظهور بطلانه لأن المعنى كما علمت اتنبهتم وعلمتم أي شيء تعبدونه أنتم ومن قبلكم من آبائكم الأقدمين إذ علة البطلان وهي عدم السمع والنفع والضر مشتركة فأين الفائدة في قدم الباطلة.

besturdubooks.wordpress.com

أعلم أن يكون ﴿ما كنتم تعبدون﴾ مبتدأ قوله فإنهم خبره فحينئذٍ لا حاجة إلى تقدير الحال كما احتيج في كونه مفعول رأيتم وما حينئذٍ لا يحتمل أن يكون استفهامية وقد جوزه سابقاً فحينئذٍ تكون الجملة مفعول علمتم وكونهم عدواً له ليس معلوماً مما سيق لهم كما هو مقتضى الفاء فلا جرم أن هذا الاحتمال ضعيف جداً.

قوله: (يريد أنهم أعداء لعابديهم)[1] ولا يريد ظاهره من أنهم عدو له.

قوله: (من حيث إنهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه) فيه إشارة إلى أن الكلام تشبيه بليغ إذ معنى أنهم عدو أي أنهم كالعدو وجه الشبه التضرر من جهتهم الخ غاية الأمر أن فاعل الضرر ليس بأصنام بخلاف العدو فإنه هو الفاعل للضرر.

قوله: (أو إن المغري بعبادتهم أعدى أعدائهم وهو الشيطان) أو أن المغري أي المحرض الباعث عطف على قوله إنهم أعداء لعابديهم أي يريد به عليه السلام إما ذلك أو يريد أن المغري المرغب بعبادتهم أعدى أعدائهم فإسناد العداوة إليهم مجاز عقلي من إسناد حال المرغب إلى العابد فلا يكون حينئذٍ في الكلام تشبيه بليغ قدم الأول لظهوره ولخلوه عن التمحل[2] الذي ذكره.

قوله: (لكنه صور الأمر في نفسه تعريضاً لهم فإنه أنفع في النصح من التصريح وإشعاراً بأنها نصيحة) لكنه عليه السلام صور الأمر أي أمر العداوة في نفسه النفيسة حيث قال عدو لي مع أنهم لا عداوة له قطعاً تعريضاً لهم أي الكلام كناية على سبيل التعريض كقوله: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢] الآية قيل والمعنى إني فكرت في عبادتي لها لو صدرت مني فرأيتها عبادة للضار العدو فتركتها لمن الخير كله في عبادته ولا

قوله: لكنه صور الأمر في نفسه استدراك عن قوله: يريد أنهم أعداء لعابديهم يعني أن قول إبراهيم فإنهم عدو لي كلام تعريضي مثل ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢] والمقصود ما لكم لا تعبدون الذي فطركم فمراد إبراهيم عليه السلام بقوله ﴿فإنهم عدو لي﴾ فإنهم أعداء لكم لكنه صور أمر عداوة الأصنام في نفسه حيث قال عدو لي ولم يقل عدوكم تعريضاً لأن التعريض في النصح أنفع من التصريح فإنه قد يبلغ التعريض للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لأنه يتأمل فيه فربما قاده التأمل إلى قبول النصيحة ومنه ما يحكى عن الشافعي رحمه الله أن رجلاً واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث أنت لأصبحت إلى أدب قوله وإشعاراً بأنها نصيحة بدأ بنفسه أي إشعاراً بأن تلك النصيحة نصيحة نصح بها أولاً نفسه فيكون تصويراً للأمر في نفسه على أني تأملت في أمري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منهم ليريهم بذلك أنها نصيحة نصح بها نفسه أولا ويبني عليها تدابير أمره لينظروا فيقولوا ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه ليكون ادعى لهم إلى القبول وأبحث على الاستماع.

---

(١) وقيل هذا على القلب وأصله أني عدو لهم ولا يخفى أن حسن القلب إن تضمن اعتباراً لطيفاً وهنا ذلك ليس بمعلوم.

(٢) وهو تقدير المضافين أي فإن مغري عبادتهم أو مجاز عقلي.

besturdubooks.wordpress.com

يخفى ما فيه إذ رئيس الموحدين بعيد عن هذا الفكر وخطوره بباله السليم ولو قيل إنه فرض من أواه حليم والكناية التعريضية لا يحتاج إلى هذا التكلف العظيم ففي قوله تعريضاً إشارة إلى أنه يحتمل أن يكون مجازاً إذا قيل إن الأصنام لا تصلح أن تكون عدواً لإبراهيم عليه السلام وإلا فيكون كناية كما ذهب إليه الطيبي والتعريض مشهور في الكناية لا في المجاز.

قوله: (بدأ بها نفسه ليكون ادعى إلى القبول)[1] بدأ بها نفسه وفيه تنبيه على أن المراد بها نفسه وغيرها وقد قال أولاً المراد غيرها تعريضاً لهم إلا أن يقال إن المعنى الحقيقي مراد في الكناية إما لذاته وهو مختار صاحب المفتاح أو للانتقال إلى المعنى الكنوي كما اختاره غيره لكن في كونه مجازاً فالأمر مشكل.

قوله: (وإفراد العدو لأنه في الأصل مصدر) ويجوز أن يكون المعنى فإن كل واحد منهم عدو ويجوز أن يكون توحيده لوحدة المعنى الذي هو معاداتهم فإنهم بذلك كالشيء الواحد وقد مر التفصيل في قوله: ﴿وجعلنا للمتقين إماماً﴾ [الفرقان: ٧٤].

قوله: (أو بمعنى النسب) أي ذو عداوة فيستوي فيه الواحد وغيره لكن صيغته في فعول غير متعارف ولعل لهذا اخره.

قوله: (استثناء منقطع) وهو الظاهر المناسب للسوق حيث تقدم ذكر الأصنام وضمير فإنهم راجع إليها.

قوله: (أو متصل على أن الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله) أو متصل على أن الضمير أي ضمير فإنهم لكل معبود حقاً كان أو باطلاً على أن ما يعم أولى

قوله: لأنه في الأصل مصدر أي لأن العدو في الأصل مصدر على وزن القبول حمل عليهم حمل المصدر على الذات للمبالغة على طريقة رجل عدل أو هو صفة مشتقة لكن ترك المطابقة لكونه بمعنى النسب فمعناه أنهم ذوو عداوة لي كما هو تأويل قولك امرأة طامث وناقة لابن أي ذات طمث وذات لبن على وجه.

قوله: أو متصل على أن الضمير لكل معبود أي أن الضمير في فإنهم راجع إلى كل معبود إذ حينئذٍ يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه بخلاف الوجه الأول والقول باتصال الاستثناء بعيد ولذا تركه صاحب الكشاف قال ﴿إلا رب العالمين﴾ استثناء منقطع قال صاحب الكشاف لأنه تعالى ليس من جملة الأعداء خبر عن الأصنام بأنهم أعداء ثم أخذ في حديث آخر فقال لكن رب العالمين الذي خلقني فهو يهديني وقال أبو البقاء ويجوز أن يكون متصلاً لأن آباءهم قد كان منهم من يعبد الله وغير الله وعلى تقدير كون الاستثناء منقطعاً يكون إلا بمعنى لكن أي ولكن رب العالمين.

---

(١) قوله ليكون ادعى لهم إلى القبول إذ حينئذٍ يقولون ما نصحنا إبراهيم إلا بما نصح به نفسه وما أراد لنا إلا ما أراد لروحه فربما قاده التأمل إلى القبول.

besturdubooks.wordpress.com

العلم وغيره قال المص في سورة الزخرف ﴿وأنهم كانوا يعبدون الله والأوثان﴾ انتهى وهنا قال وكان من آبائهم من عبد الله تعالى فبين القولين نوع تنافر فإن من عبد الله هو آباؤهم على ما فهم هنا وأنفسهم على ما فهم من كلامه في سورة الزخرف والتوفيق هو أن عبادة الله تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادة غيره كأنه عبد غيره ولم يعبده تعالى كذا صرح في قوله تعالى: ﴿وإذ قال يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ [المائدة: ١١٦] الآية وكلامه هنا مبني على ذلك وكلامه في سورة الزخرف بناء على ظاهر عبادته تعالى وكون الاستثناء متصلاً بني هنا على أنهم ليسوا عابدين له حقيقة وجعل الضمير لكل معبود سواء كان معبودهم أو معبود آبائهم على طريق الاستخدام إذ لا يقتصر الإرادة على الأصنام بقرينة الاستثناء لأن الأصل فيه الاتصال وأما الانقطاع فمجاز كما في التوضيح وبني في سورة الزخرف كونه متصلاً على أنهم عابدون له تعالى أيضاً بحسب الظاهر ولو لم يكن معتداً به فاندفع بذلك التوفيق اضطراب العلماء[١] هنا كما لا يخفى.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨﴾

قوله: (﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾) صيغة المضارع هنا لأن الهداية[٢] مستقبل بالنسبة إلى الخلق.

قوله: (لأنه يهدي كل مخلوق لما خلق له من أمور المعاش والمعاد كما قال ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣]) لأنه يهدي كل مخلوق سواء كان من ذوي العلم أو لا لما خلق له طبعاً أو اختياراً الأول في الحيوان وهو ظاهر والثاني في النباتات فإنها تتوصل إلى كماله بالتغذية طبعاً لا اختياراً وتمام التفصيل في قوله تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣] حمل الهداية على المعنى اللغوي وهو التعريف كيف يرتفق بما أعطاه الله تعالى إياه وكيف يتوصل به إلى بقائه وكماله اختياراً أو طبعاً قال المص في قوله تعالى: ﴿والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ٣] فوجهه إلى أفعاله طبعاً أو اختياراً بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات[٣] لأن المقام مقام استدلال على أن العبادة بالحق مختصة بالله تعالى لأنه هاد ومعرف كل مخلوق لما خلق له والجماد بمعزل عن ذلك مع أنه شامل للهداية في أمر الدين لكن قوله والمعاد ليس بعام لكل مخلوق بل هو مختص بذوي العقول إذ الحكم بشيء على كل إفراد لا يستلزم الحكم على كل فرد فرد منه ولو سلم فالعقل يخصصه.

---

(١) حيث قال ابن كمال لا حاجة إلى هذا لأنهم أيضاً يعبدون الله تعالى إلا أنهم يشركون الأصنام في العبادة دل على ذلك قوله: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ وأجاب الفاضل المحشي بأن قولهم في جواب إبراهيم عليه السلام نعبد أصناماً دون أن يقولوا نعبد الله وأصناماً يدل على أن عبادتهم مقتصرة على الأصنام إلى آخر ما قاله واندفاع الاضطراب ظاهر مما قررناه فليتأمل.

(٢) واختيار الجملة الاسمية للدلالة على الدوام ولذا قال هداية مدرجة ولو قيل خلقني فيهدين لا يفيد ذلك.

(٣) علة لقوله حمل الهداية الخ.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (هداية مدرجة من مبدأ إيجاده إلى منتهى أجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدؤها بالنسبة إلى الإنسان هداية الجنين إلى امتصاص دم الطمث من الرحم) هداية مدرجة نصب على أنه مصدر ليهدي الجنين ما في بطن الأمهات دم الطمث أي الحيض ولذا انقطع دم الحيض عن الانصباب مدة الحمل قيل هذا بناء على ما اشتهر ونقل عن جالينوس وأنه لذلك يصيبه الجدري وغيره من الأمراض الدموية لكن الحكيم بن زهر أنكره وقال إن جالينوس أراد بدم الطمث ما في الرحم صالحاً لا دم الحيض فإنه دم فاسد لو اغتذى به الجنين لم يتصور حياته وإنما لم ينصب دم الحيض مدة الحمل للرحم لاشتغال الرحم وهو وإن كان مما يقبله العقل فالظاهر أنه لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى فلا يجزم بشيء منهما إلا إذا اعتضد بدليل سمعي انتهى ولو بني هذا على ما اشتهر من الفقهاء لا من جالينوس لكان أنسب بعلمنا هذا علم القرآن فإن الفقهاء صرحوا به فلا تخالط بعلمنا هذا كلام الحكماء وأما بحث الحكيم بن زهر فيشابه كونه رجماً بالغيب لأنه لم لا يجوز أن يكون الدم الفاسد في نفسه نافعاً للجنين غير ضار به لخاصة أودعها الله فيه ألا يرى أن الحيات غذاء للظبي وهي مع كونها مضرة ذات سم قاتل نافعة له وإن بعض الطير يأكل النار ولا يضره[1] قوله مبدؤها الخ أشار إلى أن هدايته المتصلة بالخلق لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعينه فمن هذه أن يغتذي الجنين بالدم في البطن امتصاصاً وإلى معرفة الثدي عند الولادة.

قوله: (ومنتهاها الهداية إلى طريق الجنة والتنعم بلذائذها) فيه دلالة على ما قلنا من أن الهداية عامة للهداية العرفية.

قوله: (والفاء للسببية إن جعل الموصول مبتدأ) إشارة إلى أن المبتدأ يتضمن معنى الشرط فدخلت الفاء في خبره إذ الشرط الموصول هنا وإن كان خاصاً به عليه السلام لكن المراد عام إلى كل مخلوق بطريق التعريض مثل قوله تعالى: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني﴾ [يس: ٢٢][2] وللإشارة إلى ذلك قال المص يهدي كل مخلوق في توضيح قوله: ﴿فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٨] على أن العموم في المبتدأ ليس بشرط فإنه قد يكون خاصاً كما في قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا﴾ [البروج: ١٠] فإنها مسوقة للحكاية عن جماعة مخصوصين حصل منهم الفتن والإحراق وتمام التفصيل في شرح الرضي كذا قاله الفاضل المحشي ثم قال وما وقع في بعض الكتب من أنه لا بد لصحة دخول الفاء في الخبر أن يقصد أن المبتدأ سبب للخبر وأن يكون غير معين فهو ينبغي أن يكون بناء على الأكثر الأغلب.

قوله: والفاء للسببية أن جعل الموصول مبتدأ لتضمن المبتدأ حينئذٍ معنى الشرط.

---

(١) لخاصة فيه فلا يضره النار فليكن الجنين مثله.

(٢) فلا يرد إشكال أبي حيان الذي نقله الفاضل المحشي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وللعطف إن جعل صفة رب العالمين) والعطف بالفاء لإفادة تعقيب الهداية الخلق فلهذا السر جعل المص الهداية بالمعنى اللغوي وعاماً للمبدأ والمنتهى وسره ما ذكرناه آنفاً إن جعل صفة رب العالمين كما هو الظاهر من السوق لكن هذا يتوقف على أن إضافة الرب إلى العالمين معنوية لا لفظية ولذا أخره وقد فصل هذا في سورة الفاتحة ثم قيل إن سببية الخلق للهداية بمقتضى الحكمة فإن من أوجده يتكفل بما به قوامه وبقاؤه وقيل إنها سبب للإخبار[1] لا للهداية وأنها غير مسببة عن الخلق وإن السببية قد تجامع العطف كما في الذي يطير الذباب فيغضب زيد فلا وجه للتخصيص ولا تخصيص في كلام المص غايته أنه لم يتعرض له على أن السببية غير ظاهرة كما عرفته والظاهر أنه للتعقيب فقط وأن المثال المذكور جمع العطف مع السببية احتمال مرجوح فيه والراجح أن الفاء للسببية دون العطف.

قوله: (فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق) اختلاف النظم أي بالمضي والاستقبال هذا على تقدير العطف وأما على الأول فلا يحتاج إليه قوله لتقدم الخلق فيكون لهداية بالنسبة إليه مستقبلاً وإن كانا ماضيين في الواقع.

قوله: (واستمرار الهداية) أي التجددي لأن الجملة وإن كانت اسمية لكن خبرها جملة فعلية[2] فعلها مضارع.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۝٧٩﴾

قوله: (وقوله ﴿والذي هو يطعمني ويسقين﴾ على الأول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة

قوله: وللعطف إن جعل صفة رب العالمين فيكون للتعقيب إذ الهداية بعد الخلق لأنه تعالى لما خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته فح فيكون اختلاف النظم أي اختلاف المعطوف والمعطوف عليه في الصفة بأن جعل المعطوف عليه وهو خلقني على صيغة المضي لتقدم الخلق على الهداية والمعطوف على صيغة المضارع لكون المراد به الاستمرار التجددي ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع ومن اسمية الجملة حيث قيل فهو يهدين ولم يقل فيهدين فقوله واختلاف النظم يتناولهما فإن مقتضى الظاهر أن يقال الذي خلقني فهداني فغير هداني إلى يهديني ثم إلى فهو يهديني وذهب أبو البقاء وصاحب الكشاف إلى أن قوله: ﴿الذي خلقني﴾ [الشعراء: ٧٨] مبتدأ وقوله: ﴿فهو يهديني﴾ [الشعراء: ٧٨] خبره وما بعده من الذي صفات للذي الأولى ويجوز ادخال الواو في الصفات لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف مثل سبعة وثامنهم كلبهم.

قوله: على الأول مبتدأ أي قوله ﴿والذي هو يطعمني ويسقيني﴾ على الوجه الأول وهو أن يجعل الموصول في الذي خلقني مبتدأ خبره محذوف تقديره والذي هو يطعمني ويسقيني فهو يهديني حذف الخبر لدلالة المذكور قبله عليه فيكون مثل زيد منطلق وعمرو إلا أن المعطوف في

---

(١) مثل قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾ [النحل: ٥٣].

(٢) وهذه الجملة الاسمية تفيد الاستمرار التجددي ما لم يقم قرينة على الاستمرار الدوامي.

besturdubooks.wordpress.com

ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من تلك الصلات) على الأول أي كون الذي مبتدأ خبره فهو يهدين محذوف الخبر وهو ﴿فهو يهدين﴾ وكذا اللذان وهما ﴿والذي يميتني﴾ الآية ﴿والذي أطمع﴾ الآية قوله على الوجهين في الذي خلقني وهما الابتدائية والوصفية.

قوله: (مستقلة باقتضاء الحكم) أي الخبر نفسه أو ما تضمنه الخبر إن جعل الموصول مبتدأ وإن كان صفة فالحكم[1] الاستثناء من العداوة.

قوله تعالى: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾

قوله: (عطف على يطعمني ويسقين) فيكون التقدير والذي هو إذا مرضت فيكون الصلة جملة اسمية مفيدة لتقوي الحكم كالمعطوف عليه ولذا لم يجعل معطوفاً على جملة هو يطعمني.

قوله: (لأنه من رواد فهما من حيث إن الصحة والمرض في الأغلب) لأنه من رواد

الآية عين المعطوف عليه بحسب الذات وإن كان غيره بحسب المفهوم أقول في هذا الوجه نظر إذ يلزم منه اعلام ما هو معلوم بالكلام الأول لأن المعنى حينئذٍ يكون هكذا الذي خلقني فهو يهديني والذي يطعمني ويسقيني فهو يهديني والذي يميتني ويحييني فهو يهديني والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي فهو يهديني.

قوله: وكذا اللذان بعده وهما الذي يميتني ثم يحييني والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني أنهما على الوجه الأول مبتدأن خبراهما محذوفان بعدهما لدلالة المذكور عليهما ويجوز أن يراد بالتثنية في قوله وكذا اللذان تثنية لفظ الذي لتكرر ذكره بعده مرتين وأن يراد تثنية معنييهما وهما أيضاً لفظا الذي المذكورين بعده.

قوله: وتكرير الموصول على الوجهين أي تكرير الموصول في ﴿الذي هو يطعمني ويسقيني﴾ وفيما عطف عليه على كلا الوجهين أي على تقديري جعل الموصول مبتدأ أو صفة للدلالة على أن كل واحدة من الصلات التي هي الخلق والهداية في المعطوف عليه والإطعام والسقي والشفاء في المعطوف الأول والإماتة والإحياء في المعطوف الثاني وطمع المغفرة في المعطوف الثالث أمور مستقلة باقتضائها حكم الرضى لرب العالمين فإن معنى فإنهم عدو لي إلا رب العالمين فأنا اعاديهم إلا رب العالمين ومنطوقه الصريح نفي معاداته لرب العالمين ويلزمه ثبوت الرضى له فكأنه قيل فأنا لا أرضى ما عبدوه ولكن أرضى رب العالمين أو لا أرضى كل معبود سوى رب العالمين.

قوله: أنه من روادفهما تصحيح لجهة العطف ويكفي في حسن العطف التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه ولو في قيد من قيودهما وإلا فبين المعطوف الذي هو يشفيني وبين المعطوف عليه الذي هو يطعمني ويسقيني مباعدة لأن معنى الشفاء بعيد عن معنيي الإطعام والسقي

---

(١) والحكم في الاستثناء منطوق عند الأئمة الشافعية وثابت ضرورة أو دلالة عند علمائنا الحنفية كما بين في الأصول.

besturdubooks.wordpress.com

فهما أي من لوازمهما لزوماً عربياً إشارة إلى وجه التأخير وعدم تكرر الموصول وكذا الكلام في يسقين في التأخير وعدم تكرر الموصول واختير إذا والماضي لتحقق مرض وخروج المزاج عن الاعتدال فإنه قل من يخلو عنه.

قوله: (يتبعان المأكول والمشروب) بتفريط الإنسان في مطاعمه ومشاربه ومن ثمة قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالهم لقالوا التخم[١] كما في الكشاف وذكر الصحة هنا لإتمام المرام فالصحة تابعة لهما إذا كانا بقدر الكفاية والمرض بالعكس.

قوله: (إنما لم ينسب المرض إليه) أي بالإيجاد بأن يقول وإذا مرضني ففي كلامه نوع تسامح.

قوله: (لأن مقصوده تعديد النعم) والمرض[٢] من النقم وعن هذا نسب الشفاء إليه تعالى.

قوله: (ولا ينتقض بإسناد الإماتة إليه فإن الموت من حيث إنه لا يحس به لا ضرر فيه وإنما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من أنواع المحن والبلية) ولا ينقض أي هذا بإسناد الإماتة في قوله: ﴿والذي يميتني﴾ [الفرقان: ٨١] ولقد أصاب هنا حيث قال بإسناد الإماتة قوله من حيث إنه لا يحس الخ وهذا لا يلائم القول بسكرات الموت وشدته إلا أن يقال إن

لكن لما قيد الشفاء بوقت المرض الذي يناسب الطعام والسقي لأنه من روادفهما جاء التناسب المصحح للعطف ومفهوم الشرط قيد لمفهوم الجزاء في الحقيقة فإن معنى إن أكرمتني أكرمك على تقدير إكرامك إياي خصوصاً إذا كان كلمة الشرط من الظروف ولا يخفى ما بين يسقيني ويشفيني من التجنيس الخطي وإنما لم ينسب المرض إليه أي لم يقل وإذا أمرضني فهو يشفيني كما نسب الخلق والهداية والإطعام والسقي والشفاء والإماتة والإحياء إليه تعالى لأن المقصود تعديد النعم.

قوله: ولا ينقض بإسناد الإماتة إليه هذا جواب سؤال يرد على قوله لأن مقصوده تعديد النعم فكان سائلاً قال ينافي هذا الغرض ذكر الإماتة بقوله والذي يميتني فأجاب بأن الموت لكونه غير محسوس لا ضرر فيه ولما كان هذا القدر من الجواب لا يدفع السؤال إذ لا يلزم من كون الموت غير ضار أن يكون نافعاً حتى يعد من النعم قال ثم إنه لأهل الكمال وصلة إلى نيل المحاب فيكون بهذا الاعتبار معدوداً من النعم قال صاحب الانتصاف وهو أدب مع الله تعالى بنسبة النعمة إليه وقال بعض شراح الكشاف ولعل الزمخشري عدل عن هذا لأن إبراهيم نسب الإماتة إلى الله تعالى وهو أشد من المرض وكلام القاضي ولا ينقض الخ دفع بقول هذا القائل.

---

(١) وقد يكون المخمصة قال الشيخ البصيري:

واخش الدسائس من جوع ومن شبع　　فرب مخمصة شر من التخم

(٢) ولو قيل إن المرض كالموت سبب لكفارة الذنوب ولرفع الدرجات فلذا ذكره في تعداد النعم لم يبعد فلا يحتاج إلى ما ذكره المص وعدم النسبة إليه تعالى لما ذكره في الوجه الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

ذلك من مقدماته والإضافة لكمال قربه وفيه تأمل قوله ثم إنه لأهل الكمال الخ داخل في جواب النقض أشير إليه بالعطف بثم دون الواو فلا تغفل فلا إشكال بأنه لا يظهر كونه من النعم لأن انتفاء الضرر ليس عين النفع ولا ملزومه مع أنه يمكن المناقشة بأن انتفاء الضرر نوع نفع والقول بأن دفع الضرر أهم من جلب النفع الوجودي وكل أهم هو النفع الأتم وبهذا يظهر كون الموت نفعاً لكل أحد[1] بخلاف ما ذكره المص فإنه مختص بأهل الكمال والمراد بالمحاب نعيم الجنة ورضوان الله ورؤيته تعالى وهي جمع محبوب أصله محابب.

قوله: (**ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه**) ولأن المرض الخ عطف على قوله لأن مقصوده وهذا مختار الزمخشري حاصله أن المرض إنما يحدث بالسبب الذي هو منسوب إليه بالكسب الظاهر فجعل كأنه فاعل حقيقي له بخلاف الصحة فإنه ليس للإنسان سببية ظاهرة في الصحة وأما ما يحصل بالعلاج فليس بمطرد مع أن أهل القرى يمرضون ولا يعرفون شيئاً من الحمية والعلاج وتناول الأشربة المضادة للمرض ويشفيهم الله تعالى بدون كسب من الإنسان فهو بالنسبة إلى الصحة لا يكون كالفاعل الحقيقي ولذا قال عليه السلام وإذا مرضت يتعاطى الأسباب المؤدية إلى المرض فهو يشفين بلا كسب الأسباب المؤدية إلى الصحة.

قوله: ولأن المرض في غالب الأمر إنما يحدث بتفريط من الإنسان في مطاعمه ومشاربه ومن ثمة قالت الحكماء لو قيل لأكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وفي معناه أنشد صاحب المطلع:

عدوك من صديقك مستفاد ... فلا تستكثرن من الصحاب
فإن الداء أكثر ما تراه ... يكون من الطعام ومن شراب

وقال بعض الفحول من شراح الكشاف وهو يرد على الزمخشري فإن الموت أيضاً يكون بتسبب وتفريط فلا بد أن يفرق بين الموت والمرض بأن يقال إن الموت قضاء محتوم على جميع البشر بخلاف المرض فكم من مريض يعافى منه إلى أن يموت فلا يكون نسبته إلى الله تعالى سوء أدب ويؤيده أن كل ما ذكر مع غير المرض ذكره جزماً وبتاً وأما المرض فذكره مع الشرط وقال الطيبي في سر ذكره مع الشرط دون البواقي أن قوله تعالى: ﴿فإنهم عدو لي﴾ [الشعراء: ٧٧] وارد على الاستدراج وارخاء العنان فيكون قوله: ﴿إلا رب العالمين﴾ [الشعراء: ٧٧] تخلصاً منه إلى التمكن من إجراء الأوصاف التي بها يصح معنى الالهية من كونه خالقاً ورازقاً محيياً ومميتاً معاقباً ومثيباً ترقية لمعنى النصح والاستدراج وبعثاً على التفكر والتدبر وأما ذكر المرض والشفاء فكالتابع لمعنى الإطعام والسقي ولذلك ترك فيها الموصول إلى الشرط والجزاء فروعيت فيهما تلك النكتة وفي المطلع دخول لفظ هو دليل على أنه لا يهدي ولا يطعم ولا يسقي ولا يمرض ولا يشفي إلا الله وحده وذلك أنهم كانوا يقولون المرض من الأشربة والأغذية والشفاء من الأطباء والأدوية.

---

(١) إلا أن يقال إن الكفار يبتلون بالمحن بعد الموت أعظم من المحن في الدنيا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وبما بين الأخلاط والأركان من التنافي والتنافر) وبما بين الأخلاط عطف على قوله بتفريط الخ والمراد بالأخلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء والأركان العناصر الأربعة وحاصله أن المرض إنما يحدث باستيلاء بعض الأخلاط على بعض وذلك الاستيلاء[1] إنما يحصل بسبب ما بينها من التنافر الطبيعي الذي له مدخل في ذلك[2].

قوله: (والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهراً وذلك بقدرة العزيز الحكيم) والصحة إنما تحصل باستحفاظ اجتماعها أي الأخلاط والأركان والاعتدال المخصوص أي بقاء الأخلاط والأركان على اعتدالها والمخصوص بمعنى المقصور ولذا تعلق عليها به قهراً أي بسبب قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها إلى الصحة[3] والاعتدال بعد أن كانت بطباعها مشتاقة إلى التفرق فلهذا السبب أضاف الشفاء إليه تعالى والمرض إلى نفسه وإلى هذا أشار بقوله وذلك بقدرة العزيز الحكيم ولا يخفى ما في هذا البيان من التمحل والبناء على الأغلب فالوجه الأول هو المعول ولهذا أخر هذا الوجه ولعله تركه.

قوله تعالى: وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾

قوله: (﴿والذي يميتني ثم يحيين﴾ [الشعراء: ٨١] في الآخرة) والذي يميتني لم يقل هو يميتني لعدم قصد تكرير النسبة إذ لا مجال لإضافته إلى غيره بخلاف البواقي إذ المراد بالإماتة إحداث الموت في الحيوان بلا تخريب البنيان فيحتاج إلى التأكيد في البواقي دونه بثم يحيين ثم للتراخي ولذا قال في الآخرة تنبيهاً على أن بينهما تراخياً في الزمان ولو حمل على التراخي في الرتبة لم يبعد.

قوله تعالى: وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

قوله: (﴿والذي أطمع﴾ [الشعراء: ٨٢]) الآية وجه عدم قوله: ﴿والذي يغفر لي خطيئتي﴾ [الشعراء: ٨٢] الآية ظاهر فغير الأسلوب هنا.

قوله: (ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر

قوله: ذكر ذلك هضماً لنفسه وتعليماً للأمة أن يجتنبوا المعاصي والأولى أن يكون تعريضاً للمخاطبين وهم الكفرة بأنهم إن اطاعوه يغفر لهم خطيئاتهم لأن الكلام فعهم أي ذكر الطمع ولم يجزم تواضعاً منه لا طلباً للغفران عن الذنوب لأنه لو كان طلباً للغفران كان الواجب الجزم في الطلب لا الظن والرجاء قال الإمام هذا الكلام لا يستقيم إلا على مذهبنا

---

(١) وهذا الاستيلاء وإن كان سبباً للمرض لكن لا مدخل للإنسان في ذلك حتى يكون المرض الحاصل بسببه مسنداً إلى العبد لكونه كالفاعل الحقيقي إلا أن يقال إن ذلك من عدم حمية.

(٢) أي للتنافر الطبيعي مدخل في ذلك المرض.

(٣) فيه إشارة إلى أن المراد بالصحة الصحة بعد المرض.

besturdubooks.wordpress.com

وطلب **لأن يغفر لهم ما يفرط منهم)** هضماً أي كسراً لها لعدها خاطئة ويكونوا على حذر لأن النبي عليه السلام مع كونه معصوماً إذا كان حاله هذا فما ظنك بغيره أشار بهذا إلى أن المراد به إنشاء كسر النفس لتعليم الأمة فلا يقتضي الخطيئة فلا إشكال.

قوله: (واستغفاراً لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاثة) واستغفاراً الخ عطف على هضماً أي هذا الكلام بالنسبة إلى الكبائر إنشاء هضم النفس واستغفاراً الخ وفيه تنبيه على أن الطمع المذكور إنما هو بالاستغفار فيما يمكن وهو الصغائر إذ الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الصغائر الغير المنفرة بخلاف المنفرة كسرقة لقمة وتطفيف حبة فالاستغفار ثابت باقتضاء النص قوله يندر أي يقع نادراً ولا يخفى عليك أنه إن حمل الخطيئة على الكبيرة فاستغفار الصغائر من أين يستفاد وإن حملت على الأعم من الكبيرة والصغيرة أو على الصغيرة فقط فلا وجه للحمل على هضم النفس بالنظر إلى الصغيرة إلا أن يختار الأعم فيكون هضماً لنفسه بالنظر إلى الكبيرة واستغفاراً بالقياس إلى الصغيرة فحينئذٍ يشكل اعتبار المعنيين في إطلاق واحد فتدبر.

قوله: (﴿إني سقيم﴾ [الصافات: ٨٩] ﴿بل فعله كبيرهم﴾ [الأنبياء: ٦٣] وقوله هي أختي ضعيف) إني سقيم الخ بدل من الثلاث وقد مر بيانها في قوله تعالى: ﴿بل فعله كبيرهم﴾ [الأنبياء: ٦٣] وسيجيء تفصيل ﴿إني سقيم﴾.

قوله: (لأنها معاريض وليست خطايا) والتعريض أن يشار في الكلام إلى جانب والغرض منه الجانب الآخر وهذا مراد من قال أي تورية قصد بها خلاف ظاهرها وقد أوضحنا هذا المقام في أوائل سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿بما كانوا يكذبون﴾ [البقرة: ١٠] والمعنى لأنها معاريض وليست كذباً حقيقياً وإن كان كذباً صورياً فلا تكون خطيئة حتى تحمل عليها.

قوله تعالى: رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

قوله: (كمالاً في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق) كمالاً قيد به

حيث نقول لا يجب على الله لأحد شيء وأنه يحسن منه كل شيء ولا اعتراض لأحد عليه.

قوله: لأنها معاريض أي تعريضات قد سبق معنى كونها تعريضات فإن معنى أني سقيم أني سأسقم وأنه أراد بكبيرهم نفسه وأن المراد بالإخوة في قوله هي أختي الأخوة في الدين وتسميتها معاريض إنما هي على التغليب وإلا فالأول مجاز والأخير ايهام أو على أن المراد بالتعريض معناه اللغوي الذي هو ضد التصريح وهذا المعنى موجود في المجاز والايهام أي هي معاريض [illegible] وتخييلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار.

قوله: كمالاً في العلم والعمل يعني أن المراد بالحكم في قوله: ﴿رب هب لي حكماً﴾ [الشعراء: ٨٣] الحكمة ولذلك قال كمالاً في العلم والعمل فإن الحكمة هي [illegible] بالعمل وإنما حمل الحكمة على كمالها وهو عليه [illegible] موهبة الحكمة [illegible] لانه عليه

besturdubooks.wordpress.com

لأن أصلهما حاصل له عليه السلام في العلم والعمل لأن الحكمة عبارة عنهما فمن جمعهما يكون حكيماً دون الموصوف بأحدهما فقط استعد به الخ[1] هذا لازم لمعناه[2] المراد أو المراد به الحكم بين الناس فكمال العلم والعمل ثابت باقتضاء النص ولا يبعد كون مراده أن معنى الحكمة والحكم بين الناس كلاهما مقصودان أن بالحكم بناء على جواز عموم المشترك عنده.

قوله: (ووفقني للكمال في العمل لأنتظم به) هذا مقتضى النص لأن الدعاء بالإلحاق يتوقف على السؤال بالتوفيق قوله لأنتظم به إشارة إليه قيل هذا العمل غير الأول فإن الأول يتعلق بالمعاش وهذا يتعلق بالمعاد ولا حاجة إليه فإن الثاني قيد بقوله لأنتظم به كما أن الأول قيد باستعداد خلافة الحق الخ فلا تكرار لتغاير عليتهما.

قوله: (في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره) في عداد الكاملين هو من تعريف العهد والمعهود هم المعروفون بكمال الصلاح فهذا أبلغ من واجعلني صالحاً أو أصل الصلاح متحقق والمطلوب كمال الصلاح وهذا بعد النبوة بقرينة قوله لأبيه وقومه ما تعبدون إلى آخر القصة فالمطلوب الكمال لا جرم وفي الكشاف ولقد أجابه حيث قال ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ [البقرة: ١٣٠] وهذا موقوف على تقدم هذا على ذلك وهو كذلك لأن هذه السورة مكية لكن تقدم الحكاية لا يقتضي تقدم المحكي ولعل لهذا لم يتعرض له المص.

السلام متصف بالعلم والعمل بالفعل فصرف معنى الطلب على الكمال فيهما لئلا يلزم استحصال الحاصل.

قوله: ووفقني للكمال في العمل لم يذكر العلم ههنا لأن المراد بالصالحين العاملون عملاً صالحاً فالمعنى الحقني بالذين عملوا عملاً صالحاً واجعلني في زمرتهم واللحوق بهم إنما يكون بكمال العلم وفي الكشاف الحكم الحكمة أو الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لأن النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم أو يجمع بينهم وبينه في الجنة ولقد أجاب حيث قال ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ هذا والوجه الأول وهو أن يراد بالحقني أن يوفقه للعمل هو الأوفق لتأليف النظم لأن قوله تعالى: ﴿هب لي حكماً﴾ [الشعراء: ٨٣] طلب العلم والنبوة ﴿وألحقني بالصالحين﴾ [الشعراء: ٨٣] طلب للعمل بمقتضى العلم ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ [الشعراء: ٨٤] طلب للذكر الجميل المستلزم لتكميل الغير بعد طلب كمال النفس واجعلني من ورثة جنة النعيم طلب لجمع الشمل معهم في دار الكرامة.

---

(١) أي احصل به فلذا عدي بنفسه إلى خلافة الحق مع أن الاستعداد متعد باللام والحق اسم الله تعالى بقرينة مقابلة الخلق قال تعالى في شأنه عليه السلام: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ [البقرة: ١٢٤] الآية وإمامته عامة مؤكدة إذ لم يبعث بعده نبي إلا كان من ذريته مأموراً باتباعه.

(٢) والقرينة قوله تعالى: ﴿قال إني جاعلك للناس إماماً﴾ الآية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله: (جاهاً وحسن صيت في الدنيا) فاللسان مجاز في الذكر الجميل لكونه آلة له لا لكونه[1] سبباً له وإضافته إلى الصدق للاحتراز عن التجاوز في المدح عن الحد.

قوله: (يبقى أثره إلى يوم الدين) أي أثر ذلك الجعل إلى يوم الدين لأن اللام في الآخرين للاستغراق كما هو الأصل في لفظ الجمع حيث لا عهد لكن الأولى واجعل لي إلى يوم الدين بدون ذكر يبقى[2] أثره.

قوله: (ولذلك ما من أمة إلا وهم محبون له ومثنون عليه) لمحبتهم فقد أجيب دعوته في الجاه وحسن الصيت وليس المحبة ناظر إلى الجاه والثناء ناظراً إلى حسن الصيت لما عرفت من أن الثناء مترتب على المحبة بل هما متحدان في المآل.

قوله: (أو صادقاً من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو محمد عليه الصلاة والسلام) أو صادقاً أي اللسان مجاز في الإنسان بعلاقة الجزئية فالإضافة إلى صفته مبالغة أي إنساناً صدقاً وهذا أولى من تقدير المضاف أي واجعل لي صاحب لسان صدق لأن فيه مبالغتان مع السلامة عن الحذف قوله يجدد الخ مستفاد من الوصف بالصدق وقيد بأصل ديني وهو الاعتقاد وبعض الفروع التي لم تنسخ في شريعة.

قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾

قوله: (في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها) في الآخرة احترز به عن جنة النعيم في الدنيا[3] وقد مر معنى الوراثة أي في سورة مريم والمؤمنين.

قوله: جاهاً وحسن صيت في الدنيا الجاه القدر والمنزلة يقال فلان ذو جاه وأوجهته أي جعلته وجيهاً والصيت الذكر الجميل المشتهر في الأقطار ليس المراد به طلب الفخر الدنيوي فإنه مذموم بل مراده أن ذكره الجميل إذا اشتهر بين الناس أحبوه وانقادوا لدعوته إلى الحق.

قوله: وقد مر معنى الوراثة فيها حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ [مريم: ٦٣] يتقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما يتقي على الوارث مال مورثه والوراثة أقوى لفظ مستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث إنها لا تعقب بفسخ واسترجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لأهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم.

---

(١) رد على من جعل العلاقة السببية فإن كونها آله مما صرح به في تعداد لعلاقة مولانا خسرو في حاشية المطول.

(٢) لأنه يوهم أن التأثير وهو الجعل غير باقٍ وبقاؤه مقطوع به.

(٣) فإنها قد يراد في بعض المواضع كقوله تعالى: ﴿فأخرجناهم من جنات﴾ [الشعراء: ٥٧] الآية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦﴾

قوله: (بالهداية والتوفيق للإيمان) كأنه قال واهد لأبي إلى الإيمان واغفر له فهو لازم متقدم على الدعاء بالمغفرة وبهذا الاعتبار ساغ الدعاء بالمغفرة للكفرة ولذا قال النبي عليه السلام في غزوة أحد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون في رواية يدل اللهم اهد قومي الحديث.

قوله: (عن طريق الحق) أي اللام في الضالين للعهد وهم المعهودون بالضلال عن الحق والإيمان فهذا أبلغ من قوله إنه كان ضالاً مع مراعاة الفاصلة وهذا إذا كان قبل موت أبيه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ [التوبة: ١١٣] الآية وفيه دليل على جواز الاستغفار لإحياء المشركين فإنه طلب توفيقهم للإيمان وبه دفع النقض باستغفار[1] إبراهيم لأبيه الكافر انتهى بل الدعاء بالمغفرة أبلغ لاقتضائه الدعاء بالهداية للإيمان وقد قرر في الأصول أن دلالة اللفظ على المعنى تكون بالعبارة وبالإشارة وبالدلالة وبالاقتضاء فالدعاء بالمغفرة ثابت بالعبارة والدعاء بالتوفيق ثابت بالاقتضاء فلا إشكال أصلاً وأما الاعتراض بأنه لو كان كذلك لما كان استثناء استغفار أبيه عن قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه﴾ [الممتحنة: ٤] الآية إلى قوله: ﴿إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك﴾ [الممتحنة: ٤] الآية متحققاً فهو مدفوع بأن المراد بالأسوة الحسنة ما يجب أن يقتدى به بدليل قوله: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ الأحزاب: ٢١] فلا مانع من استثناء وعد الاستغفار منها إذ لا وجوب فيه أو الاستثناء المذكور بناء على قصر النظر إلى مجرد الاستغفار من غير التفات إلى ما يقتضيه من الدعاء بالتوفيق أولاً والمغفرة ثانياً وبهذا حصل التلفيق بين النصوص بحسن التوفيق.

قوله: (وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان تقية من

قوله: بالهداية والتوفيق فإن معنى الاستغفار للكافر طلب الهداية والتوفيق للإيمان.

قوله: وإن كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه أنه كان يخفي الإيمان فعلى هذا يكون الاستغفار لأبيه طلب المغفرة عن ذنوبه لا الهداية والتوفيق للإيمان لأن طلب الهداية والتوفيق للميت غير معقول المعنى.

قوله: ولذلك وعده به أي ولظنه إياه أنه كان مؤمناً يخفي الإيمان وعده بالإيمان حيث قال ﴿سأستغفر لك ربي﴾.

---

[1] قال المص في سورة مريم فإن حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق بما يوجب مغفرته انتهى فثبت ما قلنا من أنه مقتضى الكلام فالنصوص الدالة على جواز الاستغفار محمولة على مراعاة ذلك المقتضى والاستثناء المذكور في ﴿**قد كانت لكم أسوة**﴾ [الممتحنة: ٤] الآية محمول على عدم مراعاة ذلك المقتضى فتأمل ثم تدبر.

besturdubooks.wordpress.com

نمرود ولذلك وعده به) وإن كان هذا أي الدعاء بالغفران بعد موت أبيه فلا يمكن أن يحمل على الدعاء بالهداية للإيمان فلعله كان الخ قوله يخفي الإيمان الخ لا يلائم قوله: ﴿إنه كان من الضالين﴾ [الشعراء: ٨٦] إلا أن يقال إنه بناء على ظاهر الحال وهو تكلف بارد وأما قول الفاضل المحشي ولا مانع منه عقلاً وفي شرح مسلم للنووي أن كونه تعالى لا يغفر الشرك مخصوص بهذه الأمة وكان قبله قد يغفر وحمل قوله فلما تبين أنه عدو تبرأ منه على يوم القيامة والتعبير بالماضي لتحققه أو هو كناية أو مجاز عن عدم مغفرة الكفر فبعيد جداً لا سيما ما نقله عن مسلم فإنه يخالف النصوص الدالة على خلود أهل الشرك في النار أبداً فالأولى السكوت عن مثل هذا المقال قوله كان يخفي الإيمان هذا بناء على أنه لا يعتبر فيه الإقرار[١] باللسان وعدم ضرر ما يوجب الإنكار من المؤمن بالغيب الإيمان والكل ضعيف لا سيما الثاني فإن أهل الكتاب مع عرفانهم الحق لم يعتبر في الشرع وأبو إبراهيم صدر منه ما يوجب الإنكار قوله تعالى: ﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم﴾ [مريم: ٤٦] الآية شاهد على ما قلنا.

قوله: **(أو لأنه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار)** أو لأنه لم يمنع بعد أي لم يوح إليه بذلك ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ [التوبة: ١١٤] الآية لأن المراد به يوم القيامة أو بالوحي والمفروض محمول على عدم الوحي بعد ولا يخفى بعد هذا الاحتمال واحتياجه إلى التمحل البارد بالمقال وليت شعري ما حمله على هذا التكلف المؤدي إلى اضطراب البال فلا جرم أن الحمل على الأول[٢] والاكتفاء به من أحسن الأحوال.

قوله تعالى: وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾

قوله: (بمعاتبتي على ما فرطت أو بنقص رتبي عن رتبة بعض الوارث أو بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلاً أو بتعذيب والدي أو يبعثه في عداد الضالين وهو من الخزي من الهوان أو من الخزاية بمعنى الحياء) لخفاء العاقبة قد قرر في محله أن الأنبياء عليهم السلام مأمونوا العاقبة برمتهم فضلاً عن أب الأنبياء فتركه أولى والحمل على تعليم الأمة غير ملائم لمذاق الكلام أو بتعذيب والدي على بقائه على الكفر وهذا قبل موته كما مر تفصيله وكذا الكلام في أو يبعثه أي يبعث والدي في عداد الضالين وهذا خزي مع قطع النظر عن العذاب وعن هذا قابله والحاصل أنه متضمن للدعاء بتوفيقه في حياته للإيمان والله المستعان قوله أو من الخزاية بفتح الخاء.

---

(١) والقول بأن الإقرار كونه ركناً من الإيمان أو شرطاً لإجراء أحكام الإسلام مخصوص بهذه الأمة ضعيف جداً.

(٢) إذ الحمل على أنه قبل موته لما أمكن لا يصار إلى غيره لأن فيه تكلفاً بل تعسفاً وهنا الحمل عليه ممكن حيث لا مانع منه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (الضمير للعباد لأنهم معلومون أو للضالين) لأنهم معلومون إذ البعث من شأنهم أو للضالين والتخصيص لأن الكلام فيهم قبل فيكون عطفاً على ﴿واغفر لأبي﴾ ومن تتمته فإن المعنى ولا تخزني يوم يبعث الضالون والحال إن أبي منهم وهذا معتبر في الأول أيضاً إذ المعنى ولا تخزني يوم يبعث الناس كافة والحال إن أبي من زمرة الضالين وهذا بناء على الاحتمال الأخير والأمر في الاحتمالات البواقي مفوض إليك وإن المناسب كون مرجع الضمير الناس فيها والضالين في الاحتمالين الأخيرين.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

قوله: (أي لا ينفعان[1] أحداً إلا مخلصاً سليم القلب) أي لا ينفعان أحداً إشارة إلى أن الاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل فيفيد القصر إلا مخلصاً الخ حاصل المعنى وتفسير ﴿لمن أتى الله بقلب سليم﴾ فإذا سلم القلب الذي هو الملك المطاع في الجسد سلم سائر الأعضاء ولذا اكتفى به.

قوله: (عن الكفر وميل المعاصي وسائر آفاته) عن الكفر الخ وإسناد السلامة إلى القلب مجاز عقلي فإن السلامة عن الكفر وغيره وصف لصاحبه لكن محله القلب كالإيمان فأسند السلامة إليه.

قوله: (أو لا ينفعان إلا مال من هذا شأنه وبنوه) ففيه مضافان مقدران أي المال وبنون فحينئذٍ لا يكون الاستثناء مفرغاً بل يكون مستثنى من مال وبنون لأنهما لوقوعهما في سياق

قوله: لأنهم معلومون فلكونهم معلومين بأن يبعثوا كانوا في حكم المذكورين فلا يلزم الاضمار قبل الذكر.

قوله: أي لا ينفعان أحداً إلا مخلصاً يعني أن محل من في ﴿إلا من أتى الله﴾ إما نصب على أنه مفعول ينفع والمستثنى منه محذوف والفعل فارغ للمستثنى فالمعنى لا ينفع مال ولا بنون أحداً إلا مخلصاً سليم القلب وإما رفع على أنه بدل من مال وبنون على حذف المضاف فالمعنى لا ينفع مال ولا بنون إلا مال من أتى الله بقلب سليم وبنوه فإن ماله وبنيه ينفعانه يوم القيامة لأن من رزق في الدنيا سلامة قلب يصير جل همه بل كله مصروفاً إلى أمر الآخرة فينفق ماله في سبيل الخير ويرشد بنيه على الخير وفي الكشاف ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي قال الإمام المراد سلامة القلب عن الجهل والأخلاق الرذيلة وكما أن صحة البدن وسلامته عبارة عن حصول ما ينبغي من استقامة المزاج والتركيب والاتصال ومرضه عبارة عن زوال أحد تلك الأمور كذلك سلامة القلب عبارة عن حصول ما ينبغي له وهو العلم والخلق الفاضل ومرضه عبارة عن زوال أحدهما والمعنى بقلب سليم خال عن العقائد الفاسدة والميل إلى شهوات الدنيا ولذاتها ويتبع ذلك الأعمال الصالحة إذ من علامة سلامة القلب تأثيرها إلى الجوارح.

---

(١) إفراد المال لأن استغراق المفرد اشمل وجمع البنون لرعاية الفواصل وتقديم المال لأن بقاء البنين والانتفاع بهم إنما هو بالمال وأعيد لا في ﴿ولا بنون﴾ تنبيهاً على استقلاله في النفي.

besturdubooks.wordpress.com

النفي مع كونهما نكرة يفيد أن العموم فيقتضي عموم ذي مال وبنين والمعنى لا ينفع مال من الأموال ولا ابن من البنين إلا مال من هذا شأنه وبنو من هذا شأنه.

قوله: (حيث أنفق ماله في سبيل البر) مستفاد من قوله ﴿من أتى الله﴾ بيان لوجه نفعه لأن ما أنفقه في سبيل البر سواء كان إنفاقه واجباً له ثواب عظيم ينتفع به والمال الذي لم ينفق منه كنز يضر صاحبه.

قوله: (وأرشد بنيه إلى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم أن يكونوا عباداً لله مطيعين شفعاء له يوم القيامة) وأرشد بنيه الخ وهذا غير مخصوص بالأبناء بل عام للنبات أيضاً وتخصيص البنين بالذكر لشرافتهم فالمراد مطلق الأولاد مجازاً ذكر المقيد وأريد المطلق لأن الخبر الشريف ورد بالولد الصالح يدعو له وقصد بهم أن يكونوا عباد الله الخ لا الزينة في الحياة الدنيا كأبناء الدنيا غافلين عن العقبى.

قوله: (وقيل[١] الاستثناء مما دل عليه المال والبنون أي لا ينفع غني إلا غناه) وفي الكشاف وإن شئت حملت الكلام على معنى وجعلت المال والبنين في معنى الغنى كأنه قيل لا ينفع غنى إلا غنى من أتى الله بقلب سليم لأن غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه كما أن غناه في دنياه بماله وبنيه وقد قال أولاً وهو من قولهم:

تحية بينهم ضرب وجيع

وبيانه أن يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه وإثبات سلامة القلب بدلاً عن ذلك طريق تخريجه أن يجعل قوله: ﴿لا ينفع مال ولا بنون﴾ [الشعراء: ٨٨] بمعنى لا ينفع شيء ذكر الخاص الذي هو العمدة وأريد العام بقرينة استثناء سلامة القلب وجعلها بدلاً من ذلك فمعنى قول المص ولا ينفع غني إلا غناه أي إلا غنى من أتى الله بقلب سليم وهو غنى القلب المعبر عنه بسلامة القلب فيكون الاستثناء متصلاً.

قوله: (وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من أتى الله بقلب سليم تنفعه) وقيل منقطع وفي الكشاف ولا بد على هذا من تقدير مضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وبين وجهه صاحب الكشاف بأن المراد على تقدير الاستثناء من مال لا يتحصل المعنى بدونه لأن المستثنى لا بد من دخوله في المستثنى منه ولو توهماً ولو لم يقدر لم يكن كذلك بخلاف استدراك الصرف وهو غير مناسب لأن المراد بيان حال المال والبنين في النفع[٢] وعدمه لا مطلق النفع هذا خلاصة ما قيل هنا ولا يخفى ما فيه إذ الاستثناء المنقطع لا بد من عدم دخول المستثنى في المستثنى منه[٣] ولو توهماً[٤] مثل ما جاءني القوم إلا زيداً فزيد غير داخل بطريق الإشارة إلى غير زيد فيكون منقطعاً وما ذكروه تبعاً للكشاف غير بين

---

(١) مرضه لأن الحمل على ظاهره ممكن فالعدول عنه إلى غيره من غير داع تكلف.

(٢) ونفع سلامة القلب مستلزم لنفع جميع الخيرات فيدخل منفعة المال والبنين دخولاً أولياً وبهذا يحصل الارتباط.

(٣) وقد صرح به الثقات من النحاة وأرباب الأصول فما قيل هنا مخالف له فلا يعبأ به.

(٤) فيه تعريض بأن القائل عكس الحال واجتسر على المقال بأن المنقطع لا بد من دخول المستثنى فيه =

besturdubooks.wordpress.com

ولا مبين والمص أشار إليه بقوله ولكن سلامة من أتى الله الخ ولعل تمريضه لذلك ولو قيل في المعنى ولكن من أتى الله بقلب سليم ينفعه سلامته لاستقام ولوافق أفق القاعدة المقررة من أن خبره حين كون إلا للاستثناء منقطعاً محذوف يقدر في كل ما يليق به وهنا الخبر المحذوف ما قررناه وهو يفيد ما أفاده تقدير المضاف فلا جرم أن لا يقدر المضاف إذا كان الاستثناء منقطعاً ولذا لم يرض به المص.

قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٩٠﴾

قوله: **(بحيث يرونها في الموقف فيتبحجون بأنهم المحشورون إليها)** فيتبحجون بتقديم الحاء على الجيم أي يسرون سروراً تاماً.

قوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ۝٩١﴾

قوله: **(فيرونها مكشوفة ويتحسرون على أنهم المسوقون إليها وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد)** لأن التعبير بالإزلاف[1] وهو القرب التام يشير إلى تحقق الدخول بلا احتمال خلفه والإبراز الإراءة ولو من بعيد فإنه يطمع النجاة ولو لم يكن واقعاً إذ خلف الوعيد وإن جاز عند بعضهم في عصاة الموحدين لكنه لم يجز في شأن الكفار بالاتفاق قوله فيرونها مكشوفة إشارة إلى أن الجحيم جيء بها إلى الموقف كما في الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها رواه المص في سورة الفجر ولذا قال هنا فيرونها مكشوفة وقال بحيث يرونها من الموقف هناك ويحتمل أن يكون الإبراز مع ثباتها في مكانها مثل الجنة وإلى كلا الوجهين أشار في سورة الفجر وصيغة الماضي في الموضعين لتحقق وقوعه وقدم الجنة لسبق رحمته أو لأن الجحيم طويل زيل أصحابها.

قوله: وفي اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد أي وفي اختيار أزلفت في حق المتقين وبرزت في طرف الغاوين حيث لم يقل فيهما برزت ترجيح لجانب الوعد أي العدة بالثواب على جانب الوعيد أي العدة بالعقاب وجه دلالة اختلاف الفعلين على رجحان جانب الوعد على جانب الوعيد أنه لم يقل في طرف الغاوين أزلفت أيضاً بل قيل برزت إشعاراً بأن اللائق بشأن الكريم أن لا يقرب دار الشقاء للعبيد بل يبرز بروزاً لهم من البعيد ولكن دخولهم فيها إنما هو بشؤم فعلهم السيىء وكذا لم يقل في طرف المتقين وبرزت أيضاً بل قيل فيه أزلفت أي قربت ترجيحاً لجانب الوعد.

= ولو توهماً قوله ولو توهماً يشعر بأن دخوله في المستثنى منه تحقيقاً أولى وهذا قول مستحدث لم يقل به أحد.

(١) أي فعل أزلفت وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة ومن مقالات إبراهيم عليه السلام وكذا قول وقيل لهم من مقوله كذا فهم من تقرير الإمام.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله: (أي آلهتكم التي تزعمون أنهم شفعاؤكم) أين آلهتكم أي بزعمكم الاستفهام للتوبيخ والسخرية الذين تدعون من الادعاء بقرينة أنهم شفعاؤكم وهذا حاصل المعنى يناسب ما بعده إذ أصل المعنى تعبدونه متجاوزين الله تعالى من العبادة إذ تجاوزهم الله في العبادة لا في ادعاءا لشفاعة واسقط كان كما هو عادته ولا يرى وجهه.

قوله: (هل ينصرونكم)[1] المناسب لقوله وقيل لهم هل نصروكم لكن اختير المضارع لأنه مستقبل بالنسبة إلى القيل كما أنه كذلك في الواقع مع رعاية الفاصلة في ينتصرون.

قوله: (يدفع العذاب عنكم) إذ النصرة أصل معناها دفع المضرة وإن استعملت بمعونة القرينة في جلب المنفعة والاستفهام أيضاً للتهكم والإنكار الوقوعي فلذا قال تعالى: ﴿فكبكبوا﴾ [الشعراء: ٩٤] بالفاء.

قوله: (بدفعه عن أنفسهم لأنهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال:

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾

قوله: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾ [الشعراء: ٩٤]) لأنهم وآلهتهم من الأوثان وأما أولو العلم فهم لا يسمعون[2] حسيسها.

قوله: (أي الآلهة وعبيدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من ألقي في النار ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها) تكرير الكب وهو الإلقاء على الوجه أي كرر لفظه ليعلم أن معناه مكرر وعن هذا قال كأن من ألقي الخ وإنما قال كأن لأن الكب في الحقيقة مرة واحدة لكن لبعد قعرها يشبه ذلك قوله أي الآلهة وما عطف عليه وهو الغاوون لا أنه تأكيد كما توهم من ظاهر العطف.

قوله: أين الهتكم الذين تزعمون أنهم شفعاؤكم المبهم وهو ما في أينما كنتم موصول عبارة عن الهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله والعائد إليه من الصلة محذوف فالمعنى أين الذي كنتم تعبدونه في الدنيا من دون الله هل ينصرونكم اليوم بدفع العذاب والاستفهام للتقريع والتحسير والجمع في هل ينصرون وما عطف عليه لعموم المبهم من جهة المعنى وإن كان يقتضي الإفراد بحسب اللفظ قوله يدفعه عن أنفسهم وضع انتصر أي انتقم موضع الدفع مبالغة وتهكماً.

قوله: أي الآلهة وعبدتهم يعني أن لفظ هم عبارة عن الهتهم ولفظ غاوون عن عبدتهم.

قوله: والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه جعل تكرير اللفظ دليلاً على تكرير المعنى كأنه إذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم أجرنا منها يا خير مستجار.

---

(١) هذا أبلغ من أن ينصرونكم.

(٢) فيه اقتباس لطيف حاصله أن مثل المسيح وعزير والملائكة مستثنى من قوله تعالى: **﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾ [الأنبياء: ٩٨]** لو سلم شمولها لهم قد مر التوضيح في أواخر سورة الأنبياء.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾﴾

قوله: (متبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه) أي أعوانه ولفظة أو لمنع الخلو.

قوله: (تأكيد للجنود إن جعل مبتدأ خبره ما بعده) وهو قوله تعالى: ﴿قالوا وهم فيها﴾ [الشعراء: ٩٦].

قوله: (أو للضمير وما عطف عليه) أي أو تأكيد للضمير وهو هم وما عطف عليه وهو الغاوون أي عبدتهم كما أن المراد بهم آلهتهم قيل الأولى وإلا فللضمير لأن قوله يوهم أن هذا الاحتمال إذا جعل الجنود مبتدأ خبره ما بعده وليس كذلك لكن لظهور المراد قال الأولى.

قوله: (وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله:

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾

قوله: ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦]) وكذا أي وكذا يجري الاحتمالان في الضمير المنفصل وهو وهم فيها وما يعود إليه من الضمير المتصل في يختصمون أي هم راجع إلى الجنود إن جعل مبتدأ خبره قال وإلا فللضمير في قوله: ﴿فكبكبوا فيها هم﴾ [الشعراء: ٩٤][1].

قوله: (قالوا) أي جنود إبليس إن جعل خبراً للجنود أو المجموع من آلهتهم والغاوون أي عبدتهم وجنود إبليس مقول القول تالله الآية ﴿وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦] جملة حالية معترضة بين القول وبين مقوله ﴿إن كنا﴾ [الشعراء: ٩٧] إن

قوله: متبعوه عصاة الثقلين أي عصاة الجن والإنس.

قوله: خبره ما بعده وهو قالوا: ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾ [الشعراء: ٩٧] وإلا للضمير وما عطف عليه أي وإن لم يجعل وجنود إبليس مبتدأ بل معطوفاً على هم في ﴿فكبكبوا فيها﴾ هم يكون أجمعون تأكيداً للضمير الذي هو هم وما عطف عليه وهو الغاوون وجنود إبليس فيؤكد المعطوف عليه والمعطوفين بعده جميعاً أي فكبكب فيها الهتهم وعبدتهم وجنود إبليس أجمعون.

قوله: وكذا الضمير المنفصل وما يعود إليه في قوله: ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦] أي وكاحتمال أجمعون لأن يكون تأكيداً لجنود إبليس وللضمير على اختلاف جهتي الرفع في وجنود إبليس كذلك الضمير المنفصل في وهم في: ﴿قالوا وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦] يجوز أن يكون راجعاً إلى جنود إبليس إن جعل رفع الجنود على الابتداء وأن يكون راجعاً إلى هم وما عطف عليه في فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس إن لم يكن الجنود مبتدأ وتخصيص المنفصل بالذكر مع أن المتصل في قالوا كذلك في احتمال الأمرين نظر.

---

(١) هذا الاحتمال راجح إذ التخاصم عام لجميع الكفار ثم عطف جنود من عطف الخاص على العام أو المراد بهم ما سوى عبدة الأوثان.

besturdubooks.wordpress.com

مخففة من الثقيلة ﴿لفي ضلال﴾ [الشعراء: ٩٧] هذا أبلغ من كنا لضالين أو لمن الضالين.

قوله تعالى: إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾

قوله: (على أن الله تعالى ينطق الأصنام فيتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قوله تعالى: ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾ [الشعراء: ٩٨] أي في استحقاق العبادة) على أن الله ينطق الأصنام نطقاً بالمقال لا بالحال كما أنطق أسماعهم وأبصارهم وكذا سائر أعضائهم وجلودهم هذا إذا كان الضمير راجعاً لهم ويؤيده الخطاب الخ وجه التأييد هو أن المخاطبين الذين يسوون[1] برب العالمين في استحقاق العبادة هم الأصنام لا العبدة كما في الاحتمال الثاني.

قوله: (ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما في قالوا والخطاب للمبالغة في التحسر والندامة) ويجوز أن يكون الضمائر أي في قوله: ﴿وهم فيها يختصمون﴾ [الشعراء: ٩٦] على أن الخصومة جارية بينهم بقول المستضعفين للمستكبرين ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ [سبأ: ٣١] وعكسه ﴿أنحن صددناكم عن الهدى﴾ [سبأ: ٣٢] فحينئذٍ لا بد من التمحل في الخطاب في قوله ﴿إذ نسويكم﴾ [الشعراء: ٩٨] لأنه جماد غير مستحقين الخطاب فقال والخطاب للتحسر الخ. لا لأنها جعلت ممن يعقل إذ لا داعي إليه بخلاف الأول فإن الخصام جار بينهم وبين عبدتهم فجعلت ممن يعقل وفيه أيضاً تلوين الخطاب من العبدة بعضهم لبعض إلى خطاب الأصنام للمبالغة في التحسر.

قوله: على أن الله تعالى ينطق الأصنام أي إسناد القول في قالوا إلى المذكورين والحال أن فيهم ما لا يقدر على القول وهو الأصنام مبني على أن الله تعالى ينطق الأصنام بإعطائها القدرة على النطق فيقولون ذلك مختصمين.

قوله: ويؤيده الخطاب في قوله: ﴿إذ نسويكم﴾ [الشعراء: ٩٨] أي ويؤيد أن الله ينطق الأصنام فيخاصمون العبدة الخطاب في نسويكم فإن الخطاب فيه للأصنام وهو يدل على أن اختصامهم يكون مع الأصنام والمخاصمة لا تخلو عن النطق من المتخاصمين.

قوله: ويجوز أن يكون الضمائر للعبدة كما قالوا أي ويجوز أن يكون ضمير كبكبوا وضميرهم في الموضعين وضمير يختصمون وضمير كنا ونسوي لعبدة الأصنام كضمير قالوا والخطاب للمبالغة في التحسير فيكون الضمير بالاختصام حينئذٍ اختصام بعض العبدة مع بعض لا اختصامهم مع الأصنام فحينئذٍ لا حاجة إلى التأويل بأن يقال ينطق الله الأصنام فتخاصم العبدة فعلى هذا يكون الخطاب في ﴿إذ نسويكم﴾ للتحسير كمخاطبة الجمادات التي يقصد بها مجرد التحسير والتحزن كخطاب الاطلال والأشجار كقوله:

أمنزلتي مي سلام عليكما ... هل الأزمن اللاتي مضين رواجع

---

(١) ولم يتعرض قول الأصنام هنا واكتفى بقول العبدة لها قال تعالى في سورة يونس: ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً﴾ [يونس: ٢٨، ٢٩] الآية وغير ذلك وجه الاكتفاء بيان تحسر العابدين.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (**والمعنى**[١] **أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم**) مع تخاصمهم بعضهم لبعض كما قال تعالى في سورة ص ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [ص: ٦٤] في مبدأ ضلالهم بقول بعضهم لبعض كما مر.

قوله: (**معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها**) بدلالة الظرفية وكان الاستمراري.

قوله تعالى: وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾

قوله: (﴿**وما أضلنا إلا المجرمون**﴾ [**الشعراء: ٩٩**]) نسبة مجازية فالقصر إضافي إذ الهوى له مدخل في الإضلال والشيطان داخل في المجرمين وإن خص بالمجرمين من الإنس كما هو المتبادر فكون القصر إضافياً أظهر.

قوله: (**كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء**).

كما للمؤمنين مستفاد من الحصر المستفاد من تقديم لنا والجمع لانقسام الآحاد[٢] إلى الآحاد ولذا قيل ولا صديق بالافراد مراداً به الجنس والنفي هنا متوجه إلى القيد والمقيد جميعاً.

قوله تعالى: وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾

قوله: (﴿إذ الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ أو ﴿فما لنا من شافعين ولا

وهل يرجع التسليم أو يكشف العمى ثلاث الاثافي والديار البلاقع

وكقوله:

أيا شجر الخابور مالك مورقا كأنك لم تجزع على ابن طريف

قوله: والمعنى أنهم مع تخاصمهم في مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم في الضلالة متحسرون عليها معنى الانهماك مستفاد من كان الناقصة ومعنى التحسير من خطاب الجمادات التي هي أصنامهم ومعنى تخاصمهم في مبدأ ضلالهم أن يقول بعضهم لبعض أنت أضللتني ولولاك لما ضللت وأنت سبب ضلالي ومبدؤه.

قوله: من الملائكة والأنبياء أي ما لنا من شافعين كما ترى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق كما ترى لهم أصدقاء لأنه لا يتصادق في الآخرة إلا المؤمنون وأما أهل النار فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى ﴿الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧] فقوله رحمه الله إذ الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين اقتباس.

قوله: أو فما لنا من شافعين ولا صديق ممن نعدهم شفعاء أي نعدهم شفعاء وأصدقاء نعتقد أنهم يشفعون لنا في الآخرة.

---

(١) أي على الوجه الأخير ويمكن التعميم إلى جميع الوجوه بأدنى عناية.

(٢) قوله تعالى: ﴿**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**﴾ [غافر: ١٨] يؤيد ما قلناه من انقسام الآحاد.

besturdubooks.wordpress.com

صديق حميم﴾ ممن نعدهم شفعاء وأصدقاء) أو ﴿فما لنا من شافعين﴾ أي المنفي المخصوصون من الشافع والصديق وجه التخصيص لأنهم يعدونهم شفعاء وأصدقاء والتخصيص لهذا الغرض لا مفهوم له بأن غيرهم يشفعون الخ ومع هذا التعميم أولى ولهذا قدمه.

قوله: (أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق) أو وقعنا في مهلكة الخ فالمنفي هنا ليس نفس الشافع بل نفعهم والأول الأهم ولذا قدمه والمعنى على الأولين أيضاً كناية عن الوقوع في المهلكة لأنه كلام الكفرة الواقعة في الهلاك والفرق بينهما أن المنفي في الأولين الشافع والصديق وفي الثاني نفع الشفاعة والأول أولى لأنهم صرحوا في قوله تعالى: ﴿ولا شفيع يطاع﴾ [غافر: ١٨] المنفي هو المقيد مع قيده.

قوله: (وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء في العادة) قيد العادة يخلص مفهوم المخالفة لأن نفي كثرة الشفعاء بناء على العادة فلا يرد أنه يوهم أن لهم شافعاً واحداً لكن القول بانقسام الآحاد كما أشرنا إليه أولى والفرق أن الشفيع من الأباعد من الأنبياء والأولياء والملائكة كما أشار إليه المص آنفاً والصديق الحميم من الأقارب والحميم من الاحتمام وهم والاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك أو من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق الخاص.

قوله: (وقلة الصديق) ألا ترى أن الرجل إذا ابتلي بجور ظالم نهضت جماعة كثيرة من أهل بلده لشفاعته ترحماً وإن لم يكن معارفه وأما الصديق فقليل حتى قال بعض الحكماء إنه اسم لا معنى له أي لا وجود له بالغ حيث نفى وجوده تنبيهاً على كمال قلته.

قوله: (ولأن الصديق[1] الواحد يسعى أكثر مما يسعى الشفعاء) أي الواحد منه يقوم

قوله: أو وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق يعني أن قولهم فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قد يجيء على وجه الكناية وأخذ الزبدة حيث دل مجموع هذا القول على الايقاع في المهلكة لأن هذا القول قول من وقع في ورطة لهلاك فيكون لازماً للوقوع في الهلاك فتوسل باللازم إلى الملزوم فسره بوجوه ثلاثة والفرق بين هذه الوجوه أنهم في الوجه الأول نفوا ابتداء الشفعاء والأصدقاء رأساً وفي الوجه الثاني اثبتوا في الدنيا شفعاء وأصدقاء فلما اضلوهم هنالك نفوهما وفي الوجه الثالث وجدوهما حاضرين حين لم ينفعوهم فجعلوهم كالمعدومين لأن ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم.

قوله: لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق ألا يرى أن الرجل إذا ابتلي بإرهاق ظالم قامت جماعة كثيرة من أهل بلدة لشفاعته رحمة له وحسبة وإن لم يعرفه أكثرهم وأما الصديق وهو

---

(١) قيل قلت لا يبعد أن يكون جمع الأول وتوحيد الثاني إشارة إلى أنه لا فرق بين استغراق الجمع والمفرد وليس الثاني اشمل من الأول كما زعمه بعضهم مع مراعاة الفاصلة انتهى ورد بأن هذا ليس هذا محل الخلاف لأن من إذا زيدت بعد النفي داخلة على الجمع جعلته في حكم المفرد ويتساويان في الاستغراق بلا خلاف انتهى ولم نطلع عليه.

besturdubooks.wordpress.com

مقام جماعة في كمال السعي وللتنبيه على ذلك اكتفى به وسعيه في الآخرة إنما هو بالشفاعة أيضاً ولك أن تعم لأن دفع العذاب إما أن يكون بقهره وهو النصرة أو غيره وهو إما أن يكون مجاناً وهو الشفاعة أو بأداء ما كان عليه وهو أن يجزىء عنه أو بغيره وهو أن يعطي عنه عدلاً وفدية والكل منتف.

قوله: (أو لإطلاق الصديق على الجمع كالعدو لأنه في الأصل مصدر كالحنين والصهيل) كالحنين مصدر من حن إليه إذا اشتاق وصهيل صوت الخيل والقول بأنه لم يسمع صديق وعدو بمعنى الصداقة والعداوة ضعيف لأنه من الغلبة التقديرية وهي عبارة عن أن لا يستعمل اللفظ من ابتداء وضعه في غير ذلك المعنى لكن مقتضى القياس أن يستعمل في غيره على أن عدم السمع غير مسلم إذ الاستقراء التام مشكل والناقص غير مفيد.

قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله: (تمنى الرجعة وأقيم عنه ومقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير أو شرط حذف جوابه) مقام ليت مجازاً والعلاقة التقدير وهي المشابهة فيكون استعارة تبعية والتقدير في ليت على طريق التمني وفي لو بطريق[1] التعليق.

الصادق في محبتك بهالك الذي يهمه ما اهمك فهو أعز من بيض الأنوق وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له.

قوله: كالحنين والصهيل والحنين مصدر حن يحن بمعنى الأنين والصهيل أيضاً مصدر وهو صوت الفرس فيمكن أن يكون الصديق أيضاً من هذا القبيل مصدر في الأصل بمعنى الصداقة وصف به لذات للمبالغة أقول مصادر الثلاثي سماعية لا يجري فيها القياس وفي مجيء الصديق مصدراً الصدق مستعملاً بمعنى الصداقة نظر وفي الكشاف ويجوز أن يريد بالصديق الجمع ولعل مراد صاحب الكشاف منه أنه لكون المراد به الجنس يفيد معنى الجمع لا أنه مصدر في الأصل فكان القاضي رحمه الله ظن أن صاحب الكشاف أراد بقوله هذا أنه في الأصل مصدر فنقله بناء على ظنه.

قوله: تمن للرجعة وأقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما في معنى التقدير يعني أن المراد بالكرة الرجعة إلى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كأنه قيل فليت لنا كرة لما بين معنيي لو وليت من التلاقي في معنى التقدير فإن أصل معنى لو للشرط وقد يستعمل منخزلا عن معنى الشرط في معنى التمني لعلاقة بين الشرط والتمني لما أن في كل منهما معنى التقدير فكما يقدر بلو غير الواقع واقعاً نحو لو كان لي مال لحججت يقدر بليت غير الواقع واقعاً نحو: ليت الشباب يعود وإنما الفرق أن الثاني يستعمل في طلب ما لا يمكن حصوله حقيقة قال صاحب المفتاح إذا قلت لو يأتيني زيد فيحدثني بالنصب طالباً لحصول الوقوع فيما يفيد لو من تقدير غير الواقع واقعاً ولا التمني فعلى هذا يكون قولهم فنكون في ﴿فنكون من المؤمنين﴾ منصوباً على جواب التمني.

قوله: أو شرط حذف جوابه تقديره فلو أن لنا كرة لفعلنا كيت وكيت.

---

(١) وكلاهما غير الواقع.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (جواب التمني أو عطف على كرة أي لو أن لنا أن نكر فنكون) جواب التمني على الأول أو عطف على كرة لأنها لكونها مصدراً مأول بأن مع الفعل وعن هذا قال أي لو أن لنا أن نكر فنكون هذا إذا حمل لو على الشرط وجوابه محذوف وهو رجعنا عما كنا عليه أو لكنا نعمل عملاً صالحاً وقيل لو حقيقة في التمني وهو خلاف ما قرره المص.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

قوله: (فيما ذكر من قصة إبراهيم) توجيه توحيد اسم الإشارة مع تعدد المشار إليه.

قوله: (لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر فإنها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة) لحجة تفسير الآية وعظة بيان لازمه قوله لمن أراد الخ لأنه ينتفع به وإلا فهي حجة لمن أراد ولمن لم يرد قوله لغزارة علمه أي لكثرته.

قوله: (إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن

قوله: جواب التمني وهذا ما اختاره صاحب المفتاح في مثل هذا التركيب.

قوله: أو عطف على كرة أي لو أن كنا أن نكر فنكون يعني أن كرة مصدر كر مأول بأن مع الفعل ونكون معطوف بالفاء عليها وهو أيضاً مقدر بأن فالمعنى لو أن لنا أن نكر فأن نكون أي لو أن لنا رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين بمعنى لبت لنا ذلك وهذا الوجه هو ما ذهب إليه أبو البقاء وعن بعضهم قوله فيكون في تقدير المصدر عطفاً على أن لنا كرة أي لو ثبت حصول الكرة فلكون من المؤمنين لفعلنا.

قوله: لحجة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها والضمائر في بها وفي فيها عائدة إلى القصة في قوله من قصة إبراهيم.

قوله: لغزارة علمه اللام متعلقة بيتفطن أي يتفطن من يتأمل في تلك القصة لكثرة علم إبراهيم ووفوره لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وجه الإشارة والتنبيه أنه عليه السلام بين لهم في أول القصة أن ما يعبدونه من دون الله لا يصلح أن يعبد ويتخذ إلها فقدم أولا المدعي ثم برهن عليه وعلله بأنه لا يقدر على النفع والضر وهذا هو معنى مجيئه على انظم ترتيب كما هو دأب المستدلين في إثبات الدعاوى من تقديم الدعوى على الدليل ثم قال ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين﴾ إلى قوله: ﴿والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين﴾ [الشعراء: ٨٢] تعريضاً بأن آلهتهم التي يدعونهم لا يقدرون على هذه الأفعال التي هي لوازم الألوهية ليؤذن بذلك أن ما لا يقدر على أمثال هذه الأفعال ولا يتصف بصفات الألوهية فهو بمعزل عن الألوهية وهو المراد بقوله والتنبيه على دلائلها مع ما تقدمه من قوله هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون فإن ذلك كله دليل على عدم صلاحية ما يعبدون من دون الله للإلهية.

قوله: وحسن دعوته حيث شرع في الدعوة أولا مستفهماً بماذا تعبدون ليجيبوا بما أجابوا فيرد جوابهم بدليل قاطع قوله وحسن مخالفته حيث قال: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي

besturdubooks.wordpress.com

مخالفتهم معهم وكمال إشفاقه عليهم وتصوير الأمر في نفسه وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون ادعى لهم إلى الاستماع والقبول) إلى أصول العلوم الدينية من نفي الإشراك بالإلزام والبرهان وإثبات الصانع بقوله: ﴿إلا رب العالمين الذي خلقني﴾ [الشعراء: ٧٧، ٧٨] الآية وتوحيده قوله والتنبيه على دلائلها الخ والكل معلوم من بيانه سابقاً.

قوله: (وما كان أكثرهم أكثر قومه به) وما كان أي في علم الله تعالى وقضائه[١] قد مر توضيحه في أوائل السورة.

قوله تعالى: وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

قوله: (وإن ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام) وإن ربك لهو العزيز وهو فصل راجع إلى الرب في قوله تعالى: ﴿إنك أنت العليم الحكيم﴾ [البقرة: ٣٢].

قوله: (الرحيم بالإمهال لكي يؤمنوا أو واحد من ذريتهم) الرحيم بالإمهال أو العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن.

قوله تعالى: كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾

قوله: (القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة) القوم مؤنثة بناء على أنه جمع قائم كزائر وزور قال في سورة الحجرات والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع ثم إنه جمع قائم وهنا رجح ما أخره هناك فهو ليس على إطلاقه ولذا نقل عن المصباح أنه قال القوم يذكر ويؤنث فيقال قام القوم وقامت القوم انتهى ووجهه احتمال كونه مصدراً أو جمع قائم.

قوله: (وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين) أي في سورة الفرقان ولم يرض ما في

خلقني فهو يهدين﴾ [الشعراء: ٧٧، ٧٨] الآية وجه حسن المخالفة أنه خالفهم بالرفق لا بالغلظة حيث قال ﴿فإنهم عدو لي﴾ ولم يقل فإنهم أعداء لكم مع ما في حيز الاستثناء من بيان العلة.

قوله: وكمال الاشفاق عليهم معنى الشفقة مستفاد من التعريض وتصوير الأمر في نفسه بقوله عدو لي حيث لم يقل لكم للإشعار بأنه يريد لهم ما يريد لنفسه وأن ما هو عدو له عدو لهم.

قوله: وإطلاق الوعد والوعيد الخ أي إطلاق الوعد بقوله ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾ [الشعراء: ٩٠] وإطلاق الوعيد بقوله ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾ [الشعراء: ٩١] ومعنى الإطلاق أنه لم يقل أزلفت الجنة للمتقين من عبادة ما عبدتموه وبرزت الجحيم للغاوين بعبادة ما أنتم عابدوه وتعريضاً ببعدهم من الجنة لعدم اتقائهم عن الإشراك وبدخولهم الجحيم لغوايتهم بعبادة الأصنام.

قوله: ليكون ادعى لهم علة لتعريضاً.

قوله: وقد مر الكلام في تكذيبهم المرسلين وهو أن من كذب واحداً من الرسل فكأنما كذب

---

(١) أو الماضي بالنسبة إلى وقت النزول.

besturdubooks.wordpress.com

الكشاف من وجه آخر وهو أن المراد به نوح عليه السلام فقط مثل قولك فلان لا يركب الخيل ويلبس البرود يعني أنه للجنس فيتناول الواحد لأنه يفوت المبالغة من أنهم كذبوا رسلاً عظاماً وفي القوم تغليب لما عرفت أن القوم مختص بالرجال وهنا يعم الرجال والنساء.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦﴾

قوله: (**لأنه كان منهم**) توجيه لقولهم أخوهم قد مر التفصيل[1] وإنما جعل منهم لأنهم أفهم لقوله وأعرف بحاله فعلم منه أن الضمير في منهم لقوم نوح لا للمرسلين.

قوله: (**الله فتتركوا عبادة غيره**) راغباً إلى عبادة غيره أو فتتركوا فرجحوا عبادة غيره فيكون المراد الاتقاء من الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧﴾

قوله: (**مشهور بالأمانة فيكم**) حمله عليه لأنه ادعى إلى الإيمان به.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨﴾

قوله: (﴿**فاتقوا الله**﴾ [الشعراء: ١٠٨]) الفاء لترتب الأمر بالاتقاء على كونه رسولاً.

قوله: (**فيما آمركم به من التوحيد والطاعة**) من التوحيد أي من الاعتقادات الحقة والطاعة بأنواع العبادات من الفروع.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٠٩﴾

قوله: (**وما أسألكم عليه على ما أنا عليه من الدعاء والنصح**) وما أسألكم ما

الجميع وفي الكشاف ونظير قوله: ﴿المرسلين﴾ [الشعراء: ١٠٥] والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له إلا دابة وبرد.

قوله: لأنه كان منهم تعليل وبيان لوجه الأخوة هو من قول العرب يا أخا بني تميم يريدون يا واحداً منهم ومنه بيت الحماسة:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم ... في النايبات على ما قال برهانا

يندبهم أي يدعوهم يقول لا يسألون من يدعوهم إلى الإعانة حجة ولا يراجعونه في كيفية ما الجاؤوا إليهم فيه لكنهم يعجلون الاعانة وعن بعضهم الأخوة إما في الدين أو في النسب أو في الشبه وأما الأخوة في النسب فظاهرة والأخوة في الدين كما في قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ [الحجرات: ١٠] وفي الشبه كما في قوله تعالى: ﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ [الزخرف: ٤٨] أي شبيهتها في الاعجاز.

قوله: فتتركوا عبادة غيره جواب الاستفهام والعرض مثل الا تنزل فتصيب خيراً.

---

(١) أي في سورة الأعراف من بيان نسبه عليه السلام.

besturdubooks.wordpress.com

لمطلق النفي هنا وإن كان الأصل فيه لنفي الحال[1] والسؤال سؤال استعطائي.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾﴾

قوله: (كرره للتأكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم إليه فكيف إذا اجتمعا) من أمانته أي أمانته فيما بينهم وحسم طمعه أي قطعه على وجوب طاعته متعلق بدلالة فإن من يدعو إلى ما ينفع الناس دينياً ودنيوياً بلا شائبة طمع يجب على المدعو طاعته فلا قصور فيه على وجوب الطاعة وجه دلالة كل واحد هو ترتيب الأمر بالفاء على كل واحد على حياله وإذا نظر إليه فلا تكرار لكن المراد في الموضعين لما كان واحداً حكم بالتكرار فكيف إذا اجتمعا أي فكيف لا يجب الطاعة إذا اجتمعا الاستفهام للإنكار وكناية عن إنكار وجوب الطاعة.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص بفتح الياء في أجري في الكلمات الخمس) أي في القصص الخمس.

قوله تعالى: ﴿۞ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله: (﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ الأقلون جاهاً ومالاً جمع الأرذل على الصحة) ﴿قالوا أنؤمن لك﴾ استئناف ولذا ترك العطف ﴿واتبعك الأرذلون﴾ فعلم منه أن المخاطبين في أني لكم رسول أشراف قومهم وأيضاً هذا الخطاب بعد إيمان المقلين مالاً وجاهاً جمع الأرذل على الصحة على كونه جمعاً صحيحاً وأما الأراذل فجمع مكسر.

قوله: والتنبيه على دلالة كل واحد من أمانته وحسم طمعه على وجوب طاعته يعني لما قال عليه السلام ﴿إني لكم رسول أمين﴾ رتب عليه ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾ دلالة على أني إذا كنت رسولاً من عند الله يجب عليكم أن تعرفوا من ارسلني إليكم ومن لوازم المعرفة الخشية ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] وإذا كنت أميناً يجب عليكم أن تطيعوني فيما أدعوكم إليه وآمركم به لأن نصحي لا يكون عن غدر وخيانة ولما قال: ﴿ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٠٩] رتب عليه أيضاً ﴿فاتقوا الله واطيعون﴾ دلالة على أن ما يدعوكم إلى ما ينفعكم ديناً دنيا وبلا شائبة طمع يجب عليكم طاعته فيما آمركم به.

قوله: جمع الأرذل على الصحة أي جمع جمع السلامة بالواو والنون وجمع على التكسير في قوله: ﴿الذين هم أراذلنا﴾ [هود: ٢٧] والرذالة والنذالة الخسة والذلة لا تضاع نسبهم أي لكونهم وضيعين في النسب وقلة نصيبهم في الدنيا وقيل كانوا من أهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وما زالت اتباع الأنبياء كذلك حتى صارت من سماتهم وأماراتهم ألا يرى إلى هرقل حين سأل أبا سفيان عن اتباع رسول الله ﷺ فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الأنبياء كذلك.

---

(١) صرح به المص في سورة الكافرين لكن لقيام القرينة يراد به مطلق النفي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد وأشهاد أو تبع كبطل وأبطال) على أنه مبتدأ خبره الأرذلون والجملة حال يجري مجرى العلة على عدم إيمانهم وكذا الجملة الفعلية في قراءة غيره حال أيضاً والواو رابط بتقدير قد.

قوله: (وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم) وهذا أي قولهم أنؤمن منكرين الإيمان من سخافة عقلهم أي عقلهم المعاد.

قوله: (على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم وإيمانهم بما يدعوهم إليه دليلاً على بطلانه) على الحطام متعلق بقصور لأنه بمعنى الحصر وتأنيث الدنيوية لتأويل الحطام بالزخارف.

قوله: (وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة) وأشاروا بذلك أي اتباع الأرذلين إلى أن اتباعهم ليس عن نظر الخ فهو كقولهم وما نريك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي أي ظاهر الرأي من غير تعمق والحاصل أن قولهم ﴿واتبعك الأرذلون﴾ مجاز أو كناية عن بطلان ما يدعوهم كأنهم قالوا أنؤمن لك والحال أن ما تدعوننا باطل لأنه لو كان حقاً لما تدعوا الأراذل إليه ولم يؤمنوا به فظهر ما ذكرنا آنفاً من أن هذه الحال كالعلة لعدم إيمانهم.

قوله تعالى: قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

قوله: (وإنما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون أنهم عملوه إخلاصاً أو طمعاً في طعمة) وإنما هو لتوقع مال أي مال كثير وزيادة رفعة إن حمل القلة على معناها الظاهري وإن حملت على العدم[1] فالكلام هنا على ظاهره فلذلك أي فلإشارتهم إلى ذلك قال نوح عليه السلام رداً لهم وما علمي ما نافية أو استفهامية إنكارية في معنى النفي قوله في طعمة بضم الطاء ما يطعم والمراد هنا مطلق المال.

قوله: جعلوا اتباع المقلين فيها مانعاً عن اتباعهم فيها متعلق بمقلين والضمير للحطام أي جعلوا اتباع جماعة مقلين في المال مانعاً عن اتباع الناس اياهم وإيمانهم به دليلاً على بطلان الاتباع فأعرضوا عن اتباعه.

قوله: إنهم عملوا اخلاصاً أو طمعاً في طعمة أي وما علمي وأي شيء علمي والمراد انتفاء علمه بإخلاص أعمالهم لله واطلاعه على سر أمرهم وباطنه وفي الكشاف ويجوز أن يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الأرذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الأعمال وفساد العقائد ولا يلتفت إلى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي إلا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن أسرارهم والشق عن قلوبهم وإن كان لهم عمل سيىء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما أنا إلا منذر لا محاسب ولا مجاز.

---

(١) إذ القلة قد تستعمل في العدم كقوله تعالى: ﴿قليلا ما تشكرون﴾ [الأعراف: ١٠].

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وما علي إلا اعتبار الظاهر) فظاهر حالهم إخلاص إيمانهم فلا يكون إيمانهم ولا دعوتنا إياهم دليلاً على بطلان ما تدعوهم وهذا مراده عليه السلام رداً بليغاً عليهم.

قوله تعالى: إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

قوله: (ما حسابهم على بواطنهم إلا على الله فإنه المطلع عليها) أي كلمة إن نافية بقرينة إلا على بواطنهم إخلاصاً كان أو توقع مال إلا على الله تعالى فلا نقدر على البواطن ولذلك قال فيما سبق وما علي إلا اعتبار الظاهر لأن الله تعالى يعلم السرائر فقط.

قوله: (لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون) لو تشعرون أي لو كنتم ذوي شعور لعلمتم جوابه جعل عليه السلام إياهم مؤوف الحواس مسلوب العقل ولذا قال ولكنكم تجهلون.

قوله تعالى: وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾

قوله: (جواب لما أوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف إيمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ [الشعراء: ١١٥]) المانع عنه أي عن الإيمان أي بحسب الظاهر وإلا فالمانع عنه ادعاء بطلان ما يدعوهم إليه كما عرفته المانع عنه مفعول ثانٍ لجعلوا فالأولى مانعاً عنه.

قوله تعالى: إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

قوله: (كالعلة له) بل العلة له لكن لعدم كونه في صورة العلة قال كالعلة.

قوله: (أي ما أنا إلا رجل مبعوث لإنذار المكلفين عن الكفر والمعاصي سواء كانوا أعزاء أو أذلاء فكيف يليق بي طرد الفقراء لاستتباع الأغنياء) أي ما أنا إلا رجل الخ أي أنا مقصور على ذلك فالقصر إضافي بالنسبة إلى الطرد قوله فكيف يليق الخ هذا مؤيد لما قلنا من أنه العلة له.

قوله: (أو ما علي إلا إنذاركم إنذاراً بيناً بالبرهان الواضح فلا علي أن اطردهم

قوله: كالعلة له أي قوله عز من قائل: ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾ [الشعراء: ١١٥] جملة استئنافية واردة على وجه التعليل لمضمون الجملة السابقة التي هي ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾ أي لست أنا طارد المؤمنين لضعفهم ورذالتهم لأن شأني والمقصود من بعثي مقصور على انذار الجميع من غير تفرقة بين الأعزاء والأذلاء وطرد البعض لرذالته لكي تؤمنوا أنتم بنا في ذلك أو لأن شأني والمقصود من رسالتي مقصور على انذاركم لا يتجاوز إلى إرضائكم وتطييب خواطركم بطرد الأرذلين منكم وطردهم لأجل حصول رضاكم خارج عن المقصود بالبعث والإرسال والفرق بين هذين الوجهين ظاهر فإن معنى القصر في الوجه الأول أني بعثت لانذار الجميع لا لانذار البعض وطرد البعض الآخر لإيمان ذلك البعض وفي الوجه الثاني أني بعثت لانذاركم لا لإرضائكم بطرد اراذلكم.

besturdubooks.wordpress.com

لاسترضائكم) فالمقصور عليه الإنذار لا يتعدى إلى استرضائكم لكن هذا المعنى غير ظاهر من المبنى إذ لا دلالة في الكلام على الوجوب وإنما هو منفهم من الفحوى ولذا أخره.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾

قوله: (**﴿قالوا لئن تنته يا نوح﴾** [الشعراء: ١٦٧] **عما تقول**) ﴿قالوا لئن لم تنته﴾ اللام جواب القسم الانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي وأصل النهاية بلوغ الحد فاقتضى هذا الكلام أنهم كانوا ينهونه عليه السلام عن الدعوة إلى الحق ثم قالوا لئن لم تنته قولهم يا نوح لمزيد تيقظهم ولذا قدموا لئن لم تنته على النداء.

قوله: (**﴿لتكونن من المرجومين﴾** [الفرقان: ١١٦]) أبلغ من لأرجمنكم إذ اللام في المرجومين للعهد كما هو الظاهر أي لتكونن من جملة المرجومين الذين هم معهودون بالرجم فيكون الوعد بالرجم مجزوماً بخلاف لأرجمنكم.

قوله: (**من المشتومين أو المضروبين بالحجارة**) أصل الرجم الرمي بالرخام وهي الحجارة وقد يعبر به عن الشتم استعارة لأنه رمى الكلام إلى المشتوم قدمه هنا لظهوره إذ الضرب بالحجارة وهو القتل كناية[1] بعيد ولهذا أخره وإن كان حقيقة فيه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾

قوله: (**إظهاراً لما يدعو عليهم لأجله**) يدعو عليه السلام بقوله: ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ [الشعراء: ١١٨] الآية عليهم[2] أي على القوم لأجله.

قوله: من المشتومين أو المضروبين يعني أن المرجوم من الرجم بمعنى الرمي وهو إما باللسان وهو الشتم أو بالحجارة وهو الضرب قوله اظهاراً لما يدعو عليهم لأجله أي قال عليه السلام أولا ﴿رب إن قومي كذبون﴾ ثم رتب عليه بالفاء السببية قوله فافتح بيني وبينهم وهو دعاء عليهم بالاهلاك اظهاراً أن سبب دعائه عليهم والباعث عليه هو تكذيبهم بالحق لا الخوف على نفسي من تخويفهم بقولهم ﴿لئن لم تنته﴾ الآية ولا لحوق العار على من استخفافهم وفي الكشاف ليس هذا بإخبار بالتكذيب لعلمه أن عالم الغيب والشهادة أعلم ولكنه أراد اني لا ادعوك لما غاظوني وآذوني وإنما ادعوك لأجلك ولأجل دينك ولأنهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني وبينهم يعني أنه كان من حق الظاهر أن يقول يا رب إن قومي توعدوني أن يرجموني لكن رفع حصة نفسه من البين ورفع قصة ما يتعلق بالدين وقال يا رب إني ادعوك عليهم لما أوعدوني بالرجم وإنما ادعوك لأنهم كذبوني في وحيك وإلى هذا المعنى ينظر قوله تعالى: ﴿إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: ٣٣] وروي عن عائشة رضي الله عنها ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه في شيء قط إلا أن ينهتك حرمة الله فينتقم لأنهما أخوان.

---

(١) قوله تعالى: **﴿لو تشعرون﴾** صيغة المضارع لاستمراره فيما مضى وقتاً فوقتاً.
ورجح بعض المفسرين كونه القتل بالحجارة.

(٢) عليهم متعلق لما يدعوا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه) فيكون الدعاء عليهم لأجل استخفاف الحق لا لغرض نفساني وهو كون الدعاء لأجل تخويفهم له عليه فلا إشكال بأنه ليس فيه فائدة الخبر ولا لازمها لما عرفت من أن المراد به ليس إفادة الخبر ولا لازمها بل إنشاء يراد به إظهار ما يدعو عليهم لأجله.

قوله تعالى: ﴿فَٱفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١١٨﴾

قوله: (فاحكم بيني وبينهم من الفتاحة) وهي الحكومة لا من الفتح والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق فالفتاحة مأخوذ من الفتح لتحقق معناه فيها[١] بالجملة والمراد من هذا الحكم إنزال العقوبة عليهم لأنه قال عقيبه ونجني ومن معي وهذا الدعاء عليهم بعد اليأس عن فلاحهم.

قوله: (من قصدهم أو شؤم عملهم) من قصدهم أي من قصد القوم المكذبين إيانا بالسوء قدمه لأنه هو المناسب لقولهم: ﴿لئن لم تنته يا نوح﴾ [الشعراء: ١١٦] الخ قوله أو شؤم عملهم وهو العذاب النازل بكفرهم ومعاصيهم وهذا هو الملائم لقوله:

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ١١٩﴾

قوله: ﴿فأنجيناه ومن معه﴾ [الشعراء: ١١٩] وهذا الإنجاء فيه نجاة من قصدهم أيضاً فلا يقال إن الأول لا يناسب قوله تعالى: ﴿فأنجيناه﴾ [الشعراء: ١١٩].

قوله: (المملوء) والفلك يستعمل مفرداً كما هنا فيكون ضمته كضمة قفل مفرد وقد يستعمل جمعاً فيكون ضمته كضمة أسد جمع أسد والفرق بين المفرد والجمع بالتقدير كون الفلك مشحوناً[٢] قد مر بيانه في سورة هود.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ١٢٠﴾

قوله: (﴿ثم أغرقنا بعد﴾ [الشعراء: ١٢٠] إنجائه) كلمة ثم للتفاوت الرتبي لا للتراخي في الزمان ولذا قال بعد أي بعد إنجائه.

قوله: (من قومه) أي من قوم نوح وهم المكذبون فلا ينافيه هلاك من في الأرض جميعاً وتخصيص قومه بالذكر لأن الكلام فيهم وهم الباعثون لنزول هذا العذاب.

قوله: من الفتاحة والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لأنه يفتح المستغلق كما سمي فيصلاً لأنه يفصل بين الخصومات.

---

(١) حيث قيل لأنه يفتح المستغلق.

(٢) المشحون من الإنسان وسائر الحيوان كما مر تفصيله في سورة هود.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٢١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (١٢٢)﴾

قوله: (شاعت وتواترت) هذا تفنن[1] في البيان وهو من شعب البلاغة لدى أرباب البيان.

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣)﴾

قوله: (انثه باعتبار القبيلة وهو في الأصل اسم أبيه) أي إنه في الأصل اسم لرجل وهو جدهم سمي القبيلة باسم أبيهم الأكبر وهم المراد هنا وعن هذا انث الفعل المسند إليها.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٧)﴾

قوله: (﴿إذ قال لهم أخوهم هود﴾) لأنه كان منهم وهود بيان لأخوهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا أخا العرب فإنه هود بن عبد الله بن رباح بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفحشد بن سام ابن عم أبي عاد كذا قاله المص في سورة الأعراف.

قوله: (تصدير القصص بها دلالة) أي القصص الخمس بها أي بجملة ﴿ألا تتقون﴾ إلى ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ دلالة مرفوع خبر تصدير بمعناها اللغوي وهو الإرشاد مصدر دللت فلاناً على كذا إذا أرشدته إليه وهذا مراد من قال أي دليل أي إرشاد كما قال ابن الحاجب الدليل لغة الإرشاد وما به الإرشاد الخ قيل وذكر هذا الكلام هنا دون القصة الأولى منها أو الأخيرة لأن هذه القصة أول موضع تكرر فيه هذه الكلمة فاحتيج إلى التنبيه عليه.

قوله: (على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه) لأن هؤلاء الأنبياء لم يرتبوا على رسالتهم إلا الأمر بالتقوى حيث قال كل واحد ﴿إني لكم رسول أمين﴾ فإذا كان الأمر كذلك ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ وبه يعلم أن البعثة مطلقاً مقصورة على المذكور إذ لا قائل بالفصل بين رسالة

قوله: تصدير القصص بهذه الأقوال الثلاثة وهي قولهم ﴿ألا تتقون﴾ وقولهم: ﴿إني لكم رسول أمين﴾ [الشعراء: ١٠٧] وقولهم: ﴿وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٠٩] دلالة على أن بعثة الأنبياء مقصورة على دعوة الخلق إلى معرفة الحق وطاعتهم فيما يقرب المدعو إلى ثوابه أي وطاعتهم في عمل يقربهم ذلك العمل إلى ثوابه أي إلى ثواب ذلك العمل ويبعده عن عقابه.

---

(١) حيث قال أولاً لدليلاً أو لدلالة وثانياً أي حجة في تفسير الآية وهنا قال شاعت الخ.

besturdubooks.wordpress.com

ورسالة في هذا المعنى وإن كان فرق بغير ذلك[1] فلا إشكال بأن بعثة الأنبياء المخصوصين كونها مقصورة على ذلك لا يلزم منه كون مطلق البعثة مقصورة على ذلك ثم التقوى الاجتناب عن كل ما يؤثم فيتضمن معرفة الله تعالى وجميع الطاعات فإن التقوى وإن كانت عبارة عن ترك الكبائر والصغائر أو عن ترك الكبائر فقط لكن الموجودات كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم داخلة في التقوى لأن تركها معصية وترك تركها من التقوى كما أن ترك شرب الخمر تقوى فيكون الوجوديات بهذا الاعتبار من التقوى ولذلك تراهم يعدون الوجوديات كالصوم والصلاة من التقوى تارة ويكتفون بالتروك والعدميات كترك الزنا وشرب الخمر في بيان التقوى تارة أخرى والمص اختار عمومها بالوجوديات والعدميات.

قوله: (وكان الأنبياء متفقين على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاريع) على ذلك أي على المذكور من الدعوة إلى معرفة الحق الخ وفي نسخة وإن الأنبياء متفقون فحينئذ يكون معطوفة على أن البعثة مقصورة الخ واتفاق هؤلاء المذكورين من الأنبياء مستلزم لاتفاق جميع الأنبياء عليهم السلام لما مر من أنه لا فرق بين رسالة ورسالة.

قوله: (مبرؤون عن المطامع الدنية والأغراض الدنيوية) معطوف على قوله متفقان وناظر إلى قوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الشعراء: ١٢٧] الآية عن المطامع الدنية أي الخسيسة الحقيرة.

قوله تعالى: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ١٢٨﴾

قوله: (بكل مكان مرتفع ومنه ريع الأرض لارتفاعها) أي لما ارتفع منها وأما الريع بمعنى النماء الحاصل فاستعارة قيل ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء وهو أظهر مما ذكره المص لأن ريع الأرض مكان[2] مرتفع منها فلا يظهر وجه قوله ومنه ريع الأرض إلا أن يراد به النماء الحاصل وإن كان مجازاً ولا يراد به ما ارتفع من الأرض.

قوله: (أي علماً للمارة) أي للقافلة المارة ليعرفوا بذلك غنائهم أو ليعلم بذلك الطرق قوله ببنائها في تفسير تعبثون يؤيد الثاني ولذا قال إذا كانوا يهتدون بالنجوم الخ النجوم

قوله: وأن الأنبياء متفقون على ذلك عطف على أن البعثة أي ودلالة على أن الأنبياء متفقون جميعاً على ذلك أي على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وهو أصل مقصودهم وإن كانوا اختلفوا في بعض تفاريع هذا الأصل.

قوله: مبرؤون خبر ثانٍ لأن في وأن الأنبياء معصومون ومعنى التبرىء عن المطامع الدنية مستفاد من نفي طلب الأجر في قوله: ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾ [الشعراء: ١٠٩] لأن معناه من أجر دنيوي دني.

---

(١) كالبعثة بشرع جديد وكتاب رباني والبعثة إلى قوم مخصوص وإلى كافة الناس.

(٢) والمراد بكل مكان كل مكان يتصرفون فيه.

besturdubooks.wordpress.com

شاملة للشمس فلا إشكال[1] بأن النهار لا نجوم فيه وعروض الغيم لها نادر لا سيما في ديار العرب ألا يرى قوله تعالى: ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ [النحل: ١٦] فمثل هذه المناقشة واهية جداً.

قوله: (بينائها إذ كانوا يهتدون بالنجوم في أسفارهم فلا يحتاجون إليها أو بروج الحمام) عطف على علماً هذا تفسير المجاهد ليسكن الحمام فيها ولا ريب في عبثيتها.

قوله: (أو بنياناً يجتمعون إليها للعبث بمن يمر عليهم أو قصوراً يفتخرون بها) للعبث أي للعب بمن يمر عليهم قوله أو قصوراً يفتخرون بها ولا شك في كونها عبثاً وعلى كل وجه لا يناسب حمل الاستفهام على التقرير بل للإنكار الواقعي وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وكذا وتتخذون مدخول الهمزة والإنكار متوجه إليه.

قوله تعالى: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩﴾

قوله: (مآخذ الماء وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً) مآخذ الماء وهي مجاريه كذا قيل فالصواب وهي مجامع الماء كالحياض وقيل قصوراً الخ هذا على تقدير كون آية غير قصور وإنما مرضه لأن المصانع في هذا المعنى غير مشتهر مع كونها مجازاً.

قوله: (﴿لعلكم تخلدون﴾ [الشعراء: ١٢٩] فتحكمون بنيانها) لعلكم تخلدون حال كونكم راجين الخلود في الدنيا إذ هذا العمل إنما هو لمن يرجو البقاء قال تعالى: ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ [الهمزة: ٣] فالكلام محمول على التشبيه[2] وإلا فلا يظن أحد الخلود لكن معاملته يشبه[3] بمعاملة من يرجو الخلود ولا يظن الموت **(بسوط أو سيف)**.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠﴾

قوله: (متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر في العاقبة) متسلطين غاشمين معناه بلا رأفة كما فسره وفيه إشارة إلى أن الجزاء لكونه مقيداً يغاير الشرط فلا حاجة إلى التأويل بالإرادة كما جنح إليه أبو حيان إذ البطش بلا رأفة مغاير للبطش المطلق

قوله: إذ كانوا يهتدون بالنجوم تعليل لمعنى العبث في بنائهم ذلك يعني إن كان مرادهم ببناء تلك العلامات الاهتداء إلى الطريق في أسفارهم فالنجوم مغنية عنها وهم مستغنون بعلامة النجوم عن تلك العلامات فيكون بناؤها عبثاً قال صاحب الانتصاف وليس بعبث لأن الحاجة قد تدعو إليه لغيم مطبق أو غيره قال الإمام البناء المرتفع إنما كان مذموماً لدلالته على السرف والخيلاء واتخاذ القصور لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر.

قوله: غاشمين أي ظالمين يقال الحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني.

---

(١) وهذا الأخير هو الملائم لكلام المص.

(٢) فالمعنى لعلكم تخلدون حال كونكم في صورة راجين الخلود وغير ظانين الموت.

(٣) والمشبه به مفروض مقدر لا محقق.

besturdubooks.wordpress.com

والقول بأن المطلق ليس سبباً للمقيد فلا بد من التأويل بالإرادة ضعيف إذ المقيد موقوف على المطلق[١] فهو سبب له ولو ناقصاً لأن الشخص ما لم يقدر المطلق لم يقدر المقيد فالمعنى وإذا فعلتم هذا الفعل فعلتم على وجه أتم وفي مثل هذا الموضع الإشكال باتحاد الشرط والجزاء ودفعه بما ذكرناه لا بعدم سببية الشرط للجزاء ألا يرى أن شراح الحديث دفع إشكال الاتحاد في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله بأن المراد فهجرته مقبولة كاملة فجعلوا مطلق الهجرة إلى الله ورسوله سبباً للهجرة المقيدة لكونها سبباً في الجملة.

قوله تعالى: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾

قوله: (بترك هذه الأشياء) قيده بها لبيان ارتباطه بما قبله وإلا فالمعنى ﴿فاتقوا الله﴾ [الفرقان: ١١٠] بترك جميع المنكرات وإتيان جميع المأمورات إلا أن يقال إن العموم لكونه مستفاداً من قوله وأطيعون خص الأشياء المذكورة بالذكر.

قوله: (فيما ادعوكم إليه فإنه أنفع لكم) من قبيل الصيف أحر من الشتاء أو بمعنى أصل الفعل.

قوله تعالى: وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾

قوله: (كرره مرتباً على إمداد الله إياهم بما يعرفونه من أنواع النعم) كرره أي بحسب الظاهر وإلا فبالنظر إلى ما ذكره من قوله مرتباً عليه الخ لا تكرار.

قوله: (تعليلاً) فإن نسبة أمر إلى المشتق يفيد علية مأخذ الاشتقاق لكن ليست علة مستقلة إذ خلقه تعالى يقتضي الاتقاء عنه وسائر إنعاماته لم تذكر هنا ثم المراد بالعلة العلة الحصولية لا التحصيلية.

قوله: (وتنبيهاً على الوعد عليه بدوام الإمداد والوعيد على تركه بالانقطاع) وتنبيهاً على الوعد عليه أي على الاتقاء لأن التقوى[٢] لما عللت بالإمداد يفهم منه أن بالتقوى يدوم الإمداد

قوله: كرره أي كرر هود الأمر بالاتقاء مرتباً على امداد الله تعالى اياهم ما يعرفونه من أنواع النعم تعليلاً أي تعليلاً للأمر بالاتقاء أو تعليلاً باتقائهم فالمعنى أن الله تعالى كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة وهي نعمة الامداد بما يعملون من صنوف النعم فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه أو أنه تعالى كما قدر على أن ينعم تلك النعم عليكم فهو قادر على نزعها من أيديكم إن لم تشكروها فاتقوا ترك شكر منعمها لئلا يكون ترك الشكر مسلبة لتلك النعم ونحوه في ضم وصف القهارية مع وصف الرحمانية قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾ [آل عمران: ٣٠].

---

(١) كيف لا والشروع في المقيد المخصوص مسبوق بالمطلق فيكون سبباً مؤدياً إليه.

(٢) وأيضاً انتفاء المعلول مستلزم لانتفاء العلة التامة كما أن وجوده مستلزم لوجودها.

besturdubooks.wordpress.com

وإلى هذا أشار المحشي بقوله إذ التكرير نيط به القيد فلا جرم أن انقطاع الإمداد بانقطاع التقوى إذ التقوى شكر له وقد قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم﴾ [إبراهيم: ٧] الآية وفي نسخة أو تنبيهاً بدل الواو لكن الأولى هو الأول لأن كلاهما يجتمعان في العلية.

قوله تعالى: أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

قوله: (ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها إجمالاً بالإنكار في ﴿ألا تتقون﴾ مبالغة في الإيقاظ والحث على التقوى فقال: ﴿أمدكم﴾ [الشعراء: ١٣٢]) الآية ثم فصل الخ ثم للتراخي الرتبي لا للزماني لاتصاله به قوله تلك النعم إشارة إلى أن النعم التي أمدها كثيرة نوعاً فضلاً عن إفراد وما ذكر هنا نبذ منها فالمراد ببعض تلك النعم بعض أنواعها فقال: ﴿أمدكم بأنعام﴾ [الشعراء: ١٣٣] الآية وهذا بناء على أن أمدكم تفسير له أو بدل منه كون الجملة بدلاً راجح وإن أنكرها البعض قدم الأنعام لأن حفظ البنين يكون بها وآخر جنات وعيون لأن البساتين ليس في مثابة الانعام في حفظ القوام وعيون قد يستغنى عنها بسائر المياه مع مراعاة الفاصلة (**ثم أوعدهم**) إن بقوا على الكفر وعدم التقوى عنه ولم يشكروا على نعمائه المذكورة وغيرها.

قوله: (فقال) عطف المفصل على المجمل.

قوله: (﴿إني أخاف﴾ [الشعراء: ١٣٥]) الآية أكده مبالغة في وقوعه قال أخاف ولم يجزم مع أنه مجزوم على تقدير بقائهم على الكفر إما للتعميم إلى العذاب في الدنيا وهو غير مقطوع به أو لأنه أدخل في النصح وأبعد عن المجادلة والمناقشة.

قوله: (في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام) فإنه كما قدر على الانعام أشار به إلى أن المراد بالنعم في قوله بعض تلك النعم بمعنى الانعام فإنها قد يطلق عليه إذ الإمداد فعل الله وهو الانعام والنعمة إنعام وبنون وغيرها ولك أن تقول مراده فيما سبق الانعام ونظيرها إذ هي المفصل والانعام هو إمداد الله وهو المراد هنا.

قوله تعالى: قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾

قوله: (فإنا لا نرعوي عما نحن عليه) أي لا نكف ولا ننتهي قابلوا الحسنة بالسيئة لانهماكهم في التقليد وعدم لفتهم إلى التحقيق.

قوله: (وتغيير شق النفي عما تقتضيه المقابلة للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه) وتغيير شق النفي حيث لم يجيء أم لم تعظ مع أن الظاهر[1] في المقابلة للمبالغة في قلة الخ

قوله: وتغير شقي النفي عما يقتضيه المقابلة أي تغيير طرف النفي عما يقتضيه حكم المقابلة

---

(١) مثل قوله تعالى: ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ [البقرة: ٦].

besturdubooks.wordpress.com

والمبالغة من حيث إنهم نفوا عنه كونه من عداد الواعظين وجنسهم فكأنهم قالوا استوى عندنا وعظك بعدم عدك من هذا القبيل أصلاً وعدم كونه من قبيل الواعظين أبلغ من عدم كونه واعظاً لأن الأول يفيد عدم كونه من هذا الجنس بالفعل ولا بالقوة بخلاف الثاني والاستمرار المستفاد من كان يعتبر بعد النفي فيفيد استمرار النفي ودوامه لا نفي الدوام واستمراره أو لرعاية[1] الفاصلة سواء بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر خبر مقدم أوعظت الخ مبتدأ تقديره مستوٍ وعظك وعدمه علينا والهمزة وأم المتصلة جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء وتقرير معنى سواء وتأكيده وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ [البقرة: ٦].

قوله تعالى: إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

قوله: (ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين أو ما خلقنا هذا إلا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب) ما هذا الخ أشار إلى أن إن بمعنى النفي بقرينة إلا أوردوا الكلام بطريق الحصر مبالغة في الإنكار وتعصباً في العناد والاستكبار إلا كذب الأولين هذا على قراءة خلق الأولين بفتح الخاء وسكون اللام من الاختلاق أي الكذب وإضافته إلى الأولين لكونه من مخترعاتهم على زعمهم والمراد بما جئنا به البعث

وهو أن يقال أم لم تعظ ليكون المنفي هنا هو المثبت في المقابل الآخر وهو أوعظت فكان مقتضى الظاهر أوعظت أم لم تعظ لكن غير طرف النفي عن مقتضى الظاهر إلى أم لم تكن من الواعظين قد ورد النفي على كونه من أهل الوعظ وزمرة الواعظين لا على فعل الوعظ للمبالغة في قلة اعتدادهم بوعظه فالمعنى سواء علينا افعلت هذا الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهل الوعظ فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه أم لم تعظ وجه أبلغيته منه أنه ادل على شدة امتناعهم عن قبول وعظه حيث سووا بين تكلمه بالوعظ وبين عدم صلاحيته له أي كما أنا لا نتعظ بوعظك ولا نتأثر به حين كونك غير أهل للوعظ كذلك لا نتعظ ولا نتأثر به إن وعظت بخلاف أوعظت أم لم تعظ لأن التسوية بين الوعظ وتركه في عدم التأثير ليست في تلك المثابة من الدلالة على شدة الامتناع والاعراض إذ يمكن الاتعاظ بفعل الواعظ وإن لم يعظ قولاً إذا كان صالحاً للوعظ أهلاً له ولذا قيل الواعظ بالفعل نافذ سهامه والواعظ بالقول ضائع كلامه فكيف إذا كان أهلاً للوعظ قولاً وفعلاً.

قوله: ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الأولين هذا على قراءة الفتح من خلق بمعنى اختلق أي افترى والافتراء كذب فعلى هذا التفسير يكون المشار إليه لهذا ما جاء به نوح من أحكام الشرع وقوله: أو ما خلقنا إلا خلقهم هو على قراءة الفتح أيضاً لكن الخلق هنا من خلق بمعنى قدر وأوجد والمشار إليه هو الخلق بمعنى الايجاد أيضاً قوله في جوفه شماريخ القنوان جمع قنو بالكسر الكباسة وهي في التمر بمنزلة العنقود في العنب والشماريخ جمع شمراخ بالكسر وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة.

---

(١) تعليل آخر لتغيير شق النفي.

besturdubooks.wordpress.com

والحساب بقرينة قولهم ﴿وما نحن بمعذبين﴾ أو الخلق بمعنى الإيجاد لا بمعنى الكذب فحينئذٍ المشار إليه بقولهم إن هذا الخلق ولذا قال ما خلقنا إلا خلقهم أي إلا مثل خلقهم ففي الكلام مبالغة قوله نحيا ونموت وجه الشبه ولذا قال مثلهم قوله ولا بعث ولا حساب مآل قولهم ﴿وما نحن بمبعوثين﴾ وحاصل كلامهم إنكار العذاب المشار إليه بقوله: ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٣٥] ورد له.

قوله: (**وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين أي ما هذا الذي جئت به إلا عادة الأولين كانوا يلفقون مثله**) أي ما هذا الذي الخ حمل الخلق على العادة لاستلزامها قوله كانوا أي قوم قبل هود عليه السلام يلفقون أي يخترعون مثله مثل هود عليه السلام وعكسوا التشبيه فالظاهر كان يلفق مثلهم وحاصله إنكار البعث أيضاً وهذا مثل الوجه الأول في القراءة الأولى.

قوله: (**أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلا خلق الأولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلا عادة قديمة لم يزل الناس عليها**) أو ما هذا الذي نحن عليه من الدين الخ فحينئذٍ المشار إليه ما كانوا عليه وفي الأول الذي جاء به وكثرة الوجوه في القراءتين كثرة احتمال المشار إليه بمعونة المقام قوله لم يزل الناس عليها فحينئذٍ لا بعث ولا عذاب كما لا حساب ولا ثواب وهذه الوجوه الخمسة كلها بناء على إنكار البعث وإن تغايرت مفهوماً فتأمل في تقديم الوجوه ومناسبتها المقام.

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾

قوله: (**على ما نحن عليه**) من الشرك والمعاصي منتظم على الوجوه كلها وهذه الجملة تذييلية مقررة لمضمون ما قبلها.

قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾

قوله: (**فكذبوه فأهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر**) بسبب الخ أي الفاء للسببية داخلة على المسبب بريح صرصر أي شديد الصوت من الصر بفتح الصاد شدة الصوت أو شديدة البرد من الصر بكسر الصاد شدة البرد وقد مر التفصيل في سورة هود وسيجيء في سورة الحاقة.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

قوله: (**إنكار لأن يتركوا كذلك أو تذكير بالنعمة في تخلية الله تعالى إياهم وأسباب تنعمهم آمنين**) إنكار لأن يتركوا كذلك أي إنكار للوقوع وإبطال له أو تذكير بالنعمة الخ

besturdubooks.wordpress.com

فيكون الاستفهام للتقرير أي للتحقيق والتثبيت أي قد تركتم في تلك النعمة بإنعام الله تعالى طول الحياة وتسهيل أسباب المعاش.

قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله: (ثم فسره بقوله: ﴿في جنات وعيون﴾ [الحجر: ٤٥]) الآية ثم فسره أي فسر قوله فيما ههنا وما موصولة أي في الذي استقر في هذا المكان كون في جنات الخ تفسيراً له على أنه بدل[١] منه.

قوله: (لطيف لين للطف التمر) لطيف وهذا معنى مجازي للهضيم لأن أصله الانحطاط أو الشق ثم تجوز به عن الرقة واللطف واللين إذ في الرقة انحطاط من الغلظة قوله للطف التمر فيكون الطلع مجازاً عن التمر باعتبار الأول أو وصف له للطف تمره فيكون المجاز في النسبة وهذا هو الملائم لقوله للطف التمر.

قوله: (أو لأن النخل انثى فطلع إناث النخل هو ألطف ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو) أو لأن النخل انثى أي ولأن المراد بالنخل هنا الأنثى منها لا مطلقاً لأنها المثمرة[٢] وهي المناسب لكون المقام مقام تعداد النعم ولما كان المراد الأنثى وطلع إناث النخل هو ألطف ما يطلع أي يظهر منها أي من جنس النخل فيكون وصف الطلع بالهضيم حقيقياً كما أن المراد بالطلع معناه الحقيقي بخلاف الوجه الأول فإن فيه مجازاً في الكلمة على تقدير أو مجازاً في النسبة على تقدير آخر فلا جرم أن هذا الاحتمال هو الراجح وهو المذكور في الكشاف قوله كنصل السيف وصف له بتقدير طلوعاً أي طلوعاً يشبه له في الهيئة والصورة القنو من التمر كالعنقود من العنب وكل غصن من أغصان وهو الذي عليه البسر كشمراخ وجمعه شماريخ.

قوله: (أو متدل متكسر من كثرة الحمل) أو متدل عطف على لطيف وتفسير آخر للهضيم والتكسر إما على ظاهره أو مجاز عن قرب الانكسار بسبب التدلي قوله من كثرة الحمل بكسر الحاء وهو الثمار.

قوله: (وإفراد النخل لفضله على سائر أشجار الجنات) شروع في بيان وجه ذكر النخل بعد الجنات المتناولة لها لفضله على سائر الأشجار وبهذا الفضل كأنها ليست منها فأفرد ذكراً.

قوله: (أو لأن المراد بها غيرها من الأشجار) بناء على أن العام إذا قوبل بالخاص

قوله: وافراد النخل لفضله يعني كان ذكر الجنات يغني عن ذكر النخل لاشتمالها عليه لكن افرد النخل بالذكر لشرفه وفضله على الأشجار.

قوله: أو لأن المراد بها غيرها أي وافراد النخل بالذكر لأن المراد بالجنات غير النخل من

---

(١) أي المراد بالتفسير ليس بالمعنى المصطلح بل بالمعنى اللغوي وهو الإيضاح وكشف المراد.

(٢) أشار بهذا إلى أن المراد بالانثى ما هو المثمرة ثمراً لطيفاً.

besturdubooks.wordpress.com

يراد به ما وراء الخاص وفي مثل هذا المشهور هو الوجه الأول كعطف جبريل على الملائكة ذكر ضمير النخل هنا لأنه يجوز تذكيره كقوله تعالى: ﴿نخل منقعر﴾ [القمر: ٢٠] وتأنيثه مثل قوله تعالى: ﴿نخل خاوية﴾ [الحاقة: ٧] وسره التذكير للحمل على اللفظ والتأنيث للحمل على المعنى.

قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

قوله: (وتنحتون)[1] وتنقبون.

قوله: (بطرين أو حاذقين من الفراهة وهي النشاط فإن الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو فرهين وهو أبلغ) بطرين البطر الشره والحرص وعدم القناعة قوله أو حاذقين أخره إذ الأول يناسب مقام الذم وإنما تعرضه إذ الحمل على المعنى الآخر غير المعنى الذي في سورة الحجر صحيح لتكثير الاحتمالات والتأسيس أولى من التأكيد لكن لمناسبة المعنى الأول للمقام يزاحم الأولوية فبقي صحة اعتباره قوله من الفراهة وهي النشاط ظاهر كلامه أن حقيقته النشاط واستعماله في الحذاقة مجاز قيل وهو كذلك كما في نهاية ابن الأثير ولا ينافيه تفسيره به في بعض كتب اللغة لأنهم لا يفرقون بين الحقيقة والمجاز الواردين عن العرب انتهى وفيه نوع خدشة إذ معنى اللفظ إنما يعرف ببيان كتب اللغة فإذا جوز ذلك يقع الالتباس إلا أن يقال هذا إذا كان قرينة على ذلك وإلا فما ثبت في كتبهم يجب الحمل على أنه معنى موضوع له ولذا قال الفاضل المحشي وهو خلاف ما في كتب اللغة لدلالته على كونه حقيقة لغوية فالأولى حمل كلام المص على أنه حقيقة وبيانه توضيح تحقق النشاط في الحاذق والحمل على المجاز وإن كان ظاهراً فلمحافظة ما في كتب اللغة فالحمل على الحقيقة أولى قوله فرهين وهو أبلغ من المبالغة لدلالته على الثبوت دون فارهين.

الأشجار لأن لفظ الجنات مطلق يصلح للكل والبعض وقرينة إرادة البعض عطف ونخل عليه فأفرد النخل بالذكر لعدم تناول الجنات له ذكر ضمير النخل في قوله لفضله وانثه في قوله غيرها لأن النخل مما يذكر ويؤنث قوله أو من ذي السحر بضم السين وفتحها وسكون الحاء الرئة.

قوله: بضرب وعقر من عقره أي جرحه. فهو عقير أي جريح.

قوله: وهو أبلغ من تعظيم العذاب أي وصف اليوم بالعظم لعظم ما فيه من العذاب أبلغ من وصف نفس العذاب به أي قوله عز من قائل: ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٥٦] أبلغ أي ادخل في المبالغة من أن يقال فيأخذكم عذاب يوم عظيم أبلغ أي ادخل في المبالغة من أن يقال فيأخذكم عذاب عظيم وجه ابلغيته منه أن عظم العذاب كأنه سرى إلى زمانه فيكون مثل نهاره صائم فإن الوقت إذا عظم بسببه كان موقعه من العظم أشد فهو من باب الكناية.

---

(١) عطف على أتتركون والهمزة معتبرة فيه إن كان للتقرير وإن حملت على الانكار فالظاهر أنه عطف على مجموع اتتركون فالاستفهام لا ينصب على تنحتون وقيل الإنكار متوجه إليه لكن هذا لا يلائم السوق.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (١٥١)﴾

قوله: (استعيرت الطاعة التي هي انقياد الآمر لامتثال الأمر) استعير الطاعة التي بمعنى الإطاعة لا بمعنى الخير نفسه قوله التي هي انقياد الآمر الخ قرينة عليه هذا جواب عما يقال إن الإطاعة تكون للآمر لا للأمر فأجاب بأن الإطاعة استعيرت للامتثال فيكون مجازاً في الكلمة بطريق الاستعارة التبعية شبه امتثال الأمر بطاعة الآمر في كونه سبباً لتحصيل مرضات الله تعالى ثم أطلقت عليه فاشتق منه وكونه مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم إذ امتثال الأمر يلزمه إطاعة الآمر وبالعكس ضعيف إذ المبالغة في الاستعارة أتم واتفاقي وأما جعله استعارة بالكناية بتشبيه الأمر بالآمر قوله: ﴿ولا تطيعوا﴾ [الشعراء: ١٥١] قرينة عليه فركبك إذ مشابهة الأمر بمعنى القول بالآمر غير واضح.

قوله: (أو نسب حكم الآمر إلى أمره مجازاً) أو نسب حكم الأمر وهو الإطاعة إلى أمره مجازاً لملابسة بينهما فيكون مجازاً في النسبة دون الكلمة وهذا بناء على أن الاعتبار بالإثبات وإلا فلم ينسب الإطاعة إلى الأمر بل نهى عنه وتفصيله في المطول[1] في قوله تعالى: ﴿فما ربحت تجارتهم﴾ [البقرة: ١٦].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٢)﴾

قوله: (وصف موضح لإسرافهم ولذلك عطف ﴿ولا يصلحون﴾ [الشعراء: ١٥٢] على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم) وصف موضح كاشف عن المراد بالإسراف وهو الإفساد ومثل هذا لا يسمى مخصصاً قوله دلالة على خلوص فسادهم وأما ما يرى فساداً ظاهراً لكن فيه نوع صلاح كقتل الخضر الغلام ونحوه فلا خلوص في فساده.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (١٥٣)﴾

قوله: (﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ [الشعراء: ١٨٥] الذين سحروا كثيراً حتى غلب على عقولهم) قالوا استئناف مبين لشناعة حالهم وسوء مقابلتهم بناصحهم ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ [الشعراء: ١٨٥] فيه مبالغة الحصر واختيار إنما المفيد لمعلومية الحكم للمخاطب قولهم من المسحرين دون إنما أنت ساحر واختيار صيغة التفعيل التي تفيد التكثير ولذا قال الذين سحروا كثيراً منبهاً على أن المراد تكثير الفعل لا الفاعل.

قوله: (أو من ذوي السحر وهو الرئة أي من الأناسي فيكون ما أنت) الآية فيكون صيغة المسحرين من صيغ النسب مع كونه اسم مفعول من المزيد وكلاهما ليس بشائع في صيغة النسبة ولذا أخره أي من الأناسي حاصل معناه لأن صاحب الرئة الحيوان فالمراد به هنا الإنسان من بين الحيوان[2].

---

(١) وفي المطول وجوابه أنه لو اعتبر الكلام مجرداً عن النفي وأدى بصورة الاثبات لكان إسناداً إلى ما هو له لأن النفي فرع الاثبات انتهى والنهي كالنفي.

(٢) لأن الجمع المذكر السالم يناسب الأناسي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١٥٤﴾

قوله: (تأكيداً له) للمبالغة في نفي الرسالة وأما على الأول فهي استئناف للتعليل أي أنت مسحور لأنك لست إلا بشراً مثلنا لا فضل لك علينا فدعوى الرسالة إنما هي لخلل في عقلك بسبب السحر ولذا اختير الفصل.

قوله: (﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٥٤] في دعواك) فأت بآية تدل على دعواك بزعمك فلا يلزم الاعتراف بإمكان رسالته بعدما ادعوا امتناعها لأن زعمهم أن الرسالة والبشرية متنافيتان فالأمر بالإتيان للتعجيز والفاء لترتب ما بعده على ما قبله على الوجه المحرر[١] قولهم: ﴿إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٥٤] بناء على اعتقاد المخاطب وإلا فهم جازمون بعدم الصدق غير مترددين فصيغة الشك لما ذكرناه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ١٥٥﴾

قوله: (﴿قال هذه ناقة﴾) قال صالح عليه السلام هذه ناقة.

قوله: (أي بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه كما اقترحوها) من الصخرة المنفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة بدعاء الصالح عليه السلام بعد ما صلى كما اقترحوها وسألوها بالإلحاح حيث قال سيدهم جندع بن عمرو أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة أي مشابهة الخلقة الجمل جوفاء أي عظيم البطن وبراء أي كثير الشعر فإن فعلت صدقناك إلى آخر القصة المبسوطة في سورة الأعراف.

قوله: (لها شرب) صفة ناقة وبهذه الصفة يفيد حمل ناقة على هذه.

قوله: (نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرىء بالضم) كالسقي بكسر السين وسكون القاف وكذا القيت بكسر القاف وسكون الياء للحظ من السقي ناظر إلى الأول والقوت ناظر إلى الثاني.

قوله: (فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها على شربها) فاقتصروا الخ مستفاد من تقديم لكم[٢].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥٦﴾

قوله: (﴿ولا تمسوها بسوء﴾) فيه مبالغة حيث نهى عن المس[٣] والمراد النهي عن السوء.

---

(١) أي لما قال صالح إني رسول ولي معجزة امتاز بها عنكم قالوا في مقابلته فأت بآية هذا القول منفعهم مما قبله أو مقدر قبله بالقرينة.

(٢) لكن الأولى فلا تزاحمكم هي فيه لأنه مقتضى الحصر وما ذكره حاصل المعنى وفي الأول فلا تزاحموها فيه.

(٣) هذا إذا أريد بالمس مقدمة الإصابة وإلا فلا مبالغة فيه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (كضرب وعقر) ولذا نكر سوء.

قوله: (فيأخذكم) منصوب على أنه جواب النهي والمعنى ولا يكن منكم مس الناقة بسوء وأخذكم عذاب يوم ونهي الأخذ كناية عن نهي السوء بقصد.

قوله: (عظم اليوم لعظم ما يحل فيه) عظم فعل ماض من التعظيم أي نسب العظيم إلى اليوم مجازاً بملابسة الظرفية.

قوله: (وهو أبلغ من تعظيم العذاب) لأنه يفيد أن عظم العذاب بلغ مبلغاً لا يعرف كنهه حتى تجاوز إلى اليوم الذي وقع العذاب فيه.

قوله تعالى: فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٧)

قوله: (أسند العقر إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولذلك أخذوا جميعاً) لأن عاقرها وهو قذار بن سالف بن أحيمر ثمود إنما عقر برضائهم[1] وإسناد الفعل الصادر من البعض إلى الجميع بشرط الرضاء وإليه أشار بقوله إنما عقر برضاهم لكن هذا ليس بكلي وقد أشار إلى ما ذكرنا المص في تفسير قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أئذا مت﴾ [مريم: ٦٦] الآية من سورة الكهف وقد بين الفاضل السعدي بمثل ما ذكر مع التفصيل فيه.

قوله: (﴿فأصبحوا نادمين﴾) أي فصاروا نادمين وقت الصبح والقيد بوقت الصباح إما لأن نزول العذاب كان أكثره نازلاً في وقت الصبح أو لأنه كذلك وقع فيه.

قوله: (على عقرها خوفاً من حلول العذاب لا توبة) عطف على خوفاً إنما لم يكن توبة

قوله: أسند الفعل إلى كلهم لأن عاقرها إنما عقر برضاهم ولا يظن أنه يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأنه مجاز صرف من باب اطلاق لفظ الجزء على الكل.

قوله: خوفاً من حلول العذاب لا توبة أو عند معاينة العذاب هذا جواب سؤال عسى يرد هنا بأن الندامة على الجريمة توبة فكيف أخذهم العذاب وهم قد ندموا فأجاب بأن ندمهم ذلك ليس على وجه التوبة بل إنما كان خوفاً من حلول العذاب العاجل على عقرهم الناقة أو ندموا على وجه التوبة لكن لم ينفعهم لكون ندمهم في غير وقت التوبة حيث ندموا عند معاينة العذاب قال عز من قائل: ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات﴾ [النساء: ١٨] الآية وفي الكشاف لم يكن ندمهم ندم تائبين ولكن ندم خائفين أن يعاقبوا على العقر عقاباً عاجلاً كمن يرى في بعض الأمور رأياً فاسداً ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي تم كلامه قال الميداني الكسعي رجل من كسعة واسمه محارب بن قيس أنه كان يرعى ابلاً له بواد معشب فاتخذ قوساً من ليفة قد كان رباها وخمسة أسهم ثم خرج حتى أتى موارد حمر فرمى عيرانها ثم أخر وأخر إلى خمس مرات ففرت

---

(١) وفي معناه أمرهم بذلك على ما رواه في الكشاف قال الفاضل المحشي وقد دلت الرواية على رضاهم به لا على أمرهم وهذا وجه عدول المص إلى الرضاء على أن الرضاء يعم الرضاء مع الأمر أو الرضاء بلا أمرهم وعونهم فلا غبار في كلامه طاب الله ثراه.
قوله فعقروها الفاء فصيحة أي شق عليهم ذلك فعقروها.

besturdubooks.wordpress.com

لأن التوبة ليست مجرد الندامة بل إذا كان مع العزم أن لا يعود وما ورد في الخبر من أن التوبة ندم فإشارة إلى الركن الأعظم كقوله عليه السلام الحج عرفة على أن الندامة على المعصية من حيث إنها معصية لا لشيء آخر كندامة شرب خمر لصداع يستلزم العزم على عدم العود.

قوله: (أو عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم) أو عند عطف على خوفاً أي صاروا نادمين عند معاينة العذاب وهذا وإن كان توبة[1] لكن لم تنفعهم لفقد الامتثال ومناقشة بعض هذا مردود بقوله تعالى: ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾ [الأعراف: ٧٧] فإنه يدل على أن ندامتهم على ترك ولدها لا على عقرها لأن هذا القول بعد عقرها ضعيف جداً أما أولاً فلأنه من أين يعلم أن هذا القول بعد عقرها والواو لا يدل على الترتيب كما لا يدل على عدمه فإنه يجوز أن يكون المعنى ائتنا بما تعدنا من المعجزة أو يجوز أن يكون الواو حالية أي والحال أنهم طلبوها من صالح ووعدوه الإيمان به عند ظهور الناقة ومع مانع العقر وموجب الإيمان عند ظهورها عقر في غاية من الشناعة ومقتض لنزول العقوبة ولذهول هذا القائل عن هذه النكتة الأنيقة تطاول مد الأعناق واعترض على سيد الحذاق كما هو عادته في مد الساق وأما ثانياً فلأنه يجوز أن يندم بعض وهو المراد بقوله: ﴿فأصبحوا نادمين﴾ [الشعراء: ١٥٧] ويقول ذلك بعض آخر وإسناد فعل البعض وقوله إلى الجميع شائع وأما ثالثاً فلأنه يجوز أن يندموا أولا خوفاً من حلول العذاب ثم نكسوا على رؤوسهم فقالوا ما قالوا بعد ما عقروا وأما رابعاً فلأنه يجوز أن يقولوا ذلك حين لم يروا أمارات العذاب ويندموا إذا رأوها لأنه لا دليل على عموم[2] الأوقات كما لا دليل على عموم الأشخاص.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾﴾

قوله: (أي العذاب الموعود) أي اللام في العذاب للعهد أي الموعود بقوله: ﴿فيأخذكم عذاب يوم عظيم﴾ [الشعراء: ١٥٦].

قوله: (في نفي الإيمان عن أكثرهم في هذا المعرض) هذا غير مختص بهذه القصة لكن عادة الشيخين بيان اللطائف في مواضع شتى من المعارف.

الحمر إلى الجبل فتبعها هو فجاء الليل فأورى ناراً فظن أنه اخطأ في رميه ذلك ثم عمد إلى قوسه فضرب بها حجراً فكسرها فلما أصبح نظر إلى الحمر مطرحة حوله واسهمه بالدم ملطخة فندم على كسر القوس فشد على ابهامه فقطعها وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذن لقطعت خمسي

قوله: في نفي الإيمان في هذا المعرض إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا

---

(١) إشارة إلى أنه على الوجه الأول ليس بتوبة.

(٢) فإذا لم يكن دليل على عموم الأوقات فيصح الجواب الثالث والرابع وإذا لم يكن دليل على عموم الأشخاص فيحسن الجواب الثاني.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (إيماء بأنه لو آمن أكثرهم أو شطرهم لما أخذوا بالعذاب وإن قريشاً إنما عصموا عن مثله) بأنه لو آمن الخ قيل هذا بناء على أن يكون تعلق قوله ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٥٨] بقوله: ﴿فأخذهم العذاب﴾ [الشعراء: ١٥٨] لكن الظاهر أنه متعلق بقوله: ﴿إن في ذلك لآية﴾ [الشعراء: ١٥٨] كما في قصته إبراهيم عليه السلام وصفاً لهم بقسوة القلب انتهى قد اعترف هذا القائل بأن هذا البيان لا يختص بهذه القصة وهذا الاحتمال جار في كل قصة ذكر فيها ﴿وما كان أكثرهم﴾ [الشعراء: ١٥٨] بعد قوله: ﴿فأخذهم العذاب﴾ [الشعراء: ١٥٨] الخ وهذا الوجه جار إن تعلق بقوله: ﴿إن في ذلك لآية﴾ [الشعراء: ١٥٨] لوقوعه بعد قوله: ﴿فأخذهم العذاب﴾ [الشعراء: ١٥٨].

قوله: (ببركة من آمن منهم) أي في علم الله تعالى أنهم يؤمنون أو يولد منهم من آمن وقد صرح المص في قصة موسى أن معنى ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٥٨] أي في علم الله تعالى وقضائه وقد فصلناه هناك المراد بالمعرض النسياق بإسناد الذنب إلى جميعهم وهذا شامل في كل معرض كذلك والمراد بالشطر هنا النصف ولو اكتفى به لكفى[1].

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾

قوله: (﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾) لأنهم أصهاره كما ذكره في موضع آخر.

قوله: (أي أتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران) يعني إنكم مخصوصون بهذه الفاحشة كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ [الأعراف: ٨٠].

بالعذاب وجه الإيماء أن قوله عز من قائل: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٢١] جملة اعتراضية وقعت في معرض التعليل للحكم السابق الذي هو أخذ العذاب فكأنه قيل فأخذهم العذاب لكون أكثرهم غير مؤمنين ولما دلت الآية على أن كفر الأكثر يوجب العذاب دلت أيضاً على أن إيمان الأكثر يوجب العصمة والنجاة عنه بحكم العكس كقريش وهذا هو المراد بقوله وأن قريشاً إنما عصموا عن مثله ببركة من آمن منهم قوله: أو شطرهم أي نصفهم.

قوله: أي اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران هذا التفسير مبني على أن المراد بالعالمين كل ما علم به الخالق فالمعنى اتأتون الذكران من بين من عداكم من العالمين فلفظة من على هذا بيان للضمير في اتأتون والمراد بالعالمين كل من ينكح من الحيوان إذ العالم حينئذٍ عبارة عن الآتي أي من العالمين لأتين الناكحين.

---

(١) إذ إيمان نصفهم إذا كفى في دفعه فأكثرهم أولى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لا يشارككم فيه غيركم أو أتأتون الذكران من أولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الإناث فيهم كأنهن قد أعوذتكم) لا يشارككم فيه غيركم أي من الناس في ذلك العصر أو فيما قبل ذلك العصر أو من الحيوان وأما كون الحمار والخنزير كذلك فلا نقض لإسقاطه في حيز الاعتبار على أن مشاركة أخس حيوان يكفي في زجرهم عن هذا الفعل القبيح.

قوله: (فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح) بوزن المعلوم أي من الحيوان على التغليب أي على تغليب الناكح على غير الناكح أو المراد بالنكاح الوطىء فحينئذٍ التغليب في العالمين غلب العقلاء على غيرهم.

قوله: (وعلى الثاني الناس)[1] حيث قيل أو أتأتون الذكران من أولاد آدم والمعنى أتأتون من بين أولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت أجناسهم وغلبة إناثهم على ذكورهم كأن الإناث قد أعوذتكم أي أحوجتكم إلى إتيان الذكران بعدم قدرتكم على نكاحهن تركه أولى والحاصل أن العالمين يحتمل عوده إلى الآتي أي أنتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي إتيان الذكران ويحتمل عوده إلى المأتي أي أنتم اخترتم الذكران من العالمين لا الإناث منهم كذا قاله الإمام فعلم أن من في قوله من العالمين متعلق[2] بأتأتون في المعنى الأول وبالذكران في الثاني وعلى كلا المعنيين فالاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ.

قوله تعالى: ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

قوله: (لأجل استمتاعكم) في محل الحرث لا في موضع الفرث.

قوله: (لبيان ما خلق إن أريد به جنس الإناث) لأن ما حقيقة في ذوي العقول أيضاً كما اختاره المص والمراد الاستمتاع بالنكاح الصحيح أو بملك اليمين وهذا المعنى هو المناسب للمعنى الثاني في من العالمين أي أتأتون الذكران من بين آدم مع الإناث خلقت لاستمتاعكم.

قوله: أو اتأتون الذكران من أولاد آدم وهذا التفسير مبني على أن يكون العالم اسماً لذوي العلم ويراد بالعالمين المأتيون المنكوحين من أولي العلم فلفظة من على هذا بيان للذكران ويجوز أن يكون للتبعيض فالمعنى اتأتون الذكران من أولاد آدم المنكوحين والنكاح حقيقة لغوية في مطلق الوطىء وكثيراً ما يراد به التزوج مجازاً فالمراد بالعالمين على الأول كل من ينكح على لفظ المبني للفاعل وعلى الثاني الناس فيكون المراد بالعالمين كل من ينكح على لفظ المبني للمفعول فاختص العالم في الوجه الأول بالحيوان لقرينة اتأتون الذكران وفي الوجه الثاني بالناس لتلك القرينة قوله كأنهن قد أعوزتكم أي كأن اناث بني آدم قد اعجزتكم فلم تقدروا عليهن يقال أعوزه الشيء إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

---

(١) إما حقيقة أو مجازاً كسائر اطلاق العام على الخاص.

(٢) على أنه ظرف مستقر والتعلق بالذكران أيضاً على أنه ظرف مستقر أي الكائنين من العالمين.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً) العضو المباح فحينئذٍ ما لغير أولي العلم لأنه عبارة عن العضو المخصوص منهن فيكون على هذا الاحتمال تعريضاً بأنهم كانوا الخ فيكون قوله وتذرون كالتأكيد لما يتضمنه الكلام وهو إتيان الدبر وهو المراد بإتيان الذكران وداخل الاستفهام عليه أي وأتذرون إنكاراً له كما مر فعلم من هذا التقرير أنه لا تنافي بين هذا المعنى التعريضي وبين ما سيق له الكلام من إنكار إتيانهم الذكران بل مؤكد له كما عرفته وقيل لا تنافي بين هذا الخ لأنه من منطوق الكلام وهذا من مفهومه ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما أصلح لكم ربكم من أزواجكم كما في الكشاف انتهى والوجه ما قدمناه.

قوله: (متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس وللحيوانات) متجاوزون لأن العادي المتعدي في فعله المتجاوز حده فإن حد الشهوة الاكتفاء بالنساء التي خلقت لاستمتاع الرجال في موضع الحرث فإتيان الدبر مطلقاً ذكوراً كانت أو إناثاً منكوحات أو غيرها التجاوز عن حد الشهوة كلمة بل للإضراب[1] أي للانتقال من شيء إلى شيء والمعنى أترتكبون هذه الفعلة الفاحشة بل أنتم عادون متجاوزون الحلال إلى الحرام.

قوله: (أو مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك) أو مفرطون في المعاصي كلها

قوله: أو للتبعيض إن أريد به العضو المباح أي إن أريد بلفظ ما في ما خلق لكم العضو المباح يكون من تبعيضية معنى الاباحة مستفاد من اللام في لكم فالمعنى وتذرون عضواً من أزواجكم خلقه لكم ربكم واباحه للاستمتاع أقول كلمة من التبعيضية تفيد بعضية ما دخلت هي عليه فإن كان المدخول عليه جمعاً يفيد بعض آحاد ذلك الجمع وإن كان واحداً يفيد بعض أجزاء ذلك المدخول عليها وهو ههنا جمع وهو الأزواج فيلزم أن يفيد كلمة من بعض آحاد الأزواج لا بعض أجزائهن لكن لما كان مقابلة الجمع بالجمع يفيد مقابلة الآحاد بالآحاد وكان المعنى وتذرون ما خلق لكم ربكم لكل واحد منكم من زوجكم جاز صرف معنى من إلى البعضية في الأجزاء.

قوله: فيكون تعريضاً بأنهم كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم أيضاً وجه افادته معنى التعريض أن الاستفهام في اتأتون الذكران للإنكار والتقريع وعطف اتذرون عليه بالواو قرنه معه في حكم الإنكار فتكون مضمون المعطوف وهو ترك ما خلق لهم من العضو المباح منكراً أيضاً فالإنكار والتقريع بترك المباح من عضوي الزوج تعريض لأحد العضو الغير المباح منهما أقول لا يستقيم حمله على التعريض لأن الإنكار دائر بين فعل المحرم الذي هو اتيان الذكران وبين ترك المباح الذي هو ترك ما خلق لهم من أزواجهم لا بين العضو المباح وغير المباح من الأزواج فالمتروك إليه الذي هو المقصود بالإنكار في الآية هو اتيان الذكران لا اتيان العضو الغير المباح من عضوي الزوج فتعين المقصود بالإنكار وإرادته ينافي إرادة معنى التعريض لما ذكر صاحب الكشاف أن الكلام إذا كان منصباً إلى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح والحاصل أن عطف تذرون على تأتون يمنع الكلام أن يحمل على التعريض.

---

(١) ولا بعد في كونه للترقي.

besturdubooks.wordpress.com

وهذا أي إتيان الذكران من جملة ذلك ذكره بعد التعميم لبيان الارتباط.

قوله: (أو أحقاء بأن توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة) أو أحقاء الخ فعلى هذا العادون نزل منزلة اللازم وعلى الأولين متعد باق على تعديته لكن حذف مفعوله لرعاية الفاصلة أو للتعميم معها كما في الوجه الثاني قوله لارتكابكم الخ تنبيه على الربط لا تقدير للمتعلق قدم الأول وهو كون متعلقه حد الشهوة لأنه أمس بالمقام والظاهر أن بل في الاحتمالين الأخيرين للترقي.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَـٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ۝١٦٧﴾

قوله: (عما تدعيه أو عن نهينا أو عن تقبيح أمرنا) عما تدعيه متعلق بقوله لم تنته على أنه قيد للمنفي من الرسالة وما يترتب عليه قدمه لأن الانتهاء عنه مستلزم للانتهاء عن غيره ثم جوز كون المتعلق خاصاً بمعونة المقام عن نهيه عن فعلنا وهو إتيان الذكران والنهي عنه مستفاد من إنكار الإتيان المذكور وكذا تقبيح أمرهم ومآلهما واحد ولذا قال في الكشاف وتقبيح أمرنا والمص نظر إلى أن التقبيح أعم مفهوماً[1] من النهي إذ تقبيح الشيء لا يستلزم النهي وإن كان النهي مستلزماً للقبح إما قبل النهي كما هو مذهبنا أو بسبب النهي كما هو مذهب أبي الحسن الأشعري وإن كان النهي للتنزيه فلا يستلزم القبح أيضاً فبينهما عموم وخصوص إما مطلقاً أو من وجه فلا وجه لما قيل من أن الظاهر عطفه بالواو على أنه تفسير له أو يقال إنه للتخيير في التعبير بناء على أن النهي لا ينفك عن التقبيح قيل فإنه غير مسلم كما لا يخفى ولا مانع من جمع هذه المعاني كلها بل الأولى الاكتفاء بالمعنى الأول لأنه مستلزم لها كما عرفت.

قوله: (من المنفيين من بين أظهرنا) بيان المعنى المراد من المخرجين فإنه عام للمنفي وغيره والتخصيص بالقرينة.

قوله: (ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه على عنف وسوء حال) ولعلهم كانوا الخ

قوله: أو احقاء بأن يوصفوا بالعدوان فسر عادون بثلاثة أوجه الوجهان الأولان باعتبار ملاحظة تعلقه بمتعلق غير أن الأول على كونه بمعنى التجاوز عن حد الشهوة والمتعلق خاص والثاني على كونه بمعنى الافراط في المعاصي والمتعلق عام والوجه الثالث باعتبار أخذه مجرداً عن ملاحظته التعلق بمتعلق كالمتعدي المنزل منزلة اللازم.

قوله: ولعلهم كانوا يخرجون من أخرجوه بعنف وسوء حال إشارة إلى أن اللام في المخرجين للعهد الخارجي فالمعنى لتكونن من الذين عرفت حالهم في إخراجنا كما ذكر في تفسير قوله: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] من أن اللام في المسجونين للعهد أي ممن عرفت حالهم في سجوني قوله من المبغضين غاية البغض معنى غاية البغض مستفاد من لفظ القلى

---

(١) وإنما قال مفهوماً لأن ذاته لا يفارق النهي.

besturdubooks.wordpress.com

أي كان ذلك معهوداً بينهم ولذا قالوا من المخرجين على أن اللام للعهد فيكون تهديداً بالمعاملة بالسوء والأذى[١] حين الإخراج كما هو المعروف فيما بينهم كما مر تفصيله في المسجونين.

قوله تعالى: قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾

قوله: (من المبغضين غاية البغض) نبه به على أن القلى هو البغض الشديد كما في الكشاف كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد أي يشويه قال في المغرب المقلية المشوية من قلى اللحم إذا شواه يقلي أو يقلو ويقال مقلية ومقلوة وهما لغتان انتهى نقل عن الراغب أنه قال في مفرداته القلى شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوي فهو من قلوت بالقلة إذا رميتها فإن المقلو يقذفه القلب لبغضه ومن جعله من اليائي فهو من قليت السويق على المقلاة انتهى. والحاصل أن بعض الألفاظ يكون واوياً ويائياً ومنه قلاه بمعنى أبغضه فيندفع به اعتراض أبي حيان بأنه لا يكون قلى بمعنى أبغض وبمعنى الطبخ والشيء من مادة واحدة لاختلاف التركيب فمادة قلى من الشيء من ذوات الواو تقول قلوت اللحم ومادة قلى من البغض من ذوات الباء تقول قليت الرجل فهو مقلي وجه الاندفاع هو أنا لا نسلم ما ذكره من اختلاف المادة لما عرفت من قول المغرب كيف لا والإمام محمد بن الحسن استعمل المقلية بمعنى المشوية في باب الربا وهو ممن يؤخذ عنه اللغة والشيخ الزمخشري ثقة في اللغة

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

قوله: (لا أقف عن الإنكار عليه بالإبعاد وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال

على ما قال في الكشاف والقلى البغض الشديد كأنه بغض يقلي الفؤاد والكبد.

قوله: وهو أبلغ من أن يقول إني لعملكم قال هو كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من قولك فلان عالم لأنك تشهد له بكونه معدوداً في زمرتهم مشهوراً بأنه منهم قال صاحب الانتصاف كثيراً ما ورد في القرآن خصوصاً في هذه السورة التغيير عن الفعل إلى الصفة المشتقة وجعل الموصوف واحداً من الجمع لأن التعبير بالفعل يفهم وقوعه خاصة وأما التعبير بالصفة وجعل الموصوف واحداً من جمع فيفهم أمراً زائداً وهو جعل ذلك الصفة تتمة للموصوف بأيته المتعلق كاللقب المشهور فلو قلت مكان قوله تعالى رضوا بأن يكونوا مع الخوالف رضوا بأن يتخالفوا لم تزد على الاخبار بتخلفهم والمتلو مع الخولف الحقهم لقبا رديا وصيرهم نوعا رذلا تم كلامه وفي الكشاف ويجوز أن يريد من الكاملين في قلاكم فاللام على الأول للعهد وعلى الثاني للجنس وأريد قوم مشهورون لأن الجنس إذا أطلق على بعضه في مقام المدح حمل على الكمال قال أبو البقاء

---

(١) لكنهم لم ينالوا ذلك بل أخرجه الله تعالى وأهل دينه من بينهم سالمين عن العذاب وناجين من الأذى والعقاب فيكون عليه السلام من المخرجين لا على الوجه الذي أرادوه فقولهم ﴿لتكونن من المخرجين﴾ انطقهم الله تعالى من حيث لا يشعرون.

besturdubooks.wordpress.com

لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه من جملتهم) لا أقف الخ أي لا أرجع ولا أنتهي عن الإنكار بسبب ما وعدتموني من الإخراج لما في القالين من الدلالة على الاستمرار وأشار بهذا إلى مناسبة هذا الجواب عن قولهم ﴿لئن لم تنته يا لوط﴾ الخ قوله وهو أبلغ من المبالغة لأنه إذا قيل قال لم يفد التركيب أكثر من تلبسه بالفعل وإذا قيل من القالين أفاد أنه مع تلبسه به من قوم عرفوا واشتهروا فيكون راسخ القدم عريق العرق فيه وقد صرح به ابن جني وتبعه الزمخشري وقرره الشريف في شرح المفتاح والظاهر أن هذه الإفادة بسبب الاستعمال ودلالة اللفظ عليه بانضمام الاستعمال والفاضل المحشي لم ينكر دلالة اللفظ عليه بالقرينة وإنما أنكره مع قطع النظر عن الاستعمال فمعنى قوله لدلالته على أنه معدود الخ دلالته بحسب الاستعمال[1] وعرف اللغة لا أصل اللغة.

قوله تعالى: رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾

قوله: (من شؤمه وعذابه) قدر المضاف تنزيهاً لساحته عن عملهم فلا فائدة في طلب الإنجاء عنه وإنما الطلب عن الإنجاء من العذاب المترتب على فعلهم القبيح ويؤيده قوله تعالى: ﴿فنجيناه وأهله أجمعين﴾ [الشعراء: ١٧٠].

قوله تعالى: فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾

قوله: (أهل بيته والمتبعين له على دينه) والمتبعين له أشار به إلى أن المراد بالأهل من اتبع دينه سواء كان من ذي القرابة أو لا وهذا معنى للأهل حقيقة[2] ولا مجاز هنا فقول

تقديره إني لعملكم لقال من القالين فمن صفة للخبر متعلقة بمحذوف واللام متعلقة بالخبر المحذوف وبهذا يخلص من تقديم الصلة على الموصول إذ لو جعلت من القالين الخبر لأعملته في لعملكم وكذا في الكواشي حيث قال من القالين المبغضين متعلقة بمحذوف أي لقال من القالين فقال الخبر ومن صفة واللام متعلقة بالخبر ولو جعل من القالين الخبر لعمل القالين في لعملكم فيقضي إلى تقديم الصلة على الموصول إلى هنا كلام الكواشي.

قوله: من شومه وعذابه يريد أن ما في مما يعملون مصدرية والمعنى على تقدير مضاف أي نجني من عذاب عملهم وعقوبته ويجوز أن لا يقدر مضاف فحينئذٍ يكون المراد بالتنجية العصمة فالمعنى رب اعصمني من عملهم أي اعصمني من أن أعمل عملهم فعلى هذا يكون فنجيناه وأهله إلا عجوزاً فعصمناه وأهله من ذلك العمل إلا العجوز فإنها كانت غير معصومة منه لكونها راضية له والراضي بالمعصية في حكم العاصي لكن الوجه الأول اظهر لوجهين أحدهما أن استعمال النجاة في الخلاص من العقوبة اظهر من استعماله في العصمة عن الذنوب وثانيهما دلالة الدعاء بعد قولهم لئن لم تنته يا لوط إلى آخره على أنه عليه السلام حصل على يأس عظيم من إيمان القوم فأذن بأن الانذار لم يجد فيهم فلم يبق إلا حلول العذاب.

---

(١) وبهذا اندفع اعتراض بعض المحشين عليه.
(٢) لأنه مذكور في القاموس فمن قال قوله أهل بيت الخ هو بالتجوز في أهله لمن اتبع دينه الخ لم يصب.

besturdubooks.wordpress.com

المص أهل بيته معنى آخر للأهل والاتباع في الدين معتبر فيه أيضاً فهو أخص من المذكور في النظم الجليل.

قوله: (بإخراجهم من بيتهم وقت حلول العذاب بهم) بإخراجهم متعلق بنجيناه وفيه إشارة رشيقة إلى أن قول الكفرة ﴿لتكونن من المخرجين﴾ لطف له عليه السلام في صورة الغضب لكنهم لا يشعرون قوله وقت حلول العذاب المراد بالوقت الزمان المتسع لقرب حلوله.

قوله تعالى: إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾

قوله: (هي امرأة لوط) وهي كافرة.

قوله: (مقدرة في الباقين في العذاب إذ أصابها حجر في الطريق فأهلكها لأنها كانت مائلة إلى القوم راضية بفعلهم) مقدرة في الباقين[1] أشار به إلى أنها وإن كانت مخرجة تحقيقاً كما اختاره المص إلا أنها لما أصيبت في الطريق فهلكت كانت من الباقين حكماً ولذا قال المص مقدرة في الباقين في العذاب لما كان المراد بالبقاء البقاء في العذاب لا في القرية فلا حاجة إلى قوله مقدرة أي حكماً.

قوله: (وقيل كائنة فيمن بقيت في القرية فإنها لم تخرج مع لوط) فحينئذٍ لا حاجة إلى التأويل بما مر مرضه لأنه يخالف ظاهر قوله تعالى: ﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ [هود: ٨١] الآية العجوز المرأة التي أعجزها عن أمور كثير كبر سنها وهو من خواصها ولذا لم يقل عجوزة والظاهر أن استثناء عجوزاً منقطع لما عرفت من أن المراد من الأهل من آمن به قوله فيمن بقيت الأولى فيمن بقي لكنه أنث لرعاية[2] معنى من مع ذكر امرأة لوط قبله

قوله: هي أمرأة لوط فاستثناؤها من أهله وإن كان أهله مؤمنين وهي كافرة باعتبار أن لها شركة معهم في هذا الاسم الذي هو الأهل بحق الزواج وإن لم تشاركهم في الإيمان.

قوله: مقدرة في الباقين يعني أن قوله في الغابرين صفة لعجوزاً كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة ولم يكن الغبور أي البقاء في العذاب صفتها وقت تنجيتهم فوجب أن يأول بمعنى التقدير فالمعنى إلا عجوزاً مقدراً غبورها وهذا هو معنى قوله رحمه الله مقدرة في الباقين من العذاب فيكون صفة مقدرة كالحال المقدرة ومعنى الغبور البقاء يقال غبر الشيء يغبر غبراً أي يفي أقول تأويل الغبور بالتقدير ينافي تقييد التنجية والإخراج بوقت حلول العذاب حيث قال رحمه الله بإخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب لأن التنجية إذا كانت وقت حلول العذاب يكون العجوز غابرة في العذاب بالفعل في ذلك الوقت لا مقدراً غبورها في العذاب فكان الأولى أن يقول رحمه الله بإخراجهم من بيتهم قبيل حلول العذاب بدل قوله وقت حلول العذاب.

---

(١) في الغابرين صفة لها كأنه قيل إلا عجوزاً غابرة أي ماكثة في الهلاك.

(٢) فيه إشارة إلى رجحان رعاية معنى لفظة من.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

قوله: (أهلكناهم).

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

قوله: (قيل أمطر الله على شذاذ القوم حجارة فأهلكهم) على شذاذ بمعجمات جمع شاذ بوزن نصار والشاذ من أفرد عنهم في الطريق أو من كان غريباً من غير قبائلهم والأول هو الظاهر المعول فضمير عليهم راجع إلى الأخيرين بطريق الاستخدام وفي كلامه إشارة إلى التوفيق بين طرق هلاكهم فإنه ورد أنه بصيحة وفي أخرى برجفة وفي أخرى بإمطار حجارة فهو إما بوقوع بعضه لبعض أو لأنه أرسل لطائفتين أهلك كل منهما بنوع منه ولا مانع من الجمع بينهما وتفصيل القصة قد مر في سورة هود وإن الظاهر أن إمطار الحجارة على أهل المدن لقوله تعالى: ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ [الذاريات: ٣٢، ٣٣] ولذا قال المص وقيل أمطر الله على شذاذ ومرضه ولم يرض به فلا تكلف حينئذٍ في إرجاع ضمير عليهم إلى الآخرين.

قوله: (اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف إليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم) اللام فيه للجنس لا للعهد أي ليس المراد بالمنذرين قوماً بأعيانهم قوله حتى يصح وقوع الخ هذا بناء على أن ساء بمعنى بئس أي من أفعال الذم وفاعلها لا يكون إلا مبهماً وإن اعتبر ساء من الأفعال التامة فيصح كونها للعهد وقد جوز في أواخر سورة الفرقان كون ساء بمعنى الفعل التام والمضاف المراد هنا المطر وإليه متعلق به وضميره راجع إلى الجنس وحاصله أن فاعل ساء مطر المنذرين.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾﴾

قوله: (الأيكة غيضة نبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب المدين تسكنها طائفة فبعث الله تعالى إليهم شعيباً كما بعث إلى مدين وكان أجنبياً منهم فلذلك قال):

قوله: قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة أي أمطر الله على قوم شذاذ أي قلائل وهم الذين لم يهلكوا بقلب الأرض عليهم وجعل عاليها سافلها بل بقوا فيما وراء تلك الأرض المقلوبة حجارة فأهلكهم وقيل شذاذ القوم هم الذين يكونون في القوم وليسوا بقبيلتهم.

قوله: اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الخ أي اللام في لفظ المنذرين للجنس حتى يصح وقوع المضاف إلى المنذرين وهو مطر فاعل ساء لأن فاعل ساء وبئس ونعم مشروط فيه أن يكون جنساً أو مضافاً إلى جنس ليكون المخصوص بالذم أو المدح تفسيراً له فيحصل في الكلام ابهام وتفسير فيتمكن في الذهن فضل تمكن ويحصل به مزيد ذم أو مدح قوله الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجرة الغيضة الأجمة وهو مغيض ماء يجتمع فيه الشجر والناعم اللين اللطيف.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

(ولم يقل أخوهم شعيباً وقيل الأيكة شجرة تلتف) غيضة بغين وضاد معجمتين مكان كثير الأشجار وناعم الشجر أي لينه ما كان أخضر غير الشوك أو غير كثير الشوك لعل الأيكة خاص والغيضة عام وعن هذا اعتبر في تفسير الأيكة كون الشجر ناعماً.

قوله: (وكان شجرهم الدوم وهو المقل) الدوم بفتح الدال المهملة وسكون الواو وهو المقل من شجر البادية يشبه صغار النخل.

قوله: (وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام) قيل وفيه بحث فإنه لو كان وجه قراءتهم ما قرره لكان الكلمة مكسورة لظهور أنه لا يأتين لحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام في تفسير الحركات الإعرابية كما في نظائرها قيل

قوله: ولم يقل أخوهم شعيب هذا بيان وجه لترك لفظ الأخ في قصة شعيب عليه السلام بعد ذكره في قصة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام.

قوله: وقيل الأيكة شجر ملتف وفي الصحاح الأيك الشجر الملتف الكثير الواحدة أيكة ومن قرأ أصحاب الأيكة فهي الغيضة ومن قرأ أيكة فهي اسم للقرية ويقال هما مثل بكة ومكة فعلى هذا يكون أيكة وليكة بمعنى واحد وهو الغيضة على ما روى محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه الأيكة وليكة الغيضة.

قوله: فإذا كانت الأيكة بمعنى الغيضة يكون حقيقة بمعنى أرض فيها شجر ملتف كثير وإذا كانت بمعنى الشجر الملتف يكون مجازاً من باب اطلاق اسم المحل على الحال قوله وكان شجرهم الدوم وهو المقل أي الدوم شجر المقل يقال الدوم بفتح الدال والمقل بضم الميم هو صمغ شجر الدوم أكثر ما يكون ببلاد العرب خصوصاً في اليمن يعرف بالمقل الأزرق لأن أجوده الأزرق الصافي إلى حمرة تيسيرة.

قوله: وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام قال الزجاج ويجوز وهو حسن جد اليكة بغير ألف على الكسر على أن الأصل الأيكة يعني حذفت الهمزة بحركتها من الأيكة للتخفيف فاجتمع ساكنان اللام والياء فكسرت اللام لأن تحريك الساكن بالكسرة أولى فاستغنيت عن همزة الوصل لحركة اللام فقيل ليكة قوله وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم وفي الكشاف ومن قرأ بالنصب وزعم أن ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد إليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة وفي سورة صاد بغير ألف وفي المصحف أشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه وإنما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب أصحاب النحو لأن ولولي على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الأصل والقصة واحدة قال الزجاج الأولى بسكون اللام واثبات الهمزة أجود اللغات وبعدها لولي بضم اللام وطرح الهمزة والقياس إذا حركت اللام أن يسقط همزة الوصل لأن ألف الوصل إنما اجتلبت لسكون اللام وقد قرىء عاد الولي على هذه اللغة فعلى هذا لأن أصله الآن فألقيت حركة الهمزة الثانية على لام التعريف حين خففت وحذفت همزتها أي همزة لام التعريف فصار لان.

besturdubooks.wordpress.com

وقال أبو عمر وكتب في جميع المصاحف ليكة في الشعراء وصاد بلام من غير ألف قبلها وفي الحجر وقاف الأيكة ويقال إن ليكة بفتح التاء اسم البلدة نفسها والأيكة اسم الكورة ولذلك قرأ الحرميان وابن عامر فيها ليكة بفتح التاء غير مصروف للعلمية والتأنيث وقال بعض النحويين إنما هو مكتوب في هذين الموضعين على نقل الحركة فكتب على لفظه وقال أبو عبيدة لا أحب مفارقة الخط في القراءة إلا فيما يخرج عن كلام العرب وليس هذا بخارج عن كلامها مع صحة المعنى وذلك لأنا وجدنا في بعض كتب التفسير الفرق بين الأيكة وليكة فقيل ليكة اسم القرية التي كانوا فيها والأيكة اسم البلاد كلها كالفرق بين بكة ومكة ثم وجدتها في مصحف عثمان الذي يقال له الإمام في الحجر وقاف الأيكة وفي الشعراء وصاد ليكة وعلى هذا قراء المدينة وهذا رد على ما قاله النحاة فإنهم نسبوا القراءة إلى التحريف وليس بشيء قاله السخاوي في شرح الرائية فلا عبرة بإنكار الزمخشري ومن تبعه كالمص وقوله على القراءة على النقل غير صحيح انتهى وأنت خبير بأن الفرق المذكور بين الأيكة وليكة لا يلائم ما وجده في مصحف عثمان رضي الله تعالى عنه.

قوله: (وقرئت كذلك مفتوحة على أنها ليكة وهي اسم بلدهم) وقرئت كذلك مفتوحة الخ وهذا يقتضي أن ما قبله بالكسر وليس كذلك فإن فيها ثلاث قراءات قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بفتح التاء وقراءة غيرهم على الأصل الأيكة وقرىء شاذاً ليكة بكسر التاء كذا قيل.

قوله: (وإنما كتبت ههنا وفي ص بغير ألف اتباعاً للفظه) قد علمت أنه غير صحيح والذي غره كلام الزمخشري وأنه ليس في كلام العرب مادة ل ي ك وليس بشيء لما عرفته والأسماء المرتجلة لا منع منها وذكر في البخاري أن ليكة بمعنى الأيكة وناهيك به كما قيل وفي الكشاف والقصة واحدة وما نقل هنا مضطرب لأن ما نقل عن أبي عبيدة ناطق بالفرق بين الأيكة وليكة كما سمعته وكلام غيره عدم الفرق فيه ظاهر قوله وقراءة غيرهم على الأصل الأيكة ينادي اتحادهما والزمخشري أيد كلامه بأن القصة واحدة ولم يتعرض المجيب وحدة القصة ولا عدمها والتلفيق بين القراءتين على هذا وبالجملة الكلام هنا لا يخلو عن دغدغة وخدشة.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾﴾

قوله: (أتموه).

قوله: (حقوق الناس بالتطفيف) فتكون هذه الجملة كالتأكيد لما قبله عكس ما في سورة هود فإنه صرح الأمر بالإيفاء بعد النهي عن ضده وهنا بالعكس مبالغة وتنبيهاً على

قوله: بالتطفيف التطفيف نقص المكيل وهو أن لا تملأه إلى أصباره.

besturdubooks.wordpress.com

أنهم يلزمهم السعي في الإيفاء ولو بزيادة لا يتأتى(١) دونها مع الكف عن تعمد التطفيف.

قوله تعالى: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾

قوله: (بالميزان السوي) لا نقصان فيه ولا زيادة فإن الزيادة غير واجب بل مندوب في بعض الأمور إذا تيسر الإيفاء بدون الزيادة وإلا فواجب كما أشرنا إليه بقولنا ولو بزيادة لا يتأتى الإيفاء بدونها وقد يكون الزيادة محظوراً كما في الربويات كبيع الفضة بالفضة ونحوها والتفصيل في سورة هود.

قوله: (وهو وإن كان عربياً فإن كان من القسط) إشارة إلى قول آخر فيه وهو أنه معرب رومي الأصل واختاره في أوائل سورة البقرة في توضيح ألم ومعناه العدل أيضاً كالقسط فهو من قبيل توافق اللغتين.

قوله: (ففعلاس بتكرير العين وإلا ففعلال) قيل المراد بتكرير العين صورة لا حقيقة إذ العين لا يضاعف وحدها مع تحلل اللام لما يلزم من الفعل الممتنع عندهم وقيل بتكرير العين أي شذوذاً إذ هي لا تكرر وحدها مع الفصل باللام ومن قال إنها مكررة صورة لا حقيقة فقد وهم لأنه يتحد حينئذٍ مع القول الثاني ولذا قال الزمخشري وزنه فعلاس كما وقع في بعض نسخ المص تحقيقاً لزيادتها ومن قال إنه رباعي فهو من قسطس وزنه فعلال إذ فعلاع لا نظير له وهو الحق إذ ما ذكر لا نظير له عند النحاة ولا داعي لما قالوه انتهى ومراد الفاضل السعدي ما اختاره القائل بقرينة قوله لما يلزم من الفعل الممتنع عندهم.

قوله: (وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف) أي بلا تغيير المفرد وأما في القراءة الأولى حول حركة القاف إلى الضم.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

قوله: (ولا تنقصوا شيئاً من حقوقهم) تعميم بعد تخصيص البخس النقص فإنه أعم من المقدار وغيره وإلى هذا أشار بقوله شيئاً من حقوقهم و﴿أشياءهم﴾ بدل من الناس ولذا

قوله: فإن كان من القسط ففعلاس أي إن كان اشتقاقه من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس وإلا فهو رباعي وزنه فعلال فعلى الأول يكون ملحقاً بالرباعي بزيادة السين وعلى الثاني رباعياً مجرداً لا ملحقاً به فيكون السين لامه الثانية قيل في كونه وزن فعلاس على تقدير جعل عينه مكررة نظر والصواب أن وزنه حينئذٍ فعلاع لأن التكرير يقتضي أن يوزن بما قبله فلا بد أن يكون الحرف المتكرر في الوزن أعني في فعل العين لا السين فيكون عند تكرر العين فعلع ومصدره فعلاع والحرف المتكرر في قسط السين فيكون قسطس ومصدره قسطاس فعلاع لا فعلاس.

---

(١) أشار به إلى أن الزيادة حينئذٍ واجبة.

besturdubooks.wordpress.com

جعل شيئاً مفعول لا تنقصوا وتخصيص الدراهم والدنانير والبخس بالقطع من أطرافها تخصيص بلا داع فإنه يدخل تحت العموم.

قوله: (بالقتل والغارة وقطع الطريق) قد حمل الإفساد هنا على الأمور الثلاثة وجعل في سورة هود تعميماً بعد تخصيص فإن العثو[1] يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وكلا الأمرين جائزان لكن ما وقع هناك أوقع لإفادة التوكيد والتقرير والعثو الفساد أو أشده و﴿مفسدين﴾ حال مؤكدة وفائدتها إخراج ما يقصد به الصلاح كما مر بيانه ولو كان معناه مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم فالأمر واضح.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾﴾

قوله: (وذوي الجبلة[2] الأولين يعني من تقدمهم من الخلائق) قيل الجبلة الخلق المتجمدة الغليظة مأخوذ من الجبل فحينئذٍ يناسب التعبير بها عن خلقة عاد وثمود والظاهر أنه مطلق الخلق ذكر الجبلة بمعنى الخلق وأريد به المخلوق بقرينة تعلق الخلق به وإنما ذكر خلق من تقدمهم لمزيد الترغيب على التقوى.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾﴾

قوله: (﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾ [الشعراء: ١٥٣]) قد مر تفسيره.

قوله: (آتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة في

قوله: بالقتل والغارة وقطع الطريق أي لا تعتدوا حال افسادكم بهذه الأشياء القتل والغارة وقطع الطريق يقال عثى في الأرض يعثو أي أفسده وكذلك عثي بالكسر وإنما قيده بمفسدين وهو هو في المعنى لأنه قد يكون منه ما ليس بفساد وإن كان في صورة الفساد ظاهراً كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحاً راجحاً كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة.

قوله: وذوي الجبلة يعني أن المضاف محذوف من الجبلة فإن الجبلة عطف على ضمير المفعول في جعلكم والمعنى خلقكم وخلق ذوي الجبلة الأولين أي ذوي الخلق الأولين.

قوله: آتوا بالواو للدلالة على أنه جامع بين وصفين يريد بيان وجه لترك الواو في قصة ثمود حيث قالوا هناك ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾ ومجيء الواو في قصة قوم شعيب حيث قالوا هنا ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾ [الشعراء: ١٥٤] فالوجه في العطف على ما قال رحمه الله الدلالة على أن كل واحد من الوصفين وهما وصف المسحورية ووصف البشرية مستقل في كونه مانعاً للرسالة من الله منافياً لها مبالغة في تكذيب الرسول في دعواه فالقصد في العطف

---

(١) فإن العثو إشارة إلى أن لا تعثوا واوي كما اختاره المص واختار الزمخشري أنه يأتي قد مر التوضيح في سورة هود.

(٢) قيل الجبلة الطبيعة لكن المناسب الخلقة.

besturdubooks.wordpress.com

تكذيبه) آتوا بالواو الخ يعني أن كل واحد منهما كاف في نفي الرسالة فكيف إذا اجتمعا وأما في قصة ثمود فإنهم تركوها للتأكيد أو الاستئناف والنكتة مبنية على الإرادة ويفهم من كلامهم أيضاً أن كل واحد منهما كاف في نفي الرسالة بحسب المعنى ولهذا ختم الكلام في هذه القصة بقولهم ﴿وإن نظنك[1] لمن الكاذبين﴾ تأكيداً لقولهم المذكور وأما هناك فقد ختم الكلام بقول: ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ لأنهم لما قرروا أنه بشر مثلهم لا ينبغي أن نؤمن برسالتك إلا بشيء تمتاز به عنا وهو إتيان آية لا نقدر عليها ولو كان الأمر بالعكس أو اعتبر في قصة شعيب ما في قصة صالح أيضاً أو عكسه لكان له وجه في دعواك.

قوله تعالى: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾﴾

قوله: (﴿فأسقط علينا﴾) الفاء للدلالة على سببية ظنهم كاذباً هذا القول ومرادهم به التهكم وإظهار اليقين والجزم التام على كذبه عليه السلام وإليه أشار المص بقوله ولعله جواب لما أشعر به الخ أي جواب على سبيل الجزم التام عن التهديد المذكور بأنه لا احتمال لوقوعه لأن دعواك ليس بصادق.

قوله: (قطعة منها ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين) بفتح السين فيكون جمعاً والمعنى أي قطعاً وقيل الكسف بالسكون يجوز أن يكون مفرداً أو جمعاً كما قاله الزمخشري فالأولى تفسيره بالجمع ليوافق القراءتان ولعل

إلى معنيين كل واحد منهما مستقل في منع الرسالة على زعمهم وفي ترك العطف إلى معنى واحد وهو كونه مسحراً ثم قرر بكونه بشراً مثلهم قال الطيبي فإن قلت هذا بيان خاصية التركيب فما بيان الأبلغية واختصاص الواو بموضع دون موضع قلت التركيب بدون الواو في قصة ثمود يفيد التوكيد والتقرير والقطع بأنه بشر مثلهم أي لا ينبغي أن نؤمن برسالتك إلا بشيء تمتاز به عنا ولهذا قالوا: ﴿فائت به إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٥٤] وأما قوم شعيب فإنهم اثبتوا له شيئين كونه مسحراً وكونه بشراً مثلهم كل واحد منهما مستقل في المنع من كونه رسولاً يعنون نحن وأنتم في عدم صلوحية الرسالة من جهة كوننا بشراً سواء ولك المزيد علينا في كونك مسحراً دوننا ثم أكدوا ذلك بقولهم ﴿وإن نظنك لمن الكاذبين﴾ والظن بمعنى اليقين ولذلك ادخل أن واللام ولما كان هذا الرد أبلغ من الأول ما طلبوا البرهان هنا كما طلب ثمود حيث قالوا ﴿فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ بل قطعوا بما يدل على اليأس من إيمانهم بقولهم ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ على سبيل الاستهزاء كما قطع قريش بقولهم ﴿إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء﴾.

قوله: ولعله جواب لما أشعر به الأمر بالتقوى من التهديد فإن قوله: ﴿واتقوا الذي خلقكم﴾ [الشعراء: ١٨٤] متضمن معنى التهديد والتحذير فكأنه قال واحذروا الذي خلقكم فقالوا في جوابه على سبيل الاستهزاء ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾.

قوله: وقرأ حفص بفتح السين وفي الكشاف قرىء كسفاً بالسكون والحركة وكلاهما جمع

---

(١) قيل الظن بمعنى اليقين.

besturdubooks.wordpress.com

اختياره التفسير بالمفرد لأن الساقط عليهم قطعة واحدة من السحاب حيث قال فيما سيجيء فأظلهم سحابة الخ إلا أن يقال السحابة وإن كانت قطعة واحدة لكن العذاب النازل وهو النار قطع فالمراد بالقطعة الجنس والتاء لوحدة الجنس.

قوله: (﴿إن كنت من الصادقين﴾ [الشعراء: ١٨٧] في دعواك) كلمة الشك لاعتقاد المخاطب صدقه أو للتهكم.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

قوله: (وبعذابه) إما بتقدير المضاف أو العلم بالعمل كناية عن الجزاء وهو العذاب هنا.

قوله: (فينزل عليكم ما أوجبه لكم عليه في وقته المقدر له لا محالة) ما أوجبه لكم أي بمقتضى الوعيد قيل الأظهر ما أوجبه عليكم به قوله في وقته الخ فلا تعجلوا عليهم[١] إنما يعد لكم عداً.

قوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

قوله: (على نحو[٢] ما اقترحوا بأن سلط الله عليهم الحر سبعة أيام حتى غلت أنهارهم وأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا) على نحو ما اقترحوا

كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفة قطعة والسماء السحاب أو المظلة وما كان طلبهم ذلك إلا لتصميمهم على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل إلى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلاً أن يطلبوه قوله وبعذابه أي ربي أعلم بعملكم وبعذاب عملكم منزل عليكم ما أوجبه لكم عليه أي منزل عليكم عذاباً أوجب ربكم ذلك العذاب لكم على عملكم ذلك وهو البخس ونقص حقوق الناس في المكيال والميزان فضمير الفاعل في أوجب إلى الرب وضمير المفعول المتصل إلى ما وهو عبارة عن العذاب والضمير المجرور في عليه إلى العمل.

قوله: على نحو ما اقترحوا هذا إشارة إلى أن المراد بالسماء في قولهم ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ غير السماء التي هي هذه المظلة بل المراد بها السحاب بناء على أن كل ما هو عالٍ سماء عند العرب وإن كان المراد بالسماء في قولهم ذلك هذه المظلة لا يكون العذاب النازل عليهم على نحو مقترحهم بل يكون على خلاف المقترح فإن المقترح قطعة من المظلة والنازل عليهم ليس هذه بل هو عذاب المظلة قال الطيبي رحمه الله المخالفة نسب بأن يجعل كلام شعيب من باب الاسلوب الحكيم فإنهم حين طلبوا اسقاط الكسف من السماء عناداً وجحوداً قال ربي أعلم بعملكم وبما تستحقونه من العذاب فإنه فوق ما تطلبونه ولذلك عاقبهم بحبس الريح وتسليط الرمد ثم أمطر عليهم ناراً فاحترقوا.

---

(١) أي أيام آجالهم عداً فلا تعجلوا في هلاككم فإنه لم يبق لكم إلا أياماً محصورة وأنفاساً معدودة.

(٢) إقحام نحو في نحو ما اقترحوا إشارة إلى ما قلنا من أن المراد بالسماء إما السحاب أو الفلك.

besturdubooks.wordpress.com

إشارة إلى أن السماء في كلامهم بمعنى ما علاك سواء كان المراد السحاب كما هو الظاهر أو الفلك قوله فاحترقوا وإضافة العذاب إلى يوم الظلة[1] إشارة إلى أن عذابهم بالظلة وأنهم هلكوا بها فلا يعرف وجه ما قيل إن إضافة العذاب ليوم الظلة إشارة إلى أن لهم فيه عذاباً غير عذابها وما في الكشاف من أن شعيباً عليه السلام بعث إلى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الأيكة فأهلكت أصحاب مدين بصيحة جبرائيل وأصحاب الأيكة بعذاب يوم الظلة دليل على ما ذكرناه.

قوله تعالى: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

قوله: (هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار تسلية لرسول الله عليه السلام وتهديداً للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم بعد إنذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به) وتهديداً الخ أشار إلى أن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور ألا يرى كلما زاد ترديد ما يراد تحفظه من العلوم كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم ولأن هذه القصص طرقت بها أذان وقر عن الإصغاء إلى الحق وقلوب غلف عن تدبره فكررت لعل ذلك يفتح أذناً ويفتق ذهناً ويصقل عقلاً ويجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصداء كما في الكشاف وإلى هذا التفصيل أشار طاب الله ثراه بقوله هذا آخر القصص السبع الخ.

قوله: (يدفع أن يقال إنه كان بسبب اتصالات فلكية أو كان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم) يدفع أن يقال الخ وهذا إشارة إلى ما ذكره الإمام بقوله لم لا يجوز أن يقال العذاب النازل بعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ما كان ذلك من كفرهم بل بسبب اتصالات الكواكب ثم أجاب والمص لخص الجواب بقوله واطراد نزول العذاب الخ وهذا يقطع عرق

قوله: واطراد نزول العذاب الخ يعني أن اطراد نزول العذاب على مكذبي الرسل مراراً ودفعات كثيرة ووقوعه كلما كذبوهم وعدم تخلفه عن تكذيبهم في كل مرة يدفع توهم متوهم أن نزوله إنما وقع على وجه الاتفاق عند زمان تكذيبهم بسبب اتصالات فلكية وأسباب سماوية وأنه لو كانوا لم يكذبوهم بل صدقوهم لكان قد وقعت تلك الحادثة بسبب من تلك الأسباب على ما عليه الحكماء والمنجمون وجه دفعه ذلك التوهم أن الاتفاق لا يتصور في جميع تلك الدفعات الكثيرة والمرات المتكررة بتكرر تكذيبهم فتعين أن بسبب نزول تلك النوازل عليهم من أنواع العذاب ليس شيئاً آخر غير تكذيبهم للرسل قوله أو كان ابتلاء عليهم عطف على كان في قوله إنه كان سبب اتصالات فلكية أي اطراد نزول العذاب على تكذيب الأمم يدفع كونه بسبب اتصالات فلكية وكونه ابتلاء عليهم إذ لو كان كذلك لتخلف نزوله عن تكذيبهم ولو مرة أو مرتين ولم يطرد كلما كذبوهم.

---

(١) الظلة ما اظلك من السحاب وإضافة اليوم إليه لوقوعها فيه.

besturdubooks.wordpress.com

هذا الاحتمال الواهي لمن له الذهن العالي ولعل عدم التعرض لمثل هذه الترهات في الذروة العليا في التقريرات والتحقيقات.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤)﴾

قوله: (تقرير لحقية القصص) بيان ارتباطه بما قبله.

قوله: (وتنبيه على إعجاز القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام) إشارة إلى أن الضمير وأنه للقرآن لحضوره في الأذهان[1] ولظهوره من البيان.

قوله: (فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون إلا وحياً من الله تعالى) تعليل لهما أو تعليل للأخير فقط فإن إعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته بحيث يعجز البشر عن إتيان مثله ولظهوره لم يذكره لكن مقتضى السوق كونه تعليلاً لهما وكونه معجزاً من حيث اشتماله على الإخبار عن المغيبات لا ينافي كونه معجزاً بكونه في الذروة العليا من البلاغة كما هو المختار.

قوله: (والقلب إن أراد به الروح فذاك وإن أراد به العضو فتخصيصه لأن المعاني الروحانية إنما تنزل أولاً على ثم ينتقل منه إلى الروح القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد

قوله: تقرير لحقية تلك القصص أي قوله عز من قائل: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٩٢] الآية تقرير وتحقيق لحقية تلك القصص السبع المذكورة الضمير في أنه عائد إلى التنزيل أي وإن هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والآيات والمراد بالتنزيل المنزل والباء في به للتعدية قوله فإن الإخبار عنها ممن لم يتعلمها تعليل لكونه مقرراً لحقية القصص وتنبيهاً على اعجاز القرآن ونبوة محمد ﷺ أي فإن الإخبار عن تلك القصص على ما هي عليه من غير زيادة ولا نقصان عما وقع من أمي لم يقرأ ولم يتحفظها من الكتب ولم يتعلمها من أحد لا يكون إلا بالوحي من الله تعالى ليس من عنده ﷺ.

قوله: فهو متعلق بنزل أي قوله بلسان متعلق بنزل في ﴿نزل به الروح الأمين﴾ [الشعراء: ١٩٣] فالمعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا عنه ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وهذا الوجه يفيد أن تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه وتفهمه قومك ولو كان اعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك لأنك تسمع أصوات حروف لا تفهم معانيها ولا تحفظها وقد يكون الرجل عارفاً بلغات كثيرة فإذا تكلم آخر مخاطباً اياه بلغة هو نشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن الألفاظ كيف جرت وإن تكلم وخاطبه بغير تلك اللغة وإن كان ماهراً في معرفتها كان نظره أولاً في الفاظها ثم في معانيها ولم يكن قلبه أولاً إلى المعاني فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي.

---

(١) كأنه لشهرة شأنه وفرط تعينه لم يحتج إلى ذكره السابق وهذا يدل على فخامة شأنه.

besturdubooks.wordpress.com

منه إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة) والقلب إن أراد به الروح فإنه قد يطلق على الروح مجازاً لأنه محل الروح كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ [البقرة: ٩] الآية قوله فذاك أي فأمر واضح إذ الروح هو الدراك وإن أراد به العضو المخصوص فلا بد من تخصيصه من نكتة لأنه نزل على رسول الله عليه السلام فتخصيصه لأن المعاني الروحانية الخ قيل إن كان هذا بناء على أن جبرائيل أنزل له المعاني خاصة وهو عبر عنها بلسانه فالأمر ظاهر لكنه خلاف القول الأصح عند المفسرين والمحدثين وإن كان هذا على المشهور بأنه أوحى إليه تارة كصلصلة الجرس وتارة يتمثل الملك فيتصل بالسمع أولاً ثم يرتسم في الخيال ويدركه الروح لا بالعكس وإسقاط الواسطة لشدة تقيه لا يفيد هنا كما لا يخفى فلعل المراد بالمعاني هنا ما يقابل الأعيان لا ما يقابل الألفاظ ويكون هذا شأناً خاصاً بالأنفس القدسية والأرواح المقدسة كأنها لقوتها تسبق الحواس في إدراك ما يلقى منها حتى كأنها تأخذه منها على عكس ما للعامة انتهى ولا يخفى أن قيد أولاً في قوله إنما ينزل أولاً على الروح بالنسبة إلى انتقاله إلى القلب كما صرح به حيث قال ثم ينتقل منه إلى القلب وهذا لا ينافي كون نزولها بالحواس أولاً ثم نزولها إلى الروح ثانياً غاية الأمر أنه لم يذكره لظهوره ولكون الروح مدركاً والحواس واسطة قوله تعالى: ﴿فإذا قرأناه﴾ [القيامة: ١٨] بلسان جبرائيل ﴿فاتبع قرآنه﴾ [القيامة: ١٨] شاهد ناطق على أن وحي القرآن بالتلقي إلى السمع أولاً ونظائره كثيرة وأما قوله كأنها أي الأرواح المقدسة تسبق الحواس الخ ضعيف لأن سمع الأرواح المقدسة كروحه له شأن خاص وليس دون الروح في القوة وإدراك ما يلقى إليه والقول بسبقها الحواس يورث نقيصة للحواس كما لا يخفى على أرباب الحواس فما الحاجة إلى ذلك التكلف[١] والاكتفاء في البيان شائع في المحاورات كثير في الكتب المعتبرات والمراد بالمعاني إما ما يقابل اللفظ بناء على أن القرآن عبارة عن المعاني كما هو رواية عن إمامنا أبي حنيفة حتى جوز القراءة بالفارسي في الصلاة وإن كان الصحيح خلافه ولعل المص اختاره هنا أو عام لها بملاحظة الحيثية أي المعاني الروحانية من حيث إنها مدلولات الألفاظ فيفيد أن القرآن مجموع اللفظ والمعنى بل التحقيق أنه عبارة عن النظم[٢] من حيث دلالته على المعنى وأما كون المعاني مقابلاً للأعيان لتتناول الألفاظ فضعيف لأنه غير متعارف في مثل هذا المقام نعم إن صاحب المواقف تبعاً لمحمد الشهرستاني حمل المعنى الواقع في كلام الشيخ أبي الحسن المعنى قديم على ما يقابل الأعيان فذهب إلى قدم نظم القرآن كمعناه كما فصل في المواقف وليس هذا بمناسب للمقام هنا ولك أن تحمل كلمة ثم في قوله ثم ينتقل منه إلى القلب وفي قوله ثم يتصعد الخ للتراخي الرتبي أو

(١) على أن المص لم يقل ثم ينتقل إلى الحواس حتى يقال كأنها لقوتها تسبق الحواس الخ بل قال ثم ينتقل منه إلى القلب ثم يتصعد منه إلى الدماغ الخ فأفاد أن القلب محل الادراك بواسطة الحواس فيما يحتاج إلى الحس والخيال يحفظه بسبب تصعده إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والمتخيلة هي الخيال.

(٢) اختار هذا صاحب التوضيح في أوائله فارجع إليه.

besturdubooks.wordpress.com

لتفاضل الأمرين أو للتراخي في الاخبار فيندفع الإشكال بالمرة ولا حاجة إلى التكلف الذي ارتكبه أرباب الحواشي.

قوله: (والروح الأمين جبريل فإنه أمين الله على وحيه) هذا وجه تسميته بالأمين وأما وجه تسميته بالروح فلكونه سبباً للحياة المعنوية كما أن الروح الذي يتردد في منافذ الحيوان سبب للحياة الفانية ويقال روح القدس لكرامته عند الله تعالى.

قوله: (وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والأمين) والمعنى نزل به الروح جعل الله الروح نازلاً به على قلبك والباء للتعدية في هذه القراءة وفي قراءة التخفيف وتنزيل بمعنى المنزل بفتح الزاي **(عما يؤدي إلى عذاب من فعل أو ترك)**.

قوله تعالى: بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

قوله: (واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهم فهو متعلق بنزل) واضح المعنى أي مبين من أبان اللازم اختاره ليناسب المقام ولهذا قال لئلا يقولوا الخ وأما المتعدي على معنى مبين للناس ما يحتاجون إليه من أمور دينهم ودنياهم وإن كان معنى جيداً في نفسه لكنه لا يناسب هنا فهو متعلق بنزل تفريع على هذا المعنى أي إذا اعتبر تعلقه بنزل فالمعنى ما ذكر.

قوله: (ويجوز أن يتعلق بالمنذرين أي لتكون ممن أنذروا) فيكون المعنى غير ما ذكر وهو مقصود هنا كما عرفته ولهذا زيفه ولم يرض به إذ غرض النزول التفهيم لئلا يتعذر الإنذار والوجه الثاني ساكت عنه.

قوله: (بلغة العرب) أشار إلى أن المراد باللسان اللغة دون الجارحة الظاهر أنه مجاز إذ المراد باللغة ما يعبر كل قوم عن مراده فذكر الآلة وأريد اللغة أي الألفاظ[1] الموضوعة.

قوله: (وهم هود وصالح وإسماعيل وشعيب عليهم السلام ومحمد عليه السلام) وهم هود الخ وزاد بعضهم خالد بن سنان وصفوان بن حنظلة.

قوله تعالى: وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾

قوله: (وإن ذكره) أي بتقدير المضاف أي إن ذكر القرآن مثبت في سائر الكتب السماوية.

قوله: وأن ذكره أو معناه يعني أن الضمير في أنه يعود إلى القرآن على حذف مضاف وذلك المضاف ذكر أو معانٍ فالمعنى أن ذكر القرآن أو معانيه لمثبت في زبر الأولين أي كتب الأقدمين وفي تقديم الوجه الأول وهو أن يكون المضاف المقدر لفظ ذكر إشارة إلى أولويته من الوجه الثاني لأن المقصود في الإيراد اثبات النبوة وتقريع المكذبين على أن القرآن المجيد نازل من عند الله نزل

---

(١) أشار إلى أن المراد باللغة الألفاظ الموضوعة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو معناه لفي الكتب المتقدمة) أشار إلى أن المنزل هو القرآن الغير القديم وقيل المراد بالقرآن هنا معناه القديم لقوله تعالى: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ وهذا عجب منه لأن ما نزل به الروح الأمين هو الألفاظ المخصوصة المترتبة ترتيباً خاصاً كما صرح به

به الروح وأنه ليس من القاء الجن وما ينبغي لهم وما يستطيعون وفي قوله بلسان عربي إيماء إلى بيان اعجازه وأنه بنفسه دليل بين على حقيته ومع ذلك أنه مذكور في كتب الأقدمين ومفسر على لسان الأولين ويؤيده قوله تعالى: ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ [الشعراء: ١٩٧] والضمير في يعلمه للقرآن ولذلك قال وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ولناصر الوجه الثاني وهو أن يكون المضاف المقدر المعاني أن يقول إن الضمير في قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ [الشعراء: ١٩٢] هو هذا بعينه كرره لإناطة معنى آخر به وهذا الضمير أيضاً راجع إلى ما سبق من القصص والآيات فيكون المعنى أن هذا المذكور من القصص والآيات منزل عليك بلسان عربي مبين وأن معانيه منزلة في سائر الكتب السماوية المتقدمة ولذلك يصدقه علماء بني إسرائيل حيث وجدوه موافقاً لما في كتبهم وعلى هذا سائر المعاني من اثبات التوحيد وتأسيس الأحكام والحث على مكارم الأخلاق قال صاحب الكشاف وإن القرآن يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة رحمه الله في جواز القراءة بالفارسية في الصلاة على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ [الشعراء: ١٩٦] لكون معانيه فيها قال صاحب التقريب وفي الاحتجاج نظر على أنه على حذف المضاف وهو المعاني لا تسميتها قرآناً وقال الطيبي أيضاً وأما الاحتجاج به على جواز القراءة بالفارسية فمشكل والله أعلم أقول في جوابه ين مراد صاحب الكشاف هو أن الضمير في أنه راجع إلى القرآن نفسه لا على حذف المضاف فحينئذ يتم الاحتجاج نقله إذا قيل إن القرآن لفي زبر الأولين باعتبار كون معانيه فيها يفهم منه أن معنى القرآن مسمى بالقرآن على ما هو مقرر عند أئمة الأصول من أن القرآن لفظ مشترك يطلق على اللفظ والمعنى فعلى هذا يصلح الآية حجة للحنفية على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية ومنشأ إشكال الشارحين إيراد قوله وبه يحتج عقيب قوله وقيل إن معانيه فيها فظن منه أن الاحتجاج على تقدير المضاف الذي هو المعاني وليس مراده ذلك بل مراده أن ظاهر الآية من غير تقدير مضاف به يحتج لأبي حنيفة رحمه الله على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية قوله على التخفيف أي على حذف ياء النسبة من أعجمين كأنه جمع أعجم وهو على خلاف قراءة الحسن فإنه قرأ على بعض الأعجميين بإثبات ياء النسبة قال ابن جني قراءة الحسن عذر في القراءة المجمع عليها وتفسير للقرض منها وذلك أن ما كان من الصفات على أفعل وانثاه فعلاء لا يجمع بالواو والنون دليلاً عليها وأمارة لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور أمارة لإرادة الياء في عواوير يعني أن القراءة المجمع عليها وهي القراءة بالتخفيف توهم أنه جمع أعجم فيرد عليها أن أفعل صفة لا يجمع بالواو والنون فقراءة الحسن بالتشديد اعتذار من طرف القراء الذين قرؤو بالتخفيف حيث أرادوا أنه مخفف من المشدد أصله أعجميين جمع أعجمي لا جمع أعجم ولذا جمع بالواو والنون ولولا اعتبار أنه مخفف من المشدد لما جمع بالواو والنون وهذا هو معنى قوله رحمه الله ولذا جمع جمع السلامة أي ولأجل أن أعجمين جمع أعجمي مخفف من أعجميين جمع جمع السلامة إذ لو كان جمع أعجم لما جمع جمع السلامة بل جمع جمع التكسير على أعاجم أو على عجم.

besturdubooks.wordpress.com

صاحب التوضيح في أوائله وتقدير المعنى صريح في أن المراد هو النظم المخصوص من حيث دلالته على المعنى المخصوص.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ١٩٧﴾

قوله: (على صحة القرآن أو نبوة محمد عليه السلام) أي[١] مع قطع النظر عن دلالة إعجازه على كونه من عند الله أو على نبوة محمد عليه السلام.

قوله: (أن يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم) أن يعرفوه أي القرآن أو محمداً عليه السلام وكلمة أو هنا لمنع الخلو.

قوله: (وهو تقرير لكونه دليلاً وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على أنها الاسم والخبر لهم وأن يعلمه بدل) وهو تقرير لكونه دليلاً أي الاستفهام إنكار للنفي وتقرير للمنفي أي تقرير كون علم بني إسرائيل دليلاً وفيه إشارة إلى أن قوله أن يعلمه اسم كان وآية خبره وآية بمعنى دليلاً.

قوله: (أو الفاعل وأن يعلمه بدل ولهم حال أو أن الاسم ضمير القصة وآية مبتدأ وخبره أن يعلمه والجملة خبر تكن) أو الفاعل عطف على قوله الاسم على أن كان تامة قوله أو أن الاسم الخ عطف على قوله إنها الاسم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ١٩٨﴾

قوله: (كما هو) أي القرآن على حاله من الإعجاز مع كونه عربياً.

قوله: (زيادة في إعجازه) أي في إعجاز المنزل عليه حيث ظهر على يديه مثله حاوياً الفصاحة والبراعة مع أنه لا يعرف[٢] اللسان العربي أو في إعجاز المنزل وتنزيل القرآن بلسان عربي على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية كونه زيادة في إعجاز المنزل محل نظر.

قوله: (أو بلغة العجم) عطف على قوله كما هو.

قوله تعالى: ﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ١٩٩﴾

قوله: (فقرأه) أي فقرأ بعض الأعجمين عليهم أي على كفار قريش ﴿ما كانوا به

---

(١) وكون علم علماً بني إسرائيل دليلاً لأنفسهم يعلم بالطريق الأولى وفيه توبيخ عظيم للأحبار والرهبان حيث انكروا القرآن مع أنه معلوم لهم بالبرهان.

(٢) وهذا سبب زيادة اعجاز القرآن حيث ظهر على يد بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلاً أن يقدر على نظم مثله فقرأه عليهم هكذا فصيحاً معجزاً متحدياً به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذراً ولسموه سحراً وهذا بيان من الله تعالى كمال شدة شكيمتهم وفرط عنادهم لأن هذا أعجب من إنزال القرآن على رسول عربي بلسان عربي فكفرهم به اشنع من كفرهم به حين انزاله على نبي عربي ولذا قال تعالى: ﴿ولو نزلناه﴾ مفروضاً تنصيصاً على كمال تماديه على الكفر وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام على أكمل وجه وجيه.

besturdubooks.wordpress.com

مؤمنين﴾ سلب كلي والدوام في السلب وفي الكبير لكفروا به أيضاً ولتمحلوا لجحوده عذراً والظاهر من كلام المص السلب الكلي حيث قال لفرط عنادهم واستكبارهم هذا ناظر إلى قوله كما هو زيادة في إعجازه أو لعدم فهمهم الخ ناظر إلى قوله أو بلغة العجم.

قوله: **(لفرط عنادهم واستكبارهم أو لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والأعجمين جمع أعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة)** جمع أعجمي كالأشعري جمع الأشعري على التخفيف أي في الجمع حيث حذف ياء النسبة ولذلك أي ولكون مفرده أعجمياً لا أعجم جمع جمع السلامة فإن افعل فعلاء لا يجمع جمع سلامة نقل عن صاحب الكشاف أنه قال الأعجم الذي بمعنى لا يفصح وفي لسانه عجمة ليس له فعلاء وإن كان منقولاً عما له ذلك فجاز أن يجمع بالواو والنون قيل ومراده أنه ليس له فعلاء بهذا المعنى وما سمع من عجماء فبغير هذا المعنى كما في صلاة النهار عجماء وجرح العجماء جبار وهو الذي أراده أبو بكر الرازي في كتابه غريب القرآن الأعجم هو الذي لا يفصح لعجمة في لسانه وإن كان عربياً والأنثى عجماء.

قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ۝٢٠٠﴾

قوله: **(أدخلناه)**.

قوله: **(والضمير للكفر المدلول عليه بقوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩])** والضمير للكفر الخ وسيجيء احتمال آخر قدمه لمناسبة السوق وإليه أشار بقوله المدلول عليه بقوله: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩].

قوله: **(فتدل الآية على أنه بخلق الله تعالى)** أي الكفر بخلق الله تعالى وفيه رد للمعتزلة.

قوله: ادخلناه هو تفسير باللازم وإلا فمعنى ﴿سلكناه في قلوب المجرمين﴾ جعلناه سالكاً فيها وهذا هو معنى الإدخال أي مثل ذلك السلك سلكناه فذلك إشارة إلى السلك الذي ذكر وهو اخطار جحود القرآن وتكذيب الرسول في قلوبهم أي مثل السلك الذي ذكر جعلنا الكفر سالكاً في قلوبهم وهكذا مكناه وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر والتكذيب وضعناه فيها فكيف ما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من الجحود والإنكار كما قال الله تعالى: ﴿ولو أنزلنا عليك كتاباً﴾ [الأنعام: ٧] في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا: ﴿إن هذا إلا سحر مبين﴾ [الصافات: ١٥] قوله فتدل الآية على أن الكفر بخلق لله تعالى لأن معنى ادخال الكفر في قلب خلقه فيه والمعتزلة لما لم يجوزوا إسناد خلق القبيح إلى الله تعالى صرفوا الآية عن ظاهر فأولوا سلك الكفر في القلوب بتمكينه وتثبيته فيها ولذا قال صاحب الكشاف في تفسير ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾ هكذا مكناه وقررناه فيها ثم قال فإن قلت كيف أسند السلك بصفة التكذيب إلى ذاته قلت أراد به الدلالة على تمكنه أي على تمكن المنزل مكذباً في قلوبهم أشد التمكن فجعله بمنزلة أمر قد جبلوا عليه وفطروا فقال القاضي رحمه الله رداً عليه فتدل الآية على أنه بخلق الله تعالى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقيل للقرآن أي أدخلناه فيها فعرفوا معانيه وإعجازه ثم لم يؤمنوا به عناداً) وقيل للقرآن مرضه لما مر وأيضاً كونه منسلكاً في قلوب المجرمين بالمعنى الذي ذكره المص بعيد ولزوم تفكيك الضمير على الأول لا يخل كونه راجحاً لقربه وسلامته عن المحذور في إرجاعه إلى القرآن مع أن فيه تقوية مذهب أهل السنة من أن الكفر وسائر المعاصي بخلق الله تعالى.

قوله تعالى: لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

قوله: (الملجىء إلى الإيمان) الملجىء إلى الإيمان أي أنهم يؤمنون حينئذٍ لكنه ليس بمقبول لعدم الامتثال قوله لا يؤمنون حال مقررة لما قبله مؤكدة له في صورة رجوع الضمير إلى الكفر واستئناف معاني في احتمال رجوع الضمير إلى القرآن.

قوله تعالى: فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾

قوله: (فيأتيهم في الدنيا والآخرة) فيأتيهم الفاء للتعقيب بغتة أي على غفلة منه إذ البغتة حصول الأمر من غير توقع وتقديم الأسباب وهذا غير مرتبط بقوله: ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ [الشعراء: ٢٠١] فإن المراد به معاينة العذاب عند الموت حتى يقال إن الرؤية تنافي البغتة بل هذا مرتبط بقوله لا يؤمنون في الوجود قوله ﴿حتى يروا﴾ بيان غاية عدم إيمانهم فحينئذٍ ينتهي عدم الإيمان بالإيمان لكن لا ينفعهم والزمخشري حمل التعقيب والترتب على الشدة دون الوجود كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم العذاب فما هو أشد منه وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة انتهى[١] وحاصله أنه جعل الفاء للتفاوت الترتبي كأنه قيل حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو مفاجأته فإن المفاجأة أشد على النفوس من رؤية العذاب فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة فإن ذلك السؤال أشد من مفاجأة العذاب فاستفدنا منه أن التفاوت الرتبي قد يستعمل الفاء فيه مثل استعمال ثم فيه وسره أنهما يدلان على الترتيب على التعقيب في كلمة الفاء وعلى التراخي في ثم ولو قيل الفاء في قوله فيأتيهم بغتة للترتيب في الاخبار كما قيل في قوله تعالى: ﴿فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج: ١٥] لكان أقل مؤنة قوله في الدنيا الخ أما المفاجأة في عذاب الدنيا فظاهر وأما في عذاب الآخرة فوجه البغت فيه أن يراد أنه يأتيهم من غير انتظار وشعور به قبل وقوعه.

قوله: (بإتيانه) في قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ [الشعراء: ٢٠٢] إشارة إليه.

---

(١) تمامه ومثال ذلك أن تقول لمن تعظ إن اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله تعالى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ۝٢٠٣﴾

قوله: (فيقولوا هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً) منظرون يسألون النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها كذا في الكشاف وفيه تأمل لأن هذا القول عند نزول العذاب فلا يكون سؤالهم على ظاهره حتى يقال فلا يجاب إليها بل مرادهم إظهار التحسر وإلى ذلك أشار المص بقوله تحسراً وتأسفاً ثم هذا أبلغ من أنحن منظرون أو فهل نحن ننظر تقديم المسند إليه على المشتق للاهتمام به لا للحصر.

قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝٢٠٤﴾

قوله: (﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾) الفاء للعطف على مقدر أي أيغفلون[1] فيستعجلون بعذابنا قدم المعمول لرعاية الفاصلة وقيل في الفاء دلالة على ترتبه على السابق إلا أنها أخرت لأن همزة الاستفهام حقها الصدارة وإن استغير لمعنى آخر.

قوله: (فيقولون أمطر علينا حجارة من السماء فأتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب أي طلب النظرة) فيقولون أمطر علينا الخ إشارة إلى أن استعجالهم لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم متمتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن وأنكر الله عليهم بأنهم أيستعجلون بعذابنا استهزاء وحالهم عند نزول العذاب طلب الإمهال فالاستفهام للإنكار الواقعي توبيخاً.

قوله: تحسراً وتأسفاً أي يقولون هل نحن منظرون تحسراً وتأسفاً على ما فات منهم وفرط عنهم منظرون من الانظار بمعنى الإمهال أو من النظرة بمعنى الانتظار وكلاهما دائران على معنى المهل قال صاحب الكشاف في معنى الفائين في قوله تعالى: ﴿فيأتيهم بغتة﴾ [الشعراء: ٢٠٢] فيقولوا ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن اسأت مقتك الصالحون فمقتك الله فإنك لا تقصد بها الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم في هذا الاسلوب فيحل موقعه.

قوله: فيقولون امطر علينا حجارة فأتنا بما تعدنا وما لهم عند نزول العذاب طلب النظرة يعني قوله عز من قائل: ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ [الشعراء: ٢٠٤] تبكيت لهم بإنكار وتوبيخ واستهزاء فالمعنى كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسأل فيه اليوم النظرة والإمهال منه ويستعجلون على هذا مضارع وقع موقع الماضي على حكاية الحال الماضية في الدنيا وكان من حق الظاهر أن يقال افبعذابنا استعجلوا.

---

(١) لأنه قد يفاجئهم فيها ما لم يكن بمرأى ولا خاطر.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾

قوله: (أفرأيت) أي أخبر لما كان الرؤية أقوى سبب الإخبار استعمل أرأيت بمعنى الإخبار والفاء مثل الفاء في ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ والخطاب لكل من يصلح أن يخاطب ويؤيده التعبير بالفعل مع الاستفهام عن معنى أخبر لإفادة معنى التعجب والإنكار وإن من حق هذه القصة أن يخبر بها كل أحد حتى يتعجب أو الخطاب له عليه السلام.

قوله: (لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه) لم يغن عنهم الخ الظاهر أنه حمل ما في ما أغنى على النفي ويحتمل أن يكون استفهامية لإنكار الوقوع فيفيد النفي قوله تمتعهم إشارة إلى كون ما في ما كانوا مصدرية لكن الظاهر كونهم متمتعين وعادته إسقاط كان فلا يعرف وجهه وقد أشرنا إليه في أول السورة في قوله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين﴾ [الشعراء: ٣] مناقشة للفاضل المحشي[١] ومثل هذا المقام دليل على ما ذكرنا هناك قوله المتطاول منفهم من قوله سنين[٢] حيث لم يكتف بقوله إن متعناهم ولم يتعرض لما في الكشاف ثم قال هب أي سلمنا أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذٍ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم إذ المناسب للمقام عدم نفعهم في دفع العذاب لا عدم نفعهم في حد ذاته ويمكن حمل كلامه على ما اختاره المص بالعناية.

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾﴾

قوله: (أنذروا أهلها إلزاماً للحجة) أشار إلى أن جمع منذرون من قبيل انقسام الآحاد لأن القرية في سياق النفي عامة للقرى الظالمة كأنه قيل وما أهلكنا من القرى الظالمة فلا حاجة إلى أن يقال المنذرون من بني ومن معه من المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾﴾

قوله: (تذكرة ومحلها النصب على العلة أو المصدر لأنها في معنى الإنذار أو الرفع

قوله: ومحله النصب على العلة أو المصدر فالمعنى على الأول وما أهلكنا وعلى الثاني منذر ومن قرية ظالمين إلا بعد ما الزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم فيكون تذكرة مفعولاً له لأهلكنا وعلى الثاني منذرون انذاراً ومذكرون تذكرة لأن الذكر بمعنى التذكير وهو تذكير أهوال الآخرة وهو عين الانذار قوله أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة عطف على بإضمار ذوو أي كونه صفة إما بإضمار ذوو

---

(١) وهنا قال ذلك الفاضل أي كونهم متمتعين إشارة إلى أنه مراد المص ولا يخفى أن كلامه آب عنه.

(٢) وقيل هو مستفاد من كان فإنها تستعمل في الاستمرار لا يخفى أن هذا خلاف مذاق المص.

besturdubooks.wordpress.com

على أنها صفة منذرون بإضمار ذوو) ومحلها النصب على العلة أي مفعول له للمنذرين أي لأجل التذكير لمن نفع الذكر فالعلة تحصيلية.

قوله: (أو بجعلهم ذكرى لإمعانهم في التذكرة) أي لمبالغتهم وأصل معنى الإمعان البعد ولذا يطلق على دقة النظر إمعان النظر لبعده عن الوصول.

قوله: (أو خبر محذوف والجملة اعتراضية) أو خبر محذوف أي هذه ذكرى أو هم ذوو ذكرى أو هم نفس ذكرى للمبالغة والجملة اعتراضية بين المتعاطفين[1].

قوله: (﴿وما كنا ظالمين﴾ [الشعراء: ٢٠٩]) للاستمرار في النفي لا نفي الاستمرار بملاحظة النفي أولاً ثم الاستمرار ثانياً وفي عكسه عكس.

قوله: (فنهلك غير الظالمين أو قبل الإنذار) فنهلك بالنصب جواب النفي أي وما وجد منا ظلم ولا إهلاك غير الظالمين وقبل الإنذار وهذا أبلغ من وما ظلمنا مع رعاية الفاصلة والمراد في مثل هذا نفي ما هو في صورة الظلم لو صدر من غيره تعالى وإلا فالتصرف في ملكه فلا يتصور ظلم ولو أهلك غير ظالم وقبل الإنذار.

قوله تعالى: وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾

قوله: (﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين على الكهنة) ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ قيل إنما أتى بصيغة التكلف والجمع لأنه على تقدير وقوع المنفي لا يكون إلا بزيادة تكلف ومشقة من جماعة منهم على ما تبين عند تفصيل كيفية استراق السمع وهذا لا يلائم قوله تعالى في سورة مريم: ﴿وما نتنزل إلا بأمر

فالمعنى منذرون ذوو ذكرى أو بلا إضمار ذوو فيكون من قبيل الوصف بالمصدر مبالغة كأن يقال هم تذكرة مثل رجل عدل فجعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها.

قوله: أو خبر محذوف أي أو يكون مرفوعاً على أنه خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية جيئت في آخر الكلام لبيان علة الحكم السابق وهو حكم الاهلاك أي أهلكناهم تذكرة لمن بعدهم ويجيء الجملة كثيراً لبيان العلة كبعض صور الجمل الاستئنافية والحالية والاعتراضية.

قوله: وقبل الانذار عطف على غير الظالمين أي ما كنا ظالمين فنهلك قبل الانذار وفيه اشعار بأن الاهلاك قبل الانذار وفيه إشعار بأن الاهلاك قبل الانذار ظلم سواء كان المهلك ظالماً أو غير ظالم.

قوله: كما زعمت المشركون كانوا يقولون إن محمداً كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لأنهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام أهل السماء.

---

(١) ونكتة الاعتراض الترغيب على اتباع المنذرين والتوبيخ على المعرضين.

besturdubooks.wordpress.com

ربك﴾ [مريم: ٦٤] فإن التكلف فيه لا معنى له قال المص هناك والتنزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً فهو لازم وكان متعدياً بكلمة الباء غاية الأمر أنه يفهم منه التنزيل على مهل والمص أشار إليه كما زعم المشركون أنه من قبيل ما يلقي الشياطين والإلقاء يكون على مهل ولا بحسن معنى التكلف هنا والجمع لكونه[1] واقعاً كذلك في زعم المشركين.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾

قوله: (وما يصح لهم أن يتنزلوا به وما يقدرون) وما يصح لهم حمل عليه لأنه أبلغ وأنسب لقوله ﴿وما يستطيعون﴾ هذا إذا جعل الكلام من قبيل الترقي وإن جعل تأكيداً له فالمعنى ذلك لا غير.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾

قوله: (لكلام الملائكة) يعني كلامهم الذي هو الوحي النازل للأنبياء عليهم السلام فالإضافة لكونهم حاملين له وإلا فهو كلام الله تعالى مثل قوله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ [الحاقة: ٤٠] أي جبرائيل فإنه قال عن الله تعالى فلا يرد أنهم قد يسترقون السمع.

قوله: (لأنه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها إلا من الملائكة) لأنه مشروط الخ يعني شرطاً عادياً فلا يخالف مذهب أهل الحق والمراد أن سماع الوحي مشروط كما يشير إليه قوله والقرآن مشتمل الخ لا مطلق سمع كلامهم فإن للوحي شأناً آخر ألا يرى إلى ما ورد في الآية الكرسي من أنها لا تقرأ في بيت فتفر به وفي رواية إلا أخرج منه الشيطان وورد نحوه في الآيتين من سورة البقرة كذا قيل لكن بيان المص يقتضي كونهم معزولين عن سمع كلامهم على الإطلاق[2] ألا يرى قوله والانتقاش بصور الملكوتية فأنى لهم ذلك نعم إن الكلام في القرآن وإنهم أي الشياطين لمعزولون أي لممنوعون عن السمع أي سمعه قبل نزول الوحي للحفظ عن التغيير فالإشكال في تقرير المص قيدنا بقبل نزول الوحي لأنه يسمعون آيات القرآن بعد الوحي إلا آية الكرسي وآيتين من آخر سورة البقرة كما مر.

قوله: لأنه مشروط أي لأن السمع أي استماع كلام الملائكة مشروط بمشاركة السامع في صفات الذات إذ بتلك المشاركة يحصل المناسبة والاستعداد لقبول الفيض من الذات المقدسة.

---

(١) ألا يرى أنه قال تعالى في آية أخرى ﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ [التكوير: ٢٥] بالإفراد فلا جرم أن ما ذكره القائل ليس بتام.

(٢) لكن ما ذكره المص جار في استراق السمع والوحي يعد النزول والمدعي متخلف فإن قوله لأنه مشروط بمشاركته في صفاء الذات يقتضي عدم الأخذ من الملائكة مطلقاً فتأمل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾﴾

قوله: (**تهييج لازدياد الإخلاص**) والنهي ليس بمقصود لأنه غير متوقع منه عليه السلام فالمراد تحريك وترغيب على ما كان عليه من الإخلاص والتوحيد وزيادته بدوامه فإن الشيء يزداد بدوامه فهو كناية عن الإخلاص في التوحيد حتى لا يرى مع الله سواه أو مجاز عنه فإن النهي عن الشيء يلزمه الأمر[1] بضده.

قوله: (**ولطف لسائر المكلفين**) يحتمل أن يكون إشارة إلى وجه آخر ذكره في قوله تعالى: ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ [البقرة: ١٤٧] في سورة البقرة حيث قال هناك أوامر الأمة باكتساب المعارف الخ وهنا أوامر الأمة بالإخلاص وكونه لطفاً أنه لم يواجهوا به ولو خوطبوا به لخافوا أن يتهموا به أو محتملاً صدوره منهم فيما سيأتي عند الله تعالى فخوطب به من لم يخف في شأنه الاتهام به واحتمال صدوره وهذا فن من البلاغة فاحفظ هذا فإنه يجري في جميع مثل هذا النهي.

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾

قوله: (**﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤]**) ظاهره عطف على قوله تعالى ﴿فلا تدع﴾ لأنه أمر بالتوحيد وهذا أمر بالأمر للأقربين للتوحيد بهذا علم الارتباط وأما ارتباط ﴿فلا تدع﴾ بالفاء لما ثبت مما قبله التوحيد في ضمن تسلية الرسول عليه السلام وإقامة الحجة على نبوته والجواب عن سؤال المنكرين.

قوله: (**الأقرب منهم فالأقرب**) من بيانية لا تفضيلية فالأقرب أي الأقرب بعده.

قوله: (**فإن الاهتمام بشأنهم أهم**) وجه تخصيصهم بالذكر وتقديم إنذارهم على إنذار غيرهم واكتفى بالإنذار لأنه أهم من التبشير العشيرة عامة للفخذ وما فوقها الفخذ في العشائر أقل من البطن أولها الشعب ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ كذا في الصحاح فيتناول الذكور والإناث.

قوله: الأقرب فالأقرب اختار رحمه الله من الوجهين اللذين ذكرهما صاحب الكشاف في بيان معنى ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [الشعراء: ٢١٤] الوجه الأول وهو أن يؤمر ﷺ بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداء ثم بمن يليه وأن تقدم الأقرب على الأقرب كما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين وأول ما أضعه ربا العباس والوجه الثاني أن يؤمر عليه السلام بأن لا يأخذه رأفة في انذار قرائبه وتخويفهم وعلى هذا الوجه لا يلزم مراعاة الترتيب كما روعيت في الوجه الأول.

---

(١) فيما يكون النهي فائتاً بالاشتغال بعدم الضد وفي التوضيح والصحيح أنه أن فوت أي الضد المقصود بالأمر يحرم الضد وأن فوت عدم الضد المقصود بالنهي يجب الضد.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (روي أنه لما نزلت صعد الصفا وناديهم فخذاً فخذاً حتى اجتمعوا إليه فقال لو أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي قالوا نعم) بيان لإنذاره عليه السلام أقاربه امتثالاً لأمره تعالى فخذا فخذا قد عرفت معنى الفخذ لكن المراد به هنا مطلق الأقارب ولذا قال فيما مر الأقرب فالأقرب مصدقي بياء مفتوحة مشددة أصله مصدقين فأضيف إلى ياء المتكلم فصار مصدقي.

قوله: (قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) بين يدي مستعار للقرب أي بعذاب قريب إن لم تؤمنوا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد﴾ [سبأ: ٤٦] أي قدامه لأنه مبعوث في نسيم الساعة أي أوائلها ولو بمعنى إن أي إن أخبرتكم أن يسفح هذا الجبل أي في أسفله خيلاً أي فرساً أو جماعة من الفرس ومراده عليه السلام به إظهار صدقه وأمانته عندهم وأن يعترفوا به فلما اعترفوا لكونه مشتهراً بينهم قال إني رسول الله إليكم وإلى جميع الناس فاتبعوني تنجوا من العقاب وإني نذير لكم الخ قيل والحديث المذكور صحيح رواه ابن حبان وغيره.

قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥)

قوله: (لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط ومن للتبيين لأن من اتبع أعم ممن اتبع لتبين أو غيره) لين جانبك لهم وتواضع وأرفق بهم قوله من خفض الطائر الخ يشير إلى أن الكلام استعارة تمثيلية تشبه هيئة حال المتواضع بالهيئة المأخوذة من الطائر وجناحه وخفضه حين أن ينحط والاستعارة التبعية بعيدة إذ التشبيه في المركب على ما هو الظاهر من كلام المص ولا يصار إلى المجاز المرسل حسبما أمكن الاستعارة لا سيما التمثيلية وإن صح في نفسه بالقول بأنه مستعمل في لازم معناه ومن للتبيين وهو الظاهر وعن هذا قدمه والمراد بالمؤمنين جميع من آمن من عشيرته وغيرهم

قوله: فخذا فخذا أي قبيلة قبيلة قوله مصدقي بتشديد إحدى الياءين هي المنقلبة من واو الجمع والأخرى ياء الإضافة.

قوله: مستعار من خفض الطائر جناحه إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه عند الانحطاط وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلاً في التواضع ولين الجانب فيكون استعمال خفض الجناح في التواضع من باب الاستعارة التمثيلية حيث شبه حال المتواضع بحال الطائر الخافض جناحه للانحطاط والوقوف من استعمال خفض الجناح في التواضع قوله:

وأنت شهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه اجدلا

الاجدل الصقر لجدالته أي قوته ومعنى البيت أنت مشهور بالتواضع فلا تك متكبراً كالصقر في رفع الجناح فرفع الجناح عبارة عن التكبر والتجبر كما أن خفضه عبارة عن التواضع والسكينة ولين الجانب.

besturdubooks.wordpress.com

كما في المدارك وغيره وسره أن علة الخفض الإيمان وهو عام فاللام للاستغراق العرفي لا للعهد كما يوهمه عقيب ذكر العشيرة.

قوله: (أو للتبعيض على أن المراد من المؤمنين المشارفون للإيمان أو المصدقون باللسان) المشارفون للإيمان وإن لم يؤمنوا فمن تحقق منهم الاتباع بعض منهم وهو من آمن بالفعل وليس فيه جمع بين الحقيقة والمجاز كما هو الظاهر إذ المشارف له ما لم يتصف به بالفعل سواء كان متصفاً به بعده أو لا وهذا تكلف وإن جاز عند المص أو المصدقون[1] باللسان ومن جمع إليه التصديق وهو المراد ممن اتبعك بعض منهم وهذا خلاف الظاهر ولذا أخره وعلى هذا المراد من الاتباع الاتباع الديني.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

قوله: (﴿فإن عصوك﴾) أي عشيرتك.

قوله: (ولم يتبعوك مما تعملونه أو من أعمالكم) ولم يتبعوك بيان عصيانهم والتعبير بالماضي لأن العصيان منتظر الوقوع منهم كأنه وقع وفي الكشاف يعني أنذر قومك فإن اتبعوك وأطاعوك فاخفض لهم ولغيرهم جناحك فإن عصوك ولم يتبعوك فتبرأ منهم ومن أعمالهم الشرك بالله وغيره وأشار به إلى أن أصل الكلام هكذا لكن غير في الشق الأول تعميماً لهم ولغيرهم كما عرفته وأما في الشق الثاني وهو العصيان فخص بالعشيرة إذ الكلام فيهم وليظهر ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الأولى وأما في الشق الأول فلو خص

قوله: على أن المراد بالمؤمنين المشارفون للإيمان هذا على تقدير كون من للبيان وقوله أو المصدقون باللسان على تقدير كونها للتبعيض وتأويله هذا جواب لما عسى يسأل ويقال إن قوله: ﴿من المؤمنين﴾ [الشعراء: ٢١٥] ظاهراً غير متصلح لأن يقع بياناً لقوله من اتبعك لأن من اتبعك لا ابهام فيه ولا يحتمل غير المؤمنين حتى يحتاج إلى البيان فأجاب عنه بوجهين أحدهما أن المؤمنين يراد بهم الذين لم يؤمنوا بعد بل شارفوا لأن يؤمنوا كالمؤلفة قلوبهم مجازاً باعتبار ما يؤول إليه فكان من اتبعك عاماً شائعاً في من آمن حقيقة ومن آمن مجازاً فبين لإبهامه بقوله من المؤمنين أن المراد بهم المشارفون للإيمان أي تواضع لهؤلاء استمالة وتأليفاً وثانيهما أن يراد بالمؤمنين الذين قالوا آمنا وهم صنفان صنف صدق واتبع وصنف ما وجد منهم إلا التصديق فقيل من المؤمنين وأريد بعض الذين صدقوا واتبعوا أي تواضع لهم محبة ومودة فمن على الأول بيانية وعلى الثاني تبعيضية وموقعه على كونها تبعيضية موقع البدل من من اتبعك والتقدير واخفض جناحك لمن اتبعك منهم فعدل إلى المؤمنين ليعم ويؤذن أن صفة الإيمان هي التي يستحق أن يكرم صاحبها ويتواضع لأجلها من اتصف بها سواء كان من عشيرتك أو غيرهم.

قوله: أو من أعمالكم يعني لفظ ما في ما تعملون موصولة أو مصدرية قوله الذي يقدر على قهر أعدائه ناظر إلى معنى العزيز وقوله ونصر أوليائه ناظر إلى معنى الرحيم.

---

(١) الأولى أو المقرون باللسان.

besturdubooks.wordpress.com

الحكم وهو التواضع بالأقربين فلا يظهر كون ذلك الحكم في حق غيرهم بطريق الأولى وفي قوله: ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾ [الشعراء: ٢١٦] مبالغة وإن كان إطناباً حيث لم يجيء فتبرأ منهم ومن أعمالهم مع أنه المراد أشير إليه في الكشاف ولم يذكر التبرؤ منهم لأن التبرأ من أعمالهم مستلزم للتبرء منهم إذ التبرء منهم مقابل لخفض جناحه لهم لا التبرء من أعمالهم فقط مع أن أعمالهم ليست بمتوقعة منه عليه السلام حتى أمر بالتبرء منها فلا جرم أن المراد التبرأ منهم ولهذا قال تعالى عقيبه ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾ [الشعراء: ٢١٧].

قوله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾

قوله: (الذي يقدر على قهر أعدائه ونصر أوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم) الذي يقدر ناظر إلى تفسير العزيز ونصر أوليائه تفسير الرحيم قوله يكفك الخ تنبيه على ربطه بالمقام أو القادر على الانتقام ممن يعصيك الرحيم حيث أمهلهم لعلهم يتوبون أو يولد من آمن منهم قوله يكفك مجزوم في جواب الأمر قوله منهم أي من العشيرة ومن غيرهم إشارة إلى عموم المؤمنين كما نبهناك عليه الأمر بالتوكل أمر بدوامه بالنسبة إليه عليه السلام وأنه للوجوب بالنظر إلى أصل التوكل وللندب بالنسبة إلى كماله.

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الإبدال من جواب الشرط) على الإبدال من ﴿فقل إني بريء﴾ بدل الكل لكن المبدل منه مقصود أيضاً[1] لم يجعله معطوفاً على الجزاء لخفاء التعقيب فيه لكن السببية واضحة إذ هذا القول مع كثرة المشركين الخصماء بسبب التوكل إذ هو تفويض الأمر إلى من يملك ويقدر النفع والضر وفي الكشاف وله محل في العطف أن يعطف على فقل أو على فلا تدع.

قوله تعالى: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾

قوله: (﴿الذي يراك حين تقوم﴾) هذا بيان كونه رحيماً على رسوله لأن ما ذكر من أسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه كما في الكشاف.

قوله: (إلى التهجد) هذا القيد بناء على الرواية المذكورة.

قوله: يكفك بالجزم على أنه جواب الأمر من الكفاية قوله لما نسخ قيام الليل أي بقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه فتاب عليكم﴾ [المزمل: ٢٠] أي اسقط عنكم قوله: من دندنتهم الدندنة أن تسمع من الرجل نعمة ولا تفهم ما يقول.

---

(١) لما صرح به صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ [الأنعام: ١٠٠] من أن المبدل منه ليس في حكم السقوط.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾

قوله: (وترددك في تصفح أحوال المتهجدين) وترددك إشارة إلى أن التقلب بمعنى التردد وهو الذهاب والمجيء مجازاً لأنه لازم له قوله في تصفح أحوال المتهجدين أي المراد بالساجدين المتهجدين مجازاً ذكر الجزء وأريد الكل هذا أيضاً بناء على الرواية وقدر المضافين التصفح والأحوال إذ صحة المعنى إنما هي بهما.

قوله: (كما روي أنه عليه السلام لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر ما يصنعون حرصاً على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنانير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى والتلاوة) لما نسخ فرض قيام الليل وهو التهجد أي الصلاة بعد النوم أي أنه كان فرضاً قبل الصلوات الخمس ثم نسخ بها قوله طاف وهو المراد بالتقلب قوله من دندنتهم الدندنة الأصوات المختلطة المرتفعة حتى لا تكاد تفهم بذكر الله أي بدل التهجد ويحتمل أنهم يصلون التهجد على سبيل الندب كما هو فعلنا الآن إذ النسخ يرفع الوجوب في مثل هذا لا الجواز ثم هذا النسخ في حق الأمة وأما في حقه عليه السلام فباق وجوبية التهجد وخاصة له وفي كلام المص إشارة إلى ذلك حيث قال إلى التهجد[1].

قوله: (أو تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود إذا أممتهم) أو تصرفك احتمال آخر للتقلب إذ الرواية المذكورة لكونها من خبر الآحاد لا يفيد القطعية بل الرجحان وعن هذا قدمه ورجحه قوله فيما بين المصلين أي المراد بالساجدين المصلين مجازاً أيضاً لكن في الأول باعتبار ما كان وهنا على الحقيقة والمقدر هنا لفظ ما بين لأنه المناسب هنا بخلاف ما سبق قوله بالقيام الخ بيان التقلب وهو مجاز أيضاً فحينئذٍ يكون فيه إشارة إلى أن قيامه وسائر الأركان على أحسن وجه وأكمله ولا يخفى ما في التعبير عن أركان صلاته عليه السلام حال إمامته بالتقلب المنبيء عن أحسنيتها تفخيم لشأنها لا مما يخل بشأنها كما زعم وتنبيه على الصلاة بالجماعة وفي الكشاف وعن مقاتل أنه سأل أبا حنيفة رحمه الله هل تجد الصلاة في الجماعة في القرآن فقال لا تحضرني فتلى له هذه الآية.

قوله: (وإنما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد أن وصفه بأن من شأنه قهر أعدائه ونصر أوليائه تحقيقاً للتوكل وتطميناً لقلبه عليه) وإنما وصفه الله أي بقوله تقلبك وهذا وصف معنوي لا نحوي قوله بعلمه بحاله أشار إلى أن معنى يراك يعلمك

قوله: تحقيقاً للتوكل وتطميناً قلبه عليه أي تثبيتاً للتوكل في قلبه وجعلا قلبه مطمئناً على التوكل فإن معنى التوكل تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه ودفع ضره فإذا

---

(١) قال المص في تفسير قوله: ﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾ [الإسراء: ١٧] فريضة زائدة لك على الصلاة المفروضة.

besturdubooks.wordpress.com

بعلم خاص وانكشاف مخصوص ولا يعتبر في مفهوم الرؤية والبصر كونهما بالحاسة بل هما عبارتان عن الانكشاف المخصوص وتعلقهما بالحاسة المخصوصة بالنسبة إلى المخلوق لاحتياجه إليها ولا يظن أن الرؤية راجعة إلى صفة العلم كما اختاره الشيخ أبو الحسن الأشعري وإن احتمله في الجملة لكن ظاهر كلام المص أن البصر والسمع صفتان مغايرتان لصفة العلم قوله يستأهل أي يكون أهلاً ومستحقاً استفعال من الأهل أي يستحق ويليق وفي القاموس استأهله استوجبه لغة جيدة وإنكار الجوهري باطل والتفصيل في سورة الفاتحة في آخر توضيح ﴿مالك يوم الدين﴾ [الفاتحة: ٤] والمراد بالولاية الرسالة قوله بعد أن وصفه الخ إشارة إلى ارتباطه بما قبله (بما تقوله) بما تنويه.

قوله تعالى: هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾

قوله: (لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشيطان أكد ذلك بأن بين أن محمداً عليه السلام لا يصلح لأن تنزلوا عليه من وجهين) لما بين أن القرآن أي في قوله

علم واعتقد أن وكيله عزيز أي غالب قادر على قهر أعدائه ورحيم أي منعم متفضل لأوليائه وأنه يراه ويرقبه أينما يتقلب ويتصرف قوي قلبه واطمأن على تفويض أمره إليه وأما إذا لم يعتقد ذلك فهو ح يكون ضعيف التوكل متردداً بين التفويض وعدمه قال الشيخ العارف إسماعيل الأنصاري التوكل على ثلاث درجات الأولى التوكل مع الطلب ومباشرة السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى والثانية التوكل مع اسقاط الطلب وغض البصر عن السبب اجتهاداً في تصحيح التوكل وقمع تشرق النفس وتفزعاً إلى حفظ الواجبات والثالثة التوكل مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل وهو أن يعلم أن ملكية الحق سبحانه وتعالى للأشياء كلها ملكية عز لا يشاركه فيها مشارك فإن من ضرورة العبودية أن يعلم العبد أن الحق هو مالك الأشياء كلها وحده لا يشاركه فيها أحد غيره وعنى بقوله مع معرفة التوكل النازعة إلى الخلاص من علة التوكل أن يعلم العبد أن الله تعالى لم يترك أمراً مهملاً قط بل فزع من الأشياء كلها وقدرها وشأنه سوق المقاد إلى المواقيت فأكل من أراح نفسه من كذ النظر ومطالعة السبب سكوتاً إلى ما سبق من القسمة مع استواء الحالين وهو أن يعلم أن الطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع ومتى طالع بتوكله عوضاً كان توكله مدخولاً وقصده معلولاً وإذا خلص من رق هذه الأسباب ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله تعالى كفاه الله كل مهمة وإلى المرتبة الأولى الإشارة بترتب الأمر بالتوكل على وصف الرحيم فإن من رحمته تعالى جعله صلوات الله عليه سبباً لإرشاد الخلق ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وإلى المرتبة الثانية الإشارة بقوله: ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩] أي حين تتفزع لأداء حفظ الواجبات لأن في حفظ الواجبات تصحيح أمر التوكل وفي الاخلاص فيها بأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك المومى إليه بقوله: ﴿الذي يراك حين تقوم﴾ [الشعراء: ٢١٨] قمع تشرق النفس وإلى المرتبة الثالثة الإشارة بقوله العزيز كما قال إسماعيل العارف أن تعلم أن ملكية الحق تعالى للأشياء ملكية عز لا يشاركه فيها مشارك قوله فإن اتصال الإنسان بالغائبات أي بالأرواح الخبيثة الغائبة عن العيون يكون لتناسب وتواد بينهما وحاله عليه السلام على خلاف ذلك ليس بينه وبينهم مناسبة أصلاً.

besturdubooks.wordpress.com

﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ قوله لا يصح الأولى ولا يقدرون بعد قوله لا يصح الخ لأن هذا معنى وما ينبغي لهم قوله أكد ذلك بإبراز البرهان فالمراد التأكيد معنى قوله من وجهين متعلق ببين ولا يحسن تعلقه بلا يصح.

قوله: **(أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثير الإثم)** إنما يكون على شرير الحصر مستفاد من العلة المختصة بهم إذ المعنى تنزل على كل أفاك لإفكه وشريته وكثرة إثمه لكن الأولى إنما يكون على كل شرير[1] كذاب قوله كذاب تفسير أفاك والشرير لازم معناه كثير الإثم تفسير أثيم لأنه من الصيغ المبالغة.

قوله: **(فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد عليه السلام على خلاف ذلك وثانيهما قوله: ﴿يلقون السمع﴾ [الشعراء: ٢٢٣])** فإن اتصال الإنسان الخ تعليل للحصر وبيان أن العلة وهي الطغيان سبب التضام وجوداً وعدماً والمراد بالغائبات هنا ما غاب عن الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وإن قام عليه دليل والجن والملائكة من هذا القبيل لكن المراد كفرة الجن والشياطين ولدلالة المقام على المراد بينه على عمومه فإن هذا الكلام منتظم لاتصال الإنسان بالملائكة بالرياضات والمجاهدات كما أنه متصل بالشيطان بالعصيان وفرط الطغيان قوله لما بينهما من التناسب والتواد يلائم كلاً منهما لكن المقام آب عنه ولذا قال وحال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على خلاف ذلك وجه دخول خرف الجر على من الاستفهامية هو أن الهمزة تقدر قبل حرف الجر في نيتك كأنك تقول أعلى من تنزل الشياطين والتفصيل في الكشاف.

قوله تعالى: ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾

قوله: **(أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين)** أي الأفاكون مرجع ضمير يلقون فيه إشارة إلى أن الجملة مستأنفة لبيان حالهم معهم ولا يبعد أن يكون حالاً من الشياطين إذ التقدير يلقون السمع إلى الشياطين قيل ويجوز أن يكون صفة لكل أفاك لأنه في معنى الجمع لكن تقدير المبتدأ أظهر في الأول وأما الحالية فلم يلتفت إليها لعدم المقارنة انتهى وهذا عجب إذ نزول الشياطين وهو عبارة عن تقريرها[2] في إذن وليه مما لا ريب في مقارنتها والحالية أنسب بالمقام.

قوله: **(فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات لنقصان علمهم فيضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها)** فيتلقون أي يأخذون من الشياطين لما كان المراد بالإلقاء الإصغاء إليه والشدة فيه يتفرع عليه التلقي أي الأخذ والقبول ولذا قال فيتلقون منهم الخ ظنوناً أي مظنونات ولذا عطف عليها أمارات قوله لنقصان علمهم أي لعدم علم الأفاكين

---

(١) كأنه لم يحتمل كل على الاحاطة فهو للتكثير لكن لا بعد في نزولها على كل كامل في الإفك كما يرشدك إليه صيغة الفعال.

(٢) نبه عليه المص بقوله فيقرها في أذن وليه.

besturdubooks.wordpress.com

المنجي عن الظلمات فالنقصان بمعنى العدم أو على ظاهره إذ الإنجاء يترتب على الكمال.

قوله: (كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة) الحديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله تعالى قالت سأله ناس رسول الله عليه السلام عن الكهان فقال لهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون إخباراً بالشيء يكون حقاً فقال عليه السلام تلك الكلمة يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون بها أكثر من مائة كذبة قوله فيقر بفتح القاف وكسرها في القاموس قر الدجاجة تقر قراً وقريراً قطعت صوتها ويقال قره يقره إذا ساره وهو من الأول والمعنى يسمعه إياها وليه كذا قاله الفاضل المحشي وغيره فعلم منه أن قول المص فيزيد فيها أكثر الخ نقل بالمعنى.

قوله: (ولا كذلك محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها) ولا كذلك محمد عليه السلام عطف على الأفاكون إذ المقصود من بيان أنهم يكذبون ويذكرون أموراً مظنونة موهومة بيان أن النبي عليه السلام ليس شأنه كذلك فإنه أخبر عن مغيبات الخ.

قوله: (وقد فسر الأكثر بالكل) أي مجازاً والجامع الدلالة على الكثرة والتعدد.

قوله: (لقوله تعالى ﴿كل أفاك أثيم﴾ [الشعراء: ٢٢٢]) قرينة المجاز ولم يذكر العلاقة وهذا إنما يكون قرينة لو كان المراد بالكل الإحاطة وهو خلاف مرضي المص كما عرفته.

قوله: (والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أن هؤلاء قل من يصدق منهم

قوله: الكلمة يخطفها ويروى يحفظها الحديث من رواية البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت سأل ناس رسول الله ﷺ عن الكهان فقال لهم ليسوا بشيء قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثون إخباراً بالشيء يكون حقاً فقال رسول الله ﷺ الكلمة من الحق تحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة والخطف استلاب الشيء وأخذه بسرعة ومنه حديث الجن يخطفون السمع أي يسترقونه ويستلبونه والقر ترديدك الكلام في اذن المخاطب حتى تفهمه يقول قررته فيه اقره وقر الدجاجة صوتها إذا قطعته وفي حديث فيأتي بها إلى الكاهن فيقرها في أذنه كما يقر القارورة إذا فرغ فيها وهذا المعنى هو الذي عناه صاحب الكشاف بقوله والقر الصب.

قوله: وقد فسر الأكثر بالكل لما اقتضى رجع الضمير في أكثرهم إلى كل افاك إسناد الكذب إلى الكل لا إلى البعض الأكثر الموهم أن منهم من هو صادق صرف معنى الأكثر إلى الكل فقال وقد فسر الأكثر بالكل وهذا التأويل باعتبار رجوع معنى الكثرة إلى كثرة ذواتهم.

قوله: والأظهر أن الأكثرية باعتبار أقوالهم أي لا باعتبار ذواتهم كما في الوجه الأول فلا ينافي كون بعض أقوالهم مطابقاً للواقع وصف كلهم بالإفك فالمعنى وأكثر أقوال هؤلاء الأفاكين كذب وجه اظهرية هذا التأويل وورود الحديث فيه حيث قال ﷺ فيزيد فيها أكثر من مائة كلمة كذبة.

besturdubooks.wordpress.com

فيما يحكي عن الجني) باعتبار أقوالهم أي أقوالهم الخاصة بقرينة قوله فيما يحكي عن الجني فلا إشكال بأن الكذب إنما هو بالأقوال فالمراد بالكذب ما وقع في حكايتهم عن الجن والشياطين فإن ما ينسبون لهم كذب عنهم في الأكثر وقد يصدقون في النقل عنهم والقرينة على هذا التخصيص كون الكلام مسوقاً لبيان تنزل الشياطين عليهم وإلقاء سمعهم إليهم والخلاصة أن الأكثرية راجعة إلى أقوالهم المحكية عن الشياطين والمعنى أن كلهم كاذبون فيما يحكون عن الجني لكن ليس في كل قول بل أكثر قولهم كاذب وقليل منه صادق ولظهور المراد قيل وأكثرهم كاذبون مع أن المراد وأكثر أقوالهم ويدل على ذلك الخبر المذكور ولما كان كون الأكثر بمعنى الكل بعيداً قال والأظهر أن الأكثرية الخ وإن كان مآله كون الأكثر بمعنى الكل بالنسبة إلى ذواتهم ويؤيده قول الكشاف الأفاكون هم الذين يكثرون الإفك ولا يدل ذلك على أنهم لا ينطقون إلا بالإفك فأراد أن هؤلاء الأفاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وأكثرهم مفتر عليه نعم ما وافق أول كلامه قل ما يصدق من كلامهم فيما يحكي عن الجني لكنه تسامح لظهور المراد[1].

قوله: (وقيل الضمائر للشياطين أي يلقون السمع إلى الملأ الأعلى قبل أن رجموا) الضمائر أي ضمير يلقون وأكثرهم كاذبون فضمير الجمع حينئذٍ في بابه وأما في الأول فبتأويل أن كل أفاك في معنى الجمع وعلى هذا الاحتمال فالأكثر على ظاهره كما هو الظاهر ومع ذلك[2] ضعفه ولم يرض به لخلو الكلام حينئذٍ عن الدلالة على الوجه الثاني من وجهي بيان عدم صلوحه عليه السلام لأن ينزل عليه عليه السلام الشياطين كما ادعاه المص ولكونه خلاف مذاقه مرضه مع أنه في نفسه مناسب للمقام على أن هذا المعنى مستلزم للأول كما فهم من تقرير المص فإن الشياطين كما كذبوا فيما يوحون إليهم يلزم كون الأفاكين وهم الكهنة كاذبين فيوجد بيان حال من تنزل عليه الشياطين وبيان عدم صلوحه عليه السلام لأن ينزل عليه الشياطين التزاماً لكن التصريح لما كان أمس بالمقام لم يرض هذا الاحتمال مع الإشارة إلى جواز اعتباره والمراد بالملأ الأعلى الملائكة أشار إليه بقوله تكلمت به الملائكة قبل أن رجموا أي منعوا من السموات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات ولما ولد محمد عليه السلام منعوا من كلها رواه المص في سورة الحجر.

قوله: (فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به إلى أوليائهم) فيختطفون أي يختلسون كلام الملائكة مسارقة ويوحون به أي بعض المغيبات أي يوسوسون به والمراد بالوحي المعنى اللغوي وهو الكلام الخفي إلى أوليائهم من الكفرة الكهنة.

---

(١) وكون المعنى أكثرهم كاذب فيما يحكي وقليلهم صادق فيما يحكي وإن تناول جنس الكذب كلهم بعيد مخالف للحديث المذكور وللواقع أيضاً إذ الكاهن لا بد وأن يكون كاذباً فيما يحكي عن الجني وإلا لا يكون كاهناً مذموماً.

(٢) أي مع خلوه عن التكلف في جمع الضمائر والأكثر في بابه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم) أو يلقون مسموعهم أي السمع بمعنى المسموع مجازاً عطف على قوله يلقون السمع إلى الملأ الخ منهم أي من الملأ الأعلى إلى أوليائهم وكون مسموعهم من الملائكة مستفاد من الفحوى.

قوله: (وأكثرهم كاذبون فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم[1] أو لقصور فهمهم أو ضبطهم) وأكثرهم كاذبون أي على الوجهين قد عرفت أن أكثرهم على ظاهره إذ لا موجب لتأويله بالكل قوله فيما يوحون به الخ هذا القيد بمعونة المقام ولا ينافيه أنهم كاذبون أيضاً في غيره لكنه لا مساس له هنا قوله لشرارتهم فيتعمدون الكذب بمقتضى طبائعهم الخبيثة أو لقصور فهمهم فحينئذٍ لا تعمد لهم في الكذب وكذا في قوله أو ضبطهم أي وإن كان فهمهم غير ناقص لكن ضبطهم قاصر.

قوله: (أو إفهامهم) بكسر الهمزة أي منشأ كذبهم نقصان إفهامهم ما يلقون إلى أوليائهم كلمة أو لمنع الخلو.

قوله تعالى: وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾

قوله: (﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾) تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للحصر وفيه دلالة على أن الشعراء غاوون أيضاً ففيه إيجاز لطيف والمعنى والشعراء غاوون ولا يتبعهم إلا الغاوون.

قوله: (وأصحاب محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف أبطل كونه شاعراً وقرره بقوله: ﴿ألم تر أنهم﴾ [الشعراء: ٢٢٥]) الآية وهو استئناف أبطل الخ إشارة إلى ما ذكرنا وبيان وجه ارتباطه بما قبله أي أبطل كونه شاعراً كما أبطل كون ما يأتي به من قبل الكهانة ويفهم منه أيضاً إبطال كونه ساحراً بطريق الأولوية لأن الساحرين لا يتبعهم إلا الغاوون بلا استثناء واتباع الرسول عليه السلام ليسوا كذلك ﴿ألم تر﴾ [الشعراء: ٢٢٥] خطاب لمن يصلح أن يخاطب للتعجيب وتخصيصه به عليه السلام ليس بمناسب وضمير أنهم للشعراء وتجويز كونه للغاوين لا يلائم الاستثناء وتقرير المص في كل واد أي من أودية القول الفاسد والوادي هو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة وقد يستعمل في الماء الجاري فيه مجازاً والمراد هنا فنون القول وطرقه كما فصله المص وجه الاستعارة مظان الهلاك فكما أن الوادي مظن الهلاك الحسي كذلك الأقوال الكاسدة مظنة الهلاك المعنوي والجامع مطلق مظنة الهلاك والكل في مثل هذا بمعنى الأكثر ولك أن تقول إن الاستغراق عرفي ﴿يهيمون﴾ [الشعراء: ٢٢٥] أي يخوضون في كل لغو كما فصله المص وأصل الهيام أن يذهب الرجل على وجهه من عشق أو غيره حاصله التحير وهو ترشيح للاستعارة المذكورة إذ التحير من ملائمات

---

(١) قدمه لأنهم مجبولون على الشر وأما البواقي فاحتمال.

besturdubooks.wordpress.com

المشبه به أعني الوادي وفيه وجه آخر مذكور في الكشاف حيث قال ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البري ويفسقوا التقي فحينئذٍ لا مجاز في مفرداته.

قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾

قوله: (لأن أكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها وأغلب كلماتهم) لأن أكثر مقدماتهم خيالات ووهميات اخترعها الوهم وهو بالخيالات كتفضيل أبخل الناس على حاتم وتفضيل عطاء الأمير على نوال الغمام وقت الربيع وغير ذلك من الترهات حتى قيل في شأنهم أفصح الشعراء أكذبهم.

قوله: (بالنسيب والحرم والغزل والابتهار وتمزيق الأعراض والقدح في الأنساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والإطراء فيه) بالنسيب بنون وسين مهملة ذكر محاسن[1] الحسان وإظهار التعشق والهيام بها والحرم جمع حرمة وهي المرأة

قوله: لهو أشد عليهم من النبل من إصابة السهم إلى أبدانهم.

قوله: وروح القدس جبرائيل والمراد أنه معك يلهمك بإلهام الله تعالى ويؤيدك في قولك.

قوله: وقد تلا أبو بكر رضي الله تعالى عنه لأنه أمر عثمان رضي الله تعالى عنه في مرض موته وقد عهد لعمر رضي الله تعالى عنه ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر خليفة رسول الله ﷺ وسلم عند آخر عهده بالدنيا وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر ويتقي فيها الفاجر أني قد استعملت عليكم عمر بن الخطاب فإن بر وعدل فذاك علمي ورأيي فيه وإن جار وبدل فلا علم لي بالغيب والخير أردت ولكل امرىء ما اكتسب ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء: ٢٢٧] كما نقل عن المبرد.

قوله: وأغلب كلماتهم في النسيب بالحرم النسيب مصدر على وزن فعيل كالصهيل والوجيف من نسب ينسب أي شبب فالنسيب بمعنى التشبيب يقال نسب الشاعر بالمرأة ينسب بالكسر إذا شبب والحرم بضم الحاء وفتح الراء جمع حرمة وحرمة الرجل أهله والحرم النساء قال والموت أكرم نزال على الحرم ومغازلة النساء محادثتهن ومراودتهن تقول غازلتها وغازلتني والاسم الغزل والابتهار ادعاء الشيء كذباً قال الأخطل:

وما بي أن مدحتهم ابتهار

أي ليس لي ابتهار في أن مدحتهم أي ليس في مدحي إياهم ووصفهم بالمناقب الحسنة دعوى شيء هو كذب بل أنا صادق في كل ما ادعيه لهم من محامدهم ومحاسنهم والاطراء المبالغة في المدح.

---

(١) ويجيء بهذا المعنى كما يجيء بمعنى القريب.

besturdubooks.wordpress.com

المحرمة على غير زوجها والغزل التلهي بصفات النساء ومراودتهن وذكر الميل لهن والابتهار وهو ادعاء وصول الشيء كذباً لا سيما إلى وصول محبوبيته وتمزيق الأعراض جمع عرض وتمزيقه كناية عن القدح والطعن فيه والمدح من لا يستحقه لحطام الدنيا أو لأغراض أخرى والإطراء أي المبالغة فيه أي في المدح وإن استحقه في الجملة كمدح الملوك بأن عطاءه زائد على نوال الغمام.

قوله: (وإليه أشار بقوله ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ [الشعراء: ٢٢٦]) يعني أنه كناية عن أنهم يكذبون لأن الكذب لازم له فذكر الملزوم وأريد لازمه فلا إشكال بأنه لا إشارة فيه مدح من لا يستحق المدح والإطراء فيه وكذا ذم من لا يستحق الذم وكذا ذكر شيء فعله غيره أو لم يفعله وجه الاندفاع هو أنه لما أريد به الكذب بمعونة القرينة يتناول كل ما ذكر بلا تكلف وصيغ المضارع هنا للاستمرار وحكاية الحال الماضية بعيد والتأكيد في الجملتين بأن وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للمبالغة في وقوعه وصدقه والاهتمام بذلك.

قوله تعالى: وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾

قوله: (وكأنه لما كان إعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بأنه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بأنه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال أربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف) وكأنه لما كان إعجاز القرآن الخ إعجازه من جهة المعنى مطابقته لمقتضى الحال إذ مطابقة الكلام لمقتضى الحال إنما هو بمطابقة المعنى له والمراد بالمعنى المعنى الأول أو الثاني فيه تفصيل في أوائل المطول وإن أريد بإعجاز المعنى الإخبار بالمغيبات على ما هو في نفس الأمر لكان أسلم من التكلف وأنسب بالمقام وفي كلام المص إشارة إليه هنا وفيما قبله فإعجاز اللفظ بكونه في المرتبة العليا من البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكأنه إشارة إلى أن ما ذكره ليس بمجزوم فإن قولهم إن القرآن مما تنزلت الشياطين وقولهم بأنه من جنس كلام البشر قدح كل منهما في المعنى وفي اللفظ والتوزيع المذكور احتمال مظنون.

قوله: (وقرىء بالتشديد وتسكين العين تشبيهاً لبعضه بعضاً) أي بعضه الذي يتضمنه يتبعهم قبل نقل عن الزمخشري أنه قال إنهم لما غيروا الضمة في عضد واقعة بعد الفتحة فلأن يغيروها بعد الكسرة أولى انتهى لكن هذا عجب في جزء الكلمة وقد

قوله: تشبيهاً لبعه بعضد أقول في تشبيهه بعضد نظر إذ ليس في قراءة التشديد بعه بفتح الباء وضم العين بل ما فيه بعه بكسر الباء وضم العين وهو ليس يشبه عضداً في الصيغة ويمكن تصحيحه بأن يقال مراده رحمه الله ما روي عن صاحب الكشاف أنه قال لما غيروا الضمة في عضد واقعة بعد الفتحة فلأن يغيروها واقعة بعد الكسرة أولى.

besturdubooks.wordpress.com

في سورة النور ويتقه قرأ حفص بسكون القاف تشبيهاً بتقه بكتف وخفف لكن هذا ليس في هذه المثابة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧)﴾

قوله: (استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله تعالى) استثناء للشعراء الخ فهم يتبعهم الصالحون الذاكرون فإن التناسب شرط التضام.

قوله: (ويكون أكثر أشعارهم في التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته ولو قالوا هجوا أرادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت) ويكون أكثر أشعارهم بيان كونهم ذاكرين الله كثيراً وقيد بالأكثر لأنهم قد يهجوا كما قال ولو قالوا هجوا الخ والمكافحة المدافعة وبهذا الاعتبار يرجع إلى ذكر الله لأنه طاعة الله وطاعة رسوله.

قوله: (والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك أنه عليه الصلاة والسلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الإطلاق والتعميم في ﴿أي منقلب ينقلبون﴾ أي بعد الموت من الإبهام والتهويل وقد تلى أبو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد إليه وقرىء[1] أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة

قوله: أرادوا به الانتصار أي الانتقام ممن هجاهم.

قوله: ومكافحة هجاة المسلمين الهجاة جمع هاج والمكافحة المدافعة.

قوله: فوالذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من النبل النبل السهام العربية وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها وقد جمعوها على لبال وانبال أي الهجو أشد عليهم من السهام.

قوله: لما في سيعلم من الوعيد البليغ وجه دلالته على الوعيد أن ستعلم وسترى وستبصروا أمثالها تستعمل عرفاً فيما سيقع من أمور هائلة يقصر البيان عن كنهها فيقال سترى حالك وستعرف عاقبة أمرك.

قوله: وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم حيث ترك جهة الظلم لم يبين من أي جهة وقع بل اطلق اطلاقاً وكذا ترك ذكر مفعوله وأجرى مجرى قولك فلان يعطي قصداً إلى أنه يفعل كل الاعطاء والمعنى ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ [الشعراء: ٢٢٧] كل الظلم وظلموا كل أحد ونفسه وهو معنى الاطلاق والتعميم.

قوله: وقرىء أي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة فعلى هذا الأنسب أن يكون منفلت مصدراً ميمياً أي وسيعلم الذين أي انفلات ينفلتونه والمعنى أي نجاة ينجونها فيؤول إلى

---

(١) من الشواذ قارئه الحسن وابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

besturdubooks.wordpress.com

والمعنى أن الظالمين يطمعون أن ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه الانفلات) والكعبين هما كعب بن زهير وهو من مشاهر الصحابة وكعب بن مالك وفي نسخة والكعبان فهو من قبيل:

إن مـن صـاد عـقـعـقـاً لـمـشـوم كـيـف مـن صـاد عـقـعـقـان وبـوم

وحديث الحسان متفق عليه وحديث كعب قوله وهو اهجهم ليس معروفاً فيه وإنما هو مع حسان كما قيل لما في سيعلم من الوعيد الشديد فإن السين تدل على التأكيد وإطلاق الظلم إذ لم يقيد بنوع منه والتعميم لأن الموصول من صيغ العموم.

قوله: (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الشعراء كان له من الأجر من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد عليه السلام) عن النبي عليه السلام الخ حديث موضوع كذا قيل.

الحمد لله الذي وفق عبده إتمام ما يتعلق بسورة الشعراء وهو الذي أمرنا بالتمسك بالشريعة الغراء والصلاة والسلام على رسوله الذي أوضح لنا الملة السمحاء وعلى آله وأصحابه الذين أقاموا الدين في السراء والضراء في جمادى الأولى سنة ١١٨٧ يوم الاثنين ما بين الصلاتين.

معنى سيعلمون أن ليس لهم وجه من وجوه النجاة وهذا المعنى يفيده الاستفهام الإنكاري المستفاد من أي ويحتمل أن يكون بمعنى مكان الانفلات والمعنى وسيعلمون أي منجاة ينجون قال الإمام إنه تعالى لما ذكر في هذه السورة ما يزيل الحزن عن قلب رسول الله ﷺ من الدلائل من إخبار الأنبياء ثم ذكر مقالات المشركين في تسميته تارة بالكاهن وأخرى بالشاعر بين الفرق بينه وبين الكاهن ثم بينه وبين الشاعر ثم ختم السورة بهذا التهديد العظيم اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم أن من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا! هذا آخر ما أمليت في شرح ما في تفسير سورة الشعراء فالآن اشرع معتصماً بحبل الله المتين في حل ما في سورة النمل وبالله التوفيق وعليه التكلان وهو يفيض الحق ويهدي السبيل فأقول متوكلاً عليه.

besturdubooks.wordpress.com

سورة النمل

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (سورة النمل مكية) إضافة السورة إلى النمل لامية عند بعض وبيانية على ما حققناه في سورة الفاتحة والحاصل أن السورة عام والنمل خاص وإضافة العام إلى الخاص لامية أو بيانية مكية أي نزلت قبل الهجرة.

قوله: (وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية) وفي التبسير وقيل خمس وتسعون واختلف أيضاً في مكية بعض آياتها وسيجيء الإشارة إليه.

قوله تعالى: طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾

قوله: (﴿طس﴾ [النمل: ١]) قد تقدم في سورة الشعراء أنه قرىء بالإمالة وعدمها وبين بين ومعناه وإعرابه قد مر في أوائل سورة البقرة.

قوله: (الإشارة إلى آي لسورة والكتاب المبين أما اللوح وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن) الإشارة إلى آي السورة أي من حيث المجموع فيؤول إلى الإشارة إلى السورة إن أريد بالقرآن السورة فإفادة الحمل باعتبار تغاير العنوان[1] وكذا الكلام في الكتاب إن أريد به مجموع القرآن فالأمر واضح وكلامه في سورة الحجر وسورة يوسف ناظر إلى الأول فإفادة الحمل بتأويل آيات القرآن الحاوية للبلاغة والفصاحة وأنواع الغرابة والبراعة فلا يتحد الموضوع والمحمول أو إفادته بالتقييد بالمبين بالنسبة إلى كتاب وإن اعتبر في القرآن هذا القيد بقرينة اعتباره في

سورة النمل
مكية وهي ثلاث أو أربع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ [النمل: ١].

قوله: وإبانته أنه خط فيه ما هو كائن يعني إذا خط أمر وكتب يكون مبيناً لآياته الكلام المكتوب ما فيه لينظر إليه.

---

(١) فإن عنوان كونها آي السورة مغاير لكونها آيات القرآن لا سيما إذا أريد بالقرآن المنزل المبارك المصدق لما بين يديه كما سيجيء من الكشاف.

besturdubooks.wordpress.com

المعطوف فالإفادة أيضاً بهذا القيد هذا إن كان المراد بالكتاب القرآن وإن أريد به اللوح المحفوظ فأمر الحمل ظاهر لظهور التغاير وآيات السورة كون اللوح محمولاً عليه باعتبار كونها فيه ففي الحمل مبالغة قول المص ما هو كائن فيه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (فهو يبينه) من الأفعال وهو المناسب لقوله مبين وقد جوز كونه من التفعيل.

قوله: (للناظرين فيه) أي للملائكة الناظرين فيه وحمل مبين على معنى المتعدي والمفعول محذوف وهو كل ما هو كائن حذف المفعول للتعميم مع الاختصار.

قوله: (وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود) وتأخيره جواب سؤال مقدر بأنه لم اخر الكتاب هنا مع تقديمه في سورة الحجر فأجاب بما ترى أي له جهتان جهة تعلق علمنا به وهو بهذا الاعتبار مؤخر عن القرآن لأنا نعلمه من القرآن وإن أمكن علمنا من الرسول عليه السلام لكن علمنا من القرآن مقطوع بالنظر إلى الأمة إلى يوم القيامة وجهة وجوده وهو بهذا الاعتبار مقدم على القرآن المقرو المكتوب في المصاحف الذي هو المراد هنا وإن كان مؤخراً أيضاً من القرآن بمعنى الكلام النفسي فروعي في

قوله: وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به فإن علمنا باللوح المحفوظ بعد علمنا بالقرآن وأنه من عند الله إذ فيه ذكره وأما تقديمه في الحجر حيث قال هناك: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١] فباعتبار الوجود الخارجي فإن وجود اللوح مقدم على وجود كتابة القرآن إذ ما لم يوجد المحل لا يوجد الحال فيه كتقدم وجود القرطاس على وجود الحروف المنقوشة عليه وفي الكشاف فإن قلت ما الفرق بين هذا وبين قوله: ﴿الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ [الحجر: ١] قلت لا فرق بينهما إلا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب وضرب فيه ترجح فالأول نحو قوله: ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً﴾ [الأعراف: ١٦١] ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو قوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم﴾ [آل عمران: ١٨] يعني أن التقديم يجيء لمعنيين أحدهما جار مجرى التثنية فقط فلا يتفاوت المعنى فيهما سواء قدم في موضع وأخر في آخر كما في نحو ﴿قولوا حطة وادخلوا الباب سجداً﴾ [الأعراف: ١٦١] وقولك رجلان جاءا لا ترجيح لمجيء أحدهما على الآخر هذا هو معنى التثنية قال بعض علماء العربية إن الواو دلالتها قد على الجمع أقوى من دلالتها على العطف فإنها قد تعرى عن العطف ولا تعرى من معنى الجمع وهي في المختلفين بمنزلة التثنية والجمع في المتفقين وإذ لم يمكنهم التثنية في المختلفين عدلوا إلى الواو وثانيهما ما فيه رعاية الرتبة كقوله تعالى: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ [آل عمران: ١٨] الآية فإن شهادة الله تعالى مقدمة على شهادة الملائكة وأولي العلم لأن شهادته أصل وشهادتهم كالتابع لشهادته ومن ثمه فصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالمفعول به قال صاحب الفرائد الفخامة فيما نحن بصدده أي في أول سورة النمل للكتاب فإن كان المراد به اللوح وفي الحجر الفخامة للقرآن فافترقا وإن كان المراد من الكتاب القرآن في السورتين فالفخامة للقرآن من حيث إنه كتاب هنا وفي الحجر من حيث إنه قرآن إلى هنا كلامه أقول مبنى كلام صاحب الفرائد على أن التنكير في الموضعين هو الفارق لأنه للتفخيم.

besturdubooks.wordpress.com

السورتين الجهتين ولم يعكس لتقدم نزول هذه السورة الكريمة على الحجر نص عليه في الاتقان فناسب ذكر الدليل ولذلك عرف الكتاب في الحجر والمراد المعهود في هذه السورة أو مثل هذا السؤال دوري فلا يلتفت إليه ولو تم ما ذكر أولاً لأشكل تعريف القرآن هنا وتنكيره في سورة الحجر.

قوله: (أو القرآن وإبانته لما أودع فيه من الحكم والأحكام أو لصحته بإعجازه) أو القرآن عطف على اللوح وإبانته لما أودع مبتدأ وخبر قوله لما أودع إشارة إلى أنه أيضاً من المتعدي والمفعول المحذوف هنا لما أودع الخ أو المفعول صحته وكونه من الله تعالى لا من كلام البشر ولا ضير في كون أو لمنع الخلو فقط اخر هذا الاحتمال لاحتياج عطفه إلى التمحل المذكور ولأن في الأول تكثير فائدة ولذا قال وعطفه الخ.

قوله: (وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى) وعطفه أي على القرآن مع أنهما عبارتان عن المقرو المكتوب للتغاير الاعتباري وهو كعطف إحدى الخ أتى بكلمة التشبيه لأنه من عطف الصفة على الاسم أو لكونهما اسمين غلبا[١] عليه وإن كان أحدهما مصدراً في الأصل والآخر اسم جنس فهو كقولهم هذا فعل السخي والجواد الكريم لأن القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه فحكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكأنه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك وأي كتاب مبين كذا في الكشاف.

قوله: (وتنكيره للتعظيم وقرىء وكتاب بالرفع على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه) وتنكيره للتعظيم سواء أريد به اللوح أو القرآن وليس تنكيره لإبهامه على الأول لأنه في الشرع معروف في اللوح المحفوظ كما هو معروف فيه في القرآن.

قوله: أو القرآن عطف على اللوح المحفوظ في قوله والكتاب المبين أما اللوح المحفوظ.

قوله: وإبانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام هذا الوجه مبني على أن المبين من ابان المتعدي وقوله أو لصحته مبني على أنه من ابان اللازم فالمعنى على الأول وقرآن مبين أي مظهر للحكم والأحكام الشرعية وعلى الثاني وقرآن بين الصحة بإعجازه.

قوله: وعطفه على القرآن كعطف إحدى الصفتين على الأخرى أي عطف كتاب مبين على القرآن على تقدير كون المراد منه القرآن يكون من باب عطف إحدى صفتي الشيء على صفته الأخرى نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم أي هذا فعل الرجل السخي والجواد الكريم.

---

(١) وهذا هو الأولى لأنه في اللغة اسم المكتوب ثم غلب في عرف الشرع على كتاب الله تعالى المثبت في المصاحف والقرآن في الأصل مصدر بمعنى القراءة غلب في العرف العام على المجموع المعين من كلام الله تعالى المقرو على ألسنة العباد وهذا في المعنى أشهر من لفظ الكتاب كذا في التلويح ولعل لهذا قدم القرآن هنا على الكتاب وعرف القرآن ونكر الكتاب وإن كان معروفاً أيضاً ولذا قال وتنكيره للتعظيم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

قوله: (حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الإشارة) والتعبير بالمصدر للمبالغة ولا يأول بالهادي وبالمبشر لفوات المبالغة إلا لبيان أن الظاهر هادية ومبشرة إن لم يقصد المبالغة قوله والعامل فيهما معنى الإشارة المنفهمة من تلك ولا يجري هنا التأويل بانبه لانتفاء هاء التنبيه والتأويل أشير الكتاب والقرآن وآياتهما فهو الذي سمته النحاة عاملاً معنوياً والآيات مفعول معنى قدم هدى لتقدمه في الوجود وللمؤمنين من باب التنازع وتخصيص الهداية بهم لأنهم المنتفعون به وإلا فهو هدى للناس وإن جعل للمؤمنين متعلقاً بالبشرى فقط فالهدى عام بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب.

قوله: (أو بدلان منهما) أي من الكتاب والقرآن أي بدل الكل من الكل والبدل والمبدل منه كلاهما مقصودان وهذا بناء على أن إبدال النكرة من المعرفة لا يشترط فيه اتحاد اللفظ وكون النكرة موصوفة كما اشترطه الكوفيون نحو قوله تعالى: ﴿لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة﴾ [العلق: ١٥، ١٦] هذا بالنظر إلى القرآن وأيضاً كونهما حالين أو بدلين على احتمال كون المراد بالكتاب القرآن دون اللوح كأنه أشار إلى رجحان كون المراد به القرآن مع أنه قد أخره.

قوله: (أو خبران آخران أو خبران لمحذوف) أو خبران آخران لتلك والتذكير لكونهما مصدران قوله أو خبران لمحذوف أي هما القرآن والكتاب هدى وبشرى وهذا من تقدير هي هدى ولم يذكر كونهما بدلاً من كتاب فقط مع أنه بدل نكرة من نكرة لئلا يلزم الترجيح بلا مرجح ويحتمل أن يكونا مفعولان مطلقان للفعل المحذوف والجملة حال أو استئناف ويحتمل كونهما صفتان لكتاب والمجموع وجوه سبعة في إعرابه لكن لا يظهر ارتباطهما بالكتاب المراد به اللوح إلا بملاحظة الآيات المضافة إليه فلا تغفل.

قوله تعالى: ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

قوله: (﴿الذين يقيمون﴾) صفة مادحة إن أريد المؤمنون الكاملون أو مقيدة إن أريد بهم مطلق المؤمنين وفي يقيمون استعارة أو مجاز مرسل كما بينه في أوائل سورة البقرة ولذلك اختير على يصلون مع أنه أخصر.

قوله: حالان من الآيات أي هادية ومبشرة هذا على تقدير كونهما منصوبين ويحتمل أن يكونا مرفوعين إما على البدلية من الآيات بتقدير تلك هدى وبشرى أو على أنهما خبران آخران لتلك أو على أنهما خبران المحذوف تقديره هي هدى قال الزجاج وحسن أن يكون خبراً بعد خبر لتلك نحو حلو حامض أي جامع بين الطعمين فيجتمع أنها آيات وأنها هادية ومبشرة للمؤمنين ومعنى كونها هدى للمؤمنين والمؤمنون مهتدون أنها زيادة في هداهم كقول المؤمنين ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة: ٦] والمعنى زدنا هداية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة) إشارة إلى أن ذلك كناية عن عمل الصالحات مطلقاً لأن جميع العبادات مرجعها التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ففي الصلاة تعظيم أمر الله وفي الزكاة الشفقة على خلق الله فيراد بهما جميع المبرات وأيضاً الصلاة العبادة البدنية والزكاة العبادة المالية فيراد بهما جميع العبادات البدنية والمالية وخصا بالذكر لأن الصلاة أم العبادات الحاوية لجميع المبرات والزكاة قنطرة الإسلام.

قوله: (من تتمة الصلة والواو للحال أو للعطف) من تتمة الخ لأن الحال قيد والمعطوف في حكم المعطوف عليه ولما كان محط الفائدة القيد أخره بيان إيقانهم الآخرة ذكر مع أنه مقدم وجوداً وأنه متضمن إيقان جميع ما يجب الإيمان به وجه التخصيص ما سيجيء.

قوله: (وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباتهم وإنهم الأوحديون فيه) وتغيير النظم حيث اختير الجملة الإسمية هنا مع تقديم المفعول للدلالة على قوة تيقنهم وثباتهم لأن الجملة الاسمية تدل على الثبات والدوام وفي الحصر المستفاد من التقديم تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب بأن اعتقادهم غير مطابق ولا صادرة عن إيقان فاستفيد منه أن اعتقادهم بالآخرة في قوة يقين ومطابق للواقع قوله وأنهم الأوحديون فيه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (أو جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة) أو جملة اعتراضية أي غير متعلقة بما قبلها بحسب الإعراب وإن تعلقها معنى وهذا بناء على كون الجملة الاعتراضية في آخر الكلام وهو مختار صاحب الكشاف ورضي به المص ومآله أنها جملة تذييلية مقررة لما قبلها.

قوله: (فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة) فإن تحمل المشاق الخ المراد بالمشاق التكاليف الشرعية التي وضعها الله تعالى وإنما سميت

قوله: من تتمة الصلة والواو للحال وذو الحال هو الواو أن في يقيمون ويؤتون فالمعنى يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة مخصوصين بالايقان بالآخرة أوحديين فيه والحصر فيه هو المسمى بحصر الكمال مثل زيد هو الجواد.

قوله: كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون إلى آخره يريد أن الضمير الأول وضع موضع اسم الإشارة فهو مثل قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] ﴿أولئك على هدى﴾ [البقرة: ٥] وفائدته الإشعار بأن من يرد عقيب اسم الإشارة وهم المذكورون قبله أهل له لأجل اتصافهم بالخصال التي عددت لهم فهو بمنزلة إعادة ذكرهم بصفتهم لتعليل الحكم الوارد بعده فالمعنى هم احقاء بأن يؤمنوا بالآخرة لأنهم هم الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح وهذه المعاني أعني معنى التخصيص والتوكيد والتعليل إنما يفيدها التركيب إذا جعل وهم بالآخرة هم يوقنون جملة اعتراضية لاستقلاله حينئذٍ وأما إذا دخل في حيز الصلة بأن جعل حالاً أو عطفاً على يقيمون على التأويل لم يحتج إلى هذه العبارة إذ لو أريد ذلك لقيل هم بالآخرة يوقنون على تقدير الحال وبالآخرة هم يوقنون على تقدير العطف فيفوت تلك الفوائد ولهذا قال صاحب الكشاف ويكون جملة اعتراضية وهو الوجه فإن تحمل المشاق إنما يكون لخوف العاقبة وعن النبي ﷺ من خاف أدلج بلغ المنزل.

besturdubooks.wordpress.com

مشاق لأنها لثقيلة على الأنفس إلا المرتاضين الذين وطنوا نفوسهم على الصبر على الطاعات والصبر عن المنكرات لأنها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال النبي عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة فلو قال فإن تحمل المشاق إنما هو للتوقع في مقابلتها ما يستحقر لأجله وهو الثواب الدائم مشاقها ولخوف العاقبة لكان إشارة إلى أنهم بين الخوف والرجاء.

قوله: (وتكرير الضمير للاختصاص) والمراد بالاختصاص بعد الاختصاص إذ تقديم المسند إليه على الخبر يفيد القصر لكن إفادة تكرير الضمير الاختصاص محل تأمل والتكرير إنما يفيد التأكيد أي تأكيد الإسناد أو تأكيد المسند إليه أو المسند لا تأكيد الاختصاص إلا أن يقال تكرير ما يفيد الاختصاص يؤكد الاختصاص كما يفيد تقوي الحكم وهنا لما أفاد تقديم الضمير الثاني الاختصاص تعريضاً بمن عداهم من أهل الكتاب كما صرح به في سورة البقرة فإفادة اختصاص تقديم الضمير الأول الاختصاص يكون تأكيداً فهذا أبلغ مما في سورة البقرة وهو قوله تعالى: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ [البقرة: ٤].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾

قوله: (﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾) لما بين أحوال الذين يوقنون بالآخرة شرع في بيان أحوال أضدادهم وتخصيص عدم إيمانهم بالآخرة بالذكر لما خص إيقانهم بها وجه الاختصاص هناك لأن الإيمان بها الركن الأعظم من الإيمان كالإيمان بالله لأن الإيقان بالآخرة يحمل صاحبه على النظر والتدبر خوف العاقبة حتى يؤمن بجميع ما يحب الإيمان به وترك العاطف لتباين الغرض إذ الأول مسوق لكون الكتاب هدى وبشرى للمؤمنين والثاني سيق لكون أعمالهم القبيحة مزينة لهم والتأكيد بأن للمبالغة في وقوع مضمون الجملة.

قوله: (زين لهم أعمالهم القبيحة بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس) وإسناد التزيين إلى الله تعالى حقيقة إذ ما من شيء إلا وهو فاعله وإسناده إلى غيره تعالى مجاز لكونه سبباً له

قوله: وتكرير الضمير للاختصاص قال صاحب الانتصاف عد الضمير من آيات الحصر ليس بثبت وهنا الضمير مكرر لأن الأصل وهم يوقنون بالآخرة فقدم المجرور للعناية فوقع فاصلاً بين المبتدأ والخبر فأريد أن يلي المبتدأ خبره وقد حال المجرور بينهما فتكرر ذكره ولم يفت العناية بالمجرور حيث بقي مقدماً وقال الطيبي كلام صاحب الانتصاف كلام من لم يشم رائحة من علم البيان فإنهم اجمعوا على أن مثل أنا عرفت يحتمل التقوى والتخصيص أما التقوى فلتكرر الإسناد وأما التخصيص فلاعتبار تقدم الفاعل المعنوي على عامله ولما تقدم ضميرهم على يوقنون وأكد بالتكرير أفاد التخصيص والتوكيد ولهذا قال صاحب الكشاف معناها وما يوقن بالآخرة حق الايقان إلا هؤلاء المجامعون بين الإيمان والعمل الصالح.

قوله: بأن جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس فسره رحمه الله على ما عليه أهل السنة فإنهم قالوا معناه زيناهم أعمالهم بما ركبنا فيهم من الشهوات والأماني حتى رأوا ذلك حسناً وهو كالختم والطبع وفيه اثبات خلق الله تعالى أفعال العباد قال الزمخشري فإن قلت كيف أسند تزيين أعمالهم

besturdubooks.wordpress.com

القبيحة وهي ما نهى عنه يذم فاعلها ويعاقب عليها بأن جعلها متعلقاً بزين مشتهاة للطبع حتى تهالكوا عليها وأعرضوا عن غيرها وسبب هذا الجعل انهماكهم على الشر والمعاصي وإصرارهم على الكفر باختيارهم وهذا في المعنى كالختم والطبع فلا يرد الإشكال بأنهم حينئذٍ يكونون مجبورين على الكفر وسائر المعاصي وقد مر توضيحه في سورة البقرة.

قوله: (أو الأعمال الحسنة التي وجب عليهم أن يعملوها يترتب المثوبات عليها) أو الأعمال الحسنة التي أعرضوا عنها فالإضافة في النظم الكريم لأدنى ملابسة ولذا قال المص الأعمال الحسنة ولم يقل أعمالهم الحسنة كما قال أعمالهم القبيحة قوله التي وجب عليهم إشارة إلى وجه إضافتها إليهم مع إعراضهم عنها قوله بترتب المثوبات متعلق بزين وهذا الاحتمال[1] بعيد إذ التزيين في مثل هذا المقام أعمالهم القبيحة فإنها مشتهاة ومحبوبة لنفوسهم وأما الطاعات فثقيلة على النفوس إلا على المرتاضين ولذا ورد حفت الجنة بالمكاره وحفت جهنم بالشهوات.

قوله: (فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع) فهم يعمهون اختير

إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ [النمل: ٢٤] قلت بين الإسنادين فرق وذلك إن إسناده إلى الشيطان حقيقة وإسناده إلى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته حتى نزين لهم له ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بغض الملابسات وقال صاحب الانتصاف قول الزمخشري مبني على قاعدة رعاية الأصلح ولو عكس فقال الإسناد إلى الله تعالى حقيقة واختار قول الحسن لكن أصوب لما أنه ليس فيما رواه الحسن هدماً لمذهبهم بخلاف الوجه الأول إذ ظاهره يهدم بنيان قاعدتهم لكن الأولى هو الوجه الأول لما ورد التزيين غالباً في الشر زين للناس حب الشهوات زين للذين كفروا الحياة الدنيا وكذلك زين لكثير من المشركين وورد في الخير قليلاً كقوله: ﴿حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات: ٧] ويبعد الخير هنا إضافة الأعمال إليهم في قوله أعمالهم وهم لم يعملوا الخير أصلاً.

قوله: والأعمال الحسنة فتكون الآية نظير قوله تعالى: ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى﴾ [فصلت: ١٧].

قوله: لا يدركون ما يتبعها من ضر أو نفع فسر رحمه الله العمه بعدم الإدراك لأن العمه عدم البصيرة كما أن العمى عدم البصر وفي الكشاف العمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن الطريق.

---

(١) قيل قاله الحسن وأنت تعلم أنه ليس بحسن.

besturdubooks.wordpress.com

الجملة الاسمية ليفيد الدوام والثبات فلم يجيء فيعمهون مع أنه أخصر العمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الأمر فالظاهر فهم يعمهون فيها والنسخة عندنا عنها فتعلقه به باعتبار تضمين معنى الإعراض قوله من ضر ناظر إلى المعنى الأول أو نفع ناظر إلى المعنى الثاني.

قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ۝٥﴾

قوله: (كالقتل والأسر يوم بدر) كالقتل الخ هذا مستفاد من قيد السوء فإنه صفة أضيفت إلى موصوفه خصه بعذاب الدنيا لقوله بعده وبالآخرة قدمه لكونه مقدماً على عذاب الآخرة.

قوله: (أشد الناس خسراناً لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة) أشد الناس خسراناً والتعبير بأشد الناس لما في أشد من المبالغة لفوات المثوبة وهو خسران واستحقاق العقوبة خسران آخر وعن هذا كانوا هم أشد خسراناً.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾

قوله: (لتؤتاه) أي لتعطاه أي أعطينا القرآن من فضلنا لتنذر به أشار إلى أن لقي من الثلاثي يتعدى إلى مفعول واحد ومن التفعيل يتعدى إلى مفعولين أولهما هنا نائب الفاعل والإعطاء لازم للتلقي ولهذا فسره بالإعطاء.

قوله: (أي حكيم وأي عليم والجمع بينهما مع أن العلم داخل في الحكمة) أي حكيم وأي عليم معناه حكيم عظيم عليم عظيم لا يعرف قدره مستفاد من التنوين لأنه للتعظيم داخل في الحكمة لأنها إيقان العلم واتقان العمل وقد يطلق على معنى المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة بالغة كما صرح به في سورة البقرة فيقابل العلم وما ذكر هنا بناء على تفسير الحكمة في قوله تعالى: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾ [البقرة: ٢٦٩] من أنها إيقان العلم واتقان العمل هذا معناها لغة وفي اصطلاح الشرع لا لازم معناها.

قوله: (لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل) لعموم العلم وخصوص الحكمة لأن العلم يتعلق بالمعدومات ولا فعل فيه والحكمة عبارة عن العلم واتقان الفعل كما عرفته

قوله: أي حكيم وأي عليم يعني أن تنكير حكيم وعليم للتعظيم كتنكير حاجب في قوله:

لـه حـاجـب عـن كـل أمـر يـغـنـيـه

قوله: مع أن العلم داخل في الحكمة لأن الحكمة هي العلم المشفوع بالفعل المتقن المراعى فيه غاية محمودة ومصلحة داعية إليه.

قوله: لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل فيكون الجمع بينهما لقصد التدرج من الأخص إلى الأعم وصف ذاته بالأعم بعد وصفها بالأخص دلالة على شمول علمه تعالى للأشياء.

besturdubooks.wordpress.com

ولذا قال ودلالة الحكمة الخ فذكر العام بعد الخاص للتكميل والاحتراس أي لدفع توهم عدم شمول علمه بالمعدومات حال عدمه سواء كان ممتنعاً أو ممكناً سواء كان موجوداً في الخارج فيما سيأتي أو لا.

قوله: **(والإشعار بأن علوم القرآن منها ما هو حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والإخبار عن المغيبات)** وإنما قال والإشعار لأن المنطوق كونه تعالى حكيماً عليماً وأما كون بعض علوم القرآن حكمة وبعضه ليس كذلك فبمعونة كون القرآن نازلاً من حكيم عليم وهذا إشعار وإشارة إلى ذلك.

قوله تعالى: إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

قوله: **(ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله: ﴿إذ قال موسى﴾ [النمل: ٧])** ثم شرع بيان ارتباطه بما قبله والعلم الذي شرع فيه من القصص وهذا ليس من الحكمة وإن اشتملها إذ القصص لا يخلو عن العقائد والشرائع لكن لما لم يكن مسوقاً لبيانهما جعل القصص مقابلاً للحكمة.

قوله: **(أي اذكر قصته إذ قال ويجوز أن يتعلق بعليم)** أي اذكر الخطاب لرسول الله عليه السلام ولا يحسن جعله خطاباً لكل من يصلح أن يخاطب. قوله ويجوز أن يتعلق بعليم فيكون المراد بالعلم علماً تعلقه حادث فإن العلم بوجود القصة بأنها وجدت الآن أو قبل هذا الآن إنما يكون بعد وجودها وأما العلم بالأشياء قبل وجودها فبطريق أنها ستوجد فهو قديم غير مقيد بشيء ولا يتغير أصلاً وهكذا يجب الفرق بين العلم بالأشياء قبل وجودها وبين العلم بعد وجودها فلا إشكال بأنه يلزم تقييد علمه تعالى إذ هذا التقييد لازم في التعلق الحادث والتقييد إنما يضر في التعلق القديم وإنما ضعفه لأن العموم هو الأصل وتقييد علمه تعالى بالقصة خلاف المتبادر.

قوله: **(أي عن حال الطريق لأنه قد ضله)** عن حال الطريق هذا القيد لأنه قد ضله كما صرح به وإلا فالذهاب إلى جانب النار لا يلزم أن يكون كذلك ألا يرى إلى قوله: ﴿أو آتيكم بشهاب﴾ [النمل: ٧] الآية.

قوله: **(وجمع الضمير إن صح أنه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالأهل)** إن صح الخ إشارة إلى منع ذلك لجواز أن يكون معها غيرها كولدها فحينئذٍ الجمع في بابه ولو سلم ذلك فوجه الجمع لتعبيره بالأهل فإن الأهل جماعة ولما سمى امرأته أهلاً للتعظيم

قوله: لما كنى عنها بالأهل أي بقوله: ﴿إذ قال موسى لأهله﴾ [النمل: ٧] فورود الخطاب بالجمع واطلاق الأهل على امرأته تعظيم لشأنها ونحو قوله تعالى: ﴿مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ [البقرة: ٢٤٨] والمراد بهما موسى وهارون رفعاً لمنزلتهما.

besturdubooks.wordpress.com

ولإحاطتها كمالات عديدة وخصالاً كثيرة بحيث لا توجد إلا في جماعة فأطلق عليها ما يطلق على الجماعة قوله لما كنى بكسر اللام وتخفيف الميم على أن ما مصدرية وقد جوز فتح اللام وتشديد الميم.

قوله: (والسين للدلالة على بعد المسافة أو الوعد بالإتيان وأن إبطاء) والسين للدلالة لأنها حرف تنفيس[1] يفيد التأخير ومنشأ التأخر بعد المسافة قوله أو الوعد بالإتيان لأن صيغة المضارع تدل على الوعد حين أريد بها الاستقبال بقرينة السين أو سوف قوله وإن إبطاء مقتضى السين لكن إن الوصلية تخل بالمقصود في الجملة ومراده أنه لو جرد الفعل عن السين لمتبادر الحال فزيادتها تعين معنى الاستقبال مع أن الأول أنسب لدفع الوحشة للدلالة على بعد المسافة حتى لا يضطرب أهله بإبطائه ولك أن تقول إن السين للتأكيد كقوله: ﴿سنكتب ما قالوا﴾ [آل عمران: ١٨١] بقرينة عدم ذكره في سورة طه وفي سورة القصص مع أن القصة واحدة وقرينة الحال تعين الاستقبال لأن كون النار بعيدة من الأهل معلوم بالحس فلا جرم أنه تدل على الإبطاء كما في سورة أخرى.

قوله: (شعلة نار مقبوسة وإضافة الشهاب إليه لأنه يكون قبساً وغير قبس ونونه الكوفيون ويعقوب على أن القبس بدل منه أو وصف له لأنه بمعنى المقبوس) وإضافة الشهاب إليه الخ أي الإضافة بيانية لما بينهما من العموم والخصوص فإن الشهاب شعلة النار والقبس ما يتناول من الشعلة فكل قبس شعلة بدون العكس قوله لأنه أي الشهاب يكون قبساً وغير قبس إشارة إلى ما ذكرنا قوله لأنه بمعنى المقبوس أي قبس فعل بمعنى المفعول وأما كونه صفة مشبهة كحسن فبعيد لأنها من فعل اللازم فمجيئها بمعنى اسم المفعول تكلف.

قوله: (والعدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في طه) والعدتان على سبيل الظن بقرينة التعبير عنه بصيغة الترجي في موضع آخر كسورة طه والقصص فلا

قوله: شعله نار مقبوسة أي مأخوذة يقال قبست منه ناراً اقبس قبساً فأقبسني أي أعطاني منه قبساً واقتبست منه ناراً واقتبست منه علماً استفدته قوله وإضافة الشهاب إلى القبس لأنه يكون قبساً وغير قبس قال مكي بشهاب قبس من إضافة النوع إلى جنسه نحو ثوب خز قال الفراهي إضافة الشيء إلى نفسه كصلاة الأولى لأن صلاة الأولى في الأصل موصوف وصفة وأصلها الصلاة الأولى.

قوله: والعدتان على سبيل الظن أي الوعدان اللذان هما اتيان الخبر واتيان الشهاب بناء على الظن وهذا رد سؤال يرد على ترك كلمة الترجي هنا وذكرها في سورة طه حيث قيل هنا

---

(١) أي توسيع قالوا معناه أنه ينقل المضارع من الزمن الضيق وهو الحال إلى الزمن الواسع وهو الاستقبال وهذا بناء على أن المضارع حقيقة في الحال كما اختاره الرضي لكن ذهب بعضهم إلى الاشتراك وبعضهم إلى أنه حقيقة في الاستقبال فالأولى أن يقال معناه أن يعين المضارع للزمن الواسع.

besturdubooks.wordpress.com

تدافع بين ما وقع هنا وقوله تعالى: ﴿لعلي آتيكم منها﴾ [طه: ١٠] لأنهما يدلان على الظن وما صدر عن موسى عليه السلام إحدى العبارتين في ذلك الوقت لكنه تعالى حكى القصة بالعبارتين في المواضع فمعنى العبارتين واحد لا محالة فكون الخبر بمعنى الترجي أولى من عكسه وأوفق لكون العدتين ظنيتين.

قوله: (والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما بناء على ظاهر الأمر وثقة بعادة الله تعالى أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده) والترديد للدلالة الخ فيه نوع مخالفة لما ادعى من أن العدتان ظنيتان وأشار به إلى أن أو لمنع الخلو أي الظاهر الواو لأن كلا الأمرين مطلوب جيد لكن أتى بأو للدلالة قال الفاضل السعدي يجوز أن يكون احتياجه لأحدهما لا لهما لأنه كان في حال الرحلة قد ضل عن الطريق فمقصوده أن يجد أحداً يهدي إلى الطريق فيستمر في سفره فإن لم يجد أخذ بقبس من النار توقد بها ويدفع ضرر البرد في الإقامة ولا يخفى أنه يخالف تقرير المص لكن مراده بيان وجه آخر كما يرشده إليك قوله يجوز الخ.

قوله: (رجاء أن تستدفوا بها والصلاء النار العظيمة) الصلاء بكسر الصاد والمد أو الفتح مع القصر هو الدنو من النار لتسخين البدن وهو الدفء ودفع ألم البرد ويطلق على النار نفسها كما قال المص والصلاء النار العظيمة لكن المناسب هنا المعنى الأول.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾

قوله: (﴿فلما جاءها﴾) الفاء فصيحة أي ذهب إلى جانب النار فجاءها فلما جاء موضعاً يقرب من النار التي أبصرها.

﴿سآتيكم منها بخبر﴾ [النمل: ٧] على لفظ القطع وفي سورة طه ﴿لعلي آتيكم منها﴾ [طه: ١٠] بخبر على لفظ الظن وهما متدافعان في الظاهر فأجاب عنه رحمه الله بأن العدة هنا مبنية على الظن أيضاً وإن جاءت بلفظ القطع فإن الراجي قد يقول إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويز الخيبة.

قوله: والترديد للدلالة على أنه إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما أي معنى الترديد بأو بين هاتين العدتين وهما لا تتنافيان ومقتضى الظاهر الواو لجواز الجمع بينهما هو إنه عليه السلام بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعاً لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة بعبادة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده وما علم عليه السلام حين قال ذلك إنه ظافر على النار بحاجتين الكلتين جميعاً وهما عز الدنيا وعز الآخرة انظر أيها المتأمل إلى العناية الأبدية فإنه عليه السلام طلب الدلالة على الطريق والنار لحاجة الأهل ففاز بعز الدارين.

قوله: رجاء أن تستدفئوا منها الاستدفاء استفعال من الدفء وهو السخونة يقال تدفأ هو بالثوب واستدفأ به وادفأ به وهو افتعل أي لبس ما يدفئه أي يسخنه وقد ادفأه الثوب أي اسخنه.

قوله: والصلاء النار العظيمة أي الصلاء بالمد والكسر هي النار العظيمة وكذا الصلا بالفتح والقصر ويجيء الصلاء بالكسر والمد أيضاً بمعنى الشواء وهو لا يناسب المقام.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي بورك فإن النداء فيه معنى القول) يعني لفظة إن تفسيرية بمعنى أي بورك قوله فإن النداء فيه معنى القول إشارة إلى تحقق كونها تفسيرية.

قوله: (أو بأن بورك على أنها مصدرية أو مخففة من الثقيلة) أو بأن بورك بتقدير الجار على أنها مصدرية قيل وإذا كانت مصدرية يجوز في بورك أن يكون خبراً أو إنشاء للدعاء ولا يضر فوات معنى الطلب إذا أول بالمصدر كما توهم لأنه أمر تقديري وسلم فواته كفوات معنى المضي والاستقبال انتهى ولك أن تقول إنه بإضمار القول أي نودي بأن يقال بورك كما قيل في الأمر الصريح.

قوله: (والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره في أحكام كثيرة) التعويض بلا الخ هذا بطريق التمثيل وإلا فالتعويض لا يختص بلا قال الرضي يجب أن يعوض المخففة من الثقيلة إما بالسين أو سوف أو حرف نفي قال أبو علي الفارسي في الحجة إنها لما كان لا يليها إلا الاسم استقبحوا أن يلي الفعل من غير فاعل قال الشيخ الرضي لو قلنا إن بورك بمعنى الدعاء فهي إن مفسرة لا غير لأن صلة المخففة لا يكون أمراً ولا نهياً ولا غيرهما مما فيه معنى الطلب إجماعاً وكذا صلة المصدرية على الأصح قيل وهذا مخالف لما ذكره النحاة ودعوى الإجماع غير صحيحة يمكن أن يكون مراده بدون فاصل فلا يكون مخالفاً لقول النحاة لما نقلنا عنه من أنه قال يجب أن يعوض المخففة من الثقيلة إما بالسين الخ والمراد بالإجماع أكثرهم.

قوله: (من في مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطىء الواد الأيمن في البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠] ومن حول مكانها) من في مكان النار إشارة إلى أن فيه مضافاً مقدراً في الموضع الأول المكان وفي الثاني حول مكانها.

قوله: أي بورك لفظ أي تفسير بمعنى أن التفسيرية في أن بورك محكي لا حكاية وقوله أو بأن بورك على أنها مصدرية والجار محذوف تقديره بأن بورك أي نودي بكثرة بركة من في النار.

قوله: والتخفيف وإن اقتضى التعويض بلا أو قد أو السين أو سوف لكنه دعاء وهذا رد على صاحب الكشاف حيث قال فإن قلت هل يجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن قلت لا لأنه لا بد من قد قال في المفصل والمفتوحة يعوض عما ذهب منها أحد الأحرف الأربعة حرف النفي وقد وسوف والسين نحو علمت أن لا يخرج زيد وان قد خرج وان سوف يخرج وأن سيخرج فجوز القاضي رحمه الله كونها مخففة من الثقيلة بناء على أن بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام فيجوز فيه ما لا يجوز في غيره وكلامه هذا مأخوذ من كلام أبي البقاء فإنه قال إن بورك هي المخففة من الثقيلة وجاز ذلك من غير عوض لأن إن بورك ولم يأت بعوض كما في قوله: ﴿كأن لم يغنوا فيها﴾ [الأعراف: ٩٢] وقوله: ﴿أن قد أبلغوا﴾ [الجن: ٢٨] لأنه دعاء قوله: ﴿وهو البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠] المذكورة أي المذكورة في قوله تعالى: ﴿نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة﴾ [القصص: ٣٠].

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (والظاهر أنه عام في كل من في تلك البقعة وحواليها من أرض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام وكفاتهم أحياء وأمواتاً وخصوصاً تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام) والظاهر إشارة إلى أن عدم العموم محتمل قوله وكفاتهم أي مقرهم أصل الكفات اسم لما يكفت أي يضم كالضمام والجماع لما يضم ويجمع كذا قاله في سورة والمرسلات.

قوله: (وقيل المراد موسى عليه السلام والملائكة الحاضرون) هذا خلاف الظاهر نبه عليه بقوله والظاهر أنه عام الخ أي المراد بمن في النار الملائكة ومن حولها موسى عليه السلام وقيل المراد بمن فيها موسى عليه السلام ومن حولها الملائكة الحاضرون والاحتمال الأول هو المعول وذكر موسى عليه السلام أولاً لفضيلته على الملائكة لا إشارة إلى ما ذكر.

قوله: (وتصدير الخطاب بذلك بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم ينتشر بركته في أقطار الشام) وتصدير الخطاب أي تصدير النداء بذلك أي بقوله إن بورك سواء كان خبراً كما هو الظاهر أو دعاء فإن الدعاء من الله تعالى بمنزلة الخبر لتحققه جزماً فيكون بشارة أيضاً قوله بأنه قد قضى له أمر عظيم وهو الرسالة سواء كان المراد بمن في النار الخ عاماً أو خاصاً قوله ينتشر بركته أي البركة في الدين إذ أصل البركة حاصلة قبله فلا ينافي ما سبق من قوله من أرض الشام الموصوفة بالبركات.

قوله: (من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً وللتعجب من عظمة ذلك الأمر) من تمام ما نودي به وهو الظاهر قوله تشبيهاً أي تشبيهاً للبشر إذ مجيء

قوله: والظاهر أنه عام وجه ظهوره عموم اللفظ وعدم تقيده بالبقعة المذكورة فيكون من شاملاً لكل من ذلك الوادي غير مختص بموسى عليه السلام والملائكة الحاضرين عنده وكذا حولها شامل لجميع من حواليها من أرض الشام فتخصيص مكان النار بالبقعة المذكورة وتخصيص من فيها ومن حولها بموسى والملائكة عليه السلام خلاف الظاهر.

قوله: وتصدير الخطاب بذلك أي بقوله فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها بشارة بأنه قد قضى له أمر عظيم أي قدر له وحكم أمر عظيم وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويثبت آثار يمنه في أباعدها يعني إذا أريد بمن في بورك من في النار العموم فما معنى ابتداء الخطاب بموسى عليه السلام بتجديد بركة أخرى إلى تلك البركات بواسطته تنشر تلك البركة في تلك الأراضي وتتصل إلى ساكنيها.

قوله: لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيهاً يعني لولا تتميم المنادى به بكلام التنزيه لتوهم موسى عليه السلام من سماع هذا النداء تشبيهاً أي توهم أن المتكلم مثل البشر لكون كلامه مثل كلام البشر في كونه صوتاً مركباً من حروف وكلمات مسموعة فاتبعه سبحان الله رب العالمين دفعاً لعروض من ذلك الوهم وخطوره.

قوله: وللتعجيب من عظمة ذلك الأمر عطف على لئلا يتوهم أي ولتعجيب موسى

besturdubooks.wordpress.com

الخطاب من جانب وغير ذلك مما يتوهم منه مشابهة البشر وللتعجب من عظمة الخ أشار إلى أن التعجب لا يكون منه تعالى فهو كناية عن عظمته.

قوله: (أو تعجب من موسى عليه السلام لما دهاه من عظمته) بتقدير القول أي وقال موسى عليه السلام وقال السدي إنه تنزيه منه وهو الأولى لأنه معنى حقيقي له وقد أمكن حمله عليه.

قوله تعالى: يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

قوله: (الهاء للشأن وأنا الله جملة مفسرة له أو للمتكلم وأنا خبره الله والله بيان له) أو للمتكلم المنادى له فحينئذٍ الظاهر أنه الله لكن قصد التقدير والتوضيح فقيل أنا ثم بين بقوله الله بعد الإبهام لما عرف من أن الإيضاح بعد الإبهام أوقع في النفوس ثم كون أنا خبراً بناء على التأويل فالحمل مفيد بالبيان والله بيان أي عطف البيان والمراد بالمتكلم المنادي ما فهم من السياق لا من الفاعل المحذوف في نودي فلا إشكال بأنه إذا حذف الفاعل وبني الفعل للمفعول فلا يجوز أن يعود الضمير إلى ذلك المفعول لأنه نقض الغرض والعزم على أن لا يكون محدثاً عنه معتنى به مع أنه لا منافاة بين كون المتروك في جملة مقصودة وملتفتاً إليه في جملة أخرى وقد ورد مثله في قوله تعالى: ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾ [البقرة: ١٧٨] ثم قال وأداء إليه[1] أي الذي عفي وهو ولي الدم ولم يلتفت إلى كون أنا تأكيداً للضمير والله خبره كما مر في سورة طه لأن كون ضمير المتكلم تأكيداً للضمير الغائب غير متعارف كما لم يتعرض كون الله بدلاً من الضمير لأنه مختلف فيه.

قوله: (صفتان لله ممهدتان لما أراد أن يظهره) أي هما صفتان فائدة الخبر باعتبار قيده قوله لما أراد أن يظهره أي هذا المذكور من الصفتين أنسب بهذا المقام كما بينه بقوله يريد أنا لقوي الخ فلذا اختير ذكرهما هنا.

وإيقاعه في العجب من عظمة ذلك الأمر العظيم وهو حداث أمر ديني من تكليمه واستنباؤه.

قوله: أو تعجيب من موسى أي أو تعجيب الغير من حال موسى وقت الخطاب به لما دهاه أي أصابه أمر عظيم وحالة غريبة من الداهية وهي الأمر العظيم ودواهي الدهر ما يصيب الناس من عظيم نوبة يقال ما دهاك أي ما أصابك قال صاحب الكشاف وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وإيذان بأن ذلك الأمر مريده ومكونه رب العالمين تنبيهاً على أن الكائن من جلائل الأمور وعظائم الشؤون.

قوله: أو للمتكلم عطف على اللسان فيكون راجعاً إلى ما دل عليه قبله يعني أن مكلمك أنا والله عطف بيان لأنا سمي ضمير الغائب بضمير المتكلم لأنه هو في هذا المقام لأن المراد به المتكلم وإن عبر عنه بالغائب.

قوله: صفتان ممهدتان التمهيد على ما ذكر جعل كلام مهداً وبساطاً لكلام آخر يذكر بعده يعني أنه تعالى كما جعل سبحان الله رب العالمين تذييلاً للكلام السابق دفعاً للتوهم والتعجيب

---

(١) لكن هذا كونه مما نحن فيه منظور فيه تأمل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (يريد أنا القوي القادر على ما يبعد عن الأوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما يفعل بحكمة وتدبير) أنا القوي الخ أي العزيز من عز يعز من الباب الأول بمعنى القدرة وله معنى آخر لا يناسب المقام قوله كقلب العصا حية إذ لا مناسبة بينهما وقلب العصا حية إما بإبدال صورة العصا بصورة الحية مع بقاء الجواهر المفردة عند من ذهب إلى أن أجزاء كل جسم متماثلة ومتحدة في الماهية أو بإعدام العصاء وإيجاد الحية عند من ذهب إلى أنها متخالفة في الماهية الأولى كقلب العصا جاناً لكنه عبر بالاسم الذي يعم الجان والثعبان قوله الفاعل الخ إشارة إلى معنى الحكيم ولم ينبه على ما فيه من العلم لأن ما ذكره هو المناسب للمقام.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: (عطف على بورك أي نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك ويدل عليه قوله وأن ألق عصاك بعد قوله: ﴿يا موسى إني أنا الله﴾ [القصص: ٣٠] بتكرير ان) عطف على بورك لأنه أيضاً إنشاء لأنه جملة دعائية كما صرح به فحينئذٍ يكون تجديد النداء جملة معترضة بين المتعاطفين أو يقال إن قوله يا موسى من جملة تفسير النداء المذكور وليس بتجديد النداء كما قيل أو أنه معطوف على مقدر أي افعل ما أمرك والق عصاك.

قوله: (تتحرك باضطراب حية خفيفة سريعة وقرىء جان على لغة من جد في الهرب عن التقاء الساكنين) قيد الاضطراب لأن الهز التحريك الشديد والاهتزاز التحرك الشديد

جعل قوله: ﴿أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] تمهيداً لما أراد أن يظهره على يده من المعجزة يريد أنا العزيز أي القوي القادر على ما يبعد من الأوهام كقلب العصا حية والحكيم الفاعل كل ما فعله بحكمة وتدبير.

قوله: ويدل عليه قوله: ﴿وأن الق عصاك﴾ [القصص: ٣١] أي يدل على أن الق عصاك عطف على بورك قوله في القصص ﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١] بتكرير أن التفسيرية المشعر بأنه داخل في حيز نودي أيضاً فإنه قيل هناك ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣٠، ٣١] وتكرير أن هناك دليل على أن الق هنا عطف أيضاً على بورك والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالمعنى نودي أن بورك من في النار وأن ألق عصاك كلاهما تفسير لنودي ومعناه قيل له بورك من في النار وقيل له ألق عصاك كما تقول كتبت إليك أن حج وأن اعتمر وإن شئت قلت إن حج واعتمر.

قوله: وقرىء جاءن بجيم وهمزة مفتوحتين ونون مشددة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين فإن أهل تلك اللغة قالوا شأبة ودأبة بالهمزة المفتوحة بعد الفاء والتقاء الساكنين وإن كان مغتفراً في حروف مد بعدها مدغم عند جمهور أهل اللغة قد جد بعضهم في الهرب منه مطلقاً فحركوا الألف ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين بالهمزة المفتوحة بعد الضاد قوله من عقب

besturdubooks.wordpress.com

وهو معنى الاضطراب هنا وإنما قال كأنها جان لأنها في السرعة مثل الجان وفي الغلظة مثل الثعبان ولذا قال في موضع آخر فإذا هي ثعبان مبين﴾ [الأعراف: ١٠٧] أي كثعبان فقوله حية حفيفة الخ إشارة إلى التوفيق بين هذه التعبيرات كما صرح به في طه.

قوله: (ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار وإنما رعب لظنه أن ذلك لأمر أريد به) وإنما رعب بصيغة المعلوم وهو الظاهر أو بالمجهول والرعب مستفاد من قوله ولى مدبراً إذ معناه أعرض عنها وجعلها يلي ظهره خوفاً منها بمقتضى البشرية قوله لظنه إن ذلك لأمر أريد به أي أريد وقوعه به بأن قلبت حية لإهلاكه منشأ الظن هو أن الموجود هناك ليس إلا هو من الحيوان والإنسان والحية من المهلكات.

قوله: (ويدل عليه قوله: ﴿يا موسى لا تخف﴾ [النمل: ١٠]) أي على أن ذلك لخوفه لظنه[1] المذكور هذا مقتضى السوق لكن دلالته على ذلك بخصوصه ليست بظاهرة بل يدل على أنه عليه السلام خاف وأما خوفه لذلك فلا وعن ذلك قال بعضهم ويدل على أن ذلك لخوفه بأي وجه كان وهذا جيد لكن لا يلائم قوله وإنما رعب لظنه أنه الخ ثم قال ويدل عليه قوله الخ وغرضه الاستدلال على ما ادعاه أولاً لا على خوفه مطلقاً.

قوله: (أي من غيري ثقة بي) من غيري مفعوله المقدر بقرينة ما قبله سواء كان ذلك الغير حية أو لا عم الكلام لدخول الحية فيه دخولاً أولياً ولأن الظاهر العموم لاقتضائه العلة وهي ثقة بي.

قوله: (أو مطلقاً لقوله: ﴿إني لا يخاف﴾ [النمل: ١٠]) الآية فيدخل الحية بطريق الأولى.

المقاتل بتشديد القاف إذا كر أي رجع بعدما فر كما في قوله:

فما عقبوا إذ قيل هل من معقب ... ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا

قوله: لظنه أن ذلك لأمر أريد به لأمر خبر ان واللام لام الابتداء مفتوحة أي وإنما خاف موسى حيث ولى مدبراً لظنه أن انقلاب العصا حية أمر أريد هو به ويدل على ظنه ذلك قوله تعالى: ﴿يا موسى لا تخف﴾ [القصص: ٣١] فإن نهيه عن الخوف دليل على أنه رعب بمقتضى ذلك الظن والرعب الخوف أرعب الرجل مُليئ خوفاً عند السيل بالوادي ملأه.

قوله: أي من غيري ثقة بي أو مطلقاً يعني أن لا تخف إما أن يراد تعلقه بمفعول حذف للاختصار أو لا يراد ذلك بل نزل منزلة اللازم فأراد بقوله من غيري الاحتمال الأول وبقوله مطلقاً الاحتمال الثاني قوله لقوله: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] تعليل الوجه الثاني وهو احتمال الإطلاق لأن الإطلاق ظاهر مفهوم لا يخاف لدي المرسلون إطلاق الخوف وعدم تقيده بالمخوف منه أي لا يصدر منهم خوف أصلاً يدل عليه ما في الكشاف حيث قال وإلا بمعنى لكن لأنه لما أطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرق الشبهة فاستدرك ذلك.

---

(١) قيل وفيه أنه أيضاً خوف من الله تعالى فإن رعبه لظنه أن ذلك الأمر بإرادة الله تعالى وهذا مما لا بد منه والتعرض له كالمستدرك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (**حين يوحي إليهم من فرط الاستغراق**) هذا منفهم من التعبير بالمرسلون وبقوله لدي قوله من فرط الاستغراق أي بتوجههم الكلي إلى تلقي الوحي وانجذاب أرواحهم إلى عالم الملكوت فيغيب عنهم كل شيء سواه فحينئذٍ يرد الإشكال بالخوف المذكور فإن قوله تعالى: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] خبر والخوف المذكور ينافيه ظاهراً وأشار بعضهم إلى الجواب عنه وهذا باعتبار الأغلب والمعنى لا ينبغي لهم أن يخافوا في تلك الحال بل لا يخطر ببالهم الخوف وإن وجد ما يخاف منه فيندفع رعبه الناشيء عن ظنه ولذا قال أقبل ولا تخف إنك من الآمنين تثبيتاً له ولا يخفى ما فيه من التكلف إذ حمل قوله: ﴿إني لا يخاف﴾ [النمل: ١٠] الآية على الأغلب بعيد جداً فالأولى الحمل على الاستعارة التمثيلية بأن يقال إنه لما عاين مثل هذه الخوارق وشاهد منها ما لا يسع طوق البشر وقدرته شبه حاله عليه عليه السلام بحال من يخاف ويهرب بمشاهدة مثل هذه الأمور الغريبة والشؤون العجيبة ويقبل ويدبر ويسرع لظنه أنه أريد به هلاكه فاستعمل ما هو موضوع للمشبه به في المشبه وأما قوله تعالى: ﴿خذها ولا تخف﴾ [طه: ٢١] فمن باب التهييج والتثبيت زيادة الاطمئنان كقوله تعالى: ﴿ولا تكونن من الممترين﴾ [البقرة: ١٤٧] أو المنفي حين استمرار الوحي والخوف المثبت حين ابتداء الوحي كما فيما نحن فيه أو غير الوحي كخوف إبراهيم عليه السلام من ضيفه المكرمين ونظيره قوله تعالى: ﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ [يوسف: ١١٠] الآية على وجه حيث قال المص وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وإن المراد به المبالغة في التراخي والإمهال على سبيل التمثيل.

قوله: (**فإنهم أخوف الناس من الله تعالى**) بيان لتقييد عدم خوفهم بما مر الدال عليه لدي وهو حين الوحي لأنهم أخوف الناس من الله تعالى في سائر الأحيان كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] ولا أعلم بالله منهم.

قوله: (**أو لا يكون لهم عندي سوء عاقبة فيخافوا منه**) هذا جار في الوجهين أي لا تخف من غيري ثقة بي أو مطلقاً فإنك آمن من سوء العاقبة في الآخرة كسائر المرسلين فإن لدي بمعنى عند ذكر هنا على سبيل الاستعارة التمثيلية المعبر عنها بالعندية المكانة لا المكاني فينبغي أن يخشاه أولو العزم وغيرهم إنما هو من سوء العاقبة لا الخوف من نحو الحية وغيرها فبهذه الملاحظة يظهر المناسبة للمقام لكن الأول أمس بالمرام ولذا قدمه وبين وجهه قوله فيخافوا بإسقاط النون لأنه جواب النفي وفي نسخة يخافون منه فلا حذف فيه.

قوله: فإنهم أخوف الناس من الله يعني أن انسلاب الخوف منهم حين الوحي إنما هو لفرط استغراقهم وغفولهم عن أحوالهم وإلا فهم أخوف الناس من الله أو لانعدام سوء العاقبة فيهم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾﴾

قوله: (استثناء منقطع استدرك به ما يختلج في الصدور من نفي الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فإنهم) استثناء منقطع أي إلا بمعنى لكن فيكون محل من منصوباً على الأصح قوله من نفي الخوف متعلق بيختلج ومن للتعليل قوله فإنهم متعلق باستدرك قوله وفيهم من فرطت[1] قيل فعلى هذا يكون الاستثناء متصلاً لا منقطعاً أجيب بأنه لو كان متصلاً لزم إثبات الخوف لهم وليس كذلك فلا يكون متصلاً بل شروع في حكم آخر توضيحه ما قاله صاحب التوضيح والاستثناء المنقطع منه أن يكون المستثنى داخلاً في المستثنى منه لكن لا يخرج عن عين ذلك الحكم بل المراد إثبات حكم آخر له.

قوله: (وإن فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة) وإن فعلوها الخ تفسير لقوله ثم بدل الخ والمعنى لا يخاف المرسلون إلا من ظلم فإن يخاف من سوء العاقبة أولاً ثم بعد التوبة يزول ذلك عنه أيضاً وإسناد التبديل إليه مجاز باعتبار السببية.

قوله: (وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي) لأن من ظلم على العموم فلا يلزم في قصد التعريض صدور ما صدر منهم بعد الإرسال.

قوله: (وقيل متصل وثم بدل مستأنف) هو على الوجه الأخير وهو كون المعنى أي لا يكون عندي سوء عاقبة الخ ولذا قيل في توضيحه والمعنى لا يخافون أي المرسلون من سوء

قوله: استثناء منقطع أي كلمة إلا في ﴿إلا من ظلم﴾ استثناء منقطع بمعنى لكن ومن منصوب المحل كقوله تعالى: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط﴾ [الحجر: ٥٨، ٥٩] فإن ﴿إلا آل لوط﴾ استثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان بناء على اختلاف صفتيهما وهنا الأمر بالعكس أي المستثنى منه هناك مجرم والمستثنى غير مجرم والأمر هنا بالعكس لأن المستدرك جنس غير المعصومين قد استدرك من المعصومين.

قوله: وقصد تعريض موسى بوكزه القبطي معنى التعريض مستفاد من التعبير بلفظ المبهم وإسناد الظلم والتبديل إليه حيث لم يصرح موسى عليه السلام وإن كان القصد إليه كأنه قيل لكنك ظلمت بقتل القبطي ثم بدلت حسناً بعد سوء فإني غفور لك رحيم عليك فترك التصريح إلى الكناية التي من أقسامها التعريض لإثبات ذلك المعنى ببينة ولئلا يوحشه صراحة نسبة الظلم إليه.

قوله: وقيل متصل أي وقيل الاستثناء متصل فيكون موضع من رفعا على البدل من فاعل يخاف كما قال أبو البقاء والمعنى ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] إلا الذي فرط منه ما غفر له ثم يرحم عليه فإنه يخاف وروى الإمام عن بعضهم أني إذا أمرت المرسلين بإظهار معجز فينبغي أن لا يخافوا فيما يتعلق بإظهار ذلك وإلا فالمرسل قد يخاف لا محالة فالمعنى على هذا لا يخاف لدي المرسلون فيما يتعلق بمعجزة امرتهم بإظهارها فالمنفي هو الخوف المقيد لا مطلق الخوف قال صاحب الكشاف وإلا بمعنى لكن والمعنى ولكن من ظلم منهم أي فرط منه صغيرة مما يجوز على الأنبياء

---

(١) الأولى كون المراد بمن ظلم غير المعصومين من الأمم كما ذهب إليه بعضهم.

besturdubooks.wordpress.com

العاقبة إلا من ظلم فإنه يخاف منه أولاً ثم بعد التوبة والاستغفار يزول ذلك عنه أيضاً وزواله بعد التوبة لا يضر كون الاستثناء متصلاً إذ الاعتبار حين صدور ما صدر منهم وثم يدل أي على هذا الوجه مستأنف وأما على الأول جواب من إن كانت شرطية وخبر إن كانت موصولة.

قوله: (معطوف على محذوف أي من ظلم ثم بدل ذنبه بالتوبة) على محذوف مستأنف لا على المذكور لأنه لا يصح حينئذٍ كون الاستثناء متصلاً لأن تبديله ينافي الخوف فالتقدير فمن ظلم بالذنب ثم بدله بالتوبة فإني غفور رحيم وهذا بناء على أن الأنبياء عليهم السلام مأمونو العاقبة ولا يخافون سوء العاقبة.

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾

قوله: (لأنه كان مدرعة صوف لا كم له وقيل الجيب القميص) لأنه الخ بيان لقوله

كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان وإخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزة القبطي هذا كلامه إما فرطة آدم عليه السلام وإخوة يوسف وموسى عليه السلام فظاهرة وإما فرطة يونس فما دل عليها قوله ﴿إذ أبق إلى الفلك المشحون﴾ وفرطة داود ما يشعر بها قوله وظن داود أنما فتناه وفرطة سليمان قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ [ص: ٣٤] هذا وقد اختلف في جواز صدور الفرطة من الأنبياء فمنهم من جوز صدور الكبائر عن الأنبياء عمداً وهم الحشوية ومنهم من لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز الصغائر إلا ما ينفر كالكذب والتطفيف وهم المعتزلة ومنهم من لا يجوز عليهم الصغيرة ولا الكبيرة على جهة العمد بل على التأويل كترك الأولى وهو الجبائي ومنهم من قال لا يقع منهم ذنب قط وهم معصومون من وقت مولدهم وهم الروافض ثم قال الإمام والمختار عندنا أنه لم يصدر منهم ذنب قطعاً حال النبوة لا من الصغائر لا من الكبائر في تضاعيف كلامه إشعار بأن ترك الأولى منهم كالصغيرة هنا لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

قوله: وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف أي قوله ثم بدل على جعل الاستثناء متصلاً بكون كلاماً مستأنفاً غير داخل في حيز الاستثناء ومعطوفاً على محذوف تقديره من ظلم ثم بدل حسناً ﴿فإني غفور رحيم﴾ [النمل: ١١] وإنما لم يجعله معطوفاً على ظلم المذكور إذ لو كان معطوفاً على المذكور يكون داخلاً في حيز الاستثناء فيكون مال المعنى يخاف من ظلم ثم تاب عن ظلمه وغفر ذنبه ورحم عليه ويمكن توجيه معنى العطف على المذكور بالتأويل الذي ذكره أبو البقاء وهو أن يكون المعنى ﴿فإني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] إلا الذي فرط منه ما غفر له ثم يرحم عليه فإنه يخاف الله من عقوبة ما فرط منه وإن تاب عنه ظناً منه أن توبته يحتمل أن لا تقبل منه ولخفاء العاقبة ترك صاحب الكشاف حمل الاستثناء على الاتصال ولعل تركه له بناء على مذهبه من وجوب قبول التوبة على الله تعالى وقال صاحب الكشاف سماه ظلماً كما قال موسى ﴿رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي﴾ [القصص: ١٦] يعني سمى الله تعالى وكزة موسى عليه السلام القبطي ظلماً على طريق المشاكلة لوقوعه في صحبة تسمية موسى إياها في دعائه ظلماً وهذا مبني على معنى التعريض المذكور.

قوله: لأنه كان مدرعة صوف المدرعة بكسر الميم الدرع بمعنى القميص لا الدرع من الحديد فالمراد هذا الصوف الذي يلبس فوق القميص أو القميص.

besturdubooks.wordpress.com

في جيبك دون كمك والمدرعة بكسر الميم لباس لا أكمام له والجيب مدخل الرأس من القميص وقد يطلق الجيب على ما يوضع فيه الدراهم كما هو معروف الآن لكنه مولد.

قوله: (لأنه يجاب أي يقطع) والاطراد ليس بشرط في وجه التسمية وتسمية الجيب مدرعة صوف لأنها يقطع أيضاً هذا مقتضى كلامه ولا يعرف وجه عدم التعرض هناك فالجيب حينئذٍ فعل بمعنى المفعول.

قوله: (تخرج) في الكلام حذف إذ الخروج إنما يترتب على الإخراج لا على الإدخال والتقدير وأدخل يدك تدخل وأخرجها تخرج فحذف عن الأول جواب الأمر وعن الثاني حذف الأمر على طريق صنعة الاحتباك وجه ذلك أن الإدخال يدل على الدخول والدخول يترتب عليه الخروج وعن هذا لم يعكس ﴿بيضاء للناظرين﴾ [النمل: ١٢] كما ذكر في موضع آخر.

قوله: (آفة كبرص) قال في سورة طه كنى به عن برص وهنا أشار إلى جواز التعميم إلى غير برص من الآفة التي يستقذر منه قيل لما كان الخروج عن خلقته وجوهره مما يستقبح ويستقذر اخبر انه كذلك وأما احتمال البرص فبمعزل عن هذا المقام مثل ذلك لا يخطر بالبال في أمثال هذه الآيات العظام حتى يحتاج إلى دفعه وهذا غريب لأنه من قبيل الاحتراس وهو متعارف في محاورات البلغاء على أنه يرد هذا إن سلم وروده على ما اختاره من أن الخروج عن جوهره كونه مما يستقذر ويستقبح مما لا يخطر بالأوهام فضلاً عن البال في أمثال هذه الآيات العظام حتى يحتاج إلى دفعه والإخبار بأنه ليس كذلك وليت شعري كيف ارتكب أمراً رد مثله أولاً بل ما التزمه بأشنع وأبعد.

قوله: (في جملتها أو معها) أشار إلى أن في تسع آيات حال متعلق بأدخل يدك أي معدودة من جملتها أو كائنة معها قدم الأول لأن في باق على معناه فيه وأيضاً يوهم لفظ مع في معها أن التسع الباقية أصل مع أن الآية الكبرى العصا واليد البيضاء وهما أصل في الآيات.

قوله: (على أن التسع هي الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب في واديهم النقصان في مزارعهم ولمن عد العصا واليد من التسع أن يعد الأخيرين واحداً ولا يعد الفلق لأنه لم يبعث به إلى فرعون) على أن التسع خبر محذوف أي هذا

قوله: ولمن عد العصا واليد من التسع الخ أي من عد العصا واليد البيضاء من جملة الآيات التسع له أن يعد الآيتين الأخيرتين وهما الجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم آية واحدة لأن معنييهما واحد وهو القحط ولا يعد الفلق فمعنى في تسع آيات عنده في جملتها ومن لم يعد العصا واليد من التسع يكون معناه مع تسع آيات فيكون الآيات إحدى عشر والظرف حال مقدرة من مفعولي الق وادخل أعني العصا واليد أي مقدراً في كونهما في جملة تسع آيات أو معها أو من مفعول ادخل فقط أو من فاعل تخرج قال أبو البقاء بيضاء حال ومن غير سوء حال أخرى وفي

besturdubooks.wordpress.com

المذكور على أن التسع الخ قوله ولمن عد الخ[1] دفع إشكال بأن الآيات إحدى عشرة لا تسعاً إن عدت اليد منها أو عشر إن لم يعد والأخيرين الجدب والنقصان والطمسة جعل أشيائهم حجارة.

قوله: (أو اذهب في تسع آيات على أنه استئناف بالإرسال فيتعلق به) أو اذهب عطف على قوله في جملتها قوله وعلى الأولين يعني على تقدير أن يكون التقدير في جملتها أو معها فيكون في تسع متعلقاً بمقدر مستأنف أي غير متعلق بما قبله وفي بمعنى مع والمراد بتسع آيات اليد والعصا الخ أو ما سوى اليد والعصا كما مر بيانه اخره لأن الاحتمال الأول هو مذاق السوق وبيان حال اليد البيضاء.

قوله: (وعلى الأولين يتعلق بنحو مبعوثاً ومرسلاً تعليل للإرسال) إذ كلمة إن صريح في التعليل في مثل هذا الكلام قيل أي مستأنفاً بيانياً كأنه في جواب سؤال لم أرسل إليهم بما ذكر وهو على وجهي تعلق إلى فرعون إما على تعلقه بنحو مبعوثاً ومرسلاً فظاهر وإما على تعلقه باذهب فلأن الأمر بالذهاب المقصود منه الإرسال والمراد بالتعليل بيان علة الإرسال فهي علة حصولية سبب للإرسال فهذه وأمثاله ليست من الأغراض حتى يقال إن أفعال الله ليست بمعللة بالأغراض فيحتاج في دفعه إلى أنه بمعنى الحكم والمصالح.

تسع آيات حال ثالثة والتقدير آية في تسع آيات وإلى متعلقة بمحذوف أي مرسل إلى فرعون ويجوز أن تكون صفة تسع أو لآيات أي واصلة إلى فرعون قال صاحب الكشاف ولقائل أن يقول كانت الآيات إحدى عشرة عن بعضهم كأنه يقول ليس بلازم أن يقال هذا داخل فيها وقال صاحب التقريب ولعل الطمسة والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم يرجع إلى واحد وقال صاحب الفرائد يمكن أن يقال الجراد والقمل واحدة والجدب والنقصان واحدة لأنهما متقاربان الفلق بفتح الفاء وسكون اللام مصدر فلقت الشيء أي شققته والمراد فلق البحر بضرب العصا والطمسة المحو والتغيير ومنه: ﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ [يونس: ٨٨] أي غيرها كقوله تعالى: ﴿من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها﴾ [النساء: ٤٧] والمراد هنا طمس أموالهم والجدب بالفتح القحط نقيض الخصب ومكان جدب أيضاً وجديب بين الجدوبة وأرض جدبة وأجدب القوم أصابهم جدب.

قوله: أو اذهب في تسع آيات عطف على في جملتها أو معها يعني في تسع آيات في جملة تسع آيات أو مع تسع آيات فيكون الظرف مستقراً أو اذهب في تسع آيات فيكون الظرف لغواً وعلى الأولين يكون إلى فرعون متعلقاً بمحذوف تقديره مبعوثاً بها أو مرسلاً إلى فرعون وعلى الثاني باذهب المقدر قبله والمعنى اذهب في تسع آيات إلى فرعون ونحوه فقلت إلى الطعام فقال منهم:

فريق يحسد الإنس الطعاما

في أن الجار أعني إلى متعلق بمحذوف تقديره ائت لي الطعام أو هلم.

---

(١) ومن عده يقول يكفي معاينتهم له في البعث به أو بعث به لمن آمن من قومه ولمن يخلف من القبطي ولم يؤمن.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١٣﴾

قوله: (بأن جاءهم موسى بها) أي المجيء بها بواسطة موسى عليه السلام كما دل عليه الترتيب بالفاء والمراد بآياتنا المعجزات المذكورة الظاهرة في يد موسى عليه السلام وهنا حذف إيجاز والمعنى ولما أمرنا موسى عليه السلام بإظهار تلك الآيات العظام أظهرها وجاءهم بها فلما جاءتهم الآية وقد جاء الآيات بلا واسطة ولذا قال بأن جاءهم موسى بها وإسناد المجيئة إلى الآيات ليس بمجاز بل المجاز في الطرف إذ المجيئة من خواص الأجسام فجاء مجاز واستعارة لحصولها في وقته المقدر له وأما القول بأنه لم يقل جاءهم موسى بها لأنها كانت خارجة عن حيز طاقته وفي بعضها لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي فسخيف جداً لأن شأن المعجزة كونها خارجة عن طوق البشر بل شرطها ظهورها على يد مدعي النبوة عند التحدي وعدم المعارضة لها وعدم تصرف عادي لو سلم لا يصر كشق القمر مع أن أكثرها وقع بدعائه أو بإخبار وقوعه والقرآن معجزة لرسولنا عليه السلام مع أنه لم يكن منه عليه السلام تصرف عادي.

قوله: (بينة اسم فاعل أطلق للمفعول إشعاراً بأنها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر) بينة هذا حاصل المعنى اسم فاعل من البصر بمعنى رأى وهذا ليس من شأن الآيات ولذا قال أطلق للمفعول أي مجازاً إما في الطرف أو في الإسناد كقوله: ﴿عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] أي شبه النسبة إلى المفعول بالنسبة إلى الفاعل في كون كل منهما ملابساً للفعل فاستعير ما هو موضوع للنسبة إلى الفاعل للنسبة إلى المفعول.

قوله: (أو ذات تبصر بمعنى الإبصار) أي أنها ليست اسم فاعل بل للنسب كلابن وتامر فلا مجاز لا في الطرف ولا في الإسناد والتبصر بمعنى الإبصار فإن تبصر يجيء بمعنى أبصر أي التفعل يجيء بمعنى الافعال.

قوله: بأن جاءهم موسى بها والباء في بأن للسببية وفي بها للمصاحبة أو للتعدية.

قوله: اسم فاعل اطلق للمفعول يعني جعلت الآيات مبصرة وهي مبصرة فهو من الإسناد المجازي أستد الابصار إلى الآيات وهو في الحقيقة لذوي البصائر وهم إما كل أحد أو فرعون وملؤه فالمعنى ظاهره بينة كأنها لفرط ظهورها وانكشافها لابصار الناظرين بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر ويبصر على لفظ المبني للفاعل.

قوله: أو ذات تبصر من حيث إنها تهدي وهو على هذه الوجه استعارة مكنية شبهت الآيات في جلائها وظهورها في نفسها وأنها بحيث يهتدي بها الناس بشخص يبصر بنفسها فيهدي الناس والهادي ينبغي أن يكون قادراً على الاهتداء ليهدي غيرها فإن العمى لا يقدرون على الاهتداء فضلاً أن يهدو غيرها فتشبيهها بالشخص المتبصر استعارة مكنية واثبات البصارة تخييل ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لأن الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى: ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر﴾ [الإسراء: ١٠٢] فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (من حيث إنها تهدي والعمى لا تهتدي فضلاً عن أن تهدي أو مبصرة كل من نظر إليها وتأمل فيها) من حيث إنها تهدي أي من حيث إنها سبب الهداية التي هي الضوء الأعظم فيكون لها نسبة إلى التبصر في الجملة مثل نسبة الرضاء إلى العيشة من حيث إنها مرضية وجه نسبة التبصر أي الإبصار هو كون كل منهما سبباً للهداية وإن كان بينهما فرق من جهة أن الآية هادية إلى الطريق المعنوي والإبصار من جهة أنه هاد إلى الطريق الحسي وهذه الهداية لا توجد في العمى جمع أعمى كحمر جمع أحمر ولنسبة أمر إلى شيء طرق شتى ونسبة الإبصار إلى الآيات من هذه الحيثية فلا استعارة مكنية هنا كما ذهب إليها الفاضل المحشي.

قوله: (وقرىء مبصرة أي مكاناً يكثر فيها التبصر) وقرىء مبصرة بفتح الميم وسكون الباء وفتح الصاد.

قوله: (واضح سحريته) أي مبين من أبان اللازم ولا يصح المتعدي هنا.

قوله تعالى: وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾

وكذبوا بها.

قوله: (وقد استيقنتها لأن الواو للحال) وقد استيقنتها بتقدير قد لأنه أبلغ وفي هذه الحال توبيخ عظيم لهم وتنبيه على الإيقان لا يفيد حين وجد علامة الإنكار كالإنكار باللسان وإنما لم يجيء واستيقنوا كما جاء وجحدوا لأن محل الإيقان الأرواح والأذهان والإنكار وإن كان كذلك لكن أريد المبالغة كأنهم جحدوا بأبدانهم وأرواحهم والظاهر أن إسناد الجحود إليهم مجاز لأنه للأنفس أي الأرواح كالاستيقان وسين استيقنتها للتأكيد إذ الحاصل بالطلب في غاية الكمال.

قوله: وقرىء مبصرة بفتح الميم أي محلاً يكثر فيه التبصر فإن صيغة مفعلة موضوعة لمكان يكثر فيه الشيء مثل مأسدة ومجبنة ومبخلة.

قوله: وكذبوا بها يريد أن الجحود هنا مضمن معنى التكذيب ولهذا عدي بالباء وإلا فهو متعد بنفسه يقال جحده حقه.

قوله: لأن الواو للحال أي قوله عز وجل: ﴿واستيقنتها﴾ [النمل: ١٤] فعل ماض وقع حالاً بتقدير قد من واو جحدوا فإن قيل ما الفائدة في هذه الحال وقد أفاد معناها لفظ الجحود لأنه إنكار مع علم قلنا ليس الجحود هنا على معناه الأصلي بل هو مستعمل لمعنى التكذيب والتكذيب أعم من أن يكون إنكاراً مع علم أو إنكار مع جهل فلما كان مبهماً بينه مضمون الجملة الحالية بأن المراد التكذيب مع علم وفي الكشاف وفائدة ذكر الأنفس أنهم جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان أبلغ من الايقان وأي ظلم أفحش من ظلم من اعتقد واستيقن أنها آية بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحراً بيناً مكشوفاً لا شبهة فيه قوله ترفعاً من الإيمان أي استكباراً من الإيمان بما جاء به موسى كقوله: ﴿فاستكبروا وكانوا قوماً عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ [المؤمنون: ٤٦، ٤٧].

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لأنفسهم) تعليل للجحود وهذا وإن لم يكن غرضهم من الإنكار لكن لترتبه عليه جعل علة له استعارة وكونه ظلماً لأنفسهم لتضرر به دون غيرهم في الآخرة.

قوله: (ترفعاً عن الإيمان) وهذا أشنع الكبر والترفع وهذا يصلح أن يكون علة حصولية إذ إنكارهم الآيات لوجود الترفع عن الإيمان وأن يكون علة تحصيلية بملاحظة أن تكذيبهم بالآيات لأجل تحصيل الترفع عن الإيمان في الخارج وهذا يصلح أن يكون غرضاً فلا استعارة في إطلاق العلة والغرض عليه.

قوله: (وانتصابهما على العلة لجحدوا) وقد مر بيانها ويجوز أن يكون على الحالية بالتأويل والإفراد لكونهما مصدرين أي ظالمي أنفسهم وعالين مترفعين عن الإيمان **(وهو الإغراق في الدنيا والإحراق في الآخرة)**.

قوله تعالى: وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾

قوله: (طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع أو علماً أي علم) طائفة من العلم أي التنوين للتقليل بالنسبة إلى علم الله تعالى وهو علم الحكم الذي من أوتي به فقد أوتي خيراً كثيراً والكثرة في ذاته والقلة بالنسبة إلى علمه تعالى فلا منافاة قوله أو علماً أي علم إشارة إلى ما ذكرناه من أن علمهما كثير بالنسبة إلى الإنسان من آحاد الأمة واجتماع المتقابلين بالاعتبارين لا كلام في جوازه وحسنه وقدم الأول للإشعار بأنهما حمدا على العلم الملحوظ فيه القلة بالنسبة إلى علم الله تعالى فما ظنكم بحمدهما على العلم المعتبر فيه الكثرة بالنسبة إلى آحاد الأمة ففيه ثناء عظيم ومدح جسيم ثم تعرض الثاني لكون المقام مقام الامتنان.

قوله: طائفة من العلم الخ يعني أن تنكير علماً إما للنوعية فالمعنى جملة ونوعاً من العلم وهو علم الحكمة والشرائع وإما للتعظيم فالمعنى علماً أي علم أي علماً سنياً عزيزاً.

قوله: عطفه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما اتيا به في مقابلة هذه النعمة يعني أن مقتضى الظاهر عطفه على اتينا بالفاء كقولك اعطيته فشكر ومنعته فصبر لكن عطفه عليه بالواو إشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أحدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فأضمر بعض ما أحدثه فيهما وعطف عليه البعض الآخر منه كأنه قال ولقد آتيناهما علماً فعملا في مقابلته عملاً شكراً له وقالا الحمد لله أي فقابلاه فعلاً وقولاً ليؤدي شكر ذلك النعمة وهي نعمة العلم كقوله:

افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

يعني لما كان العلم من جلائل النعم وفواضل المنح يستدعي إحداث الشكر أكثر مما ذكر فجيء بالواو لأنها يستدعي معطوفاً عليه مضمراً فيقدر بحسب ما يقتضيه موجب الشكر ولو جيء بالفاء لاقتصر على المذكور وفات المقصود وهو مقابلة النعمة فعلاً وقولاً شكراً لها قال صاحب المفتاح في تأويل الواو واختياره على الفاء ويحتمل عندي أنه أخبر تعالى عما صنع بهما واخبر عما قالاه فكأنه قال نحن فعلنا ايتاء العلم وهما فعلا الحمد تعويضاً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (عطفه بالواو) مع أن الظاهر أن يقال فقالا لترتب الحمد على الإيتاء المذكور والإشعار به أحسن.

قوله: (وإشعاراً بأن ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة هذه النعمة كأنه قال ففعلا شكراً له ما فعلا وقالا الحمد لله) فالعطف بالفاء المشعر بترتب الحمد على الإيتاء المذكور محذوف يدل عليه سوق الكلام كأنه قيل ففعلا فعلا جميلاً كثيراً لا يحيط به القلم من الصلاة والصوم وسائر المبرات في عموم الأوقات شكراً له حسب ما أمكن وقالا الحمد لله الخ فكان الثناء باللسان بعضاً مما فعلاه شكراً وفيه تنبيه أيضاً على أن هذا القول لا يعادل لهذه النعمة الجسيمة فعدل عن العطف بالفاء إلى الواو إشعاراً بذلك المقدر فيكون شكراً بصرف العبد جميع ما أنعم عليه إلى ما خلق له وبهذا وإن لم يعادل تلك النعمة العظمى حقيقة لكنه معادل لها بحسب الطاقة البشرية وإنما أفرد الحمد بالذكر لأنه من بين شعب الشكر أدل على وجود النعمة لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال ولذا جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده.

قوله: (يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما وفيه دليل على فضل العلم وشرف أهله حيث شكرا على العلم وجعلاه أساس الفضل) يعني من لم يؤت علماً أي أصلاً وهو المتبادر ولذا قدمه أو لم يؤت علماً مثل علمهما وهو علم الحكم والشرائع كما تقدم وحاصله علم القضاء وغيره وأما علم النبوة فلم يتعرض له فيما تقدم قوله وشرف أهله بسبب فضله.

قوله: (ولم يعتبرا دونه ما أوتيا من الملك الذي لم يؤت غيرهما) ولم يعتبرا الخ وفيه لأن ذكر الشيء لا ينافي ما عداه ألا يرى أن النبوة أعظم منه نعمة قوله من الملك الخ يشعر بأن الكلام بالنسبة إلى الملك.

قوله: (وتحريض للعالم على أن يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثير).

قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

(النبوة) لأن الأنبياء عليهم السلام لا يورثون كما في حديث نحن معاشر الأنبياء

قوله: يعني من لم يؤت علماً أو مثل علمهما أي المراد من كثير من عباده من لم يؤت علماً قط أو من لم يؤت مثل علمهما من العلماء.

قوله: حيث شكرا على العلم الخ هذا وجه دلالة الآية على شرف العلم وفضله على سائر الفضائل والفواضل يعني أن تخصيص نعمة العلم بالذكر وبجعله علة للحمد من بين سائر النعم الموجبة للشكر دليل على إنافة محله ورفعة منزلته.

قوله: وعلى أن يتواضع ويعتقد أنه وإن فضل على كثير فقد فضل عليه كثيراً قول في دلالة

besturdubooks.wordpress.com

لا نورث نقل عن ابن عطاء الله في شرح الشفاء أنه لا زكاة على الأنبياء لأن الله تعالى نزههم عن الدنيا فما في أيديهم لله تعالى ولذا لا يورثون فعلم سر قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث وإطلاق الإرث على النبوة والعلم(١) والملك إما حقيقة إن كان المراد بالإرث مطلق الخلافة أو استعارة إن خص بالخلافة بالمال وهذا هو الظاهر من الاستعمال والوراثة أقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق.

قوله: (أو العلم أو الملك بأن قام مقامه في ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر) أو العلم أي علم القضاء والفتيا أو العلم المخصوص بالنبوة وإلا فمطلق العلم ليس بموروث من داود قوله أو الملك بضم الميم أي الرياسة العامة فإنه موروث من داود قوله بأن قام الباء متعلق بورث مقامه في ذلك أي المذكور من النبوة وهو ظاهر أو العلم ففيه نوع اضطراب(٢) يدل عليه قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً﴾ [الأنبياء: ٧٩] الآية قوله أو الملك أي في مطلق الملك والسلطنة وإن كان ملك سليمان أوسع من ملك داود كما نطق به النص الكريم.

قوله: (تشهيراً لنعمة الله تعالى وتنويهاً بها ودعاء للناس إلى التصديق بذكر المعجزة) تشهيراً لنعمة الله تعالى وتحديثاً به لأن المنعم عليه مأمور به لا افتخاراً ولا ترفعاً قوله ودعاء للناس بيان فائدة يأيها الناس على سبيل العموم قوله بذكر المعجزة متعلق بدعاء ومتعلق التصديق محذوف أي التصديق بنبوته بالمعجزة المذكورة على أن الإضافة من إضافة الصفة إلى الموصوف إذ التصديق بالمعجزة نفسها لا بذكرها.

الآية على هذا المعنى نظر لأنه لا يلزم من فضل عالم على كثير من العلماء أن يفضل عليه بعض آخرون لجواز أن يفضل هو على كثير في العلم ويساويه آخرون ولا يفضلون عليه فيه وفي الكشاف وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة حمله وتقدم حملته وأهله وأن نعمة العلم من أجل النعم واجزل القسم وإن من أوتيه فقد أوتي فضلاً على كثير من عباد الله كما قال: ﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾ [المجادلة: ١١] وما سماهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء إلا لمداناتهم له في الشرف والمنزلة لأنهم القوام بما بعثوا من أجله وفيها أنه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها أن يحمدوا الله على ما أوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وأن يعتقد العالم أنه إن فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما أحسن قول عمر رضي الله عنه كل الناس أفقه من عمر.

قوله: تشهيراً لنعمة الله وتنويهاً ودعاء عليه لقول سليمان ذلك القول نصب على أنه مفعول له لقال.

---

(١) قال ابن الكمال حقيقة الميراث انتقال التركة من ملك إلى ملك واستعير هنا لما ذكر.

(٢) قيل العلم المخصوص بالنبوة أو علماً زائداً على ما كان له في حياته ولا يخفى أنه تكلف والأولى اسقاطه من البين.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: **(التي هي علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما أوتيه)** التي هي علم منطق الطير لا تعليمه وغير ذلك الخ من عظائم ما أوتيه كون الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر وإسالة عين القطر وكون الجن مسخرة بعضهم من يغوصون له وبعضهم من يعملون عملاً دون ذلك يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات أشار إليها هنا بقوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ [النمل: ١٦] إجمالاً لكن قوله من كل شيء عام خص منه البعض فالمراد به الكثرة فإن ظاهره محال.

قوله: **(والنطق والمنطق في المتعارف كل لفظ يعبر به عما في الضمير مفرداً كان أو مركباً)** والمنطق مصدر ميمي في التعارف أي في العرف كل لفظ الخ وأما في اللغة فهما التلفظ والتكلم لأنهما مصدران يشتق منه نطق ينطق فهو ناطق ومعناهما العرفي الحاصل بالمصدر فهو وإن كان مجازاً في اللغة لكنه صار حقيقة في العرف نظيره كلمة اللفظ فإنه مصدر ثم نقل إلى المفعول وكذا هنا مصدر ثم نقل إلى المنطوق وهذا أولى من الحمل على الحاصل بالمصدر.

قوله: **(وقد يطلق على كل ما يصوت به على التشبيه)** فهو إما تشبيه الصوت بالنطق في الدلالة على أمر ما فيكون استعارة مصرحة أو على تشبيه المصوت بكسر الواو بالإنسان فيكون استعارة بالكناية وإثبات النطق له تخييل.

قوله: **(أو التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فإن الأصوات الحيوانية)** أو التبع أي المشاكلة كقولهم نطقت الحمامة مثال للتشبيه قوله ومنه الناطق والصامت بيان للتبع للحيوان وللجماد فإطلاق الناطق للجماد بالتبع أي للمشاكلة فإنه لما سمي الجماد صامتاً على الحقيقة سمي غيره ناطقاً مشاكلة له تقديرية.

قوله: **(من حيث إنها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه)** من حيث إنها الخ وهذا رجوع إلى بيان التشبيه وهو المختار عنده قوله سيما وفيها أي الأصوات الحيوانية ما يتفاوت باختلاف الأغراض بحيث يفهمها أي تلك الأغراض ما في جنسه أي ما كان من جنسه قيل كما نشاهده منها إذا صوتت للفرع وغيره وكما يقرقر الدجاج إذا وجد الحب.

قوله: **(ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام[1] مهما سمع صوت حيوان علم بقوته**

قوله: كقولهم نطقت الحمامة بيان للنطق على وجه التبع قال الراغب النطق في التعارف الأصوات المقطعة التي يظهرها اللسان وتعيها الآذان قال تعالى: ﴿ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون﴾ [الصافات: ٩١، ٩٢] ولا يكاد يقال إلا للإنسان ولا يقال أخبره إلا على سبيل التبع نحو الناطق والصامت فيراد بالناطق ما له صوت وبالصامت ما لا صوت له.

---

(١) مهما سمع صوت حيوان أشار به إلى أن المراد من الطير مطلق الحيوان وفيه تأمل فتأمل.

besturdubooks.wordpress.com

القدسية التخيل الذي صوته والغرض الذي توخاه به ومن ذلك ما حكي أنه مر ببلبل يتصوت ويترقص فقال يقول إذا أكلت نصف ثمرة) ولعل سليمان شروع في بيان أن المراد بمنطق الطير صوته الذي يشابه النطق وأنه عليه السلام علم بقوته القدسية الخ ولذا قال يا أيها الناس علمنا الخ ولا يخفى أن هذا أمر لا يوجبه داع فالإبقاء على ظاهره[١] حسن وصيغة الترجي إشارة إلى ما ذكرناه قوله الذي صوته أي حمله على التصويت فالضمير منصوب بنزع الخافض أي صوت له أو الضمير منصوب بنفسه لأن بناءه للتعدية أي جعله مصوتاً وتوخاه بمعنى قصده قوله نصف ثمرة بالثاء المثلثة ويحتمل أن يكون بالتاء.

قوله: (فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا) فعلى الدنيا العفاء بفتح العين والمد العفاء الدروس والانمحاء والمراد بمثل هذا عدم المبالاة أي لا حاجة إليها لأني مستغن عنها بسبب الشبع ولا يراد ظاهره بل هو كناية عما ذكرنا ومثل هذا يصدر عن الإنسان حين حصل له الكفاية من الدنيا.

قوله: (فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب) فلعله الخ يعني اختلاف دلالة الصوت على الغرض لاختلاف الأحوال والعوارض وأن ما فهم من صوتهما ليس بدائم بل في ذلك الوقت ويمكن أن يكون العكس في وقت آخر ومثل هذا يشاهد من نوع الإنسان بحسب الأوقات والأزمان.

قوله: (والضمير في علمنا وأوتينا له ولأبيه عليهما السلام) فلا يحتاج إلى التوجيه[٢].

قوله: (أو له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة) أو له وحده الخ أي لأنه ملك مطاع فتكلم بما يليق بحاله الذي كان عليه من إظهار العلو لمراعاة قواعد السياسة[٣] لا للتكبر.

قوله: فعلى الدنيا العفاء قال صاحب النهاية وفي حديث صفوان إذا دخلت بيتي فأكلت رغيفاً فعلى الدنيا العفاء أي الدروس وذهاب الأثر وقيل العفاء التراب.

قوله: أو له وحده على عادة الملوك وفي الكشاف أن هذا النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان سليمان ملكاً مطاعاً فكلم أهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتحمل الملك وتفخمه وإظهار آيينه وسياسة مصالح فيعود تكلف ذلك واجباً وقد كان رسول الله ﷺ يفعل نحواً من ذلك إذا وفد عليه وفد واحتاج أن يرجع في عين عدو ألا يرى كيف أمر العباس بأن يحبس أبا سفيان حتى يمر عليه الكتائب.

قوله: والمراد كل شيء إلى آخره يعني عبر عن الكثير بالكل لأن سليمان لم يؤته الله كل

---

(١) كما نبه عليه بقوله الآتي مع أنه لا يمتنع خلق الله العقل والنطق.

(٢) لكنه خلاف الظاهر إذ الكلام بعد موته عليه السلام.

(٣) فيكون استعارة بتشبيهه بجماعة ذوي قدرة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (والمراد من كل شيء كثرة ما أوتي) والمراد من كل شيء قد مر بيانه والقول بأن الكل للإحاطة وقد يرد للتكثير كثيراً أو هو كناية أو مجاز مشهور ضعيف لأن تخصيص العام بالقرينة شائع فلا حاجة إلى ما ذكر من التعسف وهذا التأويل لا بد منه سواء كان من زائدة في الإثبات مع اختلاف أولاً لأنه عليه السلام لم يعط بعضاً من كل شيء.

قوله: (كقولك فلان يقصده كل أحد ويعلم كل شيء) والمراد الكثرة بطريق تخصيص العام والمخصص العقل والكثرة هنا مقابل للقلة فلا ينافيه كون ما لم يعلم أكثر مما علم بأضعاف كثيرة إذ المراد الكثرة بالنسبة إلى علم غيره لا بالنسبة إلى ما لم يعلم وكذا الكلام فيما نحن فيه وفي أمثاله (الذي لا يخفى على أحد).

قوله تعالى: وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

قوله: (أي جمع) إذ الحشر الجمع من كل جانب وجهات مختلفة فهو أخص من الجمع.

قوله: (لسليمان) أظهر لما في الإظهار من مزيد البيان وشرف سليمان قدمه على الفاعل لكونه طويل الذيل ولئلا يلزم الإضمار قبل الذكر ﴿من الجن﴾ قدمه لأنه مقدم في الوجود(١) ولأنه في بيان التسخير له وتسخير الجن أعظم من تسخير الإنس والطير كذا قيل وتسخير الجن كونه أعظم من تسخير الطير لأن الجن جسم لطيف والطير جسم كثيف وإلا ففيه نظر لا يخفى والأولى في البيان ما ذكرناه من تقدم وجود الجن وأما التسخير فلأنه معجزة له فلا ينبغي أن يقال إن تسخير الجن أعظم لأنه كما أن الجن جسم لطيف كذلك الطير طائر في الهواء فتسخيرها صعب بلا امتراء بالنسبة إلينا قيل تخصيص الثلاثة لأنه لم يسخر له الوحش والتخصيص الذكري لا يفيد القصر فلا يعلم عدم تسخير الوحوش كما لا يعلم تسخيره ﴿فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧] الفاء لأن هذا مسبب عن الحشر وصيغة المضارع لأنه بالنسبة إلى الحشر مستقبل أو لحكاية الحال الماضية.

قوله: (يحبسون يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا) على آخرهم متعلق بيحبس بتضمين معنى الشفقة أي يوقف أولهم شفقة على آخرهم وظاهر هذا التفسير أن الحبس

شيء ولا بعضاً من كل واحد من الأشياء وإنما أتاه بعض الأشياء فلا يدفع الاحتياج إلى هذا التأويل صرف معنى من إلى التبعيض.

قوله: الذي لا يخفى على أحد فسر المبين على معنى اللزوم من أبان بمعنى ظهر والهمزة للصيرورة أي صار ذا بيان وظهور لا من أبان المتعدي بمعنى أظهر واللام في الصفات المشتقة بمعنى الذي ولذا قال في تفسيره الذي لا يخفى على أحد وهو قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله ﷺ أنا سيد ولد آدم ولا فخر أي أقول هذا شكر أو لا أقوله فخراً.

(١) كذا قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿يا معشر الجن والإنس﴾.

besturdubooks.wordpress.com

للأول منهم فالإسناد إلى المجموع مجازي والوزع بفتح الواو مع سكون الزاء المنع وأطلق على الحبس لأن فيه منعاً عن الحركة قوله ليتلاحقوا أي ليلحق بعضهم بعضاً لأن في الجمع من المهابة أو التعاون ما لا يوجد في التفرق.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾

قوله: (﴿حتى إذا أتوا﴾) لما لم يكن في يحبس امتداد بقدر فعل ذو امتداد دل عليه يوزعون أي فمشوا وساروا سيراً مع الاجتماع بلا تفرق حتى إذا أتوا حتى ابتدائية[١] إذا شرطية جوابه قالت نملة ويجوز أن تكون جارة وإذا أتوا في موضع الجر فإن لفظة إذا ظرفية وجملة قالت مستأنفة مسوقة لبيان ما رأى فيه سليمان عليه السلام.

قوله: (واد بالشام كثير النمل) واد بالشام وقيل الطائف لم يرض به المص لأن الشام مقر الأنبياء عليهم السلام قوله كثير النمل بيان وجه التعبير بواد النمل وإن الإضافة لأدنى ملابسة.

قوله: (وتعدية الفعل إليه بعلى إما لأن إتيانهم كان من عال) وتعدية الفعل الخ أي إن أتى متعد بنفسه أو بإلى لتضمنه معنى الانتهاء وبدون هذه الملاحظة يتعدى بنفسه إما لأن إتيانهم كان من عال وفي نسخة من عل بكسر العين وضمها أي من فوق فعدي بها للدلالة على ذلك حاصله أن تعلقها به باعتبار التضمين أي أتوا مستعلين عليه استعلاء الراكب على المركوب ففيه استعارة تمثيلية أو تبعية.

قوله: وتعدية الفعل إليه بعلى أي تعدية فعل الاتيان إلى مفعوله الذي هو الوادي بكلمة على حيث قيل أتوا على وادي النمل وهو مما يتعدى بنفسه بلا واسطة الجار ومقتضى الظاهر أن يقال حتى إذا أتوا وادي النمل إذ يقال اتيته ولا يقال اتيت عليه لوجهين أحدهما أن اتيانهم كان من فوق فأتي بحرف الاستعلاء كما قال أبو الطيب:

ولشد ما قربت عليك الأنجم

لما كان قرباً من فوق وثانيهما أن يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي لأنهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف خطمهم قال صاحب الكشاف وروي عن قتادة أنه دخل الكوفة فالتفت عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله حاضراً وهو غلام حديث السن فقال سلوه عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى فسألوه فأفحم فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله: ﴿قالت نملة﴾ [النمل: ١٨] ولو كانت ذكراً لقال قال نملة وقال صاحب الانتصاف العجب من أبي حنيفة أن ثبت ذلك منه لأن النملة كالحمامة والشاة يقع على الذكر والانثى فيقال نملة ذكر ونملة أنثى فلفظها مؤنث ومعناها محتمل وثانيتها لأجل لفظها وإن كان

---

(١) هي التي يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة إذا وجوابه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو لأن المراد قطعه من قولهم أتى على الشيء إذا أنفذه وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي) أو لأن المراد أي ليس المراد بالإتيان معنى المجيء بل بمعنى القطع فتعديته بعلى كقولهم أتى عليهم الدهر إذا أفناه ومنه قوله تعالى: ﴿أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ [الذاريات: ٤٢] قوله إذا أنفده بالدال المهملة بمعنى أفناه قوله وبلغ آخره أي فيما كان له آخر كما فيما نحن فيه وإلى ذلك أشار بقوله كأنهم أرادوا الخ قيل فالإتيان عليه بمعنى قطعه مجاز عن إرادة ذلك وإلا لم يكن لقوله: ﴿لا يحطمنكم﴾ [النمل: ١٨] الخ وجه إذ لا معنى للتحذير بعد قطعه ومجاوزته ولهذا التكلف في هذا المعنى قدم الأول أخريات جمع أخرى بمعنى آخر وتأنيثه باعتبار البقعة ويمكن أن يقال إن تعديته بعلى لكونه بمعنى المرور قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته﴾ [الذاريات: ٤٢] الخ أي مرت عليه وهذا أحسن مما ذكره لكونه تكلفاً ومجازاً بعد مجاز إذ القطع معنى مجازي له كما هو الظاهر وتأويله بالإرادة مجاز أيضاً.

قوله: (قالت نملة) نكرت النملة لعدم التعيين وعرف أولاً لأن المراد به الجنس المعلوم نقل عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله أن نملة سليمان كانت أنثى استدلالاً بهذه الآية والظاهر أن هذا النقل منه غير ثابت إذ النملة تاؤه للوحدة كتمر وتمرة وتأنيث الفعل لمراعاة ظاهر التاء فإنه شائع في التأنيث نعم احتمال التأنيث صحيح كاحتمال التذكير لكن لا دلالة للتاء عليه.

قوله: (كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت النملة عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها) كأنها لما رأتهم الخ بيان لمعنى النظم وأن المراد بالإتيان التوجه إلى الوادي فحينئذٍ يكون الإتيان مجازاً لكن لا حاجة إليه لأن الإتيان يتحقق بالدخول في أول الوادي فإذا دخلوا فيه فرت نملة عنهم الخ ولعل هذا مراد المص والحطم الكسر والمراد هنا لازمه وهو الإهلاك.

قوله: (فصاحت صيحة تنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها) فصاحت صيحة

المراد بها ذكراً وقال ابن الحاجب التأنيث اللفظي هو أن لا يكون بإزائه ذكر في الحيوان كظلمة وعين فإنه مؤنث لفظي ولذا كان قول من زعم أن النملة في قوله تعالى: ﴿قالت نملة﴾ [النمل: ١٨] أنثى لوزود تاء التأنيث في قالت وهما لجواز أن يكون مذكراً في الحقيقة وورود تاء التأنيث في قالت كورودها في فعل المؤنث اللفظي نحو جاءت الظلمة وأجاب به بعض فضلاء ما وراء النهر وقال لعمري إن ابن الحاجب تعسف ههنا وترك الواجب حيث اعترض على إمام أهل الإسلام واعتراضه بقوله كورودها في فعل المؤنث اللفظي ساقط إذ لو اعتبر مجرد صورة التأنيث في الفاعل المذكر الحقيقي لجاز أن يقال جاءتني طلحة وهو غير جائز والجواب عنه أن عدم الجواز في الاسم العلم والنملة نكرة والمراد منها واحدة من الجنس لا بعينها فيجوز فيها أن يقال قالت نملة بمجرد صورة التأنيث في لفظها كما يجوز أن يقال أينعت تمرة واحمرت تفاحة وإما في الأعلام فالمعتبر في تأنيث الفعل جانب المعنى لا غير.

besturdubooks.wordpress.com

الفاء لتفصيل ما قبلها فهو من عطف المفصل على المجمل إذ الصيحة قبل فرار النملة والتبعية لا بعدها فلا تكرار في قوله فتبعتها وقيل التبعية الثانية في الدخول للبيوت لا الفرار وهذا ليس بمناسب لوقوعه في حيز الفاء التفصيلية وإن كان أقرب في ذاته.

قوله: (فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم) فشبه ذلك والكلام استعارة تمثيلية شبه الهيئة المنتزعة من فرار النملة وصيحتها خوفاً من الإهلاك وتبعية غيرها لها بالهيئة المنتزعة من أمور عديدة وهي صيحة شخص بفريق وقت المخافة فاتبعوه والاتباع وإن لم يكن صريحاً لكنه مفهوم من السوق.

قوله: (ولذلك أجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله تعالى فيها العقل والنطق) ولذلك أجروا الخ حيث نادى بالواو التي هي ضمير العقلاء قيل وأما خلق الله تعالى لها عقلاً ونطقاً حقيقياً وإن جاز لكنه غير مناسب هنا من ذكر اختصاص سليمان أن يفهم أصوات الحيوانات إلا أن يخص بالطير لظاهر النظم انتهى ولك أن تقول إن خلق العقل والنطق جار في الطير أيضاً وهذا الخلق لسليمان لا يفهم غيره كفهم المراد من أصوات الحيوان والمص أشار إليه فيما مضى بقوله ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان الخ بصيغة الترجي ولم يجزم فيه تنبيهاً على جواز إرادة غير ذلك وغيره خلق النطق مع العقل.

قوله: (نهي لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا أرينك ههنا) نهي لهم أي لسليمان وجنوده بحسب الظاهر لكن المراد نهي النمل عن المكث لئلا تحطم وهذا كناية لطيفة مشهورة.

قوله: (فهو استئناف أو بدل من الأمر) فهو استئناف تفريع على كونه نهياً عن التوقف قوله أو بدل من الأمر أي بدل الاشتمال بملاحظة أنه تفريع على كونه نهياً عن التوقف أو بدل الكل بناء على أن الأمر بالشيء نهي عن ضده فلا يضره كون مدلولا الجملتين متخالفان.

قوله: (لا جواب له) رد على الزمخشري في تجويزه تبعاً لأبي البقاء قيل يعني أن يكون لا يحطمنكم نفياً والمعنى إن دخلتم مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده.

قوله: شبه ذلك أي شبهت صيحتها ذلك بخطاب العقلاء ولذلك أجروا مجراهم في رجع الضمير حيث قالت ادخلوا مساكنكم بضمير العقلاء.

قوله: نهي لهم عن الحطم الحطم الكسر يقال حطمته حطماً أي كسرته.

قوله: لا جواب له جوز صاحب الكشاف أن يكون هو جواباً للأمر حيث قال يحتمل أن يكون جواباً للأمر وأن يكون نهياً وروى صاحب الفرائد عن الفراء هو نهي فيه طرف من الجزاء وعن الأخفش بل هذا على تقدير الواو العاطفة يكون نهياً بعد أمر والتقدير ادخلوا مساكنكم ولا يحطمنكم سليمان وعلى قول الفراء التقدير إن دخلتم مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وقال صاحب الكشاف هذا وإن كان في المعنى صحيحاً إلا أن اللفظ يمنع فصاحته لو حمل عليه لأن النون لا

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فإن النون لا تدخله في السعة) قد جوز كونه جواباً له وأجاب عن هذا في قوله تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥] الآية فبين كلاميه تدافع ولعله أن فيه قولين اختار أحدهما هناك والآخر هنا.

قوله: (إنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء عليهم السلام من الظلم والإيذاء) كأنها شعرت عصمة الأنبياء عليهم السلام أي بعصمة الأنبياء بنزع الخافض وهذا بناء على أنه تعالى خلق العقل والفهم بذلك إذ علمه بذلك لا يكون إلا بالعقل والمراد بالشعور العلم مجازاً إذ الشعور هو الإحساس والعصمة ليست بمحسوسة وإنما قال كأنها لعدم الجزم بذلك نزهه عليه السلام عن الإيذاء بالذات وبالتسبب لفعل الجنود بفعله أو برضاه والدخول في الوادي سبب لذلك وهو عليه السلام أصل متبوع فنسب الفعل إليه بالذات أو بالسبب.

قوله: (وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون) وقيل استئناف اختار كونه حالاً ثم عطف وقيل على مقدر أي قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ [الأعراف: ٩٥] حال وقيل الخ مرضه لأن الحال هو الظاهر المتبادر لإفادتها أنه هيئة الفاعل حين كونه فاعلاً فيفيد مدحهم كما قرره المص قوله فهم لأن الفاء أظهر في الاستئناف كذا قيل وفيه نظر[1].

قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: (فتبسم) الفاء فصيحة أي سمع سليمان قولها أو فهم مرادها أو للسببية فلا حاجة إلى تقدير المعطوف عليه إذ السبب عام للسبب البعيد لكن الأول هو المعروف في مثله وإنما قال ضاحكاً لأن التبسم قد يكون من غضب وقد يكون من استهزاء وتبسم الضحك لا يكون إلا عن سرور كذا قيل والتبسم مقابل للضحك ومخالف له في الحكم حيث لا يبطل الصلاة بالتبسم وتبطل بالضحك فكيف يكون الجمع بينهما وكيف يقع ضاحكاً حالاً من ضمير تبسم والجواب أن المراد بضاحكاً شارعاً فيه لا ضاحكاً

يدخل الجزاء إلا في ضرورة الشعر وقال صاحب الفرائد لم يعطف لأنه تأكيد للطلب فهو كما في الخبر نحو قوله: ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة: ٢] لقوله: ﴿ذلك الكتاب﴾ [البقرة: ٢].

قوله: أنهم يحطمونكم هذا على تقدير أن يكون ﴿وهم لا يشعرون﴾ من جملة مقول قول النملة وحالاً من مفعول لا يحطمنكم وقوله وقيل استئناف فعلى هذا يكون حالاً من فاعل فهم المقدر أي فهم سليمان قولها والحال أن قومه لا يشعرون ذلك ولا يكون من جملة مقول قول النملة بل قائله الله تعالى حكى ما جرى بين سليمان والنملة لنبيه ﷺ فهو من الحكاية لا من المحكي بخلافه في الوجه الأول فإنه فيه من المحكي لا من الحكاية.

---

(١) لأنه فعل ماض من الفهم ذكره هنا لأنه مستفاد من قوله فتبسم.

besturdubooks.wordpress.com

بالفعل أو المراد الزمان الممتد فيقع التبسم أولاً ثم الضحك ثانياً وهذا مآل ما قيل إن الحال حال مقدرة.

قوله: (تعجباً من حذرها وتحذيرها واهتدائها إلى مصالحها أو سروراً مما خصه الله تعالى) تعجباً الخ والمراد به إدراك أمور الغريبة وجه مناسبته لما بعده ما ذكر في الكشاف من قوله أضحكه ما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شرح حاله وحال جنوده في التقوى وذلك قولها ﴿وهم لا يشعرون﴾ فهذه نعمة جليلة ومنحة عظيمة فوق النعمة التي أشار إليها بقوله وسروراً الخ.

قوله: (من إدراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره) من إدراك همسها أي صيحتها مجازاً تشبيهاً لها بالهمس في كونهما صوتا وجه التعبير به أنه عليه السلام أدرك صوتها الخفي كما أدرك الصوت الجلي وهو الصيحة وهذا أولى مما قيل إنه همس بالنسبة إليه عليه السلام صيحة بالنسبة إلى النمل الذي بقربها فلا ينافي قوله فصاحت وأما علمه بصوت النمل على طريق خرق العادة[1] أو بإعلام الله تعالى بخلاف الطير فإنه كان يعلم منطقها على العموم ولذلك خصه بالذكر في قوله ﴿علمنا منطق الطير﴾ على أن هذا التخصيص الذكري لا يفيد التخصيص في نفس الأمر والظاهر العموم علم أصوات سائر الحيوانات ثابت بدلالة النص وللتنبيه على ذلك قال المص فيما مر فإن أصوات الحيوانات الخ ولم يقل أصوات الطيور[2].

قوله: (اجعلني ازع شكر نعمتك عندي أي أكفه وارتبطه لا ينفلت عني بحيث لا أنفك عنه وقرأ البزي وورش بفتح ياء أوزعني) أزع أصله أوزع فحذف الواو كما حذف في أضع أشار إلى أن همزة أوزعني للتعدية لأن الوزع بمعنى الكف والحبس كما أشار إليه بقوله أي اكفه الخ فإذا نقل إلى الأفعال يكون معناه ما ذكره قوله وارتبطه توضيح معنى الكف المراد هنا وهو المنع عن الانفلات لا المنع عن الحصول فيكون كناية عن المداومة

قوله: من ادراك همسها الهمس الصوت الخفي وهمس الأقدام أخفى ما يكون من صوت القدم.

قوله: اجعلني أزع شكر نعمتك أي أكفه أي أكف وجوبه عن ذمتي أو أربطه في قلبي واكفه عن الانفلات عني حتى أكون شاكراً دائماً من وزعته بمعنى كففته والأنسب أن يكون من استوزعت الله شكره فاوزعني أي استلهمه فالهمني والمعنى رب الهمني أن أشكر نعمتك أي علمني ووفقني قوله لا ينفلت من الانفلات بمعنى النجاة أي لا ينجو شكره عني أي لا ينفك عني وأنا لا أنفك عنه.

---

(١) وما روي عن الشعبي من أن لها جناحين فعلى تسليم صحته عنه لا يقتضي عدها من الطيور كما قيل.

(٢) قال صاحب الكشاف إن كان المقصود معلوماً قطعاً كما في تحريم التأفيف فالثابت بدلالة النص قطعية وإن احتمل أن يكون غيره هو المقصود كما في ايجاب الفطر في الأكل والشرب فالدلالة ظنية انتهى وما نحن فيه من قبيل الثاني فتدبر.

besturdubooks.wordpress.com

والملازمة كما قال بحيث لا انفك عنه والمراد الدوام العرفي لا الحقيقي ويقرب منه معنى قوله تعالى: ﴿فهم يوزعون﴾ [النمل: ١٧] قد مر توضيحه آنفاً قوله لا ينفلت من الانفلات بمعنى الذهاب وفي نسخة بالقاف وبالباء الموحدة ومآله ما مر من الانفلات وحاصله طلب المداومة على الشكر كما هو شأن الأنبياء عليهم السلام فهذا أبلغ من القول رب وفقني[١] على شكر نعمتك.

قوله: (أدرج فيه ذكر والديه تكثيراً للنعمة أو تعميماً لها فإن النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما سيما الدينية) أدرج ذكر والديه الخ لكن قدم نفسه لأنه هو المعروف في الدعاء إذ النفس مقدم في طلب المطالب قوله تكثيراً للنعمة أي النعمة التي طلب الشكر ومداومته عليها فإن الاعتراف بالنعمة وتحديثها شكر فإذا اعترف بكثرتها فقد شكر شكراً كثيراً وأيضاً كثرة النعمة سبب لدوام الشكر ولذا طلب المداومة على الشكر وهذا باعتبار أن الإنعام عليهما إنعام عليه قوله أو تعميماً هذا وجه آخر للإدراج ومعناه أن ما أنعم عليه غير خاص به بل هو عام شامل لوالديه لكونه سبباً لذكرهما بالخير والدعاء لهما وثواب عمله راجع إليهما باعتبار السببية وعن هذا قال والنعمة عليه يرجع نفعها الخ قوله فإن النعمة الخ متعلق بالتكثير قوله والنعمة عليه الخ ناظر إلى التعميم وجه كون النعمة عليهما نعمة عليه هو أن الله أنعم عليهما بالدين وحسن الأخلاق وقد ورث ذلك منهما فكان[٢] ما أنعم عليهما وصل إليه لكونه سبباً بحسب الظاهر لنعمته فيكون تلك النعمة بحسب تحققها فيه نعمة وبحسب تحققها في الوالدين نعمة أخرى له وبهذا الاعتبار يكثر النعمة فيه وبهذا البيان ظهر وجه التعبير في الأول بأن النعمة عليهما نعمة عليه وفي الثاني والنعمة عليه يرجع نفعها إليهما فتأمل.

قوله: (﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾ هو عمل صالح لا يشوبه شيء من الرياء فهي مخصصة وقيل صفة مؤكدة أو مخصصة إن أريد به كمال الرضاء.

قوله: (تماماً للشكر واستدامة للنعمة) تماماً للشكر أي إتماماً له بذكر شكر الأركان فكأنه حمل الشكر على شكر الجنان المستلزم لشكر اللسان بقرينة المقابلة لكن الأولى جعله من قبيل عطف الخاص على العام.

قوله: (في عدادهم الجنة) بكسر العين بمعنى جملتهم قوله الجنة مفعول أدخلني حذف للاختصار ولرعاية الفاصلة وإنما قدر المفعول لئلا يلزم التكرار فإن العمل الصالح المرضي يستلزم الانخراط في سلك الصالحين ولو أريد بالصالحين هنا هم الذين لا يصدر عنهم زلة لاندفع وهم التكرار فلا حاجة إلى التقدير.

---

(١) ولذا اختير أوزعني على وفقني.
(٢) أشار إلى أن الكلام محمول على التشبيه البليغ.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ۝٢٠﴾

قوله: (وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد) وتعرف أي تكلف في معرفة الموجود منها وحاصله أراد معرفته والتفقد تفعل من الفقد ويستعمل لازماً بمعنى عدم ومتعدياً بمعنى الإعدام ومعناه من التفعل مغاير لمعناه من الثلاثي وإن كان مناسباً في الجملة قوله: ﴿فلم يجد فيها﴾ الخ هذا بقرينة ﴿فقال ما لي لا أرى الهدهد﴾ [النمل: ٢٠] لأنه مستلزم لعدم الوجدان ولو قال فلم ير الهدهد لكان أشد مناسبة فالفاء في فقال فصيحة كما قرره والاستفهام للتعجب.

قوله: (﴿لا أرى الهدهد﴾) جملة حالية.

قوله: (أم منقطعة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال ما لي لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب) ظن أنه حاضر الخ لأن الغيبة بلا إذن بعيد وبهذا يظهر الملازمة وإلا فعدم الرؤية سبب لظن أحد الأمرين حضوره مع عدم الرؤية بسبب غيبته قوله لساتر أو غيره مثل كونه في مكان في ذلك المجلس قوله ثم احتاط إذ الاحتياط بعد ذلك يتراخى ولو قليلاً.

قوله: (فاضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له) أي بل أهو غائب لم يذكره لإفادته بقوله فاضرب وهذا حاصل المعنى إذ النظم الجليل أم كان من الغائبين وصيغة العقلاء لأنه فعل فعل العقلاء حيث أخبر أحوال بلقيس ولا يبعد أن يخلق فيه العقل والنطق كما مرا وبناء على التغليب قوله كأنه يسأل الخ وإنما قال كأنه لأن السؤال ليس بمقصود بل الظاهر أن الاستفهام للتقرير أو للإنكار الواقعي ولذا قال لأعذبنه لما علم أنه غائب بلا إذن فلو كان للسؤال لم يظهر الخلف على ذلك.

قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ۝٢١﴾

قوله: (﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾ [النمل: ٢١] كنتف ريشه وإلقائه في الشمس أو

قوله: وتعرف الطير أي تكلف أن يعرفها حتى يعلم أيهن حاضر عنه وايهن غائب.

ما غاب عن حضوره فلم يجد بعد تفقده الهدهد التفقد من الفقد وهو عدم الشيء بعد وجوده فهو أخص من العدم فإن العدم يقال فيه وفيما لم يوجد بعد قال الله تعالى: ﴿ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك﴾ [يوسف: ٧١، ٧٢] والتفقد التعهد لكن حقيقة الفقد تعرف فقدان الشيء والتعهد تعرف العهد المتقدم ومنه ﴿وتفقد الطير﴾.

قوله: أهو غائب هو معنى أم المنقطعة فإنها تكون بمعنى بل والهمزة فالمعنى بل أكان من الغائبين فإنه عليه السلام حين تفقد الطير ولم ير الهدهد كان علمه بحضور الهدهد وغيبته على السواء لا يترجح أحدهما على الآخر فسأل شيء عرض له فمنعه عن رؤيته ثم لما تأمل وترجح عنده العلم بغيبته اضرب عن السؤال الأول وجعله في حكم المسكوت عنه فشرع في السؤال الآخر وهو السؤال عن صحته ما لاح وترجح عنده ونحوه قولهم إنها لا بل أم هي شاة.

besturdubooks.wordpress.com

حيث النمل يأكله أو جعله مع ضده في قفص) لأعذبنه اللام جواب القسم عذاباً أي تعذيباً على أنه مصدر أو بعذاب على أنه مفعول به بحذف الجار قوله في القفص لأن الحبس مع ضده في محل ضيق من أشد العقوبات أو لأذبحنه هذا أيضاً تعذيب لكنه لكونه إهلاكاً سريعاً قابله فالمراد التعذيب بالتدريج وإن أدى إلى الموت.

قوله: (ليعتبر به أبناء جنسه) قيد لهما جميعاً أو للأخير ويعلم وجه الأول به ولعل هذا كان مشروعاً في شريعته ثم الظاهر لفظة أو لمنع الخلو في الأولين.

قوله: (بحجة تبين عذره) أي المراد بسلطان الحجة أطلق على الحجة لغلبتها على الخصم بها قوله تبين عذره أي مبين هنا من أبان المتعدي.

قوله: (والحلف في الحقيقة على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث) والحلف في الحقيقة أراد به دفع أسكال وهو أن الحلف على فعل الغير في المستقبل لا يصح إلا إذا علم به فلا يقال والله ليأتيني زيد غداً إلا وأنت متيقن أو قريب من المتيقن وهذا ليس كذلك وأما ما ورد في الحديث ليردن الحوض أقوام الحديث فبناه على علمه عليه السلام ولو سلم صحة الحلف على فعل الغير فهنا لا يراد به اليمين إذ الظاهر أن يقال لأعذبنه أو لأذبحنه إلا أن يأتيني بسلطان إذ الحلف على التعذيب أو الذبح على تقدير إتيان الحجة لا معنى له وإلى هذا أشار المص بقوله بتقدير عدم الثالث[١].

قوله: (لكن لما اقتضى ذلك وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلاث المحلوف عليه بعطفه

قوله: بحجة تبين عذره جعل المبين من ابان المتعدي.

قوله: والحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث هذا جواب عن سؤال يرد ههنا وهو أن حلفه على التعذيب والذبح لا كلام فيه لأنهما فعلا بنفسه عليه السلام ولكن ما وجه حلفه على فعل الهدهد ومن أين علم أنه يأتي بسلطان مبين حتى يقول ﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ فأجاب عنه بأنه عليه السلام لما نظم هذه الأشياء الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف صار مآل كلامه إلى معنى ليكونن أحد الأمور يعني إن كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان أحدهما وليس في هذا ادعاء علم بإتيان الهدهد السلطان على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه سيأتيه بسلطان مبين عن علم وإيقان فلفظة ذلك بقوله لكن لما اقتضى ذلك إشارة إلى الحلف المقيد بتقدير عدم الثالث أي لما اقتضى حلفه على أحد فعليه بتقدير عدم الثالث الذي هو الاتيان بالسلطان وقوع أحد الأمور الثلاثة ثلث المحلوف عليه فالمعنى فالله لأعذبنه أو لأذبحنه إن لم يأتني بسلطان مبين وإن أتاني به فلا واقتضاء حلفه ذلك وقوع أحد فعليه ظاهر وأما اقتضاؤه وقوع الثالث وحلفه مقيد بعدمه فمستفاد من رجوع معنى الكلام إلى الشرطية المذكورة القائلة إن كان كان وإن لم يكن لم يكن.

---

(١) أشار إلى أن الفقهاء صرحوا بأنه لو قال لآخر اقسمت عليك بالله ليفعلن كذا وقصد اليمين كان يميناً ما لم يكن مكروهاً أو مكروهاً وجوابه أن مقتضى الظاهر أن يقال لأعذبنه أو لأذبحنه إلا أن يأتيني بسلطان مبين على تقييد المحلوف عليه بذلك هذا خلاصة ما قيل.

besturdubooks.wordpress.com

عليهما وقرأ ابن كثير أو ليأتينني بنونين الأولى مفتوحة مشددة) لكن لما اقتضى ذلك أي غيبته بلا إذن وقوع أحد الأمور الثلاثة فيه إشارة إلى وجه العدول عن الظاهر وأن أو للترديد في الثلاثة وقيل إنها في الأولين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينهما ولا يظهر وجهه ولا يلائم بيان المص وأما في القول إنها في الأولين للتخيير وفي الثالث بمعنى إلا فضعيف لأن لام القسم يقتضي كونه جواباً للقسم وحمله على الزيادة بعيد.

قوله تعالى: فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

قوله: (فمكث غير بعيد زماناً غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفاً منه وقرأ عاصم بفتح الكاف) فمكث غير بعيد الفاء فصيحة أي كان غائباً فمكث أي لبث بعد هذا التهديد زماناً غير مديد عن وقت تفقده حاصله بيان لمقدار ما مضى من غيبته بعد التهديد والحكمة في ذلك البيان التنبيه على سرعة رجوعه خوفاً منه إما لغيبته بلا إذن أو لفهمه ما أوعده بطريق من الطرق وفيه إشارة إلى أن امتثال المتبوع لازم حسبما أمكن فإذا غاب بدون إذن ينبغي أن يرجع بسرعة قوله خوفاً منه أو لإخبار ما أحاط به خبراً وهذا أقوى في الدلالة على سرعة الرجوع من القول فمكث قريباً ولذا اختير ذلك عليه إذ القرب إضافي يختلف بالإضافة بخلاف غير بعيد قوله بفتح الكاف وهما لغتان فيه بلا فرق وكون الضم دالاً على شدة الغيبة على سليمان عليه السلام ليوافق حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام لا يعرف له وجه.

قوله: (يعني حال سبأ وفي مخاطبته إياه بذلك) والظاهر أنه خلق العقل والنطق في الهدهد ولا يناسب هنا ما سبق ذكره من أن أصوات الحيوانات تابعة للتخيلات ولعل سليمان مهما سمع صوت حيوان علم بقوته القدسية الخ والسوق آب عن حمله على هذا المعنى.

قوله: (تنبيه له على أن في أدنى خلق الله تعالى من أحاط علماً بما لم يحط به

قوله: وقرأ عاصم بفتح الكاف وقرأ الباقون بضمها.

قوله: وفي مخاطبته اياه إلى آخره يعني الهم الله الهدهد فخاطب سليمان بهذا الكلام مع ما أوتي سليمان من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له وتنبيهاً على أن في ادنى خلقه واضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به ليتحاقر إليه نفسه أي ليرى نفسه وتعد عنده شيئاً حقيراً وتصاغر علمه لديه أي صار عنده أمراً صغير الشأن ويكون ذلك لطفاً له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء والاحاطة بالشيء أن يعلم بجميع جهاته لا يخفى منه معلوم فليست هذه المخاطبة من قبيل رفع الصوت بين يدي رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ولا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] حتى يعارض به فيقال كيف يمكن للهدهد المخاطبة والمكافحة بذلك وهو أضعف مخلوق وقد أمر الله المؤمنين بخفض الصوت عند نبيه ﷺ بقوله: ﴿لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾ [الحجرات: ٢] لأن هذا تأديب وتهذيب لسليمان عليه السلام وذلك تعظيم بجلالة حضرة الرسالة ورفع منزلتها ولكل مقام مقال قالوا في الآية دليل على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أعلم منه.

besturdubooks.wordpress.com

ليتحاقر إليه نفسه ويتصاغر لديه علمه) تنبيه الخ وهذا التنبيه من خطابه بأنه أحاطه علم ما لم يحط به سليمان لا من رؤية سبأ فلا يرد ان التفرد بالوقوف على بعض المحسوسات لا يعد كمالاً لكن المص قال في تفسيره يعني حال سبأ إلا أن يقال إن التنبيه المذكور مستفاد من عموم التعبير وإن كان المراد حال سبأ بمعونة القرينة قوله أحاط علماً مع أن العلم لم يذكر في النظم لأن الإحاطة مشتهرة في العلم والمحسوس لا يطلق عليه المعلوم والحس ليس بعلم عند المحققين والتعبير بالإحاطة دون الحس يشعر التنبيه المذكور قوله ليتحاقر أي ليعد نفسه حقيرة صغيرة وإن كان نبياً ملكاً.

قوله: (وقرىء بإدغام الطاء في التاء بإطباق وبغير إطباق) أي في أحطت وفرطت وبسطت فقرىء في السبعة بالإدغام مع بقاء صفة الإطباق وليس بإدغام حقيقي وقرأ ابن المحيصن في الشواذ بإدغام حقيقي والمص أشار إلى ذلك بقوله بإطباق وبغير إطباق واعترض ابن الحاجب على القراءة الأولى بأن الإطباق صفة الحرف والإدغام يقتضي إبدالها تاء وهو ينافي وجود الصفة لأنه يقتضي أن يكون موجودة وغير موجودة وهو تناقض والتحقيق على هذه القراءة أنه لا إدغام فيها ولكنها أطلق عليها إدغام توسعاً لأنه لما اشتد التقارب وأمكن النطق بالثاني مع الأول من غير ثقل اللسان كان النطق بالمثل بعد المثل وأطلق عليه الإدغام وفي التسهيل أنه إذا أدغم المطبق يجوز إبقاء الإطباق وعدمه.

قوله: (وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة أو البلدة والقواس بهمزة ساكنة) غير مصروف للعلمية الخ هذا مشهور في عدم انصراف البلدة ومن صرفه أوله بالحي أو القوم أو المكان.

قوله: (بخبر محقق) وفي الكشاف النبأ الخبر الذي له شأن فهو أخص من الخبر

قوله: بإطباق وبغير اطباق هذا مبني على قول من قال إن الحروف المطبقة يدغم في غيرها مع بقاء الاطباق ورده ابن الحاجب بأن الاطباق صفة المطبقة ولا يكون إلا بها وإذا لم يكن إلا بها ينافي الادغام لأنه يجب إبدالها إلى المدغم فيه فيؤدي إلى أن تكون موجودة غير موجودة وهو متناقض وذلك لأن الاطباق رفع اللسان إلى ما يحاذيه من الحنك للتصويب بصوت الحرف المخرج عنده فلا يستقيم إلا بنفس الحرف وإذا كان كذلك فالتحقيق أن نحو فرطت وغلطت واحطت بالاطباق ليس معه ادغام ولكنه لما اشتد التقارب وأمكن النطق بالثاني مع الأول من غير ثقل اللسان وفصله من مخرجه الذي اعتمد عليه كان كالنطق بالمثل بعد المثل فأطلق عليه الادغام وأيضاً الإنسان يحس من نفسه عند قوله احطت بالنطق بالطاء حقيقة وبالتاء بعدها فلا يجوز أن يقال إن الطاء مدغمة لأن ادغامها يوجب قلبها إلى ما بعدها.

قوله: وقرأ ابن كثير برواية البزي وأبو عمرو غير مصروف أي قرأ من سباء بنصب الباء والهمزة على أنه غير منصرف للعلمية والتأنيث لأنه مأول بالبلدة أو القبيلة وهما قرءا ههنا وفي سورة سبأ هكذا بالنصب من غير تنوين وقرأ قنبل بإسكانها على نية الوقف والباقون بالخفض مع التنوين.

besturdubooks.wordpress.com

وكذا قال الراغب النبأ خبر له فائدة عظيمة يحصل به العلم أو غلبة ظن انتهى ولذا اختير في النظم مع ما فيه من التجنيس وموازنة سبأ فتفسيره بالخبر تفسير بالأعم وهو صحيح في التفسير اللفظي كقولهم سعدان نبت لكونه أشهر وكون هذا معنى لغوياً للنبأ ليس بمجزوم بل يحتمل أنه معنى له في عرف اللغة ولذا قال الفاضل السعدي اختصاص النبأ بهذا المعنى ليس بحسب الوضع ومقصود المص بيان مدلوله الوضعي فلا وجه لرده بأنه معنى لغوي صرح به أهل اللغة.

قوله: (روي أنه عليه السلام لما أتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء ثم توجه إلى اليمن فخرج من مكة صباحاً فوافى صنعاء ظهراً فأعجبته نزاهة أرضها فنزل بها ثم لم يجد الماء) لما أتم بناء بيت المقدس الخ لعل هذا رواية وما ذكره في سورة سبأ من أنه مات قبل إتمامه وهو المشهور رواية أخرى وهي الموافق لظاهر قوله تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ [سبأ: ١٤] الآية قوله فوافى أي جاء الفاء للسببية دون التعقيب وأقام بها أي مكة انثها لتأويلها بالبقعة ما شاء أي مدة مشية إقامتها ولم يعين لعدم الرواية بالتعيين ثم توجه اليمن أي قصد التوجه إليها.

قوله: (وكان الهدهد رائده لأنه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك) وكان الهدهد رائده براء ودال مهملتين هو الذي يتقدم لطلب الماء لأنه يحسن طلب الماء قالوا كان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة وعن هذا خص الهدهد بهذه الخدمة دون غيره من الطير فتفقد أي سليمان إياه لذلك أي لطلب الماء.

قوله: (فلم يجده إذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهداً واقفاً فانحط إليه فتواصفا وطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل في عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده أشياء أعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها) إذ حلق تعليل لقوله لم يجده وتحليق الطير ارتفاعه في طيرانه وفي الهواء قوله فتواصفا أي وصف كل منهما ملك أرضه قوله وما خص به عطف على قدرة الله لا على عجائب قوله يستكبرها أي يعدها أمراً كبيراً عظيماً عظم الله تعالى به بعض خواصه ويستنكرها أي يعدها

قوله: إذ حلق تحليق الطائر ارتفاعه في الطيران.

قوله: فرأى هدهداً أي هدهد سليمان حين حلق هدهداً آخر قد وقع في أرض فانحط إليه فتواصفا أي وصف هدهد سليمان فضائل سليمان وحشمه وشوكته ووصف الهدهد الواقع حال بلقيس وطار معه لينظر ما وصف له فوصل ونظر ثم رجع وحكى ما حكى.

قوله: وما خص به عطف على عجائب أي في ما خص به خواص عباده كأنبيائه وأوليائه وملائكته المقربين.

قوله: أعظم من ذلك أي أعظم مما خص به سليمان عليه السلام يستكبرها أي يجدها كبيراً عظيماً من يعرفها ويستنكرها أي يجدها منكراً من ينكرها والسين فيهما للوجدان.

besturdubooks.wordpress.com

أمراً منكراً أو المراد بذلك أمر سليمان مع الهدهد لكن كون المراد أشياء أعظم من ذلك هو الأنسب للسوق.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (إني وجدت) استئناف أكد للمبالغة في صدقه تملكهم من الملك بضم الميم قيل قال وجدت دون رأيت للإشعار بأنه أمر غير معلوم أولاً لأن الوجدان بعد الفقد وهذا منقوض بقوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين والاستعمال شاهد على خلافه فالوجه أن المراد وجدان ملكها لأنفسها والملك ليس من المرئي والمراد الوجدان القلبي أو المصادفة مبالغة ولذا قال فيما سبق أحطت بما لم تحط به يعني حال سبأ.

قوله: (يعني بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير في تملكهم لسبأ أو لأهلها) بلقيس بكسر الباء علم لملك سبأ معرب وهو قبل التعريب مفتوح ذكره الطيبي وشراحيل بفتح الشين المعجمة.

قوله: (وأوتيت) اختير صيغة الماضي هنا والمضارع هناك إذ الإيتاء أي الإعطاء ماض بالنسبة إلى زمان الإخبار والملك أيضاً ماض لكنه قصد حكاية الحال الماضية لغرابته أو للاستمرار.

قوله: (يحتاج إليه الملوك) أي كل شيء عام خص منه البعض وهو قصر العام على بعض ما يتناوله بالحس وفي نسخة إليها وجه التأنيث باعتبار أن كل شيء بمعنى أشياء ولهذا جمع الضمير الراجع إليه في بعض نحو كل إلينا راجعون كلمة من ابتدائية ولو جعلت للتبعيض لكان كل شيء مخصصاً أيضاً كما مر في قوله: ﴿وأوتينا من كل شيء﴾ [النمل: ١٧] وجملة أوتيت معطوفة لوجود الجامع وكونها حالاً بتقدير قد ضعيف ولها عرش عظيم اختير الجملة الاسمية لدوام كون العرش لها بخلاف سائر ما أوتيت وتقديم الخبر للاختصاص فهو عطف الخاص على العام إن قيل إن مثل هذا العرش مما يحتاج إليه الملوك وإلا فلا وكذا الكلام في تملكهم.

قوله: والضمير لسبأ أو لأهلها أي ضمير المفعول في تملكهم راجع إلى سبأ إن أريد به القوم والقبيلة أو إلى أهله إن أريد به المدينة.

قوله: يحتاج إليه الملوك وصف كل شيء وتقييده به إشارة إلى نفي توهم المساواة بين سليمان وبلقيس في ايتاء كل شيء حيث قال سليمان واوتينا من كل شيء وقال الهدهد في وصفها وأوتيت من كل شيء فإن ما أوتيت بلقيس كل شيء يحتاج إليه الملوك لا كل شيء أوتي سليمان بل بعضه فإن سليمان عليه السلام قد اتاه الله تعالى النبوة والحكمة وأسباب الدين وأسباب الدنيا التي منها الملك والسلطنة وما اوتيت بلقيس هو أسباب الدنيا فقط وأين هذا من ذاك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (عظمه بالنسبة إليها أو إلى عروش أمثالها وقيل كان ثلاثين ذراعاً في ثلاثين عرضاً وسمكاً أو ثمانين في ثمانين من ذهب وفضة مكلل بالجواهر) بالنسبة إليها لا بالنسبة إلى سليمان عليه السلام أو بالنسبة إلى عروش أمثالها وهذا هو الظاهر إذ النسبة إلى الأمثال في مثل ذلك هو الشائع المتبادر والعرض أقصر الامتدادين والسمك الارتفاع لكن المراد به هنا طوله بقرينة المقابلة بالعرض قوله مكلل أي مزين بها.

قوله تعالى: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: (كأنهم كانوا يعبدونها)[1] وإنما قال كأنهم لأن الإرادة من السجود العبادة مطلقاً[2] مظنون وأما القول بأنه يحتمل سجودهم للتحية أو جعلها كما فعله النصارى فضعيف لأن قوله: ﴿وزين لهم الشيطان﴾ [النمل: ٢٤] الخ يأبى عنه وكذا قوله من دون الله هذا عطف على يسجدون والماضي هنا والمضارع هناك إذ السجود مستقبل بالقياس إلى التزيين وجوز الحالية بتقدير قد وإسناد التزيين إلى الشيطان مجاز باعتبار السببية.

قوله: (عبادة الشمس) جزم هنا بعبادة الشمس وينكشف من هنا وجه آخر لا يراد كان وهو هنا بمعنى الجزم كصيغة الترجي في مقام الجزم مثل ﴿لعلكم ترحمون﴾ [آل عمران: ١٣٢] ومثل ﴿عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾ [التحريم: ٨] الآية فإنه في مقام الجزم بناء على العادة الملوك صرح به المص في أواخر سورة التحريم.

قوله: (وغيرها من مقابح أفعالهم) بمعنى القبائح وفي نسخة أعمالهم.

قوله: (سبيل الحق والصواب) أي اللام عوض عن المضاف إليه أو اللام للعهد بقرينة أن السبيل الذي صدهم عنه لا يكون إلا سبيل الحق والصواب وبقرينة أن هذه الجملة مترتبة على تزيين الشيطان للمبالغة في الذم.

قوله: (إليه) أي إلى سبيل الصواب هذا الحكم منه إما بناء على ظاهر حالهم أو بالإلهام ولذا اختير الجملة الاسمية وقدم المسند إليه على الخبر الفعلي لتقوية الحكم.

قوله: عرضاً وسمكاً السمك الرفعة أي كان طوله وعرضه وارتفاعه ثلاثين ذراعاً في ثلاثين.

قوله: مكللاً أي مزيناً بالجواهر من الاكليل هو شبه عصابة بزين بالجوهر ويسمى التاج اكليلاً لكون تيجان الملوك في غالب الأمر مرصعاً بالجواهر.

---

(١) فيه تغليب كما في قوله تعالى: ﴿يسجدون﴾.

(٢) أي سواء كان بالسجود أو لا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥)﴾

قوله: (أي فصدهم لأن لا يسجدوا) اختار تقدير لام الجر قبل ان المصدرية لأنه قياسي وذلك اللام متعلق بقوله فصدهم ولا يضره الفاصل لعدم كونه أجنبياً ولم يلتفت إلى تقدير عن مع كون لا زائدة على كونه بدلاً من السبيل لأنه خلاف الظاهر مع إمكان ما هو الظاهر نعم أنه وجه لكنه ضعيف.

قوله: (أو زين لهم أن لا يسجدوا[1] **على أنه بدل من أعمالهم)** أعاد العامل لكونه بدلاً من أعمالهم أي بدل البعض من الكل بتقدير العائد أي أن لا يسجدوا من تلك الأعمال فإن المراد بعدم السجود كف النفس عن السجود وهو من الأعمال ينتفع به المكلف أو يتضرر به لكن اخره لأن فيه تكلفاً في الجملة بخلاف الأول مع أن مآلهما واحد.

قوله: (أو لا يهتدون إلى أن يسجدوا بزيادة لا) اخره من الوجهين لأن زيادة اللام خلاف الظاهر مع صحة المعنى مع عدم زيادة اللام ويحتمل أن يكون المعنى لا يهتدون لأن يسجدوا باللام بدل إلى لأن الهداية يتعدى بإلى وباللام بالاعتبارين وقيل لا يهتدون لئلا يسجدوا على أن اللام للتعليل وأورد عليه بأن الفاء في فهم لا يهتدون للسببية فسبب عدم الاهتداء الصد لا عدم السجود إلا أن يقال الفاء حينئذٍ للتفريع أو للتفصيل.

قوله: (وقرأ الكسائي ويعقوب إلا بالتخفيف على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف أي ألا يا قوم اسجدوا) على أنها للتنبيه لا للتحضيض قوله ويا للنداء لكن أبو حيان لم يرض به واختار أنها للتنبيه مؤكدة لقوله إلا وتوالي حرفين للتأكيد مع تغاير اللفظ فصيح وإنما اختاره لئلا يلزم الإجحاف في الحذف أي حذف المنادى وجملة ادعو ورسمه

قوله: فصدهم لأن لا يسجدوا يعني قوله: ﴿ألا يسجدوا﴾ [النمل: ٢٥] يحتمل أن يكون متعلقاً بصدهم بتقدير لام التعليل أو متعلق بزين على أنه بدل من مفعوله بدل البعض من الكل فإن ترك السجود لله تعالى بعض من أعمالهم السيئة أو متعلق بلا يهتدون بتقدير إلى وزيادة لا كما في ما منعك أن لا تسجد فالمعنى فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله.

قوله: على أنها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف وفي المطلع فإن قيل كيف جاء في قراءة التخفيف مكتوباً في المصحف يسجدوا كما يكتب المضارع وحرف النداء لا يوصل بالفعل كتابة قلنا رسم الكتابة الأولى كان على موافقة اللفظ كما في قوله تعالى ﴿يوم يدع الداعي﴾ واشباهه فلما وصلت الياء من حرف النداء باسجدوا لفظاً كتبت الياء موصولة بها وهذا هو العذر في قوله في قوم فرعون: ﴿ألا يتقون﴾ [الشعراء: ١١] لمن فسره بألا يا ناس اتقون.

---

(١) أي أن لا يعبدوا ولما كان السجود أعظم أركان الصلاة عبر به عن الصلاة التي يراد بها مطلق العبادة لكونها أم العبادات وجامعة لجميع المبرات.

besturdubooks.wordpress.com

متصلاً بدون ألف على خلاف القياس وكون يا للتنبيه غير متعارف وإن رسمه متصلاً بدون ألف على خلاف القياس أيضاً.

قوله: (كقوله:

وقالت ألا يا اسمع نعظك بخطة فقلت سميعاً فأنطقي وأصيبي)

وقالت الخ أي يا فلان اسمع سمعاً بأذن واعية ولذا قال نعظك جواب للأمر فلو لم يكن هذا القيد معتبراً لم يظهر كونه جواباً والخطة بضم الخاء المعجمة وتشديد الطاء المهملة وهي الخصلة المهملة وسميعاً منصوب بمقدر أي ناديت سميعاً وفي نسخة سمعنا ومعناه واضح وأصيبي أي تكلمي بالصواب.

قوله: (وعلى هذا يصح أن يكون استئنافاً) وعلى هذا أي قراءة التخفيف باعتبار ما ذكر قوله يصح الخ إشارة إلى صحة كونه من كلام الهدهد خطاباً لقوم سليمان عليه السلام للحث على دوام عبادة الله تعالى وأما كونه خطاباً للبلقيس وقومها فبعيد لفظاً لكنه قريب معنى والأولى أن يكون عاماً تغليباً للحاضرين على الغائبين وأما كون الخطاب للغائب فقط فخلاف الظاهر فحينئذٍ يكون مجازاً بطريق اسم المقيد وهو الموضوع لمعين مخاطب على المطلق ثم على مقيد آخر وهو المخاطب الغير المعين.

قوله: (من كلام الله تعالى أو من سليمان) من كلام الله تعالى وهو ظاهر أو من سليمان بتقدير القول أي قال سليمان لقومه بقرينة أن الكلام مسوق لقصته لكن قيل يأبى قوله قال سننظر بعده من كونه كلام سليمان ويمكن أن يقال إن قال تكرير للأول لكونه مقدراً فلا إباء.

قوله: (والوقف على لا يهتدون ويكون أمراً بالسجود) أي الوقف على هذه القراءة حسن وحسن الوقف لا يقتضي كونه آية والآيات توقيفية كما صرح به في ألم في أوائل سورة البقرة فلا يرد ما أورده الفاضل المحشي.

قوله: (وعلى الأول ذماً على تركه) أي قراءة التشديد ذماً أي يكون ذماً على ترك السجود بمعنى كف النفس وهذا إشارة إلى رجحان عدم زيادة لا.

قوله: (وعلى الوجهين يقتضي وجوب السجود في الجملة) أي على القراءتين يقتضي وجوب السجود في الجملة أي ولو مرة في العمر سواء قرأها أو لا.

قوله: والوقف عطف على أن يكون استئنافاً أي وعلى أن لا للتنبيه ويا للنداء صح كون لا يسجدوا لله جملة مبتدأة مستأنفة بتقدير القول غير متعلقة بلا يهتدون وصد وزين كالقراءة بالتشديد وصح الوقف على لا يهتدون فالمعنى قال الله تعالى أو قال سليمان ألا يا هؤلاء القوم اسجدوا لله.

قوله: وعلى الوجهين يوجب وجوب السجود في الجملة لا عند قراءتها هذا عند الشافعي رحمه الله وعليه القاضي رحمه الله وعند أبي حنيفة رحمه الله يجب على الوجهين سجدة التلاوة لأن مواضع السجدة في القرآن إما أمر بها أو مدح لمن أتى وذم لمن تركها فالقراءة بالتشديد ذم

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لا عند قراءتها) أي حين تقرأ يجب ذلك على القارىء والسامع.

قوله: (وقرىء هلا وهلا بقلب الهمزة هاء وألا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب) وقرىء هلا وهلا بتخفيف اللام وتشديدها قوله وألا يسجدون بإثبات النون والتخفيف والتشديد أيضاً فيكون للعرض أو التحضيض ويسجدون يحتمل الغيبة والخطاب كذا قيل.

قوله: (وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود) وصف له صفة مادحة قوله باستحقاق السجود أي العبادة أقحم الاستحقاق لأن السجود لغيره تعالى متحقق بلا استحقاق.

قوله: (من التفرد بكمال القدرة والعلم حثاً على سجوده ورداً على من يسجد لغيره والخباء ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره) من التفرد بكمال القدرة الدال عليه الذي يخرج الخباء إما دلالته على القدرة الكاملة فظ وإما على التفرد فلأنه وصف مختص به تعالى باتفاق العقلاء والعلم أي بكمال العلم الدال عليه قوله ويعلم ما يخفون وما يعلنون عبارة ويخرج الخبأ بالالتزام وذكر ما يعلنون مع أنه مفهوم من علمه بما يخفون للتنبيه على أن علمه بما يخفون كعلمه بما يعلنون والإخفاء والإعلان بالنسبة إلى المخلوق لا بالنسبة إليه تعالى وصيغة المضارع في الموضعين للاستمرار وقدم الأول لأنه دليل على كمال القدرة والعلم التام وتخصيص الوصفين بالذكر لأنهما أمس بالمقام حيث دل كل منهما على اختصاص استحقاق العبادة له تعالى.

قوله: (وهو يعم إشراق الكواكب وإنزال المطر وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم أنه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائي ما تخفون وما تعلنون بالتاء) وهو يعم إشراق الكواكب أي الإخراج يعم الإشراق وأيضاً يعم الخبأ بالكواكب لكون الشمس مخبوءة بالليل وسائر الكواكب بضوء الشمس قوله بل الإنشاء أي يعم الإخراج إلى الإنشاء لفظة بل للترقي والانتقال إلى ما هو أشد خفاء والفرق بين الإنشاء والإبداع إن الإنشاء ما له مادة موجودة كأن الشيء فيها بالقوة إذ المادة ما يكون الشيء معه

لتاركها والقراءة بالتخفيف أمر بإتيانها فوجبت السجدة على كل من هاتين القراءتين وفي الكشاف وقد اتفق أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله على أن سجدات القرآن أربع عشرة وإنما اختلفا في سجدة ص فهي عند أبي حنيفة سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج يعني أنهما متفقان في أن عدد سجدات القرآن أربع عشرة لكن أبا حنيفة رحمه الله عد ما في سورة النمل موجباً للسجدة ولم يعد إحدى ما في سورة الحج والشافعي رحمه الله عكس الأمر حيث أوجب السجدتين في سورة الحج ولم يوجب سجدة للتلاوة في سورة النمل وهما أوجبا السجدة في سورة ص لكنهما اختلفا في أن السجدة الواجبة هناك سجدة تلاوة أم سجدة شكر فعند أبي حنيفة هي سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر.

besturdubooks.wordpress.com

بالقوة والإبداع ليس كذلك فإنه قال في الإبداع فإنه إخراج ما في الإمكان الخ سواء كان ماله مادة موجودة أو لا فالإبداع أعم من الإنشاء وقد يستعمل كل منهما في موضع الآخر.

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: (الله لا إله) الله مبتدأ خبره لا إله إلا هو أو خبره رب العرش ولا إله جملة معترضة وتقدير الخبر إما ممكن أو موجود والأول أولى.

قوله: (الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها) الذي هو أول الأجرام أي خلقاً على ما ورد أنه أول ما خلق الله أي أول ما خلق الله تعالى من الأجرام لما قال الإمام الثعلبي في قوله تعالى: ﴿يحمل عرش ربك﴾ [الحاقة: ١٧] الآية عن علي بن الحسين أنه قال إن الله خلق العرش لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء الهواء والنون والقلم ثم خلق العرش وعن هذا قال أول الأجرام ولم يقل أول المخلوقات قوله المحيط بجملتها وهذا بناء على كرويته وكروية العالم قال الإمام ولا ضير فيه إذا قيل بحدوثها.

قوله: (فبين العظيمين بون عظيم) فبين العظيمين العظيم الأول عرش الله الذي أعظم من كل شيء ممكن والعظيم الثاني عرش بلقيس الذي هو عظيم بالنسبة إلى بعض المخلوقات وهو عرش سائر الملوك والبون البعيد المعنوي والفرق البين فلا نسبة بينهما وإن وقع ذلك في التعبير وفي الصحاح البون الفضل والمزية يقال بون بعيد وأما في البعد الحقيقي فيقال بين لا غير كذا حققه أرباب اللغة.

قوله تعالى: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: (ستعرف من النظر بمعنى التأمل) ستعرف الظاهر أن السين للمبالغة لا للتأخير ولذا قال اذهب شارعاً للتعرف هذا مشتق من النظر بمعنى التأمل أي التفكر إذا النظر إذا تعدى بفي يكون بمعنى التفكر والتدبر لا بمعنى الرؤية فإنه يتعدى بإلى ولا بمعنى المرحمة فإنه يتعدى باللام.

قوله: (أي أم كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل) أي أم كذبت هذا حاصل المعنى ومقتضى الظاهر لأنه عديل أصدقت لكن مقتضى الحال التغيير لما ذكره وجه المبالغة لإفادته انخراط سلك الكاذبين والكاذبون كثيرون فهو يفيد أنه من جملتهم وأنه كاذب لا محالة ويرد عليه أن أم المتصلة مع الهمزة يفيد التساوي بين الأمرين ولا يحتمل

قوله: فبين العظيمين بون عظيم أي فبين العرشين العظيمين اللذين هما عرش الله تعالى وعرش بلقيس بعد بعيد وأن وصف عرش بلقيس بالعظم أيضاً لأن وصف عرشها تعظيم له بالإضافة إلى عروش أبناء جنسها من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق الله من السموات والأرض.

قوله: والتغيير للمبالغة وجه المبالغة إذا كان معروفاً بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذباً لا محالة وإذا كان كاذباً اتهم بالكذب فيما أخبر به فلم يوثق به.

besturdubooks.wordpress.com

كون أم منقطعاً وأيضاً من أين يجزم أنه كاذب لا محالة ولو سلم ذلك لقال كذبت ولم يقل سننظر أصدقت والاعتذار بأن وجه المبالغة إن أحقر مخلوق إذا كذب بين يدي عظيم يخشى سطوته دل على أنه شديد الكذب حتى لا يملك نفسه في أي موطن كان ليس بمناسب لأن ما أفاده التركيب من المبالغة ما ذكر آنفاً وهو كونه من زمرة الكاذبين لا محالة دون ما ذكره ومثل ما ذكرناه صرح المص في قوله تعالى: ﴿لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] فالأولى الاكتفاء بمراعاة الفاصلة.

قوله تعالى: ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

قوله: (اذهب بكتابي) شروع في النظر المذكور الباء إما للتعدية أو للملابسة وحاصل المعنى أنه كتب مكتوباً إلى بلقيس وقومها يدعوهم فيه إلى التوحيد والإسلام وأمر الهدهد بالذهاب به وإيصاله إليهم ففي الكلام حذف إيجاز.

قوله: (ثم تنح عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه) ثم تنح عنهم الخ إنما حمله عليه لأن التولي بالكلية يأبى عنه قوله فانظر ماذا يرجعون فالمراد التولي والتبعد إلى مكان يطلع أحوالهم وإنما أمره بالتولي لاحتمال أنهم يكتمون عنه أحوالهم ولذا قال تتوارى الخ أي تختفي فيه ولو قال فتوار كما في نسخة فيه بصيغة الأمر لكان أوفق بما بعده وبهذا سقط ما قيل من أنه لا دلالة في الكلام على التواري وجمع الضمير لأن الدعوة تجب أن تعم.

قوله: (ماذا يرجع بعضهم إلى بعض من القول) أشار إلى أن المراد رجوع بعضهم إلى بعض لا رجوعهم برمتهم إلى غيرهم كما هو المتبادر ورجع لازم هنا بقرينة تعديته بإلى لا متعد كما قيل قوله من القول بيان لماذا أي من القول الدال على إطاعتهم أو على مخالفتهم قيل ولا يبعد أن يلهم الله ذلك الهدهد ما يفهم به الكلام ولا ينافيه قوله انظر لأنه بمعنى تأمل والتأمل يكون للأقوال والأفعال ولا حاجة إلى جعل النظر مجازاً عن الإدراك انتهى وأنت خبير بأن الكلام بناء على أن الله تعالى خلق في الهدهد عقلاً ونطقاً لأن القصة من أولها إلى آخرها دلت على ذلك ولا يختص بهذا المقام وإذا كان النظر بمعنى التأمل يكون تعديته بفي فالتقدير فانظر فيما ذا يرجعون.

قوله تعالى: قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾

قوله: (أي بعدما ألقي إليها) أشار إلى أن في الكلام حذف مضاف بأكثر من جملة أي أخذ الهدهد الكتاب بعد ما أمره به وذهب به ووصل إليها وألقاه كما أمره وأخذته

قوله: ثم تنح أي تبعد من نحيته عن موضعه فتنحى أي بعدته فتبعد أي تنح إلى موضع قريب تتستر فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك قوله أو لأنه كان مختوماً قال عليه السلام كرم الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة والسلام يكتب إلى العجم فقيل له إنهم لا يقبلون إلا كتاباً عليه خاتم فاصطنع خاتماً وعن ابن المقفع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به.

besturdubooks.wordpress.com

وقرأته أو أمرت بقراءته فإذا قالت لملئها إني ألقي التأكيد لأنه مظنة الإنكار وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي للحصر أو لتقوية الحكم وصيغة المجهول لأنها لا تعرف الملقي وتنكير الكتاب للتفخيم.

قوله: (لكرم مضمونه أو مرسله أو لأنه كان مختوماً أو لغرابة شأنه إذ كانت مستلقية في بيت مغلقة الأبواب فدخل الهدهد من كوة وألقاه على نحرها بحيث لم تشعر به) لكرم مضمونه ولا يلزم من معرفة أن مضمونه كريم الإيمان لأنه هو التصديق بالقبول أو مرسله ولعلها كانت عالمة بعظم شأن سليمان عليه السلام أو استدلت بكرم مضمونه على كرم مرسله أو لأنه كان مختوماً وفي الخبر الشريف كرم الكتاب ختمه وقال ابن المقنع من كتب إلى أخيه كتاباً ولم يختمه فقد استخف به والمراد من كونه مختوماً ممهوراً أو مختوماً باسمه على عادة الملوك والعظماء أو لغرابة شأنه فيحصل للكتاب الفضل والشرف بها ولفظة أو لمنع الخلو قوله مستلقية أي نائمة على فراش.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾

قوله: (استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو) استئناف أي بياني قوله كأنه الخ إشارة إلى أن السؤال المقدر وقع من مرسله ومن مضمونه بقرينة الجواب أو بقرينة ما قبله ولم يجعله سؤالاً عن سبب الحكم مطلقاً أو خاصاً لعدم التعرض له في الجواب لكن يفهم من الجواب سبب الإلقاء وهو الدعوة إلى الإسلام وترك العلو ولك أن تعمم ما هو إياه.

قوله: (فقالت إنه أي إن الكتاب أو العنوان من سليمان) أو العنوان وهو ما يكتب على ظاهره لفظ من سليمان قيل وهذا بقرينة الحال والمتعاد وإلا فالعنوان لم يذكر قيل انتهى أي كونه مرجعاً باعتبار أنه مذكور حكماً لما بينه فرجوعه إلى الكتاب راجع ولذا قدمه.

قوله: (أي وإن المكتوب أو المضمون وقرئتا بالفتح على الإبدال من كتاب أو التعليل لكرمه) أي وإن المكتوب خبره بسم الله بتأويل أنه ملتبس به أو ملتصق به تلبس الكل بالجزء وكذا الالتصاق أو هذا اللفظ إلى آخره على طريق الحكاية واتحاد الخبر يغني عن العائد إلى المبتدأ قوله على الإبدال من كتاب بدل الكل وهذا يؤيد الوجه الأخير قوله أو

قوله: وقرئتا بالفتح على الابدال من كتاب أي قرىء أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم بفتح همزة أن على أنها بدلان من كتاب فيكونان مرفوعي المحل كأنه قيل ألقي إلي أنه من سليمان.

قوله: أو التعليل لكرمه عطف على الابدال أي القراءة بالفتح إما للإبدال أو لتعليل كرم الكتاب فيكون لام التعليل محذوفاً من أن مقدراً أي ألقي إلي كتاب كريم لأنه من سليمان ولأنه بسم الله الرحمن الرحيم قوله أن مفسرة أي كلمة أن في أن لا تعلوا مفسرة لتضمن الكتاب معنى القول.

besturdubooks.wordpress.com

التعليل لكرمه فحينئذٍ يتعين الوجه الثاني وهو لكرم مرسله وفيه ضعف ولذا أخره ويحتمل في قراءة الكسر كونه تعليلاً لكرمه ولم يتعرض له لأنه ليس بصريح في العلية بخلاف الفتح فإنه بتقدير اللام الجارة.

قوله تعالى: أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

قوله: (أن مفسرة) بمعنى أي والمفسر الكتاب نفسه لا مجموع ألقي إلي كتاب لأن في التفسير لم يتعرض ما سوى الكتاب والكتاب فيه معنى القول فتحقق شرط التفسيرية والمعنى ألقي إلي كتابه بشيء هو ألا تعلوا على الخ قدمه لأنه خال عن التمحل فعلى هذا لا تعلوا نهي عطف عليه أمر.

قوله: (أو مصدرية فتكون بصلته خبر محذوف أي هو أو المقصود أن لا تعلوا أو بدل من كتاب) أو مصدرية فعلى هذا يكون لا نافية[1] فحينئذٍ العطف بناء على جواز وصلها بالأمر كما مر مراراً فعطف الإنشاء على الخبر لكونه في تأويل المفرد.

قوله: (مؤمنين أو منقادين) فسره به لأن المراد بالإسلام معناه اللغوي وهو الانقياد فلفظ أو للمنقادين ترديد في العبارة لأن الإسلام المصطلح مختص بشرعنا قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩] وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام.

قوله: (وهذا كلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود) فيكون في غاية البلاغة ونهاية البراعة الوجازة كون اللفظ قليلاً والمعنى كثيراً وإليه أشار بقوله مع كمال الدلالة إيراده مع للتنبيه على أنه أصل متبوع وكون اللفظ وجيزاً ذريعة ووسيلة إليه وهكذا كتب الأنبياء عليهم السلام لا يكثرون الكلام فيها لكن معانيها كثيرة جداً وهذا لا ينافي كونه من خصائص النبي عليه السلام لأنه في بعض أحوالهم وأما رسولنا ففي عموم مقاصده.

قوله: (لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحاً أو التزاماً) فإن

قوله: أي هو أو المقصود يعني إذا كان أن مصدرية يكون أن لا تعلوا على في حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو أن لا تعلوا أي ذلك الكتاب الملقى أن لا تعلوا أو المقصود منكم أن لا تعلوا وفي عطف وأتوني عليه على تقدير كونه خبر مبتدأ محذوف تكلف إذ يلزم عطف الجملة على المفرد فوجهه الحمل على المعنى فالمعنى والمقصود عدم علوكم علي واتيانكم مسلمين.

قوله: أو بدل من كتاب أي ألقي إلي أن لا تعلوا.

قوله: لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحاً والتزاماً فإن البسملة

---

(١) كذا قيل لكن الموافق لكلام المص حيث قال والنهي عن الترفع كون لا ناهية في الوجهين ودخول أن المصدرية على النهي وعلى الأمر قد مر مراراً بيانه.

besturdubooks.wordpress.com

لفظة الجلال علم له إما بالوضع كما هو عند الجمهور أو بالغلبة وهو المختار عند المص إطلاق الصانع عليه بمعنى الخالق وارد في الحديث وهو قوله عليه السلام إن الله صانع كل صانع وصنعته كذا نقل عن السبكي وصفاته أي جميع صفاته لأن اسم الجلال دال على الذات صريحاً وعلى الصفات بأسرها التزاماً ولذا قالوا والله اسم الذات المستجمع بجميع الصفات وقع في أكثر النسخ أو التزاماً والظاهر والتزاماً ولفظة أو لمنع الخلو والرحمن الرحيم بعكسه حيث يدلان على الصفة صريحاً وعلى الذات التزاماً لاختصاص الرحمن به تعالى ومعناه للنعم النعم كلها دنيوي وأخروي موهبي وكسبي روحاني وجسماني كتخليق البدن وغيره ففيه إشارة إلى أنه تعالى هو المعبود الحقيقي معطي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها وهذا يقتضي التوجه بشراشره إلى جناب القدس وأنتم معرضون عن عبادته وتعبدون ما لا يقدر النفع والضر وهذا من سليمان عليه السلام تنبيه نبيه على ضلالهم والإرشاد إلى ما هو سبب نجاتهم وبهذا علم وجه تخصيص البسملة بالذكر.

قوله: (والنهي عن الترفع الذي هو أم الرذائل والأمر بالإسلام الجامع لأمهات الفضائل) والنهي عن الترفع الخ فيه إشارة إلى أن لا تعلوا نهي سواء كان إن مفسرة أو مصدرية.

قوله: (وليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد) وليس الأمر الخ أي بقوله ائتوني الخ وكذا النهي ولو تعرض له لكان أولى وفيه إشارة إلى أنه دعوة نبوة لا السلطنة لأنه اللائق بشأن الأنبياء عليهم السلام وقولها إن الملوك إذا دخلوا فقبل تيقنها بنبوته عليه السلام.

قوله: (فإن إلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة من أعظم الدلالة) فإن إلقاء الكتاب على هذا الوجه من خوارق العادات فيكون دالاً على نبوته وإن لم يكن معجزة اصطلاحاً ألا يرى أن القرآن من أبهر معجزات نبينا عليه السلام إلى يوم القيام مع أنه لم يقارن التحدي بالنسبة إلى الغائب.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: (﴿قالت يا أيها الملأ﴾) صرح به لدفع اشتباه كون افتوني في أمري من تتمة مكتوب سليمان.

قوله: (أجيبوني في أمري الفتي واذكروني ما تستصوبون فيه) أجيبوني في أمري الفتي حاصل معنى أفتوني إذ الإفتاء تبيين المبهم والفتوى الجواب في الحادثة قوله في الأمر الفتي أي في هذا الأمر الغريب الحادث اليوم والفتي بتشديد الياء فعيل بمعنى الفاعل عبارة عن الحادث المحتاج إلى الجواب وإضافة الأمر إلى ياء المتكلم للعهد بمعونة السوق والتعبير بالأمر الفتي لقولها افتوني وهذا الأمر وإن كان عاماً لكنها أضافت إلى نفسها

مشتملة على لفظة الله وهو علم دال على ذات الصانع صريحاً وعلى صفاته التزاماً ومشتملة أيضاً على لفظي الرحمن الرحيم الدالين على صفات الصانع صريحاً وعلى ذاته التزاماً.

besturdubooks.wordpress.com

لكونها رئيساً متبوعاً والمراد بالفتوى هنا جوابهم في هذه الحادثة بما يقتضيه رأيهم ولا يلزم القبول ولذا قالت في مقابلة جوابهم أن إلملوك تزييف لما فهم من كلامهم.

قوله: (ما أبت أمراً إلا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الإجابة) ما أبت أمراً من الأمور في الزمان الماضي الذي قبل هذا الأمر والحادثة الكبرى أي كانت عادتي أن لا أبت أمراً إلا بمحضركم فلا أبت ولا أقضي في هذه النازلة الكبرى إلا بمحضركم كأنها إشارة إلى دفع وهم العجز والمعنى أن عرض هذا الأمر وطلب الجواب له ليس لعجزي عن الجواب بل لكون عادتي المستمرة إلى الآن والبت فصل القضية بالحسم فيها ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قاضية ليمالؤها الممالاة المساعدة.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

قوله: (بالأجساد والعدد) بالأجساد أي بالقوة التي قائمة بأجسادنا وهي القوة الذاتية وبالعدد جمع عدة وهي ما يعد من آلات الحرب وهي قوة عرضية وأحدهما كاف في المقاتلة فما ظنك في جمعهما أو أحدهما وإن لم يكف فيها لكن لا ريب في كفاية مجموعهما.

قوله: (نجدة وشجاعة) نجدة بكسر النون وسكون الجيم والدال المهملة المراد بها البلاء في الحروب وهذا كالتأكيد لما قبله إلا أن يقال إن المراد بالقوة بالأجساد كثرة الأعداد وبالبأس القوة الذاتية والشجاعة ومرادهم بهذا التحريض على المقاتلة ببيان تهيؤا سبابها على ما ذهب المص وقيل دفع توهم العجز بتفويض الأمر إليها حيث قالوا فانظري ماذا تأمرين.

قوله: (موكول) متعلق الجار بفعل خاص بقرينة قوية أي مفوض إليك لكونك رئيساً لنا فإطاعتنا إياك لازم قيل يشير إلى أن الخبر مقدر مؤخراً ليفيد الحصر المقصود لفهمه من السياق وهذا بعيد إذ الظاهر أنه بيان المتعلق المحذوف أما كونه مؤخراً فلا يفهم من كلامه غايته أنه ذكره مؤخراً والظاهر أن الحصر مستفاد من كون المسند إليه محلى بلام الجنس أي جميع الأمر مفوض إليك وهذا الأمر أيضاً موكول إليك وحمل اللام على العهد ضعيف.

قوله: ما ابت أمراً من بت يبت إذا قطع أي ما اقطع أمراً ولا أجزم به ولا أفعله بنا إلا بمحضر منكم قيل كان أهل مشورتها ثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً كل واحد على عشرة آلاف.

قوله: ليمالئوها قال الجوهري قال أبو زيد مالأته على الأمر ممالأة ساعدته عليه وشايعته وقال ابن السكيت تمالؤوا على الأمر اجتمعوا عليه وتعاونوا.

قوله: نجدة وشجاعة عطف الشجاعة على النجدة من باب عطف التفسير فإن النجدة تجيء بمعنى الشجاعة يقال نجد الرجل بالضم فهو نجد ونجد ونجيد ويجيء بمعنى البأس يقال رجل ذو نجدة أي ذو بأس ولاقى فلان نجدة أي شدة واختار معنى الشجاعة لكن تفسير البأس بالنجدة التي بمعنى الشدة والبأس انسب.

قوله: (من المقاتلة والصلح نطعك إلى رأيك ونتبع) وإن كان المختار عندنا المقاتلة قوله نطعك بالجزم جواب الأمر وهذا إشارة إلى ما ذكرنا من أنك ملكنا يجب الاتباع والإطاعة لك.

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾

قوله: (تزييف لما أحست منهم من الميل إلى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية وإشعار بأنها ترى الصلح مخافة أن يتخطى سليمان عليه السلام خططهم فيسرع إلى إفساد ما يصادفه من أموالهم وعماراتهم) تزييف[1] لما أحست الخ أي رده له استعير من تزييف النقود أي بيان زيوفها ورديها وحاصله الرد للمبالغة في رد مقالهم وأنه كالزيوف من الدراهم والدنانير في عدم الرواج والخطط بكسر الخاء جمع خطة بكسر الخاء وهي الديار وأراضيها.

قوله: (ثم إن الحرب سجال لا يدري عاقبتها) هذا مثل مستعار من المساجلة وهي المناوبة في السقي من السجل وهو الدلو العظيم والمراد أنه كل من زاولها يغلب تارة ويكون مغلوباً تارة أخرى ولا اعتماد على شوكة وكثرة إذ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة قوله لا يدري عاقبتها بيان ما هو المراد من هذا القول والقول بأنه مثل لمن غلب مرة فلا يناسب هنا إذ لم يقاتل بعد قيل إنه غير مسلم فإنه يقال لمن لم يقاتل أصلاً وقيل في الجواب عنه بأن المقصود بهذا الكلام الكناية عن عدم الوثوق بأمر الحرب لا معناه الحقيقي ولا يخفى عليك أن معنى هذا الكلام الإفادة بعدم الوثوق بأمر الحرب فإنه لو سلم أنه يقال لمن غلب مرة فمعناه أيضاً عدم الاعتماد بأسباب الحرب والجواب ما ذكر أولاً من أنه يقال لمن لم يقاتل.

قوله: (﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ بنهب أموالهم وتخريب ديارهم إلى غير ذلك من

قوله: بادعائهم القوى الذاتية والعرضية القوة الذاتية هي الشجاعة المدلول عليها بقولهم أولو بأس والقوة العرضية هي العدد والأسباب المدلول عليها بقولهم نحن أولو قوة ودلالته على عرضية القوة والقوة بحسب أصل الوضع أعم لوقوعه في مقابلة القوة الذاتية المستفادة من قولهم أولو بأس فإن المراد بالبأس على ما فسره رحمه الله هي الشجاعة وهي قوة ذاتية جبل الإنسان عليها.

قوله: إن الحرب سجال هو من المساجلة بمعنى المفاخرة بأن تصنع مثل صنعه في جرى أو سقى وأصله من السجل بمعنى الدلو قال الفضل بن عباس من يساجلني يساجل ماجدا بملء الدلو ومنه الحرب سجال وتساجلوا أي تفاخروا كذا في الصحاح.

---

(١) والتعبير بالإحساس مع أن المقاتلة ليست من الأمور المحسوسة للمبالغة كأنها لكمال إدراكها مرادهم احست به.

besturdubooks.wordpress.com

الإهانة والأسر) ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ لكسر شوكتهم هذا الجعل بالفعل ولذا قال بنهب أموالهم الخ ومغايرة هذا الجعل للإفساد مع أن الظاهر الإفساد أيضاً لشموله بالأسر ونحوه دون الإفساد والملائم لقوله أفسدوها وأذلوا أعزة أهلها مع أنه أخصر لأن في هذا الإطناب المبالغة في الجعل حيث صرح به.

قوله: (وكذلك يفعلون تأكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بأن ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة أو تصديق لها من الله تعالى عز وجل) وكذلك يفعلون المشار إليه بذلك مصدر يفعلون والكاف للعينية لا للتشبيه ولهذا قال تأكيد لما وصفت من حالهم أي ومثل هذا الفعل يفعلون مستمراً والتعبير بالفعل للاختصار فهو مفعول مطلق له وصيغة البعد للتهويل قوله وتقرير بأن ذلك من عادتهم الخ هذا مستفاد من التعبير بالمضارع ويفهم منه جواز كون الكاف للتشبيه لا للعينية فعلى هذا يكون تأسيساً لا تأكيداً وكذا إذا كان مرجع الضمير سليمان ومن معه لكنه خلاف الظاهر لأن سليمان عليه السلام داخل في الملوك كما هو الظاهر قوله أو تصديق لها الخ فيكون الكاف للعينية لا غير اخره لأن توسط تصديق الله تعالى بين كلامي بلقيس مما يشوش الكلام وإن صح بكونه من قبيل الاعتراض.

قوله تعالى: وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

قوله: (بيان لما ترى تقديمه من المصالحة والمعنى أني مرسلة رسولاً بهدية ادفعه بها عن ملكي) بيان لما ترى تقديمه الخ أي لما زيفت رأيهم حاولت بيان ما هو المختار عندها وإنما قال لما ترى تقديمه ولم يقل لما ترى من الصلح لأن الحال غير معلومة لها وعن هذا قال المص في بيان مرادها من حاله حتى أعمل بحسبه قوله ادفعه بها عن ملكي أي أقصد دفعه بها عن ملكي لكن هذا القصد لم يفد قوله رسولاً إشارة إلى أن مفعول مرسلة محذوف حذف لظهوره ولضيق المقام عن تفصيل الكلام.

قوله: (فناظرة) أي فإني ناظرة عطف على مرسلة بالفاء لأن الإرسال سبب له والنظر بمعنى الانتظار أي فإني منتظرة ومترقبة بم أصله بما استفهام حذف ألفه ﴿يرجع المرسلون﴾ [النمل: ٣٥] أي رسولاً ومن معه.

قوله: تأكيد لما وصفت من حالهم بقوله إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وتقرير بأنهم من عاداتهم الثابتة المستمرة هذا التأويل على أن يكون وكذلك يفعلون من مقول قول بلقيس ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع وهي صيغة يفعلون الدالة على الاستمرار التجددي وقوله أو تصديق لها من الله عز وجل على تقدير أن يكون هو كلام الله تعالى قاله تصديقاً لما قالته بلقيس من أن الملوك إذا دخلوا الآية فلا يكون من مقول قولها وهذا ملخص كلام الراغب حيث قال ويجوز أن يكون خبراً عن الله تعالى يخبر نبينا صلوات الله عليه وسلامه فيعترض بين جمل ما يحكى تصديقاً له ثم قال عائداً إلى حكاية قولها وأني مرسلة إليهم ويجوز أن يكون حكاية على معنى أن الملوك تأثيرهم في القرى التي يدخلونها تخريبها وكذلك يفعل هؤلاء يعني سليمان عليه السلام وخيله هذا فعلى الوجهين يكون جملة ﴿وكذلك يفعلون﴾ تذييلاً للكلام السابق وتقريراً له.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (من حاله حتى أعمل بحسبه ذلك) من حاله بيان لما وهي قبول الهدية فيقع المصالحة ويرفع المنازعة أوردها فحينئذٍ يقع لنا رأي آخر قوله حتى أعمل بحسبه إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (روي أنها بعثت منذر بن عمرو في وفد وأرسلت معهم غلماناً على زي الجواري وجواري على زي الغلمان وحقاً فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب) ولعدم الجزم بذلك قال روى الخ منذر بن عمرو وهذا رسول متبوع جعله رئيساً لكونه من أشراف قومها في وفد مع وفد أي جماعة تابعة له الأولى في جماعة بدل في وفد وحقاً بضم الحاء وتشديد القاف بمعنى الحقة درة أي درة كبيرة الظاهر أنها واحدة فإنها كافية في التجربة عذراء أي لم تثقب وهو استعارة حسنة غريبة إما استعارة مكنية وتخييلية أو استعارة مصرحة فذكر العذراء وأريد عدم التثقيب وجزعة بكسر الجيم وسكون الزاي والعين المهملة نوع من الجواهر ملون معوجة الثقب لئلا يمكن إدخال سلك فيها بحسب زعمها.

قوله: (وقالت إن كان نبياً ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقباً مستوياً وسلك في الخرزة خيطاً) وقالت إن كان نبياً الخ فيه دليل على أنها وقومها لم يعرفوا أنه نبي بإلقاء الكتاب إليها على تلك الحالة لكنه لا ينافي كونه من أعظم الدلالة على رسالته ولا يضر قوله فيما سبق من أنه ليس الأمر فيه بالانقياد قبل إقامة الحجة الخ وجعل ثقب الدرة ثقباً مستوياً من أمارة نبوته غير ظاهر.

قوله: (فلما وصلوا إلى معسكره ورأوا عظم شأنه تقاصر إليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال فطلب الحق وأخبر عما فيه) إلى معسكره اسم مكان أي محل العسكر تقاصر إليهم نفوسهم وأنهم نظروا إلى أنفسهم وتعديته بإلى لتضمنه معنى راجعة إليهم والمعنى أنه اتضح لهم أنهم محقرون بالنظر إلى شوكة سليمان عليه السلام وأنهم نظروا مقاصرين أي محقرين ضد التطاول بمعنى التعظم مع أنهم مفتخرون بأنهم أولو قوة وأولو بأس شديد.

قوله: (فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب بها وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية) فأمر الأرضة وهي دويبة تثقب الأشجار وأفسدتها قوله نفذت بالمعجمة أي خرقتها بدخولها فأخذت شعرة قيل الفاء فصيحة أي فثقبتها فأخذت شعرة قوله كما يأخذ الكاف للقرآن.

قوله: فيه درة عذراء وجزعة العذراء البكر فإذا وضعت به الدرة يكون المراد بها ما لم تثقب والجزعة بالزاي المعجمة المفتوحة واحدة من الحزز اليماني وهو الذي فيه بياض وسواد يشبه به الأعين.

قوله: تقاصر إليهم نفوسهم أي عدت نفوسهم متقاصرة عندهم.

قوله: فأمر الأرضة الأرضة بالتحريك دويبة تأكل الخشب.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ۝٣٦﴾

قوله: **(أي الرسول أو ما أهدت إليه وقرىء فلما جاؤوا)** أي الرسول مع الهدية بقرينة الجواب أو ما أهدت إليه وهو المقصود لكن نسبة المجيء إليها مجازاً أو المجيء مجاز عن الوصول ولهذا اخره مع كونها مقصودة وتذكير جاء ح باعتبار ما أهدت كما قال الفاء في فلما جاء فصيحة أي أرسلت رسولاً بهدية عظيمة فجاء الرسول إلى سليمان مع هدية فلما جاء سليمان الخ وقرىء فلما جاؤوا أي الرسول ومن معه وهذا يؤيد كون المرجع رسولاً في القراءة بالمفرد قال عقيب مجيئه بلا تلعثم.

قوله: **(﴿قال أتمدونني﴾)** الاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ إذ الإمداد بناء على الاحتياج ولا احتياج لي كما سيجيء.

قوله: **(خطاب للرسول ومن معه أو الرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالإدغام وقرىء بنون واحدة وبنونين وبحذف الياء)** خطاب للرسول أي منذر بن عمرو فإنه رئيسهم ولذا قال ومن معهم وإلا فكلهم رسول ولما كان رئيسهم أصلاً في المجيئة أسند المجيء إليه في القراءة الأولى والإمداد بمال وقع من جميعهم ولهذا اختير الجمع في الخطاب قوله أو الرسول والمرسل على تغليب المخاطب على الغائب وإنما جوزه لأن الإمداد بمال وقع من بلقيس بالأصالة ومن قومها بالتبع فانكشف منه أن إسناد الإمداد إليهم مجاز عقلي وأيضاً إن في الاحتمال الثاني تغليبين تغليب المخاطب على الغائب وتغليب ما هو له على غير ما هو له وفيه إطلاق الجمع على الاثنين وفيه أيضاً أطلق المرسل على المرسلة بتأويل الشخص قوله بنون واحدة والمحذوف نون الوقاية والقراءة بنونين لنافع كما قيل.

قوله: **(فما أتاني الله من النبوة والملك الذي لا مزيد عليه)** فما أتاني الله الفاء للتعليل لأنه لما أنكر إمدادهم بمال علله بأن ما أعطاني الله خير مما آتاكم ولم يقل مما أتيتموني مع أنه مقتضى السوق للمبالغة في ذلك لأن النبوة والملك الذي أعطي سليمان عليه السلام خير وأفضل من الملك الذي أوتي بلقيس فضلاً عن النبوة وإيقاع الإعطاء على بلقيس وقومها مع أن الملك للبلقيس للتنبيه على أنها مستعينة في ملكها عن قومها بخلاف سليمان عليه السلام وعن هذا قال فما أتاني الله ولم يقل فما آتانا الله **(وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بإسكان الياء وبإسقاطها الباقون وبإمالتها الكسائي وحده)**.

قوله: على تغليب المخاطب أي على تغليبه على الغائب الذي هو المرسل.

قوله: وقرىء بنون واحدة وبنونين أي قرىء اتمدوني واتمدونن بحذف الياء اكتفاء بكسرة النون الثانية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فلا حاجة إلى هديتكم) أي ما ذكر دليل على ذلك وهو المراد اكتفى عنه بذكر دليله وفيه إشارة إلى أن الغرض من تفضيل حاله بيان عدم احتياجه واستغنائه بفضل الله تعالى لا الافتخار كما هو عادة الأبرار.

قوله: (ولا وقع لها عندي) أي لا اعتبار لها عندي تكثيراً لزخارف الدنيا كما هو عادة أبناء الدنيا فإنهم مع عدم احتياجهم يقبلون الهدايا.

قوله: (بل أنتم بهديتكم تفرحون) فيه حصران إن قيل إن تقديم بهديتكم للحصر أو حصر واحد إن قيل إن تقديمه لرعاية الفاصلة فقط.

قوله: (لأنكم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا) أي ما تشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وأما باطنها فإنها ذريعة إلى الآخرة ووصلة إلى نيل نعمها وأنموذج لأحوالها فأنتم عنها غافلون.

قوله: (فتفرحون بما يهدى إليكم حباً لزيادة أموالكم أو بما تهدونه افتخاراً على أمثالكم) فتفرحون الخ أشار به إلى أن سبب فرحهم انحصار علمهم ظاهراً من الدنيا قوله: بما يهدى إليكم إشارة إلى أن الهدية مضافة إلى المفعول قوله أو بما تهدونه الخ فالإضافة حينئذٍ إلى الفاعل.

قوله: (والإضراب عن إنكار الإمداد بالمال عليه وتعليله) عن إنكار الإمداد تنبيه على أن الاستفهام للإنكار التوبيخي قوله وتعليله إشارة إلى أن قوله فما أتاني الله للتعليل كما نبهناك عليه آنفاً.

قوله: فتفرحون بما يهدى إليكم هذا على تقدير إضافة المصدر إلى مفعوله وقوله أو بما تهدونه على تقدير إضافته إلى فاعله.

قوله: والاضراب عن إنكار اللمداد بالمال وتعليله يعني أنكر سليمان عليه السلام أولاً إمدادهم له بالمال بهمزة الإنكار حيث قال اتمدونني بمال ثم علل إنكار الإمداد بقوله: ﴿فما آتاني الله خير مما آتاكم﴾ [النمل: ٣٦] ثم اضرب عن مجموع الإنكار والتعليل بكلمة بل متوجهاً إلى بيان ما حملهم عليه أي إلى بيان ما أمر دعا بلقيس وأهل مشورتها على إهداء الهدية وذلك الأمر الحامل الداعي عليه هو قياس حال سليمان على حالهم حيث ظنوا أنه يفرح بالهدية مثلهم وإن حاله مثل حالهم في كون الهمة مقصورة على الحطام الدنيوية وتكثيرها أنكر عليهم نبي الله إمدادهم بالمال مآل إنكاره إلى تجهيلهم بأنهم غير عالمين بحاله وأنه غني عن ذلك ثم ترقى إلى الأخذ فيما هو الأهم من ذلك الإنكار وهو الاعلام بأن ما جعلوه سبباً للامداد أقبح من ذلك الجهل وذلك أن قصارى أمرهم الفرح بما يهدى إليهم فقاسوا حال نبي الله بحالهم في أن ليس الرضاء والفرح إلا بالحظوظ العاجلة هذا إذا قدر إضافة المصدر إلى المهدى إليه الذي هو مفعوله وإما إذا جعلت الإضافة إلى المهدي الذي هو فاعله فالمعنى وأنتم بهديتكم هذه تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على اهداء مثلها والذي منح الله به من الدين والملك الواسع خير مما اتاكم فأنا لا أفرح بمثل هذه المحقرات التي تفتخرون بها وأولى الضمير حرف الاضراب ليفيد

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم في قصور الهمة بالدنيا) إلى بيان السبب متعلق بالإضراب أي خبر له وهو قياس حاله عليه السلام على قياس حالهم قوله عليه متعلق بالإنكار والضمير للرسول المتبوع أو لسليمان والجار والمجرور حال من الإمداد بالمال والأول أوفق.

قوله: (والزيادة فيها) أما في الصورة الأولى فظاهر وأما في الثانية فإنها وإن كان يرى نقصاً لكنه زيادة أيضاً لأنه بها يدفع المضرة والتسلط على الملك فلذا قالت بلقيس ادفع بها عن ملكي.

قوله تعالى: ﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾

قوله: (ارجع أيها الرسول إلى بلقيس وقومها) ارجع الظاهر أنه راجع إلى الرسول وأمر له وجوز في الكشاف أن يكون للهدهد.

قوله: (فلنأتينهم بجنود) الظاهر أن اللام ابتدائية والجملة خبرية وقيل اللام جواب القسم والفاء جواب شرط مقدر أي إن لم يأتوني مسلمين فلا يتوهم أنه حنث في يمينه إذ لم يقل إن شاء الله وكذا الكلام في كونه خبراً فإنه يلزم الكذب والأولى أنه قال إن شاء الله إذ عدم النقل لا يستلزم عدم الذكر وأما ما ذكره القائل من التقدير إن لم يأتوني مسلمين فبعيد إذ لم يساعد الوقت ذلك كما يدل عليه بقية القصة.

قوله: (لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة لهم على مقاتلتها وقرىء بهم من سبأ بذهاب ما كانوا فيه من العز أسراء مهانون) لا طاقة أي القبل بمعنى الطاقة إذ أصله بمعنى المقابلة

أنتم خصوصاً تفرحون بها ويجوز أن يعبر معنى تقوى الحكم من التركيب ولا يعبر معنى التخصيص فيفيد مطلق الرد أي أنتم لا بد لكم أن تفرحوا بمثل هذه المحقرات اتمدونني بمال وتزعمون أن من عادتي أن أفرح بأخذ الهدية بل أنتم من شأنكم أن تفرحوا به فخذوها وافرحوا وهذا معنى ما قاله صاحب لكشاف من أنه يحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها.

قوله: أيها الرسول يعني أن الخطاب بأرجع إلى الرسول أي المأمور في أرجع مفرد والمقدم ذكرهم جماعة بدليل قوله بم يرجع المرسلون فيحتمل على المصدر كقولهما أنا رسول رب العالمين وقيل الخطاب للهدهد كما في قوله اذهب بكتابي هذا ويؤيد الأول قولها فناظرة بم يرجع المرسلون لأن المعنى أني مرسلة إليهم بهدية أصانعهم بها وادافعهم عن ملكي فناظره ما يكون منه حرباً أو سلماً حتى أعمل على حسب ذلك فإن نبي الله عليه السلام لما وقف على أن الهدية كانت مصانعة منها وأنها خالفت ما أراد منها بقوله ﴿ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين﴾ احتد وغضب حمية للإسلام ولذلك عقب الأمر بالرجوع بالجملة القسمية المثبتة للذل والصغار جزاء على ذلك الصنع مرتباً عليه بالفاء الجزائية فقال: ﴿فلنأتينكم﴾ الآية.

قوله: لا طاقة لهم بمقاومتها حقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم.

besturdubooks.wordpress.com

بالمقابلة جعل كناية عن القدرة عليها والجزم بذلك إما بالوحي أو بحسب العادة فلا إشكال بأنه كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة فكيف يجزم بها والفرق بين الذلة والصغار أن الذلة بالنسبة إلى ذهاب العز عنهم بإذهاب مالهم وجاههم والصغار بكونهم أسراء محقرين وللمبالغة فيه اختير الجملة الاسمية.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: (﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ [النمل: ٣٨] أراد بذلك أن يريها بعض ما خصه الله تعالى به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقه في دعوى النبوة ويختبر عقلها بأن ينكر عرشها فينظر أتعرفه أم تنكره) قال يا أيها الملأ المراد من الملأ الجن والإنس بقرينة قوله قال عفريت من الجن والملأ في الأصل جماعة تملأ العيون لشرافتهم لكن المراد هنا ما ذكرناه ولا بعد في أن يكون المراد أشراف الجن والإنس قيل وكان الرسول رجع إليها وأخبرها بعظمته فعرفت أنها لا تقاومه فحفظت عرشها وتجهزت للخروج إليه ولا يخفى عليك أن ما ظهر من القصة أنه عليه السلام قال: ﴿يا أيها الملأ﴾ [النمل: ٣٨] الآية عقيب فراق الرسول عن مجلسه ولا يساعد الوقت ما ذكر في الرسول ورجوعه.

قوله: (فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه إلا برضاها) علة لإتيان العرش قبل إسلامهم وتخصيص بلقيس بالذكر مع العموم في النظم لأنها متبوعة قيل هذا مروي عن قتادة وليس هذا غنيمة ولم يذكر أحد أنه أخذه لتملكه وإنما أراد إظهار معجزته وقوته انتهى وهذا صريح في كلام المص حيث قال أراد بذلك أن يريها الخ ووجه كلامه هنا أن إثبات اليد على مال مسلم بغير رضاه محظور فلذا قيده به فقال قبل أن يأتوني وأما ما يفهم منه من حل أخذه قبل إسلامها فلأنه مال حربي يجوز إتلافه بنحو حرق وهدم وإتلاف بلا رضاء كما صرحوا به في أخذ مال الكفرة في شرع من قبلنا بخلاف مال المسلم فلا وجه للإشكال بأن الغنائم لم تحل قبل نبينا وأيضاً لا يرد عليه بأن هذا لا يناسب رد الهدية وتعليله بقوله: ﴿فما آتاني الله خير﴾ [النمل: ٣٦] الخ لأن هذا ليس بهدية كما أنه ليس بغنيمة لما عرفت من أن طلب إتيان عرشها ليس لطمع فيه فإن الأنبياء عليهم السلام بمعزل من ذلك لا سيما سليمان عليه السلام فإنه سخر له من الشياطين كل بناء وغواص فأنى يتوهم أن هذا لطمع عرشها ثم قيل مع أن الظاهر أنه بالوحي فيجوز أن يكون من خصوصياته لحكمة[1] كما أشاروا إليه فلا إشكال أصلاً ولا يخفى أن هذا ينافي أن حل

قوله: فإنها إذا أتت مسلمة لم يحل أخذه على ما روي عن قتادة أنه أراد أن يأخذه قبل أن تسلم لعلمه أنها إذا اسلمت لم يحل له أخذ مالها.

---

(١) إلا أن يقال إن هذا رخصة لحكمة دعت إليه إذ كم من حرام يرخص تملكه وتناوله لسبب دعا إليه وبهذا اندفع الإشكال بالمرة.

besturdubooks.wordpress.com

الغنائم من خصائص نبينا عليه السلام مع أنه احتمال لا يقوم عليه[1] دليل.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾

قوله: (قال عفريت خبيث مارد) قال استئناف ولذا ترك العطف عفريت التاء زائدة للمبالغة وللتنبيه عليه قال خبيث ثم قال مارد وهو الذي لا يعلق بخير وأصل التركيب للملابسة ومنه صرح ممرد وغلام أمرد.

قوله: (بيان له لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر) بيان له أي من للبيان أي عفريت الذي هو الجن أي بعض من الجن والظاهر أن من للتبعيض ومبين لما هو المراد.

قوله: (المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخراً) المعفر أقرانه أي يغلب أقرانه فيصرعه ويمرغه في التراب فالتعفير هو التمريغ في التراب على وجه الخبث والشرارة ومراده أنه يحسب الأصل والاشتقاق لا يختص بالجن وعن هذا بينه من الجن للاحتراز عن الرجل الخبيث من الإنسان.

قوله: (أنا آتيك) يحتمل الفعلية والاسمية وعلى التقديرين يفيد التخصيص على زعمه أو تقوية الحكم.

قوله: (من مجلسك للحكومة) ولعل التخصيص بالرواية وفهم من هذا الجواب أن مراده عليه السلام أيكم يأتيني بعرشها في أسرع وقت.

قوله: (وكان يجلس إلى نصف النهار) وكان يجلس أي الغداة إلى نصف النهار على الاستمرار.

قوله: (وأنى عليه) جملة تذييلية تؤكد لمفهوم الكلام ولهذا اختير الجملة الاسمية مع تأكيدها بأن.

قوله: (على حمله) لم يقل على إتيانه مع أنه مقتضى السوق إعلاماً لطريق إتيانه وحمله بمجرد القوة لا بالإعانة ولذلك قال لقوي ولم يقل قادر وكونه أميناً بالنظر إلى إتيان العرش ولا ينافيه كون خبيثاً مارداً في نفسه.

قوله: لأنه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه أي لأن لفظ العفريت يقال ويطلق على مثل ذلك الرجل قال الجوهري العفر بالتحريك التراب وعفره في التراب يعفره بالتخفيف وعفره تعفيراً أي مرعه في التراب وفي الأساس عفر قرنه وعاقره الزمه بالعفر أي صارعه فاعتفره أي ضرب به للأرض قال أبو عبيدة العفريت من كل شيء المبالغ يقال فلان عفريت نفريت وفي الحديث إن الله يبغض العفرية النفرية الذي لا يرزء أي في أهل ومال والعفرية المصحح والنفرية اتباع.

---

(١) وما لا دليل عليه لا يعبأ به.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لا اختزل منه شيئاً ولا أبدله) لا اختزل بالخاء والزاي المعجمتين بمعنى لا اقتطع شيئاً من جواهره وفرائده ولا أبدله قيل وإنما عبر عن القدرة بالقوة للحاجة في تحصيل ما ذكر إلى القدرة بالقوة أشار به إلى أن القوة وضع أولاً للمعنى الموجود في الحيوان الذي يمكنه أن يصدر عنه أفعال شاقة وقال الإمام ولهذه القوة مبدأ وهو القدرة ولازماً وهو عدم الانفعال بسهولة فاتضح الفرق بين القوة والقدرة لكن المراد بها القدرة وذهب الفاضل الخيالي إلى الترادف ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ [النمل: ٤٠] وهذا أبلغ من قال ذو علم وإن كان أطنب فإنه يفيد تقرر العلم فيه تقرر المظروف في الظرف ولم يضف إلى الكتاب لأن فيه إجمالاً وتفصيلاً وأيضاً يفيد التنكير أنه نوع من العلم بديع وهو العلم اللدني وعن هذا قيد بالكتاب.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: (آصف بن برخيا وزيره أو الخضر أو جبرائيل أو ملك أيده الله تعالى به) آصف بن برخيا وعليه الجمهور نقل عن القرطبي ولذا قدمه قيل إنه كاتب سليمان وبهذا احتج أهل الحق على جواز الكرامات ووقوعها حيث أتى آصف على الأشهر بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف مع بعد المسافة كذا في شرح العقائد لكن قيل إن المحتمل لا يكون حجة والجواب أنه وإن احتمل غيره لكنه مؤيد بنوع آخر من الكرامات.

قوله: (أو سليمان نفسه) ولا يرده الخطاب في قوله آتيك لأن الخطاب للعفريت كما صرح به المص والمعترض ذهل عنه قوله أنا آتيك مع أن الإتيان ليس للعفريت لأنه صار سبباً صورياً لإتيانه بهذه الكيفية ولا يرده أيضاً قوله فلما رآه إذ المناسب حينئذٍ فلما أتى به إذ المراد ليس الإخبار بالرؤية بل الرؤية مستقراً عنده وهذا لا يلائم الإتيان والقول بأنه لإظهار لا حول ولا قوة فيه يرده التعبير أولاً بالإتيان.

قوله: (فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وإن هذه الكرامات كانت بسببه) فيكون الخ وكذا التعبير عنه بذلك في الاحتمالات الأول للدلالة على شرف العلم وأن ما قدر عليه ليس بقوة جسمانية بل بقوة روحانية لا سيما في الاحتمال الأول فإن الأخيرين يمكن فيهما بقوة جسمانية لكن المراد هنا قوة روحانية قوله وإن الكرامات أي

قوله: لا اختزل منه شيئاً الاختزال الاقتطاع يقال اختزل عن القوم.

قوله: فيكون التعبير بذلك أي على تقدير كون المراد به سليمان نفسه يكون التعبير عنه بالذي عنده علم الكتاب للدلالة على شرف العلم ويكون الخطاب في أنا اتيك به من سليمان للعفريت فكان سليمان عليه السلام استبطأه أي عد الاتيان بالعرش قبل القيام من المجلس بطيئاً فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول.

besturdubooks.wordpress.com

المعجزة بقرينة قوله أو أراد إظهار معجزة وجه التعبير لأنها مما أكرمه الله تعالى ولعل اختياره للإشارة إلى أن كرامة آصف بسبب العلم بل الأخيرين أيضاً وإنما خص البيان بالأخير لأنه لما كان صاحب النبوة احتاج إلى بيان وجه اختيار العلم على النبوة.

قوله: (والخطاب في أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك للعفريت كأنه استبطأه فقال له ذلك أو أراد إظهار معجزة في نقله)[1] والخطاب في أنا آتيك أي على الاحتمال الأخير وقد مر توضيحه قوله كأنه استبطأه كان هنا للتحقيق لا للظن قوله أو أراد إظهار معجزة كلمة أو لمنع الخلو في نقله أي في نقل عرشها في أسرع وقت فعلى هذا ينبغي أن يكون الخطاب لكل أحد لكنه خص بالعفريت لأنه سبب صوري للإتيان وإلا فالإتيان له عليه السلام لا غير لكن يفهم بإشارة النص أنه معجزة لكل أحد من شأنه أن يطلب المعجزة.

قوله: (فتحداهم أولاً ثم أراهم أنه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلاً عن غيرهم) فتحداهم أولاً ولا تحدي هنا بل السوق لإتيان العرش لكن لما كان بعضهم منكراً نبوته كالعفريت فإنه خبيث مارد كما صرح به المص كان هذه المحاورة التحدي بالآخرة وإن كان الكلام مسوقاً لإتيان عرشها إذ أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يظهر لهم من أمور الدين والدنيا كذا صرح به المص في سورة طه في قوله تعالى: ﴿أو أجد على النار هدى﴾ [طه: ١٠].

قوله: (والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أو اللوح وآتيك في الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الأجفان للنظر فوضع موضعه) والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة أي جميعها المنزلة في هذا الزمان والتوصيف به مع أن العلم لا يكون إلا من الكتاب لتفخيم شأن العلم أو احتراز عن علم لا ينفع قوله أو اللوح أي على الثالث والرابع كما أن الأول على الأول والثاني قوله وآتيك الخ لكن الفعلية راجح لإفادة تقوي الحكم ولهذا قدمه فوضع موضعه أي موضع النظر وعبر عن النظر به مجازاً لكونه سبباً له ولا مانع من الحمل على ظاهره لكن الارتداد أظهر في النظر.

قوله: (ولما كان يوصف الناظر بإرسال الطرف كما في قوله:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوماً أتعبتك المناظر

قوله: وصف بالرد بالارتداد هو جواب لما أي لما وصف الناظر بإرسال الطرف إذ يقال فلان مرسل الطرف كما في البيت وصف بسبب رده الطرف بالارتداد أي بارتداد الطرف يقال فلان مرتد الطرف قال الإمام الطرف تحريك الأجفان عند النظر فإذا فتحت الجفن فقد يتوهم أن نور العين امتد إلى المرئي وإذا غمضت فقد يتوهم أن ذلك النور ارتد إلى العين فكما وصف الشاعر

---

(١) ولا يبعد أن يكون الخطاب على الأخير نفس سليمان عليه السلام بطريق التجريد نحو قول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد.

besturdubooks.wordpress.com

وصفه برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى أنك ترسل طرفك نحو شيء فقبل أن ترده أحضر عرشها بين يديك وهذا غاية في الإسراع ومثل فيه) ولما كان يوصف الناظر الخ شروع في وجه التجوز في ارتداد النظر وبيان له بأنه لما عبر عن النظر بالإرسال تعبيراً شائعاً بحيث يلحق الحقيقة والإرسال الإطلاق والتسريح إما لتوهم أن النور امتد من العين إلى المرئي وإما لتهيئة آلات للتحريك وتوجيهها نحو المنظور فعبر عن مقابله بالرد لذلك فيكون استعارة مبنية على استعارة أخرى أو مشاكلة كذا قيل وفيه رمز إلى مذهب الحكماء في وجه رؤية العين لكن لا ضير في تفهيم المراد والمعنى أي معنى الآية على أي احتمال كان أي يقول آصف لسليمان مد طرفك وقبل رد طرفه أحضر عندك عرشها وكذا يقول جبريل أو ملك أيده الله به هكذا أو يقول سليمان لعفريت ذلك وكنت الخ هو لعبد الله بن طاهر الحماسي وبعده:

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم وهو حال قاله الإمام المرزوقي أتعبتك جواب إذا والمناظر جمع منظر قوله رأيت الذي تفصيل لقوله أتعبتك المناظر إذا جعلت عينك طالبة لقلبك ما يهواه أوقعتك في المشاق التي لا تقدر على تحصيلها ولا تصبر على تركها.

قوله: (رأى العرش) فاعل فلما رآه فاعل قال على[1] الأخير.

قوله: (حاصلاً بين يديه) معنى مستقراً عنده ذهب ابن مالك إلى أن كون متعلق الظرف واجب الحذف إذا كان عاماً كحاصلاً ومستقراً أغلبي واختاره المص وإلا فينبغي أن يفسر مستقراً هنا بأنه ساكن غير متحرك أو اختار كون الظرف متعلقاً برآه والمراد بالساكن أنه قادر على حاله الذي كان عليه ففيه فائدة عظيمة.

ابتداء النظر بالإرسال وصف العالم الانتهاء بالرد ثم أسند الارتداد إلى الطرف على الإسناد المجازي وما بعد هذا البيت:

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

قال المرزوقي رائداً حال وجواب إذا اتعبتك وقوله رأيت الذي تفصيل لما أجمله اتعبتك المناظر والرائد الذي يتقدم القوم لطلب الكلأ لهم المعنى إذا جعلت عينك رائداً لقلب يطلب له هواه فيتعبك مناظرها وأوقعتك مواردها في اشق المكان وذلك أنها تهجم بالقلب في ارتيادها له على ما لا تصبر في بعضه على فراقه مع مهيجات اشتياقه ولا يقدر عن السلوى عن جميعه فهو ممتحن الدهر ببلوى ما لا يقدر على كله ولا يصبر عن بعضه وعن بعض الحكماء من أرسل طرفه استدعى حتفه وفي المثل الرائد يكذب أهله لأنه إن كذب هلك معهم قيل الشعر لعبد الله بن طاهر بن الحسين.

---

(١) وأما في البواقي فضمير فلما رآه لسليمان عليه السلام فحينئذٍ يلزم تكفيك الضمير ولا ضير فيه.

قوله تعالى: ﴿ومن شكر﴾ من قبيل التكميل والاحتراس.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (تلقياً للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله) تلقياً للنعمة بالشكر للاسترداد وجلب زيادة النعمة قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ [إبراهيم: ٧] قوله على شاكلته أي على طريقتهم التي تشاكل حالهم في الهدى ثم الأولى تلقياً بالانعام إذ الشكر له أولاً وللنعمة ثانياً والمراد بالشكر اللغوي ويحتمل العرفي بالعناية.

قوله: (تفضل به علي من غير استحقاق) ووهب لي بلا كسب مني قوله من غير استحقاق إشارة إلى ما ذكرناه إذ الاستحقاق بالكسب بحسب العادة فلا يتوهم سوء الأدب وقيل أي استحقاق بالذات ثم قال فلا يتوهم أنه سوء الأدب وفيه نظر.

قوله: (والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطرف) والإشارة إلى التمكن الخ أو إلى الحضور على هذه الكيفية وهو كونه ثابتاً في مقره وموضعه.

قوله: (من مسيرة شهرين بنفسه أو بغيره) لأنه تحول في أثناء ذلك من صنعاء إلى الشام كما قيل وإلا فمسافته من صنعاء ثلاثة أيام وقد عرفت أن الهدهد ذهب من صنعاء إلى سبأ قوله بنفسه أي بنفس سليمان عليه السلام أو غيره من آصف بن برخيا أو الخضر الخ لكن التمكن أي القدرة كونه مشاراً إليه يقتضي ظاهراً أن الإحضار من سليمان عليه السلام فالأولى كون الإشارة إلى الحضور.

قوله: (والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء) لم يقل في وقوع مثله لأن الوقوع موقوف على الإمكان لأنه لو لم يكن ممكناً يحمل مثل هذا على المجاز وقد أشار إلى إمكانه وأخبر الشرع بوقوعه فيجب على المكلف اعتقاده ولو أخبر الشارع بوقوع شيء واستحال ذلك الشيء عند العقل يحتاج إلى التأويل مثل قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه: ٥] وقد مر تحقيق ذلك في أوائل سورة الإسراء فليراجع إليه.

قوله: على شاكلة المخلصين أي على طريقتهم قال صاحب الكشاف والذي قاله سليمان عليه السلام عند رؤية العرش شاكراً لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من أنبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر.

قوله: والإشارة إلى التمكن من إحضار العرش أي الإشارة بكلمة هذا إلى القدرة على إحضار العرش.

قوله: والكلام في إمكان مثله قد مر في آية الإسراء قال هناك واختلف في أنه كان في المنام أو اليقظة بروحه أو بجسده والأكثر على أنه أسرى بجسده إلى بيت المقدس ثم عرج به إلى السموات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوا والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أن ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الأرض مائة ونيفاً وستين مرة ثم إن طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى في أقل من ثانية وقد برهن في الكلام أن الأجسام متساوية في قبول الاعراض وأن الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي عليه الصلاة والسلام أو في ما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ليبلوني) أي ليعاملني معاملة الامتحان.

قوله: (بأن أراه فضلاً من الله بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه) إشارة إلى أن المراد الشكر العرفي مع ملاحظة ما قبله.

قوله: (بأن أجد نفسي في البين أو أقصر في أداء مواجبه) بأن أجد نفسي في البين أي بأن أعتقد أن لنفسي مدخلاً في ذلك وهذا معنى البين هنا وحمل البين على البعد بعيد.

قوله: (ومحلها النصب على البدل من الياء) ومحلها أي محل الجملة وفي نسخة ومحلهما أي محل ءأشكر أم أكفر النصب على البدل من الباء بدل الكل وكل واحد بدل البعض وقد جعله في سورة الملك مفعولاً ثانياً لفعل البلوى لتضمنه معنى العلم ثم قال وليس هذا من باب التعليق لأنه يخل بها وقوع الجملة خبراً فلا تعلق الفعل عنها بخلاف ما إذا وقعت موقع المفعولين وأثبت التعليق في سورة هود والتوفيق بين كلاميه مذكور في سورة هود فلا تغفل قيل المناسب لما سيأتي في سورة الملك أن يجعل الجملتان واقعتين موقع المفعول الثاني لفعل البلوى.

قوله: (لأنه به يستجلب لها دوام النعمة وتزايدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها عن وصمة الكفران عن شكره) لأنه به يستجلب لها الخ أشار إلى أن منفعة الشكر راجعة إليه فقط فسارعوا إلى الكفر لاستجلاب المنفعة الدينية والدنيوية والمراد بالنفس هنا ذاته والقصر قصر الموصوف على الصفة قدمه للترغيب ولشرافته وإن كان قليلاً قال تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ [سبأ: ١٣] المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته مع أن شكره يحتاج إلى شكر آخر لا إلى النهاية ولذا قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر ﴿ومن كفر﴾ [النمل: ٤٠] من الكفران لا من الكفر حذف جزاؤه وهو فإنما يكفر على نفسه لأن ضرر كفره عليه لا يتعداه إلى غيره لظهوره بقرينة ما ذكر في قرينه وأقيم تعليله مقامه وهو قوله فإن ربي غني عن الشكر إذ خزائنه مشحونة به وهذا أولى مما قيل لا يتقرر إن لم يشكر.

قوله: (بالإنعام عليه ثانياً) لأنه لا لغرض ولا لعوض فلا يترك لعدم شكره فالوصف المذكور من تمام التعليل وهذان الوصفان أوقع هنا وفي سورة لقمان ﴿ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ [لقمان: ١٢] والمآل واحد.

قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله: (بتغيير هيئته وشكله) عطف تفسير وإطناب بل تطويل وإنما زاد لها لأن

قوله: ويحط عنها عبء الواجب العبء بالكسر الحمل وأنشد لزهير الحامل العبء الثقيل عن الجاني بغير يد ولا شكر ويقال لعدل المتاع عبء وهما عينان والجمع اعباء.

قوله: بتغيير هيئته وشكله فالمعنى اجعلوه متنكراً متغيراً عن هيئته وشكله قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره وأعلاه أسفله.

besturdubooks.wordpress.com

المراد التنكير لها لا لغيرها ولا لها ولغيرها فاللام للبيان كما في هيت لك إذ الاختبار والامتحان لها وكونه منكراً مطلقاً لا يضر إذ المقصود نفس بلقيس والقيد تنبيه على ذلك حيث جيء باللام الاختصاصية نظيره قوله: ﴿أيكم يأتيني بعرشها﴾ [النمل: ٣٨] مع أنه إذا أتى أتاهم جميعاً وكذا قوله أنا آتيك به وله نظائر كثيرة والمراد بالتغيير التغيير في الجملة بحيث يحصل به الجهل به إذ التنكير جعل الشيء بحيث لا يعرف فلا إشكال في كلام المص أصلاً.

قوله: **(جواب الأمر وقرىء بالرفع على الاستئناف)** جواب الأمر أن قصد السببية وإن لم يقصد السببية يبقى المضارع على رفعه وعن هذا قال وقرىء ننظر بالرفع على الاستئناف أي على الجواب عن سؤال يتضمنه ما قبله كأنه قيل ماذا أريد بالتنكير ورجح القراءة الأولى لأن ملاحظة السببية أمس بالمقام.

قوله: **(إلى معرفته أو الجواب الصواب وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله)** إلى معرفته وهو الظاهر من التنكير ولذا قدمه أو الجواب الصواب بالجر معطوف على معرفته وقيل إلى الإيمان بالله ورسوله قوله إذ رأت الخ بيان للأخير مرضه لأن الإيمان بالله لا يحتاج إلى تنكير عرشها بل إبقاؤه على حالته الأولى أعون على ذلك إلا أن يقال إن مراد القائل وإلى الإيمان بالله مع معرفته إذ الإيمان بدون المعرفة غير متصور فثبت الاهتداء إلى المعرفة اقتضاء لكونه لازماً متقدماً وبهذه النكتة الأنيقة ظهر صحة هذا الغرض أي كون الغرض من التنكير الاهتداء إلى الإيمان أو لم تهتد والجواب الصواب وهو جوابها حين سئلت بأنه أعرشك أم لا راجع إلى المعرفة وعلى كل احتمال تنازع الفعلان فيه.

قوله: **(إذ رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس)** وقد خلفته الخ فيه إشارة إلى أنها ذهب من سبأ إلى سليمان عليه السلام فقبل قدومها أتى عرشها فلما وصلت إلى سليمان رأت عرشها والحال أنها قد خلفت ذلك العرش مغلقة الأبواب وهذه معجزة باهرة فلهذا صح أن يقال أتهتدي إلى الإيمان وإنما اختير الإطناب حيث لم يجيء أتهتدي أم لم تهتد إذ المراد كونها من الطائفة الحمقى كما أشار إليه المص بقوله إذ ذكرت عنده سخافة عقلها والمعنى أم تكون أم يظهر كونها من زمرة الحمقى الذي لا قدرة لهم للمعرفة على ما هو عليه ولا الجواب المطابق للواقع فقوله أم لا تهتد لا يفيد ذلك والتعبير بقوله تكون لإفادة دوام ذلك[1] كما أخبر وفي من الذين تغليب.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ۝٤٢﴾

قوله: **(فلما جاءت)** أي جاءت هي وقومها الفاء فصيحة أي جاءت هي وقومها فلما جاءت الخ.

---

(١) وفيه أيضاً رعاية الفاصلة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (تشبيهاً عليها زيادة في امتحان عقلها) الظاهر أن تشبيهاً تفعيل من الشبهة بقرينة تعديته بعلى أي إلقاء الشبهة والمعنى المتعارف تعديته بالباء وإن أريد معناه المتعارف فتعديته بعلى لتضمنه معنى التلبيس وعلى التقديرين مراده به التعليل لقوله أهكذا عرشك لم يقل أهذا عرشك لئلا يكون تلقيناً للجواب فيختل الاختبار لأن كمال الامتحان بإلقاء الشبهة عليها.

قوله: (إذ ذكرت عنده سخافة عقلها) قالوا إن الشياطين قالوا إن يتزوجها سليمان عليه السلام فيولد منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس لأنها كانت بنت جنة فيخرجون من ملك سليمان هو أشد وأفظع فعابوا له في عقلها شيء وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش وتعرف ساقها ورجلها باتخاذ الصرح على ما يأتي بيانه كذا قيل.

قوله: (ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها) لاحتمال أن يكون مثله ولا يكون عينه فأتت بكأن الدالة على غلبة الظن في اتحاده معه مع الشك في خلافه فكأن هنا ليس للتشبيه بل للشك وهو مشهور كذا قيل وبيانه مختل لأنه فسره أولاً بغلبة الظن ثم قال للشك والظاهر أنه للتشبيه مطابقاً لسؤالهم بقولهم أهكذا عرشك فأجابت بأحسن الجواب سواء كان علمها به متحققاً أو لا إذ لا مانع من حملها على التشبيه نقل عن صاحب الانتصاف أنه قال الفرق بين كأن وهكذا إن كان تفيد قوة التشبيه حتى كان المتكلم يشكك نفسه في تغايرهما ولفظ هكذا تفيد الجزم بتغايرهما والحكم بوقوع التشبيه بينهما فلذلك عدلت عنها وهذا الفرق ليس بمشهور عندهم والعهدة عليه والظاهر من كلام المص أن بلقيس علمته حيث قال إذ رأته أن عرشها تقدم ثم قال هنا لاحتمال أن يكون مثله فبين الكلامين نوع تنافر ولو قيل إن قوله كأنه هو مثل قولك مثلك لا يبخل كناية عن أن يكون عينه ووجه التعبير به ليوافق قوله أهكذا عرشك لكان بعيداً عن الاضطراب إذ قد عرفت أن بيانهم مضطرب وسوق الكلام ينادي أنها علمت أنه عرشها وقد صرح به بعض المتأخرين.

قوله: (من تتمة كلامها) فحينئذٍ قولها وأوتينا العلم للتغليب ولم تقل علمنا مع أنه

قوله: تشبيهاً عليها وزيادة في امتحان عقلها وفي الكشاف هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الإشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقيناً فقالت كأنه هو ولم يقل هو هو أو ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل قال صاحب الانتصاف وفيه نكتة حسنة فإن الكاف كاف التشبيه في السؤال والجواب فحكمته أن كأن عبارة من قوي عند الشبهة بينهما وكادت تقول هو هو وهكذا هو عبارة جازمة للأمرين حاكم بوقوع الشبه بينهما فالأول أشبه بحال بلقيس قال الطيبي إن كان مركبة من كاف التشبيه وأن على ما قالوا إن الأصل في قولك كان زيد الأسد إن زيداً كالأسد فلما قدمت الكاف فتحت الهمزة ليكون داخلاً على المفرد لفظاً والمعنى على الكسر بدليل جواز السكوت عليه فلا يكون قولك كان زيداً أسد غير التشبيه بتوكيد مضمون الجملة بأن مثل زيد كالأسد.

besturdubooks.wordpress.com

أخصر للإشعار بأنه من مواهب الله تعالى قوله من قبلها تأكيد لأوتينا لاحتمال كون المراد المستقبل عبر بالماضي لتحقق وقوعه.

قوله: (كأنها ظنت أنه أراد بذلك اختبار عقلها وإظهار معجزة لها) مدار الظن أن هذه العبارة مشتهرة في الاختبار لكن لا جزم فيه ولهذا قال كأنها ظنت الخ ولم يقل ظنت قوله وإظهار معجزة وهذا الظن من إتيان عرشها قبل إتيانها لكن هذا بناء على أنه يأتيه سليمان بنفسه وعلمها بأنه يأتيه قبل ارتداد طرفه وكل منهما مظنون ولهذا قال كأنها ظنت أنه أراد إظهار معجزة.

قوله: (فقالت أوتينا العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك قبل هذه الحالة أو المعجزة بما تقدم من الآيات) بكمال قدرة الله مفعول العلم المقدر والتخصيص من مقتضيات المقام قوله قبل هذه الحالة أي هذه الخوارق العادة أشار إلى مرجع الضمير وزيادة لفظة من والمرجع مذكور حكماً فحينئذٍ يكون معنى قولها وكنا مسلمين وكنا مؤمنين ولما لم يكن العلم مستلزماً للإيمان بلا إذعان ذكرت وكنا مسلمين أي صرنا لأن إسلامهم بانتقال من الشكر.

قوله: (وقيل إنه من كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على إيمانها بالله ورسوله حيث جوزت أن يكون ذلك عرشها) وقيل إنه من كلام سليمان وقومه بتقدير القول في الحكاية لا في النظم أي وقال سليمان وقومه عاطفين كلامهم على كلامها فعطفهم في المحكي ولا بد للعطف في الحكاية من تقرير القول لما فيها من الدلالة على إيمانها فيكون العطف على المعنى كذا قاله الفاضل المحشي لكن قوله عطفوه على جوابها لا يلائمه هذا التقرير لأن ظاهره يقتضي أنه عطف على مقدر اقتضاه المقام إذ المقام يقتضي وصفها بكمال العقل في الهداية إلى الإسلام فالتقدير أصابت وكيت وكيت وأوتينا العلم الخ كذا فهم من تقدير البعض لكن لا بد من تقدير القول أي وقال سليمان أصابت الخ إلا أن

قوله: عطفوه على جوابها فيه نظر لأن جواب بلقيس هو قوله كأنه هو وله محل من الإعراب منصوب على أنه مقول قالت وعطفه عليه يشتركه في حكم إعرابه فيلزم أن يكون هو أيضاً مقول قولها فحينئذٍ لا يكون هو كلام سليمان وقومه وقد فسر رحمه الله معنى العطف على أنه كلام سليمان وقومه والجواب عنه أن العطف إنما هو قبل الحكاية وجواب بلقيس قبل الحكاية لا محل له من الإعراب وإعرابه كان بعد الحكاية والعطف ليس بعدها قال صاحب الكشاف في العطف كلاماً مبسوطاً حاصله أنه عطف على مقدر هو كلام سليمان أيضاً مع قومه فيكون عطفاً لأحد كلاميه على الآخر تقديره قد أصابت في الجواب وآمنت بالله الآن ونحن أوتينا العلم بالله من قبلها وكنا مسلمين يعنون أنها وإن أصابت في جوابها ورزقت الإسلام الآن ملقنة بالآيات السابقة الظاهرة عند وفدها والمعجزة اللاحقة التي هي خضور عرشها دفعة من مسيرة شهرين لكن أقدم منها في الإسلام ويكون غرضهم بكلامهم هذا التحدث والاعتراف بما أنعمه الله عليهم من السبق عليها في الإيمان ولتقدم فيه شكراً له قوله تجويزاً له غالباً إشارة إلى النكتة المذكورة التي بينها صاحب الانتصاف.

besturdubooks.wordpress.com

يقال إن وصل كلام إنسان بكلام إنسان آخر لا يبعد إذا دلت القرينة عليه كذا نقله الإمام عن الفراء في سورة يوسف فحينئذٍ لا يحتاج إلى تقدير القول ولهذا التكلف مرضه وأخره عكس الكشاف والقرينة على أنه من كلام سليمان وقومه قولهم وكنا مسلمين لأنه بحسب الأصل يفيد أنهم دائمون على هذه الحالة لا يتصفون بخلافها أصلاً وإليه أشار بقوله لم تزل على دينه.

قوله: (تجويزاً غالباً وإحضاره ثمة من المعجزات) تجويزاً غالباً بقولها كأنه هو هو وقد مر ما فيه وما عليه قوله من المعجزات وهذا ظاهر في الاحتمال الأخير وكذا في أيدي الملائكة وإن كان آصف كما هو المختار فلأن كرامة الأمة معجزة لنبيه وهذا معنى ما قيل[1] إقدار الله تعالى آصف معجزة لسليمان عليه السلام والمراد بالمعجزة ما يكون في صورة المعجزة من الأمور الخارقة للعادة الظاهرة في أيدي الأنبياء عليهم السلام وإن لم يكن معه تحد فإن استعمالها في هذا المعنى كثير.

قوله: (التي لا يقدر عليها غير الله تعالى ولا تظهر إلا على يد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أي وأوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما أنعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكراً له) لا يقدر عليها غير الله تعالى أي بطريق الكسب فلا مخالفة فيه لمذهب الأشاعرة.

قوله تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله: (أي وصدها عبادة الشمس عن التقدم إلى الإسلام أو وصدها الله تعالى عن عبادتها بالتوفيق للإيمان) أي وصدها ومنعها بطريق السببية عبادتها الشمس أشار إلى أن ما مصدرية والمراد من دون الله الشمس والتعبير به للتنبيه على أن عبادة جميع من دون الله كذلك صدها الأولى أن يقال كونها عابدة للشمس قوله عن التقدم إلى الإسلام هذا بيان حالها قبل الإسلام قوله أو صدها الله على أن فاعل صد ضمير الله بيان حالها بعد الإسلام بتقدير عن في قوله ما كانت قوله بالتوفيق إلى الإيمان متعلق بصدها وجوز أن يكون الفاعل سليمان عليه السلام أي وصدها بإظهار المعجزة والإسناد مجازي وجوز أن يكون ما موصولة وهو ضعيف لاحتياجها إلى تقدير الضمير للموصول وأيضاً المانع في الأول عبادتها لا ذات المعبود والممنوع عنه في الثاني العبادة دون ذات المعبود وعن هذا لم يلتفت إليه المص اخر الاحتمال الثاني لأن قوله إنها كانت يلائم الأول ملائمة ظاهرة وأيضاً قراءة الفتح على البدلية لا ينتظم الثاني بل لا ينتظم على كونه للتعليل.

قوله: أو صدها الله عن عبادتها هذا على تقدير حذف الجار وايصال الفعل والتقدير صدها عما كانت تعبد حذفت كلمة عن وأوصل فعل الصد إلى ما.

---

(١) وإلا فلا قدرة لآصف عليها ولا إقدار الله تعالى لما مر من أن المعجزة لا يقدر عليه غير الله تعالى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقرىء بالفتح على الإبدال من فاعل صد على الأول أي صدها نشوها بين أظهر الكفار أو التعليل له) وقرىء بالفتح على الإبدال الخ أي بدل الاشتمال فإن نشوها بين عبدة الشمس يتضمن عبادتها إياها لكن بذكر المبدل منه لا ينتظر إلى البدل وهو شرط فيه كما هو المشهور فالتعليل راجح قوله أو التعليل له بتقدير اللام الجارة قوله نشوها بين الخ إشارة إلى أن من للابتداء ويحتمل أن يكون للتبعيض فحينئذٍ يكون الكلام من تغليب الذكور على الإناث كما في قوله تعالى: ﴿وكانت من القانتين﴾ [التحريم: ١٢].

قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾:

قوله: (قيل لها) قائله سليمان أو غيره بأمره هذه حكاية أخرى غير متعلقة بأحوال العرش ولذا اختير الفصل[1] وعرف الصرح لكونه محسوساً لها.

قوله: (الصرح القصر وقيل عرصة الدار) الصرح القصر قدمه لأنه هو المشهور ولذا مرض القول الثاني لكن لا بد من تقدير المضاف في قوله فلما رأته أي فلما رأت صحنه الفاء فصيحة أي رأت القصر.

قوله: (فلما رأته) أي فلما أبصرته حسبته أي ظنته لجة وهي معظم الماء منشأ الظن كون صحنه من زجاج أبيض وللرؤية مدخل ما فلذا جعل الرؤية سبباً لهذا الظن لكفاية السببية في الجملة وكشفت أي فعزمت على الدخول وشمرت امتثالاً لأمره وكشفت فالمعنى على هذا سواء اعتبر تقديره في نظم الكلام كما هو الظاهر أولاً

قوله: وقرىء بالفتح على الابدال من فاعل صد أي على الابدال من ما في ما تعبدون وهو فاعل صد على الوجه الأول فيكون بدل الاشتمال لملابسة بين كفرها وعبادتها دون الله واشتماله عليها اشتمال العام على الخاص والتعليل له عطف على الابدال أي وقرىء بالفتح على الابدال أو على التعليل فيكون لام التعليل محذوفاً من أن والمعنى صدها عبادتها غير الله عن التقدم إلى الإسلام لأنها كانت من الكافرين.

قوله: الصرح القصر أي معنى الصرح القصر وقيل معناه عرصة الدار قال الراغب الصرح بيت عالٍ سمي به اعتباراً بكونه صرحاً عن الشوب أي خالصاً يقال ابن صريح أي بين الصراحة.

قوله: مملس قال الراغب المارد المريد من شياطين الجن والإنس المتعري عن الخيرات من قولهم شجر أمرد إذا تعرى من الورق ومنه رملة مرداء إذا لم ينبت شيئاً ومنه الأمرد لتجرده من الشعر وصرح ممرد من قولهم شجرة مرداء وكان معنى الممرد كما في قول الأعشى:

في مجدل مشيد بنيانه تزل عنه ظفر الطائر

---

(١) قيل لم تعطف على قوله قيل أهكذا عرشك لأنه استئناف في جواب ماذا قيل لها بعد الامتحان ولو عطف لم يفد ذلك ولا يخفى ما فيه.

besturdubooks.wordpress.com

واكتفى بانفهامه عن الكشف وقيل الواو فصيحة عاطفة على مقدر تقديره فشمرت زيلها فالمرتب على الحسبان المذكور مجموع المعطوف والمعطوف عليه فلم نطلع في كلام الثقات كون الواو فصيحة.

قوله: **(روي أنه أمر قبل قدومها فبنى قصر صحنه من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكداً فكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملاً على جميعه سؤق وأسؤق)** روي أنه الخ مراده توضيح المعنى أمر أي سليمان عليه السلام للجن ببناء القصر قبل قدومها فبنى قصر إشارة إلى ترجيح كون معنى الصرح القصر صحنه أي وسطه كذا في اللغة وألقى فيه حيوانات البحر أي السمك كما صرح به البعض لكن المتبادر من كلام المص العموم ووضع أي أمر سليمان بوضع سريره فوضعوه في صدر القصر فجلس عليه لينظر قدميها وساقيها لما مر من أنه ذكر عنده سخافة عقلها وقد امتحن عقلها فوجد عاقلة لبيبة رشيدة وذكر عنده أيضاً بأنها شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فأراد امتحان ساقيها ورجليها باتخاذ صرح حاله كذا قوله فكشفت إشارة إلى تفرعه عنه باعتبار ما ذكر وإنما ترك الفاء في النظم وجيء بالواو لأن الشرط سبب له بواسطة.

قوله: **(قال إنه: إن ما تظنينه ماء مملس)**.

قال سليمان لها بعد ما رأى ساقيها ورجليها حساناً خلاف ما أخبرته الشياطين أنه إن ما ظنت ماء صرح ذكر هنا لكونه غير معروف باعتبار وصفه وهو ممرد أي مملس مستو ومنه الأمرد لكونه مملساً من الشعر ولعل نظر سليمان عليه السلام إلى ساقها لإرادة التزوج

قوله: من زجاج روي أن سليمان أمر قبل قدومها فبنى له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء والقى فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والإنس وإنما فعل ذلك ليزدادها استعظاماً لأمره وتحققاً لنبوته وثباته على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتقضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والإنس فيخرجون من ملك سليمان إلى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئاً من السخافة وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقيها ورجلها فكشفت عنهما فإذا هي أحسن الناس ساقاً وقدماً إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها أنه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان وأحبتها وأقرتها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها مدينة في اليمن يقال لها سيلحون وبناء عظيماً في صنعاء يقال لها غمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام وولدت له وقيل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميراً حتى مات سليمان.

besturdubooks.wordpress.com

ويؤيده قول بعضهم وأراد سليمان عليه السلام تزوجها فكره شعرها فعمل لها الشياطين النورة فأزالته فنكحها وأما على القول على أنه زوجها من ذي تبع[1] الخ فمشكل إلا أن يقال إنه جائز في شرعه لكنه بعيد فالراجح تزوجها.

قوله: (من الزجاج) جمع زجاجة سمي به لقرارة الماء فيه والمعنى أنه مصنوع من قوارير وليس بمتعلق بقوله ممرد وقد سبق أن فبنى قصر صحنه زجاج ظاهره مخالف لما في النظم.

قوله: (**بعبادتي الشمس وقيل بظني سليمان فإنها حسبت أنه يغرقها في اللجة**) بعبادتي الشمس وهو الظاهر المطابق لما ذكر في النظم الجليل لأن الشرك ظلم عظيم وقيل بظني سليمان الخ وهذا هو الملائم لما قبله لكن هذا الظن لم يفهم مما قبله وعن هذا زيفه.

قوله: (**وأسلمت**) أي آمنت مصاحبة مع سليمان أي تابعة له فلا يقتضي المعية زماناً فيما أمر عباده لله رب العالمين وسبب الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إشعار لباعث إسلامه وإيمانه وهو الألوهية أي استحقاقه العبادة قوله: ﴿رب العالمين﴾ [الفاتحة: ٢] بيان استحقاقه العبادة.

قوله: (**فيما أمر عباده وقد اختلف في أنه تزوجها أو زوجها من ذي تبع[2] ملك همدان**) أو زوجها من ذي تبع أي صاحب هذا الاسم وهمدان بسكون الميم ودال مهملة من بلاد اليمن وبفتح الميم من بلاد العجم والظاهر إن أسلمت هنا خبر لا إنشاء لأن إيمانه قبل القدوم كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ [النمل: ٤٢] الآية نعم إنه يحتمل كونه إنشاء يحصل به إيمانها على تقدير كون ﴿وأوتينا العلم﴾ [النمل: ٤٢] الخ من كلام سليمان عليه السلام.

قـولـه تـعـالـى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله: (**ولقد أرسلنا**) أي وبالله لقد أرسلنا إلى ثمود قبيلة من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود[3] بن عامر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرىء مصروفاً باعتبار الحي أخاهم في النسب صالحاً بدل.

قوله: (**بأن اعبدوا الله وقرىء بضم النون على اتباعها الباء**) بأن اعبدوا الله أشار إلى أن إن مصدرية والباء الجارة محذوفة ويجوز وصلها بالأمر والنهي كما مر بيانه غير مرة ويجوز كونها مفسرة لتقدم ما فيه معنى القول دون حروفه ولم يتعرض له لما ذكره في مثله

قوله: على اتباع أي على اتباع ضمة باء اعبدوا كما في منحدر الجبل ضم الدال اتباعاً لضمة الراء.

---

(١) المراد من ذي تبع صاحب هذا الاسم.

(٢) أي سوء الظن.

(٣) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود فثمود جده الأعلى كما أنه جد قبيلة ثمود.

besturdubooks.wordpress.com

مراراً لكن الاكتفاء به أولى من عكسه ويجوز كونها مخففة من الثقيلة ولم يذكره أيضاً لما مر في قوله: ﴿أن اعبدوا الله﴾ [المائدة: ١١٧] حذفاً أي أرسلناه بتبليغ أن اعبدوا الله أي وحدوه لأنه ما لكم من إله غيره.

قوله: (ففاجئوا التفرق والاختصام) أشار إلى أن إذا للمفاجأة متسلخ عن الشرطية ومعتبر فيه معنى الظرفية إما ظرف مكان كما اختاره الزجاج أو ظرف زمان كما اختاره المبرد فالمعنى على الأول ففاجؤوا زمان التفرق والاختصام أو مكانهما التفرق والاختصام والعامل في إذا معنى المفاجأة على أنه مفعول فيه لا على أنه مفعول به بل المفعول به محذوف كما أشرنا إليه والفاء للسببية والمتعارف في مثله أن يقال ففاجأ صالح عليه السلام تفرقهم واختصامهم وما ذكره غير متعارف واعتذر بعضهم بقوله فما أوهموا من قوله فاجؤوا التفرق والاختصام ليس بمراد فإنه بيان حاصل المعنى ومفاجأة التفرق ووقوعه عقيب الإرسال والمعنى فاجأ إرسالنا تفرقهم الخ والفاضل المحشي جعل ما ذكره المص وجهاً آخر والكل تكلف فالأحسن ما ذكرناه وما ذكره هنا لم نطلع عليه في غير هذا الموضع قال في قوله تعالى: ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ [طه: ٦٦] الآية والمعنى ففاجأ موسى تخييله وقت تخييله سعي حبالهم الخ وهو الأليق بالمعنى لهذا المبنى.

قوله: (فآمن فريق وكفر فريق) هذا التفرق والاختصام بأن يقول كل فريق الحق معي وقد مر تفصيله في سورة الأعراف في قوله: ﴿قال الملأ الذين استكبروا للذين استضعفوا﴾ [الأعراف: ٧٥] الآية والمراد بالفريق فريق من ثمود وقيل قوم صالح فريقان والمآل واحد.

قوله: (والواو لمجموع الفريقين) والواو أي ضمير يختصمون لمجموع الفريقين وهو صريح في أنه صفة فريقان إذ لو كان خبراً ثانياً لكان الواو للمبتدأ وهو هم لكن قولهم ففاجؤوا التفرق والاختصام يشير إلى أنه خبر ثانٍ حيث عطف على التفرق فلا مجال لجعله صفة لفريقان فأشار في الموضعين إلى الوجهين كما هو عادته في بعض المواضع.

قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (قال) استئناف بياني يا قوم أي يا من كفر من قومي بقرينة لم تستعجلون وقيل وفريق الكفرة أكثر فلذا ناداهم يا قوم لجعلهم في حكم الكل ولا يخفى ضعفه إذ إدخال الفريق المؤمن في خطاب لم تستعجلون لا يخلو عن دغدغة واعتبار التغليب لا يرضى عنه اللبيب.

قوله: والواو لمجموع الفريقين أي ضمير الفاعل وهو الواو في يختصمون لمجموع فريقي الثمود لا لأحدهما إذ يقول كل فريق من هذين الحق معي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بالعقوبة فتقولون ﴿ائتنا بما تعدنا﴾ [الأعراف: ٧٧]) بالعقوبة لم يقل بالمعاصي لأن استعجالهم بالعقوبة تهكماً لقوله تعالى: ﴿وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا﴾ [الأعراف: ٧٧] الآية مع أن استعجالهم بالمعاصي يلزم لاستعجالهم بالعقوبة بطريق الاقتضاء دون العكس وصيغة المضارع إما لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار فإنهم استعجلوه وكانوا في صدد الاستعجال بعد وسين الاستعجال للطلب إذ الاستعجال من العبد والتعجيل من الله تعالى بمعنى الإسراع.

قوله: (قبل التوبة فتؤخرونها إلى نزول العقاب) قبل التوبة فسرها بها لأن الحسنة يطلق على العبادة كما تطلق على العافية والنعمة والتوبة من أنواع الطاعة إذ سائر الطاعات لا تقبل من الكفرة بلا توبة فتؤخرونها أي التوبة إلى نزول العذاب فتتوبون حين لا ينفع.

قوله: (فإنهم كانوا يقولون إن صدق إيعاده تبناً حينئذٍ قبل نزوله) فإنهم كانوا علة لمقدر وهو أنهم يؤخرون إلى العذاب فإنهم كانوا الخ ولولا في لولا تستغفرون الخ للتحضيض أي هلا تستغفرون الله وهذا قرينة قوية على أن المراد بالحسنة التوبة كما أن المراد بالاستغفار هنا التوبة قبل نزول العذاب فإنه هو المفيد.

قوله: (﴿لعلكم ترحمون﴾ [يس: ٤٥] بقبولها فإنها لا تقبل حينئذٍ) لعلكم ترحمون حال من الفاعل أي راجين الرحمة والمغفرة وفيه تنبيه على أن التائب وإن بالغ في التوبة وفي مراعاة شرائطه لا ينبغي أن يجزم بقبوله لها وأن يكون بين الخوف والرجاء.

قوله تعالى: قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾

قوله: (قالوا اطيرنا تشاءمنا إذ تتابعت علينا الشدائد أو وقع بيننا الافتراق) قالوا اطيرنا بك استئناف معاني أصله تطيرنا فأدغم فصار اطيرنا قوله تشاءمنا تعريف لفظي له أي اعتقدنا بأنه ما أصابتنا شدائد إلا بشؤمكم وشرككم وهذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فإن الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك إذ لم تؤثر فيهم مشاهدة الآيات بل زادوا عندها عتوا وانهماكاً فجعلوا الخير المحض شراً وسبباً لإصابة الشر.

قوله: (منذ اخترعتم دينكم) فالسبب في زعمهم لإصابة الشدائد الدين القويم فالمعنى حينئذٍ تشاءمنا بدينكم فبالغوا وتشاءموا بأنفسهم كأن شآمة الدين المخترع تجاوز لشدته إلى من اخترعه.

قوله: فإنهم كانوا يقولون هذا جواب لما عسى يسأل ويقال من أن السيئة التي هي عقوبة أفعالهم القبيحة والحسنة التي هي التوبة معدومتان عند استعجالهم ذلك فما معنى الاستعجال بأحد العدمين قبل الآخر فأجاب بأنهم يقولون إن صدق الخ يعني قال صالح لهم ذلك على وفق معتقدهم فإن اعتقادهم أنه عليه الصلاة والسلام إن صدق في إيعاده ونزل علينا العذاب تبنا حينئذٍ ولم يعلموا أن التوبة لا تنجع في ذلك الوقت.

قوله: فإنها لا تقبل حينئذٍ أي فإن التوبة لا تقبل عند نزول العذاب فإنها عند مشاهدة العذاب توبة يأس فلا تقبل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (سببكم الذي جاء منه الشر وهو قدره أو عملكم المكتوب عنده) سببكم الذي الخ لما كان العرب يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه أي إذا مر به طائر سانحاً وهو ما وليه بمسيرة وبارحاً وهو ما وليه يمينه يتيمنون بالأول ويتشاءمون بالثاني فنسبوا الخير والشر إلى الطائر ثم استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد فأشار المص بقوله سببكم الخ إلى هذا التفصيل ولم يذكر الخير لأن الشر هو المناسب للمقام والعمل عام لسوء عقائدهم الظاهر المعنى الثاني هنا ويؤيده قوله تعالى في سورة ياسين: ﴿قالوا طائركم معكم﴾ [يس: ١٩] وهو سوء عقيدتكم وشؤم معاصيكم والتعرض للقدر ليس بمناسب هنا لأن الكلام مسوق للتوبيخ.

قوله: (تختبرون بتعاقب السراء والضراء والإضراب من بيان طائرهم) تختبرون معنى تفتنون إذ الفتنة بمعنى الاختبار والامتحان سواء كان بالمنحة أو بالمحنة لقوله تعالى: ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥] وإن كثر استعماله عرفاً في المحنة وفيما يشق على الإنسان ومقتضى السوق الاكتفاء بالامتحان بالضراء هنا إذ الكلام في تتابع الشدائد فزعموا أن سببه شؤم صالح عليه السلام ومن معه من أهل الإسلام فرد عليه السلام عليهم بأنه بسبب شؤم أعمالكم ثم اضرب عنه إلى ذلك فقال بل أنتم قوم شأنكم كونكم مختبرين بأنواع الشدائد قبل اختراعنا الدين المستقيم فهو للترقي لا للإبطال.

قوله: (الذي هو مبدأ ما يحيق بهم إلى ذكر ما هو الداعي إليه) الذي هو مبدأ ما يحيق بهم أي يحيط بهم ويحل بهم لأنه سببه.

قوله: سببكم الذي جاء منه شركم عند الله وهو قدره كان الرجل يخرج مسافراً فيمر بطائر فيزجره فإن مر ما ولاه ميامنه تيمن وإن مر ما ولاه مياسره تشاءم فلما نسبوا الخير والشر إلى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ [الإسراء: ١٣] وعند أهل السنة عملكم مكتوب فيه عند الله مقدر من عنده وهو المراد بقوله: أو عملكم المكتوب عنده ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته إن شاء رزقكم وإن شاء حرمكم.

قوله: والاضراب من بيان طائرهم الذي هو مبدأ ما يحيق بهم يعني بين أولا طائرهم أي سببهم الذي هو مبدأ ما يحيط بهم من عذاب القحط وباقي الشدائد المتتابعة عليهم ثم اضرب بكلمة بل إلى ذكر سبب ذلك السبب والغاية منه فإن السبب ما احاط بهم من الشدائد هو قدر لله تعالى وقضاؤه الأزلي وقضاء الله حكمه النافذ في الأشياء ولا يخلو حكمه تعالى عن حكمة هي علة غائية له والحكمة في تعاقب السراء والضراء على عباده هي اختبارهم يختبرهم في السراء هل يشكرون أو يكفرون وفي الضراء هل يصبرون أو يجزعون فالإضراب بيان السبب إلى بيان سبب السبب وهو المراد من قوله إلى ذكر. . . . الخ.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله: (وكان في المدينة) مدينة قوم ثمود وهي الحجر وهو واد بين المدينة والشام يسكنونها.

قوله: (تسعة أنفس) أي أشخاص لأن النفس تكون بمعنى الذات والشخص كما يكون بمعنى الروح وغيره فهو مذكر كالشخص كما نقل عن المصباح فلا وجه للاعتراض بأن الأظهر تسعة رجال فإن النفس مؤنث سماعي.

قوله: (وإنما وقع تمييزاً للتسعة باعتبار المعنى) لأنه بمعنى الجماعة فلا يضره كونه مفرداً للفظ وإنما صح إضافته مع أنه اسم جمع والقياس فيه كونه مجروراً بمن كقوله تعالى: ﴿فخذ أربعة من الطير﴾ [البقرة: ٢٦٠] لما عرفته من أنه في معنى جمع القلة كما أشار إليه بقوله تسعة أنفس والعدد يضاف إلى تمييزه إذا كان جمع قلة فيما دون العشرة وكذا يضاف إذا كان بمعنى جمع القلة وأريد به ذلك كما فيما نحن فيه فلا إشكال بخمسة من القوم فإنه وإن كان في معنى جمع القلة بالتأويل لكنه لم يقصد به فإذا قصد صح الإضافة أي خمسة قوم بمعنى خمسة أشخاص.

قوله: (والفرق بينه وبين النفر أنه من الثلاثة أو السبعة إلى العشرة والنفر من الثلاثة إلى التسعة) أنه أي الرهط من الثلاثة الخ فيكون إطلاق الرهط على شخص واحد كما هو مقتضى النص مجازاً نقل عن القرطبي أنه قال الرهط اسم الجماعة فكأنهم كانوا رؤساء يتبع كل واحد منهم رهط فيكون استعارة شبه كل واحد منهم برهط بسبب استجماع خصال الجماعة لكونه رئيساً متبوعاً قوله إلى العشرة والغاية داخلة في المغيا لما قال في الأحقاف والنفر دون العشرة فهو صريح في دخول التسعة أي التاسع وكذا الكلام في العشرة ومعنى الكلام أن الرهط مبتدأ من الثلاثة أو السبعة والزائد عليها إلى العشرة ولا بد من هذا التقدير في مثل هذا الكلام إذ لا امتداد في الثلاثة حتى يكون له غاية.

قوله: (أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الصلاح) أي شأنهم الخ أي صيغة

قوله: وإنما وقع تمييز التسعة باعتبار المعنى يعني لا يحتاج التسعة إلى أن يميز بالرهط لأن التسعة لا يحتمل أن يكون غير الرهط حتى يميز بالرهط رفعاً لإبهامه لأن الرهط يطلق من الثلاثة أو من السبعة إلى العشرة فما بينهما من الأعداد رهط فاعتذر رحمه الله عن ذلك بأن قال إنما وقع الرهط تميزاً للتسعة نظراً إلى جانب المعنى لأن الرهط بمعنى الجماعة فكأنه قيل تسعة أنفس وأسماؤهم هذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورباب بن فهرج ومصدع بن فهرج وعمير بن كردبة وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفي وقد أزين سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من أبناء أشرافهم.

قوله: أي شأنهم الإفساد الخالص عن شوب الإصلاح هذا دفع لما يتوهم من أن قوله عز من قائل: ﴿يفسدون﴾ [النمل: ٤٨] يعني بحسب الظاهر عن قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ [النمل: ٤٨] لأن الافساد ضد الإصلاح واتصاف المحل بأحد الضدين يدفع اتصاله بالضد الآخر لأن الضدين لا

besturdubooks.wordpress.com

المضارع هنا للاستمرار المفيد كونه عادة لهم ولذا اختير على الماضي وأيضاً في الأرض يفيد عموم إفسادهم لأن الإفساد لا يكون إلا في الأرض فذكرها لتأكيد العموم كقوله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض﴾ [الأنعام: ٣٨] الآية قوله الخالص أي الخالي عن شوب الصلاح إذ الإفساد قد يكون مشوباً أي مخلوطاً بالصلاح كقتل الخضر عليه السلام غلاماً وخرق السفينة فقوله: ﴿ولا يصلحون﴾ [الشعراء: ١٥٢] من قبيل الاحتراس والتكميل.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

قوله: (قالوا) استئناف.

قوله: (أي قال بعضهم لبعض) فحينئذٍ إسناد القول إلى المجموع مجاز إذ القائل بعضهم[1].

قوله: (أمر مقول) وهو الظاهر أي تخالفوا بالله لا بغيره وهم معترفون بالله تعالى لكنهم عبدوا أصناماً فنهى عنه صالح عليه السلام فأرادوا سوء القصد ثم أكدوا بالقسم بالله تعالى.

قوله: (أو خبر وقع بدلاً أو حالاً بإضمار قد) أو خبر أي فعل ماض بمعنى قاسموا واقتسموا فحينئذٍ يكون الكلام دالاً على قسمهم وأما في صورة الأمر فوقوع القسم مفهوم من عرض الكلام.

يجتمعان في محل واحد فأجاب عنه بجواز الاتصاف بهما على سبيل البدل فيفيد قوله: ﴿ولا يصلحون﴾ [النمل: ٤٨] أنهم مستمرون على الافساد ولا يفعلون الصلاح قط ومعنى الاستمرار مستفاد من صيغة المضارع في يفسدون والمراد الاستمرار التجددي وأشار رحمه الله إلى إرادة معنى الاستمرار بلفظ الشأن في قوله أي شأنهم الإفساد الخالص قال الراغب الصلاح ضد الفساد وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة قال الله تعالى: ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف: ٥٦] وقال تعالى: ﴿خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً﴾ [التوبة: ١٠٢] والصلح مختص بإزالة النفار أي بإزالة المنافرة الكائنة بين المتخاصمين وإصلاح الله تعالى للإنسان تارة يكون بخلقه إياه صالحاً وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده وتارة يكون بالحكم له بالصلاح وفي الكشاف ﴿ولا يصلحون﴾ [النمل: ٤٨] يعني أن شأنهم إلا الفساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح أو خبر وقع بدلاً والمراد بالخبر ما يقابل الإنشاء أي قوله تعالى: ﴿تقاسموا﴾ [النمل: ٤٩] إما إنشاء محله النصب بأنه مقول قالوا أو خبر وقع بدلاً من قالوا أو حال من واو قالوا بإضمار قد لأنه ماضٍ والمعنى قالوا متقاسمين.

---

(١) لرضاء قولهم فكأنهم قالوا جميعاً كما أنهم مقول لهم جميعاً والاختلاف الاعتباري كاف في ذلك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لنبيتنه) مقول القول على الاحتمال الثاني وقيل إنه محذوف لنبيتنه جواب القسم كما في صورة الأمر.

قوله: (لنباغتن صالحاً وأهله ليلاً) أي نفاجئهم بالإيقاع منهم ليلاً وإهلاكهم فجأة وهم غافلون عن ذلك.

قوله: (وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرىء بالياء على أن تقاسموا خبر) على خطاب بعضهم لبعض على الوجه الذي مر في توجيه قالوا من المجاز العقلي ولكون البعض مبهماً يتناول جميعهم بحسب المعنى فحينئذٍ يكون ما قبل نون التأكيد مضموماً وكذا في القراءة بالياء وأما بنون المتكلم فبالفتح قوله على أن تقاسموا خبر أي على قراءته بياء الغيبة إذ لا معنى له على تقديره أمراً أي لا معنى لقولهم احلفوا ليبيتن صالحاً وفي قراءته بتاء الخطاب يجوز فيه الوجهان.

قوله: (فيه القراءات الثلاث) ثم لتقولن بفتح اللام أو بضمها في القراءة بالتاء أو بالياء.

قوله: (لولي دمه) بتقدير المضاف بمعونة المقام إذ أثر الولاية إنما يظهر في الدم بعد الموت.

قوله: (فضلاً عن أن تولينا إهلاكهم) أشار إلى أن ما شهدنا مهلك أبلغ مما قتلناه ولم يقل وفضلاً عن أن تولينا إهلاك صالح عليه السلام لأن عدم شهود مهلك أهله يستلزم عدم شهود مهلكه لأن الاحتراز عن مهلك المفضول مستلزم عن الاحتراز عن مهلك الفاضل ولذا اكتفى به.

قوله: لنباغتن صالحاً ليلاً المباغتة المفاجأة يقال لست آمن من بغتات العدو أي فجاءته يقال لقيته بغتة أي فجأة وبغته أي فاجأه ومعنى بيت العدو أوقع بهم ليلاً والاسم البيات ولما كان معنى البيات مناسباً لمعنى المباغتة فسره بها وعن الإسكندر أنه أشير عليه بالبيات فقال ليس من آيين الملوك استراق الظفر.

قوله: وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على خطاب بعضهم لبعض فعلى هذا يجوز أن يكون تقاسموا أمراً وخبراً فإذا كان أمراً يكون المعنى احلفوا لتبيتنه وإذا كان خبراً يكون المعنى حلفوا لتبيتنه أي حلفوا بأن خاطب بعضهم بعضاً قائلاً لتبيتنه وأما إذا قرىء بالياء يكون تقاسموا خبراً ليس إلا فالمعنى قالوا ليبيتنه متقاسمين أو حلفوا ليبيتنه كقولك حلف بالله ليفعلن بالياء التحتاني وجوز بعضهم كون تقاسموا أمراً على قراءة الياء التحتاني بأن قدر يقسم بعضكم بعضاً والمعنى احلفوا يقسم بعضكم بعضاً ليبيتنه وقال صاحب الكشاف تقاسموا يجوز أن يكون أمراً أمر بعضهم بعضاً بالتقاسم والتحالف على التبييت وقال الزجاج ومن قرأ بالتاء فكأنه قال احلفوا لتبيتنه وكأنه أخرج نفسه من اللفظ ويجوز أن يكون قد ادخل نفسه في التاء لأنه إذا قال تقاسموا فقد قال تحالفوا ولا يخرج نفسه من التحالف ومن قرأ بالياء فالمعنى قالوا ليبيتنه متقاسمين وكان هؤلاء تحالفوا أن يبيتوا صالحاً ويقتلوه وأهله في بياتهم ثم ينكرون عند أولياء صالح أنهم ما شهدوا مهلكه ومهلك أهله ويحلفون أنهم صادقون في ذلك فهذا هو مكر عزموا عليه قال الله تعالى: ﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ [النمل: ٥٠] إلى هنا كلام الزجاج.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان) وهو أي المهلك من أهلك يحتمل المصدر أي الإهلاك الموجود في الخارج لأن المراد الحاصل بالمصدر إذ الشهود إنما هو للموجود والزمان فحينئذٍ النسبة مجازية إذ المراد هلاكه الواقع في ذلك الزمان وإلا فكل موجود في زمان شيء فهو مشاهد له ووجودهم فيه محقق لا محالة فلا مجال للإنكار والفرق أن في الثاني أريد المصدر الواقع في ذلك الزمان وفي الأول يراد المصدر ولا يلاحظ فيه وقوعه في الزمان قوله والمكان أخره مع أنه هو الظاهر في بادىء الرأي إذ المقصود هو الحضور في نفس الهلاك لإمكانه وإن تلازما لكن النسبة فيه حقيقية لا مجازية كما في الزمان فالأولى تقديم المكان على الزمان.

قوله: (وكذا مهلك في قراءة حفص فإن مفعلاً قد جاء مصدراً كمرجع وقرأ أبو بكر بالفتح فيكون مصدراً) وكذا مهلك من الثلاثي بكسر اللام وهو نادر ولهذا قال كمرجع وقد قالوا إن المهلك والمرجع والمحيض والمكيل مصادر أربعة لا خامس لها فيكون مصدراً على القياس ولا يحتمل كونه مكاناً وزماناً.

قوله: (ونحلف إنا لصادقون) أي إنه معطوف على ما شهدنا فإنه مقسم عليه بواسطة القسم على قوله فلا حاجة إلى القول بأنه معطوف على ما شهدنا ظاهراً ومعطوف على لنقولن حقيقة.

قوله: (أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا إذ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً) أو والحال إنا لصادقون فيكون الواو للحال لا للعطف فلا يكون مقسماً عليه قوله إذ الشاهد للشيء غير المباشر لكن لا في اللغة بل في العرف فيريدون به المعنى العرفي فيكونون صادقين في نفس الأمر بناء على العرف فإنهم مباشرون الإهلاك لا الحاضرون وينصره قوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ [النور: ٢] ولا شك أن تلك الطائفة لم

قوله: وكذا مهلك في قراءة حفص أي كما يحتمل مهلك بفتح الميم واللام في قراءة أبي بكر المصدر والزمان والمكان يحتملها أيضاً مهلك بفتح الميم وكسر اللام في قراءة حفص وقراءة الباقون بضم الميم وفتح اللام وهو أيضاً يحتمل هذه الوجوه الثلاثة المذكورة وكونه اسم مفعول من أهلك قال أبو البقاء مهلك بضم الميم وفتح اللام فيه وجهان أحدهما أنه مصدر بمعنى الاهلاك كالمدخل والثاني هو مفعول أي لمن أهلك أو لما أهلك منها ويقرأ بفتحهما وهو مصدر هلك يهلك ويقرأ بفتح الميم وكسر اللام وهو مصدر أيضاً ويجوز أن يكون زماناً وهو مضاف إلى الفاعل أو المفعول على لغة من يقول هلكته أهلكته وفي حواشي الكشاف والأعرا في المصدر الفتح والكسر قليل والكسر جاء في المكان مثل المرجع قيل المرجع والمهلك والمحيض والمكيل أربعة لا يوجد لها خامس.

قوله: ونحلف إنا لصادقون أو الحال إنا لصادقون يعني أن قوله: ﴿وإنا لصادقون﴾ [النمل: ٤٩] إما عطف على لتقولن أو على ما شهدنا بتقدير نحلف أو بتضمنه معنى الحلف المعتبر في المعطوف عليه فيكون داخلاً في التقاسم وإما حال من فاعل لنقولن أو شهدنا جاءت بالواو لكونه جملة اسمية.

قوله: لأن الشاهد للشيء غير المباشر له هذا التوجيه إنما يحتاج إليه على تقدير كون جملة

besturdubooks.wordpress.com

يباشروا عذابهما وكونهم أهل العرف لا يضر لأنهم أوهموا الولي أنهم أرادوا المعنى اللغوي فإذا هم كاذبون لأنهم حضروا بالمباشرة لكنهم يريدون المعنى العرفي فهم صادقون لأنهم ما شهدوا فقط بدون المباشرة بل حضروا مع المباشرة فإنهم صادقون في نفي الحضور بلا مباشرة وهو المعنى العرفي.

قوله: (أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمة رجلاً بل رجلين) أو لأنا ما شهدنا مهلكهم وحده ويقيد وحده صاروا صادقين فلا يرد إشكال صاحب الانتصاف عند الإنصاف بأن من فعل أمرين وجحد أحدهما لم يكن في كذبه شبهة إلى آخر ما قاله فإن هذا الإشكال بناء على الغفول عن قيد وحده لأن من فعل أمرين وجحد فعل أحدهما حال كونه منفرداً ألم يكن في صدقه شبهة والفرق بين إنكار فعل أحدهما وبين إنكار كون فعل أحدهما منفرداً واضح إذ المنكر في الأول ذات الفعل وهو كذب وفي الثاني كونه منفرداً وهو صدق.

قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠﴾

قوله: (بهذه المواضعة) أي الحيلة في ادعاء الصدق المذكور أو الخدعة في قولهم لنبيتنه وأهله وإنما عبر بالمكر لأنهم قصدوا بذلك إبطال الحق والتأكيد بالمفعول المطلق في الموضعين للإشارة إلى المبالغة فيه.

قوله: (بأن جعلناها سبباً لإهلاكهم) أي تلك المواضعة سبباً لإهلاكهم والمكر من حيث إنه في الأصل حيلة يجلب بها غيره إلى مضرة لا يسند إليه تعالى إلا على سبيل الازدواج والمشاكلة أي بطريق الاستعارة وقد فصل في تفسير قوله تعالى: ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ [البقرة: ٩] الآية المواضعة الموافقة في أمر مخصوص تقول واضعته في الأمر إذا وافقته فيه على شيء.

﴿وإنا لصادقون﴾ حالاً وأما على تقدير عطفها على ما قبلها ودخولها في حيز التقاسم لا يلزم صدقهم حتى يحتاج إلى تكلف توجيه صدقهم.

قوله: كقوله ما رأيت رجلاً ثمة بل رجلين يختلف العلماء في أن من حلف أن لا يضرب زيداً فضرب زيداً وعمروا كان حانثاً بخلاف من حلف أن يضرب زيداً وعمروا فضرب أحدهما فهو محل خلاف العلماء في الحنث وعدمه وما أورده رحمه الله في تفسير ﴿وإنا لصادقون﴾ هو مأخوذ من كلام صاحب التقريب حيث قال لعل المراد وما شهدنا مهلك أهله فضلاً أن تولينا إهلاكهم ونحلف إنا لصادقون أو والحال إنا لصادقون فيما ذكرنا لأن الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً أو لأنا ما شهدنا مهلك أهله وحدهم بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثم رجلاً بل رجلين إلى هنا كلامه قال الطيبي التقدير الأول وهو نحلف إنا لصادقون كما نص عليه الزجاج ليكون عطفاً على ما شهدنا ويدخل في حيز التقاسم أولى وأوجه ولا يلزم صدقهم ولا يحتاج إلى تلك التكلفات وعليه قول إخوة يوسف: ﴿واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ [يوسف: ٨٢] فإن قولهم ﴿وإنا لصادقون﴾ تأكيد في محل القسم بتقدير ونقسم أو نحلف إنا لصادقون.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بذلك روي أنه كان لصالح في الحجر مسجد في شعب يصلي فيه فقالوا زعم أنه يفرغ منا إلى ثلاث[1] فتفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث) روي الخ شروع في بيان مكرهم في شأن صالح عليه السلام ومكره تعالى في شأنهم لكن في هذه الرواية بيان مكرهم في شأنه عليه السلام مع أن النص ناطق بأن مكرهم في أمره وأهله ولعل لهذا قال[2] روي الخ في شعب بكسر الشين الطريق في الجبل لكن الظاهر المراد الغار يصلي صفة مسجد والمضارع للاستمرار إلى ثلث الغاية داخلة بقرينة وقوع قوله قبل الثلث في مقابله قبل الظاهر بعد ثلث وإلا فهم جاوزوا الثلث ولما كان الغاية داخلة اندفع هذا ولذا قال الظاهر.

قوله: (فذهبوا إلى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة[3] حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة) ليقتلوه يعني إذا جاء يصلي أو إذا جاء إلى الشعب ولعلهم كانوا منتظرين لمجيء صالح عليه السلام متوجهين إليه فوقعت صخرة حيالهم أي صخرة في حيالهم ففروا منها لئلا يقع عليهم إلى داخل الشعب فطبقت الصخرة فم الشعب.

قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٥١)

قوله: (وهلك الباقون في أماكنهم بالصيحة كما أشار إليه بقوله ﴿فانظر كيف كان﴾ [القصص: ٤٠]) بالصيحة متعلق بكلا الفعلين على التنازع وقيل فهلكوا في الشعب بالجوع والعطش فحينئذٍ لا تنازع لكن الرواية أنهم هلكوا بالصيحة أي بصيحة جبريل عليه السلام.

قوله: (وكان إن جعلت ناقصة فخبرها كيف وإنا دمرناهم استئناف أو خبر محذوف) فخبرها كيف قدم عليه لاقتضائه الصدارة والمعنى فانظر يا أيها الرسول كانت عاقبة مكرهم

قوله: إلى ثلاث أي إلى ثلاث ليالٍ والشعب بالكسر ما انفلج بين الجبلين وقيل الطريق في الجبل والجمع شعاب.

قوله: فوقع عليه صخرة حيالهم حيال الشيء إزاؤه وفي الصحاح قعدوا حوله وحواله وحوليه وحواليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وقعد حياله وبحياله بالكسر أي بازائه وأصله الواو والحول بالضم الحيال والحول أيضاً جمع حائل من النوق وهي ما مضى عليه حول يقال حائل حول.

قوله: وكانت أن جعلت ناقصة أي كلمة كانت في كيف كانت أن جعلت ناقصة يكون خبرها كيف قدم عليها لكونها من كلمات الاستفهام التي تقتضي صدر الكلام فإن كيف موضوع للسؤال عن الحال وقد ينخلع عن معنى الاستفهام والسؤال ويستعمل لمجرد معنى الحال والتعجيب مجازاً

---

(١) إلى ثلث أي إلى ثلث ليال إشارة إلى قوله تعالى: **﴿فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾** فلو قال هنا إلى ثلاثة لكان أوفق ما في النظم.

(٢) وأيضاً هذا بظاهره يخالف ما في سورة الأعراف حيث قال فقال لهم صالح بعد عقر الناقة تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين وهذا يخالف ما ذكر هنا ولذا لم يرض بهذه الرواية وعلى تقدير صحة هذه الرواية يقال فيه اختصار أو نقل بالمعنى فلا تغفل.

(٣) قوله: **﴿فوقع عليهم﴾** أي على مكان يقرب منهم أي شارف الوقوع.

besturdubooks.wordpress.com

واقعة على وجه غريب يتحير منه العقول ويعتبر به المعتبرون والجملة في محل النصب على المفعولية معنى لأنه معلق لأنه لكونه سبب العلم في حكم أفعال القلوب وكيف في مثل هذا منسلخ عن معنى الاستفهام وأصل معناه فانظر واعلم كان عاقبة مكرهم مكيفة بكيفية عجيبة وحاصله ما مر.

قوله: (لا خبر كان لعدم العائد وإن جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب أنا دمرناهم بالفتح على أنه خبر محذوف أو بدل من اسم كان أو خبر له وكيف حال) لا خبر كان لعدم العائد إلى اسم كان والقول بأنه يكفي في الربط وجود ما يرجع إلى متعلق المبتدأ مخالف لمذهب الجمهور وإنما يتمشى على مذهب الأخفش القائل بأنه إذا قام بعض الجملة مقام مضاف إلى العائد اكتفى به وقد مر البيان في قوله تعالى: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن﴾ [البقرة: ٢٣٤] الآية وإن جعلتها تامة فكيف حال والمعنى فانظر كان أي وجد عاقبة مكرهم حال كونها مكيفة بكيفية عجيبة على أنه خبر محذوف وهو ضمير الشأن لا العاقبة أي وهي العاقبة إنا دمرناهم لأن له حاجة إلى العائد لأن مدخوله ليس في تأويل المفرد قوله وكيف حال أي على الاحتمال الأخير وهو كونه خبراً فإذا كان خبراً فكيف يكون حينئذٍ حالاً فتلك الفاء لإفادة أن تلك الحالة متفرعة عما قبلها ومسببة له فائدة الخبر باعتبار القيد.

قوله تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٥٢)

قوله: (خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منهدمة) فحينئذٍ تكون هذه الجملة تذييلية مقررة لمفهوم لتأكيد إهلاكهم أجمعين قوله أو ساقطة أي على عروشها أي ساقطة حيطانها على سقوفها بأن تعطلت بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق العروش والسقوف والظاهر أن المراد بقوله خالية مع بقاء عروشها وسلامتها وإلا لم يحسن التقابل لكن المشهور انهدام بيوتها فالأولى الاكتفاء بالثاني.

وههنا كذلك فمعنى كيف كانت عاقبة مكرهم الاستئصال والتدمير أي فانظر تتعجب منها فيكون قوله عز من قائل: ﴿إنا دمرناهم﴾ [النمل: ٥١] جملة مستأنفة موردة لبيان كيفية عاقبة مكرهم هذا على قراءة كسر همزة أن أو خبر مبتدأ محذوف تقديره هي إنا دمرناهم وهذا على تقدير القراءة بالفتح.

قوله: أو بدل من اسم كان أي من عاقبة مكرهم بدل الكل من الكل إن اعتبر الذات أو بدل البعض من الكل إن اعتبر المفهوم أو بدل الاشتمال إن اعتبر الملابسة بين العام والخاص أو نقول هو بدل الكل من الكل بحسب الذات فإن عاقبة مكرهم عين تدميرهم ذاتاً أو بدل البعض من الكل من حيث إن الخاص بعض افراد العام أو بدل الاشتمال من حيث إن الخاص متضمن لمعنى العام أو مشتمل عليه وعلى أمر آخر مخصص له فالمعنى كيف كان تدميرنا إياهم.

قوله: أو خبر له وكيف حال والمعنى وقعت عاقبة مكرهم متعجباً منها قدم الحال لاقتضاء كيف الصدارة بحسب أصل الوضع وإن كان الآن معدولاً عن الأصل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (**من خوى النجم إذا سقط وهي حال عمل فيها معنى الإشارة**) من خوى النجم إذا سقط فلفظ خوى يجيء بمعنيين على الاشتراك اللفظي يجوز اعتبار كل واحد منهما هنا وقد عرفت ما فيه إذ بيوت قوم صالح منهدمة فالمعنى الأول لا يناسب هنا إلا أن لا يعتبر سلامة سقوفها فيكون المراد كونها خالية عن السكان مع الانهدام وفي الثاني المعتبر تهدمها بدون نظر إلى خلوها.

قوله: (**وقرىء بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف**) ولم يلتفت إلى كونه خبراً بعد خبر لأنه مختلف فيه.

قوله: (**بسبب ظلمهم**) فيكون تأكيداً لما يستفاد من الفاء في ﴿فتلك بيوتهم﴾ أو بيان علية العلة.

قوله: (**إن في ذلك**) أي فيما ذكر من إهلاك ثمود وخلو بيوتهم أو سقوطها لآية لعبرة عظيمة يعتبر بهما أولو الألباب ويتعظون بها ﴿لقوم يعلمون﴾ [النمل: ٥٢] أي من شأنهم العلم بحقيقة الأشياء أو من يتصف بالعلم خص بهم لأنهم المنتفعون بها وإلا فهي آية لكل أحد وصيغة البعد للتفخيم والتأكيد لكمال العناية بها.

قوله: (**فيتعظون**) تفريع إذ العبرة أصلها من العبور الذي هو النفوذ من أحد الجانبين إلى الآخر ثم استعمل في العبور عن حضيض الجهل إلى أوج العلم تشبيهاً للمعقول بالمحسوس فيلزم له الاتعاظ وقد فسرت بالاتعاظ للمسامحة وعن هذا قيل إنه تفسير له لا للتفريع لكن قوله لا للتفريع إسقاطه أولى.

قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٥٣﴾

قوله: (**صالحاً ومن معه**) لما كان قومه مشاركاً له في أصل الإيمان قيل آمنوا ولما كان صالح أصلاً في الإيمان قيل في موضع آخر ﴿فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه﴾ [هود: ٦٦] الآية وأشار إليه المص هنا بقوله ومن معه.

قوله: وهي حال عمل فيها معنى الإشارة أي أشير إليها خاوية مثل ﴿هذا بعلي شيخاً﴾.

قوله: على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هي خاوية قوله بدل على الأول وظرف على الثاني أي محل كلمة إذ في إذ قال نصب على أنه بدل من لوطاً على تقدير كونه مفعولاً به لأذكر أو على أنه ظرف مفعول فيه لأرسلنا على تقدير كونه مفعولاً به لأرسلنا ولا يجوز أن يكون ظرفاً لأذكر ان قدر نصب لوطاً به لأن زمان الماضي لا يصلح أن يكون ظرفاً لفعل يحدث بعده وكذا لا يجوز أن تكون بدلاً على التقدير الثاني إذ لا معنى لارسال الوقت فإن الوقت مرسل فيه لا مرسل به قوله واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح وفي الكشاف وفيه دليل على أن القبيح من الله اقبح منه من عباده لأنه أعلم العالمين وأحكم الحاكمين وفيه إشارة إلى أصل أهل الاعتزال من أن الله تعالى لا يخلق القبيح قوله أو يبصرها بعضكم من بعض فيكون من بصر الحس لا من البصيرة التي هي للقلب.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (الكفر والمعاصي) الأولى الاكتفاء بالمعاصي إشارة إلى أن المراد بالتقوى المرتبة الوسطى.

قوله: (فلذلك خصوا بالنجاة) أي امتازوا بالنجاة فالباء داخل في المقصور أشار به إلى أن التعبير بالإيمان والاتقاء إشارة إلى علة الإنجاء بحسب مقتضى الوعد ولا ينافيه قوله تعالى في سورة هود ﴿نجيناهم برحمة منا﴾.

قوله تعالى: وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾

قوله: (واذكر لوطاً أو وأرسلنا لوطاً لدلالة ولقد أرسلنا عليه) واذكر لوطاً أي قصة لوط قوله لدلالة ولقد أرسلنا أي قبله في قصة صالح عليه السلام وجوز أبو حيان عطفه على صالحاً أو على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطاً قيل وفيه بحث أما أولاً فلأن صالحاً وقع بدلاً أو عطف بيان من أخاهم فيكون لوط أخا ثمود وأما ثانياً فلأنه مقيد بقوله إلى ثمود ولم يرسل لوط إليهم.

قوله: (بدل على الأول وظرف على الثاني) بدل أي بدل الاشتمال إذ في ذكر المبدل منه تشوق إليه وعلى الثاني ظرف لأن المراد الزمان المتسع.

قوله: (﴿أتأتون الفاحشة﴾ [النمل: ٥٤]) أي أتفعلونها فإن أتى يجيء بمعنى فعل إما مجازاً أو بالاشتراك اللفظي.

قوله: (تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح) واقتراف القبائح أي اكتسابها من العالم متعلق باقترف أقبح خبر الاقتراف بيان فائدة هذا القيد مع أنه قبيح من العالم والجاهل والجملة الاسمية لإفادة دوام العلم.

قوله: (أو يبصرها بعضكم من بعض لأنهم كانوا يعلنون بها فتكون أفحش) أو يبصرها الخ أي من بصر العين اخره لأن فيه نوع خفاء قوله بعضكم من بعض البعض غير متعين فيكون في حكم الجميع فلا مجاز في إسناد تبصرون.

قوله تعالى: أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

قوله: (بيان لإتيانهم الفاحشة) ولذا ترك العطف ولما كان الإبهام أولاً والتفصيل ثانياً أوقع وأوكد ذكر الفاحشة أولاً ثم بين ثانياً اختير الرجال دون الذكران لمزيد التقبيح وبيان اختصاصه بالإنسان حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾ [الشعراء: ١٦٥] على وجه وأما الحمار والخنزير فلا اعتبار بهما لأنهما أخس الحيوان قال في سورة الأعراف بيان لقوله: ﴿أتأتون الفاحشة﴾ [الأعراف: ٨٠] وهو أبلغ في الإنكار والتوبيخ أي مما في أتأتون الفاحشة لوجود أن واللام.

قوله: (وتعليله بالشهوة) اختار كون شهوة مفعولاً له للإتيان علة تحصيلية إذ المعنى لقضاء الشهوة أشار إليه بقوله لا قضاء الوطر وجوز في سورة الأعراف كونه مصدراً في

besturdubooks.wordpress.com

موضع الحال أي مشتهين وحاصله قاصدين قضاء الشهوة وجوز بقاؤه على المصدرية وناصبه أتأتون لأنه بمعنى تشتهون أشار به إلى أن إتيان الرجال مجاز عن الاشتهاء إليه.

قوله: **(للدلالة على قبحه والتنبيه على أن الحكمة في المواقعة طلب النسل لا قضاء الوطر)** للدلالة على قبحه لكونه خلاف الحكمة فقوله والتنبيه على أن الخ بمنزلة عطف البيان للقبح أي شرعاً إذ لا قبح عقلياً عند الأشعري قوله لا قضاء الوطر إشارة إلى أنه وصف البهيمة الصرفة لا العاقل إذ الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع ولا يمكن هذا إلا في الذي محل الحرث وهو الفرج دون محل الفرث وهو الدبر وبهذا البيان ظهر وجه التقييد بها مع أن إتيان الرجال لا يكون إلا للشهوة فما الفائدة في التقييد بها والمراد أنه لا ينبغي أن يراد بالمواقعة قضاء الوطر وإن لم يكن له الحذر إذا وافق الشرع المتين.

قوله: **(من دون النساء)** من للابتداء والظرف صفة الشهوة أي شهوة مبتدأة من دونهن وقيل حال من الرجال أي أتأتون الرجال منفردين عنهن أو متجاوزين عنهن.

قوله: **(اللاتي خلقن لذلك)** يعني إن الله تعالى إنما خلق الأنثى للذكر ولم يخلق الذكر لاستمتاع الذكر ولا الأنثى للأنثى ولذا حرم السحق كاللواطة لأنه مما يغير خلق الله أيضاً قبل فهي مضادة لله تعالى في حكمته **(تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيهاً لا يميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب)**.

قوله: تفعلون فعل من يجهل إشارة إلى دفع ما يرد عليه من أن وصفهم بالبصارة ينافي وصفهم بالجهل وحاصل الجواب أن المراد بالجهل هنا ليس حقيقة معناه بل المراد به فعل يلزم الجهل حيث يفعله من يجهل بقبحه فاطلق اسم الملزوم على اللازم على طريقة المجاز المرسل قال صاحب الكشاف أراد تفعلون فعل الجاهلين بأنها فاحشة مع علمكم بذلك وقال الطيبي هذا الجواب غير مرضي تأباه كلمة الإضراب بل أنه تعالى لما نكر عليهم فعلهم على الإجمال وسماه فاحشة وقيده بالحال المقررة لجهة الإشكال تتميماً للإنكار بقوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ [النمل: ٥٤] أراد مزيد ذلك التوبيخ والإنكار فكشف عن حقيقة تلك الفاحشة متصلاً وصرح بذلك الرجال محلى بلام الجنس مشيراً به إلى أن الرجولية منافية لهذه الحالة وقيده بالشهوة التي هي أخس أحوال البهيمة وقد تقرر عند ذوي البصائر أن اتيان النساء لمجرد الشهوة مسترذل فكيف بالرجال وضم إليه من دون النساء وآذن بأن ذلك ظلم فاحش ووضع للشيء في غير موضعه ثم اضرب عن الكل بقوله: ﴿بل أنتم قوم تجهلون﴾ [النمل: ٥٥] أي كيف يقال لمن يرتكب هذه الشنعاء وأنتم تعلمون فأولى حرف الاضراب ضمير أنتم وجعلهم قوماً جاهلين والتفت في تجهلون موبخاً معيراً إلى هنا كلامه وحاصل رده لجواب صاحب الكشاف أن الإضراب ينافي ملحوظية ما اضرب عنه واعتباره وهو قد اعتبر بعض ما اضرب عنه بعد الاضراب عن كله حيث قال مع علمكم بذلك إشارة إلى معنى ﴿وأنتم تبصرون﴾ [النمل: ٥٤] والحال أنه من جملة ما اضرب عنه.

قوله: أو تجهلون العاقبة هذا تفسير لتجهلون على حقيقة معناه بخلاف الوجه الأول فإنه تفسير بالمجاز قوله والتاء فيه لكون الموصوف به في معنى المخاطب يعني أن مقتضى الظاهر أن

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

قوله: (فما كان) الفاء للتفريع وفي سورة الأعراف بالواو على طريق الاستئناف وإنما جعل جواب قومه خبراً وإن قالوا اسماً لأن المصدر المأخوذ أعرف[(١)] ومعلوم بالبديهة أن هذا القول لا يكون جواباً فالمعنى ما جاؤوا بما يكون جواباً من كلامه ولكنهم قابلوا بنصحه بالأمر بإخراج لوط عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قريتهم وهي سدوم فالاستثناء متصل من قبيل ولا عيب فيهم الخ وكونه منقطعاً يخرجه عن المبالغة والمراد بآل لوط قومه المؤمنون فيدخل لوط في الحكم بدلالة النص والقول بأن المراد به لوط هو ومن اتبع دينه ضعيف.

قوله: (يتنزهون عن أفعالنا أو عن الأقذار ويعدون فعلنا قذراً) عن أفعالنا أي الفاحشة المذكورة زعماً منهم أنها من الفواحش العظيمة قوله أو يعدون فعلنا قذراً ويزعمون التطهر فهم يتكلفون بإظهار ما ليس فيهم فقولهم إنهم الخ يكون استهزاء كما صرح به في سورة الأعراف وفي كلام الإمام في سورة الأعراف إيماء إلى عدم كونه استهزاء إذ لا عز في اعتقاد العدد محاسن خصمه بل ورد أن أكمل المحاسن ما اعترفه العدد.

قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله: (﴿فأنجيناه﴾ [النمل: ٥٧] الفاء فصيحة) أي أهلكناهم فأنجيناهم وأهله شامل لامرأته لإيمانها ظاهراً فإنها ستر الكفر وتنافق قيل لما كان مآل قوله إلا أن قالوا إلا أن يأتوا بما ليس بجواب حقيقة لم يكن منافاة بين هذا القصر وبينه في قوله: ﴿إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] إذ المراد في الموضعين ليس بخصوص هذا القول بل لازمه وهو إلا أن يأتوا بما ليس بجواب حقيقة لعجزهم عن الجواب على وجه الصواب فيكون من قبيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

كما مر والقصر إضافي والمنفي الجواب على الحقيقة فلا ينافيه قوله تعالى: ﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] الآية فإنه ليس بجواب على الحقيقة أيضاً والقصر ليس بالنظر إليه بل بالنظر إلى الجواب حقيقة وقيل ولما كان

يقال يجهلون بالياء التحتاني لإسناده إلى ضمير قوم وهو اسم ظاهر والأسماء الظاهرة في حكم الغيب لكن جيء بالتاء الفوقاني على طريق الالتفات من الغيبة إلى الخطاب نظراً إلى جانب المعنى لأن القوم هم المخاطبون بأنتم ونكتة الالتفات هي التقريع والتوبيخ.

---

(١) من المحلى باللام لأنه يشبه الضمير من حيث إنه لا يوصف ولا يوصف به والأعراف أحق بالاسمية.

besturdubooks.wordpress.com

مآل المعنى أنهم لم يقدروا على الجواب وكان السلوك إلى الطريقة المذكورة للمبالغة في عدم قدرتهم اندفع وهم المنافاة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله﴾ [العنكبوت: ٢٩] الآية ولا يخفى أنه ليس فيه التعرض لتوجيه الحصر صراحة **(قدرنا كونها من الباقين في العذاب)**.

قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝٥٨﴾

قوله: (وأمطرنا) قال أبو عبيدة مطر في الرحمة وأمطر في العذاب عليهم تعديته بإلى لتضمنه معنى أرسلنا تقديمه للاهتمام مطراً أي نوعاً من المطر عجيباً فالتنوين للنوعية كتنوين غشاوة أي نوعاً غريباً لا يتعارفه أحد وهو الحجارة من سجيل وفي الكشاف في سورة الأعراف أي الكبريت والنار والمطر مستعار ولذا قيل والصحيح إن أمطرنا بمعنى أرسلنا عليهم إرسال المطر والظاهر أنه على العموم وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وإطلاق النص برده لكن ورد أنهم هلكوا بصيحة وفي أخرى برجفة وفي أخرى بأمطار حجارة والوجه في التوفيق أنه لا مانع في الجمع.

قوله: (﴿فساء مطر المنذرين﴾ [النمل: ٥٨] مر مثله) فساء مطر المنذرين الفاء للسببية لأن ما قبله سبب لإخبار كونه سوء اللام في المنذرين للجنس لأن ساء هنا بمعنى بئس وفاعلها لا يكون إلا مبهماً فلا يكون للعهد كما هو مقتضى السوق فالمراد بالمنذرين جنس الكافرين والمخصوص بالذم وهو مطرهم محذوف.

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٥٩﴾

قوله: (أمر رسوله عليه السلام بعد ما قص عليه) أمر رسوله قدم هذا الوجه لأن كون المراد بالعباد الأنبياء عليهم السلام هو الظاهر المتبادر فيكون المأمور رسوله عليه السلام والأصل في الأمر الوجوب لكن الظاهر هنا الندب بعد ما قص الخ إشارة إلى بيان سبب الأمر وبيان الارتباط إلى ما قبله.

قوله: (القصص الدالة على كمال قدرته وعظم شأنه) الدالة على الخ أي دلالة عقلية وكذا تدل على كمال علمه ووحدته وسائر كمال الأوصاف ولعل قوله وعظم شأنه إشارة إليه.

قوله: قدرنا كونها من الباقين في العذاب قدر رحمه الله المضاف قبل ضمير المفعول في قدرناها حيث فسر قدرناها بقدرنا كونها لأن قضاء الله تعالى وقدره إنما يقعان على الأحوال والصفات لا على الذوات لأن الذوات لا تقدر هكذا قالوا وقال الواحدي معناه جعلناه تقديرنا وقضاءنا أنها لمن الباقين في العذاب وهذا أيضاً راجع إلى معنى قدرنا كونها من الغابرين لأن أن المفتوحة جعلت ما دخلت هي عليه من الجملة في حكم المفرد فيؤول معنى تفسير الواحدي إلى جعلنا تقديرنا كونها من الباقين في العذاب ومعنى الغبور البقاء.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وما خص به رسله من الآيات الكبرى والانتصار من العدى بتحميده) وما خص به رسله عطف على القصص عطف الخاص على العام الباء داخلة على المقصور أشار إلى أن العباد هم الرسل عبروا بها لأن العبودية أشرف أوصافهم قوله بتحميده متعلق بأمر الأولى بحمده لكنه أشار إلى أن المراد المبالغة كماً وكيفاً وهو المتحقق في ضمن الشكر العرفي ولذا قال شكراً على ما أنعم عليهم وإن كان بالقول الحمد لله لكن المراد الأمر بالتحميد إذ هذا القول ليس عمداً بل يحصل به الحمد.

قوله: (والسلام على المصطفين من عبيده شكراً على ما أنعم عليه وعلمه ما جهل من أحوالهم وعرفاناً لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم في الدين) والسلام اللام من الحكاية لا من المحكي على المصطفين أي المختارين من بين الناس بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية وبها استدل على فضلهم على الملائكة والاصطفاء افتعال من الصفوة وهي خيار الشيء والمعنى اتخاذ صفوة الشيء ويدخل عليه السلام في أنعم عليهم دخولاً أولياً ولذا لم يقل ما أنعم عليهم وعليه أو لأن إنعامهم إنعام عليه صلى الله تعالى عليه وسلم لأنهم كالكواكب يظهرن أنوار شمس رسالته عليه السلام للناس في النظم كما قال الإمام البصيري في قصيدته قوله وعلمه عطف على أنعم قوله وعرفاناً معطوف على شكراً لتعليل السلام والاكتفاء به دليل على جواز السلام بدون ذكر الصلاة وعلى جواز السلام على سائر الأنبياء عليهم السلام بالأصالة.

قوله: (أو لوطاً بأن يحمده على هلاك كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة من الهلاك) أو لوطاً أي أمر لوطاً معطوف على قوله على رسوله اخره لاحتياجه إلى تقدير وقلنا له وأيضاً هذا التعبير شائع في الأنبياء ويلزم أن يكون السلام على غير الأنبياء بالأصالة إذ الظاهر أن العباد مختصة بقوم لوط ممن آمن به وقبل تعمهم أيضاً

قوله: بتحميده متعلق بأمر أي أمر رسوله بتحميده أعلم أن قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله﴾ [النمل: ٥٩] يمكن أن يوجه على وجهين الأول أن يكون ابتداء كلام مصدر بالتحميد غير متصل بما قبله من القصة فيكون من باب الاقتضاب فيكون المذكور في علم البديع وهو الخروج مما شبب الكلام به إلى المقصود من غير رعاية ملائمة بينهما ومنه ما يذكر في الخطب بعد الحمد لله والصلاة على نبيه ويقال أما بعد وههنا أيضاً قد أمر عليه الصلاة والسلام بأن يبتدىء بتحميد وتسليم لتلاوة الآيات الناطقة بالبراهين وهي قوله: ﴿الله خير أما يشركون أمن خلق السموات والأرض﴾ [النمل: ٥٩، ٦٠] إلى آخر الآيات والثاني أن يكون متصلاً بما قبله فيكون من باب التخلص المذكور في علم البديع أيضاً وهو الخروج من كلام إلى المقصود برعاية ملائمة بينهما بذكر كلام بينهما هو واسطة لربط المقصود بالكلام الأول وههنا جعل التحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء واشاعتهم ذريعة على الشروع في قصته ﷺ مع مشركي قومه وأن له ولهم أسوة بالأمم الماضية والأمم الخالية اقتصر القاضي رحمه الله من هذين الوجهين على الوجه الثاني وذكر صاحب الكشاف الوجه الثاني أيضاً حيث قال وقيل متصل بما قبله وأمر بالتحميد على الهالكين من كفار الأمم والصلاة على الأنبياء الناجين.

besturdubooks.wordpress.com

والعبارة غير ظاهرة فيه ولا يندفع به المحذور المذكور واختار كونه تخلصاً من قصص الأنبياء عليهم السلام إلى ما جرى له من المشركين آلله بالمد لقلب الهمزة ألفاً.

قوله: (إلزام لهم وتهكم به وتسفيه لرأيهم) إلزام لهم بإرخاء العنان بتسليم أن فيهم خيرية وتهكم بهم حيث سلم الخيرية مع أنه لا خيرية لهم أصلاً أو تهكم بهم حيث جعل موازناً له تعالى مع أنه لا خيرية لها أصلاً قوله وتسفيه أي نسبة إلى السفاهة مثل فسقته.

قوله: (إذ من العلوم أن لا خير فيما أشركوا به رأس حتى يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء) فيما أشركوا به أشار إلى أن ما موصولة والمضارع بمعنى الماضي اختير لحكاية الحال الماضية وجعل مصدراً بتقدير أتوحيد الله خير أم شركهم تكلف ولذا لم يلتفت إليه.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله: (بل أمن)[1] إشارة إلى أن أم منقطعة ولا مساغ لكونها متصلة.

قوله: (التي هي أصول الكائنات) أي الموجودات المركبة من الجسمانيات الكثيفة فإن النباتات تخلق من ماء السماء والأرض والحيوانات من الأغذية الحاصلة من النبات فلا يتناول الملائكة والأجسام البسيطة.

قوله: إذ من المعلوم أن لا خير فيما اشركوه رأساً حتى يوازن بينه وبين ما هو مبدأ كل خير فيكون جرياً للمعلوم مساق المجهول استدراجاً وارخاء عنان لتبكيتهم والاستهزاء بهم وتسفيههم وذلك أنهم آثروا عبادة الأصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئاً على شيء إلا لداع يدعوه إلى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فإن في موازنة ما لا خير له أصلاً لمن هو مبدأ كل خير والترديد بينهما بالهمزة وأم مستفهماً مع العلم بأن لا مشاركة ولا موازنة له معه الزاماً لهم لعدم اقتدارهم على أن يقولوا إن أصنامهم التي هي عجزة عن النفع والضر خير من الله الذي هو مبدأ كل خير ونفع وتهكماً بهم لخطابهم بكلام يستعمل في مقام الموازنة فحين استعمل فيما لا موازنة فيه أصلاً جاء التهكم تسفيهاً لرأيهم أي نسبة لرأيهم إلى السفاهة لأن ايثار شيء على شيء من غير أمر داع إلى ايثاره عبث وفعل من أفعال الجاهلية السفهاء.

قوله: بل امن خلق إشارة إلى أن أم فيه منقطعة بمعنى بل والهمزة بخلافها في أم ما يشركون كأنها متصلة لأن المعنى ثمة أيهما خير وههنا على الانقطاع لأنه لما قال الله خير أم الآلهة قال بل ﴿امن خلق السموات والأرض﴾ خير تقريراً لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء فيكون اضراباً عن السؤال الأول إلى تقرير المعنى الثاني أي دعوا ذلك الستم تقرون أنه خالق السموات والأرض وأنه خير من جماد لا يقدر على شيء.

---

(١) وفيه إشارة إلى أن أم فيما قبله متصلة والاضراب هنا من الاستفهام الإنكاري التوبيخي إلى الاستفهام التقريري.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ومبادىء المنافع وقرىء أمن بالتخفيف على أنه بدل من الله) ومبادىء المنافع إذ كل مشروب ومأكول ومركوب وملبوس يتكون منهما وهما وإن كانا مبادىء المضرات لكنهما لتضمنها المنفعة راجعة إليها ثم المراد بهذا التوصيف إشارة إلى وجه تخصيص الذكر بهما.

قوله: (أي لأجلكم) تنبيه على أن اللام للتعليل إذ المقصود انتفاعهم ولذا قدم والمراد بالسماء كونها فلكاً أولى من كونه سحاباً إذ أصول الكائنات هو الفلك فالأحسن الموافقة لما قبله والإفراد هنا على قول من قال إنه مفرد لأن نزول المطر من السماء الدنيا.

قوله: (﴿فأنبتنا به﴾ [النمل: ٦٠]) الفاء بالنظر إلى ابتداء النبات فإنه إذا نزل المطر يشرع النبات النبت وإن كان ظهوره متراخياً ولذا يصح ثم بأن يقال ثم أنبتنا وصف ذات بهجة للمدح.

قوله: (عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل[1] بذاته والتنبيه على أن إنبات الحدائق البهية المختلفة الأنواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة) عدل به أي مقتضى الظاهر الغيبة عدل عنه الخ لتأكيد اختصاص الفعل وهو الإنبات المتفرع على الخلق فالفعل هو مجموع الخلق والإنبات ولذا عبر بالفعل العام ولذا قال الفاضل المحشي فإن أصل الاختصاص يفهم من الاستفهام التقريري أو المراد الإنبات فقط وفهم اختصاصه من الاستفهام التقريري لتفرعه عليه وهذا أولى مما قيل اختصاص الإنبات به بحكم المقابلة بين أخس الشركاء وخالق الأرض والسماء فإذا التفت ونسب الفعل إلى ذاته تأكد ذلك الاختصاص وهذا نكتة مخصوصة بمثل هذا الالتفات مصححة لا موجبة إذ جاء في موضع

قوله: وقرىء امن بالتخفيف على أنه بدل من الله كأنه قال امن خلق السموات والأرض خير أم ما يشركون.

قوله: عدل به عن الغيبة إلى التكلم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته أي عدل بقوله فأنبتنا عن الغيبة التي هو من خلق السموات لأن من اسم ظاهر في حكم الغائب يعني أن أصل الاختصاص مستفاد من الاضراب ونفي الخيرية عن الشركاء واثباتها لله تعالى بعد ما اثبتها له بقوله الله خير على سبيل التبكيت فأكد ذلك الاختصاص بنقل الخطاب من الغيبة إلى التكلم لأن التكلم أقوى وأرسخ من الغيبة لأن الأصل أن يكون الخطاب بين الحاضرين ولأن الأصل في الإخبار أن يخبر الإنسان عن نفسه ثم عن نفسه وعمن معه ثم عن المخاطب ثم عن الغائب ثم من إيثار صيغة الدال على الكبرياء والعظمة ثم رسخ هذه المبالغة والتأكيد بقوله: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ [النمل: ٦٠] أي لا ينبغي ولا يصح ولا يستقيم منكم أن تفعلوها بل هو من خصائص من عظم شأنه وجل سلطانه فإنكم أحقر عاجزون عن ذلك ثم رشح هذا التحقير بالنقل من الخطاب في قوله لكم إلى الغيبة في قوله: ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ [النمل: ٦٠] لعكس المعنى الأول وهو الطرد والتبعيد والتحقير فانظر إلى هذه الرموز التي تسلب العقول.

---

(١) ولا يخفى أن حصول هذا التأكيد لا يتوقف على نون العظمة فالأولى الاكتفاء بما ذكره في التنبيه كما اكتفى به في سورة طه.

besturdubooks.wordpress.com

آخر فأخرج به والتنبيه الخ بيان ما يترتب على ذلك الاختصاص المؤكدة ولما علم ذلك بأدنى توجه عبر بالتنبيه البهية تفسير البهجة المختلفة الأنواع أشار إلى أن جمع الحدائق باعتبار الأنواع لا الأفراد فالأنواع مختلفة لا محالة المتباعدة الطباع لأن ألوانها وطعمها مختلفة متضادة مع أنها من مادة واحدة وهي المواد من قوله في المراد المتشابهة وهي الأرض والماء والجمع باعتبار الأفراد فإن العادة جارية في جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً عادياً في إنباتها ومادة لها كالنطفة للحيوان وإن كان النبات بقدرة الله تعالى ومشيئته.

قوله: (لا يقدر عليه غيره) إذ لا قدرة كاملة له والنون العظمة تدل على كمال قدرة.

قوله: (كما أشار إليه بقوله: ﴿ما كان لكم﴾ [النمل: ٦٠] الآية) لم يقل كما صرح به إذ عدم القدرة غير مصرح به فإن معنى قوله تعالى: ﴿ما كان لكم أن تنبتوا﴾ [النمل: ٦٠] ما صح لكم وما أمكن لكم فيكون عدم قدرة غيره مشاراً إليه.

قوله: (شجر الحدائق وهي البساتين من الأحداق وهو الإحاطة) أشار إلى أن الحديقة بستان يحيط بجوانبه الحائط لكنه أغلبي إذ بعض البساتين لا حائط له.

قوله: (أغيره يقرن به ويجعل له شريكاً وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرىء الهاء بإضمار فعل مثل أتدعون أو أتشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين وإخراج الثانية بين بين عن الحق الذي هو التوحيد).

قوله تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾

قوله: (بدل من أمن خلق السموات وجعلها قراراً بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتى استقرار الإنسان والدواب عليها) بدل من أمن خلق الخ بدل العين لكن المبدل منه مقصود أيضاً ليس في حكم الساقط قوله إبداء بعضها من الماء وهو الربع المسكون وهذا مذهب الحكماء من أن الماء فوق الأرض لكن أظهر الربع منها ليسكن عليها الإنسان

قوله: من الإحداق بكسر الهمزة من أحدق بمعنى أحاط فالحدائق جمع حديقة وهي بستان عليه حائط ولكونه محوطاً بحائط سمي حديقة والتاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية.

قوله: وهو المتفرد بالخلق والتكوين لما اثبت الآيات السابقة تفرده تعالى في خلق العالم انكر اشتراك الغير معه في ذلك بهمزة الإنكار فقال لا إله مع الله لأن شركة الغير في صنعه تنافي تفرده فيه.

قوله: بدل من ﴿امن خلق السموات﴾ يعني إذا أخذت مجموع الآيتين وخلاصتهما وكونهما دالتين على اختصاص الله بهذه الأفعال التي لا يقدر عليها غيره فإنها دالة على التوحيد ونفي الضد والند كان حكم الثاني حكم الأول فيصح الإبدال لذلك ولأن الآثار السفلية اظهر من الآثار العلوية وأقرب خطوراً عند الاعتبار ولأن الدلائل كلما كانت اسهل مأخذاً كانت أبين وأوضح فصح إبدال الثانية من الأولى.

besturdubooks.wordpress.com

والدواب قوله وتسويتها أي جعلها مبسوطة مستوية متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى تكون مهيأة لأن يمشوا عليها ويقعدوا ويناموا كالفراش المستوي المفروش قوله بحيث يتأتى استقرار الإنسان الخ إشارة إلى ما ذكرناه وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الاستقرار عليها وهذا مما صرح به المص في بعض المواضع وميل أكثر علمائنا كونها مسطحة خيمية وفي قوله الاستقرار إشارة إلى أن قراراً بمعنى مستقر على أنه اسم مكان لا بمعنى قارة بقرينة لكم لكنه يلزم منه وأيضاً هذا يفهم من قوله وجعل لها رواسي لأنها كالأوتاد لها منعتها عن الاضطراب والحركة قال ﴿وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ كراهة أن تميد بكم وتضطرب فالمعنى أمن جعل الأرض مستقراً لكن بولغ وحمل عليها المصدر مبالغة.

قوله: (أوساطها) إذ الخلال جمع خلل وهو الفرجة بين الشيئين فهو اسم ظرف قام مقام المفعول الثاني أو حال.

قوله: (جارية) صفة موضحة لا مخصصة لأنها جمع نهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات.

قوله: (وجعل لها رواسي) ثوابت من رسا الشيء إذا ثبت ومنه قوله أرسوا أي السفينة نزولها جمع راسية والتاء للتأنيث على أنه صفه لجبل أو للمبالغة كذا ذكره المص[١] في سورة الرعد.

قوله: (جبالاً تتكون فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع) تتكون فيها المعادن الخ لم يذكر فائدة منعها عن الحركة والاضطراب لما مر غير مرة قوله وينبع من حضيضها المنابع أكثري وكذا التكون أغلبي قيل قوله منبع إشارة إلى وجه تعقيب الأنهار به وهو ضعيف إذ التعرض بتكون المعادن لا يلائمه والمقصود تعداد النعم والواو للجمع لا يقتضي الترتيب. **(العذب والمالح أو خليجي فارس والروم)**.

قوله: (برزخاً وقد مر بيانه في الفرقان) قال هناك برزخاً حاجزاً من قدرة الله تعالى وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجري في خلاله فراسخ لا تتغير طعمها.

قوله: (﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ [النمل: ٦١]) أي أكثر الناس وأما أقلهم فهم يعلمون الحق والتوحيد أو أكثرهم أي الكافرين وأما أقلهم وإن علموا الحق لكنهم لا يؤمنون فعلمهم كلا علم أو الأكثر بمعنى الكل.

قوله: (فيشركون به) أي عدم العلم سبب لإشراكهم ومنشأ عدم علمهم ترك النظر

قوله: أو خليجي فارس والروم الخليج من البحر شق منه والخليج أيضاً النهر والمعنى الأول هو المناسب للمقام.

---

(١) وفي سورة الرعد مزيد توضيح.

besturdubooks.wordpress.com

في الآيات العقلية والنقلية وعدم التفاتهم قول نبيهم هذا في الأكثر وأما أقلهم فسبب شركهم علوهم واستكبارهم قال تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ [النمل: ١٤] الآية.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

قوله: (﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾ [النمل: ٦٢] المضطر هو الذي أحوجه شدة ما به إلى اللجأ إلى الله تعالى من الاضطرار) ﴿أمن يجيب المضطر﴾ الإجابة من الاستجابة لأن معناه إعطاء الجواب إما بتحصيل المطلوب أو بدونه وأما استجابته فمختص بتحصيل المطلوب فاتضح أن اختيار الإجابة هنا على الاستجابة أحسن المضطر هو الذي الخ هذا تعريف بالأخص لأن المضطر من وقع في الضرورة كحال المخمصة وحال الإكراه إلا أن يقال إن في كل واحد من المضطرين شأنه ما ذكره المص.

قوله: (وهو افتعال من الضرورة) وبناؤه للمطاوعة وفي هذا الكلام دليل على العموم.

قوله: (واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه إجابة كل مضطر) واللام فيه للجنس أي للعهد الذهني فإنه من فروع اللام للجنس ولك أن تقول إنه للاستغراق لأن كل مضطر يجاب بنوع الإجابة أو مقيد بأنه إذا دعاه مقروناً بشروط الإجابة ويؤيد الأول التعبير بالإجابة دون الاستجابة كما عرفته وأما قول الزمخشري أي يجيب كل مضطر إن شاء أو إن علم فيه مصلحة فيرد عليه أنه يمكن الاستغراق في كل موضع بهذا القيد.

قوله: (ويدفع عن الإنسان ما يسوؤه) الظاهر أنه مقيد بأنه إذا دعاه ويمكن الإطلاق وإنما قال يدفع لأن الكشف مستعمل فيه كما في الرفع ولك أن تريد عمومه الرفع أيضاً لأن فيه دفع الزيادة فيكون الدفع عاماً للرفع أيضاً ويحتاج إلى تعميم الكشف أيضاً وهو تكلف والمراد بالإنسان مطلق الإنسان مضطراً أو غيره فهو عطف العام على الخاص وتخصيص المضطر لكونه أحوج فيكون أهم قوله ما يسوؤه تنبيه على أنه صفة مشبهة أو بمعنى المشتق إذ أصله مصدر وضم السين جرى مجرى الشر.

قوله: (خلفاء فيها بأن ورثكم سكناها والتصرف فيها) خلفاء فيها أي الإضافة بمعنى

قوله: واللام فيه للجنس هذا ادفع لما عسى يرد ههنا بأن اللام في المضطر للاستغراق فيلزم أن يكون دعاء كل مضطر مستجاباً وكم من مضطر يدعو فلا يجاب فأشار رحمه الله إلى جوابه بأن اللام فيه للجنس لا للاستغراق والمطلق يحتمل الكل والبعض كاللفظ المشترك فيحتاج في تعيين أحد مفهوميه إلى القرينة والدليل وقد قام الدليل هنا على البعض وهو أن رعاية الحكمة شرط في الاجابة فلذا لا يجاب دعاء كثير من المضطرين قال صاحب الفرائد ما من مضطر دعاه إلا أجيب وأعيد نفع دعائه إليه إما في الدنيا وإما في الأخرى وذلك أن الدعاء طلب شيء فإن لم يعط ذلك الشيء بعينه اعطي ما هو أجل منه أو إن لم يعط في هذا الوقت فهو يعطى بعده.

besturdubooks.wordpress.com

في قوله بأن ورثكم الخ من التوريث أي بأن مكنكم فيها تمكن الوارث ملك الموروث منه ففيه استعارة تبعية قوله والتصرف الخ إشارة إليه فالخطاب لنوع الإنسان فإنه يرث بعض أفراده ممن قبله في مدة ثم تركه[١] ويرث بعض آخر بعده قال تعالى: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١][٢] الخ وفيه تنبيه نبيه على أنه من العواري الزمان فلا ينبغي أن يغتر به ولا يميل إليه كل الميل.

قوله: (ممن قبلكم)[٣] من أبناء نوعكم المتقدمين وقيل من بني آدم ومن غيرهم والتصرف فيها بعمارتها حساً ومعنى وهو إصلاحها بأنواع الطاعات وأصناف المبرات وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ أمر الله تعالى فيها هذا إذا كان الخطاب عاماً وأما إذا كان خاصاً[٤] بالكفار فالمراد التصرف بالعمارات حساً.

قوله: (ءاله مع الله) كرره لتكرر دليل الوحدانية.

قوله: (الذي خصكم بهذه النعم العامة والخاصة) بهذه النعم العامة لإفرادكم وهي خلافة الأرض بالمعنى المذكور وهي القرار في الأرض والتصرف فيها بالبناء وغيره من غرس الأشجار وتحصيل الأثمار والنعم الخاصة إجابة المضطرين ودفع السوء فإنها مختصة ببعضكم كما مر.

قوله: (أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً) أي نعماءه تذكراً قليلاً أشار إلى أن قليلاً صفة لمفعول مطلق محذوف قدم لرعاية الفاصلة.

قوله: (وما مزيدة) أي مزيدة لتأكيد القلة أو المعنى زمناً قليلاً تذكرون كما ذكره في بعض المواضع والمآل واحد.

قوله: (والمراد بالقلة العدم) هذا إشارة إلى أن المخاطبين هم المشركون ومعنى

قوله: منكم لهذه النعمة أي انعمكم بها من المن بمعنى الانعام ومنه المنان من أسماء الله تعالى.

قوله: أي تذكرون آلاءه تذكراً قليلاً فقليلاً صفة للمفعول المطلق المحذوف القائم هو مقامه وفعله محذوف أيضاً أي تذكرون تذكراً قليلاً وتذكرون المذكور مفسر للمحذوف وما مزيدة لتأكيد معنى القلة.

قوله: والمراد بالقلة العدم لأن التذكر من الكافر بعيد ولو تذكر لا يعتد به لعدم ثمرته ونفعه في الآخرة لانعدام أساس عمله الخير وهو الإيمان بالله وهو المراد بقوله أو الحقارة المزيحة للفائدة.

---

(١) فالفرد الواحد يجتمع فيه الخلافة وعدمها بالنسبة إلى من قبله ومن بعده فلا محذور.
(٢) وقيل من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم.
(٣) كالتأكيد لما قبله فإن الخلافة إنما هي لمن قبلهم.
(٤) قول المص والمراد بالقلة العدم الخ صريح في أن الخطاب للكفار تأمل.

besturdubooks.wordpress.com

العدم مجاز للقلة والعلاقة عدم الاعتناء بهما وقيل لقربها من العدم وليس هذا من العلاقة المعتبرة.

قوله: (أو الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ أبو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائي وحفص بالتاء وبتخفيف الذال) أو الحقارة أي المقابل للكثرة قوله المزيحة أي المزيلة للفائدة أي فائدة التذكر وهي التوحيد والطاعات فهي منتفية فيهم لما عرفت أن الخطاب للمشركين لكن المناسب حينئذٍ كون الخطاب للكل كما صرح به الفاضل السعدي في سورة الملك مع أن السوق يقتضي العموم إذ النعم المذكورة غير مختصة بالكافرين بل غير مختصة بالإنسان حيث قال ليتأتى استقرار الإنسان والدواب إذ النعم العامة فسرها بعضهم بالماء والنبات وإن لم يكن ملائماً لتقرير المص.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله: (أمن يهديكم) أي بل أمن يهديكم أي يرشدكم فالهداية بالمعنى اللغوي وهو الدلالة بلطف قوله بالنجم الخ إشارة إليه والحاصل أن النجم يستدل به السابلة بالليل في البراري والبحار أو بالنهار أيضاً إن عمم النجم إلى الشمس إذ المراد مطلق النجم ولذا قال بالنجوم بالجمع فظهر ضعف ما قيل إن المراد الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي.

قوله: (بالنجوم وعلامات الأرض) أي معالم نستدل بها السابلة من جبل وسهل ومنهل وريح وغيرها كذا ذكره في سورة النحل فقوله بالنجوم الخ لف ونشر مشوش أو هو لكل منهما لأن من في البحر قد يهتدي بعلامات الأرض لأن الريح من علامات الأرض كما صرح به في سورة النحل ولا ريب في اهتداء من في البر بالنجوم وهداية الله تعالى نصب هذه العلامات وخلقها.

قوله: (والظلمات ظلمات الليالي وإضافتها إلى البر والبحر للملابسة) ظلمات الليالي لأن عدم النور حال الليالي وإضافتها الخ أي الإضافة مجازية للملابسة لوقوع الظلمات فيهما ولو جعل الإضافة بمعنى في لم يبعد.

قوله: (أو مشتبهات الطرق) أي طرق البر والبحر ومشتبهاته ملتبساته سميت ظلمة لمشابهتها في عدم الاهتداء وضلالة من سلك فيها عن المطلوب فهي استعارة مصرحة

قوله: أو مشتبهات الطرق شبهت الشبهة في الطريق بظلمة الليل فأطلق اسم المشبه به على المشبه على سبيل الاستعارة المصرحة أو شبهت طرق البر والبحر بالليل في كونها ملتبسة محيرة على وجه الاستعارة بالكناية فأثبت لازم المشبه به وهو الظلمة للمشبه تخييلاً ويحتمل أن يكون هذا من اجتماع الاستعارة التصريحية والمكنية بأن يكون التصريحية قرينة للمكنية كما في ﴿ينقضون عهد الله﴾ [البقرة: ٢٧] على ما مر تحقيقه في تفسير ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾.

besturdubooks.wordpress.com

فالإضافة في بابها ويمكن أن يراد كلاهما بطريق عموم المجاز أو جمع الحقيقة والمجاز كما هو مذهب المص والهداية أتم نعمة في صورة اجتماعهما معاً وكيفية الاستدلال في الصورتين إما على نسق واحد أو بطرق مختلفة فلا تغفل.

قوله: (يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها) طريقة ظلماء أي على طريق الاستعارة كما عرفته وعمياء الظاهر أن تسمية الطريق بحال السالك فإنه كالأعمى في عدم الوصول إلى المطلوب فيكون استعارة مع مجازية الإسناد والمنار ما يوضع على الطريق لمعرفتها.

قوله: (ومن يرسل الرياح) أعيد من لأنه نوع آخر من النعم ودليل آخر على الوحدانية والتقدير وأم من يرسل الرياح بشراً تخفيف بشر جمع بشير وقد قرىء به جمع الرياح لأن المراد الصبا والدبور والشمال والجنوب والدبور فالصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه قوله بين يدي رحمته أي قدامه بين يدي كناية عن القدام وإنما اختير لأنه يدل على القرب بخلاف الإمام والقدام.

قوله: (يعني المطر) الذي هو من أهم النعم وأجلها تفسير للرحمة فإنها تطلق عليه.

قوله: (ولو صح) إشارة إلى عدم صحته عند أهل الملة لأنه قول الحكماء الذين يضيعون أوقاتهم فيما لا يعنيهم.

قوله: (أن السبب الأكثري في تكون الريح معاودة) أن السبب الأكثري قيده لأن سببه قد يكون بأن يتخلخل الهواء فيندفع عن مكانه بواسطة عظم جرمه فيدافع ما يجاوره فيطاوعه فيدافع ذلك المجاوز أيضاً مجاوره فيتموج الهواء فيحصل الريح ريحه الريح بأنه متحرك هو هواء لا بأنه هواء متحرك إذ الهواء مادة الريح وموضوعها فلا يجوز وضعها موضع الجنس كذا في شرح المواقف.

قوله: (الأدخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها) الأدخنة الصاعدة أدخنة جمع دخان وهو المركب من الأجزاء النارية والترابية وسبب صعودها الحر فإذا وصلت إلى الطبقة الزمهريرية وهو المراد من الطبقة الباردة.

قوله: (وتمويجها الهواء فلا شك أن الأسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله

قوله: ولو صح الخ يريد أن إسناد تكون الريح إلى معاودة الأدخنة من فوق وتمويجها الهواء الكائن تحتها عند هبوطها إلى السفل إن صح يكون سببها الفاعلي تلك المعاودة الهابطة والآية الكريمة ناطقة بأن فاعلها هو الله تعالى والمعلول الواحد لا يستند إلى فاعلين وحاصل جوابه رحمه الله أن المحال استناد معلول واحد إلى فاعلين مستقلين والسبب الفاعلي هنا الاستقلال له بل هو بخلق الله تعالى فيكون المسبب أيضاً بخلقه لأن الخالق لسبب الشيء خالق لذلك الشيء أيضاً قوله تعالى: ﴿القادر﴾ [الأنعام: ٦٥] عن مشاركة الغير يريد أن قوله عز من قائل: ﴿ءإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾ [النمل: ٦٣] تذييل كالنتيجة للآيات السابقة المثبتة أن الله تعالى هو الواحد القادر الخالق دون ما عداه وأن ما عداه عاجز لا يشاركه في الخلق والقدرة التامة فهو المتفرد المتعالي عن مشاركة الغير في صفاته وأفعاله.

besturdubooks.wordpress.com

تعالى والفاعل للسبب فاعل للمسبب) وتمويجها أي تحريكها قوله فلا شك أن الأسباب الفاعلية وهي معاودة الأدخنة والقابلية وهي الهواء من خلق الله تعالى فإن مسلك الحكماء أن الأشياء مستندة إلى الله تعالى بواسطة الآلات وهذا مذهب التحقيق لهم وأما قولهم فلأن الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد فمذهب مشهور والتعويل على تحقيقهم **(يقدر على مثل ذلك)**.

قوله: (تعالى الخالق القادر عن مشاركة العاجز المخلوق) تعالى الخالق الخ أي تنزه عن مشاركة الخ فهي صفة سلبية قوله عن مشاركة الخ حمل الماء على المصدرية لأن في الموصولية تكلفاً لفظاً ومعنى إما لفظاً فلاحتياجه إلى العائد المحذوف وإما معنى فلأن التنزه عن الذات لا معنى له إلا بملاحظة الإشراك.

قوله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله: (﴿أمن يبدأ الخلق﴾) ترك العطف أيضاً وتنبيهاً على استقلاله.

قوله: (والكفرة وإن أنكروا الإعادة) جواب سؤال مقدر أن الكلام مع المشركين وأكثرهم منكر للإعادة بالمعنى المراد هنا وهو إعادة بدنه بعد هلاكه بإعادة الأجزاء المتفرقة وجمعها أو بإعادة المعدوم بعينه فكيف يلقى إليهم الكلام إلقاء المعترفين بها.

قوله: (فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها) جواب السؤال ومن جملة الحجج الدالة عليه الخلق ابتداء لأن إمكان الوجود أولاً يدل على إمكانه ثانياً بل هو أهون عليه ثم ذكر ما يدل على وقوعه بقوله ثم يعيده وبهذا البيان ظهر وجه ذكر الخلق ابتداء والحاصل لظهور الحجج على وقوع لإعادة جعلوا كأنهم معترفون بها فإن التمكن من العلم مثل المعرفة.

قوله: (﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ [النمل: ٦٤] أي بأسباب سماوية وأرضية) من السماء والأرض أي منهما جميعاً أشار إليه بقوله بأسباب سماوية وأرضية أو

قوله: والكفرة وإن انكروا الاعادة فهم المحجوجون بالحجج الدالة عليها هذا رد لما يرد على ظاهر الآية من أن الاستفهام في ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ للتقرير أي حمل المخاطب على الإقرار والمخاطب بالاستفهام التقريري ينبغي أن يكون من شأنه أن يقر بمضمون الكلام المستفهم منه والمخاطبون هنا كفرة وهم ينكرون الاعادة لا يقرون بها قطعاً فما وجه خطابهم بالاستفهام التقريري المراد به حمل المخاطب على الإقرار فقال رحمه الله والكفرة وإن أنكروا الاعادة لكنهم لكونهم محجوجين بالحجج والبراهين الدالة عليها الملجئة على الإقرار بها صاروا ممن يصلح أن يخاطبوا بهذا الاستفهام والمراد بالحجج هي الآيات السابقة الدالة على ثبوت الاعادة وقد أشار صاحب الكشاف إلى هذا الجواب بقوله قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار.

besturdubooks.wordpress.com

من كل واحد منهما ولم ينبه عليه هنا وقد ذكره في سورة يونس وقد فصلناه هناك في قوله أسباب سماوية إشارة إلى أن من ابتدائية داخلة على ما فيه السبب وكونها للبيان غير صحيح هنا بخلاف ما في سورة يونس فإنه قد جوزه هناك بتقدير المضاف.

قوله: (**يفعل ذلك**) أي يقدر ذلك والفعل يستلزم القدرة بخلاف القدرة إلا أن يراد بها القدرة مع الفعل فذكر الفعل هنا والقدرة هناك للتفنن والسؤال بأنه لم لم يعكس ليس بشيء لأنه سؤال دوري وقس أمثاله.

قوله: (**﴿قل هاتوا برهانكم﴾** [النمل: ٦٤]) أحضروا برهانكم وحجتكم مشتق من البره وهو القطع أو البرهنة وهي البيان.

قوله: (**على أن غيره يقدر على شيء من ذلك ﴿إن كنتم صادقين﴾** [النمل: ٦٤] **في إشراككم فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية**) على أن غيره يقدر الخ والمشركون لم يدعو ذلك صريحاً لأنه مكابرة صريحة لكنهم لما ادعوا إلهاً مع الله يلزم منه ادعاءان غيره يقدر الخ فألزم وأفحم بطلب إحضار البرهان ويؤيد ما ذكرنا قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾ [النمل: ٦٤] وقول المص فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية فمن أثبت للغير ألوهية لزمه أن يثبت كمال القدرة وقدرة شيء من ذلك وإنما اختار هذا التقدير لمناسبة ما قبله وكلمة الشك تهكم بهم وخطاب معهم على حسب ظنهم في إشراككم في قولكم إن لنا إلهاً غيره تعالى إذ اعتقاد الشركة لا يصدق عليه الصدق إلا أن يكون مجازاً عن الحق.

قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥)

قوله: (**لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة**) أشار إلى أن القدرة معتبرة في كل موضع ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿ءإله مع الله﴾ [النمل: ٦٤] وفيه دليل واضح على أن المراد بالفعل في قوله يفعل ذلك الفعل مع القدرة كما نبهنا عليه قيل في قوله أمن خلق السموات إلى هنا وهذا إشارة إلى ما ذكرناه.

قوله: (**اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية**) اتبعه ما هو كاللازم له وبذلك علم ارتباطه بما قبله وإيراد قل

قوله: فإن كمال القدرة من لوازم الألوهية ﴿إن كنتم صادقين﴾ [النمل: ٦٤] في دعواكم أن مع الله إلهاً آخر يقدر على شيء من تلك الأفاعيل فأتوا برهانكم فإذا لم تأتوا به فدعواكم هذه باطلة لأن ما اتخذتموه الهاً من دون الله منتف عنه القدرة على تلك الأفاعيل والقدرة عليها من لوازم الألوهية وانتفاء اللازم يستلزم انتفاء الملزوم فما اتخذتموه الهاً من دون الله لا يصح أن يكون الهاً لفقد لازمه.

قوله: ورفع المستثنى على اللغة التميمية يريد أن انقطاع المستثنى يوجب نصبه على مذهب جمهور النحاة فرفعه هنا على اللغة التميمية فإنهم يقولون ما في الدار أحد إلا حمار يرفع حمار يريدون ما فيها إلا حمار كان أحداً لم يذكر وإنما اختير هذا المذهب ليؤول المعنى إلى أنه إن كان

besturdubooks.wordpress.com

اهتماماً بشأنه قوله وهو التفرد بعلم الغيب والمراد بالغيب المغيبات التي لا دليل عليها وهو المعنى بقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية بخلاف الغيب الذي نصب عليه دليل كالباري تعالى وصفاته واليوم الآخر وأحواله وعلم تفرده بعلم الغيب من القصر وإنما قال كاللازم له لأن لازم القدرة التامة العلم بالغيب لا اتباع اختصاصه به بذلك الاختصاص ولك أن تقول لا التفرد به فإنه لا يلزمه عقلاً لجواز انفكاك التفرد به عن القدرة التامة وإن كان لازماً لها في الواقع وفي نفس الأمر لكن هذا بناء على أن المراد اللزوم العقلي والمستعمل في الشرع اللزوم العربي وهو صحة الانتقال من الملزوم إليه ولو بالقرينة فالتعويل على ما ذكرناه قوله والاستثناء منقطع لظهور عدم دخوله في من في السماء والأرض ورفع المستثنى مع أن الظاهر نصبه ولذا قال على اللغة التميمية ولغتهم اتباعه لما قبله في الإعراب وهي غير مشهور ولذا ورد في عموم المواضع بالنصب في القرآن العظيم وغيره لكن اختير هنا الرفع لنكتة المبالغة في نفي علم الغيب عما سواه بناء على أن السموات والأرض تعم لجميع المخلوقات التي تمكن فيها العقلاء حتى العرش والكرسي إذ المراد بالسموات العلويات.

قوله: (للدلالة على أنه تعالى إن كان ممن في السموات والأرض ففيها من يعلم الغيب مبالغة في نفيه عنهم) للدلالة على أنه تعالى إن كان الخ لكن المقدم محال وكذا التالي لكن هذا إن كان الاستثناء متصلاً تأويلاً كما حقق في قوله:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

وبعد كون رفعه بناء على اللغة التميمية لا يظهر له وجه وهل ادعى بنو تميم مثل هذه المبالغة في كل موضع رفعوا المستثنى المنقطع فيه إن ثبت هذا تم ذاك وإلا فلا[1].

الله ممن في السموات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته كاستحالة أن يكون الله منهم فإن في ادخال رب العزة في المستثنى منه بالدعوى وجعله جنساً منهم كما سبق ثم الإخراج بالمستثنى قطعاً للقول بنفي علم الغيب ممن في السموات والأرض وإن استحالة علمهم الغيب كاستحالة أن يكون الله منهم فيكون من باب تأكيد الشيء بما يشبه نقيضه كالبيت المشهور في باب تأكيد المدح بما يشبه الذم نحو ولا عيب فيهم البيت ونحو قوله:

إلا اليعافير وإلا العيس

بعد قوله:

ليس لها أنيس

---

(١) قال ابن الكمال جاء على لغة بني تميم حيث يجرون الاستثناء المنقطع مجرى المتصل ويجيزون النصب والبدل في المنقطع كما في المتصل انتهى فإذا رفع على البدلية يراد المبالغة كما هو الظاهر من كلامهم فيكون هذا قاعدة في إفادة المبالغة قد اهملوا في فن البديع وبينوا تأكيداً لمدح بما يشبه الذم وهذا مثله في إفادة المدح فليحفظ هذا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو متصل على أن المراد ممن في السموات والأرض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فإنه يعم الله تعالى وأولي العلم من خلقه وهو موصول أو موصوف) أو متصل على أن المراد الخ وقرينة إرادة من تعلق علمه قوله لا يعلم والعلاقة العالمية والمعلومية فيكون مجازاً مرسلاً فليس فيه الجمع بين الحقيقة والمجاز حتى يقال إنه بعموم المجاز فلا يتم ما ذكر في الكشاف من أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة إذ المراد كما عرفت كون العلم فيهما لا أنفسهما وأما الإشكال بأنه يلزم الجمع بينه تعالى وبين غيره في إطلاق لفظ واحد مع أنه منهي عنه في حديث ومن يعصمها فقد غوى حيث قال النبي عليه السلام بئس الخطيب أنت فمدفوع بأنه ورد في كثير من الآيات والأحاديث وتفصيله في شرح المصابيح للمصنف نقله الطيبي كما قاله المحشي السعدي فإن قيل كون علمه تعالى فيهما يقتضي كون ذاته فيهما قلنا يكفي لصحة الظرفية

كأنه قيل في البيت الأول إن كان فلول سيوفهم بالمقارعة في الحروب مما يعد عيباً ففيهم عيب بتاً للقول بأن لا عيب فيهم أصلاً وفي البيت الثاني إن كانت اليعافير أنيساً ففيها أنيس قطعاً للقول بخلوها عن الأنيس.

قوله: أو متصل على أن المراد بمن في السموات والأرض من تعلق علمه بها لما اقتضى حمل الاستثناء على الاتصال أن يدخل المستثنى في المستثنى منه أول رحمه الله من في السموات بمن تعلق علمه فيها ليكون عاماً شاملاً له تعالى ولذوي العقل الكائنين في السموات والأرض لكن ذلك المعنى بعيد غير متبادر من ظاهر الآية ولذا تركه صاحب الكشاف فلم يحمل الاستثناء على الاتصال حيث قال فإن قلت فلا زعمت أن الله ممن في السموات والأرض كما يقول المتكلمون الله في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم قلت يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازاً غير صحيحة على أن قولك ﴿من في السموات والأرض﴾ وجمعك بينه وبينهم في إطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والابهامات مزالة عنه وعن صفاته ألا يرى كيف قال عليه الصلاة والسلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم أنت تم كلامه روي أن رجلاً خطب عند رسول الله ﷺ فقال ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال رسول الله ﷺ بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورسوله وذلك أن في الجمع بالضمير توهم التسوية والعطف بالواو وإن دل على الجمع والتسوية في الفعل لكن في الإفراد بالذكر وجعل أحدهما متبوعاً والآخر تابعاً ما يزيل ذلك التوهم ووجه قوله القاضي في الجواب عما قال صاحب الكشاف أن يحمل استعمال لفظ من في ﴿من في السموات والأرض﴾ على عموم المجاز حيث نقل اللفظ من معنى خاص حقيقي إلى معنى عام مجازي شامل للجميع له تعالى ولذوي العلم فيكون مجازاً صرفاً لا جمعاً بين الحقيقة والمجاز لكن بقي الطعن في الجمع بينه وبينهم في إطلاق لفظ واحد خالياً عن الجواب.

قوله: وهو موصول أو موصوف أي لفظ من في لا يعلم من في السموات موصول بمعنى الذي أو موصوف بمعنى شيء.

besturdubooks.wordpress.com

كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه كذا حققه المص في أوائل سورة الأنعام وبهذا البيان سقط ما قاله في التاتارخانية رجل قال علم خدا درهمه مكان هست هذا خطأ لأن منشأه أنه يوهم كون ذاته فيه لكونه قائماً بذاته على أن القائم نفس صفة العلم ولا كلام فيه بل الكلام في التعلق وهو أمر إضافي ليس قائماً بذاته.

قوله: (متى ينشرون مركبة من آي وآن وقرىء بكسر الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة) متى ينشرون أي أيان استفهام عن الزمان مثل متى قيل ويستعمل في مواضع التفخيم مثل يسأل أيان يوم القيامة ولذا قال مركبة[1] من آي وآن أي آي زمان وآن لكن عدم التركيب هو الأصل قوله والضمير لمن وهو المختار إذ الكلام مسوق لبيان حالهم قوله وقيل للكفرة لأن الآيات الكثيرة المذكورة قبله سيقت لتوبيخهم.

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾

قوله: (لما نفى عنهم علم الغيب وأكد ذلك بنفي شعورهم بما هو مآلهم لا محالة) لما نفى عنهم علم الغيب إذ الاستفهام للإنكار الوقوعي وهو مستلزم للنفي قوله وأكد ذلك الخ وجه التأكيد هو أنهم لا يشعرون الغائب الذي نصب عليه دليل فكيف يعلمون الغيب الذي لا ينصب عليه دليل وهو المراد هنا أو وجه التأكيد هو أنهم لا يشعرون وقت نشرهم الذي هو الغائب الذي لم ينصب عليه دليل وأما الساعة نفسها فمن جملة المغيبات التي نصب عليها دليل وهو المراد بقوله بالغ فيه بأن أضرب الخ كما أشار إليه بقوله أسباب علمهم الخ وفيه إشارة إلى أنه لا بد من تقدير المضاف إذا أريد بإدراك هذا المعنى والتكامل في الأسباب لا العلم نفسه.

قوله: (بالغ فيه بأن أضرب عنه وبين أن ما انتهى وتكامل فيه أسباب علمهم) بالغ فيه أي في نفي الشعور بقرينة بأن أضرب عنه لأن ضمير عنه راجع إلى نفي الشعور ولو رجع ضمير فيه إلى نفي علم الغيب لزم تفكيك الضمير ولا ضير فيه.

قوله: لا محالة قيد للنسبة الواقعة في قوله وهو ما لهم أي هو مرجع أمرهم البتة لا تحول منه.

قوله: بالغ فيه أي بالغ في نفي علم الغيب عنهم بأن اضرب وقال بل ادارك هو من ادرك الغلام وادرك الثمر أي بلغ النهاية وتكامل فمعنى ادارك علمهم في الآخرة ادارك أسباب علمهم على الإسناد المجازي أي تكاملت وتتابعت أسباب معرفة الآخرة وتعاضدت الحجج والآيات الناطقة بوقوع البعث المهيئة لهم إلى العلم بوقوع القيامة والبعث والمجازاة لكنهم لا يلتفتون إلى تلك الحجج والآيات ولا يمعنون النظر فيها حتى أيقنوا أنها كائنة لا محالة فلذا لا يعلمون كما ينبغي ووجه افادة هذا الاضراب المبالغة في نفي علم الغيب عنهم أنه اضراب من نفي علم مفقود

---

(١) ولم يرض به في سورة الأعراف لما فيه من التزام حذف الهمزة من غير تعويض وقلب الواو ياء على غير قياس ثم حذف إحدى الياءآت وادغام الياء في الياء وهنا جوز تنبيهاً على القولين في الموضعين كما هو عادته من غير نظر إلى ضعفه وقوته.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (من الحجج والآيات وهو أن القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغي) من الحجج الخ بيان لما قوله وهو راجع إلى ما وتفسير له لا يعلمونه خبر ان كما ينبغي هذا القيد مفهوم من السوق أي يصدقون به على خلاف ما ينبغي كاليهود والنصارى فإنهم يصدقون بأن الجنة لا يدخلها إلا اليهود والنصارى وأن النار لن تمسنا إلا أياماً معدودة وغير ذلك فهو تصديق على خلاف ما ينبغي ومن الكافرين من لا يعلم ولا يصدقه أصلاً فقوله لا يعلمونه كما ينبغي شامل للفريقين جميعاً بتوجه النفي إلى القيد سواء كان المقيد ثابتاً كما في الأولين أو لا كما في الأخيرين.

قوله: (كمن تحير في أمر لا يجد عليه دليلاً) أتى بالكاف والتشبيه ولم يقل بل تحيروا في أمر الآخرة الخ لئلا ينافي قوله قبله تكامل فيه أسباب علمهم وهذا أبلغ من بل هم شاكون منها فلو قيل في تفسيره بل هم تحيروا في أمر الآخرة بحيث لا يجدون عليه دليلاً ينفعهم لكان أوفق لهذه المبالغة حيث جعل الشك ظرفاً لهم بل لا يبعد أن يقال معنى تكامل فيه أسباب علمهم تمكنوا من معرفته بسبب تحقق أسبابها لكنهم لم يلتفتوا إلى تلك الأسباب ولم يعرفوها فكيف يعرفون الآخرة فلا ينافي ما سبق لو تركوا التشبيه.

قوله: (لا يدركون دلائلها) صريح فيما ذكرناه.

قوله: (لاختلال بصيرتهم وهذا وإن اختص بالمشركين ممن في السموات والأرض نسب إلى جميعهم كما يسند فعل البعض إلى الكل) لاختلال بصيرتهم ولكون حواسهم

طريق حصوله إلى نفي علم موجود طرقه وأسبابه فإن انتفاء معرفة الشيء بعد الشواهد الدالة عليه أبلغ من انتفائها لأجل فقدان دليله ولما كان المقام مقام الترقي من الأدون إلى الأعلى اضرب عنه إليه بكلمة بل في ثلاثة مواضع تنزيلاً لأحوالهم من الغليظ إلى الأغلظ فالأغلظ وفي الكشاف ما هي إلا تنزيل لأحوالهم وصفهم أولاً بأنهم لا يشعرون وقت المبعث ثم بأنهم لا يعلمون أن القيمة كائنة ثم يخبطون في شك ومرية ثم بما هو أسوء وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه ولا يخطر بباله حقاً وباطلاً ولا تفكر في عاقبته تم كلامه فالمعنى كيف يشعرون وقت الآخرة والبعث وهم لا يعلمون كونها فإن العلم بوقت الشيء تابع للعلم بذلك الشيء بل كيف يشعرون كونها وهم خابطون في ظلماء الشك فإن الجاهل أهون حالاً من الشاك الذي يتخبط في شكه لا يحتاج الشاك إلى إزالة الشك بخلاف الجاهل بل كيف يزيلون الشك وهم كالبهائم في العمى فإن من لم يصرفه خوف الآخرة فعل ما يقتضيه الهوى فالأسلوب من باب الترقي من الأهون إلى الأغلظ.

قوله: هذا وإن اختص بالمشركين الخ لفظ هذا إشارة إلى ما تضمنه الآيات الثلاث الأخيرة من إنكار البعث لما أوهم رجع الضمائر في الآيات الثلاث الأخيرة المصدرة بكلمة بل إلى ﴿من في السموات والأرض﴾ إسناد إنكار البعث وقيام الساعة إليهم جميعاً وفيهم من لا ينكره أصلاً من المؤمنين به جعله من إسناد فعل البعض إلى الكل نحو بنو فلان فعلوا كذا الفاعل بعض منهم وجه التلاؤم بين الآيتين الأوليين النافيتين عن الملائكة والثقلين جميعاً علم الغيب وعلم وقت البعث

besturdubooks.wordpress.com

مؤوفة وقلوبهم مطبوعة بانهماكهم في الغي وهذا أي ما ذكر في الآية الكريمة من الشك والعمى وغير ذلك وإن اختص بالمشركين أي بالكافرين بأسرهم قوله نسب إلى جميعهم الخ كذا في الكشاف وقد تقدم مثله في سورة مريم في قوله تعالى: ﴿ويقول الإنسان أإذا ما مت﴾ [مريم: ٦٦] الآية وقوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] لكنه لا يناسب حسن الأدب لأنه تشريك الموحدين[١] الكافرين في نسبة أشنع الشنائع مما يتحير العقول ويسكب فيه عيون الفحول فما الباعث على ذلك مع أن الضمير يصح رجوعه إلى الكفرة فقط كما اعترف به على أن أكثر العلماء اشترطوا في تلك النسبة رضاء الباقين فالصواب أن يرجع الضمير إلى الكفرة هنا وحمل اللام على العهد هناك.

قوله: (والإضرابات الثلاثة تنزيل[٢] لأحوالهم) أي من حال إلى أنزل منها وأبعد إذ الثاني أبعد من الأول والثالث أبعد من الثاني ولا ريب في انتفاء علمهم بالآخرة كما ينبغي بعد تكامل أسباب العلم أنزل وأبعد من انتفاء علمهم بوقت البعث لأنه لم يلاحظ فيه الدليل وإن كانت موجودة.

قوله: (وقيل الأول إضراب عن نفي الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم لاستحكام علمهم في أمر الآخرة تهكماً بهم) وقيل الأول إضراب الخ والفرق أن علمهم في أصل معناه بلا تقدير المضاف مرضه لعدم القرينة وأما عدم كون الإضرابات على نسق واحد فلا ضير فيه.

قوله: (وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم أدركت الثمرة لانتهاء غايتها التي عندها تعدم) وقيل أدرك بمعنى انتهى الخ عطف على قوله بين أن ما انتهى الخ أي انتهى واضمحل كما أن المعنى في الأول انتهى وتكامل والإضرابات الثلاثة مثل ما مر والمعنى اضمحل علمهم في الآخرة أي في شأن الآخرة أي لم يتحقق مع وضوح دلائله وتكامل أسبابه مرضه لأن الاضمحلال العدم بعد الوجود وهنا لم يتحقق العدم قطعاً فيكون الاضمحلال عبارة عن الانتفاء رأساً مجازاً بطريق ذكر المقيد وإرادة المطلق.

وبين الآيات الثلاث الأخيرة المثبتة للمشركين إنكار البعث هو أنه تعالى لما ذكر أن العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون وقت البعث الذي يكون فيه وكان هذا بياناً لعجزهم ووصفاً لقصور علمهم وصل به أن عندهم عجزاً أبلغ منه وهو أنهم يقولون للأمر الذي لا بد أن يقع وهو وقت جزاء أعمالهم أنه لا يقع مع أن عندهم أسباب العلم بوقوعه واستحكام المعرفة به.

قوله: وقيل أدرك بمعنى انتهى واضمحل فسر رحمه الله ﴿بل ادارك علمهم في الآخرة﴾ بثلاثة أوجه مآل الكل إلى نفي علمهم بالآخرة لكن النفي في الوجهين الأولين ضمني وفي الوجه الثالث صريح.

---

(١) مع أن الموحدين شامل للأنبياء والملائكة والأولياء.

(٢) تنزيل لاحوالهم لم يقل ترقياً مع أنه الظاهر إشارة إلى أن الترقي في القبح تنزل في الحقيقة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بل ادارك بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان إذا تتابعوا في الهلاك) وحفص قيل الأول وعاصم إذ لم يختلف الرواية عنه.

قوله: (وأبو بكر أدرك وأصلهما تفاعل وافتعل) وأبو بكر أي وقرأ أبو بكر أدرك وهي قراءة شاذة وأصله تفاعل أي تدارك نقل عن الجعبري أنه قال قرأ نافع وابن عامر والكوفيون بل ادارك بوصل الهمزة وفتح الدال مشددة وألف بعدها وأبو عمرو بقطع الهمزة وتخفيف الدال الساكنة بلا ألف ماض من أفعل وما ذكره المص مخالف لنقل القراء.

قوله: (وقرىء ءأدرك بهمزتين وآادرك بألف بينهما وبل أدرك وبل أتدارك وبلى أدرك وبلى ادرك وأم تدارك وأم أدرك) بل أدرك على ماض[1] الأفعال بنقل فتح الهمزة إلى اللام وحذفها مع دال ساكنة على ما ذكرناه.

قوله: (وما فيه استفهام صريح أو مضمن من ذلك فإنكار وما فيه بلى فإثبات لشعورهم وتفسير له بالإدراك على التهكم) أو مضمن كأم فإن أم منقطع لا متصل ومعناها بل أكذا قوله ما ذكر أي من القراءات وتفسير له أي للشعور بالإدراك الواقع بعد بلى على التهكم أي على الاستعارة التهكمية.

قوله: (وما بعده إضراب عن التفسير مبالغة في نفيه ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها بل أنهم منها عمون) وما بعده إضراب عن التفسير أي عن التهكم لا عن المفسر وهو الشعور فإنه باق قوله مبالغة في نفيه إشارة إلى جواب سؤال كيف يكون الشعور مع الشك فأجاب بأنه من قبيل التعليق بالمحال كأنه قيل إن الشعور مجتمعاً مع الشك فأثبت لهم شعور وأنه محال بالبديهة فلا يكون لهم شعور البتة.

قوله: (أو رد وإنكار لشعورهم) فيكون إضراباً عن المفسر أي الشعور وإنكار له فيكون بل للإبطال.

قوله: وتفسير له بالشعور فمعناه بل يشعرون ثم فسر الشعور بقوله بل ادرك علمهم بالآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكأنه قال شعورهم بوقت الآخرة أنهم لا يعلمون كونها فيرجع على نفي الشعور على الوجه الأبلغ قوله وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة في نفيه لإفادته أنهم في جهيهم بالآخرة بحيث لا يصح نسبة الإدراك إليهم ولو تهكماً فالمبالغة في نفي العلم عنهم استفيدت نارة من اثبات العلم لهم تهكماً وتارة من نفي نسبة العلم إليهم مطلقاً ولو تهكماً ولكل اعتبار جهة في افادة المعنى.

قوله: ودلالة على أن شعورهم بها أنهم شاكون فيها أقول قصداً لدلالة على هذا المعنى ينافي معنى الاضراب لأن معنى الاضراب إعراض عن كلام وتركه ورجوع إلى آخر أعلى منه مضموناً أو أنزل

---

(١) ويحتمل فتح اللام مع تشديد الدال على نقل حركة همزة الاستفهام فإنه قرىء بها في الشواهد.

قوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا﴾ وضع الاسم الظاهر موضع المضمر للتسجيل على كفرهم وللتنصيص على علة الحكم وللإيماء إلى وجه بناء الخبر.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ٦٧﴾

قوله: (كالبيان لعمههم والعامل في إذا ما دل عليه ﴿ائنا لمخرجون﴾ وهو تخرج لا مخرجون لأن كلا من الهمزة وإن واللام مانعة من عمله فيما قبلها) كالبيان بيان لارتباطه بما قبله ولم يجعله بياناً لأنه وإن كان بياناً له في نفس الأمر لكنه أورد مع حرف العطف ولم يقصد كونه بياناً لأنه يقتضي ترك العطف ولك أن تقول إن الكاف مقحم وإيراد البيان بالواو لتأكيد اللصوق لا للعطف كالواو في قوله تعالى: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾ [الحجر: ٤] وفي قوله لعمههم تنبيه على أن عمون من العمه في البصيرة دون العمى في البصر وهو عدم إدراك القلب وإنكارهم البعث هنا إذ الاستفهام لإنكار الوقوع ولو قيل إن الاستفهام للتردد في وقوعه يكون هذا كالبيان للشك أو أريد العموم يكون كالبيان لهما وهذا أولى لقوله في سورة النبأ في تفسير قوله تعالى: ﴿هم فيه مختلفون﴾ [النبأ: ٣] بجزم النفي والشك فيه إذ القول المذكور كما يكون منشؤه الإنكار يكون منشؤه أيضاً[1] الشك بل هذا أوفق بالاستفهام الحقيقي لأنه إن يراد على تقدير قلنا هذا احتمال بعيد لا سيما الأول والضمير في عمههم لهم ولآبائهم على التغليب[2] أو لهم فقط وهو الظاهر من السوق إذ إنكار الأبناء وعمههم لا يستلزم إنكار الآباء كالعكس.

قوله: (وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار والمراد من الإخراج الإخراج من الأجداث أو من حال الفناء إلى الحياة) للمبالغة في الإنكار لتكرر الإنكار بتكرر أداته والمراد من الإخراج الخ وهو الموافق لقوله: ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾ [يس: ٥١] أي يسرعون والأجداث القبور جمع جدث أو من حال الفناء إلى الحياة اخره إذ الإخراج مجازي وإن الفناء بعد الوجود شبه بمحل الحبس والحياة بعد العدم شبه بالإخراج من ذلك المحل وهو تكلف.

قوله: (وقرأ نافع إذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرأ ابن عامر والكسائي إننا لمخرجون بنونين على الخبر) وقرأ ابن عامر الخ لكن يقدر الهمزة مع الفعل المقدر إذ

والدلالة المذكورة تفسير للكلام الأول الذي اضرب عنه وهو يتافي تركه والاضراب عنه.

قوله: كالبيان لعمههم يعني وضع الظاهر موضع الضمير ومقتضى الظاهر أن يقال وقالوا بياناً أن قائل هذا القول من هو ممن في السموات والأرض وهو عام يعم منكري البعث والمقرين به.

قوله: وهو نخرج على صيغة الحكاية المبنية للمفعول قوله لأن كلا من الهمزة أي الهمزة التي في ائنا والعامل المقدر هو بعد الهمزة في ائذا والتقدير انخرج إذا كنا تراباً.

قوله: وتكرير الهمزة للمبالغة في الإنكار لافادته إنكاراً على إنكار وجحوداً على جحود ودلالة على كفر مؤكد مبالغ فيه.

---

(١) لكن قوله تعالى: ﴿بل هو في شك منها﴾ يؤيد احتمال كون البيان للشك.

(٢) والضمير في ﴿ائنا لمخرجون﴾ لهم ولآبائهم على التغليب.

besturdubooks.wordpress.com

المعنى على الاستفهام قوله على الخبر أي على صورة الخبر ومراده بدون أداة الاستفهام لكنه مراد كما عرفت والحاصل أن نافعاً قرأ وأبو جعفر بالاخبار في الأول والاستفهام في الثاني وقرأ ابن كثير والكسائي بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني مع زيادة نون فيه قولان وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما كذا في النشر كما قيل.

قوله تعالى: لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (٦٨)

قوله: **(من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لأن المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظراً إلى الاهتمام التي هي كالأسمار)** وتقديم هذا[1] على نحن إشارة إلى نكتة تقديم هذا على نحن مع تأخره في سورة المؤمنين وإلا فهو مفعول لا يتحقق التقديم فلا يرام له نكتة في التأخير قوله التي هي كالأسمار جمع سمر وهو الحديث الذي يتلهى به ليلاً أشار به إلى أن مرادهم بها الأكاذيب التي كتبوها لا حقيقة لها جمع أسطورة لأنه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك أو جمع أسطار جمع سطر بمعنى الخط والكتابة وحيث آخر الخ لأن ما ذكر هناك اتباعهم أسلافهم في الكفر وإنكار الحشر من غير نفي ذلك عليهم وهنا ذكر ما صدر منهم أنفسهم مؤكداً مقرراً تكراراً فكان المقصود بالذكر وما هو أعني البعث المشار إليه بهذا كذا قيل ولا يخفى ما فيه لأن الظاهر أن قائل ويقولون ﴿ائذا متنا﴾ [المؤمنون: ٨٢] الآية في سورة المؤمنين أسلافهم لا متبعون الأسلاف حتى يتم ما ذكره فالأولى أن يقال إن اعتبر النظر إلى البعث نفسه فيكون مقصوداً فيقدم هذا وإن اعتبر النظر إلى المبعوث فيكون مقصوداً فيؤخر هذا والقول بأنه لم لم يعكس ضعيف لأنه سؤال دوري والاختيار مرجح.

قوله: وتقديم هذا على نحن الخ يعني أن التقديم إنما يتعمد به لاقتضاء المقام وكون المقدم مهماً بشأنه ولما كان إنكار البعث في هذه السورة أبلغ منه في سورة المؤمنين حيث قالوا هناك ﴿لقد وعدنا نحن وآباونا هذا من قبل﴾ [المؤمنون: ٨٣] بعد قولهم: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ [المؤمنون: ٨٢] قدم المنكر هنا واقر في تلك السورة في مكانه وبيانه أنه تعالى لما وبخ المشركين إنكارهم الحشر وبعث الخلائق بعد الموت بقوله ﴿أم من يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ثم جهلهم بوقت البعث بقوله: ﴿وما يشعرون ايان يبعثون﴾ [النمل: ٦٥] وترقى فيه ذلك الترقي المذكور وحكى عنهم ما كانوا يتفوهون به في اثناء إنكارهم ذلك فقال: ﴿وقال الذين كفروا أئذا كنا تراباً وآباؤنا﴾ [النمل: ٦٧] ووضع الذين كفروا موضع ضميرهم للإشعار بأن هذا القول إنما صدر عنهم لتماديهم في الكفر حيث ضموا مع إنكارهم جعل أنفسهم تراباً صرفاً لا جزء هناك على صورة نفسه فقدموا المنصوب على المرفوع لكونه عندهم مقصوداً أصلياً بالإنكار ومهتماً بشأنه وأما في سورة المؤمنين فلم يسبق منهم شيء من ذلك فحكى عنهم قولهم لينبه به على أن ذلك جرى محض التقليد ومتابعة أسلافهم في تكذيب

---

(١) فيه لطافة تأمل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

قوله: (قل سيروا) وإنما أمر به عليه السلام هنا وفي بعض السور وفي سورة آل عمران ﴿فسيروا في الأرض﴾ [آل عمران: ١٣٧] إذ فيما قبله خوطب الكفار ففرع الأمر بالسير في آل عمران بخلاف ما وقع هنا وفي مثله ذكر في الأرض للتعميم فالفاء هنا لأن السير لأجل النظر هنا ولا كذلك في سورة الأنعام ونحوها لأن السير هناك لأجل غيره كالتجارة ونحوها ولذلك قيل معناه هناك إباحة السفر للتجارة ونحوها وإيجاب النظر في آثار الهالكين وأما هنا فالأمر بالسير للمجرمين الحاضرين فلا جرم أن السير لأجل النظر وأما هناك فيحتمل الخطاب للمصدقين فعلم أن المراد بالسير في هذه المواضع السير الحقيقي والقول بأن المراد تعرف أحوالهم مجازاً سواء كان بالسير أو بغيره ضعيف ولك أن تقول إيراد الفاء بالنظر إلى أول السير وكلمة ثم بالنظر إلى تمام السير فإن لوحظ حصول النظر عقيب السير اختير الفاء وإلا اختير ثم أو كلمة ثم للتراخي الرتبي إذ السير واجب بالنظر إلى السير فهو وسيلة والنظر واجب بالأصالة كيف إعرابه وتوضيحه قد تقدم في سورة آل عمران والعاقبة مصدر كالعافية وهي منتهى الأمر.

قوله: (تهديد لهم على التكذيب) تهديد لهم أي المشركين على التكذيب أي على تكذيب البعث بمعنى عدم تصديقهم سواء كانوا شاكين فيه أو جازمين بعدم وقوعه أو على تكذيب النبي عليه السلام فالتكذيب في بابه حينئذٍ.

قوله: (وتخويف بأن ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم) وتخويف أي لهم بأن ينزل الخ لأنه المقصود بالأمر بالنظر كي يعتبروا فيؤمنوا.

قوله: (والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفاً للمؤمنين في ترك الجرائم) والتعبير عنهم بالمجرمين مع أن الظاهر التعبير بالمكذبين أو بالكافرين لطفاً من الله تعالى وإرشاد

الأنبياء صلوات الله عليهم في البعث فلذا اقروا كلا من المرفوع والمنصوب في مكانه ولم يذكروا آباءهم هناك في حيز الإنكار حيث قالوا: ﴿أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ [الصافات: ١٦] وذكروهم هنا وهو يدل على أنهم ينكرون البعث من عند أنفسهم وأن في أنفسهم باعثاً على إنكاره غير التقليد لآبائهم فكونهم أوغل في إنكار البعث حملهم على تقديم هذا على نحن اهتماماً منهم بشأن البعث وإنكاره وما ذكره رحمه الله في تقديم هذا على نحن هو الذي أراده صاحب المفتاح بقوله والجهة المنظور فيها هناك هي كون أنفسهم تراباً وعظاماً والجهة المنظور فيها ههنا هي كون أنفسهم وكون آباءهم تراباً لا جزء هناك من بنائهم على صورة نفسه ولا شبهة في أنها ادخل عندهم في تبعيد البعث فاستلزم زيادة الاعتناء بالقصد إلى ذكره.

قوله: والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفاً بالمؤمنين يعني مقتضى الظاهر أن يعبر عن هؤلاء المكذبين بالبعث بلفظ الكافرين فترك مقتضى الظاهر إلى التعبير عنهم بالمجرمين دلالة على أن الكافر إنما استحق ذلك الاستئصال الكل لكون كفره جريمة فأمر المؤمنون بالنظر إلى ما يؤديه الجريمة من الهلاك ليروا آثار من اهلكوا بسبب جرائمهم فيتعظوا بها وينزجروا عن

besturdubooks.wordpress.com

إلى ترك الجرائم إذ الجرم ولو بغير الكفر باعث لنزول العذاب إذ الحكم على المشتق يفيد علية مأخذ الاشتقاق فحينئذٍ يكون الخطاب بالسير عاماً للمصدقين أيضاً ولو أريد بالمجرمين المشركين حملاً على الفرد الأكمل وبمعونة المقام لم يبعد واللطف من الله تعالى هو التوفيق إلى الطاعة والتبعيد عن المعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

قوله: (ولا تحزن) نهي عن الأمر الذي يؤدي إلى الحزن أو النهي عن مقتضاه.

قوله: (على تكذيبهم وإعراضهم) بتقدير المضاف إذ لا معنى للحزن على الذات بل الحزن على الفعل المخصوص بالقرينة وهو التكذيب هنا ولا يلزم تعلق حرفي جر بمعنى واحد بفعل واحد كذا قيل ولا حاجة إليه إذ تقدير المضاف شائع في مثله وأما جواز كونه تعليلاً لوجه حزنه فبعيد جداً.

قوله: (في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرىء ضيق أي أمر ضيق) في حرج صدر من الكنايات[1] ويحتمل الحمل على الحقيقة قوله وقرىء بكسر الضاد وهو مصدر كفتحها والقول بأنه على الفتح يحتمل الوصفية يحوج إلى تقدير موصوف أي في أمر ضيق كما في قراءة ضيق بتشديد الياء.

قوله: (من مكرهم ﴿فإن الله يعصمك من الناس﴾ [المائدة: ٦٧]) من مكرهم كمكرهم في دار الندوة بإشارة بعضهم إلى النفي وبعضهم إلى القتل وغير ذلك قوله فإن الله يعصمك من الناس من مكرهم أشار إلى أن ما مصدرية.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾﴾

قوله: (ويقولون) حكاية الحال الماضية أو للاستمرار.

قوله: (العذاب الموعود) أي المراد بالوعد الموعود لا المعنى المصدري.

اقتراف الجرائم والآثام فلا يبقوا على ما وقع عليه هؤلاء المجرمون من الهلاك بشؤم جريمتهم وإلا ظهر ما قال صاحب الكشاف وإنما عبر بلفظ الاجرام ليكون لطفاً للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها ألا ترى إلى قوله: ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ [الشمس: ١٤] وقوله: ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا﴾ [نوح: ٢٥].

قوله: على تكذيبهم وإعراضهم أي لا تحزن يا محمد على تكذيبك هؤلاء الكفرة في أمر البعث ووقوعه وإعراضهم عن اتباعك وعن الإيمان برسالتك وبما جئت به وحياً من الله تعالى فهو تسلية له ﷺ لأن القوم قومه قريش كما قال عز من قائل: ﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ [الكهف: ٦] قوله واللام مزيدة أي فعل الردف معدى بنفسه فاللام

---

(١) وهو التحسر التام والحيرة على عدم إيمانهم الدال عليه مكرهم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (﴿إن كنتم صادقين﴾ [النمل: ٧١]) الخطاب له عليه السلام ومن معه من المؤمنين أو الرسول تعظيماً له استعجلوا[1] العذاب الموعود.

قوله: (**قل عسى أن يكون ردف لكم**) أعيد قل للاهتمام بشأنه وأيضاً هذا تهديد للمنكرين يهدد بهذا الوعد تارة ويأمر بأن يهدد النبي عليه السلام به أخرى اسم عسى الشأن وكذا اسم أن يكون ردف لكم خبره ولك أن تقول إن جملة أن يكون الخ لاشتماله ضمير الشأن يغني عن تقدير ضمير الشأن في عسى.

قوله تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله: (**تبعكم ولحقكم واللام فيه مزيدة للتأكيد أو الفعل مضمن معنى فعل معدى باللام مثل دنا وقرىء بالفتح وهو لغة فيه**) تبعكم هو معنى ردف في الأصل ولما لزم له الوصول قال ولحقكم تفسيراً للتبعية وتنبيهاً على أنه المراد ولم يكتف به تنبيهاً على المناسبة بين المعنى الأصلي وبين المراد هنا قوله واللام زائدة الأولى فاللام الخ بالفاء نبه به على أن ردف متعد بنفسه ونقل عن الصحاح والأساس أنه يتعدى بنفسه وباللام فلا يحتاج إلى ما ذكر لكن ما ذكره صاحب الكشاف يعارضه ما ذكره في الأساس قيل وعامة الكتب على وفاق ما في الكشاف ولذا اختاره المص أو مراده في الأساس أنه متعد بنفسه ومتعد باللام إن اعتبر تضمين معنى فعل يتعدى باللام فلا يكون بين كلاميه منافاة ولا بد من الحمل على ذلك لأن الفعل الواحد بمعنى واحد كونه متعدياً بنفسه ومتعدياً بحرف الجر مشكل وفي كلام المص إشارة إلى ما ذكرناه وألا يلزم أن لا يوجد فرق بين المتعدي واللازم قوله مثل دنا فإنه يتعدى باللام وبمن وقرىء بالفتح أي بفتح الدال من الباب الأول كما أن الكسر من الباب الرابع.

قوله: (**حلوله وهو عذاب يوم بدر**) حلوله مفعول تستعجلون فيه تهديد عظيم بأن العذاب الموعود بأنواع بعضها في الدنيا وقد قرب حلوله فليرتقبوا وبعضها أخروي فليصبروا.

قوله: (**وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك كالجزم بها وإنما يطلقونه إظهاراً**

مزيدة للتأكيد كالباء في ﴿ولا تلقوا بأيديكم﴾ [البقرة: ١٩٥] قوله أو الفعل مضمن معنى فعل أي أو الفعل وهو ردف مضمن معنى فعل يتعدى باللام أي فعل الردف جعل في ضمنه معنى فعل تعديته باللام لا بنفسه فكان المعنى دنا لكم وازف لكم.

قوله: وقرىء بالفتح أي قرىء ردف بفتح الدال على وزن ذهب وهما لغتان والكسر أفصح.

قوله: وعسى ولعل الخ وعبارة صاحب الكشاف أعذب منه حيث قال وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الأمر وجده وما لا مجال للشك بعده وإنما يعنون بذلك اظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم

---

(١) استهزاء وإنكاراً لوقوعه بل إمكانه.

besturdubooks.wordpress.com

لوقارهم وإشعاراً بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم) كالجزم بها أشار إلى أنه من قبيل الاستعارة والظاهر استعارة تمثيلية شبه الهيئة الحاصلة[1] من وعيد الملوك بكلمة عسى الخ بالهيئة الحاصلة من الوعيد جزماً في عدم التخلف وكذا وعدهم قوله وإنما يطلقونه إظهاراً لوقارهم أي إنما لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بأن عدوهم لا يفوتهم وأن الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم كذا في الكشاف وقد لخصه المص.

قوله: (وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده) وعليه أي على هذا الأسلوب وهو ما عرف من عادة الملوك جرى وعد الله الخ تقديم الجار للاهتمام به لا للحصر فإنه لا يصح إذ الوعد والوعيد بالجزم أكثر من أن يحصى.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله: (بتأخير عقوبتهم على المعاصي) هذا التخصيص من مقتضيات المقام ولارتباط الكلام ولو عمم لدخل هذا دخولاً أولياً لكن ما ذكره أمس بالمرام ونكر الفضل هنا للتفخيم وأنه نوع فضل لا يعرف كنهه اختير على الناس على العالمين إظهاراً لشرف الإنسان وتنبيهاً على أن فضل الناس أوفر وأشرف من فضل سائر العالمين.

قوله: (والفضل والفاضلة الإنضال وجمعهما فضول وفواضل) والفاضلة مصدر كالعافية وهي الإنعام وجمعهما لف فضول وفواضل نشر مرتب قوله جمعهما بالتثنية وفي بعض النسخ جمعها وهو خلاف الظاهر.

قوله: (لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه) لا يعرفون حق النعمة هذا ثابت باقتضاء النص قوله فيه أي في تأخير العقوبة على المعاصي قوله فلا يشكرونه إشارة إلى أن المفعول محذوف حذف لرعاية الفاصلة والضمير إما راجع إليه تعالى أو إلى تأخير العقوبة والأول هو الظاهر إذ الثاني يحتاج إلى الحذف والإيصال قوله وقوعه أي وقوع العذاب الموعود يفهم من كلامه أن المراد بالناس المستعجلون بالعذاب وليس كذلك.

وأن الرمزة إلى الاغراض كافية من جهتهم فعلى ذلك وعد الله ووعيده قال الراغب عسى طمع وترج وكثير من المفسرين فسروا عسى ولعل باللازم وقالوا إن الرجاء والطمع لا يصح من الله تعالى وفي هذا قصور نظر وذلك أن الله تعالى إذا ذكر ذلك يذكره ليكون الإنسان منه على رجاء لا أن يكون هو تعالى راجياً قال تعالى: ﴿عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾ [الأعراف: ١٢٩] أي كونوا راجين بذلك فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده.

قوله: لا يعرفون حق النعمة فيه أي في تأخير عقوبتهم بل يستعجلون لجهلهم وقوعها فتذكير الضمير في وقوعه لكون العقوبة بمعنى العقاب أو لعدم الاعتداد بالتأنيث اللفظي.

---

(١) وفي هذا البيان خفاء إذ ظاهره الاستعارة المكنية وقد ادعى أنه استعارة تمثيلية على أن كونه استعارة مكنية محل نظر فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤﴾

قوله: (﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ [النمل: ٧٤] ما تخفيه وقرىء بفتح التاء من كننت أي سترت) وإن ربك ليعلم تكرار إن ربك لمزيد اللطف له عليه السلام في هذا البيان تنبيه على أن التأخير ليس لخفاء حالهم وعدم اطلاعها ولذا قدم الإكنان على الإعلان وأيضاً هو المقدم في الوجود حيث إنه هو الداعي لما يظهر على الخارج وذكر الإعلان بعد الإكنان مع أن علمه مستلزم لعلم الإعلان للإشارة إلى استواء الخفي والظاهر بالنظر إلى علمه وأن الخفاء بالنسبة إلى المخلوق.

قوله: (من عداوتك فيجازيهم عليه) فيجازيهم[١] إشارة إلى أن فعل القلب يجازى عليه[٢] إذا كان عزماً مصمماً لا حديث النفس وهذا هو المذهب المنصور وقد مر[٣] بيانه من عداوتك متعلق بتكن وما يعلنون هي من المضمرات في الصدور في نفسها ومن الأمور الظاهرة باعتبار أمارتها فلا إشكال بأن العداوة أمر قلبي وإسناد الإكنان إلى الصدور مجاز لكونها محلها ولم يسند الإعلان لأنها ليس محله فأسند إليهم وعن هذا غير الأسلوب.

قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝٧٥﴾

قوله: (خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما في الرواية) وهما أي غائبة وخافية من الصفات الغالبة أي أنهما في الأصل صفة لأنهما اسم الفاعل غلبتا في معنى الشيء الخفي ولما غلب الاسمية كثر عدم إجرائها على الموصوف وكثر أيضاً دلالتها على الثبوت ولذا قال والتاء الخ أي التاء فيهما ليست للتأنيث لما عرفت أن الموصوف لا يلاحظ حتى يكون مذكراً تارة ومؤنثاً أخرى مطابقاً لموصوفه فهي للمبالغة تفيد الشدة في الخفاء هنا مثلاً كالتاء في الراوية قيل وهو الرجل الكثير الرواية وفي الكشاف كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء.

قوله: وقرىء بفتح التاء من كننت إذا سترت يقال كننت الشيء أكننته إذا سترته وأخفيته قال ابن جني فهذا القاري أجرى الضمير مجرى الجسم الساتر مبالغة ونحوه قول القائل:

وحاجة دون أخرى قد عرضت بها ... جعلتها للتي أخفيت عنوانا

فالمعنى أنه تعالى يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله ﷺ ومكائدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستحقونه.

قوله: كما في الرواية والتاء فيها للمبالغة فمعنى الآية على هذا وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله وأحاط به وأثبته في اللوح والراوية البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقي عليه والعامة تسمي المزادة راوية وذلك جائز على الاستعارة كذا في الصحاح.

---

(١) فيه إشارة إلى أن المراد بالعلم التعلق الحادث.

(٢) إن خيراً فخير وإن شراً فشر وإن كان السوق في الشر.

(٣) أي في قوله تعالى: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أو اسمان لما يغيب ويخفى فحينئذٍ التاء كالتاء في عافية وعاقبة) أو اسمان أي منقولان من الوصفية إلى الاسمية فحينئذٍ التاء للنقل كالتاء الخ والفرق بينهما أن الأول يجوز إجراؤه على موصوف مذكر بخلاف الثاني كذا قيل وإن المعنى في الأول وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء إلا وقد علمه الله تعالى وأحاط به وأثبته في اللوح المبين بخلاف الثاني فإنه لا يفهم ذلك المعنى وإن كان المراد منه بقرينة عقلية وإذا كان حال شيء شديد الغيبوبة فالشيء الخفيف الغيبوبة والشيء الظاهر كونه معلوم الله تعالى ومثبتاً في كتاب مبين يعلم بطريق الأولى ولذا لم يتعرض له هنا وهذه الآية من باب الترقي أثبت أولاً كونه عالماً بما تكن صدورهم ثم بين بطريق الترقي أنه عالم بكل الخفيات وأنها مثبتة في كتاب مبين فهي مقررة لما فهم مما قبله وأن السماء والأرض عام إذ المراد من السماء العلويات والأرض السفليات والاستثناء مفرغ من عموم الظرف وأن القصر من قصر الموصوف على الصفة أي كل غائب منحصر على كينونتها في كتاب مبين.

قوله: (بين أو مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح المحفوظ أو القضاء على الاستعارة) بين أي ظاهر من أبان اللازم أو مبين ما فيه من أبان المتعدي ومفعوله محذوف حذف لرعاية الفاصلة أو للتعميم مع الاختصار والمراد اللوح المحفوظ قدمه لأنه الراجح الظاهر من الكتاب المبين فيكون ظرفاً لكتابته والظاهر أن الظرفية حقيقة بالنظر إلى الخط قوله أو القضاء وهو حكمه الأزلي كذا قال علي القاري في شرح مشكاة المصابيح القضاء عبارة عن الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في أم الكتاب أولاً وفي اللوح المحفوظ ثانياً على سبيل الإجمال والقدر تعلق الإرادة بالأشياء في أوقاتها وهو تفصيل قضائه السابق بإيجادها في المواد الجزئية المسمى بلوح المحو والإثبات كما يسمى الكتاب بلوح القضاء واللوح المحفوظ بلوح القدر وهذا المعنى هو المناسب هنا وقيل القضاء العلم الأزلي على الاستعارة قيد للأخير أي شبه القضاء بالكتاب الجامع للحوادث والنوازل فذكر اسم المشبه به وأريد المشبه.

قوله تعالى: إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾

قوله: (﴿إن هذا القرآن﴾) أشير إليه بالقريب لأنه لاحتوائه البلاغة والبراعة كان ممتازاً عن الغير وصار كالمشاهد المحسوس ﴿يقص على بني إسرائيل﴾ [النمل: ٧٦] أي يبين لهم والقصص كلام يتلو بعضه بعضاً فيما يحكي عن المعنى ﴿أكثر الذي﴾ مفعول يقص وصيغة المضارع للاستمرار أو لحكاية الحال الماضية.

قوله: (كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار) كالتشبيه أي تشبيهه تعالى بغيره المستلزم للجسمية لقولهم لموسى عليه السلام ﴿أرنا الله جهرة﴾ [النساء: ١٥٣] الآية فهذه

قوله: كالتاء في عاقبة وعافية وإنما جاءت الهاء لغلبة الاسم عليها فتكون للنقل من الوصفية إلى الاسمية كالنطيحة والذبيحة.

besturdubooks.wordpress.com

الآية أوضح دلالة على اعتقادهم التشبيه كما صرح به المص هناك والتنزيه وهم مؤمنو بني إسرائيل وأحوال الجنة والنار فإنهم اعتقدوا أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود والنصارى وإن أهل الجنة يتنعمون بالاستشمام نسيم الروائح بدون أكل وشرب وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة.

قوله: (وعزير والمسيح) وعزير حيث قالوا عزير ابن الله والمسيح فيه إشارة إلى أن المراد ببني إسرائيل ما يشمل النصارى كما في الكشاف فإن النصارى قد اختلفوا اختلافاً كثيراً ووقع بينهم التناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً.

قوله تعالى: وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾

قوله: (﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾ [النمل: ٧٧] لأنهم هم المنتفعون به) وإنه لهدى للناس أجمعين ورحمة للمؤمنين أي نعمة جسيمة لهم لأنهم هم المنتفعون به ولذا قيدت بالمؤمنين وأما الهداية فعامة ولذلك لم يقيد بهم والمراد بالمؤمنين مؤمنو بني إسرائيل إذ الكلام فيهم أو الأعم لأن الكلام مطلق واللام للاستغراق فيعم فيدخل مؤمنو بني إسرائيل دخولاً أولياً قيل وهو حث للمشركين على اتباعه لأنهم يراجعون أهل الكتاب وفيه خفاء.

قوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾

قوله: (﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ [يونس: ٩٣] بين بني إسرائيل) إن ربك يقضي ترك العطف لأنه بمنزلة بيان قوله ﴿إن هذا القرآن يقص﴾ [النمل: ٧٦] الخ ﴿وإن ربك يقضي﴾ [النمل: ٧٨] والقصة شأن لكن القضاء مفوض إلينا وإن معنى قصته قضاؤه تعالى بتلك القصة بينهم بين إسرائيل لتقدم ذكرهم جعلهم مرجعاً وفسر بعضهم بقوله بين من آمن بالقرآن وبين من كفر به والظاهر أن مراده بمن آمن الخ بنو إسرائيل.

قوله: وعزير والمسيح قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه أحزاباً ووقع بينهم التخالف والتناكر في أشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضاً وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا وأخذوا به وأسلموا والمراد ببني إسرائيل اليهود والنصارى كما هو الظاهر لا اليهود وحده والمراد بالاختلاف ما شجر بينهم في المسيح عليه السلام لقوله تعالى: ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ [مريم: ٣٧] وهم اليهود والنصارى في وجه وفي وجه آخر فرق النصارى من اليعقوبية والنسطورية والملكائية والمقام يقتضي العموم بقرينة سباق الآي وسياقها.

قوله: فإنهم المنتفعون به لما كان القرآن هداية ورحمة لكافة الناس مؤمنين وكافرين بين رحمه الله سبب تخصيص المؤمنين بالذكر والمراد بالمؤمنين من آمن من بني إسرائيل أو منهم ومن غيرهم.

قوله: بين بني إسرائيل وفي الكشاف بين من آمن بالقرآن ومن كفر.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (**بما يحكم به وهو الحق**) أول الحكم بالمحكوم به لأن القضاء هو الحكم فيصير كضرب زيد بضربه فيلغو أولاً يفيد فائدة معتداً بها والقول بأنه لا يمتنع أن يقال ضرب زيد بضربه المعروف بالشدة فالمعنى حينئذٍ يحكم بحكمه المعروف الخ بملابسة الحق أو يحكم بحكم نفسه لا بحكم غيره كالبشر ضعيف أما أولاً فلأنه والآية على هذا التقدير يكون قريبة من شعري شعري فهو التزام ما لا يلزم فإن الحكم مجيئه بالمحكوم به شائع عند أهل الميزان وأرباب الأصول فالحمل على معناه المصدري ثم التأويل بهذا خروج عن الجادة المستقيمة ومراد الشيخين أنه يلزم اللغو بحسب الظاهر المتبادر وإلا فباب التأويل مفتوح وأما ثانياً فلأن حكم الله تعالى لا يكون إلا ملابساً بالحق فالسؤال باقٍ غير مندفع إذ المعنى أنه يحكم حكماً ملابساً بالحق بالحكم المعروف بملابسة الحق وكذا حكمه تعالى منحصر في حكم ذاته لا يحتمل غيره.

قوله: (**أو بحكمته**) أي الحكم باقٍ على المصدرية لكن لا بمعناه المعروف بل بمعنى الحكمة أي المصلحة أي ذلك الحكم متضمن الحكمة البالغة والمصلحة البارعة فالباء حينئذٍ للملابسة وعلى الأول للصلة.

قوله: (**ويدل عليه أنه قرئ بحكمه**) ويدل عليه أي دلالة ظنية ولذا أخر هذا المعنى مع أن له مؤيداً والمتعارف ويؤيد في مثل هذا المقام والجمع يدل على أن حكمه تعالى يتضمن حكماً كثيرة وهو المراد أيضاً في قراءة الأفراد بإرادة الجنس.

قوله: (**فلا يرد قضاؤه بحقيقة ما يقضي فيه وحكمه**) فلا يرد قضاؤه كما يرد قضاء البشر وهذه الجملة من قبيل الاحتراس والتكميل وكذا الكلام في قوله العليم بحقيقة ما يقضي وحكمه وفي الكشاف بمن يقضي له وبمن يقضي عليه وهو أوضح مما ذكره ولم يتعرض لمعنى العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين المحقين لبعده عن المقام إذ المقام بيان تنفيذ حكمه وأنه واقع موقعه وليس حكمه حكم سائر الحاكمين لأنه أحكم الحاكمين مع أن ما ذكر منفهم مما اكتفى به.

قوله تعالى: فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

قوله: (﴿**فتوكل على الله**﴾) الفاء للسببية لأن ظهور رسالته بالحجة وهي أن قصة هذا القرآن على بني إسرائيل لما كانت موافقة لما في التورية والإنجيل[1] مع أنه عليه السلام

قوله: بما يحكم به وهو الحق أو بحكمته لما أشكل ظاهر قوله عز من قائل: ﴿يقضي بحكمه﴾ [النمل: ٧٨] لإفادته معنى يحكم بحكمه ولا يقال يضرب بضربه ونمنع بمنعه وجهه بتوجيهين الأول أن المراد بالحكم المحكوم به فسمي المحكوم به حكماً والثاني أن الحكم بمعنى الحكمة ويدل عليه قراءة من قرأ بحكمه بكسر الحاء وفتح الكاف جمع حكمة.

---

(١) داعية إلى الاتباع مع أنهم مصرون على المخالفة والمعاداة.

besturdubooks.wordpress.com

كان أمياً كانت معجزة كان سبباً للتوكل والأمر به والمعنى ودم على التوكل أو زد التوكل.

قوله: (ولا تبال بمعاداتهم) هذا من لوازم التوكل أي ولا تبال بها فإن الله تعالى عاصمك من شرورهم وغيرها.

قوله: (﴿إنك على الحق المبين﴾ [النمل: ٧٩] وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظه الله ونصره) إنك على الحق تعليل للأمر بالتوكل المسبب بظهور الرسالة وحاصله[1] تعليل للمعلل وفي على استعارة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ۝٨٠﴾

قوله: (تعليل آخر للأمر بالتوكل) إذ التقدير لأنك فحينئذٍ يلزم تعلق الجارين بمعنى واحد بفعل واحد بدون عطف فتأمل.

قوله: (من حيث إنه يقطع طمعه عن مشايعتهم ومعاضدتهم رأساً) والحال أن الأمر بالتوكل مسبب عما كان يغيظ رسول الله عليه السلام من ترك اتباع المشركين وأهل الكتاب وقطع الطمع عن مشايعتهم أي متابعتهم كان سبباً قوياً للأمر بالتوكل إذ لم يبق حينئذٍ إلا الاستنصار عليهم لدفع شرورهم.

قوله: (وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم) أي وهم أحياء حقيقة سالم القوى والآلات لما ذكره من أنهم أموات مجازاً لانتفاء الحياة المجازية وهي العلم والإيمان وعدم انتفاعهم بذلك لعدم الإيمان به.

قوله: وصاحب الحق حقيق بالوثوق أمر عليه السلام بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الظن والشك وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله ونصرته كأنه قيل له صلوات الله عليه أعرض عنهم وتاركهم لأنك بالغت في الإنذار واعذرت أي بالغت من اعذر الأمر إذا بالغ فيه وأنهم لا يؤمنون البتة ولم يبق لك إلا الاستنصار والتوكل على الغالب القاهر لاعدائه الناصر والمتولي لأوليائه لأن الأصل أن يقال فتوكل عليه لجري ذكر الله تعالى بقوله: ﴿إن ربك يقضي بينهم﴾ [النمل: ٧٨] فوضع اسم الذات موضع الضمير فأفاد في هذا المقام هذا المعنى قال الراغب التوكل يقال على وجهين يقال توكلت لفلان بمعنى توليت له ويقال وكلته فتوكل لي وتوكلت عليه اعتمدته قوله تعليل آخر للأمر بالتوكل يعني أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله من جهة المشركين وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فناسب ذلك أن يعلل أمره بالتوكل لخيبته من اتباع القوم وأنه قد آيس منه فلم يبق إلا الانتصار عليهم والانتقام منهم بعداوتهم واستكفاء شرورهم وأذاهم.

قوله: وإنما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم بما يتلى عليهم وفي الكشاف وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا ما يتلى عليهم من آيات الله وكانوا اقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا

---

(١) لأن عدم اتباعهم وعداوتهم وأذاهم كان سبباً للاستنصار عليهم ودفع شرورهم وهو معنى التوكل مآلا.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (كما شبهوا بالصم في قوله: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ [الروم: ٥٢]) الآية كما شبهوا بالصم جمع أصم وهو فاقد قوة السمع وهم صحاح القوة السامعة لكنهم لما لم ينتفعوا به صاروا مشابهين بالصم فالقوة السامعة منتفية ذاتها وحقيقتها في الأصم ومنتفٍ كمالها في هؤلاء الكفرة.

قوله: (فإن أسماعهم في هذه الحال أبعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم الدعاء) فإن أسماعهم الخ بيان فائدة هذا القيد مع أنهم لا يسمعون ما يتلى سماعاً معتداً به مطلقاً فلا مفهوم لأن هذا القيد لما كان له فائدة غير مفهوم المخالفة وهي التنبيه على كون أسماعهم في هذه الحالة أبعد لا مفهوم.

قوله تعالى: وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

قوله: (﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾) غير الأسلوب للمبالغة فيه بوجه آخر بإيراد الجملة الاسمية وأنها لاستمرار النفي لا لنفي الاستمرار قوله عن ضلالتهم متعلق بهادي بتضمين معنى الصرف والمنع[1].

قوله: (حيث الهداية لا تحصل إلا بالبصر وقرأ حمزة وحده وما أنت تهدي العمي) حيث الهداية الخ تقييد للهداية لا تعليل لها حتى يقال أي الهداية الكاملة أو باعتبار الأغلب أي أن الهداية المنفية الهداية التي لا تحصل إلا بالبصر دون غيرها والهداية التي لا تحصل إلا بالسمع نفيت أولاً بقوله لا تسمع الموتى الخ فحصل نفي الهداية عنهم رأساً لكنه تفنن في النفي المذكور.

مصحح السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمى حيث يضلون الطريق ولا يقدر أحد أن ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء إلا الله عز وجل إلى هنا كلام الكشاف والاقماع جمع قمع بكسر القاف وهو الإناء المثقوب من تحته يترك على رؤوس الظروف لتملأ بالمائعات من الأشربة والادهان شبه اسماع الذين يسمعون القول ولا يعونه ولا يحفظونه ولا يعملون به بالاقماع التي لا تفي شيئاً مما يفرغ فيها فكأنه يمر عليها كما يمر الشراب في الاقماع ومنه ويل لاقماع القول وهم الذين يسمعون ولا يعون فالقمع مستعار للاذن التي تسمع ولا تعي ثم أطلق على من له اذن شأنها ذلك تجوزاً عن المجاز فإن اسماعهم في هذه الحالة أبعد يعني أن قوله عز من قائل: ﴿إذا ولوا مدبرين﴾ [النمل: ٨٠] تأكيد لحال الأصم لأنه إذا تباعد عن الداعي بأن يولي عنه كان أبعد عن إدراك صوته فهو من باب التتميم كقول امرىء القيس:

حملت ردينيا كأن سنانه ... سنا لهب لم يتصل بدخان

فإن قوله لم يتصل بدخان تتميم.

---

(١) وفي الكشاف أشار إلى تضمين معنى الابعاد.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ما يجدي أسماعك) وهذا القيد معتبر فيما سبق ذكره هنا للاستثناء المذكور فعلم من هذا الاستثناء أن ما سبق عام خص منه البعض وإن أريد به من لا يعلم الله أنه لا يؤمن فلا حاجة إلى التخصيص ولم يقل أن ترى إلا من يؤمن لأن المذكور يستلزمه ولم يعكس لأن الإسماع أهم ولذا قدم نفيه لأن الإسماع يستلزم السماع والقبول ويحصل به المقصود.

قوله: (من هو في علم الله كذلك) أي المراد بمن يؤمن من يتعلق علمه تعالى بأنه يؤمن فيما لا يزال تعلقاً أزلياً فلا وجه للإشكال بأن المناسب حينئذٍ من آمن بصيغة الماضي لأن تعلق العلم قديم فإيمانه بالنظر إليه ماض وجه الدفع إن تعلق العلم به بأنه كائن في المستقبل فالمقتضى صيغة المضارع ولو أورد بالماضي لكان له وجه وصيغة المضارع مستعمل في المستقبل دون الحال ودون المشترك بينهما لأن المراد الاستقبال بالنظر إلى تعلق العلم فلا يرد الإشكال بمن يؤمن في الحال قوله كذلك إشارة إلى ما ذكرنا.

قوله: (مخلصون من أسلم لله وجهه) مخلصون فسره به ليفيد ذكره لأن الإيمان قد ذكر وصفهم به والتأسيس خير من التأكيد والمعنى أيضاً فهم مخلصون في علم الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله: (دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب) دنا وقوعه أي الوقوع مجاز أولي بالمشارفة بقرينة أن الإخراج المذكور قبل الوقوع قوله وقوع معناه للتنبيه على أن الوقوع ليس لنفس القول فإنه واقع قبل هذا الإخراج بل المراد معناه ومدلوله مجازاً تسمية للمدلول باسم الدال قوله وهو ما وعدوا به إشارة إلى أن نفس القول واقع قبله.

قوله: (وهي الجساسة) بجيم مفتوحة وسين مهملة مشددة وألف بعدها سين أخرى من الجس وهو المس سميت بها لتجسيها الاخبار للدجال كذا في شرح الحديث.

قوله: (روي أن طولها ستون ذراعاً ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروي أنه عليه السلام سئل عن مخرجها فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام) ستون ذراعاً الخ وروي أيضاً لا تخرج إلا رأسها

قوله: أي ما يجدي اسماعك يعني أن النفي بكلمة أن في أن تسمع ليس راجعاً إلى أصل الاسماع لحصوله لأن القوم ليسوا صماً حقيقة بل هو راجع إلى جدوى الاسماع ونفعه لهم حيث تصامموا عن الحق وإن سمعوه.

قوله: ولها قوائم وزغب الزغب السعرات الصفر على ريش الفرخ وازلغب الفرخ طلع ريشه بزيادة اللام قوله وقيل من الكلم وهو الجرح وقوله إذ قرىء استشهاد على كون تكلمهم من الكلم بمعنى الجرح فإن بعض القراءات قد يستفاد منه معنى البعض الآخر ويدل على المعنى المراد منه وقوله روي الخ بيان أن جرحها بأي وجه يكون.

besturdubooks.wordpress.com

ورأسها يبلغ عنان السماء أو يبلغ السحاب ولها قوائم أي أربع قوائم والزغب بضمتين صغار الريش والشعر أول ما يطلع عن مخرجها أي محل خروجها قوله حرمة على الله تعالى أي تعظيماً.

قوله: (من الكلام وقيل من الكلم على معنى التكثير إذ قرىء تكلمهم وروي أنها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في أنف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه) من الكلم وهو الجرح والمراد بالجرح ما أشير إليه بقوله فتنكت أي تمسه حتى يظهر فيه نكتة مخالفة للونه قوله في مسجد المؤمن المسجد بفتح الجيم محل سجوده وهو جبهته.

قوله: (خروجها وسائر أحوالها فإنها من آيات الله تعالى وقيل القرآن) خروجها تفسير الآيات وأحوالها.

قوله: (لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها أو حكايتها لقول الله تعالى) وهو حكاية معنى قولها[1] لا لفظه لأن آياتنا لا يناسبه بدون تأويل بتقدير آيات ربنا أو بحمل الإضافة على أدنى الملابسة لاختصاصها بمحليتها فالجملة على هذا مفسرة لما تكلمهم قوله أو حكايتها لقول الله تعالى بتقدير ويقول قال الله تعالى ﴿إن الناس﴾ [آل عمران: ١٧٣] الخ ولظهور المراد حذف القول.

قوله: (أو علة خروجها أو تكلمها وقرأ الكوفيون إن الناس بالفتح على حذف الجار) وهو اللام في الأول والباء في الثاني كذا قيل لكن الأولى اللام فيهما والخروج وإن لم يكن مذكوراً لكن الإخراج يدل عليه ولم يقل علة إخراجها إذ الآيات خروجها وأحوالها كما نبه المص عليه.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله: (﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يعني يوم القيامة) ويوم نحشر بيان إجمالي لحال المكذبين عند قيام الخ بعد بيان بعض علاماتها أي واذكر الحالة التي تقع في ذلك اليوم أو اذكر لهم زمان حشرنا أي جمعنا والمراد ذكر ما وقع فيه قد مر بيانه مراراً فوجاً أي جماعة كثيرة.

قوله: وقيل القرآن يعني أن المراد بالآيات خروج دابة الأرض وسائر أحوالها أو القرآن.

قوله: وهو حكاية أي قوله تعالى: ﴿أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ [النمل: ٨٢] حكاية حكى الله تعالى معنى قول دابة الأرض أو هو قول الله تعالى يحكيه دابة الأرض هذا التوجيه على قراءة كسر إن أو هو علة لخروجها أو علة لتكلمها على حذف اللام الجارة من أن الكائنة للتعليل والتقدير لأن ﴿الناس﴾ [النمل: ٨٢] الآية وهذا التوجيه على قراءة فتح أن.

---

(١) أي حكاية منه تعالى معنى قولها.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بيان للفوج أي فوجاً مكذبين ومن الأولى للتبعيض لأن أمة كل نبي وأهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين) ومن الأولى للتبعيض ومن الثانية للتبيين اختير الإطناب للمبالغة بذكرهم مرتين إجمالاً وتفصيلاً قوله شامل للمصدقين الخ والحشر أيضاً عام لهم فوجه التخصيص بالمكذبين لأن المراد الحشر للعذاب لأنهم يستعجلونه فبين حشرهم لبيان عذاب استعجلوه.

قوله: (فهم يوزعون) الفاء لأن الحشر سبب له.

قوله: (يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرة عددهم وتباعد أطرافهم) يحبس أولهم إشارة إلى أن إسناد الحبس إلى المجموع مجاز عقلي والمراد حبس أولهم قوله على آخرهم أي شفقة على آخرهم ولذا عدي بعلى قوله ليتلاحقوا أي ليلحق بعضهم بعضاً لأن في الجمع في موقف التوبيخ والمناقشة مزيداً في العذاب والحجاب والوزع بفتح الواو وسكون الزاء المنع وسمي الحبس به لأن فيه منعاً عن الحركة واختير الجملة الاسمية للتأكيد وإلا فيكفي في أصل المعنى فيوزعون.

قوله تعالى: حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

قوله: (﴿حتى إذا جاؤوا﴾ [النمل: ٨٤] إلى المحشر) حتى ابتدائية التي يقع بعدها الجملة ويجوز أن تكون جارة فيكون إذا في موضع الجر لكونه ظرفاً حينئذٍ.

قوله: (﴿قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ [النمل: ٨٤]) قال جواب إذا على الأول وعامل الظرف على الثاني أكذبتم أي ءأنكرتم آياتي المنزلة على الرسول الناطقة بحقية البعث والاستفهام للإنكار الواقعي للتوبيخ والتهديد.

قوله: (الواو للحال أي أكذبتم بها) الواو للحال وإنكار التكذيب في الحال المذكورة أشنع وأقبح ولذا قيد التكذيب المنكر به وإلا فالتكذيب منكر مطلقاً فلا مفهوم.

قوله: (بادىء الرأي[1] غير ناظرين فيها نظراً يحيط علمكم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو التكذيب) بادي الرأي مستفاد من قوله ولم تحيطوا بها إذ انتفاء الإحاطة مسبب

قوله: ومن الأولى للتبعيض لأن الفوج المكذب بعض الأمة من أمم الأنبياء ومن الثانية للبيان وعن ابن عباس الفوج المكذب هو أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار.

قوله: وإنها حقيقة عطف على قوله كنهها أي يحيط علمكم بكنه تلك الآيات وبأنها لائقة بالتصديق أو التكذيب أي يحيط علمكم بأن تلك الآيات هل هي حقيقة أي حريقة بأن يصدق بها أو يكذب بها.

---

(١) بالهمزة من بدأ إذا ابتدأ أو بغير الهمزة من بدا بدواً إذا ظهر نصب على الظرف والعامل أكذبتم أي أكذبتم أول الرأي أو ظاهر الرأي والرأي النظر.

besturdubooks.wordpress.com

عن ترك النظر المذكور قوله بكنهها إشارة إلى أن الإحاطة بها علماً إنما هو العلم بكنهها وانتفاؤها يؤدي إلى التكذيب وفيه إشارة إلى أن العلم بالشيء إنما هو علم بالكنه وأما العلم بالوجه فهو علم بالوجه المذكور لا بالشيء وهو مذهب المحققين فلا إشكال بأنه يفيد أن لهم علماً بها في الجملة بدون الإحاطة بناء على أن النفي متوجه إلى القيد فالنفي هنا متوجه إلى المقيد مع القيد.

قوله: (أو للعطف أي أجمعتم بين التكذيب بها وعدم القاء الأذهان لتحققها) أو للعطف فهو إنكار لجمعهما بإنكار كل واحد من المتعاطفين فمآل الوجهين واحد قدم احتمال الحال لأن العطف يوهم في أول الأمر أن المنكر الجمع دون كل واحد منهما نحو لا تأكل السمك وتشرب اللبن.

قوله: (أم أي شيء كنتم تعملونه بعد ذلك وهو للتبكيت إذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا يقدرون أن يقولوا فعلنا غير ذلك) أم أي شيء الخ أم متصلة أي أي أحد الأمرين وقع لكن المراد بالثاني التبكيت كما أوضحه المص وكونها منقطعة ضعيف يعلم من حسن كونها متصلة وفي ماذا وجهان أن يكون مجموعهما اسماً واحداً للاستفهام أو أن يكون ما استفهاماً وذا بمعنى الذي اسم موصول ويميل كلام المص إلى الأول وإن احتمل لغيره أم أي شيء الخ فحينئذٍ ماذا اسم واحد مرفوع على أنه مبتدأ خبره كنتم تعملون بحذف العائد أشار إليه بقوله تعملونه أو أي شيء منصوب على أنه خبر كان قدم للصدارة وعلى الثاني ما استفهامية وذا اسم موصول بحذف العائد كما عرفته والمعنى أي شيء تعملونه في حق الآيات كما هو مقتضى السوق واحتمال الأعم مخالف لمذاق المص.

قوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

قوله: (حل بهم العذاب الموعود) حل بهم الخ من الحلول فالتعبير بوقع لإفادة شدة الحلول وعلى المفيدة للاستعلاء تؤكد الشدة وما ذكره المص حاصل معناه العذاب أي المراد بالقول مدلوله مجازاً كما مر آنفاً الموعود مستفاد من التعبير بالقول أي الموعود في مواضع عديدة من القرآن.

قوله: (وهو كبهم في النار بعد ذلك) وهو كبهم في النار أي إسقاطهم في النار بعد ذلك أي بعد توبيخ أكذبتم بآياتي إشارة إلى ارتباطه بما قبله وعطفه على قال أكذبتم أو استئناف معاني أو نحوي فحينئذٍ التعبير بالماضي لتحقق وقوعه.

قوله: أجمعتم من الجمع والهمزة للاستفهام لكونه تفسيراً لقوله: ﴿أكذبتم﴾ [النمل: ٨٤] على حمل الواو على العطف المعتبر فيه معناه الذي هو الجمع فيؤول المعنى إلى إنكار الجمع بين هذين الأمرين القبيحين وهما التكذيب بالآيات وترك التأمل فيها ولا يراد معنى الجمع إذا جعلت للحال قوله: لشغلهم بالعذاب يعني أن العذاب الموعود يغشاهم بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله: ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ [المرسلات: ٣٥].

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله تعالى) بسبب ظلمهم أو بدل ظلمهم على أنفسهم ولذا قال وهو التكذيب.

قوله: (﴿فهم لا ينطقون﴾ [النمل: ٨٥]) أي إذا كان الأمر كذلك فهم لا ينطقون على الدوام ولذا اختير الجملة الاسمية.

قوله: (باعتذار لشغلهم بالعذاب) باعتذار قيده لأنهم ينطقون ربنا أبصرنا وسمعنا ويقولون أيضاً ربنا أمتنا اثنتين وينطقون أيضاً يا مالك ليقض علينا ربك وربنا أخرنا وربنا أخرجنا نعمل صالحاً ورب ارجعون كل واحد منها ألف سنة فلا يقال أو لا يقدرون على نطق أصلاً لدهشتهم قوله لشغلهم بالعذاب أو لعدم الإذن بالاعتذار من الله الملك الوهاب قال تعالى ﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله: (ليتحقق لهم التوحيد ويرشدهم إلى تجويز الحشر وبعثة الرسل لأن تعاقب النور والظلمة على وجه مخصوص) ويرشدهم أي الرؤية بمعنى العلم فالإسناد مجازي ولا بعد في حملها على رؤية البصر مبالغة قوله إلى تجويز الحشر لأنه هو المتنازع وبعد ثبوت جوازه وقوعه لا نزاع فيه لأنه أخبر في القرآن والاخبار.

قوله: (غير متعين بذاته) لأنه حادث ممكن يحتاج إلى الغير.

قوله: (لا يكون إلا بقدرة قاهرة) وهو الله تعالى متعالياً عن معارضة غيره إذ لو كان معه إله لزم إمكان التمانع والتطارد إلى آخر البيان وثبوت التوحيد بملاحظة ما ذكرناه والمص أجمل في البيان لما ذكره في كتابه مراراً بالبرهان ولا يكفي في ذلك أن يقال وظاهر أنه لا شيء مما أشركوه بقادر على مثل ذلك ما لم يلاحظ برهان التمانع.

قوله: (وأن من قدر على إبدال الظلمة[١] بالنور في مادة واحدة قدر على إبدال الموت بالحياة في مواد الأبدان وأن من جعل النهار ليبصروا فيه سبباً من أسباب معاشهم) وأن من قدر الخ بيان دليل جواز الحشر لكن مع ملاحظة مقدمات أخر كما بينها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة: ٢٩].

قوله: (لعله لا يخل بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم) لعله لا يخل إشارة إلى دليل بعثة الرسل صيغة الترجي على عادة العظماء أو لعدم التيقن بذلك **(بالنوم والقرار)**.

---

(١) تعرض هذا ولم يتعرض عكسه لأن هذا دليل جواز الحشر دون عكسه قوله وأن من جعل النهار الخ ولم يقل وأن من جعل الليل الخ لأن هذا سبب لجواز البعثة حيث كان سبباً من أسباب معاشهم دون الليل فلا يترتب عليه لعله لا يخل الخ.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فإن أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجعول عليها) فإن أصله تعليل للمقدمة من مساقه مع الإشارة المطوية المعلومة إلى جواب عن ترك المقابلة لفظاً أي المقابلة متحققة معنى فإن أصله أي أصل مبصراً أي ظاهره مع قطع النظر عن مقتضى الحال ليبصروا فيه لكنه عدل عن هذا الأصل للمبالغة كما ذكره وخاصله أن كون النهار سبباً للإبصار بلغ مبلغاً في المبالغة بحيث سرى الإبصار إليه فصار نفسه مبصراً ولذا عدل عن الظاهر فما اختير في النظم هو المطابق لمقتضى الحال.

قوله: (بحيث لا ينفك عنها) احتراز عن الحال المجعول عليها لكن ينفك عنها كانفكاك الشباب عن الحيوان وغير ذلك.

قوله: (﴿إن في ذلك﴾ لدلالتها على الأمور الثلاثة) ﴿إن في ذلك﴾ أي في ذلك الجعل لآيات لدلائل ﴿لقوم يؤمنون﴾ [النمل: ٨٦] أي في علم الله والتعبير بالمضارع قد ذكر وجهه آنفاً أو يشارفون الإيمان والتخصيص لأنهم هم المنتفعون به والختام بقوم يؤمنون للتعريض بالكفار.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾

قوله: (في الصور أو القرن) في الصور بضم الصاد وفتح الواو جمع صورة[1] بناء على أن الصور بسكون الواو بمعناه وقد سبق بيانه ويؤيده قراءة في الصور بضم الصاد وفتح الواو لكن الأولى ذكر القرن أولاً.

قوله: (وقيل إنه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش إذا نفخ في البوق) وقيل إنه تمثيل لانبعاث الخ فعلى هذا يكون استعارة تمثيلية شبه هيئة انبعاثهم من القبور وقد نفخ في الصور بهيئة منتزعة من أمور عديدة وهي الجيش وقد نفخ لهم في المزمار المعروف لبعثهم من منزلهم فساروا إلى ما يقصدون إلى وصوله وظاهر هذا الكلام أن لا نفخ في الصور حقيقة وهو خلاف ما أجمع أكثر العلماء عليه ولعل لهذا مرضه والشيخ الزمخشري لم يتعرض له وقد أصاب لكن أشار إليه الإمام وقال إنه الوجه الثاني **(من الهول وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه)**.

قوله: لدلالتها على الأمور الثلاثة وهي التوحيد وصحة الحشر وبعثة الرسل وجه الدلالة قد ذكر بقوله: ﴿رحمة الله﴾ [البقرة: ٢١٨] لأن تعاقب النور والظلمة الخ.

قوله: في الصور بضم الصاد فتح الواو جمع صورة قوله أو القرن هو على القراءة بضم الصاد وسكون الواو بمعنى القرن.

---

(١) وجعلوا النفخ فيها نفخ الروح كما قاله الإمام.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أن لا يفزع[1] بأن يثبت قلبه قيل هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام) لأنه صعق مرة أي في الطور.

قوله: (ولعل المراد ما يعم ذلك) لعدم القرينة الدالة على الخصوص مع أن الظاهر العموم إما لفظاً فظاهر وإما معنى فلأن التخصيص يوهم أن ما عداه يفزع فالأولى التعميم وما قيل إن بعض المقربين تتصل حياتهم بالآخرة فلا يدركهم الصعق وكلام المص محتمل له فضعيف لأنه لو تم ذلك فالأنبياء عليهم السلام أحق بذلك ولم يقل بذلك أحد في شأنهم.

قوله: (حاضرون الموقف) أي حاضرون لحساب الله في الموقف وفي نسخة حاضرين على أنه حال.

قوله: (بعد النفخة الثانية) أشار به إلى أن المراد النفخة الثانية التي لا يبقى معها ميت إلا بعث وقام والنفخة الأولى نفخة لا يبقى عندها أحد في الحياة إلا من شاء الله تعالى وقد قيل إنه روي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه ينفخ ثلاث نفخات الأولى نفخة الفزع ثم بعده بأربعين يوماً نفخة الصعق ثم نفخة البعث لكن اختار المص كونها نفختين ولذا قال بعد النفخة الثانية.

قوله: (أو راجعون إلى أمره وقرأ حمزة وحفص أتوه على الفعل) أو راجعون إلى أمره أي انقيادهم له قوله وقرأ حمزة وحفص أتوه على أنه ماض ومعناه حضروا الموقف وصيغة الماضي لما مر وأما قراءة آتوه بمد الهمزة فاسم الفاعل[2] أشار إليه بقوله حاضرون الموقف.

قوله: (وقرىء أتاه على توحيد لفظ الكل) نقل عن أبي حيان أنه قال يجوز في كل مراعاة اللفظ نحو ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [الإسراء: ٨٤] ومراعاة المعنى نحو قوله تعالى: ﴿وكل كانوا ظالمين﴾ [الأنفال: ٥٤] هذا إذا انقطع عن الإضافة وأما إذا أضيف إلى النكرة فاختار جمهور النحاة أنه يجب مراعاة معناها وإفراد الضمير مع المفرد نحو كل

قوله: قيل هم جبرائيل الخ أي من شاء الله أن لا يفزع من هول ذلك اليوم هؤلاء الملائكة المقربون.

قوله: ولعل المراد ما يعم ذلك معنى العموم مستفاد من لفظة من في ﴿إلا من شاء الله﴾ قوله لتوحيد لفظ الكل وهو لفظ من وهو مفرد اللفظ مجموع المعنى كالرهط.

---

(١) أن لا يفزع مفعول شاء وتعلق المشيت بالعدم لكونه مأولاً بالأمر كقوله تعالى: ﴿يريد الله أن لا يجعل له حظاً في الآخرة﴾ [آل عمران: ١٦٧]

(٢) وأما ما اختاره فاسم الفاعل بمد الهمزة وضم التاء.

besturdubooks.wordpress.com

رجل قائم ولا يجوز قائمون وجوز أبو حيان الوجهين وإذا أضيف إلى المعرفة فيجوز الوجهان نحو قوله تعالى: ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم: ٩٥] هذا مثال للأفراد وأما الجمع فظاهر.

قوله: (صاغرين) لخوفهم من الهول فلا ينافيه كونهم مكرمين بنحو الركوب واللباس وغيرهما.

قوله: (وقرىء داخرين) فهو أبلغ.

قوله تعالى: وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

قوله: (﴿وترى الجبال﴾) الخطاب لكل من يصلح للخطاب وكونه خطاباً للنبي عليه السلام وحده لا يلائم مقام التهديد إذ يدخل تحت العموم دخولاً أولياً تحسبها حال من فاعل ترى وقد جوز كونه بدلاً من ترى وهو ضعيف إذ الرؤية مقصودة وسبب للحسبان المذكور.

قوله: (ثابتة في مكانها) الأولى في أماكنها وتفسيرها بثابتة ليفيد بل ليصح لأن كونها جامدة بمعنى غير ذي روح معلوم بداهة فلا يصح تعلق الحسبان بمعنى الظن بها فيراد بها الثبوت مجازاً لكونه لازماً للجماد.

قوله: (وهي تمر مر السحاب) أي والحال أنها تتحرك حركة بحيث لا تكاد تتبين والحاصل أن ذلك الظن ليس بمطابق للواقع.

قوله: (في السرعة) بيان وجه الشبه ومع تلك السرعة يظن أنها ساكنة.

قوله: (وذلك لأن الأجرام الكبار إذا تحركت في سمت واحد لا تكاد تتبين حركتها) وذلك أي ذلك الظن مع سرعة الحركة لأن الأجرام الكبار أي المتلاصقة أشار إليها بصيغة الجمع إذا تحركت في سمت واحد الخ بخلاف ما إذا تحركت في جهات مختلفة فإن حركتها ح تتبين ولعل التعبير بالمرور[1] للتنبيه على أن حركتها جملة في سمت واحد وأخذ المص هذا القيد من التعبير بالمرور ولو قيل تتحرك لا يفهم كونها في جهة واحدة ولعل هذا قبل كونها كثيباً رملاً مجتمعاً مهيلاً منثوراً وقبل أن ينسفها ربه نسفاً وقبل كونها كالعهن المنفوش ويحتمل كونها بعد ذلك كله أو بعضه إذ الأمور المذكورة إما عند النفخة الأولى أو الثانية والمراد[2] باليوم الوقت المتسع والله أعلم بمراده وفي الإرشاد وقد أدمج في هذا

---

(١) وكون المرور بمعنى التحرك أشار المص إليه بقوله لأن الاجرام الكبار إذا تحركت الخ والعدول عنها إلى المرور لما ذكرنا.

(٢) والمص ردد في قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ [النازعات: ٦] أي أو الواقعة التي ترجف الأجرام عندها وهي النفخة الأولى ثم قال أو النفخة الثانية فالوجه في ذلك اعتبار اليوم الوقت المتسع للنفختين ولأمور كثيرة كما صرح به المص في سورة التكوير وبهذا يندفع توهم المنافاة بين قوله في سورة التكوير حيث أفاد فيها أن تسيير الجبال في الجو عند النفخة الأولى وقبل فناء الدنيا وقوله هنا حيث اشعر أن ذلك التسيير عند النفخة الثانية.

besturdubooks.wordpress.com

التشبيه حال الجبال بحال السحاب في تخلخل الأجزاء وانتفائها كما في قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [القارعة: ٥] وهذا أيضاً مما يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق انتهى والأولى عدم الجزم بذلك.

قوله: (مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله ﴿وعد الله﴾ [النساء: ٩٥]) أي أكد مضمون جملة لا يحتمل غيره نحو له علي ألف درهم اعترافاً والعامل فيه محذوف وجوباً لقيام الجملة المؤكدة مقامه كما بين في موضعه والمعنى صنع الله ذلك التسيير والنفخ في الصور وما يترتب عليه بأسره صنعاً أي فعله فعلاً تاماً مشتملاً على حكم كثيرة ومنافع عظيمة والتعبير بالصنع للتنبيه على ذلك والإضافة إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتزييد المهابة وصفه بالذي اتقن كل شيء أي احكمه وسواه على ما يقتضيه حاله كقوله أعطى كل شيء خلقه صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له والمص عدل عما في الكشاف من قوله صنع الله مؤكد محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور فكان كيت وكيت أثاب الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها ولم يرض به المص لما مر من أن الجملة المتقدمة قائمة مقام العامل المحذوف فلا يكون حذفها جائزاً وأيضاً المشهور كونه مؤكداً للجملة المتقدمة وهنا يصح أن يكون مؤكداً للجملة المتقدمة فلا وجه لاعتبار جملة محذوفة وإن سلم أنها كالمذكور لقيام الدليل عليه ولا شك أن تسيير الجبال لا سيما إذا كان المراد التسيير في جو الهواء وبعد تفتت الأجزاء من الصنع المتقن وذكر الحسنة بعده لأنه شروع في بيان أحوال المكلفين بعد ذكر علامات القيامة.

قوله: (احكم خلقه وسواه على ما ينبغي) أي سوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى

قوله: مصدر مؤكد لنفسه أي قوله صنع الله مصدر منصوب من المصادر المؤكدة كقوله: ﴿وعد الله﴾ [النساء: ٩٥] و﴿صبغة الله﴾ [البقرة: ١٣٨] إلا أن ما أكده هذا المصدر وهو الفعل الناصب ليوم ينفخ محذوف والمعنى يوم ينفخ في الصور جازى الله عباده مجازاته فعبر عن المجازاة بالصنع فقيل صنع الله بدل مجازاة الله تعبيراً بالعام عن الخاص وجعل هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث قال ﴿صنع الله الذي اتقن كل شيء﴾ قوله وهو لمضمون الجملة المقدمة أي هو مصدر لما تضمنه الجملة المتقدمة من الفعل الناصب ليوم مثل جازى أو أثاب وعاقب فيكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ فعله كقعدت جلوساً غير أن المصدر في الآية أعم من مصدر ناصبه لكن لصحة حمله عليه جعلاً كالمرادفين فصح بهذا الاعتبار أن يؤكد هو به والمصدر في المثال المضروب مرادف لمصدر ناصبه بلا تأويل ويجوز أن يقدر عامله الذي نصب يوم لفظ صنع أي يوم ينفخ في الصور صنع الله بهم صنعه الذي اتقنه على مقتضى حكمته وكأنه رحمه الله أراد بقوله لنفسه هذا الوجه فيكون رداً على صاحب الكشاف حيث قدر الناصب أثاب وعاقب.

besturdubooks.wordpress.com

كماله الممكن له على ما أشرنا إليه آنفاً وهذه التسوية بالنسبة إلى الإنسان جعل أعضائه سليمة مسواة معدة لمنافعها.

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾

قوله: (**عالم بظواهر الأفعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء**) الآية عالم أي تعلق علمه تعلقاً حادثاً بأنها وقعت يترتب عليه الجزاء فلذا قال فيجازيهم.

قوله تعالى: ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

قوله: (**من جاء**) أي في يوم القيامة من يحتمل الشرطية والموصولية بالحسنة كون الباء للملابسة أولى من كونها للتعدية إذ مجيء الحسنة مجاز وكذا الكلام في ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ الظاهر أن المراد مطلق الحسنة والإخلاص داخل فيها دخولاً أولياً كما أن السيئة عام للشرك وغيره والتخصيص بالشرك زيفه المص وكذا تخصيص الحسنة بالإخلاص ضعيف أيضاً.

قوله: (**إذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة**) إذ ثبت له الشريف وهو نعيم الآخرة بالخسيس وهو الحسنة وصفها بالخسيس بالنظر إلى صدوره من العبد الخسيس وإن كانت شريفة بالنظر إلى كونها طاعة وامتثالاً لمولاه والخسة والشرف يختلفان بالإضافة والاعتبار وكم من شريف يكون خسيساً بالنسبة إلى الأشرف منه وبالعكس ولما كان المراد هنا بيان خيرية الثواب بالنسبة إلى الحسنة اعتبر جهة حقارتها بالنسبة إلى نعيم الآخرة وكذا الكلام في الفاني فإن ذات الحسنة لكونها عرضاً يكون معدوماً بعد الوجود والثواب الأخروي باق بعضه بالنوع وبعضه بالشخص وأما قوله: ﴿والباقيات الصالحات﴾ [الكهف: ٤٦] فباعتبار آثارها قوله وسبعمائة هذا باعتبار الكثير اختاره لأنه يناسب الخيرية وما هو أكثر منها الأجر بغير حساب قال المص في قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦٠] وهذا أقل ما وعد من الأضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشرة الكثرة دون العدد انتهى ولك أن تقول المراد بسبعمائة الكثرة دون العدد فيعم كل أضعاف بالنسبة إلى كل حسنة ولو قيل عشرة لا يعم كل حسنة إلا إذا أريد بها الكثرة وهذا إشارة إلى الخيرية كما[1] بعد التنبيه على الخيرية ولقوتها قدمها.

قوله: (**وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرأ ابن كثير وأبو**

قوله: وقيل خير منها أي خير حاصل من جهتها أي من جهة تلك الحسنة فح لا يكون خير كلمة التفضيل ولا كلمة من هي الداخلة على المفضل عليه.

---

(١) وكونه بياناً للخيرية بملاحظة الشرافة مع الكثرة وإلا فمجرد الكثرة لا يفيد الخيرية.

besturdubooks.wordpress.com

عمرو وهشام خبير بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء) وقيل خير منها أي خير حاصل الخ فيكون من ابتدائية فلا يرام له المفضل عليه لأنه حينئذٍ يكون صفة مشبهة لا افعل تفضيل فلا إشكال بأنه يلزم استعمال افعل التفضيل بدون الأمور الثلاثة على أنه لو سلم أنه افعل يكون المفضل عليه محذوفاً مثل قولنا الله أكبر مرضه لأنه خلاف المتبادر لأن السوق يلائم كون ما أعطي ببدل الحسنات خيراً منها.

قوله: (يعني به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما يرى من الأهوال والعظائم) يعني به خوف العقاب الخ فلا مخالفة بينهما أي بينه وبين قوله تعالى: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض﴾ [النمل: ٨٧] ويمكن التوفيق بالقول باختلاف المواطن ففي موضع يفزع وفي الآخر لا يفزع.

قوله: (ولذلك يعم الكافر والمؤمن) لمقتضى الجبلة البشرية وأما الأمن هنا فبعصمة الله تعالى.

قوله: (وقرأ الكوفيون بالتنوين لأن المراد فزع واحد من أفزاع ذلك اليوم) بالتنوين في يومئذٍ أو صفة له بتقدير كائن في ذلك الوقت أو العامل آمنون قدم لرعاية الفا) صلة.

قوله: (وأمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله: ﴿أفأمنوا مكر الله﴾ [الأعراف: ٩٩] وقرأ الكوفيون ونافع يومئذٍ بفتح الميم والباقون بكسرها) وأمن ماض من الثلاثي أو اسم فاعل تعديته بالجار لتضمنه معنى النجاة وتعديته بنفسه لتضمنه معنى لم يلتفتوا مثلاً ولا يبعد أن يقال إنه من باب الحذف والايصال.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾

قوله: (قيل بالشرك) مرضه إذ التخصيص خلاف الظاهر كتخصيص الأول بالإخلاص والظاهر العموم والظاهر أن عصاة الموحدين داخلون في الشق الثاني بالنظر إلى أول حالهم

قوله: يعنى به خوف عذاب يوم القيامة وبالأول ما يلحق الإنسان من التهيب لما ناقض سلب الفزع من البعض المفهوم من هذه الآية اثباته للجميع المفاد من الآية السابقة بحسب الظاهر فرق رحمه الله بين الفزعين بأن المراد بالأول ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة تقع بغتة وهول يعتبر به فجأة من رعب وهيبة فيفزع بمقتضى الجبلة وإن اثنق بالأمن من لحوق الضرر كما يدخل الرجل على الملك وجلان من مهابته وإن علم أن ذلك الملك يكرمه ويعزه وبالثاني خوف العذاب.

قوله: لأن المراد فزع واحد معنى الوحدة على القراءة بالتنوين مستفاد من تنكير فزع المفيد للافراد النوعي وهو الفزع من خوف العذاب ويجوز أن يكون تنكيره للتهويل فيكون المراد الفزع مما يلحق الإنسان من التهيب والرعب وإليه أشار صاحب الكشاف بقوله ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف.

besturdubooks.wordpress.com

وفي الأول باعتبار الانتهاء لأنه جاء بالحسنة وهي الإيمان والسيئة أيضاً وهي المعاصي أو حالهم مسكوت عنها كما هو في أكثر المواضع.

قوله: (فكبوا فيها على وجوههم ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم) فكبوا على وجوههم أي إسناد الكب إلى الوجوه مجاز عقلي أو الوجوه مجاز لغوي في الأنفس والأول أبلغ ولذا قدمه.

قوله: (كما أريدت بالأيدي في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥]) كما أريدت بالأيدي الخ أي على تقدير كون الباء مزيدة.

قوله: (على الالتفات أو بإضمار القول أي قيل لهم ذلك) على الالتفات لمزيد العتاب بالخطاب أو باضمار القول فحينئذٍ لا التفات فيه وإن كان خطاباً أيضاً لمن في ومن جاء بالسيئة لأنه كلام آخر ومثله لا يعد التفاتاً كما حقق في فن المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾

قوله: (إنما أمرت أن أعبد) أي بأن أعبد ولم يكن هذا خصيصاً له عليه السلام فكان أمته أيضاً مأمورين بقصر العبادة في الله تعالى.

قوله: (أمر الرسول عليه السلام بأن يقول لهم ذلك) أي القول مقدر هنا أي قل يا أيها الرسول لهم الخ والداعي إلى تقديره ترغيب لهم كما ذكرناه من عموم الأمر والقرينة هي أنه صاحب الوحي ولا بد من التبليغ من الأمر ونحوه ما لم يكن خصيصاً له.

قوله: (بعد ما بين المبدأ والمعاد) أي ابتدأ خلق المخلوقات بقوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات﴾ [النمل: ٦٠] إلى قوله: ﴿قل لا يعلم من في السموات﴾ [النمل: ٦٥] وبيان المعاد أي المعاد الجسماني من هذا القول الجليل إلى قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ [النمل: ٨٣] الآية.

قوله: (وشرح أحوال القيامة) من هذا القول الكريم فعلم منه ارتباطه بما قبله.

قوله: (إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد إلا الاشتغال بشأنه والاستغراق في عبادة ربه) إشعاراً بأنه قد أتم الدعوة قيل أي لهؤلاء الكفرة وإلا فهو مأمور بها إلى آخر العمر ولا يلائمه قوله وما عليه بعده إلا الاشتغال بشأنه لأنه بطريق الحصر فالظاهر اتمامها بالنظر إلى العموم فيكون نزول هذه الآية بعد قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] الآية والله أعلم قوله والاستغراق في عبادة ربه لأن الأمر بالعبادة

قوله: فكبوا فيها على وجوههم يعني عبر عن الجملة والكل بالبعض فكأنه قيل فكبوا في النار كقوله: ﴿فكبكبوا فيها﴾ [الشعراء: ٩٤] فتخصيص الوجه من بين سائر الأعضاء لإشعار أنهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين.

besturdubooks.wordpress.com

حاصل(١) قبل اتمام الدعوة فالمراد الأمر باستغراق العبادة قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فإذا فرغت﴾ [الشرح: ٧] من التبليغ ﴿فانصب﴾ [الشرح: ٧] فاتعب في العبادة شكراً لما أعددنا عليك من النعم السابقة ووعدناهم بالنعم الآتية انتهى فيعم إلى كل وقت بهذا المعنى فلا يحتاج إلى التمحل المذكور هنا.

قوله: (وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها وتعظيم لشأنها وقرىء التي حرمها) وتخصيص مكة الخ مع أنها داخلة تحت عموم قوله تعالى: ﴿وله كل شيء﴾ [النمل: ٩١] تشريف لها الخ أي اظهار شرافتها أو جعلها شريفاً فحينئذٍ يكون تعظيماً لشأنها الذي حرمها أي حرم الله تعالى التعرض لما فيها من الحشيش سوى الاذخر والصيد والقتل فيها فيكون ايقاع التحريم عليها مجازاً وتحريم الله تعالى بالحكم والقضاء وتحريم إبراهيم عليه السلام كما ورد في الحديث أن إبراهيم حرم مكة وأنا حرمت المدينة بطريق الاظهار فلا يتوهم المنافاة قوله وقرىء التي حرمها قراءة شاذة صفة البلدة كما أن القراءة المتواترة صفة الرب والمعنى واحد في المآل.

قوله: (خلقاً وملكاً) أي تصرفاً بعد الخلق تمييزان من النسبة جمع بينهما للتعميم والتأكيد وإن سلم استلزام الخلق الملك لكنه أعم مفهوماً وقيل المراد بالبلدة منى والعرب تسميها بلدة الآن.

قوله: (المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام) المنقادين أي بدوام الانقياد أو بكمال الانقياد أو الثابتين على الإسلام فالإسلام حينئذٍ شرعي وفي الأول لغوي.

قوله: وتخصيص مكة بهذه الإضافة تشريف لها قد يكون الإضافة لتعظيم شأن المضاف وقد يكون لتعظيم شأن المضاف إليه والإضافة في رب هذه البلدة لتعظيم شأن المضاف إليه الذي هو مكة شرفها الله فإن تخصيصها بالإضافة من بين سائر البلاد وهو رب لجميعها تنويه لشأنها وتشريف لها جعل رحمه الله معنى التعظيم مستفاداً من تخصيص مكة بالإضافة وصاحب الكشاف رحمه الله من الإشارة بلفظ هذه حيث قال وأشار إليها إشارة تعظيم لها وتقريب دالاً على أنها موطن نبيه ومهبط وحيه أي الإشارة بلفظة هذه إلى البلدة على طريق قول ابن الرومي هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه ايذان بتعظيمها وتشريفها وما ذاك إلا لكونها موطن نبيه ومهبط وحيه ولذلك نزل ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ تسلية لقلبه أي الذي أوجب عليك العمل بأحكام القرآن لرادك إلى مكة.

قوله: المنقادين أو الثابتين على ملة الإسلام فسر المسلمين على وجهين الوجه الأول على حقيقة معناه والوجه الثاني على المجاز.

---

(١) وحمل كلام المص مناسب لأن إتمام الدعوة في كل مجلس بهذا المعنى معقول المعنى بخلاف غيره من التوجيهات.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وأن أواظب على تلاوته[1] لتنكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً) وأن أواظب على تلاوته أوله لأن أصل التلاوة ثابت فالمراد الدوام والمواظبة فيكون اتلو من التلاوة بمعنى القراءة قوله شيئاً فشيئاً حال من حقائقه إذ حاصله تدريجياً ولو جعل حالاً من التلاوة لكان حاصل المعنى مرتلاً الترتيل القراءة على تؤدة وتبيين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها.

قوله: (أو اتباعه) عطف على تلاوته أي وأن أواظب على اتباعه أي اتباع ما فيه من الأمر والنهي وغير ذلك فيكون أن اتلو من التلو بمعنى التبع اخره لأن التلاوة هي المتبادرة وأنها مستلزمة للتبعية.

قوله: (وقرىء واتل عليهم) على صيغة الأمر معطوف على قل المقدر وقيل عطف على معنى أن أكون أي كن من المسلمين واتل وهو تكلف.

قوله: (وأن اتل) بغير واو بأن المصدرية الداخلة على الأمر ومعناه أي أمرت بالتلاوة بناء على أن معنى الأمر ليس بمراد أو المعنى على اضمار القول أي وقلنا له اتل عليهم فيكون معنى الأمر باقياً على حاله.

قوله: (﴿فمن اهتدى﴾ [النمل: ٩٢] باتباعه اياي في ذلك) فمن اهتدى تفصيل ما أجمل إذ التقدير منهم من اهتدى ومنهم من ضل فمن اهتدى مطاوع هدى أي فمن قبل

قوله: لينكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً معنى التدرج مستفاد من التعبير بلفظ اتلو من التلاوة الموضوعة لمعنى الاتباع فإن في التلاوة اتباع اللفظ الثاني للأول ولا يكون هذا إلا شيئاً فشيئاً بخلاف التعبير بلفظ اقرأ فإن معنى القراءة الجمع أي جمع الحروف والكلمات غير ملحوظ في وضعها معنى الاتباع فيكون تفسيره هذا بياناً لسبب ترجيح لفظ اتلو على اقرأ فسر التلاوة بالمواظبة لانبائها عن معنى التتابع الذي يلزمه معنى المواظبة أي أمرت أن أكرر قراءته فإن في تكرير القراءة اتباع لقراءة الثانية للأولى فيكون تفسيراً باللازم أقول فعلى هذا كان المناسب أن يقول في تلاوته مرة بعد أخرى مكان قوله في تلاوته شيئاً فشيئاً إذ معنى شيئاً فشيئاً لا يناسب معنى المواظبة التي هي تكرير قراءته بل هو مناسب لاتباع اللفظ الثاني للأول وهو لم يفسرها به.

قوله: وأن اتل على صيغة الأمر وأن تفسيرية لتضمن الأمر معنى القول.

قوله: باتباعه إياي في ذلك أي فمن اهتدى باتباعه إياي فيما أنا بصدده من توحيد الله ونفي الأنداد عنه والدخول في الملة الحنيفية فمنفعة اهتدائه راجعة إليه لا إلى الحمد لله على ما وفقني لإتمام ما أمليت في حل تفسير سورة النمل حامداً لله ومعتصماً بحبل الله المتين فالآن أشرع بحوله وقوته وتيسيره متوكلاً عليه مستفيضاً منه في حل ما في تفسير سورة القصص: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري﴾ [طه: ٢٥، ٢٦] فأقول مستعيناً بالله ومبتدئاً.

---

(١) ولو حمل الأمور هنا على أمر الأمة بمواظبة العبادة ودوام التلاوة الباعث لانكشاف حقائقه له على وجه أبلغ لكان أولى إذ توجه الأمر إليه عليه السلام مع كون المراد أمر أمته يكون مبالغة في الأمر ولاندفع إشكال كثير فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

الهداية باتباعه أي اتباع من اياي مضاف إلى فاعله في ذلك أي في المذكور من العبادة والكون من المسلمين وتلاوة القرآن المبين أو اتباعه والباء في باتباعه ظرفية.

قوله: (فإن منافعه عائدة إليه) أي فقط ولو صرح به لكان أولى فلا يمن علي أحد أو فلا يمن علي.

قوله: (﴿ومن ضل﴾ [النمل: ٩٢] بمخالفتي) عن سواء السبيل اختير صنعة التضاد للتصريح لضلاله فإنه أبلغ في الذم من قوله: ﴿ومن لم يهتد﴾ قوله بمخالفتي مصدر مضاف هنا إلى المفعول أي بمخالفتي اياي في ذلك ترك للاكتفاء.

قوله: (﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ [النمل: ٩٢]) علة الجزاء القائمة مقامه والمعنى ومن ضل فإنما يضل عليها كما صرح به في آخر سورة يونس.

قوله: (فلا علي من وبال ضلاله شيء إذ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ [المائدة: ٩٩] وقد بلغت) فلا علي الخ إشارة إليه قوله: إذ ﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ [المائدة: ٩٩] عمم الكلام للمبالغة ولم يقل إذ ما علي إلا البلاغ ولم يقل أيضاً[1] إلا الإنذار كما هو الظاهر للإشارة إلى التعميم أيضاً وقد بلغت راعي المقام هنا ولم يقل وقد بلغ أي الرسول فيه تنبيه على أنه عليه السلام قد أدى ما وجب عليه ولذا قال أولاً فلا علي من وبال الخ أي عذاب ناش من ضلاله سمي به لثقله من قولهم طعام وبيل لا يستمري لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم وكون فقل إنما جواباً له بتقدير له لا يلائم تقرير المص وإن سلم صحته قيل كلامه هنا وفيما قبله حيث قال باتباعه إياي يقتضي أنه من كلام النبي عليه السلام فيقتضي تقدير قل قبله والتصريح بما بعده يقتضي أنه من كلام الله تعالى عقيب أمره بأن يقول لهم ما قبله والأول ملتزم ولا حاجة إلى تقدير القول لأن القول مقدر في إنما أمرت أن أعبد كما نبه عليه والتصريح بما بعده للتأكيد.

قوله تعالى: وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

قوله: (﴿وقل الحمد لله على نعمة النبوة﴾) أمر رسوله بالحمد بعد تعداد النعم الجسيمة قوله على نعمة النبوة الاضافة أي النعمة التي هي النبوة وهي أعظم النعم ولذا اختاره.

قوله: (أو على ما علمني ووفقني للعمل به) فأو لمنع الخلو وكون ما مصدرية أولى من كونها موصولة إما لفظاً فلكون الموصول محتاجاً إلى العائد المحذوف وإما معنى فلأن الحمد على التعليم والتوفيق أولى من الحمد على علمه لأن الأول إنعام والثاني نعمة والحمد على الإنعام حقيقة وعلى النعمة بالواسطة مجاز ولذا كون المراد بالنعمة في قوله نعمة النبوة بمعنى الانعام أولى من حملها على الظاهر.

قوله: (القاهرة في الدينا كوقعة بدر وخروج دابة الأرض أو في الآخرة) كوقعة بدر

---

(١) والقصر في ﴿إنما أنا من المنذرين﴾ إضافي فلا ينافي كونه مبشراً.

besturdubooks.wordpress.com

فحينئذٍ الخطاب للموجودين من كفار قريش قوله وخروج دابة الأرض الخ فحينئذٍ يكون الخطاب للمعدومين وفيه اختلاف ولذا أخره.

قوله: (فتعرفون أنها آيات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة) هذا إذا كان خروج الدابة بعد طلوع الشمس من المغرب وفيه تأمل.

قوله: (﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ [النمل: ٩٣] فلا تحسبوا أن تأخير عذابكم لغفلته عن أعمالكم وقرىء في السبعة بالياء) ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾ [النمل: ٩٣] فيه تغليب المخاطب وهو النبي عليه السلام على الغائبين[١].

قوله: (عن النبي عليه السلام من قرأ سورة طس كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وإبراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله) وعن النبي عليه السلام حديث موضوع لا أصل له تم ما يتعلق بهذه السورة الكريمة بحمد الله ولطفه وصلى الله تعالى على رسولنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) والمعنى تعمل أنت وجميع من سواك من المكلفين وغيرهم ولا يجوز أن يعتبر خطاب من سواه من غير اعتبار التغليب لامتناع أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو تثنية أو جمع فافهم كذا في المطول.

besturdubooks.wordpress.com

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله: (سورة القصص مكية) أي كلها وهو مختار المص لأنه قول الحسن وعطاء وعكرمة وقيل قول طاوس وعكرمة وبين القولين نوع تنافر.

قوله: (وقيل إلا قوله: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ [القصص: ٥٢] إلى قوله: ﴿الجاهلين﴾ [القصص: ٥٥]) وقيل قائله مقاتل فإنه قال الآية المذكورة مدنية وقيل نزلت بين مكة والجحفة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت بالجحفة في خروجه عليه السلام للهجرة كذا نقل عن البحر ونقل عن السيوطي أنه قال في الاتقان أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنها نزلت هي وآخر الحديد في أصحاب النجاشي الذين قدموا إلى المدينة وشهدوا وقعة أحد وفي التيسير سورة القصص مكية إلا قول ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ فإنها جحفية لا مكية ولا مدنية كذا قيل وهذا مخالف لقول الجمهور.

قوله: (وهي ثمان وثمانون آية) بالاتفاق.

قوله تعالى: طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾

قوله: (طسم) قد مر بيان معناه وإعرابه في أوائل سورة البقرة: ﴿تلك﴾ [القصص: ٢] الإشارة إلى آيات السورة ﴿والكتاب﴾ [القصص: ٢] هو السورة ﴿المبين﴾ [القصص: ٢] الظاهر إعجازه وحجيته أو يبين الرشد من الغي والشرائع والأحكام.

قوله تعالى: نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

قوله: (نقرأ بقراءة جبريل عليه السلام ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازاً) نقرأ الخ

سورة القصص

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك﴾ [القصص: ١، ٢].

قوله: ويجوز أن يكون بمعنى ننزله مجازاً أي يجوز أن يكون نتلو بمعنى ننزله مجازاً لأن التلاوة لازم للتنزيل فعبر عن الملزوم باللازم فيكون مجازاً مرسلاً.

besturdubooks.wordpress.com

أي الإسناد مجازي لكونه آمراً قوله ننزله أي التلاوة استعارة للتنزيل بأن يشبه التنزيل بالتلاوة في كون كل منهما طريق التبليغ أو مجاز مرسل بعلاقة السببية.

قوله: (بعض نبئهما مفعول نتلو) بعض نبئهما فيكون من اسما بمعنى البعض ولهذا قال مفعول نتلو.

قوله: (محقين) أشار إلى أنه حال من فاعل نتلو إذ التقدير ملتبسين بالحق وما ذكر المص حاصل المعنى رجح ذلك على كونه حالاً من مفعوله لأنه أهم.

قوله: (﴿لقوم يؤمنون﴾ [القصص: ٣] لأنهم المنتفعون به) ﴿لقوم يؤمنون﴾ صيغة المضارع للاستمرار فيكون شاملاً للمؤمن حالاً أي في وقت النزول وفي الكشاف لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما ينتفع بها هؤلاء دون غيرهم أي اللام للتعليل وقد عرفت أن المضارع للاستمرار فيكون شاملاً لجميع الأزمنة.

قوله تعالى: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

قوله: (استئناف مبين لذلك البعض) استئناف الخ أي استئناف معاني أو نحوي والتأكيد للمبالغة في وقوعه المشعر بكمال ذمه مبين ولذا ترك العطف وقدم بناء فرعون في

قوله: بعض نبئهما أي بعض خبرهما يريدان من في من نبأ موسى وفرعون للتبعيض وهو مفعول نتلو وقال أبو البقاء نتلو مفعوله محذوف دلت عليه صفته تقديره نتلو عليك شيئاً من نبأ موسى من للبيان وعلى قول الأخفش من زائدة.

قوله: لأنهم المنتفعون به أي بالكتاب أو بالنبأ فسر صاحب الكشاف لقوم يؤمنون بمن سبق علمنا أنه يؤمن فيكون المراد بقوم يؤمنون الكفرة الذين مصير أمرهم إلى الإيمان فيؤمنون بمعنى سيؤمنون فوصفوا بالإيمان لأن مآل حالهم إلى الإيمان بالله وبما جاء به رسوله فلما كانوا هم المنتفعون بالكتاب الذي هو القرآن خصوا بالذكر دون المصممين على الكفر وإن كان انزال القرآن لإرشاد كافة الناس وعليه قوله تعالى: ﴿هدى للمتقين﴾ [البقرة: ٢] على أحد التأويلين أي هدى للضالين الصائرين إلى التقوى وهو مجاز باعتبار ما يؤول إليه فإن الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم إلى الهدى فلا يكون القرآن هدى للفريق الباقي على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فالمعنى ﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون﴾ وما جرى بينهما لقوم علم أن التلاوة تنفع فيهم دون من عداهم من المصرين ونحوه فذكر بالقرآن من يخاف وعيد خص من يخاف بالذكر لأن التذكير لا ينفع إلا فيمن يخاف الوعيد دون المصر على الكفر قال الطيبي رحمه الله هذا الانباء العجيب الشأن متضمن لاثبات القضاء والقدر وقد علم الله سبحانه وتعالى أن بعضاً من الذين يدعون إلى الإيمان لا يؤمنون بالقدر فقال لقوم يؤمنون تعريضاً بهم فعلى هذا يمكن أن يجعل بالحق حالاً من المجرور أي نتلو عليك نبأهما ملتبساً بالحق لاشتماله على القضاء والقدر وعلى التفسير بمحقين يكون حالاً من فاعل نتلو.

قوله: استئناف مبين لذلك البعض وهو بعض نبأ موسى وهارون.

besturdubooks.wordpress.com

التفصيل لأن بيان طغيانه يؤدي إلى إرسال رسول فصل نبأه وأما في الإجمال فللتنبيه على شرافة موسى عليه السلام قدم مع انتفاء المقتضى لتأخيره كما في التفصيل.

قوله: (والأرض أرض مصر) فاللام للعهد بقرينة سكناهم فيها.

قوله: (وجعل أهلها) هذا الجعل غير العلو ولذا عطف عليه إذ المراد بالعلو دعوى الربوبية وما يترتب عليها من نسيان العبودية.

قوله: (فرقاً يشيعونه فيما يريد) فرقاً أي شيعاً جمع شيعة بمعنى فرقة لا مطلقاً بل بمعنى فرق يشيعونه أي يتبعونه.

قوله: (أو يشيع بعضهم بعضاً في طاعته أو أصنافاً في استخدامه استعمل كل صنف في عمل) أو يشيع بعضهم الخ وهو لازم لما ذكر أولاً كعكسه قوله أو أصنافاً عطف على فرقاً وهذا وإن كان فرقاً أيضاً لكن لوحظ فيها كونهم متفرقين في الخدمة والطاعة بخلاف ما سبق وهذا أيضاً متقارب لما مر.

قوله: (أو إضراباً بأن اغرى بينهم عداوة لئلا يتفقوا عليه) أو إضراباً أي أنواعاً لكن لا في الخدمة بل في العداوة وهذا مغاير لما مر وفيه أيضاً معنى التبعية حيث اطاعوه في إغرائه العداوة لأن المشايعة لمتابعة والتبعية معبرة في كل احتمال وفي الكشاف يستخدم صنفاً في بناء وصنفاً في حرث وصنفاً في حفر ومن لم يستعمله وضع عليه الجزية ولم يذكر المص الجزية لأنه خدمة أيضاً له ولجنوده.

قوله: (يستضعف) هذا أبلغ لأن ما هو بالطلب كان أكمل.

قوله: (وهم بنو إسرائيل والجملة حال من فاعل جعل أو صفة شيعاً أو استئناف) أي بياني في جواب ماذا فعل ذلك.

قوله: (وقوله يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك) بدل منها أي بدل الاشتمال أو تفسيراً ولذا اختير الفصل أو حال من فاعل يستضعف أو صفة لطائفة بذبح أبنائهم الإسناد مجازي وصيغ المضارع هنا لحكاية الحال الماضية وقد صرح بها في قوله ونريد ولا يعرف وجه تأخيره ويستحيي نساءهم أي ويبقى بناتهم للاستخدام والسين للطلب

قوله: والجملة حال من فاعل جعل فالمعنى جعل فرعون أهل تلك الأرض شيعاً مستضعفاً طائفة منهم.

قوله: أو صفة لشيعاً أي جعلهم شيعاً مستضعفة طائفة منهم.

قوله: أو استئناف أي كلام مستأنف مبتدأ والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الابناء أن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده ولم يعلم فرعون أنه إن صدق الكاهن لم يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل ونريد حكاية حال ماضية يعني أن إرادة الله منهم قد جرى ومضى فمقتضى الظاهر أن يقال وأردنا أن نمن إلا أنه جيء بصيغة المضي استحضاراً للصورة الماضية وحكاية للحال الكائنة تصويراً لها وجعلاً لها كالكائن الآن.

besturdubooks.wordpress.com

وما هو بالطلب يكون لغرض والغرض الاستخدام ولذلك عد من الاستضعاف.

قوله: (لأن كاهناً قال له يولد مولود في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فإنه لو صدق لم يندفع بالقتل وإن كذب فما وجهه) لأن كاهناً وهو من يخبر عن الغيب يذهب من الثلاثي قوله ملكك أي مع حياتك على يده اليد مجاز عن الذات وعلى بمعنى في قوله وذلك من غاية حمقه وغاية الحمق متحققة في أكثر الناس في زماننا أيضاً حيث يعتمدون على قول المنجمين مع ظهور كذبهم قاتلهم الله أنى يؤفكون.

قوله: (فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من أولاد الأنبياء لتخيل فاسد) أشار إلى أن قوله ﴿إنه كان من المفسدين﴾ كالتعليل لفعله المذكور علة حصولية.

قوله تعالى: وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾

قوله: (﴿على الذين استضعفوا﴾) التعبير باسم الموصول والصلة المذكورة للإشارة إلى استحقاقهم المن والكرم في الأرض هذا القيد لعموم الاستضعاف في الأرض المذكور.

قوله: (أن نتفضل عليهم) بيان معنى المن بأنه انعام لا توبيخ.

قوله: (بإنقاذهم من بأسه) بانقاذهم من تخليصهم من عذاب فرعون وبأن تمليكهم مشارق الأرض ومغاربها بعد إهلاك وقومه[١].

قوله: (ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على أن فرعون علا في الأرض من حيث إنهما واقعان تفسيراً للنبأ أو حال من يستضعف) حكاية حال الخ وهي أن القصة الماضية كأنها عبر عنها في وقوعها بصيغة المضارع كما هو حقها ثم حكى تلك الصيغة بعد مضيها وهذا أولى وأبلغ من قوله: ﴿ونمن على الذين﴾ [القصص: ٥] الخ إذ المراد لا يتخلف عن الإرادة قوله معطوفة على أن فرعون علا ولما كان علو فرعون مستمراً ثابتاً دون الإرادة لم تراع تناسب الجملتين قوله من حيث إنهما الخ بيان الجامع هذا عند من لم يشترط اتحاد المسند والمسند إليه كصاحب الكشاف وأما من اشترط ذلك كصاحب المفتاح فلا يحسن العطف ولذا ردد بين الأمرين فقال أو حال إشارة إلى المسلكين أي حال من مفعوله لكن المضارع المثبت كونه حالاً بالواو مما يتنازع فيه فيقدر المبتدأ أي ونحن نريد فيكون الحال محققة ولو لم يذكر الإرادة يكون الحال مقدرة فيظهر حينئذٍ فائدة نريد غير المبالغة في وقوع المن وأما عند من جوز ذلك فلا يقدر المبتدأ والرابط حينئذٍ هو الواو وحده وإنما جعل حالاً من المفعول دون الفاعل لئلا يخلو الجملة عن العائد لكن الظاهر الحالية من الفاعل ويقدر العائد أو اكتفى بالواو على قول وفي الكشاف وعطفه على نتلو ويستضعف

---

(١) وفيه مقال حيث قال بعضهم عاد بني إسرائيل بعد هلاك فرعون إلى مصر وسكنوا فيه وقال بعضهم لم يعودوا إليه بل ملك أولادهم.

besturdubooks.wordpress.com

غير سديد وقيل في وجهه لأن قوله: ﴿إن فرعون﴾ [القصص: ٤] الخ بيان نبأ موسى وفرعون وما سبق نبأ فرعون فقط فتعين عطف نريد عليه بعد ادعاء البيان ليكون بياناً لنبئهما مطابقاً للمبين.

قوله: (ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز أن يكون تعلق الإرادة به حينئذٍ تعلقاً استقبالياً مع أن منة الله تعالى بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز أن يجري مجرى المقارن) ولا يلزم الخ لجواز تعلق الإرادة تعلقاً قديماً بمعنى أنه تعلق الإرادة بوجوده في الأزل فيما لا يزال قوله مع أن منة الله تعالى أي إنعامه الخ فعلى هذا يكون الحال محققة تأويلاً والظاهر أن الحال حينئذٍ مقدرة لكن أرباب الحواشي ادعوا أنها حال محققة ولذا قالوا بعد ذلك ويجوز أن يكن الحال مقدرة ولا يظهر وجهه.

قوله: (مقدمين في أمر الدين) وفي نسخة في الدارين فيكونون أئمة لمن بعدهم[1].

قوله: (كلما كان في ملكة فرعون وقومه) أي التملك مطلقاً وقال الراغب إنها تختص بملك العبيد لكن لا يناسب هذا المقام والعموم هو المراد فدخل فيه الأرض كما دخل ما كان في أرضهم فالتكرار بحسب الظاهر لتمهيد بيان قوله: ﴿ونري فرعون﴾ [القصص: ٥] الآية ولو سلم التكرار حقيقة فيكون كعطف الخاص على العام على أن التكرار للتأكيد من شعب البلاغة.

قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝٦﴾

قوله: (أرض مصر والشام وأصل التمكين أن يجعل للشيء مكاناً يتمكن فيه) المراد

قوله: ولا يلزم من مقارنة الإرادة للاستضعاف مقارنة المراد له لما اقتضى جعله حالاً من مفعول يستضعف أن يقارن إرادة الله تعالى التفضل والقوة لهم استضعاف فرعون لهم وجعلهم عجزة ضعفاء وكان ظاهره جمعاً بين المتنافيين لاقتضائه كونهم أقوياء ضعفاء في حالة واحدة بناء على أن مراده تعالى لا يتخلف عن إرادته أوله بتأويلين الأول أن مراده تعالى وإن كان لا يتخلف عن إرادته لكن يجوز أن يتأخر وجوده عن إرادته فإنه يجوز أن يتعلق إرادته الآن بإيجاد شيء غداً أو بعد غد فح يكون الاستضعاف انياً والمن استقبالياً فلا يلزم الجمع المحذور منه والثاني أن الله تعالى لما أراد أن يمن على بني إسرائيل بعد هلاك فرعون ونجاتهم منه وكانت تلك المنة قريبة الوقوع جعلت كأنها واقعة مقارنة لاستضعافهم وهذا وإن كان جمعاً بين المتنافيين لكنه جمع بالتأويل وهو غير ممتنع والممتنع هو الجمع بالتحقيق.

قوله: مقدمين في أمر الدين يريد أن الأئمة ليست حقيقة في معناها بل هي مجاز مستعار للمقدم تشبيهاً لهم بالأئمة في التقدم.

---

(١) مع أنهم كانوا تابعين مهانين في أيدي الأعداء.

besturdubooks.wordpress.com

بالمكان المحل الذي هو يحفظك عن السقوط ويسمى المكان الوهمي لا البعد الموهوم.

قوله: (ثم استعير للتسليط وإطلاق الأمر) أي استعمل في التسليط مجازاً مرسلاً بعلاقة اللزوم فالمراد استعارة لغوية ثم صار لشيوعه حقيقة عرفية قوله واطلاق الأمر أي المسلط اطلق الأمر ولم يقيده بشيء (من بني إسرائيل).

قوله: (من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرىء ويرى بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع) من ذهاب ملكهم وهلاكهم والمراد اراءة مقدمات هلاكهم أو اراءة بعضهم هلاك فرعون كقوله تعالى: ﴿ثم أخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: ٥٥] قوله بالرفع على أنه فاعله لأن القراءة بفتح الياء.

قوله تعالى: وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾

قوله: (بإلهام أو رؤيا) لما كان الوحي مختصاً بالأنبياء عليهم السلام ولم يكن أنثى نبياً قط فسره بإلهام وهو القاء معنى في القلب بطريق الفيض وهو قد يكون سبباً للعلم وإن لم يكن سبباً يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير فلا إشكال بأن الالهام ليس من أسباب العلم عند أهل الحق قوله أو رؤيا أي رؤيا صادقة إما بإيقاع الله تعالى في قلبه عين ما قصه أو ما يكون تعبيره ما حكى الله تعالى وهي في الكاملين والكاملات تفيد التيقن وما نقل عن المتكلمين أي جمهورهم أن الرؤيا خيالات باطلة كما في المواقف فجوابه أن مرادهم أن كون ما يتخيله النائم إدراكاً بالبصر رؤية وكون ما يتخيله إدراكاً بالسمع سمعاً باطل فلا ينافي حقية الرؤيا أمارة لبعض الأشياء وكيف لا مع أن الكتاب والسنة يشهدان بصحة الرؤيا لكن المناسب الاكتفاء بالالهام ولم يتعرض لكونه بإخبار نبي أو برؤية ملك كما وقع لمريم لأنه لا يلائم قوله: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ [القصص: ٧] والتقدير خلاف الظاهر وكذا المجاز على أن كونه بإخبار نبي غير معلوم.

قوله: (أن أرضعيه) أن تفسيرية أو مصدرية أو مخففة من أن.

قوله: (ما أمكنك إخفاؤه) بقرينة قوله: ﴿فإذا خفت عليه﴾ [القصص: ٧] الآية والمعنى في مدة إمكانه على أن ما مصدرية حينية.

قوله: (فإذا خفت عليه) كلمة إذا لتحقق وقوعه الفاء للجزاء ﴿فألقيه﴾ [القصص: ٧] فيه اختصار من فإذا خفت عليه فألقيه في التابوت وألقي التابوت في اليم كما دل عليه ما في سورة طه.

قوله: (بأن يحس به) أي بأن تعرف ولادته عبر بالحس لأنه طريق العلم والمعرفة ولأن الولادة مما تحس.

قوله: بأن يحس به من أحسست الشيء أي وجدت حسه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (في البحر يريد النيل) في البحر وهو النيل وهو النهر وقد يطلق عليه البحر والظاهر أنه مجاز.

قوله: (عليه ضيعة ولا شدة) عليه قدره لأنه يتعدى بعلى والحذف لما ذكر أولاً قوله ضيعة إشارة إلى أن النهي نهي عن مبادىء الخوف لا هو لأنه ضروري والمعنى لا تحضري ضيعته في فؤادك فإنه يؤدي إلى الخوف عليه والمراد بضيعته الذبح كسائر الغلام في تلك السنة أو غرقه لأن البحر مظنته أو بعدم رضاعه في مدة الرضاع.

قوله: (بفراقه) أي النهي أيضاً ناظر إلى مبدأ الحزن وهو الفراق أي لا تذكر الفراق المؤدي إلى الحزن والخوف لما كان للمتوقع قدر الضيعة فيه والحزن لما كان للواقع قدر فيه الفراق.

قوله: (عن قريب بحيث تأمنين عليه) عن قريب لأن المراد اسم الفاعل وهو حقيقة في الحال وأما جاعلوه ففيه قرينة على أن المراد منه الاستقبال.

قوله: (روي أنها لما ضربها الطلق دعت قابلة من موكلاتها بحبالى بني إسرائيل فعالجتها) لما ضربها الطلق بفتح الطاء وسكون اللام وجع يعرض عند قرب وضع الحمل وضربه وقوعه بعد وقوعه تشبيهاً وقيل قرب حصوله وحبالى بفتح اللام جمع حبلى.

قوله: (فلما وقع موسى على الأرض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فأرضعته ثلاثة أشهر ثم ألح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فأخذت له تابوتاً فقذفته في النيل) هالها أي أخافها نور على أن الإسناد مجازي والضمير للقابلة لعل ذلك النور نور النبوة أو نور الارهاص وظهوره بين عينيه لكونها أشرف الأعضاء وارتعشت مفاصلها لكمال دهشتها ودخل حبه أي أحبه حباً شديداً كأنه أخذ مجامع قلبه ولذا عبر بالدخول مجازاً وذكر قلبها مع أن محل المحبة القلب السعاية النميمة إبلاغ خبر بقصد ضرر المخبر عنه لسلطان ونحوه فأرضعته لقوله تعالى: ﴿أن أرضعيه﴾ [القصص: ٧] فلا جرم في تحققه المواليد جمع مولود والعيون الجواسيس مجازاً بذكر العين وهو الجزء الذي يحصل به ما هو المقصود من الجاسوس فأخذت له

قوله: لا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه وفي الكشاف الخوف غم يلحق الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاحظار به ففسرهما القاضي رحمه الله على ذلك الأصل فإن ضيعة موسى لما كانت مترقبة غير حاصلة ناسبت بأن تكون متعلق الخوف والفراق لما كان عن موجود حاصل ناسب أن يكون متعلق الحزن.

قوله: لما ضربها الطلق وهو وجع الولادة يقال طلقت المرأة تطلق طلقاً على ما لم يسم فاعله والسعاية الغمز.

قوله: فأرضعته أي ارضعته أمه والعيون جمع عين بمعنى الرقيب وهم الرقباء الموكلة على الحبالى.

besturdubooks.wordpress.com

تابوتاً إشارة إلى ما ذكرناه من أن فيه اختصاراً فقذفت موسى عليه السلام في التابوت ثم قذفت التابوت في اليم.

قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٨)﴾

قوله: (فالتقطه) أشار إلى أن الفاء فصيحة والمحذوف المشعر به ما ذكره المص.

قوله: (**تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزناً وهما لغتان كالعدم والعدم**) تعليل لالتقاطهم الخ في قوله تعليل تنبيه على أن اللام على حقيقتها لا مجاز فيها بكونها للعاقبة والصيرورة وإنما المجاز والاستعارة في مدخوله حيث شبه العداوة والحزن بالغرض الحامل في الترتب على الفعل ففيه استعارة بالكناية واللام قرينتها فلا يوجد فيه استعارة تبعية وهذا مسلك مأخوذ من كلام صاحب الكشاف واختاره المص وفيه مسلك آخر وهو كون الاستعارة في اللام وهي استعارة تبعية وكلام المص احتماله لهذا بعيد والتفصيل في فن البيان نعم في كلام الزمخشري احتمال له كما اوضح في الحاشية السعدية.

قوله: (**في كل شيء وليس ببدع منهم أن قتلوا ألوفاً لأجله**) في كل شيء العموم مستفاد من حذف المتعلق مع الاختصار أي من عاداتهم الخطأ وليس ببدع أي ليس بمستغرب منهم هذا الخطأ وهو أن قتلوا ألوفاً الخ.

قوله: تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيهاً له بالغرض الحامل بيانه أن اللام في ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ حكمها حكم لفظ الأسد المستعار للمقدام حيث استعيرت لما يشبه التعليل يستعار لفظ الأسد لمن يشبه الأسد وتلخيص معنى الاستعارة أنه شبه هذا الترتب وهو ترتب العداوة على الالتقاط بترتب الاكرام على المجيء في قولك جئتك لتكرمني وادخل المشبه في جنس المشبه به فاستعير لترتب المشبه ما كان مستعملاً في الترتب المشبه به وهو لام كي فقيل ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ فيكون استعارة مصرحة تبعية تهكمية إما كونها استعارة مصرحة لأن المذكور لفظ المستعار منه وهو اللام كاستعارة لفظ الأسد للمقدام وإما كونها تبعية لأن الحروف أنفسها من الاستعارة بمعزل لأنها لم تقع موصوفات وكل من المستعار له والمستعار منه يجب أن يكون موصوفاً بوجه الشبه لبناء الاستعارة على تشبيه المستعار له بالمستعار منه فإن كلا من الأسد والرجل الشجاع موصوف بوجه التشبيه الذي هو الشجاعة والحروف لما لم تصلح للموصوفية وقعت الاستعارة في معانيها ثم اسرت الاستعارة من المعاني إليها فلذا صارت استعارة الحروف تبعية لا أصلية وإما كونها تهكمية فلأن العاقل لا يفعل هذا الفعل وهو أن يلتقط لقيطاً ليعاديه ويضره بل إنما يلتقطه ليواخيه وينفعه لكن المفهوم من ظاهر كلام القاضي رحمه الله أن يكون ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ من باب الاستعارة بالكناية حيث شبه العداوة والحزن بالغرض الحامل للشخص على الالتقاط في كونهما مترتبين عليه ترتب الغرض على الفعل فأثبت للمشبه ما هو لازم المشبه به وهو لام التعليل كإثبات الاظفار للمنية في قولك أظفار المنية نشبت بفلان.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ثم أخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون) ليكبر ويفعل بهم الكلام فيه كالكلام في قوله: ﴿ليكون لهم﴾ [القصص: ٨] الآية.

قوله: (أو مذنبين فعاقبهم الله تعالى بأن ربى عدوهم على أيديهم) أو مذنبين إشارة إلى جوز أنه من خطىء بمعنى أذنب مع رجحان الأول لشدة مناسبته المقام وفي الأساس يقال خطأ خطأ إذا تعمد الذنب فالخطأ يجيء لمعنيين والظاهر الاشتراك اللفظي.

قوله: (فالجملة اعتراض لتأكيد خطئهم أو لبيان الموجب لما ابتلوا به) فالجملة أي جملة ﴿إن فرعون﴾ [القصص: ٨] الآية اعتراض بين المتعاطفين ولا بد من نكتة فيه ولذا قال لتأكيد خطئهم المفهوم من قوله: ﴿ليكون لهم عدواً﴾ [القصص: ٨] الآية هذا على الأول في تفسير خاطئين قوله أو لبيان الموجب بكسر الجيم على التفسير الثاني في خاطئين فالمراد بالذنب قتل الصبيان أو شركهم قوله لبيان الموجب يشعر أن هذه الجملة استئناف معاني جواب لسؤال بأنه لم ابتلوا به ما ابتلوا ومع هذا اطلق عليه الاعتراض إما لعدم التفرقة بينهما أو لكونه مؤكداً لذنبهم المفهوم من فحوى(١) الكلام أيضاً مع كونه بياناً.

قوله: (وقرىء خاطين بتخفيف خاطئين أو خاطين الصواب إلى الخطأ) خاطين بياء ساكنة قوله بتخفيف خاطئين يعني بحذف الهمزة وهو الظاهر لاتحادها مع القراءة المشهورة في المعنى ولذا قدمه ورجحه وإن كان الحذف على خلاف القياس أو خاطين الصواب فهو حينئذٍ من خطأ يخطو بمعنى يخطىء لتخطئة الصواب إلى ضده فهو مجاز فمآله القراءة الأولى فرجحان الأول لموافقتها لفظاً ومعنى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

قوله: (أي لفرعون حين أخرجته من التابوت) أي لفرعون حين أخرجته من التابوت إشارة إلى ما حكي في الكشاف أنهم عالجوه علم يتيسر فتحه لغيرها على تفصيل فيه ففتحته وأخرجته ولعل الحكمة أنها اقتبست من نورها فقط قوله من التابوت وهو وإن لم يذكر هنا لكنه مذكور في سورة طه ولذا ذكره المص.

قوله: فالجملة اعتراضية لتأكيد خطئهم فإن التقاطهم لقيطاً على يديه هلاكهم وتربيته على ظن أنه سيكون صديقاً حميماً لهم خطأ فأكد ذلك الخطأ بهذه الجملة الاعتراضية أي كان ديدنهم الخطأ في كل شيء ومن جملة خطئهم أنهم التقطوا من على يديه هلاكهم وربوه ظناً أنه يصادقهم ويواليهم.

قوله: وقرىء خاطين بتخفيف همزة خاطئين لقراءة على خاطين يحتمل معنيين أن يكون من الخطأ على أن يحذف همزته تخفيفاً وأن يكون من الخطو بمعنى التجاوز فاستوفى كلا محتمليه.

---

(١) وهذا هو الأولى لمحافظة رأي القوم وهو التفرقة بين الاعتراض والاستئناف.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي هو قرة عين لنا) أي المبتدأ محذوف قوله لي صفته لا خبره لأنها نكرة محضة والسر في عدم قولها قرة عين لنا للإشارة إلى التفرقة حيث كان عليه السلام عدواً له في عاقبة وقرة عين لها.

قوله: (لأنهما لما رأياه أخرج من التابوت أحباه) لأنهما عله وقالت امرأة فرعون الخ قوله احباه إما محبة آسية فلما رأت نوراً بين عينيه وإما محبة فرعون فبإلقاء الله تعالى المحبة إياه كما قال تعالى: ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ [طه: ٣٩].

قوله: (أو لأنه كانت له ابنة برصاء وعالجها الأطباء بريق حيوان بحري يشبه الإنسان) أو لأنه كانت له أي لفرعون قوله وعالجها الأطباء هذا على ظاهره إن كان بعد الالتقاط أو معناه ووصف الأطباء علاجها لها إن كان قبل الالتقاط وهذا هو المشهور وهذا الوصف منهم إما بممارسة علم النجوم أو الهام من الله تعالى للطفه بموسى عليه السلام أو برؤيا صادقة قوله يشبه الإنسان وهذا كرم من الله تعالى لاغفالهم عن قتله كسائر الالطاف العلية مثل القاء المحبة من عنده.

قوله: (فلطخت برصها بريقه فبرئت) فلطخت من الثلاثي برصها بريقه وفيه قلب أي فلطخت ريقه ببرصها والاعتبار اللطيف المبالغة في خلط الريق ببرصها بحيث يقال إن البرص تلطخ بريقه وفاعل لطخت آسية.

قوله: (وفي الحديث أنه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله تعالى كما هداها) وفي الحديث الخ رواه النسائي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قوله عليه السلام: «**ولو قال لي كما هو لك**» الخ قضية شرطية لا يتوقف صدقها على صدق الطرفين فلا إشكال بأنه علم الله أنه يموت على الكفر فكيف هذه القضية واستوضح بقوله تعالى: ﴿قل إن كان للرحمن ولد﴾ [الزخرف: ٨١] الآية.

قوله: (خطاب بلفظ الجمع للتعظيم) إذ الخطاب لفرعون كما هو مقتضى السوق وما روي أن أعوان فرعون قالوا وقت إخراجه هذا هو الصبي الذي كنا نحذر منه فأذن لنا في قتله فحينئذٍ قالت آسية لا تقتلوه فالخطاب للجماعة غير معلوم وقد صح الرواية عن أبي علي الفارسي أنه قال يصح مخاطبة الواحد بلفظ الجمع فلا اعتبار لإنكار من أنكر.

قوله: أو لأنه كانت له ابنة إلى آخره روي أنهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نوراً فعالجته ففتحته فإذا بصبي نوره بين عينيه وهو يمص إبهامه لبناً فأحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الأطباء لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه إنسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما نظرت إلى وجهه برأت فقالت إن هذه لنسمة مباركة فقال الغواة من قومه هو الصبي الذي تحذر منه فائذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك ولي وروي في حديث لو قال قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير أي لو كان غير مطبوع على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما اسلمت.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (فإن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرأ البرصاء بريقه) مخايل اليمن أمارات البركة.

قوله: (أو نتبناه فإنه أهل له) نتبناه أي نتخذه فإنه أهل لائق لتبني الملوك.

قوله: (حال من الملتقطين أو من القائلة والمقول له أي وهم لا يشعرون أنهم على الخطأ في التقاطه أو في طمع النفع منه والتبني له أو من أحد ضميري نتخذه على أن الضمير للناس أي وهم لا يشعرون أنه لغيرنا وقد تبنيناه) حال من الملتقطين وهم آل فرعون وهذا هو الظاهر ولذا قدمه والمقول له فرعون المقدر وفيه نوع بعد أو من أحد ضمير نتخذه فيكون الرابط هو الواو وحده إذ الضمير راجع إلى الناس لا لذي الحال.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾

قوله: (صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله تعالى ﴿وأفئدتهم هواء﴾ [إبراهيم: ٤٣]) صفرا من[1] العقل أي خالياً عنه[2] لما دهمها بكسر الهاء وقد يفتح أي غشيها من الخوف بيان لما وإن جعل من أجلية فالمراد بما ما غطاها من ألم الخوف وأثره قوله حين سمعت الخ وقولها لأخته قصته لتفحص أنه هل قتله أم لا وهل له مرضع أم لا فلا منافاة قوله فبصرت به عن جنب يؤيد ما ذكر لأنه يفيد أنها ذهبت إلى جانب فرعون فتفحصت عن أحواله مع أن الواو لا يقتضي الترتيب فيجوز سماعها بعد قولها لاخته قصيه والفائدة في تقديم الذكر بيان كمال شفقتها ومرحمتها وهي من الخصال الحميدة.

قوله: (أي خالية لا عقول فيه ويؤيده أنه قرىء فرغاً من قولهم دماؤهم بينهم فرغ أي هدر) ويؤيده أنه قرىء فرغاً بكسر الفاء وسكون الراء المهملة والغين المعجمة أو بضم الفاء وكلاهما قرىء والمعنى واحد قوله من قولهم دماؤهم الخ إشارة إلى أن فرغا استعارة شبه

قوله: وذلك لما رأت من نور تعليل أن فيه مخايل اليمن ودلائل النفع.

قوله: أو نتبناه أي نتخذه ابناً فهو تفعل من تبنيت فلاناً إذا اتخذته ابناً فهو ناقص من التبني الذي هو من الابن الذي أصله بنو قوله: من المصدقين بوعد الله ناظر إلى أن يكون معنى فارغاً صفراً من العقل وخالياً عنه فالمعنى لولا أن ربطنا على قلبها ربطاً يوجب تصديقها بوعدنا اياها بأن رادوه إليها كادت لتبدىء من قصته من فرط تضجره وقوله أو الواثقين بحفظه لا يتبنى فرعون ناظر إلى أن يكون معنى فارغاً خالياً عن الهم فالمعنى لولا أن ربطنا على قلبها ربطاً موجباً لوثوقها بحفظنا اياه لا يتبنى فرعون كادت لتبدىء بقصته فرحاً من تبني فرعون وتعطفه عليه فإن هذا فرح بجلب سخط الله تعالى.

---

(١) والظاهر أن المراد بالعقل الإدراك لا القوة العاقلة.

(٢) فسره هناك بخالية عن الفهم كفؤاد ذوي الحيرة والدهشة وهو المراد من العقول هنا.

besturdubooks.wordpress.com

بمقتول لا دية ولا قود ومن اضطرب قلبه كأنه هلك فذهب عقله فكون الدم هدراً هو المناسب للخلو عن العقل الذي هو هلاك حكماً.

قوله: (أو من الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى أو بسماعها) أو من الهم عطف على قوله من العقل إذ الفراغ ينتظم كليهما لكن قدم الأول لرجحانه كما عرفته وهذا من قولهم فارغ البال ولا يأباه قوله: ﴿لتكون من المؤمنين﴾ [القصص: ١٠] لما سيأتي من تفسيره بالمصدقين بوعده وإن لم يكن ملائماً لتفسيره بالواثقين بوعد الله تعالى وهو: ﴿إنا رادوه إليك﴾ [القصص: ٧] قوله أو بسماعها الخ أو لمنع الخلو.

قوله: (أن فرعون عطف عليه وتبناه أنها كادت لتظهر بموسى) لم يقل إن فرعون وامرأته الخ لأن خوفها من فرعون أنها كادت أي كلمة أن مخففة من الثقيلة اسمها ضمير راجع إلى أم موسى كأنه لم يرض بكون أن نافية واللام بمعنى إلا لأنه خلاف الظاهر قوله لتظهر من الإظهار معنى لتبدي لأنه من البدو بمعنى الظهور وهمزة الأفعال للتعدية.

قوله: (أي بأمره وقصته من فرط الضجرة أو الفرح لتبنيه ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالبصر والثبات) بأمره قدر المضاف في بموسى إذ لا معنى لاظهار موسى نفسه مع أن موسى عليه السلام ليس في يدها ح وأمر موسى أنه ولدته ثم القته في التابوت ثم القته في اليم بالوحي وقصته عطف تفسير لأمره قوله من فرط الضجرة على التفسير الأول وهو كون معنى فارغاً صفرا من العقل أو الفرح على تفسيره بفارغ عن الهم وهذا سبب الإظهار فقربت اظهاره لكن لم يقع الإظهار لمانع وهو ربط[1] قلبها المشار إليه بقوله تعالى: ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ [القصص: ١٠] بالصبر وهو المربوط على قلبها فالباء إما صلة أو الباء الظرفية.

قوله: (من المصدقين بوعد الله تعالى أو من الواثقين بحفظه لا يتبنى فرعون وعطفه وقرىء مؤسى إجراء للضمة في جار الواو مجرى ضمتها في استدعاء همزها همز واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله) من المصدقين بوعد الله أي من المصدقين به عياناً بعد تصديقه برهاناً وكذا الكلام في الواثقين الخ لا يتبنى فرعون الحصر مستفاد من الغلة أو من الفحوى مؤسى أي بالهمزة ولما لم يكن الواو مضموماً حاول وجه تبديل الواو همزة فقال إجراء لضمة جار الواو وهو الميم الجار مجاز في القرب مجرى ضمتها أي ضمة الواو نفسها فقلبت همزة كما في وجوه قوله همز واو وجوه بالنصب ناصبه همزها والأولى أنه منصوب بنزع الخافض قوله دل عليه ما قبله وهو أن كادت الخ.

قوله: وهو علة الربط وجواب لولا محذوف فالمعنى لولا الربط الموجب كونها من المؤمنين المصدقين بوعد الله أو الواثقين بحفظ الله كادت لتبدىء بقصته تضجراً من خوف قتله لما وقع في يد عدوه أو فرحاً من تبنيه وتعطفه عليه.

---

(١) الربط على القلب مجاز عن الربط الحسي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله: (وقالت لأخته) عطف على أصبح قد مر أنه يحتمل أن يكون مقدماً عليه.

قوله: (مريم) عطف بيان والايضاح من مجموعهما لأنها غير مشتهرة بهذا الاسم كشهرة والدة عيسى عليه السلام بهذا الاسم مريم أصل معناه الخادم وزنه مفعل فإنه مشتق من رام يروم إذا فارق وبرح لا فعيل إذ لم يثبت فعيل لا صيغة ولا مادة وهي م ر م كذا قيل.

قوله: (اتبعي أثره وتتبعي خبره) اتبعي أثره من قص أثره إذا اتبعه وهذا ليس بمراد هنا بل التفحص بخبره كما قال وتتبعي خبره.

قوله: (فبصرت به) الفاء فصيحة أي ذهبت تطلب خبره وأحواله فوصلت إلى دار فرعون به أي بموسى عليه السلام.

قوله: (عن بعد وقرىء عن جانب وجنب وهو بمعناه) عن بعد بضم الصاد أي أبصرته ورأته وقرىء بفتحها وكسرها في الشواذ وعن بمعنى من أي ابتداء رؤيته من مكان بعيد.

قوله: (﴿وهم لا يشعرون﴾ [القصص: ١١] أنها تقص أو انها أخته) وهم لا يشعرون حال من فاعل بصرت والرابط هو الواو وحده ولا ضمير لذي الحال كما تقدم قريباً.

قوله تعالى: ﴿۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾﴾

قوله: (ومنعناه أن ترتضع من المرضعات جمع مرضع) ومنعناه حمله على المجاز مرسلاً أو استعارة لقرينة صارفة عن الحقيقة وهو أن الصبي لا يكلف بالحال والحرمة فلا يراد الحرمة من الأحكام الخمسة وهي ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه فيراد به لازمه وهو المنع عنه فيكون مجازاً مرسلاً أو شبه المنع المذكور بالحرمة في مطلق المنع أو الامتناع فيكون استعارة والمعنى ومنعناه عن المراضع فامتنع عنها أن ترتضع من المرضعات اما حاصل المعنى إذ لا وجه في منع نفس المرضعات أو الإشارة إلى تقدير المضاف أي حرمنا عليه الارتضاع منها هذا على تقدير كونها جمع مرضعة بضم الميم وكسر الضاد.

قوله: (أو مرضع وهو الرضاع أو موضعه وهو الثدي) أو مرضع بفتح الميم والضاد

قوله: اتبعي أثره من قص أثره أي تتبعه قال تعالى: ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ [الكهف: ١] وكذلك اقتص وتقصص أثره أثره لا من اقتصصت الحديث أي رويته على وجهه فإنه لا يناسب المقام.

قوله: أنها تقص أو انها أخته يعني يحتمل أن يكون متعلق لا يشعرون أي مفعوله أحد هذين.

قوله: ومعناه أن يرتضع المرضعات يعني أن التحريم هنا مستعار للمنع لأن من حرم عليه الشيء فقد منعه على تشبيه أن يكون الممنوع في التأدية إلى الامتناع بالمحرم والمنع بالتحريم

besturdubooks.wordpress.com

وهو الرضاع فيكون مصدراً ميمياً أو موضعه فيكون اسم مكان اخره لأن المنع عن الفعل أظهر وإن كان المنع عن العين أبلغ كالحرمة المصطلحة.

قوله: (من قبل قصها أثره) قيل والأقرب من قبل إبصارها إياه وفي البحر من أول مرة فتأمل.

قوله: (﴿فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ [القصص: ١٢] لأجلكم) فقالت هل ادلكم الفاء فصيحة أي فقصت ودخل دار فرعون ورأت لا يقبل ثدي امرأة من المراضع الكثيرة فحينئذٍ قالت هل أدلكم أرشدكم وأعرفكم على أهل بيت أي على مرضع من أهل الشرف والعز لأن أهل البيت يراد به الاحتراز عن الدني والسفلي وأرادت التشويق إلى طلبه لأن الرضاع مما يهتم به لا سيما الملوك: ﴿يكفلونه لكم﴾ [القصص: ١٢] لأجلكم وفيه ترغيب أيضاً ويحتمل الخطاب لفرعون وحده بلفظ الجمع للتعظيم كما في لا تقتلوه.

قوله: (﴿وهم له ناصحون﴾ [القصص: ١٢] لا يقصرون في ارضاعه وتربيته روي أن هامان لما سمعه قال إنها لتعرفه وأهله فخذوها حتى نخبر بحاله) ﴿وهم له ناصحون﴾ النصح إرادة الخير للغير فقوله: ﴿لا يقصرون﴾ [الأعراف: ٢٠٢] لازم معناه ولما كان هل نصاً في طلب التصديق اختارت على همزة الاستفهام.

قوله: (فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأتت بأمه وموسى على يد فرعون يبكي وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها) فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون بواسطة أنهم ناصحون لموسى عليه السلام فلا كذب بل من قبيل المعاريض فالضمير لموسى عليه السلام وليس فيه تفكيك

وذلك أن الله تعالى منعه أن يرضع ثدياً وكان لا يقبل ثدي مرضع قط والمرضع أو المرضعة في المرأة التي ترضع والجمع المراضع أو المراضع جمع مرضع بفتح الميم والضاد وهو مصدر بمعنى الرضاع أو موضع الرضاع وهو الثدي.

قوله: لا يقصرون في ارضاعه وتربيته فسر النصح بالتربية وعدم التقصير في ارضاعه لأن النصح اخلاص العمل من شوائب الفساد.

قوله: فقالت إنما أردت وهم للملك ناصحون قال صاحب الانتصاف فخلصت بهذه الكلمة من التهمة وأحسنت وليس ببدع لأنها من بيت النبوة وأخت النبي فحقيق بها ذلك وقيل ما ذكر صاحب الانتصاف وما روي عنها من حمل كلامها على خلاف ما أرادته بكلامها بعيد لأن اللغة التي كانت تتكلم بها أخت موسى غير هذه اللغة فالألفاظ المتلوة في القرآن العظيم عبارة عن معنى الألفاظ التي قالتها بغير هذه اللغة وهذا الاحتمال إنما نشأ من تركيب الألفاظ العربية واحتمال الضمير في له للأمرين منها فلا يلزم أن يكون لفظها في لغتها محتملاً للأمرين وقد أجيب عنه بأن هذا الاسلوب من قبيل الكلام الموجه أو الايهام وأي بعد في وقوع نحوه في لغة أخرى لا سيما في الضمير وقد روى محيي السنة عن جريج والسدي نحوه.

besturdubooks.wordpress.com

الضمير فلا حاجة إلى أن يقال واختلاف مرجع الضمائر لا يختص بلغة العرب وأيضاً لا يحتاج إلى الاعتذار بأن الكذب جائز لدفع الضرر مع أنها غير معصومة لأن في المعاريض لمندوحة عن الكذب قوله يبكي ظاهره يبكي لطلب اللبن وحقيقته أنه يبكي على وقوعه في يد كافر ولا بعد في أن فرعون هلك في يده على الكفر وهذا دأب المقربين حيث ترحموا على الأعداء.

قوله: (فقال لها من أنت منه فقد أبى كل ثدي إلا ثديك فقالت إني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أوتي بصبي إلا قبلني فدفعه إليها) فقال لها من أنت منه لفظة من اتصالية بمعنى من أنت في القرب منه نسباً فقالت رضي الله تعالى عنها بأسلوب الحكيم إني امرأة الخ ولم تتعرض بيان قربه نفياً واثباتاً ولم يفهم ذلك الأحمق ما صنعته من البراعة والبلاغة كأنها قالت السؤال المذكور ليس بوظيفة لك وإنما السؤال ما شأنك قد التقم ثديك وقد أبى كل ثدي فنزلت سؤاله بمنزلة هذا السؤال فأجابت بما ذكرت وأفحمت وألزمت.

قوله: (وأجري عليها فرجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه﴾ [القصص: ١٣]) وأجري أي أمره أن يجري عليها النفقة واعطاء الأجرة على الارضاع فاعتبروا يا أولي الأبصار وهذا وإن خالف ما في سورة طه حيث قيل فيها ﴿إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكلفه﴾ [طه: ٤٠] وهذا يخالفه ما ذكر هنا لفظاً لكنه طبقه معنى فالجمع هنا وصيغة التذكير للمبالغة في تفخيم أمه عليه السلام وبيان فرط كماله حيث عدت من زمرة الرجال الكاملين.

قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾

قوله: (﴿فرددناه﴾ [القصص: ١٣] بولدها) أي فرجعناه كما قال في سورة طه: ﴿فرجعناك إلى أمك﴾ [طه: ٤٠] الآية الفاء للفصيحة كما أشار إليه بقوله: فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله إلى أن قال وهو قوله تعالى: ﴿فرددناه﴾ [القصص: ١٣] كي تقر تفسير تقر قد مر في سورة مريم (بفراقه).

قوله: (علم مشاهدة) بعد ما علمت علماً يقينياً بالبرهان فإذا ضمت إليه العلم بالعيان

قوله: وهو يعلله قال الجوهري علله بالشيء أي لهاه به كما يعلل الصبي بشيء من الطعام يجزئه به عن اللبن.

قوله: فرجعت به إلى بيتها من يومها وهو قوله: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها﴾ [القصص: ١٣] بولدها وفي الكشاف انجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها أن سيكون نبياً وذلك أنه سبحانه وتعالى وعدها بأمرين في قوله: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [القصص: ٧] فعندما انجز الوعد بأحد الأمرين تحقق عندها أن الأمر الآخر سيكون فكان الرد علة لتحقق حصول الرسالة عندها وثبوت علمها بصدق وعد الله تعالى.

besturdubooks.wordpress.com

ازداد الطمأنينة فإن الصحيح أن التصديق يقبل الزيادة والنقصان كيفاً وما يعلم بالمشاهدة الموعود الواقع الموجود وأما الوعد وحقيته فأمر معقول يطلق على علمه علم المشاهدة توسعاً وتسامحاً إلا أن يراد بالوعد الموعود فلا إشكال بأنه متيقن عندها قبله فعلم منه أن المراد بوعد الله الوعد برد الولد وفي الكشاف الوعد على كونه سيكون نبياً.

قوله: (أن موعد الله حق فيرتابون فيه أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك وما سواه تبع) أو أن الغرض الأصلي الخ عطف على علم المشاهدة توجيه آخر لذكر ولتعلم وحاصله أن العلم وإن كان متحققاً قبله لكن المقصود إفادة أنه غرض أصلي للرد لا إفادة نفس العلم بقرينة الجار واختيار اللام للنص في التعليل فإنه يفيد الاعتناء به لكونه أمراً دينياً بخلاف ما سواه من قرة عينها دفع حزنها فإنه أمر دنيوي وأما التأخير فلاختيار الترقي وليكون متصلاً بقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ [القصص: ١٣].

قوله: (وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون) وفيه تعريض هو من التعبير بالمضارع فإنه يفهم منه أنها لم تتيقن ذلك قبل الرد ألا يرى أنها خافت وفرغت عن العقل حسبما نطق به النظم الجليل على التفسير الأول في قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ [القصص: ١٠] الآية وكأنه اختار المص هذا الاحتمال كما أشار بتقديمه وإلا فلا تعريض على أن لتعلم المراد به علم المشاهدة فلا يظهر التعريض إلا بحسب الظاهر من اللفظ وفرط بتخفيف الراء أي سبق والتعريض على الوجهين في ولتعلم والاستدراك من مفهوم ما سبق كأنه قيل إن الله تعالى صادق في وعده ومنجزه البتة ﴿ولكن أكثرهم﴾ [القصص: ١٣] وهم المشركون ﴿لا يعلمون﴾ [القصص: ١٣].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾﴾

قوله: (مبلغه الذي لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين إلى أربعين سنة فإن العقل يكمل حينئذٍ وروي أنه لم يبعث نبي إلا على رأس الأربعين) مبلغه الخ أشد جمع شدة على

قوله: ﴿إن وعده حق﴾ [القصص: ١٣] وقوله أو أن الغرض الأصلي من الرد علمها بذلك بيان لمحتملي متعلق العلم المنفي أي لا يعلمون أن أصل الغرض من الرد هو الأمر الديني وهو علمها بصدق وعد الله وما سواه من قرة العين وذهاب الحزن تبع له.

قوله: وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون أي ما فرط منها من ضجرتها وذلك قوله تعالى: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ [القصص: ١٠] أي خالياً من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين استماعها بوقوعه في يد فرعون يعني في قوله: ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [الأعراف: ١٨٧] تنبيه لها على أن ما دهمها من فرط الجزع والدهش في أول الأمر كان من قلة العلم والجهل بتقدير الله كما أن قوله تعالى: ﴿لا يخاف لدي المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء﴾ [النمل: ١٠، ١١] كان تعريضاً بموسى من وكزة القبطي وقوله فيه: ﴿إني ظلمت نفسي﴾ [القصص: ١٦].

besturdubooks.wordpress.com

ما اختاره المص في أوائل سورة الحج فتفسيره هنا بالمبلغ لا يلائمه وقد مر التفصيل هناك وقيل إنه مفرد كالآنك ولا نظير لهما وكلامه هنا يميل إليه تنبيهاً لا على المسلكين في الموضعين قوله وذلك من ثلاثين الخ بيان للمناسب لهذا المقام وإلا فقيل الأشد ما بين ثماني عشرة إلى الثلاثين وغير ذلك من الأقاويل ولذا قيل إن أصل معناه القوة بدون تعيين وهي تختلف باختلاف الأقاليم والأعصار والأحوال ولذا وقع له تفاسير في كتب اللغة والتفسير بحسب القراءات والمقامات وفي لسان العرب قال الزجاج هو من نحو سبعة عشر إلى الأربعين وقال مرة هو ما بين الثلاثين إلى الأربعين انتهى والمص اختار الأخير هنا لموافقة قوله[1] ﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ [الأحقاف: ١٥] انتهى والحاصل أن الأشد مشترك بين هذه المعاني اشتراكاً لفظياً يكون المراد به متعيناً بحسب القرائن.

قوله: (قدره أو عقله) أو لمنع الخلو أشار به إلى أنه تأسيس لا تأكيد.

قوله: (أي نبوة) فسره بها لئلا يلزم التكرار مع قوله وعلماً.

قوله: (بالدين) بيان للواقع فإن العلم المعطى للأنبياء لا يكون إلا علماً بالدين وفيه تنبيه على أن الأحكام مأخوذة من الشرع إما العملية فظاهر وإما الاعتقادية فبعضها من جهة الاثبات وبعضها من جهة الاعتداد وذكر العلم بعد النبوة تنبيه على شرافته وإنافة أهله ومن هذا أنه لو أريد بالعلم أي علم كان مما لا يخالف الشرع لكان له وجه.

قوله: (أو علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل الاستنباء فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه) أو علم الحكماء الخ أي أو المراد بالحكم العلم أيضاً لا النبوة فالتقابل باعتبار أن المراد بالحكم علم الحكماء وبالعلم علم العلماء غير الحكماء والمراد علم الحكماء الذي لا يخالف الشرع مثل علم النجوم الذي يعرف به مواقيت الصلوات والقبلة وعلم الحساب الموقوف عليه لعلم الفرائض وغير ذلك مما يساعده الشرع القويم قوله وسمتهم عطف على علم الحكماء عطف تفسير له أي طريقتهم في العلم لا في العمل إلا أن يقال إن العمل داخل في الحكمة أي العلم المجامع للعمل فحينئذٍ يكون التقابل في أعلى المراتب فذكر العلم بعد الحكم مع دخوله فيه لما مر من التنبيه على شرافته قوله فلا يقول ولا يفعل إشارة إلى ما قلنا من دخول العمل في الحكم.

قوله: (وهذا أوفق لنظم القصة لأن استنباءه بعد الهجرة في المراجعة) وهذا أوفق

قوله: وهو أوفق لنظم القصة لأن استنباءه بعد الهجرة في المراجعة أي لأن استنباء موسى كان في اثناء السفر بعد المراجعة مع أهله إلى مصر بعد المكث الطويل عند شعيب عليه السلام على ما هو مضمون نظم القصة وهو عليه الصلاة والسلام حين خرج من قومه مهاجراً من بين القبط خوفاً كان بالغا أشده ومستوياً قده وعقله لكنه لم يكن نبياً بعد فلو فسر حكماً

---

(١) ويمكن أن يقال إعادة فعل بلغ ربما يشعر أن الأشد غير أربعين سنة فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

لنظم القصة لأن القصة المذكورة هنا قبل الاستنباء وإنما قال أوفق لأن الأول موافق له لأن فيه بيان انجاز الوعد فإن الموعود لام موسى عليه السلام كان هو الرد وجعله من المرسلين فأشار إلى الأول بقوله: ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ [القصص: ١٣] وإلى الثاني بقوله: ﴿ولما بلغ أشده﴾ [القصص: ١٤] الخ والواو لا يقتضي الترتيب فهذا القول يكون بياناً إجمالياً لانجاز الوعد بجعله من المرسلين بعد رده لأمه فإنجاز الوعد بالمشاهدة في الأول وفي الثاني بالخبر المشابه بالمشاهدة كأنه قيل كما أنجزت وعد الرد انجز وعد جعله من المرسلين ومثل ذلك الذي فعلنا بموسى وأمه.

قوله: (على إحسانهم) فيه إشارة إلى أنه إنما آتاه الحكم والعلم لاستحقاقه بإحسانه العمل والنبوة وإن لم تكن جزاء على العمل لكن يترتب عليه في الجملة قال تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام: ١٢٤] فلا دلالة فيه على أن المراد بالحكم الحكمة وعلم الحكماء فهذا ينتظم على الوجهين غاية الأمر أنه ظاهر في الوجه الثاني لا أنه دليل عليه.

قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾

قوله: (ودخل مصر آتياً من قصر فرعون وقيل من منف أو حابين أو عين الشمس من نواحيها) ودخل مصر غير منصرف لأنه علم لمصر القاهرة قدمه لأنه هو الظاهر من مصر لما عرفته أنه علم له قوله آتياً من قصر فرعون إذ الدخول يستلزم عدم كونه فيه لأنه عبارة عن حركة من خارج إلى داخل وقصر فرعون في منف على ما صرح به البعض وقيل في منف عطف على مصر وهي اسم بلدة خارج مصر القاهرة والمعنى دخل منف آتياً من مصر القاهرة مثلاً وهي بضم الميم والنون ساكنة وهي غير منصرفة للعلمية والعجمة قيل والمعروف فيها منوف بواو وتفصيله في أسماء البلدان وحابين بحاء مهملة وباء موحدة أو عين الشمس اسما بلدتين من نواحي مصر.

قوله: (في وقت لا يعتاد دخولها أو لا يتوقعونه فيه قبل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين) في وقت الخ أشار به إلى أن على بمعنى في قوله لا يعتاد دخولها بيان كون ذلك

وعلماً في الآية بالنبوة وعلم الدين يلزم أن يكون نبياً عند الخروج من بينهم لتعليق الايتاء في الآية بلوغ الأشد وهو لم يكن نبياً حينئذٍ فوجب أن يفسر الحكم والعلم بالوجه الثاني وهو أن يكون المراد بالحكم والعلم علم الحكماء والعلماء وسمتهم السمت الطريق والسمت هيأة أهل الخير والثاني هو المراد هنا.

قوله: في وقت لا يعتاد دخولها قيل لما بلغ حد الشباب وعقل أخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم لا على تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

الوقت وقت غفلة وكذا قوله أو لا يتوقعونه فيه والوجهان متقاربان وكون الوقت بين العشاءين مروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكنه في حكم المرفوع.

قوله: (يقتتلان) أي يتضاربان استعارة مشهورة.

قوله: (أحدهما ممن شايعه على دينه وهم بنو إسرائيل) ممن شايعه أي تابعه على دينه إذ لتبعية المعتبرة التبعية في الدين لأنهم على دين إبراهيم عليه السلام.

قوله: (والآخر من مخالفيه وهم القبط والإشارة على الحكاية) وهم القبط لأنهم خالفوهم في الدين لأن القبط لا كتاب لهم والإشارة يعني لفظ هذا وهذا على الحكاية وإلا فهما ليسا حاضرين حال الحكاية لرسول الله عليه السلام ولكنهما حاضران يشار إليهما وقت وجدان موسى أباهما حكى حالهما حينئذٍ لكن الحضور لا يقتضي الإشارة ولو جعل من قبيل قوله تعالى: ﴿مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج﴾ [الفرقان: ٥٣] الآية لم يبعد لأنه لا حضور لرسول الله عليه السلام في البحرين أيضاً غايته أنهما موجودان غير حاضرين والشيعة والعدو معدومان ليسا بحاضرين ولا يضر ذلك فيما ذكرناه قال الزجاج هذا وهذا وهما غائبان على وجه الحكاية أي وجد فيها رجلين يقتتلان إذا نظر الناظر إليهما قال هذا من شيعته وهذا من عدوه قاله الأول والمنفهم منه أن الإشارة المحكية على سبيل الفرض أو التقدير ويؤيده التعبير بضمير الغائب في شيعته وعدوه والإشارة التقديرية على الحكاية.

قوله: (فسأله أن يغيثه بالإعانة ولذلك عدي بعلى وقرىء استعانه) بالاعانة ظاهره أن الاستغاثة مختصة بالإعانة وكلامه صريح في العموم وعن هذا قال ولذلك عدي بعلى قوله تعالى: ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ [الكهف: ٢٩] يفهم منه أن تعديته بالباء قوله وقرىء استعانه هذا يؤيد تضمين معنى الاعانة في استغاثه.

قوله: (فضرب القبطي بجمع كفه وقرىء فلكزه أي فضرب به صدره) بجمع كفه بضم الجيم وسكون الميم بمعنى كفه المضموم أصابعها وهو معنى الوكز أي الضرب المخصوص والمراد الضرب بجمع كفه صدره كما يؤيده قراءة فلكزه كما قال أي فضرب به.

قوله: (فقتله وأصله أنهى حياته) فقتله أي موسى عليه السلام بلا قصد وخطور خاطر

قوله: أحدهما ممن شايعه شيعة الرجل اتباعه وانصاره يقال شايعه كما يقال والاه من الولي وتشايع القوم من الشيعة وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع وشاعه شياعاً أي تبعه.

قوله: والإشارة على الحكاية أي على حكاية حضور المشار إليه في ذلك الزمان وإلا فهو ليس بحاضر حين اقتصاص تلك القصة لنبينا ﷺ.

قوله: وأصله انهى حياته من قوله: ﴿وقضينا إليه﴾ [الحجر: ٦٦] ذلك الأمر وبلغناه ذلك

besturdubooks.wordpress.com

فضمير قضى راجع إلى موسى عليه السلام قوله وأصله أي أصل القضاء هنا انهى حيوته أي جعلت منتهية منقضية وهو بهذا المعنى يتعدى بعلى كما نقل عن الأساس وحاصله وقع القضاء عليه وهذا سر تعديته بعلى لتضمنه معنى الوقوع.

قوله: (من قوله ﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ [الحجر: ٦٦]) أي الاستعمال في معنى انهى وأتم من قوله تعالى: ﴿وأوحينا إليه﴾ [يوسف: ١٥] فإن القضاء في هذه الآية بمعنى انهى وأتم ولا يخفي أن هذا ليس بأولى من عكسه ولا يظهر وجه قوله هذا من قوله: ﴿وأوحينا إليه﴾ [يوسف:] الخ مع إمكان عكسه وأما تعديته بإلى هنا فلتضمنه معنى الإعلام وأصل معنى القضاء اتمام الشيء فعلاً أو قولاً كما صرح به في سورة البقرة ولذا قيدنا قوله وأصله بقول هنا.

قوله: (﴿قال هذا من عمل الشيطان﴾) لأنه مسبب من تسويله وتزيينه.

قوله: (لأنه لم يؤمر بقتل الكفار أو لأنه كان مأموناً فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك في عصمته) لأنه لم يؤمر بقتل الكفار فيكون ترك الأولى أو لأنه كان مأموناً فيهم أي مستأمناً والمستأمن لا مساغ له لقتل الحربي وإن كان مأموراً بالقتال وهذا بناء على التنزل وإلا فعدم الأمر بالقتل مقطوع به إذ لم يكن نبياً حينئذٍ والاغتيال القتل غيلة وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فقتله من حيث لا يشعر وهذا معنى قولهم غاله أهلكه كاغتياله وأخذه من حيث لا يدري.

قوله: (لكونه خطأ وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات ما فرطت منهم) لكونه خطأ والخطأ ليس من الكبائر اتفاقاً أو لأنه كان قبل النبوة قوله على عادتهم أي على عادة العظماء المقربين في استعظام محقرات ما فرطت بفتح الراء المخففة أي سبقت زيد ما في محقرات ما كأمر ما والمراد بكونها محقرات بالنسبة إلى الكبائر وإن كانت معصية في نفسها لائق تركها.

قوله: (ظاهر العداوة) ولم يقل ظاهر الاضلال لأن العداوة تستلزم الاضلال وبالعكس

والأنسب منه أن يكون من قضى بمعنى فرغ قال الجوهري وقد يكون بمعنى الفراغ تقول قضيت حاجتي وضربه فقضى عليه أي قتله كأنه فرغ منه وسم قاض أي قاتل وقضى نحبه قضاء مات وقد يكون بمعنى الاداء والإنهاء تقول قضيت ديني ومنه قوله تعالى: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ [الإسراء: ٤] وقوله تعالى: ﴿وقضينا إليه﴾ [الحجر: ٦٦] ذلك الأمر انهينا إليه وبلغناه ذلك إلى هنا كلامه وإنما قلنا الأنسب أن يكون بمعنى فرغ لأنه هو المتعدي بكلمة على والذي هو بمعنى الانهاء يتعدى بكلمة إلى وما في الآية الكريمة متعد بكلمة على.

قوله: وإنما عده من عمل الشيطان وسماه ظلماً واستغفر عنه على عادتهم في استعظام محقرات فرطت منهم يعني إذا كان ذلك خطأ وسهواً لا يعد جريمة شرعاً حتى يقال فيه إنه من عمل الشيطان أو يسمى ظلماً ويستغفر عنه فعد الخطأ جريمة إنما هو على عادتهم المعهودة في استعظام أمور محقرة فرطت منهم أي سبقت وصدرت عنهم.

besturdubooks.wordpress.com

والقول فكم من صديق مضل وكم من عدو لا يضل ضعيف لأن الصديق باضلاله عدو من حيث إضلاله والعدو مضل ين ظفر بالاضلال إذ المراد العداوة الدينية.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦﴾

قوله: (قال رب) استئناف توجه إلى ربه بطلب المغفرة بعد بيان سبب هذه الذلة والجملة وإن كانت خبراً لكن المراد إنشاء التحسر والندامة ولذا فرع عليه طلب المغفرة وهذا أبلغ من استغفرت فاغفر لي لأنه استغفار بإظهار الندامة والتحسر ولذا قال لاستغفاره في قوله فغفر له.

قوله: (بقتله) يتوهم أن هذا ليس بمختص بنفسه بل سار إلى المقتول والجواب أن لا ظلم هنا لكونه خطأ وإسناد الظلم إلى نفسه وجهه قد تقدم من أن عادة العظماء الخ (ذنبي لاستغفاره).

قوله: (لذنوب عباده) إشارة إلى عموم المفعول المحذوف لكونه علة لما قبله.

قوله: (بهم) لكون الرحيم بمعنى اللطيف ولذا عدي بالباء مع أنه متعد بنفسه وفي الجمع بين الوصفين تنبيه على أنه تعالى وعد للتائبين باللطف والإحسان مع الغفران.

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٧﴾

قوله: (قسم محذوف الجواب أي أقسم بإنعامك علي بالمغفرة وغيرها لأتوبن) قسم الخ أي الباء في بما أنعمت للقسم وما مصدرية كالباء في قوله ﴿قال رب بما أغويتني﴾ [الحجر: ٣٩] الآية فيكون يميناً على صفة من صفات الأفعال وفيه تفصيل مذكور في الفقه[1] قوله لأتوبن جواب قسم قوله: ﴿فلن أكون﴾ [القصص: ١٧] معطوف عليه.

قوله: (أو استعطاف أي بحق إنعامك علي اعصمني فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته) أو استعطاف هو قسم من مطلق القسم وجعل قسيماً لما قال ابن الحاجب من أن

قوله: فلن أكون معيناً لمن أدت معاونته إلى جرم كمعاونة الإسرائيلي المؤدية إلى القتل الذي لم يحل له لأنه وإن كان قتلاً للكافر لكنه لم يؤذن له فيه فيعد جرماً لذلك فإن قيل كيف يكون من عاونه موسى مجرماً والإجرام فعل موسى لأنه هو القاتل للقبطي لا الإسرائيلي قلنا هو من باب الإسناد إلى السبب الحامل فإن قتل موسى للقبطي لما كان بسبب طلب الإسرائيلي المعاونة منه صار الإسرائيلي كالقاتل له فيجوز أن يوصف بالإجرام بهذه الملابسة وإن كان المراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد أو مظاهرة الإسرائيلي على أن ذلك الإسرائيلي كافر في رواية يكون المراد بالجريمة جريمة الكفر لا جريمة التسبب.

---

(١) وحاصله أن القسم إن كان متعارفاً ينعقد اليمين وإلا فلا.

besturdubooks.wordpress.com

القسم جملة إنشائية تؤكد بها جملة أخرى فإن كانت خبرية فهو القسم لغير الاستعطاف نحو والله لأقومن غداً وإن كانت طلبية فهو للاستعطاف نحو قولك بالله زرني فقوله اعصمني جملة إنشائية ولذا كان القسم للاستعطاف فحينئذٍ لا يكون اليمين منعقداً كالكلام الخبري.

قوله: (إلى جرم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى) إلى جرم كالإسرائيلي الذي خاصمه القبطي فأدت معاونته إلى قتل لم يحل له فالمجرمون في النظم مجاز في النسبة للإسناد إلى السبب فعلى هذا فالمراد بالجرم هو القتل والمراد بالمجرمين من تسبب بالجرم كالإسرائيلي أو المعنى من أوقع غيره في الجرم فيكون الإسناد حقيقة وفي الكشاف أن المراد بمظاهرة المجرمين صحبة فرعون وتكثير سواده السالف له أو المراد بالمجرمين الكفار لأن الإسرائيلي لم يكن أسلم والمص لم يلتفت إليه لأن المتبادر من شيعته التابع له في الدين ولذا قيده حيث قال ممن شايعه في دينه.

قوله: (وقيل معناه بما أنعمت علي من القوة أعين أولياءك فلن استعملها في مظاهرة أعدائك) وقيل معناه الخ فيكون الجار والمجرور متعلقاً بفعل مقدر يعطف عليه ما ذكر قيل وليس قسماً كما توهم لأن أعين لو كان جواب قسم وجب توكيده أو اقترانه بلام القسم وإنما هو الزام لنفسه بما ذكر كالنذر وهذا مراد القائل بالقسم لأن الفقهاء عدوا النذر من القسم إن كان النذر بهذا الطريق وفي الدرر علي نذراً ويمين أو عهد يكون قسماً ومآل هذا المعنى كما اعترف به علي نذر وهذا القسم لا يجب توكيد جوابه قوله أعين فعل مضارع متكلم من الاعانة والأعداء مطلق الكفار بقرينة إضافة الرب فيدخل القبطي وفرعون دخولاً أولياً كما أن الأولياء عامة لجميع المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (١٨)

قوله: (يترصد الاستقادة) يترصد مضارع تفسير يترقب أي ينتظر الاستقادة أي طلب

قوله: وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة أخرى أي لم يستثن موسى حيث لم يقل إن شاء الله عقيب قوله ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ فلذلك ابتلي بمعاونة المجرم مرة أخرى وذلك المعاونة هي إرادته عليه السلام أن يبطش بالذي هو عدو لهما بعد ما استصرخه الإسرائيلي وطلب منه الاعانة عليه وهو قبطي آخر غير الذي أعانه عليه أمس فلو كان استثني بعد قوله: ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ [القصص: ١٧] لما قصد الاعانة لذلك الإسرائيلي مريداً يبطش قبطي آخر عوناً له عليه بعد ما أقسم على أن لا يكون معيناً للمجرمين وهذه الآية نحو قوله عز من قائل: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ [هود: ١١٣] وعن عطاء أن رجلاً قال له إن أخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الرأس أي من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فأين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي منادٍ يوم القيامة اين الظلمة وأعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة وبرى لهم قلماً فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم.

قوله: يترصد الاستقادة الاستقادة أن يطلب الولي القود من القاتل من استقدت الحاكم

besturdubooks.wordpress.com

القود منه وطلبه إما ظناً منه عليه السلام بناء على أن القوم لا يعرف الأحكام فيطلبون القود من القاتل ولو خطأ ﴿فأصبح في المدينة﴾ [القصص: ١٨] هذا على ظاهره إن كان دخوله عليه السلام المدينة بين العشاءين وإلا فأصبح مجاز عن قرب الزمان والفاء في فإذا للسببية وإذا للمفاجأة والتعبير عن المسند إليه بالموصول لعدم علم المخاطب بالأحوال المختصة به سوى الصلة وكذا الكلام في التعبير بالموصول في قوله بالذي هو عدو لهما.

قوله: (يستغيثه مشتق من الصراخ) بضم الصاد الصياح لكن المراد به هنا الاستغاثة مجازاً.

قوله: (مبين الغواية لأنك تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر) لأنك تسببت بقتل رجل ومع تذكره ذلك حمله فرط الشفقة على قومه وكمال الحمية حيث شاهد أذى القبطي بني إسرائيل على الاعانة مرة أخرى.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ۝١٩﴾

قوله: (﴿فلما أن أراد﴾) الفاء للتعقيب مع السببية والإرادة مقارنة للفعل عندنا فيتحقق البطش أي الأخذ بشدة لكن المراد هنا العزم المصمم لا المقارنة بالفعل ولم يجيء عدو له كما فيما سبق وهذا من عدوه للإشارة إلى تحقق سبب الأخذ على وجه القوة وهو يؤيد كون الإسرائيلي مؤمناً ولهذا اختاره المص.

قوله: (لموسى والإسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل) ولأن القبط كانوا أعداء بني إسرائيل من غير نظر إلى كونهم مخالفين في الدين لكن منشأ عداوتهم غير الدين فالتقابل تام وإلا فالتقابل اعتباري.

قوله: (اتريد أن تقتلني) الاستفهام إما للتقرير لأن ظاهر قوله كما قتلت استدلال على ذلك أو باقٍ على حقيقته بطلب التصديق نكر النفس مع أن الظاهر التعريف للتعظيم أي نفساً غير مستحق القتل أو للتحقير أو لكونه مجهولاً عنده ويؤيده ما سيأتي وكأنه توهم الخ.

قوله: (قاله الإسرائيلي لأنه لما سماه غوياً ظن أنه يبطش به أو القبطي) ظن أنه يريد البطش به لما رأى منه قتل نفس لكن في ظنه مخطىء إذ لا إرادة في قتله بل وقع خطأ بلا إرادة قوله أو القبطي وهو الظاهر والأول احتمال.

قوله: (وكأنه توهم من قوله إنه الذي قتل القبطي بالأمس لهذا الإسرائيلي) وكأنه

أي سألته أن يقيد القاتل بالقتل قوله ولأن القبط كانوا اعداء بني إسرائيل فالعداوة على الوجه الأول عداوة دينية وعلى الثاني عداوة مطلقة حيث كان بين القبط والإسرائيليين عداوة وإن توافقوا في الدين.

قوله: فكأنه توهم أي كأن هذا القبطي توهم من قول موسى للإسرائيلي إنك لغوي مبين أنه

besturdubooks.wordpress.com

توهم وفي نسخة فكأنه توهم من قوله أي من قول موسى عليه السلام للاسرائيلي وهو ﴿إنك لغوي مبين﴾ وإنما قال وكأنه لاحتمال أنه ظنه من طريق آخر كالسماع والمشاهدة ولا بعد في ذلك لأنه كم من أحمق يفهم معنى دقيقاً في بعض الأحيان رمية من غير رام وقيل ولا بعد لأن ما ذكر إما إجمال لكلام يفهم منه ذلك ولا يخفى ضعفه.

قوله: (﴿إن تريد﴾ أي ما تريد إلا أن تكون) القصر إضافي أي وما تريد أن تكون من المصلحين كما ذكره فهو تصريح بما علم التزاماً وقصر الموصوف على الصفة بتأويل مفهوم الكون مراداً لك مقصور على كونك جباراً في الأرض أي أرض مصر وذكر الأرض للتعميم.

قوله: (تطاول على الناس ولا تنظر العواقب) تطاول أصله تتطاول أي تتبع بما خطر ببالك من غير نظر في عاقبته وهو إشارة إلى مأخذه لأن الجبار في الأصل النخلة الطويلة فاستعمل لما ذكر لتعاليه المعنوي وتعظمه تشبهاً للمعقول بالمحسوس استعارة ثم صار حقيقة عرفية في ذلك.

قوله: (بين الناس فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن) فتدفع التخاصم بالنصب بالتي بالطريق التي هي أحسن الطرق وهي الطريق التي هي خالية عن الاضرار والأذى فضلاً عن القتل الذي هو منتهى الاضرار فالمفضل عليه ليس ما فعله موسى عليه السلام بل هو الطريق الحسن والمطلوب أحسنه وهذا التشديد يناسب كون قائله القبطي دون الإسرائيلي لكنه طاب الله ثراه قدمه والظاهر أنه رجحه كأنه نظر إلى أن هذا القول عن علم بالقتل والإسرائيلي يعلم ذلك بالمشاهدة دون القبطي فإن علمه إما بالسمع أو بالقرينة القوية لكن الأول هو المعتمد فعلم أن البطش غير متحقق إذ إرادة البطش بالقبطي ولما وجد منه عليه السلام أمارة البطش ظن الإسرائيلي أنه أراده لقوله: ﴿إنك لغوي مبين﴾ [القصص: ١٨] والظاهر أنه لم يكن البطش متحققاً بأحد وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه لم يستثن فابتلي به مرة أخرى فلعله باعتبار إرادة البطش فإنه قصد الإعانة وهو يعد من الإعانة في الجملة.

الرجل الذي قتل القبطي أمس لمعاونة هذا الإسرائيلي وقد كان يعلمه باسمه فلذا قال يا موسى.

قوله: تطاول أي إلا أن تطاول تفاعل من التطاول حذفت إحدى تاعيه والأصل تتطاول على الناس وهو مع ما عطف عليه تفسير للجبارية على ما قال الزمخشري في الكشاف والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي أحسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لأمر الله.

قوله: فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن والمعنى وما تريد أن تدفع تخاصم المتخاصمين بالخصلة التي هي أحسن بل تريد أن تعاون أحد المتخاصمين بحيث يؤدي معاونتك إلى القتل وقوله فتدفع التخاصم بالتي هي أحسن من باب التلميح المذكور في علم البديع إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ [المؤمنون: ٩٦] قوله: وهو ابن عمه أي ابن عم فرعون.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى إلى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره بذلك كما قال ﴿وجاء رجل من أقصى﴾) الحديث أي خبر القتل والمراد بالمؤمن الموحد من آل فرعون من أقاربه وقيل هو ابن عمه واختاره المص هنا وفي سورة حم المؤمن اختار كونه من أقاربه بلا تعيين وهو الأولى إذ التعيين مشكل قيل وقد اشتهر بمؤمن آل فرعون حتى صار كالعلم له.

قوله تعالى: وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

قوله: (﴿وجاء رجل﴾) وهنا ايجاز كما أشار إليه بقوله فخرج مؤمن[1] الخ وقدم الفاعل هنا لعدم الداعي إلى تأخيره بخلاف ما في سورة يونس فإنه اخر الفاعل لنكتة دعت إليه ذكرت في المطول.

قوله: (يسرع صفة لرجل أو حال منه إذا جعل من أقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لأن تخصصه بها يلحقه بالمعارف) صفة رجل ومن أقصى المدينة صلة لجاء وهو الراجح إذ سرعته لبعد المحل ولذا قدمه ثم بين احتمالاً آخر **(يتشاورون بسببك وإنما سمي التشاور ائتماراً لأن كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر)**.

قوله: (اللام للبيان وليس صلة للناصحين) فالمعنى فاخرج إني أقول لك فهي متعلقة بمقدر وذلك المقدر كونه أقول أولى قوله: ﴿من الناصحين﴾ [القصص: ٢٠] أبلغ من ناصح كما مر وجهه مراراً قوله ويأتمر أي يقبل الأمر.

قوله: (لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول) أشار إلى أن اللام في الناصحين موصول لا حرف وهو مذهب الجمهور إذا كان اسم الفاعل بمعنى الحدوث ومعمول الصلة وهو اللام هنا لا يتقدم ويمكن المناقشة بأنه لم لا يجوز أن يكون حرف تعريف كما ذهب

قوله: أو حال منه إذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء وإنما اشترط في جعله حالاً منه أن يكون رجل موصوفاً مخصصاً بقوله من اقصى المدينة لأنه لا يجوز نصب الحال متأخرة من النكرة الصرفة إلا بعد كونها متخصصة بشيء وإذا لم يتخصص بشيء وأريد أن يقع شيء حالاً منه وجب تقديمها عليه لئلا يلتبس بالنعت في صورة النصب فقدم فيما سوى صورة النصب في المرفوع والمجرور طرداً للباب قوله تخصصه ويلحقه لا صلة فإذا الحقته هذه الصفة بالمعارف صح وقوع الحال منه متأخرة عنه.

قوله: لأن معمول الصلة لا يتقدم الموصول فإن اللام في الناصحين بمعنى الذين لأنها في الصفات المشتقة بمعنى الموصول أي من الذين ينصحون كأن موسى عليه السلام قال لمن تنصحك فقال لك فهو كاللام في هيت لك.

---

(١) وعبر في مثله البعض الواو الفصيحة لكنه لم نطلع عليه في المعتبرات.

besturdubooks.wordpress.com

إليه المبرد أو يكون الناصح بمعنى الثبوت فحينئذٍ يكون حرفاً بالاتفاق أو الظرف لتوسعه يجوز تقديمه لكنها لا طائل تحتها.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾

قوله: (﴿**فخرج منها**﴾ **من المدينة**) الفاء فصيحة أي امتثل أمر الناصح لما لاح له من صدقه بأمارات ولإيمان المخبر فخرج منها فراراً من فرعون وملئه بدليل قوله: ﴿ففررت منكم لما خفتكم﴾ [الشعراء: ٢١].

قوله: (**خائفاً**) حال كونه خائفاً قرينة كون الخروج للفرار فيترقب صفة خائفاً كاشفة له إذ الخوف يكون على المتوقع والمترقب وصيغة المضارع لإفادة الاستمرار التجددي.

قوله: (**لحوق طالب**) لعلمه بأنهم يرسلون طالباً يطلبني إذ هم القتل يدل عليه وأراد جنس طالب فيلائمه قوله الآتي فأخذ الطلاب الخ.

قوله: (﴿**قال رب**﴾) استئناف مبين أنه عليه السلام توجه إلى رب كريم لأنه ينتقم لكل شخص لئيم ﴿نجني من القوم الظالمين﴾ وهم فرعون وملئه على أن اللام للعهد أو جنس الظالمين ويدخل فيه فرعون وملئه دخولاً أولياً فلا يضره.

قوله: (**خلصني منهم واحفظني من لحوقهم**) لأنه باعتبار دخولهم فيه نعم الراجح العهدية والتعبير بالظالمين لمزيد استعطاف ولأنهم متمردون في الظلم العظيم ولا يكون الخلاص منهم إلا برب عظيم وإنجائه الكريم وفي سؤال إنجائه من نفس القوم الظالمين مبالغة عظيمة.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾

قوله: (**قبالة مدين قرية شعيب عليه السلام سميت باسم مدين بن إبراهيم عليه السلام ولم تكن في سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان**) قبالة بضم القاف بمعنى ما يقابل جانبها مثل حذاء ونصب على الظرفية بتقدير في لأنه من المكان المبهم يحذف في قياساً وأصل تلقاء مصدر بمعنى اللقاء من لقي يلقى من باب علم فقوله قبالة مدين تنبيه على ظرفيته وتوجه قرية شعيب إما بالإلهام أو لمعرفة أنه لم يكن في ملك فرعون ولعل قوله ولم يكن في سلطان فرعون إشارة إليه أو لم يقصد توجه مدين لكن اتفق سيره كذلك أو بإرشاد ملك وقيل أو لقرابة شعيب لأنه من بني إسرائيل أيضاً والمناسب

قوله: قبالة القبالة بضم القاف التجاه والحذاء يقال فلان جلس قبالته أي تجاهه.

قوله: ولم تكن في سلطان فرعون أي تلك القرية التي هي مدين لم تكن في حكم فرعون وسلطنته وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمانٍ أي مسيرة ثمانِ ليال والعرب تعد الأيام بلياليها ولذا لم يلحق التاء بعددها.

besturdubooks.wordpress.com

عدم تعيين واحد من هذه الاحتمالات ولا يؤيد قوله تلقاء مدين عدم معرفة مدين لأنه يقال توجهت داري كما يقال توجهت داراً قوله سميت باسم مدين أي سميت باسم بانيه لأنه بني مدين بن إبراهيم عليه السلام.

قوله: (توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعن له ثلاث طرق فأخذ في أوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا في الآخرين) توكلا على الله وحسن ظن به لكن قاله بطريق الرجاء بناء على عادة العظماء أو لما كان حصول الهداية مترقباً بني الأمر فيها على الرجاء والمراد بالسبيل المستوى الطريق الحسي المستقيم يصل من سلك فيه إلى البغية وهذا بحسب الظاهر وأما بحسب الحقيقة فالمراد به الصراط القويم الموصل إلى باب من أبواب الدين المستقيم فإن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يعن لهم من الأمر المتين وقد نبه عليه المص في قوله ﴿لعلي أجد على النار هدى﴾ [طه: ١٠] وهذا الكلام من قبيل التورية والإيهام قوله وكان لا يعرف الطرق وإن عرف مدين وقصد التوجه إليه قوله فعن له عن بتشديد النون بمعنى ظهر والفاء جزائية فأخذ في أوسطها لأن خير الأمور أوساطها هذا بحسب الظاهر وأما بحسب الحقيقة فالمعنى فعن له ثلاث طرق لأبواب الدين فأخذ وسطها اعتقاداً وعملاً وأخلاقاً وترك الإفراط والتفريط وجاء الطلاب الظالمون النهاب فأخذوا الإفراط أو التفريط في أبواب الدين فاستمروا على الضلال المبين.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

قوله: (وصل إليه وهو بئر كانوا يسقون منها) وصل إليه أشار به إلى أن الورود هنا الوصول إليه لا بمعنى الدخول فيه قوله وهو بئر أي الماء مجاز عن المحل وهو البئر هنا لا غير بقرينة ما بعده كانوا يسقون منها أي من مائها فهو مجاز عكس ما في النظم ومراده أن البئر ليست معطلة أو إشارة إلى معنى قوله: ﴿وجد عليه أمة﴾ [القصص: ٢٣] الآية وهو الظاهر.

قوله: (وجد فوق شفيرها) إشارة إلى أن معنى الاستعلاء ليس ظاهره مقصوداً بل المراد الاستعلاء على مكان قريب منه وهو الشفير هنا إما بحذف المضاف أو مجاز مرسل ذكر البئر وأريد شفيرها.

قوله: توكلا على الله مفعول له لقال.

قوله: وحسن الظن بالنصب عطف على توكلا عطف العلة على العلة.

قوله: عن له أي ظهر لموسى ثلاث طرق في أثناء فراره عنهم.

قوله: وجد فوق شفيرها شفير كل شيء طرفه يقال شفير الوادي أي طرفه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (جماعة[1] كثيرة مختلفين) أي المراد الجماعة لكن لا مطلقاً بل جماعة يجمعهم أمر ما من دين واحد أو زمان واحد أو مكان واحد وقيد مختلفين لا يستفاد من اللفظ بل من خارج قيل مستفاد من قوله من الناس لشمولهم الأصناف فالمراد مختلفة الأصناف منهم رومي وبعضهم عربي وغير ذلك ولا يخفى ضعفه قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن الناس﴾ [البقرة: ٨] المراد إما ناس معهودون الخ ونظائره كثيرة والظاهر أنه لتعيين المراد بالأمة إذ تطلق على جماعة من الطيور والدواب قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ [الأنعام: ٣٨] الآية وما فهم من كلام المحشي أن ذكر الناس للتحقير وليس نصاً فيه لأن المراد بالناس الكاملون في قوله تعالى: ﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ [البقرة: ١٣] الآية كما صرح به المص **(مواشيهم)**.

قوله: (في مكان أسفل من مكانهم) أي دون هنا في أصل معناه وهو أدنى مكان منك يقال دونك هذا أي خذه من أدنى مكان منك أي أقرب مكان منه لكن مع انحطاط قليل ودنو كثير ولذا عبر بأقرب وأشار إلى الانحطاط بقوله أسفل ولم يتعرض للقرب الكثير لأن الأسفلية إنما تظهر في القرب التام والحاصل أن دون في الأصل للتفاوت في المكان وقد مر التفصيل في قوله تعالى: ﴿وادعوا شهداءكم من دون الله﴾ [البقرة: ٢٣] الآية من أوائل سورة البقرة وأشار إلى أن من زائدة قوله في مكان لكونه ظرف مكان وكون من بمعنى في بعيد.

قوله: (تمنعان أغنامهما من الماء كيلا تختلط بأغنامهم) أغنامهما الجمع للإشارة إلى كثرتها ولم يقل غنماهما لأنهم استكرهوا إضافة التثنية إلى التثنية.

قوله: (ما شأنكما تذودان) ما شأنكما أصل الخطب الطلب ثم شاع في الأمر العظيم قوله تذودان حال فالسؤال عن سبب الذود لأن ما قد يسأل به عن السبب والمعنى أي سبب يضطركما إلى المنع المذكور وقيل الخطب مصدر أريد به المفعول فهو بمعنى الشأن والشأن أيضاً مصدر توضيحه ما ذكرناه.

قوله: جماعة كثيرة مختلفين معنى الأمة الجماعة ووصفها بالكثرة لأن تنكيرها للتعظيم فإن عظمة الجماعة تكون لكثرة عددهم ووصفها بالاختلاف لأن الشرب العام لا يختص بقوم دون قوم ولوقوع الجنس المختلف الأصناف أعني من الناس بياناً لها ولذا قال صاحب الكشاف في تفسير من الناس من أناس مختلفين.

قوله: ما شأنكما فسر الخطب بالشأن لأن الخطب بمعنى الطلب ومعنى الشأن يناسبه لأن معناه القصد يقال شأنت شأنه أي قصدت قصده والمراد بالخطب المخطوب أي ما مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطباً كما سمي المشؤون شأناً.

---

(١) والكثرة مستفادة من التنوين لأن التنكير هنا للتكثير.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (قالتا لا نسقي) الخ بيان سبب الذود برمز خفي على أن السبب حذرهما عن مزاحمة الرجال فإنها تؤدي إلى فساد الحال وإنا أهل بيت مصونون عن سوء الأفعال كما قالتا وأبونا شيخ كبير إشارة إلى ذلك بالرمز الأنيق وإن كان ظاهره اعتذاراً كما سيجيء فلما فهم عليه السلام أنهما من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء سقى لهما مع أن وقت الوحي قد قرب وقد وفقه الله تعالى أسباب ذلك حيث جاءت إحديهما فكان الأمر كيت وكيت كما ستعرفه وأن أول القصة كذلك من مقدمات وأسباب تؤدي إلى مطالب.

قوله: (يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذراً عن مزاحمة الرجال فحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما) يصرف تفسير يصدر الرعاة معنى الرعاء كلاهما جمع راع قوله فحذف المفعول أي من الأفعال الأربعة والظاهر من الأفعال الثلاثة ومختار صاحب المفتاح أن المفعول محذوف للاختصار والمراد يسقون مواشيهم وتذودان غنمهما وكذا سائر الأفعال في الآية لأن الترحم لم يكن من جهة صدور الذود عنهما والسقي من الناس بل من جهة ذودهما غنمهما وسقي الناس مواشيهم حتى لو ذادتا غنمهما وسقى الناس مواشيهم لم تصح المرحمة انتهى. ومراده الرد على الشيخين عبد القاهر والزمخشري حيث قالا القصد إلى نفس الفعل فنزل منزلة اللازم أي يصدر منهم السقي والذود منهما وأما المسقي والمذود إبل أو غنم فخارج عن المقصود بل ربما يوهم خلافه إذ لو قيل أو قدر يسقون إبلهم ويذودان غنمهما لتوهم أن الترحم لهما ليس من جهة أنهما على الذود والناس على السقي بل من جهة أن مذودهما غنم ومسقيهم إبل كما إذا قلت ما لك تمنع أخاك فالمنكر منع الأخ لا المنع من حيث هي ومراد الشيخين أن ذلك

قوله: فحذف المفعول لأن الغرض هو بيان ما يدل على عفتهما ويدعوه إلى السقي لهما ثمة أي حذف مفعول لا نسقي حيث لم تقولا لا نسقي غنماً لأن غرضهما وهو بيان ما يدل على عفتهما وهو تركهما السقي وقت سقيهم حذراً من مخالطة الرجال ومزاحمتهم وبيان ما يدعو موسى إلى سقي غنمهما ترحماً لهما قد تم عند حذف المفعول أو عند قولهما لا نسقي من غير أن تقولا لا نسقي غنماً فقالتا لا نفعل السقي حتى يصدر هؤلاء الرجال الراعون لئلا ينهتك عفتنا بمخالطتهم وأبونا شيخ كبير فأورث قولهما هذا المرحمة في قلب موسى عليهما فحملته تلك الرحمة إلى سقي غنمهما فلما كفي في حصول هذا الغرض ذكر فعل السقي نفسه بلا مفعول ترك ذكر المفعول إذ الغرض يتم بذكر نفس الفعل بدون ذكر المفعول لأن سبب الترحم تركهما فعل السقي عند سقيهم حذراً عما هو محظور شرعاً لا ترك سقي غنم دون إبل وغيره فلو ذكر المفعول لأوهم أن الباعث إلى ترحمه وسقيه لهما كون مسقيهما غنماً لا إبلاً وغيره وهو ليس بمراد وفي الكشاف فإن قلت لم ترك المفعول غير مذكور في قوله: ﴿يسقون﴾ [القصص: ٢٣] وتذودان ولا نسقي قلت لأن الغرض هو الفعل لا المفعول ألا ترى أنه إنما رحمهما لأنهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لأن مذودهما غنم ومسقيهم إبل مثلاً وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المراد به السقي دون المسق إلى هنا كلامه فإن قيل هل من فرق بين هذا وبين ما ذهب إليه صاحب المفتاح في نكتة حذف المفعول حيث قال إن القصد في ترك المفعول إلى مجرد الاختصار

besturdubooks.wordpress.com

الموضع مجتمع الناس للسقي واشتغال الناس بالسقي الذي هو المقصود من الاجتماع ومنعهما عن السقي مع كون السقي مراداً لهما بل السقي أولاً مقصوداً لهما حيث خلصتا أنفسهما عن مخالطة الرجال وكونهما منظرين لهم ولما كان الأمر خلافه كان سبب مرحمة موسى عليه السلام مجرد سقي الناس وذودهما بدون مدخلية المفعول المغين قوله على عفتهما يدل على ما ذكرناه لأن العفة تقتضي تعجيل الذهاب عن مجتمع الرجال مع أنهما أخرا ولم تفارقا عن مجلسهم وفهم عليه السلام اضطرابهم بالقرينة الحالية التي هي أقوى من القرينة القولية فبعث كمال الترحم إلى التكلم مع الأجنبية والسقي لهما على أن التكلم مع الأجنبية الشابة ربما يساعد حين الأمن لا سيما عند الحاجة مع أن التكلم معها يجوز أن يكون مشروعاً في هذا الوقت فلا يرد ما أورده شارحا المفتاح السعد والشريف حيث قالا وما اختاره صاحب المفتاح أدق وأحسن وادعى الشريف فساد المعنى بدونه ولا يظهر وجهه بل المعنى أحسن براعة على ما قررنا مراد الشيخين ألا يرى أن قولنا فلان يعطي أي يفعل الإعطاء وفلان لا يعطي أي لا يفعل الإعطاء كاف في المدح والذم بلا ملاحظة المعطى درهماً أو ديناراً أو غير ذلك وكذا يكفي بيان فعل السقي والذود في كونه باعث الترحم على أن المسقي والمذود هنا والمعطى هناك مفهوم في الجملة إذ لا يتصور السقي والذود ذهناً وخارجاً بدون المسقي والمذود كما في الإعطاء فلا التباس ولا فساد وأما ما قاله قدس سره ألا يرى أنهما لو كانتا تذودان مواشيهم وكانوا يسقون غنمهما لم يصح الترحم فلا يصح أن يقال إن ترحمه كان لأجل أنهما كانتا على الذود والناس على السقي فمع بعده

لانصباب الكلام إلى إرادة يسقون مواشيهم الخ قلنا نعم لأن صاحب المفتاح نظر إلى جانب اللفظ وإن ترك المفعول لصون الكلام عن العبث وتعاضد قرائن الأحوال الدالة على المتروك وصاحب الكشاف نظر إلى جانب المعنى وأن المفعول مرفوض غير ملتفت إليه ولكل وجهة فإن قيل فعلى هذا يكون من تنزيل الفعل المتعدي منزلة اللازم إيهاماً للمبالغة فأين المبالغة قلنا هو وهم بعيد لأن معنى قوله لأن الغرض هو الفعل لا المفعول أنهم قد يقصدون في الكلام المحتوي على معانٍ إلى معنى منها قصداً أولياً ويوهمون أن ما سواه مطرح ألا يرى إلى قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿فعززنا بثالث﴾ [يس: ١٤] ترك المفعول به لأن الغرض المعزز به وإذا كان الكلام منصباً إلى غرض من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه إليه كأن ما سواه مرفوض مطرح فإن قيل جوابهما لا يطابق ظاهراً لسؤال موسى لأنه عليه السلام سألهما عن شأنهما ومطلوبهما وكان ظاهر الجواب أن تقولا شأننا أننا نريد السقي ولا قدرة لنا عليه من المزاحمة وهما لم تجيبا بهذا الجواب الظاهر وعدلتا عنه إلي بيان سبب الذود وترك السقي لأن معنى جوابهما أن سبب ذودنا ضعفنا وعجزنا وعجز متولي أمرنا وهو أبونا فما وجهه أجيب بأن المراد بقوله فما خطبكما ما سبب ذودكما وإنما عدل عليه السلام عن السؤال الظاهر إلى قوله: ﴿ما خطبكما﴾ [القصص: ٢٣] أي ما مخطوبكما ومطلوبكما من الذياد لأن مقصود نبي الله من قوله ما خطبكما ما سبب ذودكما الذياد أن يجاب بطلب المعونة منه لكرمه ورحمته على الضعفاء ولما كانتا من بيت النبوة حملتا قوله على ما يجاب عنه بالسبب وفي ضمنه طلب المعونة لأن اظهارهما العجز ليس إلا لذلك.

besturdubooks.wordpress.com

عن الاعتبار ضعيف من وجوه أما أولاً فلأن المعنى إن كان كذلك لارتحلتا عن هذا الموضع لسقي الناس غنمهما أولاً وأما ثانياً فلأن منعهما مواشيهم مع كمال ضعفهما وقلتهما وكثرة الناس وقوتهم مما لا يخطر ببال الذوق السقيم فضلاً عن الطبع السليم وأما ثالثاً فلأن قولهما: لا نسقي حتى يصدر الرعاء يرد هذا الاحتمال المرجوح وأما رابعاً فلأن قوله تعالى: ﴿فسقى لهما﴾ [القصص: ٢٤] يدفع هذا الاحتمال لو سلم هذا في بادىء النظر ولا يحكم في أول الكلام إذا كان آخره مغيراً له وليت شعري كيف ذهل عن هذه المحذورات مع أنه منار التدقيق وعلم التحقيقات.

قوله: (تم دونه) بنقطتين من التمام أي تم الكلام في الفعل دونه أي بدون المفعول وهذا تصريح باختيار مسلك الشيخين لما فيه من البراعة والبلاغة وفي بعض النسخ ثمة بالثاء المثلثة المفتوحة.

قوله: (وقرأ أبو عمرو وابن عامر يصدر أي ينصرف وقرىء الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال) بضم الراء المهملة والخاء المعجمة وفي آخره لام جمع رخلة بكسر الراء وهي الأنثى من أولاد الضأن وقيل إنه جمع وقد مر الكلام في قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول﴾ [البقرة: ٨] الآية من سورة البقرة.

قوله: (وأبونا شيخ) عطف على مقدر أي لا خدام لنا ولا راعي وأبونا شيخ وهذا أولى من كونه حالاً.

قوله: (كبير السن لا يستطيع أن يخرج للسقي فيرسلنا اضطراراً) كبير السن لم يذكر كبير الرتبة لأن المقام يقتضي ما ذكره ولذلك قال لا يستطيع أن يخرج الخ فيرسلنا[1] اضطراراً حكاية الحال الماضية أو للاستمرار أشار إلى أن أبونا شيخ كناية عما ذكر.

قوله تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾﴾

قوله: (مواشيهما) أي غنمهما لكن عبر بالمواشي ليناسب يسقون مواشيهم وهذا يؤيد رأي الشيخين.

قوله: (رحمة عليهما) لما رأى من ضعفهما وكمال عفتهما لا لغرض آخر.

قوله: (قيل كانت الرعاء يضعون على رأس البئر حجراً لا يقله إلا سبعة رجال أو أكثر فأقله وحده مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم) قيل كانت الرعاء الخ

قوله: فأقله وحده مع ما كان من الوصب والجوع أي اطاق حمله وحده من أقل الجرة أي اطاق حملها والوصب المرض والموصب بالتشديد الكثير الأوجاع قال الزمخشري فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع ولكنه رحمهما

---

(١) وبهذا يندفع ما يقال كيف بنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه لسقي المواشي فإن الضرورات تبيح المحظورات.

besturdubooks.wordpress.com

وجه التمريض لأنه يفيد بظاهره أن موسى عليه السلام صبر إلى أن يفرغ الرعاء عن سقي مواشيهم ووضع الحجر على رأس البئر وهو بعيد ولأنها إذا كانت عادتهم ذلك فكيف كانا يسقيان إلا أن يقال إن الأمر وقع كذلك في ذلك اليوم لأمر دعى إليه ولم يكن ذلك عادة لهم ولأنه يخالف ظاهر ما روي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلاً صالحاً رحمنا فسقى لنا وهذا ليس بظاهر فيه لجواز أن يكون تأخر الناس لعائق يعوقهم وقوله عليه السلام ما أعجلكما يجوز أن يكون رجوعهما إليه على خلاف العادة أو تأخر الناس لعائق كما مر وأن الظاهر في مثله بيان القولين في هذا السقي لا الإشارة إلى ضعفهما حيث لم يذكر أحدهما بدون قيل وهو المتعارف في التزييف والمراد بالوصب الضعف وجراحة القدم هذا بناء على العادة وإلا فمن أية جهة علمت وترك مثل هذا في شأن الأبرار أمس بحسن الأدب.

قوله: (وقيل كانت بئراً أخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها) رجحه المحشي الفاضل ومع هذا عبره بقيل فالظاهر ما ذكرنا غاية الأمر أن القول الثاني أوفق بما بعده وبأنه زاحمهما على الماء حتى سقى لهما وأما وصفهما بالقوة فينتظم كلا القولين.

قوله: (ثم تولى) كلمة التراخي لأن التولي عنهما متراخ بالنسبة إلى مبدأ السقي وإن اتصل بآخره إلى الظل الذي كان هناك.

قوله: (لأي شيء أنزلت إلي) إشارة إلى أن ما نكرة موصوفة لا موصولة لعدم القصد إلى معين وأنزلت بمعنى أعطيت مجازاً إذ الإنزال وهو التحريك من الأعلى إلى الأسفل يستلزم الإعطاء ولا بعد أن يراد الإنزال من جهة العلو بطريق خرق العادة فالإنزال على حقيقته.

قوله: (قليل أو كثير) مستفاد من التعبير بما نكرة موصوفة.

قوله: (وحمله الأكثرون على الطعام) بمعونة المقام إذ وقت النداء وقت الجوع.

قوله: (محتاج سائل ولذلك عدي باللام) محتاج الخ لما عدي الفقير بإلى مع أن تعديته باللام أشار إلى أنه ضمن معنى الاحتياج فيتعدى بإلى كالاحتياج قوله سائل إذ الاحتياج يستلزم السؤال.

قوله: (وقيل معناه إني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا لأنه كان

وأغاثهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة.

قوله: ولذلك عدي باللام أي ولكون فقير بمعنى سائر عدي تعديته يقال هو سائل لذلك الشيء ولا يقال هو سائل إلى ذلك الشيء ولولا تضمنه معنى السؤال لكان حقه أن يعدى بكلمة إلي ويقال إلي ما أنزلت إلي إذ يقال افتقر إليه ولا يقال افتقر له.

قوله: وقيل معناه أني لما أنزلت إلي من خير الدين صرت فقيراً في الدنيا وهذا على أن اللام

besturdubooks.wordpress.com

في سعة عند فرعون) من خير الدين فالمراد بالخير خير الدين لا الخير الدنيوي كما في الأول فحينئذٍ صيغة الماضي في موقعها وأما في الأول فبمعنى المضارع وعبر بالماضي لفرط الرغبة في حصوله والتفاؤل في وصوله كأنه يخيل إليه أنه حاصل قوله صرت أي انتقلت من الغناء إلى الفقر كما أشار إليه بقوله لأنه كان في سعة الخ.

قوله: (والغرض منه إظهار التبجح والشكر على ذلك) والغرض منه دفع إشكال خطر بالوهم أنه اشتكاء أي الغرض منه إظهار التبجح بتقديم الجيم على الحاء الفرح وكمال السرور وإظهار الشكر على ذلك الإحسان الذي لا يحيطه القلم واللسان وقد ذكرنا فيما مضى أن أفكار الأبرار مائلة إلى أبواب الدين في كل ما يعن لهم من الأمور أجمعين فلا يخطر ببالك أن هذه الحالة حالة المشقة لبعد المشقة وشدة المجاعة لكن مرضه إذ الأول أمس بالسياق والسباق مع أن طلب الرزق لدفع الضرورة من أفضل القربات ومن جملة أبواب الدين والخيرات.

قوله تعالى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

قوله: (أي مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء

في لما للتعليل لا صلة فقير كما في الوجه الأول فالمعنى أني فقير في باب الدنيا لأجل ما انزلت إلي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لأنه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى منه بالبدل السني وفرحا به وشكرا له فكأنه قال رب إني أشكرك على أن جعلتني فقيراً مما في يدي من الدنيا والملك لأجل أمر ديني ورزقتنيه بدله فعلى هذا يكون ما في لما أنزلت موصولة ومن في من خبر للبيان والتنكير في خير للتنويع والتعظيم ولذا أضافه إلى الدين وعلى الوجه الأول موصوفة والتنكير للتنويع ومن ثمه فسر لما بقوله لأي شيء ووصف الشيء بقليل أو كثير أي رب إني لأي شيء أنزلته إلي قليل أو كثير غث أو سمين من نوع خير لفقير أي سائل وطالب له فقوله قليل وكثير بعد لفظة خير صفة لشيء في قوله لأي شيء لا صفة لخير وأما فائدة لفظة المضي في ما أنزلت علي التأويل الثاني فظاهر لأن المراد بما في لما أنزلت علي ذلك التأويل خير الدين الذي هو النجاة من أيدي الظلمة وهو أمر كائن ماضٍ وأما على التأويل الأول فالاستعطاف أي رب إني سائل الآن ما كنت أعهده في الأيام الماضية مما أنسد به جوعتي من قليل أو كثير غث أو سمين فيكون دعاؤه هذا من باب التوسل بما سلف كقول زكريا عليه السلام: ﴿ولم أك بدعائك رب شقياً﴾ [مريم: ٤] أي رب إني سائل منك أن تنزل إلي الآن نوع طعام أي طعام كان من جنس ما أنزلته إلي في الزمان الماضي وأطعمتني فيه وعودتني به فمن حق الكريم أن لا يخيب من اطعمه قيل ذكر عليه السلام ذلك وأن خضرة البقل الذي كان أكله تتراءى في بطنه من الهزال ما سأل الله إلا أكلة.

قوله: مستحيية متخفرة يعني أن الظرف وهو على استحياء في موضع الحال من فاعل تمشي والتخفر من الخفر بالتحريك وهو شدة الحياء يقال منه خفر بالكسر وجارية خفرة ومتخفرة.

besturdubooks.wordpress.com

أو صفراء وهي التي تزوجها موسى) أي مستحيية فالتعبير بقوله على استحياء للمبالغة كأنها استعلت على الاستحياء والظاهر أنه من القلب إذ المراد استعلاء الحياء عليها لكن قصد المبالغة فجعل ذاتها مستعلية على الاستحياء قوله متخفرة من الخفر بفتح الخاء المعجمة والفاء شدة الحياء كما يدل عليها قوله على استحياء وفي الكشاف كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراً والكبرى هي التي ذهبت به وتزوجها انتهى وفيه نوع مخالفة لما ذكره المص والأولى عدم تعيين من تزوجها لأنها مع أنها لم تذكر في النظم الجليل لا يتعلق به الغرض. **(ليكافئك)**.

قوله: (جزاء سقيك لنا ولعل موسى عليه السلام إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لا طمعاً في الأجر بل روي أنه لما جاء قدم إليه طعاماً فامتنع عنه وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بالدنيا) جزاء سقيك أي الأجر بمعنى الجزاء وما مصدرية لا موصولة ولا موصوفة لأن ما حينئذٍ يكون عبارة عن الماء وهو مباح وأيضاً إن ما أعطي في بدله لا يسمى أجراً بل ثمناً ولعل موسى جواب إشكال بأن مثله لا يليق به الأجرة لأنه تبرع لا سيما في منصب موسى عليه السلام فأجاب أو لا يمنع كون ذلك أجراً وأيده بما روي الخ.

قوله: (حتى قال شعيب هذا عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وإن من فعل معروفاً وأهدى بشيء لم يحرم أخذه) هذه عادتنا الخ يعني ليس قصدنا المكافأة قوله وإن من فعل معروفاً الخ جواب آخر ظاهره تسليم كونه أجراً قوله وأهدى الخ يدفع كونه أجراً لكن لما كان في مقابلة عمله كان في صورة الأجر ولهذا كان هذا الجواب تسليماً لكون إجابته عليه السلام طمعاً في الأجر لكن قوله فامتنع عنه وقالوا إنا أهل بيت لا يلائمه فالجواب الأول هو المعول وفي الكشاف أن طلب الأجر للضرورة غير منكر وهذا أيضاً لا يلائم الرواية

قوله: ولعل موسى إنما أجابها ليتبرك برؤية الشيخ هذا دفع لما عسى يتوهم أن أخذ الآجر على البر والمعروف غير صحيح لأنه أمر حسبي فكيف أجابها موسى بقولها له إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا وإجابتها مشعرة بأنه عليه السلام التزم أن يأخذ الآجر بما فعله حسبة فأجاب رحمه الله عن هذا التوهم بقوله ولعل موسى الخ قوله وأن من فعل معروفاً وأهدى بشيء لم يحرم أخذه تصحيح لقوله اطعام شعيب حين نزوله عنده بأنه غير محظور شرعاً وأنه لا ينافي ما فعله لوجه الله وفي الكشاف يجوز أن يكون قد فعل ذلك لوجه الله وعلى سبيل البر والمعروف وقيل إطعام شعيب وإحسانه لا على سبيل أخذ الآجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه أنه من بيت النبوة من أولاد يعقوب ومثله حقيق بأن يضيف ويكرم خصوصاً في دار نبي من أنبياء الله وليس بمنكر أن يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلباً للآجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي أنها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الأرض ذهباً ولا نأخذ على المعروف ثمناً قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السائب رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له يجزيك أجر ما سقيت لنا أي جزاء سقيك إلى هنا كلامه وكلمة هذا في عبارة القاضي بعد نقل كلام شعيب عليه السلام هي المسماة بفصل الخطاب تدل على تمام الرواية عندها والشروع إلى كلام آخر.

besturdubooks.wordpress.com

المذكورة على أنه لا طلب هنا وإنما الكلام في قبوله بلا طلب فمراد صاحب الكشاف أن طلب الأجر غير منكر فما ظنك في جواز القبول بلا طلب (بريد فرعون وقومه).

قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾

قوله: (يعني التي استدعته للمرعي) يعني التي استدعته فالإضافة للعهد والقرينة قوله ﴿إن خير من استأجرت﴾ الخ لأن الإخبار بقوته وأمانته إنما هو للمستدعية أي قالت هذه الداعية لموسى إلى أبيها لأبيها يا أبت نادت بصيغة البعد مع قربها منه لعد نفسها بعيد الكمال الحياء إذ فيه نوع تعريض بتزويجها إياه.

قوله: (تعليل شائع يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار) تعليل شائع إذ الظاهر أن قولها: ﴿إن خير من استأجرت﴾ [القصص: ٢٦] الآية جواب عن سبب طلب الاستئجار فيكون بيان سببه وعلته الباعثة على طلب الاستئجار قوله شائع أي عام لمثل المقام لا يترك هذا التعليل في مثله إذ لا يفيد الطلب ولا يقع موقع القبول بدون بيان سببه الموجب أو المصحح كما دل الاستقراء عليه لكنه هنا يجري الدليل لكون تعريف القوي الأمين للجنس كأنها قالت يا أبت استأجره فإنه حقيق بالاستئجار لأنه قوي أمين وكل من هذا شأنه فهو لائق بالاستئجار فهو حقيق به فهو أبلغ من القول استأجره فإنه هو القوي الأمين فإنه حينئذٍ يكون تعليلاً محضاً غير جار مجرى الدليل.

قوله: (وللمبالغة فيه جعل خير اسماً) وللمبالغة فيه أي في التعليل الذي في قوة الدليل جعل خبر اسماً أي لأن مع أن الظاهر أن يكون خبراً إذ المقصود بالإفادة كونه خبراً

قوله: تعليل شائع أي قولها هذا كلام شائع جار مجرى المثل من حيث إن سياقه سياق الأمثال على ما في الكشاف من أن قولها ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته ومعنى التعليل مستفاد من وقوعه في عرض الاستئناف كأنه قيل ما علة الأمر باستئجاره فقالت ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾.

قوله: وللمبالغة فيه جعل خير اسماً أي وللمبالغة في التعليل جعل خير اسم إن يعني أن الأصل أن يجعل القوي اسم إن وخير خبرها ليشعر أن كونه خير من استوجر لكونه قوياً أميناً من حيث إن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعلية الوصف لكن خولف الأصل وعكس فجعل ما هو خبر اسماً وما هو اسم خبراً ليفيد الكلام المبالغة بجعل خير علة لعلته لإشعاره بأن كونه قوياً أميناً معلل بكونه خير المستأجرين مع أن الأمر في نفس الأمر على العكس أو يكون وجه المبالغة ذكره من أول الأمر بكونه خير المستأجرين فيكون التقديم للعناية بوصفه أولا بالخير لكون تقديمه ادخل في تعليل الأمر بالاستئجار قوله وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب معروف لايهامه أنه عليه السلام من جملة من استأجره أبوها فيما مضى وجربه وعرف قوته وأمانته بالتجربة.

besturdubooks.wordpress.com

من غيره من الخير القوي الأمين فالظاهر أن يقال إن القوي الأمين خير من استأجرت من الأجيرين لكنه عدل عنه للمبالغة فيه بتقديم خيريته للاهتمام بكونه خيراً تنبيهاً على أن خيريته منشأ لسائر الأوصاف الحميدة بناء على أن الحكم على المشتق يفيد علية مأخذ الاشتقاق مع أن الواقع هنا العكس والظاهر أن فيه قلباً لأن فيه تضمناً اعتباراً لطيفاً.

قوله: (وذكر الفعل بلفظ الماضي للدلالة على أنه أمين مجرب معروف وروي أن شعيباً عليه السلام قال لها وما أعلمك بقوته وأمانته فذكر فذكرت إقلال الحجر وأنه صوب رأسه حين بلغته رسالته وأمرها بالمشي خلفه) وذكر الفعل بلفظ الماضي وإن كان المعنى على المستقبل مع أن الظاهر لفظ المستقبل لأنه لتحقق وقوعه أي الاستئجار بسبب تحقق علته وهو القوة والأمانة ولذا قال للدلالة على أمين مجرب معروف وإلا فتحقق الأمانة لا يستلزم تحقق الاستئجار في الماضي ادعاء إقلال الحجر رفعه من رأس البئر وصوب رأسه أي خفضها لئلا ينظر إليها وأمرها بالمشي خلفه لئلا ينظر إليها أيضاً والأول بيان قوته والثاني بيان أمانته والخبر الواحد العدل يكفي في مثله وإن في الأول نصاب الشهادة تام في مثله.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾

قوله: (﴿هاتين على أن تأجرني﴾ على أن تأجر نفسك مني أو تكون لي أجيراً أو تثيبني من أجرك الله تعالى) هاتين إشارة إلى ابنتيه أرسلهما إلى البئر قيل فيه إيماء إلى أنه كانت له بنات أخر غيرهما وقد نقل عن البقاعي أن له سبع بنات وهذا احتمال لا قطع فيه إذ الإشارة لا تقتضي أن له بنات أخر أن تأجر نفسك مفعوله الأول حذف لظهوره ومفعوله الثاني مني نبه به على أنه يتعدى إلى المفعول بمن وبنفسه وبهذا المعنى يتعدى إلى مفعول واحد أو تثيبني فالمراد التعويض ولما كان هذا المعنى غير متعارف بينه بقوله من أجرك الله تعالى أي على ما فعلته أي أثابك الله تعالى فأنت مثاب مأجور ولا يحتمل أجر هنا غير الإثابة وأجر من الثلاثي اخره إذ الأول هو المتعارف في مثل ما نحن فيه وإن كان المآل واحدا.

قوله: (ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث بإضمار مضاف أي رعية ثماني حجج) بكسر الراء رعي المواشي والمراد هنا رعي الغنم.

قوله: أو تكون لي أجيراً فيكون من أجرته إذا كنت له أجيراً كقولك أبوته إذا كنت له أباً.

قوله: أو تثيبني أي تعوضني فيكون من أجرته كذا إذا عوضته وأثبته إياه ومنه تعزية رسول الله ﷺ آجركم الله ورحمكم.

قوله: ظرف على الأولين ومفعول به على الثالث فالمعنى على الأولين على أن تأجر نفسك مني لو تكون أجيراً لي في ثماني حجج وعلى الثالث على أن تعوضني وتثيبني في بدل الإنكاح رعية ثماني حجج أو خدمة ثماني حجج الحجة مجاز عن السنة لوقوعها فيها فهو من باب ذكر الحال وإرادة المحل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (عملت عشر حجج).

قوله: (فإتمامه من عندك تفضلاً لا من عندي الزاماً عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على أجرة معينة وبمهر آخر أو برعية في الأجل الأول ووعد له أن يوفي الأخير ان تيسر له قبل العقد وكانت الأغنام للمزوجة) وهذا أي قول شعيب عليه السلام استدعاء العقد أي طلب العقد فالدعاء الطلب والسين للمبالغة فيه والمراد بالعقد الحاصل بالمصدر وهو ارتباط الأجزاء التصرف الشرعي بل الأجزاء المرتبطة نحو زوجت وتزوجت فهو خبر لفظاً إنشاء معنى باعتبار الشارح فعلم أن العقد أي الإيجاب والقبول لا يتحقق بقول شعيب فقط بل يتحقق بانضمام قول موسى عليه السلام فالمعنى وهذا أي قول شعيب وقول موسى عليه السلام وإن قيل استدعاء العقد يكفي فيه قول شعيب عليه السلام فلا بد من هذا التأويل في قوله مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك فلا إشكال بأن الإبهام في المرأة المزوجة غير صحيح وأيضاً غير صحيح النكاح على الخدمة ومنافع الحر خصوصاً مدتها غير معينة هنا وأيضاً الخدمة ليست لها بل لأبيها فكيف يصح مهراً ومنشأ هذا الاستفسار فهم كون هذا القول عقداً فأجاب بأنه طلب العقد ووعد لا نفسه فاندفع الإشكال بالمرة وعن هذا قال فلعله الخ قوله وبمهر آخر غير الخدمة ثم جوز كون المهر برعية الغنم في الأجل الأول وهو ثماني سنة ووعد حال أي والحال أن موسى عليه السلام قد وعد له وهذا جواب آخر لأن التزوج على الرعي جائز عند الشافعي وكذا عندنا كما يفهم من الهداية قيل وهذا مراد من قال إنه جائز بالإجماع لأنه من باب القيام بأمر الزوجية بخلاف سائر الخدمة فإن التزوج عليها غير صحيح بالاتفاق[1] قوله وكانت الأغنام الخ من تتمة الثاني.

قوله: وهذا استدعاء العقد لا نفيه برفع نفسه عطفاً على استدعاء أي هذا الكلام وهو قول شعيب عليه السلام ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج﴾ استدعاء عقد النكاح من موسى عليه السلام لا عقد النكاح نفسه هذا جواب عن سؤال عسى يرد على ظاهر قوله: ﴿إني أريد أن أنكحك﴾ [القصص: ٢٧] الآية وتقرير السؤال أنه كيف يصح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز وإنكاح امرأة غير معينة لا يجوز فأجاب رحمه الله عنه بأن قوله هذا ما كان عقداً للنكاح ولكنه استدعاء عقد من موسى عليه السلام ومواعدة أمر قد عزم عليه ولو كان غرضه من هذا الكلام العقد لقال قد انكحتك بنتي هذه ولم يقل أريد أن انكحك.

قوله: فلعله جرى على معينة وبمهر آخر أو برعية الأجل الأول الخ أي ولعل العقد جرى بعد ذلك المواعدة على بنت معينة من بنتيه وبمهر آخر غير الرعية وإن كانت البنت غير معينة والموعود الرعية عند المواعدة فصح العقد لوقوعه على بنت معينة من بنتيه وبمال مقدور التسليم وهذا التأويل تصحيح للعقد موافقاً لما ذهب إليه أبو حنيفة والشافعي رحمهما الله وأما قوله أو برعية الأجل الأول الخ تصحيح للعقد على مذهب الشافعي فقط لأن أبا حنيفة رحمه الله يمنع أن يتزوج رجل امرأة على أن يخدمها سنة وجوز أن يخدمها عقده سنة أو يسكنها داره سنة لأنه في

---

(١) هذا إن أريد العقد نفسه والصحيح وعد ومعاهدة والعقد بعد تمام مدة الأجل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك) هذا مشكل لأن قوله أريد يأبى عنه ويؤيد الوجه الأول إلا أن يقال هذا بناء على أن الإرادة مع الفعل وأيضاً العقود الشرعية بالألفاظ الماضية إلا أن يقال إن صاحب معراج الدراية نقل عن الشيخ حميد الدين أنه قال يصح الانعقاد بالماضي والمستقبل بأن يقول الرجل إلى المرأة إني أتزوجك فتقول المرأة زوجت نفسي منك يصح النكاح فلا تغفل ولك أن تقول إن صحة العقد بقوله أريد أن أنكحك من قبيل اختلاف الشرائع.

قوله: (وما أريد أن اشق عليك) وهذا أبلغ من قوله وما أشق عليك.

قوله: (بإلزام إتمام العشرة أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال) بإلزام إتمام العشرة فعلى هذا يكون كالتأكيد لقوله فإن أتممت عشراً فمن عندك قوله أو المناقشة الخ وهذا هو الأولى بالاعتبار إلا أنه أخره لبعده عن نبي الله تعالى فلا حاجة إلى النفي.

قوله: (واشتقاق المشقة من الشق فإن ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك في إطاقته ورأيك في مزاولته) واشتقاق المشقة التي هي مصدر أشق من الشق بفتح الشين وهو فصل الشيء إلى الشقين والأمرين قوله فإن ما يصعب الخ بيان المناسبة بينهما قوله اعتقادك

الأول مسلم نفسه ونفسه ليست بمال وفي الثاني مسلم مالا وهو العبد والدار وأما الشافعي رحمه الله فقد جوز التزوج على الإجارة لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمراً معلوماً.

قوله: وكانت الأغنام للزوجة وهذا من شرائط صحة عقد النكاح لأن رعية الأغنام لا يجوز أن تقع مهراً إلا إذا كانت الأغنام للبنت التي زوجها شعيب من موسى عليهما السلام لا لشعيب لأن خدمة غير المزوجة لا يجوز أن تقع مهراً لها.

قوله: مع أنه يمكن اختلاف الشرائع في ذلك أي في حكم النكاح لما كان قوله أريد أن أنكحك ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج مظنة سؤالين أحدهما أنه يوهم جواز نكاح امرأة غير معينة وهو غير جائز في شريعتنا والثاني أنه لا يجوز عقد النكاح بالإجارة على الخدمة فضلاً عن خدمة غير المزوجة فأجاب رحمه الله غن هذين السؤالين بجوابين الجواب الأول جواب منعي وهو قوله وهذا استدعاء العقد لا نفسه وقوله وبمهر آخر وقوله أو برعية الأجل الأول وكانت الأغنام للمزوجة والجواب الثاني جواب تسليمي وهو قوله مع أنه يمكن إلى آخر قوله أو المناقشة في مراعاة الأوقات واستيفاء الأعمال والمعنى فما أريد أن أشق عليك فيما استأجرتك له من رعية الغنم ولا أفعل معك ما يفعله المعاشرون من المناقشة في مراعاة الأوقات والدافة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة اشغالاً خارجة الشرط وهذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس.

قوله: بالزام اتمام العشر أي بالزام أتم الأجلين وإيجابه عليك قوله فإن ما يصعب عليك يشق اعتقادك أي يجعل اعتقادك شقين تقول تارة اطيقه وتارة لا أطيقه ويشق رأيك في مزاولته بأن يجعلك متردداً بين أن تفعل وأن لا تفعل.

besturdubooks.wordpress.com

مفعول يشق أي الأمر الصعب يشق الاعتقاد إلى شقين إطاقته وعدم إطاقته وكذا يشق الرأي إلى شقين أي المزاولة وعدم مزاولته والمزاولة المباشرة.

قوله: (﴿ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ [القصص: ٢٧] في حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة) إن شاء الله للتبرك فإن صلاحه مجزوم فلا يكون للتعليق والمراد اتكاله على الله تعالى وتوفيقه فيه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

قوله: (أي ذلك الذي عاهدتني فيه قائم بيننا لا نخرج عنه) الذي عاهدتني فيه هذا بناء على أن موسى عليه السلام قبل ما قاله شعيب عليه السلام إذ العهد من الطرفين ولذا لم يقل وعدتني قوله قائم بيننا إشارة إلى أن بين متعلق به وتقدير الفعل الخاص عند قيام القرينة لا يضر كون الظرف مستقراً قوله بيننا حاصل المعنى وإنما لم يجيء في النظم هكذا للالتباس قوله لا نخرج عنه بيان القيام وأنه مجاز فيه أي لا تزيد عليه ولا تنقص فيه الخبر عن عدم زيادته بناء على حسن الظن به ولما أسند القيام إلى الأمر ينبغي أن يقال لا يخرج عنا لكن ما ذكره المص لازم له وإنما اختار القيام ليفيد الكلام إذ حصوله مثلاً معلوم مما سبق.

قوله: (أطولهما أو أقصرهما) أي من حيث الاكتفاء به فلا يقال قضاء الأطول مستلزم لقضاء الأقصر وصيغة التفضيل فيهما بمعنى أصل الفعل أي طويلهما أو قصيرهما.

قوله: (وفيتك إياه) وفيتك من التوفية وحاصله أتممت لأن القضاء في الأصل إتمام الشيء قولاً أو فعلاً.

قوله: لا نخرج عنه بالنون على الحكاية على صيغة المبني للفاعل أو بالياء على صيغة المبني للمفعول فلفظ ذلك إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني عليه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعاً لا يخرج كلانا عنه لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطتني على نفسك.

قوله: فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان هذا إشارة إلى جواب سؤال عسى يرد على ظاهر قوله: ﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي﴾ بأن العدوان لا يتصور إلا في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة بالتتميم إلى العشر فما معنى تعليق العدوان بالأجلين جميعاً وحاصل الجواب أن معنى كلامه هذا أني إن طولبت بالزيادة على العشر كان عدواناً علي لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثماني يريد به تأكيد أمر الخيار وتقريره وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما ذاك من غير تفاوت بينهما في القضاء وإما تتميم الأقصر منهما فموكول إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وهذا أي تأكيد أمر الخيار في القضاء هو المراد بالأبلغية في قوله رحمه الله وهو أبلغ في اثبات الخيرة في تساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لا يعتدي علي بطلب الزيادة فكما لا أطالب بالزيادة على العشر لا أطالب بالزيادة على الثمان) لا يتعدى على خبر في معنى الإنشاء وهذا حاصل المعنى إذ نفي جنس العدوان مآله ما ذكره قوله بطلب الزيادة أي على الثمان إذ لا احتمال لطلب الزيادة على العشر وفي كلام المص إشارة إليه كلمة علي متعلقة بمحذوف أي لا اعتداء ثابت علي فقوله لا يعتدي علي بيان حاصل المعنى.

قوله: (أو فلا أكون معتدياً بترك الزيادة عليه كقولك لا إثم عليك) أو فلا أكون متعدياً الخ أي لا يصح الحكم علي بالاعتداء حينئذٍ والعدوان الظلم كالاعتداء والتعدي وحاصله لا إثم علي ولذا قال كقولك لا إثم عليك والفرق أن في الأول الاعتداء بالنظر إلى الغير وفي الثاني بالنسبة إلى المتكلم.

قوله: (وهو أبلغ في إثبات الخيرة وتساوي الأجلين في القضاء من أن يقال إن قضيت الأقصر فلا عدوان علي وقرىء أيما) وهو أبلغ لكونه إثباتاً له بالبينة كما قال فكما لا أطالب الخ والتنصيص على الأجلين وإن فهم ذلك من القول المذكور.

قوله: (كقوله:

تنظرت نصراً والسماكين أيما ... علي من الغيث استهلت مواطره

وأي الأجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتأكيد الفعل) كقوله أي الفرزدق يمدح نصراً بالجود تنظرت أي انتظرت والسماكان كوكبان أحدهما أعزل والآخر رامح وهما من الأنواء التي ينسب المشرك المطر إليها واستهلت أي انصبت والمواطر جمع ماطرة وهي السحابة أي أنه انتظر الممدوح وجوده واحد الانواء الماطرة ولم يفرق بينهما وهذا تشبيه بليغ على نهج تجاهل العارف كذا قيل وأيما مخفف لضرورة الشعر والقراءة في النظم من الشواذ لأنه منقول عن الحسن رحمه الله.

قوله: (أي أي الأجلين جردت عزمي لقضائه وقرىء عدوان بالكسر) جردت عزمي

قوله: كقوله أي كقول الفرزدق تنظرت أي انتظرت ونصر اسم الممدوح والسماكان نجمان الاعزل وهو الذي لا كوكب بين يديه والرامح هو الذي بين يديه كوكب يقدمه يقولون هو رمحه ولذا سمي بالرامح وهو ليس من منازل القمر والاستهلال الانصباب يقال هال السحاب واستهل إذا انصب انصباباً شديداً وأيهما بسكون الياء الواحدة تخفيف أيهما بالتشديد فسكن الياء لضرورة وزن الشعر ومن في من الغيث للبيان والمواطر جمع ماطرة أي سحابة ماطرة المعنى انتصرت نصراً ونوء السماكين أيهما أنصبت مواطره علي من الغيث لأني لم أفرق بين النصر وبين السماكين في الجود.

قوله: فيكون ما مزيدة لتأكيد الفعل يريد بيان الفرق بين ما المزيدة في أيما في القراءة المشهورة وبين ما المزايدة قيل قضيت في القراءة الشاذة وهو أن ما في القراءة الشاذة لتأكيد القضاء وفي القراءة المشهورة لتأكيد إبهام أي فرجع إلى تأكيد المفعول كما أن في ما في الشاذة لتأكيد الفعل ولما كان فائدة زيادتها في المشهورة ظاهرة لم يتعرض لبيانها.

besturdubooks.wordpress.com

استعارة مكنية وتخييلية حيث شبه العزم في النفس بالسيف في القطع المطلق وأثبت له التجريد الذي من ملائمات المشبه به.

قوله: (والله على ما نقول) صيغة المضي إما لحكاية الحال الماضية أو للاستمرار **(من المشارطة)**.

قوله: (شاهد حفيظ) هذا لتعديته بعلى لتضمنه معنى شاهد قوله حفيظ بيان معنى شاهد وفي سورة يوسف في قوله تعالى: ﴿والله ما نقول وكيل﴾ [يوسف: ٦٦] فسره بقوله رقيب مطلع فالشاهد من الشهود وحاصله راجع إلى العلم والوكيل إما بمعنى المتكفل بأمور العباد أو الموكول إليه لاعتماده على إحسانه وهنا هو مراد أيضاً كما هو مقتضى التضمين.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

قوله: (فلما قضى) أي أتم الفاء فصيحة أي جرى العقد بينهما أي عقد النكاح وعقد الإجارة وباشر موسى عليه السلام ما التزمه وأتم الأجل فلما قضى الأجل وأتمه وسار بأهله أتى بالواو لأن السير لم يتحقق عقيب الإتمام بل بعد مكثه عشر سنين كما سيجيء بأهله الباء للتعدية ويلزم منه سيره عليه السلام أيضاً لما أن في الباء من معنى الاستصحاب إذا قلت ذهبت بزيد يكون معناه أذهبت زيداً وذهبت أيضاً بخلاف أذهبت زيداً فإنه لا يقتضي ذهاب المتكلم وكذا سارا وللملابسة أي سار عليه السلام مصاحباً بأهله.

قوله: (بامرأته روي أنه قضى أقصى الأجلين ومكث بعد ذلك عنده عشراً آخر ثم عزم على الرجوع) بامرأته فسره بها لأنه يكنى عنها بالأهل عند قيام قرينة وأما الأهل في قوله تعالى في قصة لوط ﴿فأسر بأهلك﴾ أقاربه وأتباعه ممن آمن به فهو يطلق على الواحد[1]

قوله: شاهد حفيظ الوكيل الذي وكل إليه الأمر ولما ضمن معنى الشاهد والمهيمن عدي بعلى وإلا فالأصل أن يعدى بكلمة إلى فلما استعمل بعلى فسره رحمه الله بالشاهد والحفيظ.

قوله: باتت حواطب ليلى البيت الحواطب الجواري اللاتي يطالبن الحطب والجزل الحطب اليابس العظيم والجذي جمع جذوة والخوار الضعيف من الخور يقال رمح خوار ورجل خوار والدعر بالدال والعين المهملتين مصدر دعر دعراً وهو عود دعر أي ردي كثير الدخان هذا البيت للاستشهاد على استعمال الجذوة في العود الذي ليس في رأسه نار والبيت الثاني وهو قوله والقى على قبس الخ استشهاد على استعمالها في العود الذي في رأسه نار ومعنى هذا البيت ظاهر والضمير في عليها للجذوة وفي حرها والتهابها للنار الجذوة القبسة من النار والمراد بها نار النميمة ووصفها بقوله شديداً حرها والتهابها لأنها هيجت نار العداوة والفتنة بين القوم.

---

(١) وتفصيله في سورة النمل.

besturdubooks.wordpress.com

كناية وعلى الجماعة والمعنى وسار في الليل الخ ويؤيده قوله تعالى: ﴿آنس من جانب الطور﴾ [القصص: ٢٩] الآية.

قوله: (أبصر من الجهة التي تلي الطور) أبصر إبصاراً لا شبهة فيه ولذا اختاره على أبصر وقيل الإيناس إبصار ما يونس به لم يتعرض له هنا لأن التخصيص خلاف الظاهر.

قوله: (بخبر الطريق) أشار إلى أنه أضل الطريق[1] وكانت ليلة الجمعة وتفرقت ماشيته.

قوله: (عود غليظ سواء كانت في رأسه ناراً ولم تكن قال كثير:

باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ... جزل الجذى غير خوار ولا دعر)

الحواطب جمع حاطبة وهي الجارية التي تجمع الحطب قوله يلتمسن لها أي يطلبن لها قوله جزل بجيم وزاي معجمة هو الحطب اليابس والجذى بكسر الجيم جمع جذوة الخوار الضعيف الهش والدعر بفتح الدال المهملة وكسر العين المهملة الزدي الكثير الدخان والحواطب إما أن يراد بها الخدمة فظاهر وإما أن يراد بها النمامات فالمراد لا يجدن لها مساوي كما في الكشاف.

قوله:

(وألقى على قيس من النار جذوة ... شديداً عليها حرها والتهابها)

وقيس اسم قبيلة من النار جذوة وهو استعارة لما لحقها من الفتنة التي كأنها نار متوقدة.

قوله: (ولذلك بينه بقوله ﴿من النار﴾ [القصص: ٢٩]) فيه مبالغة لأن الجذوة ليست عين النار **(وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات)**.

قوله: (تستدفئون بها) فيه إشارة إلى أنه أصابهم برد شديد قال في سورة طه ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة والترجي لأن إتيان الجذوة بناء على الرجاء أو يعرض عارض يمنع الاصطلاء.

قوله: ولذلك بينه بقوله من النار أي ولأجل استعمال الجذوة في مطلق معنى العود من غير تخصيص لها بما هو في رأسه نار بينه بقوله من النار ولو كانت موضوعة لعود فيه نار لما احتاج إلى هذا البيان.

قوله: وكلها لغات أي فتح الجيم وضمها وكسرها لغات في الجذوة وقرىء بهن جميعاً.

قوله: تستدفئون بها من الدفء وهو السخونة يقال دفىء الرجل دفاءة من باب علم يعلم والاسم الدفء بالكسر وهو الشيء الذي يدفئك وتدفأ هو بالثوب واستدفأ به وادفأ به أي ليس ما يدفئه.

---

(١) أو المراد بالطريق المستقيم كما أشار إليه في سورة طه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

قوله: (﴿فلما أتاها﴾) الفاء فصيحة أي فصل موسى عن أهله وأتاها ﴿فلما أتاها﴾ أي أتى بمكان قريب من النار التي أبصرها فهو مجاز في الإيقاع.

قوله: (أتاه النداء من الشاطىء الأيمن لموسى) أتاه النداء الخ أي وصله إليه عليه السلام أوله تنبيهاً على أن النداء ليس ابتداؤه من الشاطىء بل إتيانه منه وجهه يعلم بالتأمل قوله من الشاطىء الأيمن أي الأيمن صفة للشاطىء لا الوادي كما يوهمه قربه لأن المراد بالأيمن يمين موسى والواقع فيه الشاطىء قيل مسموعه كلام لفظي مخلوق في الشجرة وفي كلام المص في سورة طه حيث قال وهو ملقى من ربه كلامه تلقفاً روحانياً الخ إشارة إليه وقد أوضحناه هناك.

قوله: (متصل بالشاطىء أو صلة نودي) أي حال منه لا صفة وصفت بالمباركة لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام قد مر بيانه في سورة النمل قوله أو صلة لنودي ولا يلزم من كون النداء في البقعة المباركة كون المنادى فيها إذ يكفي في صحة الظرفية كون النداء فيها كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه قاله في أوائل سورة الأنعام ولكونه نوع تكلف أخره.

قوله: (بدل من الشاطىء بدل الاشتمال لأنها كانت نابتة على الشاطىء) أي بتقدير الضمير أي من الشجرة فيه لكن أعيد الجار لكون البدل على إعادة العامل ولتعيين المبدل منه قيل بدل بدون تنوين مضاف إلى من شاطىء على أن مجموع الجار والمجرور بدل من مجموع الجار والمجرور وهو تكلف إذ الظاهر أن البدل هو المجرور وحده لكونه اسماً والجار حرف لا حظ له من الإعراب ويؤيده قوله لأنها نابتة فإنه مسوق لبيان كونه بدل اشتمال وهو المجرور وحده فيكون المبدل منه مشتملاً على البدل ومن في شاطىء ابتدائية متعلق بنودي وهو الظاهر وجعله حالاً من ضمير نودي الراجع إلى موسى عليه السلام

قوله: أتاه النداء من الشاطىء الأيمن لموسى شاطىء الوادي شطه وجانبه.

قوله: متصل بالشاطىء على أنه صفة له أي من شاطىء الوادي الكائن في البقعة المباركة أو على أنه حال منه أي كائناً في البقعة قوله بدل من شاطىء بدل الاشتمال أي هي بدل منه بإعادة الجار بدل الاشتمال لأن الشاطىء يشتمل عليه من حيث إنه محل لها ونظيره في كونه بدل الاشتمال بإعادة الجار قوله تعالى: ﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم﴾ [الزخرف: ٣٣] فإن لبيوتهم بدل من قوله: ﴿لمن يكفر بالرحمن﴾ [الزخرف: ٣٣] بدل الاشتمال بإعادة الجار.

قوله: هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظاً فهو طبقة في المقصود قال في طه: ﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني﴾ [طه: ١٤] وفي سورة النمل: ﴿إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾ [النمل: ٩] وقال هنا: ﴿إني أنا الله رب العالمين﴾ [القصص: ٣٠] وكونه طبقه في المقصود أنه مثبت للتوحيد كما أن ما في السورتين كذلك.

besturdubooks.wordpress.com

وكون من بمعنى في تعسف ولم يلتفت إلى كونه متعلقاً بالبقعة المباركة على أن ابتداء بركتها من الشجرة لأنه خلاف ما ثبت من أن بركتها لكونها مبعث الأنبياء عليهم السلام كما صرح به في سورة النمل قوله نابتة بالنون من النبات وقيل إنه بالمثلثة أيضاً.

قوله: (أي يا موسى) أشار إلى أن إن تفسيرية مآله أي التفسيرية ولم يتعرض باقي الاحتمال من كونه مخففة من الثقيلة لظهور الأول.

قوله: (هذا وإن خالف ما في طه والنمل لفظاً فهو طبقه في المقصود) وإن خالف أي في بعض[1] ألفاظه وزيادته ونقصانه للاقتصار والحكاية بالمعنى وذهب الإمام إلى أنه حكي في كل من هذه السورة بعض ما اشتمل عليه النداء انتهى والمص خالفه حيث أومىء أنه طبقه في المقصود لكن المطابقة غير ظاهرة إلا بتكلف عظيم لأن ما في سورة طه ﴿نودي أني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ [طه: ١١، ١٢] الآية وما في النمل نودي أن بورك من في النار ومن حولها وما قاله الإمام أقرب إلى الفهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾

قوله: (﴿وأن ألق عصاك﴾ [القصص: ٣١]) عطف على أن يا موسى لأنه إنشاء أيضاً وأن تفسيرية أو مخففة من الثقيلة ويجوز كونها هنا مصدرية.

قوله: (أي فألقاها فصارت ثعباناً واهتزت فلما رآها تهتز) أي فألقاها أشار إلى أن الفاء في فلما رآها فصيحة والمحذوف فألقاها ولظهور إجابة الأمر لم يذكر قوله فصارت ثعبان بدلاً فإذا هي حية تسعى المذكور في سورة طه وإنما اختار ثعبان لقوله كأنها جان إذ تشبيه الحية المطلقة بالجان لا يحسن بل لا يصح لكن هذا على قوله في السرعة وأما على قوله في الهيئة سيأتي بيانه واهتزت أي اضطربت اضطراباً شديداً إذ الهز التحريك الشديد والاهتزاز التحريك الشديد والضمائر للعصا باعتبار أصلها ويؤيد أن قلب العصا حية بإبدال صورة العصا بصورة الحية مع بقاء الجواهر الفردة قد مر توضيحه في سورة النمل.

قوله: (في الهيئة والجثة أو في السرعة) فحينئذٍ يكون التشبيه في النوعية مثل هذا القميص مثل ذلك القميص في كونه كرباساً أو ثوباً أو من القطن كما في المطول فيكون

قوله: أي فألقاها فصارت ثعباناً واهتز فلما رآها تهتز كأنها يريد أن الفاء في فلما رآها فاء فصيحة لافصاحه بالمحذوفات المذكورة لأن رؤيتها مهتزة لم يكن عقيب الأمر بالقاء العصا بلا مهلة بل إنما رآها كذلك بعد القاء العصا وصيرورتها ثعباناً تهتز اهتزازاً.

قوله: في الهيئة والجثة أو في السرعة يريد أن وجه الشبه في تشبيه العصا المنقلبة حية بالجان يجوز أن يكون الهيئة والجثة أو سرعة المشي والحركة.

---

(١) وقد جمعنا بين قول الإمام وبين قول المص بقولنا في بعض الفاظه وزيادته ونقصانه.

besturdubooks.wordpress.com

المراد الجان حقيقة والجان المنقلب من العصا مشبهاً بالجان في كونه جاناً إذ قد يكون وجه الشبه غير خارج عن حقيقة المشبه والمشبه به بل داخل فيهما كما مر فحينئذٍ لا يكون ملائماً فصارت ثعباناً بل الملائم له أو في السرعة كأنه أشار إلى الوجهين بطريق الاحتباك لأن المص بين في طه قيل إنها لما ألقاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جاناً تارة نظراً إلى المبدأ وثعباناً مرة باعتبار المنتهى فلا يناسب القول بأن الجان يطلق على ما غلظ وعظم في توجيه كلام المص وقيل فيه قوله في الهيئة والجثة أي في أول وقت الإلقاء الخ وطريق الاحتباك أحسن[1] التوجيهات.

قوله: (منهزماً من الخوف) هذا التعبير ليس بمناسب أي بعد منها لعروض الخوف بحسب البشرية.

قوله: (ولم يعقب ولم يرجع) ولم يعقب أي ولم يرجع من عقب المقاتل إذا كر بعد الفرار نودي يا موسى.

قوله: (أقبل) أي قيل له أقبل إليها فخذها سنعيدها سيرتها الأولى ولا تخف أي ولا تكن على حال تؤدي إلى الخوف إنك من الآمنين تعليل لما يتضمنه النهي أي الخوف من المخاوف غير لائق بك لأنك من جملة الآمنين المعهودين بالأمن والأمان.

قوله: (من المخوف فإنه لا يخاف لدي المرسلون) قد مر توضيحه في سورة النمل وحاصله أن إثبات الخوف له عليه السلام من قبيل الاستعارة التمثيلية لأن قوله تعالى: ﴿إنه لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] خبر فاللفظ الدال على خوف المرسلين لا بد له من تأويل وقد أشار إليه المص في النمل وأوضحناه بما يناسب المقام بعون الله الملك العلام قوله فإنه لا يخاف الخ اقتباس لطيف بتغيير يسير.

قوله تعالى: ﴿ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾

قوله: (أدخلها) أشار إلى أن اسلك من السلك المتعدي قوله في جيبك لأنه كان له مدرعة صوف لا كم له المدرعة لباس لا أكمام له والجيب مدخل الرأس من القميص وهو الكريبان.

قوله: نودي يا موسى يعني قوله: ﴿يا موسى﴾ [القصص: ٣٠] مقدر بمعنى القول فالتقدير نودي يا موسى أو قيل يا موسى والأنسب أن يقدر بالفاء على معنى ولى فنودي لأن المقام يقتضي الترتيب.

---

(١) لأن القول الأول يخالف ما صرح به المص وغيره والثاني ضعيف إذ أول وقت الالقاء ليست ثعباناً بل جان كما قاله المص.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: **(تخرج بيضاء)** أي أدخلها فدخلت ثم أخرجها فخرجت ففيه صنعة الاحتباك قد فصلت في النمل.

قوله: **(عيب)** سواء كان برضا أو بهقا قال في طه كنى به عن البرص وهنا في النمل أشار إلى التعميم من الآفة التي يستقذر منه وهذا من قبيل الاحتراس والتكميل ولبعض الناظرين مناقشة في إرادة البرص ونحوه ذكرت في النمل مع جوابها.

قوله: **(يديك المبسوطتين)** فيه تنبيه على أنهما شبهتا بالجناحين في البسط إلى الجانبين والاستظهار بهما فذكر لفظ المشبه به وأريد المشبه والجناح اسم جنس كاليد يتناول الاثنين لأنهما مجموع الجنس هنا فلا إشكال بأن الجنس لا يراد به الاثنان لأنه فيما كان له إفراد فوق الاثنين قوله المبسوطتين إشارة إلى وجه الشبه كما أشرنا إليه لأن حال الضم لا يناسب المقام ولا يوافق الكلام.

قوله: **(تتقي بهما الحية كالخائف الفزع)** حال من ضمير يديك مبين لبسط اليد المأمور بترك البسط بضم قوله كالخائف الفزع.

قوله: **(بإدخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بإدخالهما في الجيب)** بإدخال اليمنى الخ متعلق بقوله واضمم وبيان لطريق الضم ولعله رواية وإلا فلا يستفاد بخصوصه

قوله: يديك المبسوطتين تتقي بهما الحية فسر رحمه الله قوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص: ٣٢] على وجهين الوجه الأول أن موسى عليه السلام لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه ذلك ومهانة عند الأعداء فإذا القيتها فكما تنقلب حية ادخل يدك تحت عضدك مكان إتقائك بها ثم أخرجها ليحصل لك الأمران المطلوبان اجتناب ما هو ذل عليك عند الأعداء واظهار معجزة أخرى أو المراد بالجناح اليد تشبيهاً لليد بالجناح لأن يدي الإنسان بمنزلة جناحي الطائر وإذا ادخل يده اليمنى تحت عضده اليسرى فقد ضم جناحه إليه فلذا فسر الجناح باليد فعلى هذا الوجه يكون قوله: ﴿واضمم اليك جناحك﴾ [القصص: ٣٢] تكريراً المعنى قوله: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ [القصص: ٣٢] ليحصل من ذكره ثانياً غرض آخر غير الغرض الحاصل من الأول فإن الغرض من الأول خروج اليد البيضاء ومن الثاني إخفاء الرعب واختلاف العبارتين مع أن المعنى واحد لاختلاف الغرضين والوجه الثاني أن يراد بالضم التجلد أي التصبر والثبات وضبط النفس والتشدد عند انقلاب العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وارخاهما وإلا ضمهما إليه وشمرهما فيكون قوله ﴿واضمم إليك جناحك﴾ على هذا الوجه من المجاز المستعار على التمثيل والحاصل أنه في الأصل مستعار من فعل الطائر عند الأمن بعد الخوف ثم كثر استعماله في التجلد وضبط النفس حتى صار مثلاً فيه وكناية عنه فهو على هذا الوجه الثاني يكون تتميماً لمعنى إنك من الآمنين فقوله: ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ [القصص: ٣٢] مجرى على حقيقته في الوجهين جميعاً وأما قوله: ﴿واضمم إليك جناحك﴾ [القصص: ٣٢] على الوجه الثاني فمجاز مستعار على التمثيل في الأصل ثم استعمل على وجه الكناية في معنى التصبر ولفظ الجناح وحده مجاز مستعار لليد في الوجه الأول وباقي الألفاظ على حقيقتها.

besturdubooks.wordpress.com

من النظم الكريم وعن هذا قال أو بإدخالهما في الجيب ولا يبعد أن يكون المراد الضم إلى جانبه الأيمن والأيسر إذ لا فرق في إظهار الجلادة والجرأة وإضافة الضم إليه مع أنه في بعض أعضائه للإشارة إلى أن الضم إلى أي محل يمكن الضم إليه كاف فيكون الإضافة إلى الكل مجازاً عقلياً.

قوله: (فيكون تكريراً لغرض آخر) أي بحسب الظاهر وإلا فلا تكرار بالنظر إلى الغرض لأن غرض التكرير يخالف الغرض الأول كما بينه ثم التكرير بناء على أن المراد في الموضعين اليدان وقد صرح الفاضل المحشي بأن المراد في الأول الواحدة فحينئذٍ لا تكرار ولو بحسب الظاهر والمتبادر من بيان المص ثنتان في الموضعين إذ اليد كما عرفت اسم جنس يتناول الاثنين لكونهما مجموع الجنس فحينئذٍ العدول إلى الظاهر في مقام المضمر إما لكمال التقرر في الذهن أو للتعبير بالجناح وقد غفل من قال إنه لا وجه للعدول عن المضمر إلى الظاهر.

قوله: (وهو أن يكون ذلك في وجه العدو وإظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة) في وجه العدو حال مقدرة[١] من اسم يكون قوله واظهار جرأة خبره لأن هذا ليس في وجه العدو بل في طور سيناء وهذا أولى من أن يكون خبره وإظهاراً مفعول له وإن صح لأن أن يكون للاستقبال قوله ومبدأ لظهور معجزة وهي خروج اليد بيضاء والاحتمال الأول هو القوي المعول.

قوله: (ويجوز أن يكون المراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فإنه إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن واطمأن ضمهما إليه) ويجوز أن يكون المراد الخ يعني لا ضم اليدين إلى نفسه الشريف بل المراد بذلك التجلد أي إظهار الجلادة والثبات الخ فيكون استعارة تمثيلية شبه الهيئة المأخوذة من جلادته عليه السلام عند ظهور مثل هذه الأمور العجيبة وضبط نفسه عن الاضطراب بالهيئة المنتزعة من الطير وضم جناحيه عند أمنه عن المخاوف فذكر اللفظ الدال على المشبه به وأريد المشبه وهذا جيد لكن يفوت المبالغة في إظهار الجلادة حيث لا يعلم ما يدل عليه وهو ضم اليدين لعدم المبالاة فإذا لم يعلم ما يدل عليه لم يعلم الجلادة يقيناً إذ مجرد الثبات لا يدل عليها على الثبات وعن هذا ضعفه فقال ويجوز الخ.

قوله: (من أجل الرهب أي إذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلداً وضبطاً لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرىء بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات) من أجل الرهب إشارة إلى أن من تعليلية من فروع معنى

---

(١) هذا الادخال الأول حين قلب العصاء حية والثاني لتخرج يده بيضاء لإبداء معجزة والتقديم لأن الأول وإن كان مقدماً لكنه مؤخر من جهة كون الادخال الثاني معجزاً فيناسب ذكره عقيب ذكر قلب العصا حية مع أن الواو لا يقتضي الترتيب.

besturdubooks.wordpress.com

الابتداء إذ علة الشيء مبدأه قوله[1] إذا عراك أي عرض الخوف أي الخوف المعهود الحاصل من انقلاب العصا حية أو الخوف مطلقاً لكن الأول أنسب بالمقام قوله تجلداً الخ على أي معنى أريد بضم اليد لا يختص بمعنى دون معنى.

قوله: **(إشارة إلى العصا واليد)** والتذكير لمراعاة الخبر والكاف تنبيه على حال المخاطب وهو موسى عليه السلام فلذا أفرد وصيغة البعد للتفخيم والمراد بالعصا العصا المنقلبة حية واليد اليد البيضاء.

قوله: **(وشدده ابن كثير وأبو عمرو ورويس)** وهي لغة فيه لكن في الكشاف المخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك فالأصل ذان لك قلبت اللام نوناً وأدغمت النون في النون وكان القياس قلب الأولى لكنه حوفظ على علامة التثنية كذا قيل لكنه مخالف لما قرر في موضعه ولعل الأولى كونه لغة فيه.

قوله: **(حجتان وبرهان فعلان لقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل إذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن)** حجتان دالتان على صحة نبوتك عبر بها إشارة إلى أن غلبة العدو إنما هي بهما والتعبير بالبرهان لقطع الشبهة فعلان فالزائد الألف والنون قوله لقولهم أبره الخ فيكون أصل مادته برها فزيدت الألف والنون فصار برهاناً من قولهم بره الخ قال بعضهم برهان فعلان من البره وهو القطع وهذا أولى مما ذكره المص لما عرفت من أن البرهان شأنه قطع الشبهة ووجه ما ذكره أن الحجة لظهورها ووضوحها كالبياض ولذا قيل حجة بيضاء على طريق الاستعارة قوله برهاء الخ تأييد لكونه بمعنى البياض وقيل فعلال فيكون النون من أصل الكلمة والزائد الألف لقولهم برهن من الرباعي المجرد كما هو الظاهر قيل لا يقال في فعله برهن لأنها مولدة بنوها من لفظه كما هو الأكثر.

قوله: **(مرسلاً بهما)** إشارة إلى أن قوله إلى فرعون متعلق بمحذوف حال مقدرة قدر

قوله: وشدده ابن كثير فالمخفف مثنى ذلك والمشدد مثنى ذلك لأن أصله ذان لك قلبت اللام نونا وأدغمت النون في النون كما قال الزجاج وكان ذانك مشدداً تثنية ذلك وذانك مخففاً تثنية ذاك جعل بدل اللام النون في ذانك.

قوله: وبرهان فعلان الخ أي البرهان إما مصدر ابره الرجل أي أتى بالبرهان من بره الرجل إذا ابيض ولما كان بيان الحجة شبيهاً بالبياض في الظهور عبر عنه بالبرهان المنبيء في الأصل عن البيان فيكون نونه مزيدة لا من نفس الكلمة ووزنه فعلان وإما مصدر برهن الرجل ومعناه أيضاً أتى ببرهان فيكون النون من نفس الكلمة لام الفعل ووزنه فعلال.

قوله: مرسلاً تقدير لمتعلق من ربك.

---

(١) قوله إذا عراك الخ إشارة إلى أن الرهب ليس سبباً للضم بل السبب اظهار الجلادة في وقت الرهب فجعل الرهب سبباً مبالغة في الأمر بالضم.

besturdubooks.wordpress.com

الفعل الخاص للقرينة وهو أفيد من تقدير الفعل العام ولم يتعرض لقوله من ربك فهو متعلق بمحذوف صفة لبرهانان أي كائنان من ربك إذ المعجزة فعل الله تعالى ويجوز أن يكون إلى فرعون متعلقاً بمحذوف صفة لبرهانان أي واصلان إليهم لكن اعتبار المص أولى إذ وصولهما إليهم إنما هو بالإرسال إليهم.

قوله: (إنهم كانوا) تعليل للإرسال وإنهم محتاجون إلى الإرسال وتبيين السبيل بالهادي ﴿فاسقين﴾ [القصص: ٣٢] والمراد به المرتبة الثالثة من مراتب الفسق وهو كفر والتعبير بالفسق عنه لتجاوزهم عن الحد في الظلم والكفر.

قوله: (فكانوا أحقاء بأن يرسل إليهم) تفريع على التعليل لكن ما يفرع عليه مطلق الإرسال ولما كان مطلق الإرسال متفرعاً عليه ووجود المطلق في ضمن الخاص جعل الخاص مفرعاً عليه لذلك لا لخصوصه.

قوله تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾

قوله: (قال رب) استئناف معاني: ﴿إني قتلت منهم نفساً﴾ [القصص: ٣٣] هذا تمهيد لقوله ﴿فأخاف أن يقتلون﴾ [القصص: ٣٣] والتأكيد للمبالغة في تحقيق مضمونها.

قوله: (﴿فأخاف أن يقتلون﴾ [القصص: ٣٣]) بها الخوف بعد قوله تعالى: ﴿لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون﴾ [النمل: ١٠] إما محمول على الاستعارة التمثيلية أو محمول على وقت غير الوحي قد مر نبذة من البيان في النمل.

قوله تعالى: وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾

قوله: (﴿وأخي هارون﴾) إما عطف البيان أو بدل من أخي بدل الكل وفي طه من أهلي ﴿هارون أخي﴾ [طه: ٢٩، ٣٠] عكس ما هنا وهناك بحث لطيف فارجع إليه ﴿هو أفصح مني لساناً﴾ هذا يشعر بأن العقدة التي في لسانه لم تزل بالكلية بل زال العقدة التي تمنع الافهام.

قوله: (معيناً) على ما كلفتني به وفيه تنبيه على أن موسى أصل في النبوة والتشريع وهارون تابع له فيها.

قوله: (وهو في الأصل اسم ما يعار به كالدفء) لكن أريد به هنا المعين مجازاً أو نقلاً كالدفء وهو ما يتدفأ به من اللباس والغطاء.

قوله: (وقرأ نافع رداً بالتخفيف) أي بفتح الدال بلا همز.

قوله: كالدفء أي كما أن الدفء بالكسر اسم لما يدفأ به أي لما يلبس من الثوب للتسخن.

قوله: وقرأ حمزة وعاصم يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف أي جواب لأمر

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة) بتلخيص الحق أشار إلى أن معنى يصدقني تلخيص الحق الذي بلغتهم وإنما حمله عليه إذ قوله ﴿هو أفصح مني﴾ يقتضي وإما لتصديق بأنك صدقت أو أخي صادق فلا يحتاج إلى الفصاحة فلا يكون في ذكر أنه أفصح فائدة وتصديق الغير كما يكون بقولك هو صادق يكون بتلخيص ما قاله وتأييده بالحجة وإزالة شبهة الخصم بل هذا التصديق أبلغ وأقوى من القول المذكور لأن القول بأنك صادق يحتمل الكذب كتصديق المنافقين بخلاف الثاني فإنه لا احتمال لخلافه هذا مثل تصديق الله تعالى رسله بالمعجزات فليس في يصدقني مجاز لا في الكلمة ولا في الإسناد وصاحب الكشاف ادعى أن المعنى أن القوم يصدقني ببيانه الواضح وتقريره الكاشف لكنه أسند إلى هارون إسناد الفعل إلى السبب وهذا أنسب بقوله: ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص: ٣٤] كما سيجيء لكن ما اختاره المص أقرب لأن تصديق القوم بتأييد هارون عليه السلام ليس بمعلوم بل خلافه واقع ولذا مرضه بقوله وقيل المراد تصديق الخ.

قوله: (ولساني لا يطاوعني عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع على أنه صفة والجواب محذوف) وهو فيكون نعم العون لي أو يكن نعم العون وعلى تقدير كونه صفة تكون صفة مادحة لا مخصصة ولا مقيدة.

محذوف تقديره يؤمنوا بما جئت به من الحق وأما إذا قرىء يصدقني بالجزم فهو الجواب فيكون على كلتا القراءتين مثل يرثني في قوله وليا يرثني إعراباً وتوجيهاً.

قوله: وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه أسند إليه إسناد الفعل إلى السبب نحو بنى الأمير المدينة والأمير إنما أمر بالبناء فأسند البناء إلى الحامل كما أسند إلى المباشر فسر رحمه الله معنى يصدقني على وجهين الوجه الأول أنه ليس الغرض بتصديق هارون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى بل الغرض أن يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو القدرة على الكلام فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان ألا يرى إلى قوله ﴿هو أفصح مني لساناً فأرسله معي﴾ وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن الفصيح وغير الفصيح في ذلك سيان والوجه الثاني أن المراد بتصديق هارون أن يصل جناح كلام موسى بالتقرير أو لبيان والكشف والتوضيح حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه ويؤيد هذا الوجه قوله: ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص: ٣٤] لأن التقدير أرسله معي ليكون سبباً لأن يصدقني قومي فقيل له لم ذلك فأجاب ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص: ٣٤] وكل من هذين الوجهين مبني على المجاز فالفرق بينهما أن التجوز في الوجه الأول إنما هو في الكلمة دون الإسناد لأن يصدقني فيه بمعنى يلخص كلامي والملخص حقيقة هو هارون وفي الوجه الثاني في الإسناد دون الكلمة لأن التصديق حقيقة في معناه لكن المصدق حقيقة ليس هارون بل قومه فالإسناد في الأول إسناد حقيقي والكلمة مجاز وهو في الثاني مجازي والكلمة حقيقة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: (قال سنشد) استئناف أيضاً ولذا ترك العطف الظاهر أن السين للتأكيد مثل سين سنكتب.

قوله: (سنقويك به فإن قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الأمور) سنقويك حاصل المعنى لأن شدة العضد وتقويته مستلزم لتقويته فيراد به كناية إذ اليد تشتد بشدة العضد ومجموع[1] البدن يشتد بشدة اليد لأن عامة صنائعه بها ومنها أكثر منافعه ولا كلام في إمكان الحقيقة هنا فيصح جعله كناية تلويحية كما اختاره صاحب الكشاف ويجوز أن يكون مجازاً بطريق إطلاق السبب وإرادة المسبب بمرتبتين كما اختاره المحشي وأما الاستعارة التمثيلية[2] فلا حسن هنا قوله فإن قوة الشخص الخ مائل إلى المجاز المرسل بمرتبتين إذ يراد بالعضد اليد واليد يراد به الكل ولا يراد بالعضد الكل أولاً وإن كان جزءاً لأن الكل لا يشتد به بل باليد كما عرفت فذكر العضد وأريد به اليد مجاز ثم أريد باليد الكل مجازاً فيكون مجازاً بمرتبتين أما الثاني فظاهر وأما الأول فللمجاورة لكن الكناية أقل مؤنة إذ لا مجاز حينئذٍ في العضد ولا في اليد كما عرفته.

قوله: (ولذلك يعبر عنه باليد) أي عن الشخص باليد كما في قوله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ [البقرة: ١٩٥] الآية على وجه وما نحن فيه اليد عبر عنها بالعضد.

قوله: (وشدتها بشدة العضد) وشدتها أي اليد شدة العضد أي يعبر عن شدة الشخص

قوله: فإن قوة الشخص بشدة اليد يريد بيان وجه استعمال ﴿سنشد عضدك بأخيك﴾ بمعنى سنقويك فله طريقان الأول أن يكون مجاز أمر سلام من باب إطلاق السبب على المسبب بمرتبتين فإن أصل سنقويك به ثم سنقوي يدك به ثم سنشد عضدك به فإن تقوية العضد سبب لتقوية اليد وتقوية اليد سبب لتقوية الشخص فذكر السبب وهو تقوية العضد وأريد به مسبب مسببه وهو تقوية الشخص وثانيهما أن يكون استعارة حيث شبه حال موسى في التقوى بأخيه بحال اليد المتقوية بالعضد فجعل موسى كأنه يد مشتدة بعضد شديدة فهذا الوجه مبني على تشبيه موسى باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد فيكون من باب الاستعارة بالكناية لأن المشبه مذكور وهو كاف الخطاب في عضدك والمشبه به وهو اليد مطوي الذكر وأثبت لازم المشبه به وهو العضد للمشبه حيث أضيف إليه فقيل عضدك فهو مثل اظفار المنية نشبت بفلان واختار رحمه الله من هذين الطريقين الطريق الأول لأن قوله فإن قوة الشخص بشدة اليد إشارة إلى علاقة المجاز المرسل التي هي اللزوم هنا وترك الطريق الثاني وهو مذكور في الكشاف.

---

(١) والظاهر أن شدة اليد بشدة البدن دون العكس إلا أن يقال المراد أن شدة البدن تظهر بشدة اليد.

(٢) بأن يقال شبه حال موسى عليه السلام بتقويته بأخيه بحال اليد في تقويتها بيد شديدة.

besturdubooks.wordpress.com

بشدة اليد المعبر عنها بشدة العضد كناية فالمجاز إما يعتبر في العضد واليد أو يعتبر في شدتها فلا تغفل. (غلبة أو حجة أو محاجة).

قوله: (باستيلاء أو حجاج) باستيلاء ناظر إلى قوله غلبة في تفسير سلطاناً قوله أو حجاج ناظر إلى قوله أو بحجة في تفسيره كما أن قوله سنشد إجابة لمطلوبه بقوله ﴿فأرسله معي ردءاً ونجعل لكما سلطاناً﴾ راجع إلى ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص: ٣٤] مع الإشارة إلى قوله: ﴿إني أخاف أن يقتلون﴾.

قوله: (متعلق بمحذوف أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل أي نسلطكما بها) أو بنجعل قوله فلا يصلون بالتفريع على تحقق من مراده فاصلة فلا يحسن التعلق به ولذا قدم الأول قوله أي نسلطكما عليه إشارة إلى أن معنى تعلقه بنجعل تعلقه بسلطاناً لتضمنه معنى التسليط وهو الغلبة.

قوله: (أو بمعنى لا يصلون) قيل ويجوز تعلقه بمعنى[1] النفي أي فينفي وصولهم بمعنى انتفاء وصولهم إذ أصل انتفاء الوصول ثابت قبل هذا ولا يصح تعلقه بلا يصلون بدون ملاحظة معنى النفي لفساد المعنى.

قوله: (أي تمتنعون منهم أو قسم جوابه لا يصلون) والجمع بملاحظة التابعين قوله أو قسم أي الباء في بآياتنا للقسم كما مر في قوله: ﴿بما أنعمت﴾ [القصص: ١٧] الخ فحينئذ المراد بالآيات الآيات التسع أو العصا واليد البيضاء فإن العصا متضمنة لآيات كثيرة قوله

قوله: غلبة أو حجة والسلطان يجيء بمعنى الغلبة وبمعنى الحجة والبرهان ففسره على احتمال كل من معنييه.

قوله: باستيلاء أو حجاج أي محاجة والأول ناظر إلى أن يراد بالسلطان الغلبة والثاني إلى أن يراد به الحجة.

قوله: أو بمعنى لا يصلون أي تمتنعون منهم والامتناع هنا بمعنى التمنع والتحصن والظاهر أن يقول تمتنعان منهم لأن المخاطب اثنان لكن قصدهما ومن معهما فأتى بخطاب الجمع وإنما لم يجوز أن يتعلق بلا يصلون من غير تأويله بفعل مثبت بناء على أن العدم لا يستند إلى علة وسبب بل يكفي فيه عدم العلة والباء التسببية في بآياتنا تقتضي أمراً وجودياً فلذا أوله بفعل مثبت لازم لمعناه.

قوله: أو قسم عطف على قوله متعلق بمحذوف قال صاحب الكشاف ويجوز أن يكون قسماً جوابه لا يصلون مقدماً عليه وحمله شراح الكشاف على المساهلة رداً عليه بأن جواب القسم لا يتقدم عليه ولا يكون فيه فاء ثم قالوا لعل مراده أن ما قبله يدل على أن جوابه محذوف ولذلك قال القاضي جوابه لا يصلون أخذا بالزبدة ولم يقل مقدماً عليه لئلا يرد عليه ما يرد على عبارة صاحب الكشاف فلعله قصد أن جوابه محذوف مقدر بعده وهو لا يصلون لدلالة ما قبله عليه وفي الكواشي

---

(١) مثل قوله تعالى: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ [القلم: ٢].

besturdubooks.wordpress.com

جوابه لا يصلون أي مقدر لا المذكور قبله ولذا لم يقل جوابه فلا يصلون لأن جواب القسم لا يتقدمه ولا يقترن الفاء اخره لاحتياجه إلى التقدير وأيضاً في مثل هذا المقام القسم غير متعارف لا سيما بكلمة الباء إذ عامة القسم المذكور أداته بالواو.

قوله: (أو بيان للغالبون في توله ﴿أنتما ومن اتبعكما الغالبون﴾ [القصص: ٣٥]) أو بيان للغالبون أي لبيان سببه ففيه مسامحة وللاهتمام به قدم أو لرعاية الفاصلة وأما الحصر فلا يناسب المقام.

قوله: (بمعنى أنه صلة لما بينه أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي) صلة لما بينه أي للذي بين الغالبون المذكور إياه أي تغلبون بآياتنا الخ ولا يخفى في تكلفه وهذا بناء على أن ما في حيز الموصول لا يتقدم عليه ولو ظرفاً وقيل إنه يتسع في الظرف ما لا يتسع في غيره واعتبار اللام اسم موصول تارة وحرف التعريف أخرى بناء على الاختلاف فعند الجمهور موصول وعند المازني حرف تعريف.

قوله تعالى: فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّفۡتَرًى وَمَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾

قوله: (﴿فلما جاءهم موسى﴾ [القصص: ٣٦]) وتخصيص موسى عليه السلام بالذكر لأنه أصل في التشريع وهارون عليه السلام تابع له ولأن ظهور الآيات إنما هو في يد موسى عليه السلام ﴿بآياتنا﴾ [القصص: ٣٦] والمراد بها العصا واليد البيضاء ووجه الجمع قد مر آنفاً وتسع آيات كما يؤيده قوله تعالى في النمل: ﴿تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه﴾ [النمل: ١٢] الآية ما هذا أي هذا المذكور من الآيات البينات فالإفراد والتذكير بالتأويل المذكور.

أن علقت بآياتنا بمحذوف تقديره اذهبا إلى فرعون بآياتنا فلا وقف من الرهب إلى هنا وإن علقتها بنجعل أي نجعل لكما سلطاناً بآياتنا فلا يصلون المعنى تمتنعون منهم بآياتنا فالوقف كما رسمت وكذلك إن جعلتهما قسماً لزعم بعضهم جوابه فلا يصلون إليكما مقدماً عليه هذا وفي الكشاف أو لغو من القسم أي لا جواب له لفظاً ولا تقديراً بل جيء به لمجرد التأكيد كقولك زيد والله منطلق قال صاحب الفرائد جوابه محذوف لأن التقدير زيد منطلق والله إن زيداً منطلق وإنما سمي لغواً لأن القائل غير قاصد للقسم وإنما أجري على لسانه بطريق العادة وقال الطيبي رحمه الله هذا لا يجوز في كلام الله المجيد لا سيما من الله تعالى.

قوله: بمعنى أنه صلة لما بينه يعني معنى كونه بياناً له كونه صلة للذي بينه وهو الغالبون المقدر كان سائلاً قال بم الغالبون فقيل بآياتنا أي الغالبون بآياتنا فهو في كونه بياناً كاللام في هيت لك لما قال قائل هيت فقيل لمن وقع التصويت بهيت فقيل لك أي وقع لك.

قوله: أو صلة له على أن اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذي لامتناع تقدم الصلة على الموصول ومعمول الصلة في حكم الصلة في امتناع التقدم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي سحر يختلقه) لاختلاق تفسير مفترى عبر بالفعل المضارع للإشارة إلى أن مفترى بمعنى المستقبل لا بمعنى الماضي لكن الظاهر الفعل الماضي إذ الإشارة إلى الحاضر الموجود إلا أن يقال إن الإشارة إلى النوع والفعل المضارع للاستمرار.

قوله: (لم يفعل قبله مثله) إشارة إلى فائدة هذا القيد وانفهامه منه بمعونة قولهم ﴿وما سمعنا﴾ [القصص: ٣٦] الآية وإلا فالافتراء لا يدل عليه.

قوله: (أو سحر تعلمه ثم تفتريه على الله) أو سحر تعلمه أي تتعلمه من غيرك[١] ثم تفتريه على الله فالافتراء بمعنى الكذب لا الاختلاق كما في الأول وهذا لا يلائم قوله: ﴿وإنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ [الشعراء: ٤٩] الخ وعن هذا اخره.

قوله: (أو سحر موصوف بالافتراء كسائر أنواع السحر) فالصفة حينئذٍ مؤكدة لا مخصصة ولا مفيدة كما نبه عليه بقوله كسائر أنواع السحر وعلى الوجهين الأولين صفة مخصصة قيل ثم الوصف بالافتراء على هذا الوجه ليس على حقيقته لأنه من صفات الأقوال والسحر لا يلزم أن يكون من قبيلها قال المص في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ [النساء: ٤٨] والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق والظاهر من الإطلاق كونه على الحقيقة[٢] فلا تغفل.

قوله: (يعنون السحر أو ادعاء النبوة) أي الإشارة إلى نوع السحر لا إلى ما صدر من موسى عليه السلام وتقدير المثل تكلف وراجع إلى الإشارة إلى النوع وكذا ادعاء النبوة المراد به مطلق ادعاء النبوة وهذا إنكار منهم عناداً وتعصباً إذ الظاهر أن السمع متحقق وأيضاً عدم السمع لا يقتضي عدم الإيمان.

قوله: (كائناً في أيامهم) أشار إلى أن الجار متعلق بمحذوف حال من هذا والمراد بآبائنا الأولين آباؤهم الأبعدون أي أجدادهم إذ آباؤهم الأقربون في حكمهم لكونهم معاصرين أو قريبين لهم.

قوله: سحر تختلقه أي تخترعه وتفتريه فسر رحمه الله قوله: ﴿سحر مفترى﴾ [القصص: ٣٦] بثلاثة أوجه الوجه الأول على أن يكون مرادهم بالسحر السحر المخصوص الذي اختلقه أي اخترعه ولم ينسبه إلى الله تعالى والوجه الثاني على أن يكون المراد به السحر المخصوص أيضاً مع زيادة أمر وهو ما اختلقه ونسبه إلى الله تعالى والوجه الثالث على أن المراد به مطلق السحر فمفترى على الأولين صفة مقيدة وعلى الثالث صفة مؤكدة والوجه الثالث على أصل أهل الاعتزال لأن السحر عندهم حيلة وتمويه لا أثر له في نفسه فكان الواجب عليه رحمه الله عند أخذ هذه الوجوه من عبارة الكشاف ترك الثالث الوارد على خلاف مذهبه.

---

(١) وفي نسخة فتعمله من العمل أي فتعمله أنت ثم تفتريه على الله تعالى قوله: ثم تفتريه ناظر إليهما أو الأخير فقط وفي الأول يلاحظ الافتراء.

(٢) إذ الظاهر من كلامه أنه مشترك اشتراكاً لفظياً بين القول والفعل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٣٧﴾

قوله: (﴿وقال موسى ربي﴾ [القصص: ٣٧] فيعلم أني محق وأنكم مبطلون) وقال الخ جواب على سبيل الإنصاف المسكت للخصم المشاغب وهذا كقوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم﴾ [الرعد: ٤٣] ﴿أعلم﴾ أي عليم بمعنى أصل الفعل إذ لا علم به لغيره إلا أن يقال إن المؤمنين علم به والمراد بمن في بمن جاء بالهدى إما عام لجميع الرسل فيدخل موسى عليه السلام دخولاً أولياً أو موسى عليه السلام قوله فيعلم أنه محق وأنكم مبطلون يؤيد الأول قوله فيعلم الخ يؤيد ما ذكرنا من أن أعلم بمعنى أصل الفعل.

قوله: (وقرأ ابن كثير قال بغير واو لأنه قال جواباً لمقالهم) أي قال إنه جواب عن قولهم إنه سحر فيكون استئنافاً معانياً فلا يحسن العطف.

قوله: (ووجه العطف أن المراد حكاية القولين ليوازن النظر بينهما فيميز صحيحهما عن الفاسد) أن المراد حكاية القولين بلا نظر إلى كون الثاني جواباً للأول فلا مانع من العطف فالعطف في الحكاية الجامعة للقولين لينظر المحكي حالهما حتى يميز السمين عن السقيم وفي كلام المص نوع خدشة إذ قوله لأنه قال جواباً الخ يوهم بحسب الظاهر أنه قرأ بغير واو لقوله إنه جواب وهذا ضعيف إذ القراءة منقولة عن النبي عليه السلام ولا يجوز التصرف من القراء فمراده أن وجه القراءة بدون واو كما اختاره ابن كثير أن هذا جواب الخ والعطف وتركه في كلام واحد بالنظر إلى الحالتين شائع في كلام الفصحاء.

قوله: (العاقبة فإن المراد بالدار الدنيا[1] وعاقبتها الأصلية هي الجنة لأنها خلقت

قوله: لأنه قال جواباً لمقالهم فكان المقام لكونه مقام الاستئناف يقتضي ترك العطف فكأنه قيل ما قال موسى في جوابهم فقيل: ﴿قال موسى ربي أعلم﴾ [القصص: ٣٧] الآية.

قوله: ووجه العطف أن المراد حكاية القولين الخ فهو كما قلت للحكم العدل المميز بين الحق والباطل قال أهل الحق العالم حادث وقال أهل الزيغ العالم قديم بعطف قال الثاني على الأول بالواو والغرض منه أن ينظر ذلك العدل المميز في معنى القولين ويوازن بينهما فيميز صحيحهما عن فاسدهما وبضدها تتميز الأشياء.

قوله: العاقبة المحمودة فإن المراد بالدار الدار الدنيا وعاقبتها الأصلية هي الجنة هذا بيان وجه إرادة الخاص من العام يريد أن المراد بلفظ الدار في عاقبة الدار الدنيا وعاقبتها أي خاتمتها يكون بخير وشر فتخصيصها بالخير وهو العاقبة المحمودة لعدم الاعتداد بالمذمومة فكأن المذمومة لسوئها ونقصها في حكم العدم فكان كأن العاقبة متحصرة في المحمودة.

قوله: لأنها خلقت مجازاً إلى الآخرة أي لأن الدنيا خلقت طريقاً ومحلاً يمر عليه ويتجاوز

---

(١) الدنيا ضد الآخرة ونقيضها.

besturdubooks.wordpress.com

مجازاً إلى الآخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب) العاقبة أي المحمودة وأطلقت لأن العاقبة الغير المحمودة كلا عاقبة فلذا لم يقيد بالمحمودة مع أنها المراد وإلى ذلك أشار بقوله وعاقبتها الأصلية هي الجنة الخ.

قوله: (والعقاب إنما قصد بالعرض وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء) والعقاب إنما قصد[1] بالعرض[2] لأنه لم يجعل علة لخلق الدنيا والآخرة كالإثابة كان عقاب الكفرة داء ساقه إليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم فالعاقبة تنصرف إلى الفرد الكامل وهو[3] العاقبة المحمودة والجنة الموعودة وإلى ذلك أشير في قوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ [القصص: ٣٧] كما نبه عليه المص بقوله: لا يفوزون.

عنه إلى الجنة ليست مقصودة بالذات بل هي مقصودة بالعرض أوجدها الله تعالى قنطرة إلى دار المجازاة بالأعمال وفي الكشاف قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازاً إلى الآخرة وأراد بعباده أن لا يعملوا فيها إلا الخير وما خلقهم إلا لأجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فإذن عاقبتها الأصلية هي عاقبة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لأنها من نتائج تحريف الفجار قوله إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه هذا دفع لرجوع ثاني كلاميه على الأول بالنقض من حيث إن الأول لا يجوز وجود إله غيره والثاني يجوزه قال الطيبي رحمه الله ويمكن أن يقال إن الظاهر أن كلامه الأول كان تمويهاً وتلبيساً على القوم والثاني مواضعة مع صاحب سره هامان واثبات الظن في الثاني لا يدفع أن يكون نفي العلم عنه من إشراف إلى انحدار قوله وهذا من خواص العلوم الفعلية فإن العلوم الفعلية مقدمة على وجود المعلومات فعدم تعلق العلم بها لعدم تحققها في أنفسها بخلاف العلوم الانفعالية فإنها إنما تتعلق بالمعلومات بعد وجودها ولا يتعلق أيضاً بجميع المعلومات يجوز أن تتعلق بمعلوم دون معلوم فلا يلزم من انتفاء العلم الانفعالي انتفاء المعلوم إذ يجوز أن يكون المعلوم موجوداً ولا يتعلق به العلم الانفعالي فلا يصح أن يراد بنفي العلم الانفعالي نفي المعلوم ويصح ذلك في العلم الفعلي فحين ادعى فرعون لنفسه الألوهية يجوز أن يزعم أن له علماً متعلقاً بالجميع ويتمسك بنفي علمه إلى نفي المعلوم ومن ثمة طغى وتكبر وقال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات: ٢٤] وقال: ﴿أوقد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقل اطبخ لي الآجر تعاظماً كما قال من له العظمة حقيقة ومن تعاظمه نداؤه لوزيره باسمه وبحرف النداء وتوسيط ندائه خلال الأمر وبما ذكرناه خرج الجواب عن طعن صاحب الانتصاف في جعل نفي العلم في كلام فرعون عبارة عن نفي المعلوم بأن هذا لا يعم كل تعلق بمعلوم وقياسه على قوله تعالى: ﴿أتنبئونه بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ [يونس: ١٨] قياس مع فارق لأن هذا التعبير أي التعبير عن نفي المعلوم بنفي العلم لا يكون إلا في علم الله تعالى لعموم تعلقه بجميع المعلومات حتى لا يعزب عنه مثقال ذرة وعلم

---

(١) أي بواسطة تحريف الكفار هذه العاقبة الأصلية بالكفر والمعاصي.

(٢) وهذا أولى مما قيل فإنه للتعريض إلى ما يوصل إلى الثواب بالإضافة منه فإن هذا بالنظر إلى الوعد والوعيد والكلام في نفس الثواب والعقاب لأنهما العاقبة.

(٣) والمراد بعاقبة الدار عاقبة أهل الدار وهو أن يختم بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لا يفوزون بالهدى في الدنيا وحسن العاقبة في العقبى) بالهدى ناظر إلى قوله أعلم بمن جاء بالهدى قوله وحسن العاقبة ناظر إلى قوله ومن تكون له عاقبة الدار فيكون في النظم صنعة الطباق وقيل ففيه شبه اللف والنشر.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾

قوله: (﴿وقال فرعون﴾) وجه العطف ما مر فيما قبله إذ ظاهره الاستئناف لما بين تعالى جواب موسى عليه السلام على وجه يقطع الشبهات بالمرة شرع في بيان مقال فرعون مع الإشارة إلى أنه عجز عن محاجة موسى عليه السلام وانتقل إلى كلام آخر كما هو ديدن المحجوجين.

قوله: (نفى علمه بإله غيره دون وجوده إذ لم يكن عنده ما يقتضي الجزم بعدمه ولذلك أمر ببناء الصرح ليصعد إليه ويطلع على الحال بقوله: ﴿فأوقد لي يا هامان﴾ [القصص: ٣٨] الآية) نفى علمه بإله غيره وجه نفيه تمهيداً لما سيأتي من بناء الصرح كما قرره المص وقد قيل إنه دهري والسموات والأرض موجودتان بالذات وقيل إنه عارف بربه وتقرير المص لا يطابق شيئاً منهما فالظاهر أن نفي علمه كناية عن نفي وجوده فيوافق القول بأنه دهري فحينئذٍ قوله: ﴿لعلي أطلع﴾ [القصص: ٣٨] الخ من قبيل المماشاة قوله في سورة الشعراء: ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٩] يؤيده بنوع التأييد والمراد بالطين اللبن أي اتخذ لبناً وأصنع آجر إذ الإيقاد المستعلي على الطين مستلزم كونه آجراً.

قوله: (كأنه توهم أنه لو كان لكان[1] جسماً في السماء يمكن الترقي إليه) كأنه توهم

المخلوقين ليست له هذه الدرجة فلا يلزم من انتفائه انتفاء المعلوم حتى يعبر عنه ويتمسك به عليه قوله ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم لا من عظم كما وقع في بعض النسخ من لفظ تعظيم وفي الكشاف لم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لأنه أول من عمله الآجر فهو يعلمه الصنعة ولأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن وعلو طبقته وأشبه بكلام الجبابرة وأمر هامان وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظم والتجبر قال صاحب المثل السائر فانظر إلى قوله تعالى: ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ [القصص: ٣٨] فإنه لما جيء بما يقتضي أن يذكر لفظ الاجر عدل منه إلى هذه العبارة ولم يذكر لفظ القرمد كما فعل النابغة:

أو دمية في مرمر مرفوعة ... ثبتت بآجر أشاد بقرمد

فإن أولى العبارتين مبتذلة سخيفة متداولة بين العامة والثانية متنافرة وحشية غريبة يضعان الكلام من قدره.

---

(١) لو هنا بمعنى أن.

besturdubooks.wordpress.com

أنه لو كان لكان الخ هذا الكلام مفيد لنفي الوجود فلا يلائم أول كلامه وجه التوهم قياسه على الشاهد قوله في السماء خصه به لأنه لعلوه لكان له مكاناً عالياً قوله يمكن الترقي إليه لقوله: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ [القصص: ٣٨].

قوله: (ثم قال ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾) الظن بالمعنى اللغوي وهو ما لا يكون جاز ما سواء كان راجحاً أو مرجوحاً أو مساوياً لا بالمعنى المتعارف وهو الاعتقاد الراجح كذا قيل ولم يبين وجهه ولا يعرف مانع من الحمل على المعنى المصطلح ثم المراد بهذا كأنه اعتذار من الأمر ببناء الصرح ولذا أكده بتأكيدات.

قوله: (أو أراد أن يبني له رصد يترصد منها أوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على بعثة رسول وتبدل دولته) أو أراد الخ عطف على قوله كأنه توهم أو عطف على معنى قوله ولذلك أمر ببناء الصرح فإن المعنى أراد أن يبني له صرحاً ليصعد إليه والرصد معروف عند أربابه يترصد منها أي من الرصد فالتأنيث للتأويل بالمواضع المرتفعة وفيه ضعف لأن قوله ﴿أطلع إلى إله موسى﴾ يأبى عنه وتقدير المضاف تكلف بأن يقال إن المراد أطلع إلى حكم إله موسى مع أن السباق قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾ [القصص: ٣٨] لا يلائمه لأنه إذا لم يعلم إله غيره فالتجسس بالحكم له لا يرى له وجه وأيضاً الترصد بأوضاع الكواكب يحتاج إلى معرفة دقائق علم الهيئة وفرعون رجل أبله وأحمق فأنى له الترصد بأوضاع الكواكب إلا أن يقال إن الإسناد إليه مجاز والمراد غيره من الماهر بذلك وهو بعيد جداً.

قوله: (وقيل المراد بنفي العلم نفي المعلوم كقوله تعالى: ﴿أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ [يونس: ١٨] فإن معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فإنه لازمة لتحقق معلوماتها فلزم من انتفائها انتفاؤها ولا كذلك العلوم الانفعالية) وقيل المراد بنفي العلم الخ أي المراد به كناية لأن عدم الوجود من أسباب عدم العلم في الجملة واللزوم العرفي متحقق هنا وهو المعتبر عند أرباب البلاغة دون اللزوم العقلي ومثل قولهم لا أعلم كذا بمعنى أنه لم يوجد وهو شائع في لسان العامة والخاصة ولذا قال الفقهاء إذا قال المزكي إذا سئل عن عدالة الشهود لا أعلم هذا كان تزكية مع أنه علم انفعالي كيف لا وهو يدعي الألوهية فعامل بعلمه معاملة علم الله تعالى في أنه لا يعزب عن علمه شيء وبه تتم الدلالة كذا قيل والاكتفاء يمنع أن العلم الانفعالي لا يكون مثل العلم الفعلي أحسن والقول بأنه يدعي الألوهية الخ تركه حسن بل صواب يعرف وجهه بالتأمل الصائب العلم الفعلي ما كان سبباً لوجود معلومه في الخارج والانفعالي خلافه أي العلم الذي يكون مستفاداً من الخارج فإذا كان العلم الانفعالي مستفاداً من الخارج يكون نفي ذلك العلم مستلزماً لنفي المعلوم حتى كثر في كلامهم لا أعلم شيئاً أي لا يكون موجوداً إذ لو كان موجوداً لعلمناه وكذا نفي الرؤية مستلزم لنفي المرئي وهو شائع في المحاورات فقوله ولا كذلك العلوم الانفعالية ممنوع وقد عرفت أنه دهري كافر منكر

besturdubooks.wordpress.com

بالصانع فلا جرم أن مراده نفي المعلوم وقد عرفت أيضاً أن قوله: ﴿لعلي أطلع إلى إله موسى﴾ [القصص: ٣٨] من باب[1] مجاراة الخصم.

قوله: (قيل أول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك أمر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه بيا في وسط الكلام) قيل أول الخ استدل عليه بقوله ولذلك أمر الخ يعني أمره بقوله: ﴿فأوقد لي على الطين﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقل اطبخ لي الآجر ونحوه فقوله أوقد لي الخ تعليم صنعة الآجر قوله مع ما فيه من تعظيم أي في الأمر من تعظيم فإنه كان وزيره فأمره بالإيقاد على الطين الذي هو عمل أسافل الناس فهو تعظيم منه والكل ضعيف أما أولاً فلأن قوله: ﴿فأوقد لي﴾ [القصص: ٣٨] لا يدل على صنعة تعليم صنعة الآجر قال تعالى: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ [الرعد: ١٧] الآية فكما لا يدل هذا على تعليم صنعة ذلك لا يدل أيضاً ذلك على التعليم وأما ثانياً فلأن الأمر بهامان وإسناد البناء إليه مجاز عقلي كما صرح به أئمة المعاني والخطاب أولاً للملأ ثم الخطاب ثانياً لهامان يشعر نوع التعظيم به والنداء باسمه لكمال التمييز من الملأ المذكورين أولاً وتوسيط الكلام للمبادرة إلى دفع اشتباه كون الأمر لغيره من الملأ ولعل لهذا مرضه ولم يرض به مع أنه قليل الجدوى وخلاف الفحوى وقيل قاله اللعين بعدما جمع السحرة وتصدى للمعارضة فكان من أمرهم ما كان من المغلوبية انتهى فحينئذٍ لا يبعد أن يكون ذلك المقال لكمال الحيرة والتنزل عن ادعاء السلطنة كما قال ماذا تأمرون فأنى له التعظيم في تلك الحالة الهائلة الداعية إلى التنزل عما كان فيه.

قوله: ولذلك نادى هامان باسمه ينافي وسط الكلام أي واقصد التعظم والتجبر نادى هامان باسمه فإن ذكر شخص باسمه وتصريحه به تعظم وتجبر عليه خصوصاً إذا ذكره بيا الدالة على البعيد قال صاحب المفتاح يا في مثل هذا المقام تبعيد للمنادى وايذان بالتهاون به خصوصاً إذا ذكره في وسط الكلام بعد الأمر بالايقاد والمعهود المتعارف في النداء أن ينادي الرجل أولا وينبه ويوقظ عن سنة الغفلة ثم يؤمر وقد خالف المعهود بتأخير نداء المأمور عن الأمر تهويناً للمأمور بتأخير ذكره وتعظماً عليه روي أنه لما أمر ببناء الصرح جمع هامان حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء وأمر بطبخ الاجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان أحد من الخلق وكان الباني لا يقدر أن يقوم على رأسه فبعث الله جبرائيل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت ألف ألف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد من عماله إلا قد هلك ويروى في هذه القصة أن فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فأراد الله أن يفتنهم فردت إليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت إله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله أعلم بصحته وإن صح ما حكي من رجوع النشابة إليه ملطوخة بالدم فهو تهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة.

---

(١) فلا منافاة بينهما لأن قوله: ﴿لعلي اطلع إلى إله موسى﴾ بناء على أن موسى عليه السلام يدعي إلهاً ولذا أضاف إلى موسى عليه السلام.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾﴾

قوله: (بغير استحقاق) هو حاصل المعنى إذ ما فعل على بطلان لا يكون إلا بدون استحقاق وهذا أولى من جعل الحق بمعنى الاستحقاق مجازاً وهذا القيد بمنزلة التأكيد إذ الاستكبار ما يكون بدون سبب وقيد في الأرض لإفادة شمول استكباره في جميع الأرض التي ملكها.

قوله: (﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ [القصص: ٣٩] بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم) وظنوا أنهم عبر عن اعتقادهم بالظن تسفيهاً لهم وتجهيلاً قوله بالنشور احتراز عن الرجوع بالموت فإنه لا ينكره أحد.

قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

قوله: (فأخذناه) الفاء للسببية ﴿فنبذناهم في اليم﴾ [القصص: ٤٠] الفاء لتفصيل الأخذ تنبيهاً على أن المراد بالأخذ الإهلاك والتعبير بالأخذ للمبالغة.

قوله: (كما مر بيانه وفيه فخامة وتعظيم لشأن الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنهم أخذهم مع كثرتهم في كف وطرحهم في اليم) كما مر بيانه أي في سورة الشعراء قوله وفيه أي في هذا النظم الجليل فخامة أي إظهار العظمة حيث عبر بضمير العظمة والتعبير بالأخذ عن الإغراق والإهلاك والتعبير بالنبذ لأنه طرح الأمر الحقير بأطراف اليد مثلاً فنبذنا كناية عن الإغراق أو من باب التمثيل إذ المراد كما عرفته الإغراق قوله كأنهم الخ يرجح الاستعارة التمثيلية ويحتمل أن يكون استعارة مكنية وتخييلية شبهوا بالأمر الحقير المطروح وأثبت لهم النبذ.

قوله: (ونظيره ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧]) الآية ونظيره أي في كونه استعارة تمثيلية وهذا يؤيد كون ما نحن فيه استعارة تمثيلية لأنه قال هناك ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل الخ وكذا هنا حتى يكون ذلك نظيره.

قوله: (يا محمد) أو يا من يصلح للخطاب والمراد بالظالمين فرعون وجنوده أظهر

قوله: وفيه فخامة أي في قوله: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾ [القصص: ٤٠] فخامة وتعظيم لشأنه تعالى حيث شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ [المرسلات: ٢٧] ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة﴾ [الحاقة: ١٤] ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾ [الزمر: ٦٧] وما هي إلا تصويرات وتمثيلات لاقتداره وأن كل مقدور وإن عظم وجل فهو مستصغر إلى جنب قدرته.

besturdubooks.wordpress.com

في موضع المضمر تسجيلاً على كفرهم وظلمهم على أنفسهم وعلى غيرهم ولم يعبروا بالكافرين للإشعار بأن ما أصابهم لظلمهم دون لكفرهم فقط كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى﴾ [هود: ١١٧] الآية.

قوله: (وحذر قومك عن مثلها) ولهذا خص النداء به عليه السلام لكن العموم له ولعلماء أمته أولى إذ المقصود من الأمر التحذير وهو عام.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾﴾

قوله: (قدوة للضلال بالحمل على الإضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ [الزخرف: ١٩]) قدوة للضلال جمع ضال بوزن نصار جمع ناصر قوله بالحمل على الإضلال متعلق بقوله جعلنا وهذا على مذهب أهل السنة من أن أفعال العباد خيراً كانت أو شراً إيماناً كانت أو كفراً مخلوقة لله تعالى ومن جملة أدلتهم هذه الآية والمعتزلة مضطربون في مثل هذه الآية وقد بين المص في قوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [البقرة: ٧] الآية وأشار إلى بعض تأويلاتهم بقوله وقيل بالتسمية أي معنى جعلنا هنا بمعنى سمينا كقوله تعالى: ﴿وجعلوا الملائكة﴾ [الزخرف: ١٩] أي سموهم إناثاً وكذا هنا وهذا من قبيل الجعل والتصيير قولاً فهو حقيقة قال في قوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ [البقرة: ٢٢] والتصيير يكون تارة بالفعل وتارة بالقول وبالعقد مرضه لأنه صرف النظم عن الظاهر بلا داع وحمله تعالى على الإضلال بصرف العبد إرادته الجزئية إلى الإضلال فلا جبر.

قوله: (أو بمنع الألطاف الصارفة عنه) هذا تأويل آخر لهم أي معنى جعلهم

قوله: قدوة للضلال بالحمل على الاضلال أي جعلناهم قدوة لأهل الضلال بحملنا إياهم على الاضلال.

قوله: وقيل بالتسمية قائله الزمخشري حيث قال في تفسير ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ معناه ودعوناهم أئمة دعاة إلى النار وقلنا إنهم أئمة دعاة إلى النار كما يدعي خلفاء الحق أئمة دعاة إلى الجنة وهو من قولك جعله بخيلاً وفاسقاً إذ ادعاه وقال إنه بخيل وفاسق ويقول أهل اللغة في تفسير بخله وفسقه جعله بخيلاً وفاسقاً ومنه قوله عز وعلا: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ [الزخرف: ١٩] ومعنى دعوتهم إلى النار دعوتهم موجبتها من الكفر والمعاصي وقال محيي السنة وجعلناهم أئمة قادرة رؤساء يدعون إلى النار وقال الإمام قد تمسك الأصحاب بها في كونه تعالى خالقاً للخير والشر قال صاحب الانتصاف لا فرق عندنا بين قوله: ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ [الأنعام: ١] ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ [الإسراء: ١٢] وبين هذه الآية فمن حمل الجعل على التسمية ههنا فهو بمثابة من حمله على التسمية هنا هذا ولما كان تفسيره بجعلناهم قادرة رؤساء الضلال على ما هو ظاهر معناه مخالفاً لأصل أهل الاعتزال لدلالته على خلق الشر عدل الزمخشري عن ظاهره ففسره بالتسمية تارة وبخذلانهم أخرى.

قوله: أو بمنع الالطاف عطف على قوله بالتسمية أو بالحمل أي جعلناهم قدوة للضلال بمنع

besturdubooks.wordpress.com

ضالين مضلين منعهم عن اللطف والتوفيق للطاعة[١] مع أنهم يدعون أن اللطف يجب على الله تعالى.

قوله: (إلى موجباتها من الكفر والمعاصي بدفع العذاب عنهم) إلى موجباتها بكسر الجيم بمقتضى الوعيد فالنار مجاز عن سببها أو يقدر المضاف إذ الدعوة ليست إلا سببها إلا أنه لكماله في السببية كأنه عين المسبب قوله بدفع العذاب عنهم إذ النصرة في الأصل مختص بدفع المضرة ودفع العذاب عنهم إما مجاناً وهو الشفاعة أو قهراً أو مكافأة لما أحسنه والكل منتف وإن كان النصرة ظاهرة في الدفع قهراً وهو لاستمرار النفي في عموم الأوقات.

قوله تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله: (طرداً عن الرحمة أو لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون) طرداً عن الرحمة أي التوفيق والهداية لأنه رحمة عظيمة قوله ولعن اللاعنين الخ فأو لمنع الخلو فيسوغ الجمع.

قوله: (من المطرودين) يقال قبحه الله تعالى أي نحاه عن الخير وأبعده كذا ذكره الراغب والظاهر أنه حقيقة فيه ولا يتوهم التكرار لأن الأول في الدنيا وهذا في الآخرة.

قوله: (أو ممن قبح وجوههم) يوم تسود وجوه الأشقياء وتبيض وجوه السعداء فالمعنى الأول ناظر إلى المعنى الأول للعنة في الدنيا والثاني إلى الثاني أخره لأن المعنى الأول مأخوذ من قبحه الله تعالى أي نحاه عن الخير فهو مقبوح وأما الأخذ من قبح

الطافنا عنهم الصارفة لهم عن الاضلال وجعل صاحب الكشاف في وجه لفظ جعلنا مجازاً في معنى الخذلان حيث قال ويجوز خذلانهم حتى كانوا أئمة الكفر ومنع الخذلان منع الألطاف وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية لأن منع الألطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا أئمة فيه دعاة إليه وإلى سوء عاقبته إلى هنا كلامه فسرها على وجهين الوجه الأول أن يكون بمعنى وجعلناهم مسمين بالأئمة مدعوين بها والثاني أن يكون بمعنى خذلناهم حتى كانوا أئمة الكفر وأول الخذلان بمنع الألطاف قال الطيبي رحمه الله الوجه الأول قول الجبائي وهذا قول الكعبي يريد أن مؤدى قوله: ﴿وجعلناهم أئمة﴾ من حيث التأويل إلى هذا المعنى وهو خذلناهم حتى كانوا أئمة وإنما قال وإنما يمنعها من علم أنها لا تنفع بناء على أن رعاية الأصلح واجبة وهو منح الألطاف وهم إنما خذلوا ومنع عنهم الالطاف من جهة أنفسهم وهو تصميمهم على الكفر ولعمري إن هذا التعسف لا يرتكبه إلا من عمي عن الجادة تم كلامه فعلى هذا يكون في قول القاضي رحمه الله أو بمنع الألطاف الصارفة عنه فوحة من أصل أهل الاعتزال فكان الأولى له أن لا يتعرض به تجنباً عن المشي اثر من مال عن الطريق.

---

(١) إشارة إلى المنافاة بين القولين لهم.

besturdubooks.wordpress.com

وجوههم فمشكل لأنه لازم فبناء اسم المفعول منه غير ظاهر إلا أن يقال إنه من قبيل الحذف والإيصال قوله أو ممن قبح وجوههم إما معلوم من الثلاثي أو مجهول من التفعيل أو من الثلاثي بحذف الجار وعلى الوجهين فيه إشارة إلى أن الإسناد في المقبوحين مجاز.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾

قوله: (التوراة) فاللام للعهد للقرينة وهو أول كتاب فصل فيه الأحكام[١] بعد اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها وأحكامها كما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿من بعد ما أهلكنا﴾ [القصص: ٤٣] الآية فإنه بعد إهلاكهم اندرس معالم الأحكام فاحتيج إلى شرع جديد بين فيه الأحكام المؤدية إلى نظام العالم وصلاح المعاد وانطماسها يؤدي إلى الاختلال في المبدأ والمعاد. **(أقوام نوح وهود وصالح ولوط)**.

قوله: (أنواراً لقلوبهم يتبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل) أنواراً لقلوبهم لأن البصيرة هي إدراك القلب والإدراك نور يتخلص به عن ظلمات الجهل والأوهام فقوله أنواراً[٢] استعارة لتلك الإدراكات قوله يتبصر بها الخ تنبيه على ما قلنا قوله ويميز بين الخ بيان فائدة تبصر الحقائق فإن بعض الحقائق حق واجب الاتباع وبعضها باطل واجب الاجتناب ولا يعرف العقل وحده ذلك فبين الله تعالى بإنزال الكتاب حين مساس الحاجة إليها تذكرة لأولي الألباب وهدى أفرد مع جمع البصائر لأنه مصدر.

قوله: (إلى الشرائع التي هي سبل الله تعالى) أي هدى بمعنى الهداية وهي الدلالة على ما يوصل إلى البغية وهي هنا الشرائع التي هي سبل الله تعالى فمن سلك فيها يصل إلى رضاء الله تعالى أشار به إلى أنه هاد إلى الله تعالى في الحقيقة لأنه المقصود والشرائع وسائل.

قوله: (لأنهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله) فيه إشارة إلى أن كونه رحمة مجاز لكونه سبباً لمن عمل به للرحمة ووصولها وعطف رحمة ظاهر وأما عطف هدى فلتنزيل تغاير الصفات منزلة تغاير الذوات وهذا في الرحمة ظاهر وانتصاب الكل على الحالية من الكتاب على الاتساع أو على تقدير المضاف أي ذا بصائر والتقديم إذ الإدراك مقدم رتبة لكونه مقصوداً ثم الهداية مقدمة على الرحمة.

قوله: (ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر) فيه إشارة إلى أن الكلام استعارة

قوله: أنواراً لقلوبهم لأنها كانت عمياء لا تستبصر ولا تعرف حقاً من باطل.

---

(١) وهذا تأويل ما قاله أبو حيان وهو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض والأحكام.

(٢) الأولى اضواء بدل أنواراً كما ذكر في سورة الأنبياء.

besturdubooks.wordpress.com

تمثيلية وحاصله ليكونوا على حالة قابلة للتذكر كحال من يرجى منه ذلك فإن الرجاء باعث للتذكر.

قوله: (وقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت) والمفسر صاحب الكشاف حيث جعله استعارة تبعية بتشبيه الإرادة بالترجي لكون كل منهما سبباً للوقوع في الجملة ولم يرض به المص لما عرفت من لزوم تخلف المراد عن الإرادة وهو محال في شأنه تعالى إلا أن يقال إنه يكفي تذكر البعض لكنه ضعيف والأقرب أن نسبة التذكر إلى الجميع مجاز عقلي والمراد بعضه فيكون من قبيل إسناد ما للبعض إلى الكل فالإرادة بالنسبة إلى ذلك البعض وهذا أولى من أن يقال إن للإرادة معنيين تفويضية وهي قد يتخلف عن المراد وقسرية وهي لا يتخلف المراد عنها وقد أراد الزمخشري هنا المعنى الأول وفي قوله إذا كان أراد الله شيئاً كان أراد المعنى الثاني فلا إشكال بتنافر قوليه وهكذا وجهوا مرادهم بقولهم إن الله تعالى أراد من الكافر الإيمان ومن العاصي الطاعة فلا ضير عند المعتزلة في تخلف المراد عن إرادته تعالى وهذا توجيه لكلام الزمخشري لكنه مخالف لمذهب أهل السنة ولذا لم يرض به المص ولو حمل الترجي على كونه من المخاطب كما اختاره بعض المحققين لكان أسلم من المناقشة سواء كان لعل حينئذٍ حقيقة أو مجازاً.

قوله تعالى: وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾

قوله: (يريد الوادي أو الطور فإنه كان في شق الغرب من مقام موسى عليه السلام أو الجانب الغربي منه) يريد الوادي أي يريد بجانب الوادي(١) أو يريد بالغربي الوادي بناء على أن المراد المكان فحينئذٍ يكون الإضافة من إضافة الموصوف إلى صفته على ما اختاره الكوفيون فالأول هو الراجح قوله أو الطور أي جبل طور سيناء قوله فإنه أي كل منهما على

قوله: فقد فسر بالإرادة وفيه ما عرفت هذا رد على من أخرج كلمة لعل عن معناها الحقيقي الذي هو الترجي وجعله مجازاً مستعاراً عن الإرادة تشبيهاً لها بالترجي كما فعله صاحب الكشاف في وجه ومحصل الرد أنه لا يلزم من وقوع الرجاء غاية لايتاء الله الكتاب أن يكون تعالى موصوفاً بالرجاء حتى يتكلف فيه بجعله مجازاً عن الإرادة لجواز أن يكون الترجي على حقيقته ويراد بالرجاء رجاء موسى أو رجاء المؤمنين ممن يدعي بالكتاب أن يتذكر على ما فسره رحمه الله بقوله ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر.

قوله: وهدى إلى الشرائع أي دلالة وإرشاداً إلى الشرائع لأنهم كانوا يخبطون في ضلال.

قوله: يريد الوادي أو الطور وفي الكشاف الغربي المكان المرتفع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور وكتب الله له في الألواح.

---

(١) كذا قاله المحشون والظاهر الثاني لأن الغربي وصف وموصوفه محذوف وهو الوادي أو الطور وفي الكشاف المكان الغربي قوله أو الجانب الغربي إشارة إلى أن المراد بجانب الغربي الجانب الغربي على أن الجانب موصوف أضيف إلى صفته.

besturdubooks.wordpress.com

سبيل البدل قوله منه أي من مقام موسى عليه السلام فمن للبيان أو من الوادي أو الطور ومن ابتدائية فظهر الفرق بين الأول وبين هذا إذ في هذا بعض الوادي أو بعض الطور وفي الأول مجموعهما وينبغي أن يعد هذا على الأول.

قوله: (والخطاب للرسول عليه السلام أي ما كنت حاضراً ﴿إذ قضينا﴾ [القصص: ٤٤]) الآية لأن هذا شروع في بيان أن إنزال القرآن في مساس الحاجة إثر بيان أن إنزال التورية كان في زمان يحتاج الناس إلى الإنزال وقد بدأ به فإنه لتحقيق أن القرآن وحي نازل من عند الله إذ الإخبار بهذا ممن لم يتعلم ولم ينشأ قريضاً لا يكون إلا بالوحي أي ما كنت حاضراً ومع هذا أخبرتهم على وجه نطق به كتابهم وتواتر فيما بينهم وهذا لا يكون إلا بالوحي فيتضح فائدة الخبر.

قوله: (﴿إذ أوحينا إليه﴾ الأمر الذي أردنا تعريفه) إذ أوحينا أي قضى بمعنى أوحى لأنه من قبيل إتمام الشيء قولاً قوله أردنا تعريفه أخرج الأمر عن العموم إذ ليس الأمر كله موحى بل الأمر الذي أريد تعريفه.

قوله: (﴿وما كنت من الشاهدين﴾ [القصص: ٤٤] للوحي إليه أو على الوحي إليه وهم السبعون المختارون للميقات) ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ [القصص: ٤٤] وهذا كالتأكيد لما سبق فإنه عليه السلام لما لم يكن حاضراً حين الوحي إلى موسى عليه السلام علم أنه عليه السلام لم يكن من الشاهدين للوحي إليه أي الشاهد من الشهود بمعنى الحضور وهم السبعون الخ قد مر قصتهم في سورة الأعراف.

قوله: (والمراد الدلالة على أن إخباره عن ذلك من قبيل الإخبار عن المغيبات التي لا تعرف إلا بالوحي ولذلك استدرك عنه بقوله):

قوله: إذ أوحينا إليه الأمر الذي أردنا تعريفه فالأمر المقضي لموسى هو الوحي الذي أوحي إليه.

قوله: للوحي أو الموحى إليه تقدير لمتعلق الشهادة على كل من محتمليه أي ما كنت حاضراً في المكان الذي أوحينا إلى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين للوحي وهم نقباؤه السبعون الذين اختارهم للميقات حتى تقف على ما جرى من أمر موسى في ميقاته وكتبه التورية له في الألواح وغير ذلك.

قوله: والمراد الدلالة الخ هذا بيان ربط قوله تعالى: ﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ [القصص: ٤٥] فتطاول عليهم العمر بما قبله فوجه اتصاله به على ما قرره هو ذكر سبب إرسال رسول الله ﷺ بعد موسى وهو تطاول زمان انقطاع الوحي واندراس العلوم والشرائع وتغيرها كأنه قال وما كنت شاهداً لموسى وما جرى عليه ولكنا أوحينا إليك وأرسلناك وأفضنا عليك العلم بقصص الأنبياء وقصة موسى فذكر سبب الوحي وهو إطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله تعالى في اختصاراته فإذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده وفيه أن إخباره ﷺ عن ذلك من قبيل الإخبار عن

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

(﴿ولكنا أنشأنا قروناً﴾ [القصص: ٤٥]) الآية والمراد الدلالة الخ وقد أوضحناه آنفاً وهذا نظير قوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب﴾ [هود: ٤٩] الآية وفيه تنبيه على أن ما ذكر ليس المراد به الإخبار به لأنه ظاهر فالمراد الدلالة المذكورة والقرينة على ذلك ما ذكرناه من أن ما أخبر به لا يعلم إلا بعلم أو مشاهدة أو نقل متواتراً والأخيران منتفيان والتعلم أيضاً منتف لم يذكره لظهوره فتعين أنه بالوحي فيدل على نبوته وهذا هو المقصود هنا.

قوله: **(أي ولكنا أوحيناه إليك لأنا أنشأنا قروناً مختلفة بعد موسى عليه السلام)** أشار به إلى أن كونه استدراكاً بملاحظة هذا التقدير فإن التوهم الناشىء مما قبله إنما يدفع بهذا المقدر فأقيم علته مقامه كما ذكره وحاصله ما كنت حاضراً لكنك علمته بالوحي وعلة ذلك أن الزمان تطاول فانطمس آثار الوحي واندرس أحكام الشرع فأرسلناك بالقرآن تبياناً لكل شيء بالبرهان وهذا خلاصة ما ذكره المص فعلم أن بيان إن بعثة موسى عليه السلام بعد إهلاك القرون لمساس الحاجة الداعية إليه تمهيد لبيان أن إرسال الرسول عليه السلام بالقرآن لمساس الحاجة إلى الإرسال فهذا كقوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة﴾ [المائدة: ١٩] الآية ففي هذه الآية امتنان على الأمة بأن بعث إليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا أحوج ما يكون إليه.

قوله: **(فتطاولت عليهم المدد)** وهي جمع مدة تفسير لقوله فتطاول عليهم العمر فإنه مستلزم لتطاول مدة أي تطاول مدة الوحي ولم يبعث فيه نبي يجدد الشرع فكان ذلك سبباً للتحريف وتغيير الشرع فمست الحاجة إلى إرسال الرسول عليه السلام.

قوله: **(فحرفت الأخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك وأقيم سببه مقامه)** فحذف المستدرك لظهوره وللإيجاز وهو كثير في كلامهم وقد يقع في القرآن أيضاً.

قوله: **(مقيماً)** تفسير ثاوياً **(شعيب والمؤمنين به)**.

قوله: **(تقرأ عليهم للتعلم منهم)** تقرأ أي تتلو من التلاوة لا من التلو قوله للتعلم لأنه عليه السلام لو فرض وجوده في ذلك الزمان لا يكون قراءته إلا للتعلم ولذا حملها عليه وفيه رد لتوهم سماعه عليه السلام منهم بطريق التعلم.

قوله: **(التي فيها قصتهم)**[1] أي قصة القرون الأولى ولقرب عهد أهل مدين بزمن موسى عليه السلام خصوا بالذكر.

المغيبات التي لا توقف عليها إلا بالوحي فإن الإخبار عن الماضين مع تطاول الوحي العهد ونسيان الذكر مع عدم شهود أحوالهم لا يكون إلا بوحي من الله تعالى وإعلام منه.

---

(١) وقيل قصة أهل مدين ولا يخفى ضعفه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (إياك) مفعوله المحذوف إذ الخطاب معه عليه السلام.

قوله: (ومخبرين لك بها) لتخبر بها قومك معجزة لك لكونها من المغيبات قوله ولكنا كالاستدراك السابق لكنه لا حذف فيه أي ما كنت حاضراً فيه ولكنك علمته بالوحي إليك تلك الآيات ونظائرها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله: (لعل المراد به وقت ما أعطاه التوراة وبالأول حيث ما استنبأه لأنهما المذكوران في القصة) لعل المراد الخ لئلا يلزم التكرار ولم يعكس في دفع التكرار لرعاية الترتيب الوقوعي قوله لأنهما الخ أما الثاني فبقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ [القصص: ٤٣] الآية وأما الأول فبقوله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾ [طه: ١١] إلى آخره وهذا أولى لكونه على طريق اللف والنشر المرتب وعكسه على طريقة اللف والنشر الغير المرتب ولا داعي إليه وكون كل منهما برهاناً مستقلاً على أن حكايته عليه السلام القصة بطريق الوحي الإلهي ظاهر كنار على علم فلا يصار إلى عكسه لتلك النكتة والزمخشري[1] اختار العكس وتبعه صاحب الإرشاد مؤيداً له ولو كان على الترتيب الوقوعي لربما توهم أن الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في قصة البقرة وهذا غريب إذ ما بين القصتين بون بعيد **(نصب على المصدر أو مفعول له)**.

قوله: (ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة) ولكن علمناك رحمة أي علمناك محذوف لأن الرحمة معمول لا بد له من عامل وهو علمنا بقرينة الإرسال إن كان مفعولاً به فالمراد القرآن لأن من عمل به ينال الرحمة العظيمة الأبدية وإن كان مفعولاً له فقوله لتنذر حينئذٍ علة للفعل المعلل وتعليم الله تعالى هنا بالوحي وإسناد التعليم إليه تعالى صحيح لكن لا يقال إنه معلم.

قوله: لعل المراد به وقت ما اعطاه التوراة أي لعل المراد بقوله إذ في إذ ناديناه وقت إعطاء التوراة وهو ليلة المناجاة وتكليمه وبالأول وهو إذ قضينا إلى موسى الأمر وقت استنبائه أي وقت جعله نبياً وعبر عن الزمان بحيث تجوز أن يجوز أن يريد بالأول الجانب الغربي في قوله وما كنت بجانب الغربي فيكون حيث على حقيقته مستعملاً في المكان والتجوز انسب لقوله ولعل المراد به وقت ما استنبأه لأن مراده تفسير معنى إذ في الموضعين وقوله لأنهما المذكوران في القصة تعليل لتغاير الوقتين فإن ذكرهما معاً في القصة دليل على أن المراد بالثاني غير ما أريد بالأول لأن هذه الآيات وإن كانت لبيان سبب إرسال رسولنا ﷺ لكن في ضمنه تذكير القصة على الإجمال فالوجه أن يكون في المجمل ما يشار به إلى ما في التفصيل.

---

(١) لكن قوله فيما سبق والمراد من الشاهدين السبعون المختارون نص فيما اختاره الزمخشري.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (متعلق بالفعل المحذوف) وهو علمنا لم يذكر التبشير مع أنه علة أيضاً إذ الأهم الإنذار لم يذكر المستدرك هنا أيضاً لوضع سببه موضعه لكن السبب من جهته تعالى وفي الأول من جهة الناس وهو تطاول المدة وفي هذا نوع من الاحتباك حيث ذكر هنا الرحمة صريحاً واعتبر فيه تطاول المدة أيضاً وفي الأول ذكر تطاول المدة صريحاً واعتبر فيه الرحمة بقرينة الذكر هنا وصرح المستدرك فيما بينهما تنصيصاً على المقصود وقرينة على الاعتبار فيهما وفيه أيضاً معتبر ما يوجب الإرسال من جهة الرب وهو الرحمة ومن جهة الناس وهو تطاول العمر ففيه أيضاً شمة من الاحتباك واختيار هذا الأسلوب دون عكسه يعرف وجهه بالنظر الصائب والفكر الثاقب.

قوله: (ما أتاهم) صفة قوماً وما نافية صفة موضحة لا مخصصة.

قوله: (لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة) قال في سورة المائدة وكان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسع وستون سنة وما ذكر هنا لا يوافقه ولعل هذا رواية أخرى ولذا لم يذكر هنا أن بينهما أربعة أنبياء ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب لأن هذا وقع في رواية أخرى.

قوله: (أو بينك وبين إسماعيل عليه السلام على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم) أو بينك وبين إسماعيل أكثر من ألفي سنة كذا قيل لكن هذا بناء على أن دعوة موسى الخ وعلى الأول أن موسى وعيسى عليهما السلام أرسلا للعرب وأنه ليس بينهما نبي كما ورد لا نبي بيني وبين عيسى عليه السلام والرواية المشهورة أن موسى وعيسى عليهما السلام بعثا إلى بني إسرائيل وما حواليهم والمراد المبعوث بأحكام التورية وأما دعوة فرعون قبل إعطاء التورية فدعا فرعون وقومه إلى التوحيد.

قوله: (﴿لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: ٤٣] يتعظون) ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: ٤٣] الرجاء من المخاطب أو المعنى ليكون حالهم حال من يرجى التذكر منهم قد مر البيان آنفاً.

قوله: أو بينك وبين إسماعيل على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل يعني أن النذير الذي نفى اتيانه في قوله عز قائلاً: ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ [القصص: ٤٦] إما مطلق النذير سواء كان نذيراً لكافة الناس أو لبعضهم أو نذير مقيد وهو نذير كافة الناس فإن أريد به الأول يجب أن يصرف معنى قوله: ﴿من قبلك﴾ [القصص: ٤٦] إلى ما بينه وبين عيسى عليهما السلام وإن أريد به الثاني يجب أن يصرف معنى من قبلك إلى ما بينه وبين إسماعيل عليه السلام بناء على أن دعوة موسى وعيسى مختصة ببني إسرائيل وما حواليهم وعلى كل من الوجهين يكون مثل قوله: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ [يس: ٦] وقوله: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: ٤٣] علة غائية للإرسال المدلول عليه بقوله: ﴿كنا مرسلين﴾ [القصص: ٤٥] أي ولكنا كنا مرسلين إياك لكي يتذكروا ويتعظوا بما جئت به وقوله: ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ [القصص: ٤٦] اعتراض بين التعليل والمعلل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

قوله: (﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾) أي عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ [القصص: ٤٧] بما اكتسبوا من الكفر والمعاصي.

قوله: (لولا الأولى امتناعية) أي تدل على امتناع جوابها لوجود شرطها وفي مثله يقدر كراهة أن تصيبهم وقيل فيقولوا عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على أن مدار انتفاء ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع المعطوف عليه وإنما ذكره في حيزها للإيذان بأنه السبب الملجيء لهم إلى قولهم وسيجيء الإشارة إليه من المص ونقل عن صاحب الانتصاف أن التحقيق أنها تدل على أن ما بعدها مانع من جوابها عكس لو فإنها تدل على لزوم جوابها لما بعدها والمانع قد يكون موجوداً وقد يكون مفروضاً وما هنا من الثاني فلا إشكال فيه انتهى والأقرب تقدير الكراهة في مثله إذ قوله قد يكون مفروضاً مع كونه خلاف الظاهر المؤدي إلى الاشتباه مطلوب البيان من العلماء الأعيان.

قوله: (والثانية تحضيضية واقعة في سياقها لأنها مما أجيبت بها بالفاء تشبيهاً لها بالأمر مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء) تحضيضية أي بمعنى هلا كما نبه عليه

قوله: والثانية تحضيضية واقعة في سياقها أي في سياق لولا الامتناعية حيث وقعت التحضيضية مقولاً ليقول المعطوف على الشرط الواقع بعد كلمة الشرط التي هي لولا الأولى وحكم المعطوف على الشرط في حكم الشرط في اقتضاء الجزاء الواقع بعدهما وسر العطف بالفاء السببية دون الواو الإشعار بكون مفهوم المعطوف هو المقتضي للجزاء والسبب له إصالة وأن المعطوف عليه مقتضى المقتضي وسبب السبب لأن الجزاء هو لما أرسلناك المحذوف وسببه قولهم هذا وسبب قولهم هذا إصابة مصيبة وهي عقوبة كفرهم أي ولقولهم ذلك عند إصابة المصيبة أرسلناك إليهم لئلا يبقى لهم عذر بأن يقولوا ما نزل إلينا رسول من الله ولو أرسل لآمنا به ولولا قولهم هذا لما أرسلناك أي السبب الباعث لأرسلناك قولهم هذا عند المصيبة وقوله مفعول فيقولوا خبر بعد خبر للمبتدأ الذي هو قوله والثانية أي ولولا الثانية تحضيضية واقعة في سياقها مفعول فيقولوا ثم وصف قوله فيقولوا بقوله المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بما يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة إشارة إلى وجه ترجيح العطف بالفاء على العطف بالواو إلى نكتة جعل المعطوف عليه شرطاً ومقتضياً للجواب مع أن الجواب مستند أصالة إلى المعطوف دون المعطوف عليه ومقتضى الظاهر أن يقع في حيز الشرط ما هو ادخل في السببية واقتضاء الجواب في المقصود الأصلي فيه فعدل عن الظاهر إلى هذا ليفيد ان قولهم هذا لإصابة عقوبة على كفرهم لا للتأسف على ما فاتهم من الإيمان بخالقهم فإنهم لو لم يعاقبوا على كفرهم حين شاهدوا ما الجئوا به إلى العلم بالحق واليقين به لم يقولوا لولا أرسلت إلينا رسولاً وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ [الأنعام: ٢٨].

besturdubooks.wordpress.com

بقوله هلا أرسلت الخ وهنا للتحريض والحث على الإرسال وإن دخلت على الماضي إذ لا يصح التنديم هنا بل الأولى الحمل على التمني في مثله قوله واقعة في سياقها خبر بعد خبر لأنه مقول القول قوله فيقولوا في حيز لولا الامتناعية فمقوله أيضاً كذلك قوله لأنها أي لولا الثانية أجيبت بالفاء حيث قيل في جوابه فنتبع بالنصب ومشابهتها بالأمر لأنه للطلب في المضارع وما يحذو حذوه كالأمر فيجاب بالفاء دون الامتناعية فالثانية تحضيضية فقوله لأنها دليل على ذلك قوله مفعول فيقولوا أي مقوله كما مر وهو خبر لمحذوف أي هي مفعول فيقولوا المعطوف على تصيبهم فلذا قال فيما قبله واقعة في سياقها لكونها مقول فيقولوا الذي واقع في سياق لولا الامتناعية.

قوله: **(المعطية معنى السببية المنبهة على أن القول هو المقصود بأن يكون سبباً لانتفاء ما يجاب به)** المعطية أي الدالة على سببية ما قبلها لما بعدها والمنبهة صفة للسببية وجه التنبيه هو أن وجود ما بعد لولا الامتناعية سبب لامتناع جوابها كما قال النحاة إنها لامتناع شيء لوجود غيره وما هو موجود هنا هو القول المذكور ولو فرضاً فيكون سبباً لانتفاء جوابه وهو ما أرسلناك فيكون الإرسال محققاً لأن نفي النفي إثبات ولذا قال في بيانه أي إنما أرسلناك الخ.

قوله: **(وأنه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم إذا أصابتهم العقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يبلغنا آياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما أرسلناك أي إنما أرسلناك قطعاً لعذرهم وإلزاماً للحجة عليهم)** وأنه لا يصدر عنهم هذا القول حتى يلجئهم العقوبة إلى القول المذكور فإصابة العقوبة سبب لهذا القول وهذا القول سبب لانتفاء ما يجاب به فالإصابة سبب السبب ولذا ذكر المعطوف عليه ولم يكتف بالمعطوف مع أنه المقصود قوله في بيان المعنى لولا قولهم إذا أصابتهم الخ تنبيه على ذلك وإن مدخول لولا في الحقيقة هو القول المذكور وإن تصيبهم سبب له ولكماله في السببية دخلت لولا عليه كأنه سبب قريب لامتناع الجواب فظهر ضعف الإشكال بأن لولا يقتضي وجود شرطه وهو إصابتهم بها وقدروا كراهة أن الخ لأن الشرط في الحقيقة هو القول المذكور وهو محقق لا محيد عنه كما صرح به صاحب الإرشاد وفيه نظر.

قوله: **(يعني الرسول المصدق)** أي المراد باتباع الآيات اتباع من أتى بها لاستلزامه ذلك وإنما اختير الآيات لكونها سبباً للاتباع المقصود وهو اتباع الرسول عليه السلام.

قوله: اقتراحاً وتعنتاً أي قالوا ذلك فجاؤوا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك وما أشبه ذلك.

قوله: يعني أبناء جنسهم لما أوهم رجع ضمير أولم يكفروا إلى القائلين لولا أوتي مثل ما أوتي موسى اتحاد الكافرين بما أوتي موسى مع هؤلاء القائلين وحدة شخصية والحال أنهم غير هؤلاء لأن القائلين بذلك هم الكافرون الكائنون في عهد رسول الله ﷺ والكافرون بما أوتي موسى عليه السلام هم الموجودون في زمن موسى حمله على الوحدة النوعية فقال يعني أبناء جنسهم.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بنوع من المعجزات) أي بنوع عظيم منها وهو القرآن العظيم الباقي في مر الدهور فالمراد بالآيات الآيات النقلية والأولى التعميم إلى الآيات العقلية والنقلية والمراد نوع من المعجزات مخصوص به عليه السلام ويؤيده التعبير بالنوع دون فرد.

قوله: (﴿ونكون من المؤمنين﴾ [القصص: ٤٧]) تذييل لما قبله ﴿فلما جاءهم الحق﴾ [القصص: ٤٨] أي الأمر الحق من المعجزات بقرينة قولهم: ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ [القصص: ٤٨] وكون المراد الرسول لا يلائمه.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قوله: (من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرهما اقتراحاً وتعنتاً) وهو الطلب تحكماً وتعنتاً وهو طلب الزلة مفعول له لقالوا ولم يريدوا بذلك الاسترشاد إذ لا فرق بين معجز ومعجز فمن لم يؤمن بالمعجز الذي أتاه لم يؤمن بمعجز آخر.

قوله: (يعني أبناء جنسهم في الرأي والمذهب وهم كفرة زمان موسى عليه السلام) يعني أبناء جنسهم أي إسناد الكفر بما أوتي موسى من قبل إلى الكفار المعاندين في عصر رسولنا عليه السلام مجاز عقلي لملابستهم في الرأي والمذهب نظيره إسناد ما صدر من الآباء إلى الأبناء للملابسة المذكورة فحينئذٍ يكون يعني أبناء جنسهم لبيان من فعل الكفر بما أوتي موسى حقيقة لا لبيان مرجع الضمير لكن لفظة يعني لا يلائمه أو مراده بيان مرجع الضمير في أو لم يكفروا فحينئذٍ يلزم تفكيك الضمائر وأما كونه إشارة إلى تقدير مضافين وإسناد الفعل إلى المضاف إليه بعد حذفهما فبعيد إذ تقدير المضافين غير شائع بل غير متعارف في كلامهم قول المص وهم كفرة زمان موسى عليه السلام ظاهر في كون مرجع الضمير كفرة زمان موسى عليه السلام لكن لما كان بيان كونه لمن فعل الكفر حقيقة مع إسناد الفعل إلى قريش مجازاً جوز احتمال آخر ويحتمل أن يكون التقدير أو لم يكفروا بمثل ما أوتي موسى ولا يخفى ضعفه.

قوله: (وكان فرعون عربياً من أولاد عاد) وهذا رواية ضعيفة والرواية المشهورة أنه قبطي وكون أولاد عادم عربياً مختلف فيه أيضاً ومراد المص به تصحيح قوله أبناء جنسهم لكن لا حاجة إليه لأن الإنسان جنس واحد مع أنهم راضون بفعل أسلافهم.

قوله: (يعنون موسى وهارون أو موسى ومحمداً عليهم السلام) يعنون موسى وهارون

قوله: وكان فرعون عربياً من أولاد عاد يعني أن فرعون من الذين كفروا بما أوتي موسى وهو غير أنه جنس القائلين المذكورين في الرأي والمذهب جنسهم أيضاً في كونه عربياً كما أن هؤلاء القائلين عربيون.

قوله: يعنون موسى وهارون هذا على تقدير ان يتعلق من قبل بأو لم يكفروا فالمعنى أو

besturdubooks.wordpress.com

وإسناد قالوا مثل إسناد أو لم يكفروا قوله أو موسى ومحمداً عليهما السلام فحينئذٍ يكون المراد بمن كفر أهل مكة على ما روي في الكشاف أنهم أرسلوا لليهود يسألونهم عن محمد فقالوا إن نعته وصفته في كتابهم فلما أخبروا بذلك قالوا ساحران تظاهرا قيل وعلى هذا لا تكلف في كون ضمير قبله لكفار مكة قال الفاضل المحشي فتعين أن يكون فاعل يكفر ضمير قريش فإنهم كفروا نبوة موسى عليه السلام الخ والظاهر أن إنكارهم نبوة موسى عليه السلام مبالغة في إنكار نبوة الرسول عليه السلام كما قيل في قولهم ما أنزل الله على بشر من شيء قال المص هناك والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن الخ فحينئذٍ لا يتم ما ذكره المحشون.

قوله: (تعاونا بإظهار تلك الخوارق أو بتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف) تعاونا بإظهار تلك الخوارق هذا ناظر إلى الأول لكن ظهور الخوارق في يد موسى عليه السلام لكن لما كان هارون عليه السلام ردءاً معيناً له في التبليغ وجد التعاون في ظهور تلك الخوارق بحسب الظاهر قوله أو بتوافق الكتابين هذا ناظر إلى كون المراد موسى ومحمد عليهما السلام والمراد بتوافق الكتابين التوافق في أصل الأحكام وهو الاعتقادات والشرائع المتفق عليها فلا يضر تخالفهما في بعض الفروع.

قوله: (أو جعلهما سحرين مبالغة أو إسناد[1] تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز) وجعلهما سحرين مبالغة وهو الراجح قوله أو إسناد تظاهرهما عطف على تقدير إلى فعلهما وهو السحر على زعمهم دلالة على سبب الإعجاز لأن السحر أمر خارق في الجملة والإعجاز كذلك وفيه ما فيه إذ السحر ليس من الخوارق لأنه يحصل بمباشرة الأسباب كما صرح به الخيالي ولا إعجاز في التوراة كما صرحوا بأن الإعجاز مختص بالقرآن وإخبارها عن الغائب وهو نبوة رسولنا عليه السلام لا يعد من الإعجاز إذ ظهوره بعد مدة طويلة وليس في وقت دعوى الرسالة إلا أن يقال إن السحر في صورة خارق العادة وهذا القدر كاف هنا مع أن الجمهور عدوه من الخوارق والكلام على رأيهم وكون التوراة

لم يكفر آباؤهم وقالوا في حق موسى وهارون ساحران تظاهرا أي تعاونا وقوله أو موسى ومحمداً على تقدير أن يتعلق بأوتي فالمعنى أن كفرة مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد عليه الصلاة والسلام وبالقرآن فقد كفروا بموسى وبالتوراة وقالوا في حق موسى ومحمد ساحران تظاهرا.

قوله: أو بتقدير مضاف أي صاحبا سحرين أو ذوا سحرين.

قوله: أو إسناد تظاهرهما إلى فعلهما دلالة على سبب الإعجاز وجه دلالة الإسناد عليه إشعاره بأن عجزنا عن معارضتهما بسبب تظاهر فعليهما لا لأن نفس الفعل بدون التظاهر معجز.

---

(١) في نسخة بالواو فحينئذٍ يكون بياناً لما قبله وفي نسخة أو إسناد بأو وهو الظاهر إذ حينئذٍ يكون المراد سحران نفس الفعل لا هما مبالغة فالظاهر أنه يعنون بما أوتي موسى وما أوتي محمد عليهما السلام.

besturdubooks.wordpress.com

معجزاً بإخبارها عن نبوة رسولنا بالنسبة إلى معاصري رسولنا عليه السلام لكنه تكلف ولعل لهذا اخره وأيضاً تظاهرهما غير ظاهر لأن المراد تأييد كل منهما للآخر وهذا إذا كان زمانهما متحداً واضح على أنه عليه السلام شريعته ناسخة لجميع الشريعة المتقدمة والتوجيه بأن المراد تأييد كونه رسولاً بعيد فالوجه الأول هو المعول المناسب للسوق.

قوله: (**وقرىء أظاهراً على الإدغام**) إذ أصله تظاهراً فأدغمت التاء في الظاء بالقاعدة المشهورة فاجتلبت همزة الوصل لأجل سكون الظاء المدغمة.

قوله: (**أي بكل منهما**) أي من موسى وهارون كما هو مقتضى السوق أو بكل من موسى ومحمد عليهما السلام سواء كان القراءة ساحران أو سحران.

قوله: (**أو بكل الأنبياء**) أي المضاف إليه الذي يكون التنوين عوضاً عنه الأنبياء عليهم السلام لكن لا فائدة في هذا الترديد إذ إنكار نبي واحد فضلاً عن الاثنين إنكار جميع الأنبياء كما صرح به في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ [الفرقان: ٣٧] الآية.

قوله تعالى: قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾

قوله: (﴿**قل فأتوا**﴾) الفاء جزائية أي إذا كان الأمر كذلك فأتوا الأمر للتعجيز.

قوله: (**مما نزل على موسى وعلي وإضمارهما لدلالة المعنى**) مما نزل على موسى ومحمد عليهما السلام وهو المراد بقوله على قوله وإضمارهما أي الكتابين مع عدم ذكرهما صريحاً لدلالة المعنى عليهما فيكونان مذكورين معنى.

قوله: (**وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما السلام**) وهو يؤيد الخ لأنهما صاحب الكتابين الدال عليهما فحوى الكلام دون موسى وهارون وهذا تأييد واحد بحسب الظاهر ولكون المراد موسى وهارون عليهما السلام تأييدات كما أشرنا إليها آنفاً على أن كون المراد منهما من كتابهما محتمل بل راجح فتأمل واختر ما يناسب جزالة النظم الجليل.

قوله: (**اتبعه**) مجزوم جواب الأمر ﴿إن كنتم صادقين﴾ [القصص: ٤٩] جوابه فأتوا بكتاب اتبعه عند الكوفيين أو محذوف دل عليه المذكور عند البصريين.

قوله: (**إنا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيت**) وهذا

قوله: وهو يؤيد أن المراد بالساحرين موسى ومحمد لا موسى وهارون وجه التأييد كون الخطاب له ﷺ.

قوله: فهذه من الشروط التي يراد بها الالزام أي قوله: ﴿إن كنتم صادقين فأتوا بكتاب من عند الله﴾ [القصص: ٤٩] من الشروط التي يراد بها الزام الخصم وتبكيته ولا يراد بأمثال هذه الشروط أمر الخصم بإثبات دعواه بالحجة إذ من المعلوم أن دعواه باطلة وكذب محض غير قابل

besturdubooks.wordpress.com

الخ أي ﴿إن كنتم صادقين﴾ [القصص: ٤٩] مع جوابه يراد بها[1] الإلزام لا للتردد والشك لأن الإتيان بما هو أهدى من الكتابين أو من كتابهما استحالته بديهية لكن لتوسيع الدائرة يذكر مع أن الأمر للتعجيز لا لطلب إتيانه لكونه مستحيلاً.

قوله: (ولعل مجيء حرف الشك للتهكم بهم) ومجيء حرف الشك مع أنه مقطوع[2] الانتفاء للتهكم به حيث صور المحال بصورة المحتمل للوقوع واللاوقوع قيل وهذا جواب آخر عما يقال إن إتيانهم به محال والظاهر أن هذا جواب عن إتيان كلمة إن محل لو الدالة على الفرض وقول البعض خلاف السوق.

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥٠﴾

قوله: (﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾) وإتيان حرف الشك للتهكم أيضاً.

قوله: (دعاءك إلى الإتيان بالكتاب الأهدى فحذف المفعول للعلم به) دعاءك أي طلبك إذ الأمر للطلب في الأصل وإن كان المراد هنا التعجيز والدعاء في اللغة هو الطلب والداعي إلى هذا التعبير التعبير بالاستجابة فإنها إعطاء عين المطلوب بالدعاء بخلاف الإجابة فإنها أعم منها ولذا اختير الاستجابة قوله للعلم به من التعبير بالاستجابة لأنها تقتضي المطلوب.

قوله: (أو لأن فعل الاستجابة يتعدى بنفسه إلى الدعاء وباللام إلى الداعي فإذا عدي إليه حذف الدعاء غالباً) أو لأن فعل الاستجابة الخ هذا على الاستعمال الأغلب قال في الكشاف ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه إلا نادراً ملحقاً بالعدم فلا تدافع بين كلامي الشيخين والفرق بين الوجهين ظاهر إذ في الثاني الداعي إلى حذف المفعول هو غلبة حذفه مع ذكر الداعي وفي الأول ملاحظة كون الحذف للعلم به ولا يلاحظ في كل منهما ما يلاحظ في الآخر إذ النكتة مبنية على الإرادة ولقوة الأول[3] قدمه وفي الثاني شمة من المصادرة تدفع بالعناية.

للصحة حتى يطلب إثباته فإذن لا يؤتى بأمثال تلك الشروط إلا لالزام الخصم مثل: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ [البقرة: ٢٣].

قوله: فحذف المفعول للعلم به أي حذف مفعول لم يستجيبوا المعدى إليه بلا واسطة وهو دعاءك لكونه معلوماً بدلالة الحال أو معلوماً بدلالة المقال إذ لا يتعلق الاستجابة بلا واسطة إلا بالدعاء.

قوله: فإذا عدي إليه أي إذا عدي إلى الداعي لواسطة أو بلا واسطة حذف الدعاء غالباً فيقال

---

(١) أي مستعمل في لازم معناه إذ الالزام لازم للتعليق فيكون مجازاً مرسلاً.

(٢) فيكون الاستعارة تبعية بجعل مقطوع الانتفاء كالشك بواسطة التهكم مثل جعل الانذار كالتبشير في قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾.

(٣) إذ المتداول في الألسنة كون الحذف بالقرينة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (كقوله:

وداع دعـايـا مـن يـجـيـب إلـى الـنـدى فـلـم يـسـتـجـبـه عـنـد ذاك مـجـيـب)

كقوله وداعي الخ أشار المص إلى أن استجاب في البيت عدي إلى الداعي على الحذف والإيصال بقرينة الاستعمال الأغلب فحذف الدعاء والزمخشري جعله على تقدير مضاف أي فلم يستجب دعاءه قوله فإذا عدي إليه إلى الداعي بنفسه كما في البيت حذف الدعاء بجعله مضافاً مقدراً كما مر كذا قيل ولا يوافق تقرير المص إذ تعديته إلى الداعي لا بنفسه بل بالحذف والإيصال وعن هذا قال حذف الدعاء كما في الآية الكريمة قال المحشي والمفهوم من القاموس ونص عليه أبو حيان أنه يتعدى إلى الداعي بنفسه أيضاً فلا حذف في البيت ولم يرض به المص لأن تعدية الفعل الواحد إلى المفعول بنفسه وبواسطة الجار بمعنى واحد غير معقول فرجح الحذف والإيصال والزمخشري اختار تقدير المضاف نعم لو أريد بالاستجابة معنى الإجابة يتعدى إلى الداعي بنفسه وهذا محمل ما قاله المص في سورة آل عمران من أنها يتعدى بنفسه وباللام وقد أوضحنا هذا المرام في حاشية سورة الفاتحة وداع الخ قيل هو من أبيات الكتاب وبعده فقلت ادع أخرى وارفع الصوت مرة:

لـعـل أبـي الـمـغـوار مـنـك قـريـب

أي رب داع دعى الناس وقال هل أحد يجيب سائل الندى فلم يجبه أحد لقلة الكرام وغلبة الليام وقوله تعالى: ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ [الشورة: ٢٦] بمعنى يعينهم غير مستحمل في معناه فلا يكون مما نحن فيه.

قوله: (﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ [القصص: ٥٠] إذ لو اتبعوا حجة لأتوا بها) فاعلم أنما يتبعون صدر باعلم اهتماماً لشأن معلومه وإنما يتبعون يفيد القصر فالمراد بالأهواء الأهواء الردية المخالفة للشريعة إذ لو اتبعوا حجة الخ إسقاطه أولى.

قوله: (استفهام بمعنى النفي) أي للإنكار الوقوعي فيفيد النفي أي لا أحد أضل منه ظاهره يفيد المساواة لكن المراد بل هو أضل من كل ضال.

قوله: (في موضع الحال للتوكيد أو التقييد فإن هوى النفس قد يوافق الحق) أو

استجاب الله له ولا يقال استجاب الله له دعاءه والبيت مثال لما حذف الدعاء فيه والفعل معدى إلى الداعي بلا واسطة ومعنى البيت:

رب داع دعـا هـل مـن مـجـيـب إلـى الـنـدى

أي هل أحد يمنح المستمنحين فلم يستجبه عند ذلك مجيب أي فلم يجبه عند دعائه ذلك أحد والاستشهاد في فلم يستجبه فإنه عدي إلى الداعي والدعاء محذوف تقديره فلم يستجب دعاءه مجيب.

قوله: استفهام بمعنى النفي ومعناه لا أضل ممن اتبع هواه.

قوله: في موضع الحال للتوكيد لأن اتباع الهوى يكون في غالب الأمر بغير هدى حتى كان

besturdubooks.wordpress.com

التقييد الخ هذا إذا نظر إليه ولو نادراً ونعم ما قيل نعم الهوى إذا وافق الشرع.

قوله: ﴿إن الله لا يهدي﴾ [القصص: ٥٠] الآية تذييل مؤكد لمفهوم ما قبله.

قوله: (الذين ظلموا أنفسهم بالانهماك في اتباع الهوى) الذين ظلموا باتباع الهوى فيكون من باب الإظهار في موضع الإضمار والمراد إما قوم مخصوصون علم الله أنهم يموتون على الكفر(١) أو عام خص منه البعض وهو ممن آمن منهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾

قوله: (اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال ليتصل التذكير)(٢) اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال والمراد القرآن لأنه أنزل منجماً متفرقاً على حسب المصالح والوقائع.

قوله: (أو في النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر فيؤمنون ويطيعون) أو في النظم أي أنزلناه ونظمناه متصلاً بعضه ببعض رعاية للتناسب كذكر الترغيب والترهيب والوعد والوعيد والشقي والسعيد والحق والباطل وأصحاب النعيم وأهل الجحيم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ [القصص: ٥١] ليكونون على حال من يرجى تذكره.

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

قوله: (نزلت في مؤمني أهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل الإنجيل اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن كالمستكن في ﴿وإذا يتلى﴾ [القصص: ٥٣]) الآية أشار إلى أن المراد بالقول القرآن فهذا أحسن من القول بأنه للقول للتنبيه المذكور فالمراد القول الكريم المعهود في اللسان وفي الأذهان

ما هو الموافق للحق منه في القلة في حكم العدم فبهذا الاعتبار صح كونه مؤكداً له وأما كونه مقيداً له فباعتبار امكان وجوده ولو على قلة.

قوله: اتبعنا بعضه بعضاً في الإنزال أي أنزلناه نزولاً متصلاً بعضه في أثر بعض.

قوله: أو في النظم والمعنى أتاهم القرآن متتابعاً متواصلاً وعدا ووعيداً وقصصاً وعبراً ومواعظ ونصائح إرادة أن يتذكروا فيفلحوا والحاصل أن الوصل يقتضي التتابع وإنما يقال وصل إذا كان بين الكلامين اتصال معنوي ومناسبة أو اتصال لفظي بأن يكون الكلام متتابعاً لم يقع بينهما فاصلة قال الزجاج وصلنا لهم القول أي فصلناه بأن وصلنا ذكر الأنبياء وأقاصيص من مضى بعضها ببعض.

قوله: والضمير في من قبله للقرآن وهو المراد بالقول في ولقد وصلنا لهم القول قال صاحب الكشاف في معنى من قبله من قبل وجوده ونزوله وهو إشارة إلى مذهبه قوله باعتقادهم صحته في الجملة أي بتصديقهم بالوحي الذي في ضمنه ذكر القرآن.

---

(١) فيكون ايقاع التوصيل على مجموع القول مجازاً.

(٢) التوصيل تكثير الوصل وتكرره.

besturdubooks.wordpress.com

والمراد بالموصول من آمن منهم إما لكون الموصول للعهد أو عام خص منه المؤمنون بقرينة خبره والقصر المستفاد من ضمير الفصل إضافي بالنسبة إلى المشركين المصرين على الكفر أو هو للاهتمام وكذا الكلام في تقديم به على يؤمنون.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾﴾

قوله: (﴿وإذا يتلى﴾ [القصص: ٥٣]) أي القول الكريم هذا بيان لسبب إيمانهم.

قوله: (أي بأنه كلام الله تعالى) لما عرفوا كذلك من كتابهم آمنا إما إنشاء أو إخبار لكن المص اختار كونه إخباراً بقرينة قولهم إنا كنا مسلمين ولذا قيل قالوا آمنا والمراد أصحاب التورية كعبد الله بن سلام وأصحاب الإنجيل وتخصيصه بالأخير ليس بمناسب إلا على القول بأنهم أربعون من أهل الإنجيل **(استئناف لبيان ما أوجب إيمانهم به)**.

قوله: (استئناف آخر[١] للدلالة على أن إيمانهم به ليس مما أحدثوه حينئذٍ وإنما هو أمر تقادم عهده لما رأوا ذكره في الكتب المتقدمة وكونهم على دين الإسلام قبل نزول القرآن أو تلاوته عليهم باعتقادهم صحته في الجملة) أي إجمالاً[٢] لأنه لا يمكنهم الإيمان به تفصيلاً فعلم منه أنه لو أريد بالإيمان الإيمان به تفصيلاً يكون آمنا إنشاء وإن المراد بالإيمان ما أحدثوه[٣] حينئذٍ.

قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾

قوله: (مرة على إيمانهم بكتابهم ومرة على إيمانهم بالقرآن) أي قبل نزول القرآن فإن إيمانهم[٤] معتبر بعد إيمان القرآن.

قوله: (بصبرهم وثباتهم على الإيمانين أو على الإيمان بالقرآن قبل النزول وبعده) وثباتهم عطف على صبرهم تفسير له إذ الصبر حبس النفس ومعناه هنا الثبات عليه إذ الثبات عليه صعب وأما الدخول فسهل ولذا وعد الأجر مرتين عليه دون الدخول.

قوله: (أو على أذى من هاجرهم من أهل دينهم ومن المشركين) هاجرهم أي عاداهم اخره لأن الصبر على الإيمان والثبات عليه مشكل بخلاف الصبر على الأذى وأيضاً الأجر مرتين يلائم الأول على ما فسر به فحينئذٍ يكون التثنية لمجرد تكرار الصبر منهم على الأذى

---

(١) الاستئناف الأول علة لمية والاستئناف الثاني علة أنية ولذا قال في الأول لبيان ما أوجب والثاني للدلالة الخ.

(٢) ويؤيده قوله تعالى: ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ الآية إذ الإيمان وقت التلاوة إيمان تفصيلي والإيمان الإجمالي ما كان قبل النزول.

(٣) فيكون المراد بأنا كنا من قبله مسلمين الإخبار بالإيمان القديم.

(٤) لأن إيمانهم قبله غير معتبر لكونه منسوخاً.

besturdubooks.wordpress.com

وشدنه كقوله تعالى: ﴿ارجع البصر كرتين﴾ [الملك: ٤][1] وفي النسخة التي عندنا من أهل دينهم ومن المشركين وفي بعض النسخ من أهل دينهم فقط لعل وجهه أن الأذى منهم أشد وأوفر من غيرهم لكن التعميم أولى.

قوله: (﴿ويدرؤون بالحسنة السيئة﴾ ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه السلام اتبع الحسنة السيئة تمحها) ويدرؤون عطف على يؤتون مسوق لمدحهم بالطاعات التي يذهبن السيئات إثر مدحهم بالإيمان قوله ويدفعون معنى يدرؤون إذ الدرء الدفع بالطاعة تفسير الحسنة المعصية تفسير السيئة لأنه قد يراد بالحسنة نحو الخصب والسعة والسيئة نحو الجدب والبلاء.

قوله: (في سبيل الخير) خص بالذكر مع أنه داخل في الحسنة تنبيهاً على فضله ومن للتبعيض قدم لرعاية الفاصلة قيده بسبيل الخير احترازاً عن البذل على خلاف الشرع وعن كونه لقصد المدح أو المدح له.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾

قوله: (تكرماً) أي لا عجزاً لأنه مذموم فحينئذٍ يكون هذا مدحاً لهم بحسن المعاملة مع الخلق والشفقة عليهم بعد المدح بتعظيم أمر الله تعالى وعامة أحكام الشرع ترجع إلى هذين الأمرين والمراد باللغو ما يجب أن يلغى ويطرح والمراد بالتكرم الإكرام على أنفسهم معرضين عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الإعراض عن الذنوب وعن إفشائها إذا لم يستطع دفعها وكلمة إذا مع الماضي لتحقق وقوعه وكثرته واللغو الغير المسموع يعلم حكمه بدلالة النص وفي سورة الفرقان ﴿وإذا مروا باللغو﴾ [الفرقان: ٧٢] وهذا أعم من السمع وفي قولهم: ﴿لنا أعمالنا﴾ [القصص: ٥٥] الآية إشارة إلى العموم.

قوله: (للاغين) هذا مفهوم من ذكر اللغو.

قوله: (﴿لنا أعمالنا﴾ [القصص: ٥٥]) أي أعمالنا مقصورة على الاتصاف بكونها لنا لا تسألون عنها وأعمالكم مقصورة على الاتصاف بكونها لكم لا نسأل عنها ولا نعاتب عليها وهذا هو المراد بالخبر وإلا فلا فائدة فيه لظهوره والقصر قصر الموصوف على الصفة دون العكس وقس عليه نظائره.

---

(١) وأيضاً المستفاد من أولئك كون الوصف المذكور علة للآجر مرتين أي ضعفين والأذى ليس بمذكور صريحاً فيما مر إلا أن يقال إنه مفهوم من إيمانهم.

قوله تعالى: ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ التعبير بالجاهلين للاعراض عن مقابلتهم بالسوء وإن لزم منه بطريق التورية واللام إما للعهد أو للاستغراق وهو الظاهر وهذا من باب وضع السبب موضع المسبب إذ الجهل سبب للكفر والشرك.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (متاركة لهم وتوديعاً) لف ونشر مرتب بحسب المآل كما في قوله: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾ [الكافرون: ٦] فليس فيه إذن في الكفر لما عرفت من أن المراد بيان الجزاء وإن كل المرء مجزي بعمله لا غير فهو متاركة ولا امتناع عن الجهاد أيضاً ليكون منسوخاً بآية القتال قوله وتوديعاً ناظر إلى السلام أي هذا السلام سلام التوديع لا سلام التحية كقول إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿سلام عليك﴾ فلا منع من السلام للتوديع للكافرين والممنوع سلامة التحية بلا داع شرعي ولهذا المقام مزيد تفصيل في سورة الفرقان.

قوله: (ودعاء لهم بالسلامة عما هم فيه) ودعاء الكافر بالهداية مشروع بل الدعاء بالمغفرة جائز كما روي عن النبي عليه السلام أنه دعا في غزوة أحد اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وفي رواية اللهم اهد قومي الخ لكن المراد الدعاء بالتوفيق للإيمان.

قوله: (لا نطلب صحبتهم ولا نريدها) قدر المضاف لأنه لا معنى لطلب ذواتهم وأشار إلى أن الابتغاء هو الطلب وفيه من المبالغة ما لا يخفى.

قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

قوله: (لا تقدر أن تدخلهم في الإسلام) أي المراد نفي القدرة على الهداية لا نفي الهداية مع القدرة عليها بالقرينة على أن الهداية بمعنى الإيصال ليس بمقدور له عليه السلام وإنما المقدور له الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل إلى البغية وعن هذا قال لا تقدر أن تدخلهم الخ ولم يقل لا تقدر على الدلالة على ما يوصلهم إلى الإسلام وبهذا المعنى ورد قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى: ٥٢] فلا منافاة بين الإثبات والنفي أو النفي حقيقة والإثبات مجاز فلا منافاة أيضاً.

قوله: (﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص: ٥٦] فيدخله في الإسلام) ولكن استدراك بحسب المعنى أي إنك لا تقدر على هداية من أحببت ولكن الله يقدر على ذلك من يشاء فيدخله في الإسلام وحاصل الاستدراك الإدخال في الإسلام وعدم الإدخال يعرف وجهه بالتأمل وأشار المص إلى ذلك في الموضعين.

قوله: (بالمستعدين لذلك) أوله به إذ الهداية لا تكون للمهتدين بالفعل بل

قوله: متاركة وتوديعاً نقل في المطلع عن الزجاج لم يريدوا بقولهم سلام عليكم التحية وإنما أرادوا بيننا وبينكم المتاركة والتسليم كأنهم قالوا سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم والأذى.

قوله: لا تقدر أن تدخله في الإسلام وإنما فسر لا تهدي بلا نقدر على الهداية لأن كلمة الاستدراك وضعت ليدخل بين كلامين متغايرين نفياً واثباتاً فإذا دل قوله: ﴿ولكن الله يهدي من يشاء﴾ [القصص: ٥٦] على أنه تعالى قادر على الهداية يجب أن يفسر قوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦] بلا نقدر على هداية من أحببت.

قوله: بالمستعدين لذلك يعني لفظ المهتدين مجاز مرسل لأن المراد بهم الذين مصير أمرهم إلى الاهتداء وإن كانوا الآن كفرة لا يهتدون لأن المراد بهم من دعوا إلى الإيمان بالله وبما جاء به

besturdubooks.wordpress.com

بالمستعدين لذلك فالمهتدين مجاز أولي مثل ﴿هدى للمتقين﴾ وهذه الجملة اعتراض تذييلي وفيه تنبيه على أنه عليه السلام لا يعلم بالمستعدين للاهتداء إذ الكلام يفيد الحصر وصيغة التفضيل بمعنى أصل الفعل وفي كلام الكشاف إشارة إليه حيث قال في التعليل لأنك عبد لا تعلم أي لا تعلم من هو مستعد ومن ليس كذلك ولذا بالغت في هداية من أحببت مع أنه ليس بمستعد لذلك ولو كان لك علم به لما جهدت كل المجهود ولما جاوزت في السعي كل حد معهود والمستعدين بصيغة اسم الفاعل وذلك الاستعداد بتوفيق الله تعالى وتحبيبه الإيمان والتبعيد عن الفسوق والعصيان.

قوله: (والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب فإنه لما احتضر جاءه رسول الله عليه السلام وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج بها لك عند الله تعالى قال يا ابن أخي قد علمت أنك لصادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت) نزلت في أبي طالب قيل هذا إشارة إلى رد بعض الرافضة حيث ذهب إلى إسلامه والحديث المذكور من أحاديث الشيخين قوله أحاج بها جواب الأمر أصل معناه المجادلة بالحجة والمراد هنا أخلص بهذه الكلمة الطيبة من العذاب المؤبد بالشفاعة قوله جزع بجيم وزاي معجمة من الجزع وهو عدم الصبر أي لم يصبر على ما كان عليه خوفاً من الموت ونحوه وفي نسخة خرع بخاء معجمة وراء مهملة أي ضعف وخاف وفي الإرشاد قال يا ابن أخي قد علمت أنك صادق ولكني أكره أن يقال خرع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة بعدي لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق من شدة وجدك ونصحك ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف.

رسوله واستعدوا لما هدوا إليه فعبر بالمهتدين باعتبار ما يؤول إليه حالهم فهو كالمتقين في ﴿هدى للمتقين﴾ في أحد وجهيه.

قوله: والجمهور على أنها نزلت في أبي طالب قال الزجاج في تفسيره أجمع المفسرون على أنها نزلت في أبي طالب ثم قال وجائز أن يكون ابتداء نزولها بسبب أبي طالب وهي عامة لأنه لا يهدي إلا الله عز وجل ولا يرشد ولا يوفق إلا الله عز وجل وكذلك هو يضل من يشاء روي في صحيح البخاري عن ابن المسيب عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب فنزلت ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦] وعن مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لعمه عند الموت قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة فأبى فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾ [القصص: ٥٦].

قوله: خرع عند الموت بالخاء المعجمة والراء المهملة قال الجوهري الخرع بالتحريك الرخاوة في كل شيء يقال خرع الرجل أي ضعف وقال صاحب النهاية ويروى بالجيم والزاي المعجمة وهو الخوف وقال ثعلب إنما هو بالخاء والراء قوله: تخرج منها تفسير باللازم وأصل معنى التخطف الانتزاع والسلب بسرعة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

قوله: (نخرج منها نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف أتى النبي ﷺ[١] فقال نحن نعلم أنك على الحق ولكنا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب) نخرج منها بصيغة المجهول جواب أن نتبع أي يخرجنا الأعداء بسبب اتباعك وهو أشد من القتل وأصل التخطف الأخذ بسرعة والاختلاس بها لكنه استعير[٢] هنا للإخراج المذكور.

قوله: (وإنما نحن أكلة رأس أن يتخطفونا من أرضنا) ونحن أكلة رأس وأكلة جمع أكل بوزن نصرة وهو ضرب مثل يضرب للقلة وأصله ناس قليلون إذا أكلوا رأس واحدة من رؤوس الحيوان المطبوخة وهذه الجملة معترضة بين الفعل ومفعوله للمسارعة إلى بيان وجه التخطف.

قوله: (فرد الله عليهم بقوله: ﴿أو لم نمكن لهم﴾ [القصص: ٥٧]) فرد الله تعالى بقوله أي على أبلغ وجه وعلى إيراد برهان فقال: ﴿أو لم نمكن لهم﴾ [القصص: ٥٧] أي ألم نحفظهم ولم نمكن لهم والمعنى قد عصمناهم وجعلنا لهم مكاناً ذا أمن ببركة البيت الحرام قبل الإسلام فما ظنهم في الحفظ بعد اجتماع الأمرين السببين للأمن البيت الحرام وشرف الإسلام وهذا تنبيه على أنه تعالى كما حفظهم فيما مضى يحفظهم فيما يستقبل بطريق الأولى وفيه من المبالغة ما لا يخفى.

قوله: (أو لم نجعل مكانهم حرماً ذا أمن بحرمة البيت) ذا أمن أي آمناً من صيغ النسبة إذ إسناد الأمن إلى أهل الحرم حقيقة وإلى الحرم مجازاً ولذا حملها على النسبة كلابن وتامر هرباً عن المجاز قوله أو لم نجعل لهم إشارة إلى أنه ضمن معنى الجعل أو صيغة التفعيل للتعدية فيفهم الجعل بلا تضمين ولذا نصب حرماً على أنه مفعول به.

قوله: (الذي فيه يتناحر العرب حوله وهم آمنون فيه) الذي يتناحر العرب أي يقاتل بعضهم بعضاً قال تعالى ﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾ يختلسون قتلاً وسبياً إذ كانت

قوله: وإنما نحن أكلة رأس أي قليلون.

قوله: يتناحر العرب من انتحر القوم على الشيء إذا تشاحوا حرصاً وتناحروا في القتال والمراد التناصر.

---

(١) الظاهر أن نحن نعلم أنك حق للتهكم ويمكن الحمل على ظاهره وما نقله المص نوع مغاير لما في النظم الكريم فيكون نقلاً بالمعنى في النظم الكريم أو في كلام المص.
قوله تعالى: ﴿وقالوا إن نتبع الهدى﴾ هذه شبهة أخرى متعلقة بأحوال الدنيا فاتضح ارتباط ﴿إنك لا تهدي﴾ الآية لأجل بيان أن الدلائل المذكورة لا تكفي في الابتداء ما لم يضم هداية الله تعالى حتى نفى عن الهادي الدال على ما يوصل إلى المطلوب تدبر.
(٢) أي مجاز مرسل.

besturdubooks.wordpress.com

العرب حوله في تغاور وتناهب كذا فسره المص وهنا أشار إليه إجمالاً بقوله الذي يتناحر الخ أي ومع ذلك جعلنا بلدهم مصوناً عن النهب والتعدي آمناً أهله عن القتل والنهب فما بالهم أن يقولوا: ﴿إن نتبع الهدى معك﴾ [القصص: ٥٧] الآية وهذا اعتذار فاسد مبني على اعتقاد كاسد قوله يتناحر العرب أي ينحر بعضهم بعضاً فهو استعارة عن القتل إذ النحر حقيقة ذبح الحيوان واختار هذا للمبالغة.

قوله: (يحمل إليه ويجمع فيه وقرأ نافع ويعقوب في رواية بالتاء) يحمل إليه الخ الجبي الجمع ولما كان الجمع مستلزماً للحمل قال يحمل إليه.

قوله: (ثمرات كل شيء) أي أرفعه وأنفعه كما يقال ثمرات الكلام كذا قيل فليس المراد بالثمرات الفواكه فقط.

قوله: (من كل أوب) من كل جانب وجهة أي من كل جانب يمكن أن يجبى إليه الثمرات فالكل في معناه لا بمعنى الكثرة قال المص في تفسير قوله تعالى: ﴿وجاءهم الموج من كل مكان﴾ [يونس: ٢٢] يجيء الموج منه فأشار إلى أن كل للإحاطة بملاحظة هذا القيد وكذا هنا وفي مثله وقال أيضاً في بيان قوله تعالى: ﴿ثم كلي كل من الثمرات﴾ [النحل: ٦٩] أي من كل ثمرة تشتهيها وحمله صاحب الكشاف على الكثرة وتبعه غيره والظاهر ما اختاره المص على ما فهم من بيانه إذ أئمة الأصول عدوه من ألفاظ العموم فإذا ورد في موضع لا يصح العموم ينبغي تقييده بقيد يحسن به العموم كما نقلناه من المص ألا يرى أن أرباب الأصول جعلوا قوله تعالى: ﴿وأوتيت من كل شيء﴾ [النمل: ٢٣] عاماً خص منه البعض بمعونة الحس والمص قيده بقوله يحتاج إليه الملوك وقد جعل الزمخشري الكل بمعنى الكثرة ولا يخفى مخالفته لتصريح أئمة الأصول ولله در المص حيث راعى في كل موضع عمومه بملاحظة قيد يصح العموم به.

قوله: (فإذا كان هذا حالهم وهم عبدة الأصنام فكيف يعرضهم للتخوف والتخطف إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد) فإذا كان هذا الخ إشارة إلى أن هذا استدلال على أمنهم فيما سيأتي بطريق الأولوية بأمنهم فيما مضى قبل الإسلام كما وضحناه قوله فكيف يعرضهم أي يعرض لهم التخوف بالحذف والإيصال وهذا إنكار العروض في الحقيقة كناية وإن كان ظاهره إنكار كيفية العروض.

قوله: (جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا) جهلة الخ إشارة إلى أن لا يعلمون نزل منزلة اللازم فسلب عنهم نفس العلم لا علم متعلق بمفعول إذ الأول أبلغ أو سلب عنهم علم كل شيء لعدم علمهم بما يعنيهم وعلمهم بما لا يعنيهم كلا علم لكن الأول راجح لكونه موجزاً قوله لا يتفطنون إشارة إلى أن انتفاء علمهم لانتفاء السبب المؤدي إليه.

قوله: من كل أوب الأوب المرجع من كل أوب من كل وجه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وقيل إنه متعلق بقوله: ﴿من لدنا﴾ [القصص: ٥٧]) أي تعلقاً معنوياً قائله الزمخشري مرضه لأن الأول أنسب لذمهم بالجهل للمبالغة فيه وأيضاً المعنى الأول مستلزم لهذا فإبقاؤه على العموم أولى وأحسن ومعنى من لدنا من فضلنا.

قوله: (أي قليل منهم يتدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله إذ لو علموا لما خافوا غيره) أي قليل منهم وهم الذين آمنوا منهم هذا مفهوم من أكثرهم فإنه مقابل للقليل قوله إذ لو علموا الخ علة لنفي العلم عن الأكثر.

قوله: (وانتصاب رزقاً على المصدر من معنى يجبى أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة) وانتصاب رزقاً الخ لأن معنى يجبى يرزقون أو الحال فحينئذٍ يكون بمعنى مرزوقة قوله لتخصصها الخ لأن الحال لا يجيء مؤخرة عن نكرة محضة غير مخصصة.

قوله تعالى: وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾

قوله: (ثم بين[1] أن الأمر بالعكس[2] فإنهم أحقاء بأن يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله: ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ [القصص: ٥٨]) ثم بين أن الأمر بالعكس الخ مراده بيان ارتباط قوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا﴾ [القصص: ٥٨] الآية بما قبله ثم بين عطف على قوله فرد الله الخ والظاهر أن ثم للتراخي في الرتبة إذ في هذا القول رد فوق الرد المذكور إذ حاصله أنهم خافوا الناس وآمنوا من بأس الله وهذا خطأ عظيم إذ الواجب أن يخافوا الله تعالى ويأمنوا الناس ليؤمنوا ثقة من حفظ الله تعالى وكم في ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾ خبرية.

قوله: إذ لو علموا لما خافوا غيره أي غير الله أي لو علموا أن ذلك الرزق من عند الله لعلموا أن الأمن والخوف من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا انداده.

قوله: وانتصاب رزقاً على المصدر من معنى يجبي لأن معنى يجبى إليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد فيكون مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل نظراً إلى اتحاد المعنى مثل قعدت جلوساً أو الحال من الثمرات لتخصصها بالإضافة كما ينتصب الحال عن النكرة المتخصصة بالإضافة فإذا كان انتصابه على الحالية يكون بمعنى مرزوقاً وجوز صاحب الكشاف أن يكون مفعولاً له ليجبي.

قوله: ثم بين أن الأمر بالعكس يعني أن الواجب عليهم أن يخافوا الله ويأمنوا غيره لا أن يخافوا الغير ويأمنوا من سخط الله إذ كثيراً ممن حالهم في الرزق وإلا من مثل حالهم من أهل القرى أهلكهم الله ودمرهم وخرب ديارهم لأجل أنهم قابلوا تلك النعم السنية بالأشر والبطر وهذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال إلا من وسعة العيش.

---

(١) وهذا البيان بيان ضرورة.

(٢) والعكس يظهر بهذا الحاصل فتأمل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالكم في الأمن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم) أي وكم من أهل قرية أي المضاف محذوف أو القرية مجاز عن أهلها وقد مر التنبيه عليه غير مرة وإسناد بطرت إلى القرية مجاز وإن أريد بها أهلها أو يقدر الأهل فالإسناد حقيقة والبطر أن لا يحفظ حدود الله تعالى في الغنى والفخر به أشار إليه بقوله حتى أشروا والأشر الفرح والغرور ومعيشتها نصب بالحذف والإيصال أي بمعيشها أو في معيشتها أو بتقدير الزمان أي أيام معيشتها أو مفعول به على تضمين بطرت معنى كفرت[1] كما في الكشاف قوله فدمر الله الخ أي يدمركم ويخرب دياركم يا أهل مكة لأن سبب تدميركم متحقق أيضاً فيدمركم كما دمرهم وفيه تخويف شديد وتهديد أكيد لأهل مكة ومن يحذو حذوهم.

قوله: (خاوية) أي خالية عن الساكنين فيها.

قوله: (من السكنى إذ لا يسكنها إلا المارة يوماً أو بعض يوم أو لا يبقى من يسكنها من شؤم معاصيهم) من السكنى والمراد بالسكنى التوطن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يسكنها إلا المسافر ولذا قال المص لا يسكنها إلا المارة الخ فحينئذٍ يكون معنى إلا قليلاً إلا زماناً قليلاً وفيه احتمال آخر أشار إليه بقوله أو لا يبقى من يسكنها إلا قليلاً من شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكن من أعقابهم ومن بعدهم لم يبق فيها إلا قليلاً ممن سكن فيها فإنهم باقون إلى حين وإلى أن يأتيهم اليقين رحمة من الله تعالى وتفضلاً وإنما قيل فتلك مساكنهم لأن أهل مكة يشاهدون في أسفارهم المساكن المذكورة وصيغة البعد للتحقير أو للتعظيم إن أريد مساكنهم العامرة الطيبة الكريمة كقوله تعالى: ﴿ومقام كريم﴾ [الشعراء: ٥٨].

قوله: (منهم إذ لم يخلفهم أحد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بإضمار

قوله: وخفض العيش الخفض الدعة والسعة في العيش يقال عيش خافض وهو في خفض من العيش قوله من السكنى يقال سكنت داري واسكنتها غيري والاسم منه السكنى فقوله إلا قليلاً معناه إلا سكنى قليلاً فيكون قليلاً صفة للمفعول المطلق لقوله لم تسكن.

قوله: إذ لا يسكنها إلا المارة قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون ومارو الطريق يوماً أو بعض يوم.

قوله: أو لا يبقى من يسكنها أي أو لا يبقى فيها من يسكنها بعد المهلكين لبقاء شؤم أثر معاصيهم فيها وكل من سكنها من أعقابهم هلك ولم يبق إلا قليلاً.

قوله: بنزع الخافض أي انتصابها بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله: ﴿واختار موسى قومه﴾ [الأعراف: ١٥٥] أي بطرت في معيشتها أو بجعل المعيشة ظرفاً بنفسها لا بواسطة كلمة في سماها

---

(١) المراد كفران النعمة وهو يتعدى بنفسه وقد يتعدى بالباء.

besturdubooks.wordpress.com

زمان مضاف إليه أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت) إذ لم يخلفهم الخ بيان معنى إرثه لها فهو استعارة قوله وانتصاب معيشة قد مر توضيحه سوى قوله أو بجعلها ظرفاً بنفسها كقولك زيد ظني أي في ظني الخ وهذا تكلف.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله: (وما كان عادته) فيه نوع تسامح لأن المراد وما كان ربك مهلك القرى بطريق جري العادة والمص كثير التساهل في أمثاله وإلا فيرد عليه أنه غير ممتزج بما بعده إذ حمل مهلك القرى على عادته تعالى مشكل.

قوله: (في أصلها التي هي اعمالها لأن أهلها يكون أفطن وأنبل) في أصلها تفسير الأم إما لأنه في اللغة بمعنى الأصل أو لأنه مستعار للأصل هنا قوله التي هي أعمالنا أي توابع لتلك الأم لأن كرسي المملكة محل حكامها وما عداه يسمى في العرف أعمالاً ونواحي وقوله لأن أهلها الخ بيان للحكمة في كون مبعث الأنبياء عليهم السلام من أم القرى فإن أهلها ذوو فطانة وكيس إذ النبوة منصب عظيم روحاني يقتضي كمالات نفسانية لأن هذا أدخل في الإجابة وعن هذا لم يبعث الأنبياء عليهم السلام إلا من أشرف البقاع وأشرف القبائل فمعنى قوله هي أعمالها أي تلك القرى أعمال أمها زوابعها ففي كلامه نوع تعقيد وأنبل من النبل وهو الذكاء وللفاضل السعدي بحث لا طائل تحتها لأن كلام المص ليس فيه ما يوهم مذهب الفلاسفة وأيضاً لم يقل إن القصبات مولد الأنبياء عليهم السلام حتى يقال إن عيسى عليه السلام ولد بالناصرة وبعث بالمقدس ولوط ليس من أهل سدوم.

ظرفاً مجازاً ويجوز أن تكون مفعلة للزمان أو المكان فيكون ظرفاً بنفسها حقيقة قوله زيد ظني مقيم أي في ظني والعامل في ظن المنتزع من الجملة كالإخبار والحكم وكذا قالوا.

قوله: أو بإضمار زمان مضاف إليه تقديره بطرت أيام معيشتها كقولك آتيك خفوق النجم ومقدم الحاج.

قوله: أو مفعولاً على تضمين بطرت معنى كفرت أي أو بجعلها مفعولاً لبطرت على تضمينه معنى فعل عدي بنفسه وهو كفرت أي كفرت معيشتها من الكفران ضد الشكر.

قوله: في أصلها التي هي اعمالها وفي الكشاف ما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها رسولاً لإلزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه أنهم لا يؤمنون تم كلامه قالوا هذا يهدم قاعدة مذهبه لأن لهم أن يعتذروا بسابق علمه فيقولوا ليس في علمك وحكمك إلا أنا لا نؤمن فكيف لنا أن نأتي على خلاف علمك وليس الجواب عنه إلا بأن يقال لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

قوله: يكون أفطن وأنبل من النبالة وهي الحذاقة يقال فلان نابل وابن نابل أي حاذق وابن حاذق.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (لإلزام الحجة وقطع المعذرة) بأن يقولوا ﴿لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك﴾ [القصص: ٤٧] كما مر تفصيله قيل رد على المعتزلة في إثبات الحسن والقبح العقليين وفيه نظر لا يخفى لأن هذا عين عبارة الكشاف وزاد عليه قوله مع علمه أنهم لا يؤمنون وتركه المص لأنه لا مساس له في هذا المقام ولم يتعرض احتمال كون المعنى وما كان في سابق قضائه أن يهلك قرى الأرض حتى يبعث في أم القرى وهي مكة لأنه لا يلائم قوله: ﴿وما كان ربك﴾ [القصص: ٥٩] وأيضاً تدخل تحت العموم دخولاً أولياً وما يستفاد من الغاية تحقق الإهلاك بعد البعثة بملاحظة ظلمهم وإصرارهم على الكفر بعد البعثة بقرينة قوله تعالى: ﴿وما كنا مهلكي القرى﴾ [القصص: ٥٩] الآية فهذا القول تكميل واحتراس يدفع توهم خلاف المقصود وقيل حتى يبعث غاية لصحة عدم وقوع الإهلاك لا لنفس وقوعه والتعبير بالظلم دون الكفر قد مر وجهه في أواخر سورة هود.

قوله: (﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ [القصص: ٥٩] بتكذيب الرسل والعتو في الكفر) وما كنا استغراق في النفي دون نفي الاستغراق وهذه الآية الكريمة بيان أن إهلاك القرى المذكورة ليس إلا من بعد إرسال الرسل وتوضيح السبل ومن بعد ظلمهم وهكذا جرت عادته تعالى في كل قرى هالكة ففيه بيان لكمال رأفته لعباده فمجموع الجملة تكميل واحتراس.

قوله تعالى: وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

(من[١] أسباب الدنيا).

قوله: (تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية) تتمتعون الخ أشار به إلى أن المتاع اسم ما يتمتع به وكذا الزينة قوله مدة حياتكم أخذه من الحياة الدنيا وإضافة المتاع إليها قوله المنقضية صفة الحياة المؤكدة أخذه من قوله وأبقى مع بداهته.

قوله: (وهو ثوابه) فما عند الله استعارة تمثيلية لبيان نفاسة الثواب.

قوله: (في نفسه من ذلك لأنه لذة خالصة وبهجة كاملة) أي نعيم تام كذا نقل عن ابن الأثير.

قوله: (لأنه أبدي) نوعه غير متناه بمعنى أنه لا يقف عند حد فالبقاء مقابل للانقضاء والثواب في الجنة مقابل للدنيا ففيه صنعة الطباق.

قوله: (فتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وقرأ أبو عمرو بالياء وهو أبلغ في

قوله: وقرىء بالياء وهو أبلغ في الموعظة لأن الخطاب مع أهل مكة كأنه لما عدل من

---

(١) قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم من شيء﴾ أي من شيء حقير أشار إليه بقوله من أسباب الدنيا فلا إشكال باتحاد المبين والمبين.
قوله تعالى: ﴿وما أوتيتم﴾ وترك الفاء لانتفاء السببية وأما الايتاء فلكونه سبباً ادخل الفاء في الخبر.

besturdubooks.wordpress.com

الموعظة) فتستبدلون الخ الباء داخل على المتروك وفيه إشارة إلى ارتباطه بما قبله حيث رد الله قولهم ﴿إن نتبع الهدى﴾ [القصص: ٥٧] الآية أيضاً فالخطاب لهم ولأمثالهم قوله وهو أبلغ في الموعظة لإشعاره بأنهم لعدم عقلهم المعادي لا يصلحون للخطاب وهذه نكتة مختصة بهذا المقام وفي الخطاب أيضاً زجر عظيم بملاحظة كونه للعتاب وكثيراً ما يذكر في نكتة الالتفات[١] من الغيبة إلى الخطاب أنه أبلغ لكونه مفيداً للعتاب ولكل وجهة.

قوله تعالى: أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

قوله: (أفمن وعدناهُ وعداً حسناً وعداً بالجنة فإن حسن الوعد بحسن الموعود) أفمن وعدناه أي أمن نجيناه من تمتع الحياة الدنيا تمتع البهائم فوعدناه الآية.

قوله: (مدركه لا محالة لامتناع الخلف في وعده ولذلك علّقه بالفاء المعطية معنى السببية) لامتناع الخلف بيان أنه مدركه وواصله ولا دخل فيه للتعبير بالجملة الاسمية ولو عبر بالجملة الفعلية فالمعنى على حاله يؤيده قوله ولذلك عطفه بالفاء الخ فالسبب الوعد الجميل لأن المسبب لا يتخلف عن السبب التام وهنا كذلك.

قوله: (﴿كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ [القصص: ٦١] الذي هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع) كمن متعناه ثم عذبناه عذاباً شديداً فنفى التشابه وإنكاره ناظر إليهما فمن متعه الله تعالى بمتاع الحياة الدنيا مع القيام بشكره والعمل بموجبه داخل في زمرة من وعد الله تعالى الإنكار المستفاد من الاستفهام ناظر إلى التشابه دون التشبيه وكمال التوضيح في سورة النحل في قوله تعالى: ﴿أفمن[٢] يخلق كمن لا يخلق﴾ [النحل: ١٧].

قوله: (للحساب أو العذاب) أو لمنع الخلو.

قوله: (وثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة وقرأ نافع وقالون وابن عامر في رواية والكسائي ثم هو بسكون[٣] الهاء تشبيهاً للمفصل بالمتصل) وثم للتراخي الخ وهذه الجملة

الخطاب إلى الغيبة آذن بأن هؤلاء البعداء من الخير لا عقل لهم حيث يؤثرون الفاني على الباقي والدني الحقير على الشريف العظيم روى الإمام عن الشافعي رحمهما الله من أوصى بثلث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله عز وجل لأن أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير فكأنه رحمه الله اقتبس المعنى من هذه الآية.

---

(١) وفيه التفات من الخطاب إلى الغائب والنكتة المختصة به المبالغة.

(٢) قال المص هناك وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيهاً على أنهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً ط به انتهى وهنا يعتبر مثل ط ذلك فلا تغفل ط وهو أنهم بالغوا في التمتع بزخارف الدنيا وعكسوا الأمر حيث جعلوه أصلاً فأشار إلى ذلك بهذا التعبير لأنه لالزام عبدة الأصنام.

(٣) مثل عضد فإن الضاد قد يسكن.

besturdubooks.wordpress.com

معطوفة على متعناه داخل في حيز الصلة اختير الجملة الاسمية هنا لدوام أثره أو لدوامه بخلاف التمتيع فإنه منقض لم يجيء ثم نحضره أو ثم أحضرناه لما مر ولكمال عنايته حيث لم يسند صريحاً الإحضار إلى ذاته العلي مع أنه المقصود نظيره الاكتفاء بيدك الخير قدم[1] التراخي الزماني لأنه الحقيقة مع إمكانها هنا ثم جوز التراخي الرتبي لأنه يفيد التهويل والقول بأن التراخي الزماني معلوم فلا فائدة فيه مدفوع بأن التراخي الرتبي أيضاً معلوم مع أن المراد بمثله إنشاء التهديد والقرينة المانعة من الحقيقة قد تكون ضعيفة يصار إلى المجاز بالنظر إلى تحقق القرينة ولو ضعيفة ويصار إلى الحقيقة بالنظر إلى ضعفها كما صرح به النحرير التفتازاني في حاشية الكشاف.

قوله: (وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء) كالنتيجة الخ إذ المعنى أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوي بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا وهذه التسوية منتفية بداهة واتفاقاً هذا معنى الفاء الأولى فحينئذٍ يكون معطوفاً على ما قبله إذ الفاء في حكم المقدم قدم الهمزة لصدارته وله احتمال آخر أن المعطوف عليه محذوف كما أشرنا إليه في أول الدرس وإنما قال كالنتيجة لعدم ذكر الدليل[2] صريحاً أو الكاف للغينية ويؤيده قول الكشاف وهذه الآية تقرير وتوضيح للتي قبلها بلا كاف وفيه بيان أيضاً أن نعيم الدنيا مذموم في نفسه فكيف إذا اتصل نعيمها بالعقاب فأي عاقل يرجح نعيمها على نعيم الآخرة فترك اتباع الهدى خوفاً لزوال تلك النعم الفانية خذلان وبهذا يتضح الارتباط بما قبله.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢﴾

قوله: (عطف[3] على يوم القيامة أو منصوب باذكر) المنادي هو الله تعالى بقرينة أين شركائي أو الملك فيكون أين شركائي حكاية من الله تعالى وعلى التقديرين النداء للإهانة والتحقير والاستفهام للتبكيت والإضافة على زعمهم وارد على اعتقاد المخاطب.

قوله: (أي الذين كنتم تزعمونهم شركائي فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما) الذين كنتم بيان لكون الإضافة على زعمهم.

قوله: وهذه الآية كالنتيجة للتي قبلها أي قوله عز وجل: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا﴾ [القصص: ٦١] كالنتيجة للآية التي قبلها وهي ﴿وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها﴾ [القصص: ٦٠] لأن الاستفهام في ﴿أفمن وعدناه﴾ الآية للإنكار فالمعنى إذا كان ما أوتيتم من شيء متاع الحياة المنقضية الفانية وثواب الله الموعود وهو جنة الخلد خير من ذلك الفاني لا يكون حال من وعد له ذلك الباقي مثل حال المتمتع بذلك الفاني.

قوله: فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما وفي الكشاف ويجوز حذف المفعولين في

---

(١) لم يرتض الزمخشري بأنه لا فائدة فيه ورده المص.

(٢) أو النتيجة قوله افمتاع الحياة الدنيا كما عند الله فما ذكر في النظم الكريم لازمه فهي كالنتيجة لا عين النتيجة.

(٣) والتغاير الاعتباري كاف في العطف. لأن تغاير العنوان يكفي في العطف لافادة التغاير الاعتباري.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾

قوله: (﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ [القصص: ٦٣] بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آيات الوعيد)[1] قال الذين صيغة المضي لتحقق وقوعه حق معناه ثبت مقتضاه كما نبه عليه المص والمراد شركاؤهم الشياطين كما هو الظاهر أو رؤساؤهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله والصفة المذكورة للاحتراز عن عزير وعيسى والملائكة من أول الأمر وإن حصل الاحتراز لقولهم أغوينا الخ فتخصيص من حق المتبوعين لهذه الصفة ويعرف حال اتباعهم بدلالة النص **(أي هؤلاء هم الذين أغويناهم فحذف الراجع إلى الموصول)**.

باب ظننت ولا يصح الاقتصار على أحدهما ذكر صاحب الكشاف في المفصل وليس لك أن تقول حسبت زيداً وتسكت لفقد ما عقدت عليه حديثك فأما المفعولان معاً فلا عليك أن تسكت عنهما وذكر في العنكبوت أن الحسبان لا يصح تعلقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل ألا ترى أنك لو قلت حسبت زيداً وظننت الفرس لم يكن سيئاً حتى تقول حسبت زيداً عالماً وظننت الفرس جواداً لأن قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دال على مضمون فأردت الإخبار عن ذلك المضمون ثابتاً عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بداً في العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلاً عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك قال بعض علماء العربية ومن فقد الكاشفية وضح الفرق بين امتناع طرح أحد المفعولين وبين جواز أحد الشطرين في باب المبتدأ والخبر مع أن البابين من حيث المعنى سيان وذلك أن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجمل وهي أمور خفية في نفسها إذ هي من المعقولات الذهنية لأنها إنما تعلقت بنسب الجمل الخبرية فإن معنى ظننت زيداً عالماً نسبة العلم إلى زيد مظنونة عندي لا من الملفوظات والتعلق بها أمر خفي ولو طرح أحد الشطرين لتراكم الخفاء بخلاف الجمل الخبرية فإن مراتب الخفاء فيها أقل فاعرفه وأما جواز طرح المفعولين معاً فلأن عند طرحهما ينتفي المضمون وتعلق الفعل بنفسه ويصير الغرض نفس احداث الفعل وقال الطيبي رحمه الله هذا كلام حسن فإن قوله ﴿وظننتم ظن السوء﴾ حينئذٍ بمنزلة قولهم فلان يعطي ويمنع في الشياع في جميع ما فسد من الظن وقول القائل من يسمع يخل أي من يسمع يخل المسموع صحيحاً إذ معنى من يسمع من يركن إلى الاستماع والآية واردة على هذا أقول فيه نظر لأن القصد إلى نفس الفعل إنما يكون بجعل الفعل المتعدي منزلة اللازم فحينئذٍ لا يكون تعلقه بالمفعول مراداً وما في الآية مراد تعلقه بمفعوليه إذ تقديره تزعمونهم شركاء بي وقال صاحب التحفة معنى الاقتصار أن لا يكون أحد المفعولين مراداً فأما إذا حذف لقرينة دلت عليه وهو مراد معنى فليس اقتصاراً كما لا يسمى حذف الخبر اقتصاراً على

---

(١) والمراد بهذا القول مبادرة الجواب خوفاً من توبيخهم بالاضلال وخلول عذاب الله حيث طلبوا وإن كان السؤال للعبدة لأن العبدة قد قالوا ﴿ربنا هؤلاء اضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾ اعتذاراً ورد شركائهم بهذا وطوى ذكره لما ذكر في مواضع أخر إيجازاً واختصاراً لكن هذا لا ينفعهم قال تعالى ﴿لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا وهو استئناف) أي أغويناهم غياً الخ أشار إلى أن كما غوينا صفة مصدر محذوف فذكر أغويناهم ليس للتأكيد بل تمهيد لقولهم كما غوينا ولا يبعد أن يكون تأكيداً للأول بذكر مفعوله المقدر لكن المص اختار(١) الاستئناف.

قوله: (للدلالة على أنهم غووا باختيارهم وأنهم لم يفعلوا بهم إلا وسوسة وتسويلاً)

المبتدأ لأن الحذف لا يجوز إلا بدليل وأما في باب اعطيت فيجوز الاقتصار بدليل وبغير دليل لأن الثاني فيه غير الأول وأما قوله الأخفش إذا دخلت هذه الأفعال على أن نحو ظننت أنك قائم فالمفعول الثاني منهما محذوف والتقدير ظننت قيامك كائناً لأن المفتوحة بتأويل المفرد وأما سيبويه فرأى أنها سدت مسد المفعولين وأجاز الكوفيون الاقتصار على الأول إذا سد شيء مسد الثاني وقال المالكي إذا دل دليل على أحدهما جاز حذفه كقوله:

كأن لم تكن بين إذا كان بعده تلاق ولكن لا أخال تلاقيا

أي لا أخال الكائن تلاقيا أو لا أخال بعد البين تلاقيا وعليه قول صاحب الكشاف في قوله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ [آل عمران: ١٦٩] ويجوز أن يكون الذين قتلوا فاعلاً المعنى ولا يحسبنهم الذين قتلوا أمواتاً أي أنفسهم إنما جاز حذفه لأنه في الأصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله: ﴿أحياء﴾ [القصص: ١٦٩] أي هم أحياء وقوله: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ [النور: ٥٧] الأصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الأول فكان الذي سوغ ذلك أن المفعول والمفعولين لما كانا كشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث ولعل السر في امتناع الاقتصار على أحد المفعولين في أفعال القلوب أن هذه الأفعال قيود للمضامين تدخل على الجملة الاسمية لبيان ما هي عليه لأن النسبة قد تكون عن علم وقد تكون عن ظن فلو اقتصر على أحد طرفي الجملة لقيام قرينة توهم أن الذي سيق له الكلام وهو الذي هو مهتم بشأنه الطرف المذكور وليس المضمون مما يعتني به نعم إذا كان الفاعل والمفعول كشيء واحد يهون الخطب ويؤيده ما ذكر صاحب الإقليد أنك إذا قلت حسبت زيداً منطلقاً فقد عقدت الحديث على أن زيداً مظنون انطلاقه عندك فلو قلت حسبت زيداً وسكت فقدت ما هو الفائدة العظمى وهو الثاني لأنه هو الذي وقع فيه الشك وقصدك بهذا التركيب أن تخبر بذلك لا الإخبار بذات زيد وإنما تذكر زيداً لترتب الثاني عليه ولو قلت حسبت منطلقاً وسكت خرج من يدك ما يفيده الأول وهو أنه هو الذي انطلاقه مظنون عندك فإذن لا بد من ذكر كليهما هذا وأما قول القائل إن تعلق تلك الأفعال بمضامين الجمل وهي أمور خفية الخ فمدفوع بجواز حذف أحد شطري اسم أن وخبره وأنها لتوكيد مضمون الجملة.

قوله: وهو استئناف للدلالة على أنهم غووا باختيارهم فسر رحمه الله الآية على وجهين الوجه الأول أن يكون هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا خبره وأغويناهم كما غوينا جملة استئنافية موردة لبيان أن غيهم باختيار منهم لا بقسر والجاء منا معنى الاختيار في الغي مستفاد من تشبيه غيهم لغيهم من حيث إن وجه الشبه بين الغيين كونهما باختيار فإن الكاف في كما غوينا صفة مصدر

---

(١) كأنه قيل كيف صارت غوايتهم فأجيب بذلك.

besturdubooks.wordpress.com

وجه الدلالة أن غي المشبه به باختياره فكذا غي المشبه وهو كقوله ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾ [إبراهيم: ٢٢] وهذا يؤيد كون المراد الشيطان.

قوله: (ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لأجل ما اتصل به فأفاده زيادة على الصفة وهو وإن كانت فضلة لكنه صار من اللوازم) ويجوز أن يكون الذين صفة أي صفة لهؤلاء[1] لا الخبر كما في الاحتمال الأول والخبر حينئذٍ أغويناهم كما غوينا لأجل ما اتصل به وهو كما غوينا فأفاد أي أغويناهم حين كونه خبراً زيادة على الصفة وهي أغوينا بسبب تقييده بقوله كما غوينا لأن القيد الزائد صيره مفيداً ما لم يفد المبتدأ وصفته ولا يضر كونه فضلة لأن بعض الفضلة قد يكون لازماً في بعض المواضع فلا يرد أن التقييد بالظرف لا يصيره مفيداً بالأصالة ومرادهم بالإشارة بيان أنهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وأنهم غير قادرين على إنكاره ورده زيادة تحسرهم بأنهم تمنوا شفاعتهم ولما كان الحال على هذا المنوال يزداد عذابهم بانضمام العذاب الروحاني.

محذوف تقديره أغويناهم فغووا غياً مثل ما غوينا يعنون أنا لم نغوا إلا باختيارنا لا بأن فوقنا مغوين اغوونا بقسر والجاء أو دعونا إلى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لأن إغواءنا لهم لم يكن إلا بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فلا فرق إذن بين غينا وغيهم في أنهما بالاختيار والوجه الثاني أن يكون هؤلاء مبتدأ والذين أغوينا صفته وأغويناهم الثاني باعتبار اشتماله على أمر زائد هو المقصود بالاخبار والإفادة خبر المبتدأ إذ لولا اشتماله على هذا الزائد لم يفد الكلام زيادة معنى إذ يكون كأن يقال الذين أغويناهم هم الذين أغويناهم وهذا كما ترى كلام لا فائدة فيه وإذا اعتبر هذا الزائد معه وقيد هو به يكون حاصل المعنى غي الذي أغويناهم مثل غينا وهو كلام مفيد إذ يمكن أن يتردد متردد في أن أحد الغيين مثل الإحرام لا مجوزاً أن غي أحد الفريقين بقسر وغي الفريق الآخر باختيار فيدفع هذا التردد بأن يقال غيهم كغينا أي هو مثله في كونه بالاختيار وهذا هو المراد بقوله رحمه الله ويجوز أن يكون الذين صفة وأغويناهم الخبر لأجل ما اتصل به أي لأجل اتصال الجار والمجرور وهو كما أغويناهم به يعني لولا اعتبار اتصاله به لما أفاد الكلام فائدة زائدة على مفهوم الصفة التي هي معلومة الانتساب إلى المبتدأ عند المخاطب لأن كل صفة وصلة يجب أن تكونا معلومتي الانتساب إلى الموصوف والموصول عند المخاطب.

قوله: وهو وإن كان فضلة لكنه صار من اللوازم لفظ هو راجع إلى ما في قوله ما اتصل به أي هذا المتصل الذي هو كما غوينا وإن كان فضلة من الكلام خارجاً عن ركنيه المسند إليه والمسند لكنه صار من لوازم أحد الركنين الذي هو المسند وهو أغويناهم من حيث إن مفهوم هذه الفضلة وهو مماثلة غي القائلين صفة غي تضمنه ذلك المسند إذ معناه على ما ذكر أغويناهم فغووا غياً مماثلاً لغينا فبهذا التأويل صارت تلك الفضلة من لوازم المسند لزوم الصفة بالموصوف فصح وقوع أغويناهم خبراً مفيداً باعتبار صفته اللازمة لا باعتبار نفسه.

---

(١) لأنه محط الفائدة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ﴿ما كانوا إيانا يعبدون﴾ [القصص: ٦٣] أي ما كانوا يعبدوننا وإنما كانوا يعبدون أهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا أي تبرأنا من عبادتهم إيانا) منهم ومما اختاروه الخ وهو بيان حالهم في الدنيا وجه التبرء عدم الجبر والإلجاء وإن سولوا منهم ولذلك وهو تقرير الخ والتأكيد لا يعطف أو التبرء في الآخرة كقوله تعالى: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا﴾ [البقرة: ١٦٦] الآية والاحتمال الأول ملائم لكلام[1] المص لأن إثبات الغواية لهم باختيارهم تبرء في الحقيقة قوله وإنما كانوا يعبدون أهواءهم أي في نفس الأمر وعبادتهم لهم باعتبار ظاهر الحال قوله تعالى: ﴿بل كانوا يعبدون الجن﴾ [سبأ: ٤١] لا يلائمه بحسب الظاهر إلا بتمحل وهو أن إثبات العبادة لهم بحسب الظاهر والنفي بحسب نفس الأمر فلا تدافع وأيضاً القائلون مختلفون فلا تناقض.

قوله تعالى: وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾

قوله: (من فرط الحيرة) لأنهم يعلمون أنهم لا يجيبهم ولو أجابوا لا يقدرون لكن لاستيلاء الحيرة ذهلوا عنه فدعوهم وهنا أضيف الشركاء إليهم وفيما مر إليه تعالى لنكتة تعرف بالتأمل الثاقب.

قوله: (لعجزهم عن الإجابة والنصرة) فيه إشارة إلى أن معنى فلم يستجيبوا[2] لهم فلم يقدروا على الإجابة والإجابة وإن كانت أعم من الاستجابة كما صرح به المص في آل عمران لكن المراد الاستجابة بقرينة عطف النصرة عليه والإجابة بالنصرة هي الاستجابة فإنها إعطاء عين المسؤول فعلم منه أن الأمر بالدعاء للتقريع والتوبيخ لما مر من أنهم يعلمون أنهم لا يجيبهم فلا يراد بالأمر الامتثال ودعاؤهم لفرط الخيرة كما بيناه آنفاً وكلمة الفاء لكون دعائهم عقيب الأمر التوبيخي.

قوله: (لازباً لهم) بالباء الموحدة أي لاصقاً متصلاً والتعبير به للمبالغة في اللصوق قال ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ [الصافات: ١١] حال من المفعول والرؤية علمية لا

قوله: وهي تقرير للجملة المتقدمة أي هذه الجملة التي هي تبرأنا جملة مقررة لجملة أغويناهم كما غوينا وجه تقريرها لها أن المفهوم من الجملة المتقدمة أن غيهم جريمة ارتكبوها باختيارهم لا بإلجاء منا إليها لا دخل لنا بالقسر والالجاء في جريمتهم هذه ونحن متبرؤون عن ذلك فلتضمن ذلك الكلام معنى التبري صار تبرأنا مقرراً لما علم منه ضمناً فلكونه متصلاً بذلك الكلام بهذا المعنى ترك العاطف.

---

(١) ولذلك قيل وتقريرها لما قبلها لأن الإقرار بالغواية تبرء في الحقيقة فالمراد التبرؤ في الدنيا.

(٢) وفيه إيجاز أي فلم يسمعوا دعاءهم لأنهم جماد ولو فرض سماعهم فلم يستجيبوا قال تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ الآية فالفاء حينئذٍ فصيحة.

besturdubooks.wordpress.com

من أفعال القلوب لأن الاختصار على أحد المفعولين فيها غير جائز عند جمهور النحاة وضمير رأوا للداعين وقيل للداعي والمدعو والسوق ظاهر في الأول.

قوله: (بوجه من الحيل يدفعون به العذاب) فالاهتداء بالمعنى اللغوي وهذا أيضاً من كمال فرط الحيرة قدم هذا الوجه لشدة ملائمته بما قبله.

قوله: (أو إلى الحق لما رأوا العذاب) فالاهتداء بالمعنى الشرعي ويلائمه قوله: ﴿كانوا يهتدون﴾ [القصص: ٦٤] بصيغة الماضي والمضارع لأنه للاستمرار أي لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا إلى الحق لما رأوا العذاب فلو شرطية جوابه محذوف وهو لما رأوا العذاب وفي الاحتمال الأول لدفعوا به وقيل جوابه لما رأوا العذاب على التقديرين وفي الأول المراد دفع العذاب بعد اللصوق على ما هو الظاهر بنوع من الحيل وفي الثاني عدم رؤية العذاب رأساً لإيمانهم وابتدائهم إلى الحق وشتان ما بين المسلكين.

قوله: (وقيل لو للتمني أي تمنوا أنهم كانوا مهتدين) قيل مرضه لأنه يحتاج إلى تقدير وتأويل بعيد لأنه كان الظاهر أن يقال لو أنا كنا الخ والمعنى أيضاً كذلك في الشرطية إذ الظاهر أن يقال لو أنا كنا مهتدين لكن في مثله يجوز الوجهان التعبير بالغيبة والتكلم يقال زيد حلف ليقضين دينه أو اقضين ديني فوجه التمريض أن كون لو للتمني قليل لا يصار إليه ما أمكن الشرطية.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾

قوله: (عطف على الأول فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم له ثم عن تكذيبهم الأنبياء عليهم السلام) يسأل أولاً عن إشراكهم أشار به إلى أن السؤال عن مكان الشركاء لا لتعيين مكانهم لأنه من العلام الغيوب بل لتوبيخ المشركين على إشراكهم قوله ثم عن تكذيبهم أشار به أيضاً إلى أن السؤال بماذا أجبتم السؤال عن تكذيبهم للتوبيخ والتقريع والمعنى أي إجابة أجبتم على أن ماذا في موضع المصدر أو بأي إجابة أجبتم بالقبول أو الرد فحذف الجار وأوصل الفعل إليه.

قوله: يدفعون به العذاب تقدير وتصوير للجواب المحذوف لكلمة لو يريد أن الجواب يدفعون به العذاب وإن كان متعلق الاهتداء وجه الحيل ولما رأوا العذاب إن كان المتعلق إلى الحق وفي الكشاف حكي أولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين أو أئمتهم عند توبيخهم لأنهم إذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بأن الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة بهم من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج عليهم بإرسال الرسل وإزاحة العلل قوله عطف على الأول أي قوله ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين﴾ عطف على ﴿يوم يناديهم فيقول أين شركائي﴾ [القصص: ٦٢] الآية.

قوله: فإنه تعالى يسأل أولاً عن إشراكهم به هذا محل نظر لأن السؤال هناك ليس عن الاشراك بل عن مكان الشركاء على سبيل التوبيخ حيث قال تعالى: ﴿أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾ [القصص: ٦٢].

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ (٦٦)﴾

قوله: (فصارت الأنباء كالعمى عليهم لا يهتدى إليهم) أشار به إلى الاستعارة العمى بضم العين وسكون الميم جمع أعمى قوله لا يهتدي إليهم بيان معنى العمى وإشارة إلى العلاقة ووجه الشبه.

قوله: (وأصله فعموا عن الأنباء لكنه عكس للمبالغة) وأصله أي الظاهر إذا لم يرد المبالغة فعموا إذ العمى حقيقياً أو مجازياً شأن العقلاء قوله للمبالغة أي إن عماهم بلغ مبلغاً تخطى إلى أنبائهم ففيه قلب مع الاستعارة إذ العمى استعير لعدم الاهتداء فالكفار لا يهتدون إلى الأنباء فهم من هذه الحيثية عمون ثم قلب وأثبت العمى للأنباء للمبالغة في عماهم لما مر وتعديته بعلى لما سيأتي من تضمينه معنى الخفاء.

قوله: (ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد عليه من خارج فإذا أخطأه لم يكن له حيلة إلى استحضاره والمراد بالأنباء ما أجابوا به الرسل) ودلالة على أن ما يحضر الذهن الخ هذا أكثري لا كلي لكنه ينفع فيما نحن فيه لأن جوابهم للرسل من قبيل ما استحضر في الذهن بعد غيبته وذهولهم عنه فهو إنما يرد على الذهن من الخارج قوله فإذا أخطأ الذهن ولم ينصب عليه من خارج لم يكن له سبيل على استحضاره كمن لم ير شخصاً لا سبيل له إلى استحضاره في الذهن أو رآه وزال عنه صورته رأساً فلا يقدر على استحضاره وهنا لما جعل الأنباء الوارد عليهم من الخارج عمى لا يهتدي إلى أذهانهم علم أن سبب عماهم عدم فيض الأنباء من خارج لكمال الدهشة ولو لم يعكس بل ورد على مقتضى الظاهر لم يفهم هذه النكتة الأنيقة وعن هذا اختير القلب فما وقع في النظم الجليل مطابق لمقتضى الحال.

قوله: (أو ما يعمها وإذا كانت الرسل يتعتعون في الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال من أممهم) أو ما يعمها أي يعم الأنباء المجاب بها الرسل وكل ما يمكن الجواب به لكن مقتضى السوق الأول وعدم التعميم والتعتعة بتاءين فوقيتين وعينين مهملتين التردد في الكلام لحصر أوعى وهذا إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم﴾ [المائدة: ١٠٩] الآية.

قوله: (وتعدية الفعل[١] بعلى لتضمنه معنى الخفاء) وتعدية الفعل أي عميت بعلى[٢]

قوله: وإذا كانت الرسل يتعتعون على صيغة المجهول من تعتعت الرجل إذا عتلته إذا جذبته جذباً عنيفاً واقلقته أي إذا كان الرسل يقلقون ويتحيرون من هول ذلك اليوم وذلك قوله تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ [المائدة: ١٠٩] فما ظنك بضلال امهم.

---

(١) إذ الفاء في فعميت ظاهر في الأول فاللام للعهد والجمع للإفراد وفي الثاني للأنواع.

(٢) بل تعديته بعن ولذلك قال وأصله فعموا عن الأنباء.

besturdubooks.wordpress.com

مع أنه لم يتعد بعلى لتضمنه معنى الإخفاء أي لكون الإخفاء مفهوماً من العمى أو المراد التضمين المصطلح.

قوله: (لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لفرط الدهشة) الأولى لا يسأل بعضهم عن بعض الجواب السؤال للاستعلام قوله لفرط الدهشة والفاء التفريعية وإن اقتضت كون عدم السؤال العمى لكنه أيضاً معلل بفرط الحيرة فما ذكره علة العلة.

قوله: (أو العلم بأنه مثله) في العجز عن الجواب اخره مع أنه المناسب للفاء التفريعية لأن كمال الحيرة يمنع عن ذلك العلم على ما هو الظاهر من كلامه حيث قال وإذا كانت الرسل يترددون في الجواب الخ.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾

قوله: (عن الشرك) التخصيص إذ الكلام في المشركين ويعرف حال من لم يشرك قط بطريق الأولوية كلمة إما لتفصيل المجمل في الذهن من بيان ما يدل عليه من حال المصرين على الشرك وهو حال من تاب منهم كيف يكون والفاء للدلالة على ترتب الأخبار على ما قبله وفيه إحماد لأمر التائبين حيث صدر الجملة الناطقة لأحوالهم بأما المتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفيه تأكيد لوقوع مضمونها.

قوله: (وجمع بين الإيمان والعمل الصالح) وهذا سبب كمال الفلاح وأما الإيمان وحده وإن كفى في دخول الجنة لكنه قد يعاتب بالذنوب من لم يعمل صالحاً.

قوله: (عند الله وعسى[1] تحقيق على عادة الكرام أو ترج من التائب بمعنى فليتوقع أن يفلح) على عادة الكرام إظهاراً للعظمة وكمال الإنعام وفيه إشعار أيضاً بأنه تفضل والتوبة غير موجب قوله أو ترج أي توقع من التائب بمعنى فليتوقع[2] أن يفلح ولا يغتر بتوبته وإيمانه المقرون بالعمل الصالح فالتوقع من المخاطب لا منه تعالى والأول هو الراجح في بيان الوعد ولذا قدمه.

قوله: لا يسأل بعضهم بعضاً كما يتساءل الناس في المشكلات لفرط حيرتهم وغاية دهشتهم أو لأنهم يتساوون جميعاً في عمى الأنباء عليهم والعجز عن الجواب لا يعلم واحد منهم من تلك الأنباء ما جهله الآخر.

---

(١) كون عسى تحقيقاً على عادة الكرام مجاز والظاهر استعارة لا مجاز مرسل والعلاقة عدم الاغترار به كما في صورة الطمع والرجاء.

(٢) قوله بمعنى فليتوقع الخ أي عسى إذا حمل على التوقع من التائب بمعنى الأمر بقرينة أن الترجي منه غير متحقق فيراد به الأمر مجازاً مثل الخبر الذي يراد به الأمر كرضي الله ورحمه فعسى وإن كان ماضياً بمعنى الأمر فلا تغفل.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾

قوله: **(لا موجب عليه ولا مانع له)** المشيئة والإرادة كلاهما عبارة عن ترجيح أحد المقدورين على الآخر بالوقوع فهو يقابل الإيجاب عنه كما زعم الفلاسفة والاختيار عند المتكلمين كونه بحيث يصح منه الفعل والترك فهو مقابل للمانع وهو وإن كان مقابلاً للإيجاب لكنه حمل على المقابل للمانع إذ التأسيس أولى من التأكيد والإفادة خير من الإعادة وإن أمكن حمله على التكرار إذ التكرير للتأكيد من أنواع البلاغة صرح به المص في سورة والمرسلات وأما الاختيار بمعنى إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل فهو يجامع الإيجاب إن قيل إن مقدم الشرطية الأولى دائم الوقوع وهذا مذهب الحكماء وإلا أي وإن لم يحكم بدوام مقدم الشرطية الأولى فراجع إلى معنى صحة الفعل والترك فلا يجامع الإيجاب.

قوله: **(أي التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً والأمر كذلك عند التحقيق فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله تعالى منوط بدواع لا اختيار لهم فيها)** أي التخير أي الخيرة مصدر بمعنى التخير كما أن الطيرة مصدر بمعنى التطير وحكي عن ابن الأثير تسكين يائه قالوا ولم يجيء على هذا الوزن من المصادر غير خيرة وطيرة والاختيار والتخير بمعنى واحد ولذلك قال وظاهره نفي الاختيار عنهم رأساً وهذا مذهب أبي الحسن الأشعري حيث ادعى أن الإرادة الجزئية موجودة في الخارج مخلوقة لله تعالى ويقولون نحن مختارون في أفعالنا مضطرون في اختيارنا ومع ذلك منوط بدواعي[1] لا اختيار للعبد فيها وتلك الدواعي الشوق إلى الفعل المنبعثة عنه الإرادة وتصور أنه ملائم وهو سبب للشوق المذكور ولا يخفى عليك أن مآل ما ذكره المص الجبر لأن سلب الاختيار عن العبد رأساً عين الجبر مآلاً فالحق أن للعبد اختياراً جزئياً وإرادة جزئية وهي ترجيح أحد مقدور به على الآخر وهي غير مخلوق لله تعالى لأنها لكونها عبارة عن المعنى

قوله: باختيار منوط بدواع لا اختيار لهم فيها أي فإن اختيار العباد مخلوق بخلق الله وإيجاده المسبوق باختيار منه منوط بدواع لا اختيار للعباد في تلك الدواعي فاستند اختيار العباد بواسطة اختيار الله إلى أمر لا اختيار لهم فيه فقوله منوط بالجر على أنه صفة اختيار وقد وقع في بعض النسخ هكذا فإن اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع إلى آخره فعلى هذا يكون منوط خبراً بعد خبر لأن فالمعنى على هذا أنه إذا اختار عبد فعلاً فلا بد لاختيار ذلك الفعل من أمر داع إلى فعله مرجح له على تركه وذلك الأمر الداعي الذي خطر على قلبه ليس باختيار منه وإلا لزم لاختيار ذلك الأمر الداعي داع آخر فإما أن يتسلسل الدواعي والاختيارات إلى غير النهاية وهو باطل أو ينتهي إلى داع ليس باختياره.

---

(١) والدواعي وإن لم تكن اختيارية لكن العبد بعد وجود الدواعي له أن يريد وأن لا يريد.

besturdubooks.wordpress.com

النسبي غير موجودة في الخارج فلا تحتاج إلى الخالق إذ الخلق إخراج المعدوم من العدم إلى الوجود فهي صادرة عن العباد وهي مدار الثواب والعقاب فإنها ليست أمراً اعتبارياً محضاً كأنياب الأغوال وبحر من زئبق بل متحققة في نفس الأمر كالأمور النسبية بين الأمور كنسبة القيام إلى زيد وغيرها فإنها موجودة في نفس الأمر موصوفة بالمطابقة وعدم المطابقة لما في الخارج فالخارج ظرف لنفسها لا لوجودها لعدم وجودها فمعنى الآية ما كان لهم الخيرة المؤثرة فالمنفي هو التأثير لا الاختيار نفسه بقرينة قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] الآية حيث حصر الخلق على ذاته[1] المقدسة ونفى عن عباده تأثير إرادته الجزئية خلقاً ومن أراد الاطلاع على حقيقة الحال فليراجع إلى المقدمات الأربعة للمحقق صدر الشريعة وشرحنا عليها.

قوله: (وقيل المراد به أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه) وقيل المراد فالمعنى حينئذٍ ما كان أي ما صح وما استقام لهم الخيرة على الله أي التحكم عليه تعالى بأن يقولوا لم لم يفعل الله كذا كما ذكر في سبب النزول لأن مآله لم لم ينزل القرآن ﴿على رجل﴾ [سبأ: ٧] الآية مرضه مع كونه مؤيداً لعدم ملائمته للسياق وأيضاً يحتاج إلى حذف المتعلق وهو لفظة على الله كما عرفته وإلى حمل ما كان على معنى ما صح وما استقام فإنه نفي الكون هو الشائع لأنه معنى حقيقي له ومعنى نفي الصحة وإن كان معنى له مشهوراً لكنه مجاز لا يصار إليه ما أمكن الحقيقة.

قوله: (ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روي أنه نزل في قولهم ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾) ولذلك خلا عن العاطف بالتخفيف والبناء للفاعل وجه الخلو هو أنه حينئذٍ يكون مفسراً وموضحاً لمعنى يخلق ما يشاء فإن حاصله أنه تعالى يخلق ما يشاء ويختار لا ما اختاره العباد عليه وهو ينافي العطف وفي الأول ترك العطف

قوله: وقيل المراد به أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار عليه يعني قيل المراد بقوله تعالى: ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص: ٦٨] أنه ليس لأحد من خلقه أن يختار على ما اختاره الله تعالى أي ما صح لهم وما استقام أن يختار خلاف ما اختاره الله تعالى وهذا المعنى مستفاد من ما كان فإن ما كان له وما كان ينبغي له يستعملان في معنى ما صح له وما استقام له على ما مر فعلى هذا الوجه لا تدل الآية على سلب اختيار العبد بخلاف الوجه الأول فعلى هذا الوجه يكون ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ بياناً ليختار فلذا ترك العاطف ولم يتعرض رحمه الله لوجه ترك الواو في الوجه الأول فلعل تركه لكونه استئنافاً مورداً في معرض الجواب عن السؤال المقدر فإنه لما اثبت الله تعالى الاختيار لذاته بقوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ [القصص: ٦٨] كان ذلك مظنة سؤال هل لغيره من عباده اختيار أم لا فقال ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ جواباً لذلك السؤال لنفي الاختيار من غيره.

قوله: ويؤيده ما روي الخ أي ويؤيد هذا الوجه الأخير ما روي الخ وجه تأييده له أن قولهم هذا اختيار منهم على ما اختاره الله تعالى فنزلت ناطقة بعدم صحته.

---

(١) لأنه من قبيل أنا سعيت في حاجتك.

besturdubooks.wordpress.com

لأنه أيضاً تأكيد له إذ لو كان للعبد اختيار مؤثر لا يتم الحصر المذكور وقيل إنه استئناف بأن حال العباد ماذا فقيل ليس لهم اختيار.

قوله: (وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع إليه محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة أي الخير والصلاح) وقيل ما موصولة لا نافية فيكون مفعول يختار فيكون المعنى ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ أي الخير والصلاح فيكون اكتفاء باختيار الخير لهم مثل قوله تعالى: ﴿بيدك الخير﴾ [آل عمران: ٢٦] فلا ينجر إلى مذهب الاعتزال فلا حاجة إلى القول بأنه ليس المراد اختياره على الوجوب بل بمقتضى الكرم على أن المحذور ولزوم عدم إرادة الشر لهم فلا يندفع بما ذكر بل بما ذكرناه وجه التمريض كون الخيرة بمعنى الخير مما لم يعرف ثبوته لغة وعرفاً وأيضاً لا يلائم قوله سبحان الله.

قوله: (تنزيهاً له عن أن ينازعه أحد أو أن يزاحم اختياره) أحد أي في الخلق والتأثير وهذا يؤيد ما ذكرناه أن المعنى نفي الاختيار المؤثر قوله أو أن يزاحم الخ إشارة إلى ما قيل الأول وأما احتمال الموصولية فلم يشر إليه لعدم استقامته إلا أن يقال تنزيه عن اختيار ما كان لهم الشر المحض إذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيراً كلياً.

قوله: (عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به) فما مصدرية قدمه لعدم احتياجه إلى التقدير وفي الموصول يحتاج إلى تقدير مضاف وعائد.

قوله تعالى: وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾

قوله: (كعداوة[1] رسول الله عليه السلام وحقده) فيكون إسناداً لكن إلى الصدور مجازاً ولذا قيل وما يعلنون قدم الأول لكون العلم به والإخبار به أهم وذكر علم الإعلان للتنبيه على أن علمه تعالى بما خفي وما أعلن سيان لأن الإخفاء والإعلان بالنسبة إلى المخلوق فإنه تعالى: ﴿لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ [آل عمران: ٥] **(كالطعن فيه المستحق للعبادة)**.

قوله تعالى: وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

قوله: (لا أحد يستحقها إلا هو) أشار إلى أن المراد نفي الاستحقاق وإثباته وأما المعبود بالباطل فثابت وهذه الجملة كالتأكيد لما قبلها ولذا اختير الفصل له.

قوله: وقيل ما موصولة أي ما في ما كان موصولة بمعنى الذي لا نافية كما في الوجهين الأولين والراجع إليه محذوف وهو فيه فالمعنى وربك يفعل ما يشاء ويختار الذي فيه الخير والصلاح لهم وفي هذا الوجه من أصول أهل الاعتزال شيء.

قوله: عن إشراكهم أو مشاركة ما يشركونه فسره على وجهين الوجه الأول مبني على كون ما

---

(١) فيه إشارة إلى وجه ارتباطه بما قبله ففيه وعيد ووعد إذ المراد بيان الجزاء وأعيد ربك لاظهار كمال لطفه له عليه السلام وللتنبيه على استقلاله فإن الأول صفة فعلية والثاني صفة ذاتية.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (له الحمد في الأولى والآخرة) قصر الموصوف على الصفة أي الحمد مقصور على الاتصاف بكونه له تعالى ولم يعطف لأنه كالتأكيد لما قبله لأنه لما كان الحمد مختصاً به تعالى لكونه مولى النعم كلها يظهر أنه المستحق للعبادة فقط وتقديم الأولى لتقدمها وجوداً.

قوله: (لأنه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم ﴿الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾ ﴿الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ ابتهاجاً بفضله والتذاذاً[١] بحمده) لأنه المولى اسم الفاعل بمعنى المعطى كلها بلا عوض ولا غرض وأما إعطاء غيره فلعوض وغرض يريد به جزيل ثواب أو جميل ثناء وغير ذلك ومع ذلك كالواسطة في ذلك لأن ذات النعم والمنعم بخلق الله تعالى ومراد المص الإشارة إلى وجه حصر الحمد سواء كان في الدنيا أو في الآخرة له تعالى إذ الحمد على نعمة غيره تعالى راجع إلى الحمد له تعالى وهذا البحث شائع في الأولين والآخرين.

قوله: (القضاء النافذ في كل شيء) القضاء أي الحكم بمعنى القضاء قولاً قوله النافذ في كل شيء منفهم من إطلاق الحكم ويجاز أخذه من خارج أعيد له ولم يجيء له الحمد والحكم تنبيهاً على استقلاله[٢] على حياله واختير الوصل للإشارة إلى التغاير بينهما والجامع لأن الحكم سبب من أسباب الحمد **(بالنشور)**.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾﴾

قوله: (﴿قل أرأيتم﴾) أي أخبروني لما كان الحمد المذكور حمداً على النعم كما قال المص لأنه المولى بين بعض النعم ترغيباً للحمد على الوجه الأتم.

مصدرية والثاني على أنها موصولة لكن في الثاني يجب تقدير مضاف إلى ما فلذا قال في الثاني أو مشاركة ما يشركونه.

قوله: المستحق للعبادة إشارة إلى اشتقاق لفظة الله فإنه من إله بمعنى عبد ومعنى استحقاق العبادة مستفاد من طريق القصر في هو الله أي من جعل المسند إليه والمسند معرفتين مع كون المسند إليه ضميراً وكذا في لا إله إلا هو معناه لا أحد يستحقها إلا هو فإن معناه نفي إله مستحق للعبادة غيره تعالى لا نفي إله غيره مطلقاً لوجود المعبودات الباطلة ولما كان معنى القصر في الاستحقاق دون وجود المعبود جعل رحمه الله معنى القصر في الاثبات والنفي في القصرين راجعاً إلى معنى الاستحقاق لا إلى أصل العبادة.

قوله: بقولهم الحمد لله متعلق بيحمده المؤمنون في الآخر لا يحمدوه في الدنيا فإن ذلك قولهم في الآخرة.

قوله: ابتهاجاً بفضله والتذاذاً بحمده أي يحمدون الله تعالى في الجنة ابتهاجاً أي سروراً

---

(١) والتحميد في الآخرة على وجه اللذة لا الكلفة.

(٢) بين عباده في الآخرة لا يشاركه غيره.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (دائماً من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم في دلامص) والميم زائدة لدلالة السرد عليه فوزنه فعمل والدلامص بضم الدال المهملة وكسر الميم البرق هذا مختار المص واختار صاحب القاموس أن الميم أصلية ووزنه فعلل لأن الميم لا ينقاس زيادتها في الوسط والآخر والسرد الدائم في جانب الماضي والمستقبل.

قوله: (بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها فوق الأفق الغائر) بإسكان الشمس وفيه إشارة إلى أن الشمس متحركة وهذا يلائم مذهب الحكماء والأفق الغائر بالغين المعجمة أي الأفق الغير المرئي وظاهره تكرار لأن ضياءه لما لم يظهر يلزم أن يكون تحت الأرض بالكلية إلا أن يقال إن الفرق أن في الأول جعل الشمس ساكنة غير متحركة وفي الثاني متحركة والجواب بأنه ليس تحت الأرض بالكلية حتى يكون تكراراً ضعيف لأن كونها تحت الأرض عدم ظهور ضيائها وفي هذا كذلك.

قوله: (كان حقه هل إله فذكر بمن على زعمهم أن غيره آلهة وقرأ ابن كثير بضئاء بهمزتين) كان حقه الخ لأن هل[1] في الأصل لطلب التصديق وإن لم يكن هنا كذلك لكن لما نزل القرآن على محاورة العرب يراعى في مثله أصل معنى الحروف والمناسب لهذا المقام هل لا من لأن من يطلب به التعيين المقتضي لأصل الوجود فاختير من على زعم المشركين أن آلهتهم موجودة تبكيتاً وتخجيلاً ومراده بقوله وكان حقه وكان مقتضى الظاهر لكنه عدل عنه إلى مقتضى الحال كما ذكره وليس فيه ترك الأدب إذ فيه بيان مقتضى الظاهر وهو حق الكلام بلا نظر إلى مقتضى الحال فهو حق الكلام في نظر البلغاء فسقط ما قاله الفاضل المحشي وقرأ ابن كثير بضئاء بإبدال الياء همزة.

ونشاطاً من تفضله وإنعامه عليهم والتذاذاً بحمده يعني أن حمدهم ذلك ليس لأداء ما وجب عليهم من شكر نعيم أنعمه الله عليهم في الجنة إذ لا يجب عليهم شيء هناك لأن ايجاب الشكر على النعمة تكليف والجنة ليست دار تكليف فالحمد فيها لمجرد التلذذ والابتهاج.

قوله: من السرد وهو المتابعة من سردت الحديث اتبعت بعضه بعضاً ومنه قولهم في الأشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد فالسرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والميم مزيدة فوزنه فعمل وميمه كميم دلامص بفتح الدال وكسر الميم من الدلاص بمعنى البراق قال الجوهري الدليص والدلاص اللين البراق يقال درع دلاص وأدرع دلاص الواحد والجمع على لفظ واحد وقد دلصت الدرع أي برقت ولمعت ودلصتها تدليصاً.

قوله: كان حقه هل إله أي كان مقتضى الظاهر أن يقال هل إله غير الله يأتيكم بضياء لأن السائل بهل طالب أن الشيء موجود أو معدوم والسائل بمن طالب لتعيين الشيء بعدما كان موجوداً والإله غير الله معدوم غير موجود فكان حق السؤال أن يكون بكلمة هل لكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى السؤال بمن بناء على زعمهم بأن في الوجود إلهاً غير الله والاستفهام هنا في

---

(١) وكان الظاهر أيضاً من يأتيكم بضياء لكن قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة كما أشار إليه المص لأن مقتضى الألوهية اتيان مثل هذا والقدرة عليه فإذا لم يقدر عليه لا يكون إلهاً.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (سماع تدبر واستبصار) أي المنفي ليس مطلق السماع كما هو الظاهر بل سماع مقرون بالتدبر والاستبصار أي الإدراك بالبصيرة فهو فرد كامل فيراد به أي لو كنتم على بصيرة حين سماعكم هذه التنبيهات عرفتم أن لا قادر على ذلك إلا الله تعالى فظهر حسن ختام الآية بلا تسمعون دون أفلا تبصرون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

قوله: (بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق) في وسط السماء أي مثلاً إذ إسكانها في غير وسط السماء كذلك.

قوله: (استراحة عن متاعب الأشغال ولعله لم يضف الضياء بما يقابله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه) لم يضف الخ حيث لم يجيء هكذا ضياء تتقلبون فيه لمعاشكم مثلاً لأنه يدل على أن النعمة ما فيه من التصرف لا نفسه وأما الليل فكونه نعمة بكونه لباساً يحصل به التستر والنوم والراحة وإنما قال ولعله لاحتمال كون ذلك للاكتفاء بذكر ما يقابله ولم يعكس لأن الثاني أليق بالتصريح به ويؤيده قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبأ: ١١] حيث جعل النعمة كونه وقت معاش لا نفسه مثل قوله ﴿وجعلنا الليل لباساً﴾ [النبأ: ١٠] بلا فرق بينهما ونظائره كثيرة.

كلا الموضعين للإنكار والتوبيخ والتبكيت بمعنى ليس في الوجود إله غير الله والاستفهام هنا في كلا يأتيكم بضياء وبليل.

قوله: لم يصف الضياء بما يقابله أي بما يقابل السكون والاستراحة كالتصرف والتعب لأمر المعاش حيث لم يقل من إله يأتيكم بضياء تتصرفون فيه ليؤذن أن منافع الضياء ليست مقصورة على التصرف فإن منافعه متكاثرة ولهذا لا يطلع عليها كل أحد كأنه قيل من يأتيكم بضياء ليسهل عليكم جميع ما تحتاجون إليه من التصرف في معايشكم وغيرها ولهذا أتى بقوله أفلا تسمعون تتميماً لهذا المعنى لأن مدرك السمع أكثر من مدرك البصر ولما كان منا الظلام أقل من منافع الضياء لأن غيرك تبصر من منافع الظلام ما تبصره أنت من السكون ونحوه وصفة يتسكنون فيه وقرر به أفلا تبصرون تتميماً لذلك فإن قلت لِمَ لم يقل في الثاني يأتيكم بظلام بدل بليل ليقابل بضياء قلنا لأن الظلام مما يكرهه الطبع وينفر عنه بخلاف الضوء فإنه نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولعل في قوله رحمه الله لأن الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه إشارة إلى جوب هذا السؤال قال بعض الفحول من شراح الكشاف والذي هو أبعد من التكلف أن يجعل أفلا تسمعون تذييلاً للتوبيخ الذي يعطيه.

قوله: أرأيتم أن جعل الله عليكم إلى آخره وكذا في أثنائه على ما في المعالم أفلا تسمعون سماع فهم وقبول أفلا تبصرون ما أنتم عليه من الخطأ ليطابق كل من التذييلين الكلام السابق من التشديد والتوبيخ كأنه قيل أخبروني أن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون مثل هذه الدلائل الظاهرة والنصوص المتظاهرة لتعرفوا أن غير الله لا يقدر على شيء من ذلك وأخبرني أن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله ولذلك قرن به أفلا تسمعون وبالليل) ولأن منافع الضوء أكثر مما يقابله وهو الظلمة والليل فالمضاف مقدر أي أكثر من منافع ما يقابله أو المعنى أنه متباعد في الكثرة مما يقابله كما قيل في أكثر من أن تحصى[١] ولما كان منافعه أكثر لكان عدم ذكرها أولى إذ لو ذكر جميعاً لطال الكلام ولو ذكر بعضه توهم الاختصاص به أو الترجيح بلا مرجح والجواب أنه لو ذكر تتقلبون فيه كما نطق به آية ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ [النبأ: ١١] لكان عاماً لجميع المنافع أو أكثرها أو أعظمها والقول بالاكتفاء أو الترك لظهوره أنسب للمقام وأوفق للآية الكريمة الفخام وقابل الليل بالضياء لأن منافع النهار إنما هي بالضياء هذا إذا قيل النهار الزمان مع الضوء وأما إذا قيل النهار هو الضوء كما اختاره البعض فلا حاجة إلى النكتة وكذا الكلام في الليل إما وقت مع الظلمة أو الظلمة وحدها فالتعبير بالميل على الأول لأن السكون في المجموع وعلى الثاني للتفنن.

قوله: (لأن استفادة[٢] العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر) لأن جميع ما يدركه الحواس يعبر عنه بما يدركه السمع ويزيد عليها بإدراك الأصوات كذا قيل وفيه ما فيه لأن استفادة العقل ليس التعبير عنه بما يدركه السمع مثلاً إدراك العقل المبصرات بواسطة الأبصار وكذا المطعومات والملموسات والمشمومات بالطعم واللمس والشم لا التعبير عنها بما يدركه السمع فالوجه أن استفادة العقل في أبواب الدين إنما هو بالقوة السامعة والباصرة والانتفاع بالقوة الباصرة إذا كانت القوة السامعة سليمة عن الآفات وإلا فلا انتفاع بالباصرة في أكثر المبصرات بخلاف العكس[٣] وأيضاً الأدلة السمعية من قبيل المسموعات والانتفاع

يأتيكم بليل تسنون فيه أفلا تبصرون الشواهد المتصوبة الدالة على القدرة الكاملة لتفقوا على أن غير الله لا قدرة له على ذلك وفيه أن دلالة النص أولى وأقدم من دلالة العقل وقال الراغب في غرة التنزيل أن نسخ الليل بالنير الأعظم أبلغ في المنافع وأضمن للمصالح من نسخ النهار بالليل إلا يرى أن الجنة نهارها دائم لا ليل معه لأن الليل في دار التكليف للاستراحة عن المتاعب والمشاق المنصبة ودار النعيم يستغني فيها عن ذلك لأنها مقصورة على نيل المشتهي وعلى ما تلذ الأعين وتهوي الأنفس فتقديم ذكر الليل لانكشافه عن النهار الذي يتمكن فيه من التصرف في المعايش بالسعي في المصالح إلى ما لا يصحى من المنافع المتعلقة بالشمس أحق وأولى ومعنى قوله أفلا تسمعون سماع من يتدبر المسموع ليستدرك منه قصد القائل ويحيط بأكثر ما جعل الله في النهار من

---

(١) وهذا تكلف فالأولى تقدير المضاف كما ذكرنا.

(٢) أشار به إلى أن اكتساب العقل المعارف النظرية إنما هو من الضروريات المستفادة من إحساس الجزئيات مثلاً كل نار حارة حكم كلي يحكم به العقل بواسطة إحساس هذه النار حارة وتلك النار حارة مع ملاحظة العلة وهكذا كل عسل حلو وكل ثلج أبيض إلى غير ذلك.

(٣) وفي الكشاف لأن السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده وكذا السمع يدرك ما لا يدرك الذوق والشم واللمس من منافع المذوقات والمشمومات والملموسات فلا ريب أن متعلق السمع وإن كان صوتاً وحرفاً لكنه كثيراً جداً كما عرفته.

besturdubooks.wordpress.com

بها لا يكون بمجرد الأبصار وكذا أكثر الأدلة العقلية ولذا ترى الأصم محروماً عن الكمال بالمرة بخلاف الأعمى فإن بعضهم يرتقي في الكمال مبلغاً لا يصل إليه بعض المبصرين وناهيك دليلاً على كون استفادة العقل من السمع أكثر وللتنبيه على شرافته قدم على البصر في أكثر مواضع من القرآن ومن الأخبار وقدم أحوال الليل لتقدم الليل في الوجود وعن هذا قدم أيضاً في الآية التي تليها.

قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قوله: (ومن رحمته) أي وبسبب رحمته[1] فمن سببية جعل أي خلق لأجلكم الليل إذ الليل وإن كان عبارة عن الظلمة وهي عدم ملكة يتعلق به الخلق.

قوله: (أي في الليل) أشار إلى أن الكلام لف ونشر مرتب.

قوله: (ولتبتغوا في النهار) أعيد اللام للتنبيه على استقلاله قوله في النهار نبه به على أن فيه محذوفاً اكتفاء بالأول من فضله قيد للأخير أولهما الضمير في من فضله راجع إلى الله تعالى ونفي للإيجاب عنه والوجود عليه الظاهر أنه علة للمعلل إذا لجعل معلل بالرحمة والمجموع معلل بالفضل والإحسان بل الأظهر أنه كالتأكيد لمن رحمته وفيه ترغيب للسعي الجميل في طلب الرزق كما ورد الكاعب حبيب الله وورد أيضاً فاتقوا الله فاجملوا في الطلب أمر من الإجمال أو من الجميل.

قوله: (ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك لتشكروا عليها) أي لعل هنا للتعليل دون الترجي ومحمول على الاستعارة التمثيلية لا بمعنى كي فإن المص رده في أوائل سورة البقرة بأنه ضعيف والمعرفة لازم متقدم على الشكر فيكون ثابتاً فاقتضاء النص.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

قوله: (تقريع بعد تقريع للإشعار بأنه لا شيء أجلب بغضب من الله تعالى من الإشراك به أو الأول لتقرير فساد أرائهم والثاني لبيان أنه لم يكن عن سند وإنما كان محض تشبه وهوى) تقريع الخ أي السؤال للتقريع بعد تقريع لكونه أعظم الجرائم ذكر مرة بعد مرة أخرى للتحذير عنه على الوجه الأخرى أو لا إعادة إلا في اللفظ لتغاير المراد في الموضعين إذ الأول لتقرير

المنافع أم أنتم صم عن سماع ما ينفعكم وقوله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون معناه أفلا تستدركون من ذلك ما يجب استدراكه إلى هنا كلامه.

قوله: تقريع بعد تقريع قال صاحب الكشاف في تكرير التوبيخ باتخاذ الشركاء إيذان بأن لا شيء اجلب لغضب الله من الإشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم كما أدخلتنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك.

---

(١) فمن لجلية أو بمعنى الباء.

besturdubooks.wordpress.com

فساد رأيهم بدلالة قوله: ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾ [القصص: ٦٣] الآية والثاني لبيان أنه لم يكن الخ بدلالة ما بعده أيضاً من قوله: ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ [القصص: ٧٥] ولذا لم يقل بالعكس والوجه الأول بناء على الأغمض عن الفرق المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوٓا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝٧٥﴾

قوله: (ونزعنا وأخرجنا من كل أمة شهيداً وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه) ونزعنا عطف على يناديهم والماضي لتحقق وقوعه والنداء أيضاً محقق الوقوع لكن لم يعبر عنه بالماضي لعدم قصد التنبيه عليه وقد مر غير مرة أن النكتة بناء على الإرادة على أنه يجوز أن يكون النزع بالنسبة إلى النداء ماضياً والنداء مستقبلاً بالنظر إليه وهذا أبلغ من قوله: ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ [النحل: ٨٤] إذ لنزع هو الإخراج بشدة فيفيد اتصال نبيهم بطريق التبلغ ومن ابتدائية لا تبعيضية وعن هذا قال وهو نبيهم يشهد لهم وعليهم[١] بالإيمان والكفر فالأئمة تعم أمة الإجابة والدعوة وهذا في موقف وشهادة أمة محمد[٢] عليه السلام حسبما انطلق به قوله تعالى: ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية في موقف آخر توفيقاً بين النصوص.

قوله: (للأمم) أي الأمم الكفرة.

قوله: (هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به) هاتوا قد مر توضيحه في سورة البقرة والمعنى أحضروا سواء كان أمراً أو اسم فعل والأمر للتعجيز وإضافة البرهان إليهم لتصريح كمال جهلهم[٣] وأصله هاتوا البرهان بلا إضافة **(حينئذ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد.**

قوله: (أي غاب عنهم غيبة الضائع) أي الضلال هنا بمعنى الغيبة أما مجازاً أو حقيقة مثل قوله تعالى: ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ [السجدة: ١٠] قوله غيبة الضائع يرجح كونه استعارة والغيبة من جهة المكان أو من جهة النمفعة والإحسان شبه غيبته بأي معنى كان بالضلال فذكر بلفظ المشبه به وأريد المشبه.. **(من الباطل)**.

قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُولِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾

قوله: (كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى) يصهر بفتح الياء المثناة من تحت

---

(١) من قبيل انقسام الآحاد إلى الآحاد.

(٢) أفضل الكسب الجهاد ثم التجارة ثم الحراثة ثم الصناعة ومنه فرض ومستحب ومباح.

(٣) هكذا صرح به المص في سورة النحل وخص البعض بالكفرة إذا الكلام فيهم وهو المناسب.

(٤) وشهادتهم لا ينافي قولهم لا علم لنا لأن المراد عدم العلم ببواطنهم أو عدمه بعد انتقالهم.

(٥) والتهكم بهم.

(٦) أشار به إلى أن معنى من قومه ممن آمن به.

besturdubooks.wordpress.com

وصاد مهملة ساكنة وهاء مضمومة وراء قاهث بالقاف والهاء المفتوحة بعد الألف والثاء المثلثة لاوى مقصوراً هو ابن يعقوب عليه السلام وما ذكره المص هنا رواية وما ذكره في سورة آل عمران أن موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى رواية أخرى فيصير يصهر جده لا عمه وهذه الرواية الأخيرة هي الأكثر الأشهر.

قوله: (وكان ممن آمن به) وفي الكشاف نافق موسى كما نافق السامري.

قوله: (فطلب الفضل عليهم وإن يكونوا تحت أمره أو تكبر عليهم أو ظلمهم) والطلب معنى بغي والفضل[1] منفهم من قوله: ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ [القصص: ٧٦] وقيل لتضمنه معنى الفضل بقرينة تعديته بعلى ولا يلائمه قوله أو تكبر عليهم أو ظلمهم فالأولى أن الطلب لا بد له من مطلوب وهو أحد ما ذكره المص بمعونة المقام وحذف ليذهب السامع كل ممكن له قوله أو تكبر عليهم وتعديته بعلى لذلك أي فطلب التكبر عليهم وما ذكره حاصل معناه فهو أبلغ من تكبر عليهم وكذا الكلام في أو ظلمهم أي فطلب الظلم والشيء مع الطلب يكون أشد فعلي هذا الفاء فصيحة أي ضل وكفر بعدما أمن فبغي الخ.

قوله: (قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني إسرائيل) وذلك أي ظلمة حين ملكه فرعون أي جعله ملكاً لفرعون مرضه لأن سوق القصة ظاهر في أنها بعد هلاك فرعون وإنزال التورية حتى روى أنه كان أقرأ بني إسرائيل للتورية ولكنه نافق كما في الكشاف.

قوله: (أو حسدهم بحلته لما روى أنه قال لموسى لك الرسالة ولهارون الحبورة وأنا في غير شيء إلى متى اصبر) أو حسدهم أي حسدهما لقوله لما روى الخ فعلى هذا لا يكون الفاء فصيحة لأن القرابة تدعوا إلى الحسد وتعديته بعلى في الآخرين لتضمنه معنى الإضرار ولذا أخرهما قيل أو الحسد لما فيه من طلب ما ليس حقه وطلب زوال نعمة المحسود وهذا بناء على أن هذه المعاني معنى بغى والظاهر كما عرفته أن البغي بمعنى الطلب ولا بد له من مطلوب والمطلوب المقدر أحد هذه الأمور بمعونة المقام وبدلالة ما بغده وعلى متعلق بأحد هذه المقدرات ولو أريد مجموع هذه الأمور لم يبعد الحبورة بضم الحاء المهملة والباء الموحدة مصدر حبر الرجل إذا صار حبراً بكسر الحاء وسكون الباء أي إماماً متبوعاً ولم يقل ولهارون النبوة والحبورة لكمال حسده أيضاً فعلى هذه الرواية ضمير عليهم في فبغى عليهم للقوم مع موسى وهارون عليهما السلام وعلى الأول للقوم فقط كما هو الظاهر وإن احتمل العموم لشدة شكيمته ولكمال حماقته.

قوله: (من الأموال المدخرة) يريد إن الكنوز في الأصل الأموال المدفونة لكنها هنا مستعارة للأموال المدخرة[2] والجمع كمال التحفظ.

---

(١) وكذا التكبر والظلم أيضاً متفهم منه.

(٢) ولكونها مدخرة عبر عنها بالكنوز دون المعادن.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (مفاتيح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها المفتح)[1] مفاتيح صناديقه قدر المضاف إذ المفتاح ليس للأموال بل ظروفها وهو الصناديق هنا ولم يرض بكون المزاد الخزائن لعدم ملائمته لقوله: «لتنوء بالعصبة» وقيل لأنه غير معروف قوله المفتح بفتح الميم لأنه اسم مكان وقد جزم به في سورة الأنعام.

قوله: (خبران والجملة صلة ما وهو ثاني مفعول آتيناه) صلة ما لأنه موصول ومن الكنوز بيان له قدم لطول ذيل المبين وأشار به إلى رد ما نقل عن الكوفيين من أن الجملة المصدرة بأن لا تكون صلة للموصول فإنه يكذبها وقوعها في هذه الآية كما قال الأخفش ولعلهم حملوا هذه على كونها موصوفة فإن قالوا إن تلك الجملة لا تكون صفة أيضاً فالرد غير مندفع إذ الظاهر أن المانع من كونها صلة إن الجملة المصدرة بأن يجب أن يقع في ابتداء الكلام ولا يرتبط بما قبلها فهذا يقتضي أنها لا تكون صفة أيضاً فحينئذ يكون سر كونها صلة في هذه الآية أنها غير مرتبطة بما قبلها إذ الموصول وحده مفعول لا مع الصلة فقول المعربين أن الموصول مع صلته كذا من مسامحاتهم.

قوله: (وناء به الحمل إذا أثقله حتى أماله) وناء به الحمل بكسر الحاء وسكون الميم ما يحمل وبفتح الحاء مصدر إذا أثقله حتى أماله فالباء للتعدية ولم يلتفت إلى كونها للملابسة لعدم سلاسة المعنى فإنه يحتاج إلى أن يقال أن المحمول يميل بميل الحامل وأيضاً ينتفي المبالغة.

قوله: (والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا) الجماعة الكثيرة بلا تعيين عدد خاص وقال في سورة يوسف والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً وفي الموضعين أشار إلى القولين لأرباب اللغة واختلفوا في التعيين فقيل من عشرة إلى خمسة عشر وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل من عشرة إلى أربعين وقيل أربعون وقيل سبعون ولا يوافق القولان الأخيران قوله تعالى: ﴿ونحن عصبة﴾ [يوسف: ٨] الآية فإنهم عشرة إلا أن يحمل على المجاز وهو تكلف وعدم تعيين العدد في نفسه بل تعيينه بحسب الموارد والاستعمال من أطيب المقال.

قوله: (وقرىء لينوء بالياء على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه) وهو التذكير هنا والتأنيث في قوله تعالى: ﴿وإن تك حسنة﴾ [النساء: ٤٠] الآية لأنه راجع إلى مثقال لإضافته إلى الذرة فالمضاف قد يكتسب التذكير والتأنيث من المضاف إليه لأنه بمنزلة الجزء منه.

قوله: (منصوب بتنوء) أي أنه[2] متعلق به ورد أبي حيان بأنه لا معنى لتقييد أثقال

قوله: وقياس واحدها المفتح أي إذا كان المراد بالمفاتيح الخزائن يكون جمع مفتح بفتح الميم لأن الخزينة محل الفتح وموضعه قيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلاً لكل خزانة مفتاح.

---

(١) مفاتيح جمع مفتاح وللتنبيه على أن مفاتح جمع مفتح بالكسر في أول الأمر فسره بمفاتيح وهو مشهور في معنى ما يفتح به.

(٢) وقال ابن عطية إنه متعلق ببغى عليهم وهو الظاهر فإن القول المذكور سبب قوي لظهور بغيه وإن عم الأوقات في نفسه.

besturdubooks.wordpress.com

المفاتح العصبة بوقت مدفوع بأن المراد الوقت المتسع وأن المراد بقوله لتنوء بالقوة على أن جهة القضية الإمكان[١] فهو ثابت في عموم الأوقات والوقت للقول المذكور خص به من بينها لكونه أهم على أن المراد كما عرفته الوقت المتسع إذ القول المذكور من شأنه أن يقال له في كل وقت فإن عمم القول إلى الفعل وإلى الإمكان اندفع الشبهة بالكلية ولو قيل إنه منصوب باذكر المقدر كما قيل في نظائره لكان أقل مؤنة لكنه يفوت المبالغة المذكورة حينئذٍ.

قوله: (لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقاً لأنه نتيجة حبها والرضاء بها والذهول عن ذهابها فإن العلم بأن ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح) لا تبطر البطر الفخر والغرور وإنما حمله عليه لأن الفرح أمر اضطراري لا يتوجه النهي إلا باعتبار مباديه أو غايته وهنا باعتبار غاية الفرح قوله مطلقاً قيد للفرح لأنه رأس كل خطيئة إلا أن يكون السرور لكونه ذريعة للآخرة فلا يكون مذموماً لكن لا يكون الفرح على هذا بالدنيا من حيث إنها دنيا قوله يوجب الترح أي الحزن الترح ضد الفرح[٢].

قوله: (كما قال أشد الغم عندي في سرور تيقن عند صاحبه انتقالاً) كما قال الخ هذا البيت للمتنبي وهذا استشهاد على أن العلم بأن ما فيها الخ يوجب الغم والهم قوله فإن العلم الخ بيان للذهول عن ذهابها وفنائها مفارقة وجه التأنيث لكون ما عبارة عن اللذة وفي نسخة مفارق وعن في قوله تيقن عنه متعلق بانتقالاً مقدراً أو المذكور إن جوز تقدم معمول المصدر عليه.

قوله: (ولذلك قال تعالى: ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣]) وروي عن الحسن أن آية ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ [الحديد: ٢٣] جمعتا الزهد كله ومثل هذا برهان إني لا برهان لمي فلا إشكال[٣] بأن الحسن والقبح شرعيان عند الأشاعرة فلا يصح تعليل النهي بذم الفرح بل الأمر بالعكس.

قوله: (وعلل النهي هنا بكونه مانعاً من محبة الله تعالى فقال إن الله) الآية وعلل النهي الخ أشار إلى أن قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] دليل على

قوله: يوجب الترح وهو الغم كما قيل أشد الغم البيت معناه السرور الذي تيقن صاحبه الانتقال عنه هو أشد الغم عندي لأنه يراعي وقت زواله اليوم أم غداً أم بعد غد فينقبض كلما ذكر زواله وقال آخر:

ولست بمفراح إذ الدهر سرني ... ولا جازع من صرفه المتقلب

وروي والذي نفس محمد بيده أن ما أوتيتم من الدنيا كاناخة ناقة فعلام يتفرحون وإلى م ينتظرون ولله در القائل:

إنما الدنيا كظل زائل ... أو كضيف نازل ثم ارتحل

قوله: وعلل النهي الخ أي علل النهي عن الفرح بالدنيا بكونه مانعاً من محبة الله معنى

---

(١) إذ كونه بالفعل بعيد. (٢) بين الترح والفرح جناس ناقص.

(٣) أو المراد أنه صفة نقصان لما ذكره وقبحها عقلي اتفاقاً والنزاع في القبح بمعنى يعاقب فاعله ويثاب تاركه فلا إشكال أصلاً.

besturdubooks.wordpress.com

الحكم المنفهم من النهي أي الفرح بالدنيا مذموم لأنه يؤدي إلى منع محبة الله تعالى وكل ما هذا شأنه فهو مذموم أما الكبرى فظاهرة وأما الصغرى فلقوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] على أن اللام للاستغراق والكلام للاستغراق في النفي لا نفي الاستغراق. قوله: (أي بزخارف الدنيا).

قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾

(**﴿وابتغ فيما آتيك الله﴾ من الغنى**) وابتغ الآية أي في شأن ما آتيك الله أو لسبب ما آتيك الله كقوله عليه السلام إن امرأة عذبت في هرة.

قوله: (بصرفه فيما يوجبها لك فإن المقصود منه أن يكون وصلة إليها) بصرفه متعلق بقوله ابتغ وهذا لا يشعر بأن الفاء في قوله فيما آتيك بمعنى الباء بل ينبىء بخلافه لئلا يلزم تعلق الجارين الخ.

قوله: (ولا تنس ولا تترك ترك المنسي) ولا تنس كناية عن الترك ولا يراد به ظاهره لما مر من أن الأمر الغير الاختياري لا يدخل تحت التكليف والنسيان غير اختياري والمراد لازمه ولذا قال ولا تترك ترك المنسي.

قوله: (وهو أن تحصل بها آخرتك أو تأخذ منها ما يكفيك) وهو أن تحصل الضمير للنصيب وأخبر عنه بالفعل مع أن لأنه لاشتماله الذات يصح أن يقع خبراً وليس كالمصدر الصريح أو بتقدير ذو إن تحصل قوله أو تأخذ الخ محصله الأمر بالقناعة وبمقدار الكفاية لكن هذا المعنى لا يناسب هنا إذ المخاطب ذو مال كثير ولذا قدم الأول.

قوله: (إلى عباد الله فيما أنعم عليك وقيل أحسن بالشكر والطاعة كما أحسن الله إليك بالإنعام) إلى عباد الله قدمه لأنه هو المناسب بقوله كما أحسن الله إليك وهذا من إفراد ما أشير إليه بقوله ﴿وابتغ فيما آتيك الله﴾ [القصص: ٧٧] الآية خص بالذكر تنبيهاً على فخامته من بين العبادات التي تحصل بها الآخرة الكاف في كما أحسن للتشبيه[1] لكن يفيد العلية مرض القول المذكور لعدم ملائمته للمقام وإن المعنى الأول مستلزم للشكر وليس بالعكس.

التعليل مستفاد من وقوع جملة ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ [القصص: ٧٦] موضع الاستئناف جواباً لما عسى يسأل ويقال ما علة النهي عن الفرح بزخارف الدنيا فأجيب بأن الله لا يحب الفرحين أي علة النهي كونه مانعاً من تعلق محبة الله بمن اتصف به.

قوله: ولا تترك ترك المنسي جعل النسيان مجازاً مستعملاً في معنى مطلق الترك إذ المراد ليس النهي عن حقيقة النسيان بل المراد النهي عن معناه المجازي الذي هو الترك أي خذ ولا تترك من الدنيا مقدار ما يحصل به آخرتك أو مقدار ما يكفيك.

---

(١) افادة كون الإحسان على وجه الإغناء وبوجه شرعي.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (بأمر يكون علة من الظلم والبغي إن الله لا يحب المفسدين لسوء أفعالهم) نهى عما كان وقع في بعض النسخ زيادة إلى قوله بأمر يكون علة للظلم والبغي متعلق بكان على هذه النسخة وفي نسخة بأمر الخ فقط فعلى هذه قوله بأمر متعلق بتبغ والباء في الأول سببية وفي الثانية للملابسة والأمر مفرد الأمور بمعنى الشيء عبارة عن الغنى أو حب المال والجاه والظاهر الأول فيكون نهياً عن الدوام والإصرار عليه وعلل النهي هنا أيضاً بكونه مانعاً عن محبة الله تعالى ورضائه وقد مر توضيحه قوله ولا تبغ الفساد أبلغ من ولا تفسدوا وهنا ذكر مفعول لا تبغ وهو يؤيد ما ذكرناه آنفاً من أن مفعول فبغى محذوف كما نبه عليه المص ولا يخفى أن عدم محبة الله تعالى عبارة عن عدم الرضاء وهو مقت الله تعالى أو مستلزم له.

قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قوله: (قال) استئناف أي ماذا قال لناصحه أجيب بأنه قال لناصحه ولذا اختير الفصل.

قوله: (فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه) فضلت به فيه نوع اعتراف بأنه فضل من الله تعالى لكنه بسبب ما عندي من العلم أراد أنه تفضل لكنه ليس تفضلاً محضاً بل لما عندي من العلم مدخل في ذلك فظن أن المال الذي يحصل بالكسب لا يجب الشكر عليه ولا الإنفاق منه قال الفاضل السعدي كأنه يقول ليست هذه النعم إحسان الله تعالى بل استوجبته بعلمي واستجلبته بفهمي قوله إنما أوتيته صريح في أنه اعترف بأنه أعطي من الله تعالى وأشار إليه المص بقوله فضلت به فالوجه ما ذكرناه وهو كاف في رد ناصحه.

قوله: (وعلى علم في موضع الحال وهو علم التوراة وكان أعلمهم بها) وعلى علم حال وهو في قوة التعليل فإن الحال قد يفيد علية الحكم فلا حاجة إلى حمل على على التعليل وفي هذا التعبير مبالغة لإفادته أنه استعلى على علم استعلاء الراكب على المركوب على طريقة الاستعارة التمثيلية أو التبعية ولو جعل للتعليل لفات تلك المبالغة.

قوله: (وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة) علم الكيمياء الكيمياء لفظ يوناني

قوله: فضلت به الناس أي قال قارون في جواب قومه إنما أوتيته على علم والضمير المنصوب في أوتيته راجع إلى ما في ما أن مفاتحه لتنوء أي ما أوتيت المال والجاه كائناً على حال من الأحوال إلا على حال علم عندي فضلت به على الناس واستحقت به التفوق عليهم.

قوله: وقيل علم الكيمياء قال الزجاج لا يصح لأن الكيمياء علم لا حقيقة له وقال الطيبي رحمه الله لعل ذلك كان من قبيل المعجزة عن سعيد بن المسيب كان موسى عليه السلام يعلم علم الكيمياء فأفاد يوشع بن نون ثلاثة وكالب بن يوقنا ثلاثة وقارون ثلاثة فخذعهما قارون حتى أضاف علمهما إلى علمه فكان يأخذ الرصاص والنحاس فجعلهما ذهباً وقيل علم الله موسى علم الكيمياء فعلمه موسى أخته فعلمته أخته قارون.

besturdubooks.wordpress.com

بمعنى الحيلة ثم غلب على تحصيل النقدين بطريق مخصوص وقد قيل إنه تعلمها من موسى عليه السلام وقيل إنه لا أصل له وقال الطيبي إنه من قبيل المعجزة لما فيه من قلب الأعيان فلذا أنكره بعض الحكماء وزد بأنه لو كان معجزة لما قبل التعلم وهو ضعيف لأن القائل بأنه معجزة لا يسلم التعلم وإثباته مشكل بل يقال في الرد إنه بمباشرة الأسباب فقلب الأعيان إن كان بمباشرة الأسباب فليس بمعجزة وإن كان بدون الأسباب كقلب عصا موسى حية فمعجزة فالظاهر أنها ليست بمعجزة بل علم من العلوم الغريبة.

قوله: (والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف عليه السلام) والدهقنة أمور الزراعة واستغلال العقار واشتقوه من الدهقان وهو لفظ فارسي يطلق على من يتعاطاه وأصل معناه رئيس القرية ثم قيل إن له عقاراً كثير الدهقان كذا قيل.

قوله: (وعندي صفة له أو متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي) وعندي صفة له أي لعلم أي صفة تفيد الاختصاص على طريقة الاستعارة التمثيلية شبه الهيئة المأخوذة من أمور عديدة وهي قارون وعلمه واختصاص ذلك العلم به بالهيئة المنتزعة من الملك وما في حفظه من الأشياء النفيسة واختصاصها به فذكر اللفظ المستعمل في المشبه به وأريد المشبه ولو لم يعتبر الاستعارة لا يستفاد الاختصاص إذ الصفة لا تفيد الاختصاص.

قوله: (تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لأنه قرأه في التوراة وسمعه من حفاظ التواريخ) تعجيب الخ أي الاستفهام لإنكار النفي وهو يستلزم التعجيب والتوبيخ والواو معطوف على محذوف أي ألم يقرأ التوراة ولم يعلم ذلك وقد قرأها وعلم ذلك وبعد ذلك اغتر بقوته وكثرة ماله فتعجبوا يا أولي الألباب من ذلك قوله مع علمه بذلك إشارة إلى أن الاستفهام لإنكار النفي وإثبات المنفي قوله لأنه قرأ التوراة الخ إشارة إلى المعطوف عليه المحذوف.

قوله: (أو رد لادعائه العلم[1] وتعظمه به[2] بنفي هذا العلم عنه أي أعنده[3] مثل هذا

قوله: كقولك جاز هذا عندي أي في ظني واعتقادي وعن بعضهم على ذلك قول القائل ومن أنتم حتى يكون لكم عند وكلمة عند بيان الحكم كما تقول هذا عند أبي حنيفة والشافعي أي في حكمهما.

قوله: أورد لادعائه العلم فسر رحمه الله معنى الاستفهام في ﴿أو لم يعلم﴾ على وجهين الوجه الأول مبني على صرفه إلى التعجيب والتوبيخ فالمعنى أن الغرور بالقوة وكثرة المال مع

---

(١) هذا بناء على أن المعطوف عليه المقدر عنده مثل هذا العلم كما قال أي أعنده مثل هذا العلم ولم يعلم هذا تختلف العبارات باختلاف الاعتبارات.

(٢) أشار إلى أن تنكير علم للتعظيم والظاهر أنه مستفاد من الفحوى.

(٣) إشارة إلى ما عطف عليه لم يعلم.

besturdubooks.wordpress.com

العلم الذي ادعى ولم يعلم هذا حتى بقي[١] به نفسه مصارع الهالكين) بنفي هذا متعلق برد والمراد بهذا العلم علم أن الله قد أهلك وبين القولين نوع تنافر وحاول البعض دفعه فقال نفي العلم لعدم جريه على موجب العلم ويرد عليه أن العلم الذي ادعاه كذلك[٢] فالأولى في التوفيق أن المراد بالأول ما بين إهلاكهم في التوراة وبالثاني ما لم يبين إهلاكهم في التوراة ولم يسمع من أرباب التواريخ والمتبادر من أشد قوة القوة الجسمية لكن الظاهر أن المراد القوة المعنوية قوله وأكثر جمعاً كالعلة لما قبله سواء أريد به جمع المال أو جمع الرجال أو مجموعهما.

قوله: (سؤال استعلام فإنه تعالى مطلع عليها أو معاتبة فإنهم يعذبون بها بغتة)[٣] سؤال استعلام أي ذكر مطلق السؤال وأريد المقيد بقرينة قوله ﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾ [الحجر: ٩٢] فالنفي والإثبات لم يردا على نسبة واحدة فلا تدافع أو باعتبار زمانين أو مكانين وما ذكره المص[٤] أولى إذ المتبادر من النفي عموم الأزمان والمكان والتخصيص ببعض الأزمنة والأمكنة ربما يؤدي إلى الخلل بتمسك المخالفين في بعض الأمور بذلك التخصيص إلا أن يوجد قرينة على ذلك.

قوله: (كأنه لما هدد قارون بذكر إهلاك من قبله ممن كانوا منه وأغنى أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لا

العلم بأن عاقبة الأمر الهلاك أمر متعجب منه والوجه الثاني مبني على صرفه إلى الإنكار أي ليس له علم ادعى به التفوق والفضل على الناس وبه استحق ما أوتيته إذ لو علم ذلك لعلم أنه هالك مستدلاً بهلاك من هو فائق عليه في القوة والمال ممن تقدمه وقوله أعنده مثل ذلك العلم هذا تصوير وتقدير للمعطوف عليه للواو في أو لم يعلم فالمنكر بالهمزة جمع العلمين أي ليس عنده كلا العلمين إذ لو كانا عنده لعلم هلاك من هو أشد منه قوة ومالاً وصان نفسه بهذا العلم أن يقع في مهالك الهالكين قبله.

قوله: أو معاتبة عطف على استعلام أي لا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام ولا سؤال معاتبة أما الأول فلأن الله تعالى عالم بذنوبهم مطلع عليها لا يحتاج إلى الاستعلام منهم وأما الثاني فلأنهم يعذبون بذنوبهم بغتة لا يؤخر تعذيبهم باعتراض زمان السؤال وفي الكواشي لا يسألهم الملائكة سؤال استعلام بل سؤال توبيخ قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال وقال مجاهد يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

قوله: أكد ذلك بأن بين أنه لم يكن ما يخصهم أي لما هدد قارون بإهلاك من قبله أكد

---

(١) غاية للمنفي والنفي متوجه إلى الغاية والمغيا.

(٢) إلا أن يقال إن في الأول لا يتزل علمه منزلة العدم وإن لم يعمل بموجبه.

(٣) أي فلا سؤال فلا ينافيه تأخير العذاب.

(٤) وهذا لا يلائم المعنى الثاني فالوجه الحمل على اختلاف المواطن.

besturdubooks.wordpress.com

محالة) كأنه الخ بيان ارتباطه بما قبله وإنما قال كأنه لأنه عادته إذ الجزم في بيان مراده تعالى مشكل ما لم يقم عليه دليل قوي أوضح الدلالة قوله وأعتى من العتو أكد جواب لما ذلك أي[1] التهديد.

قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

قوله: (فخرج) عطف على قال وما بينهما اعتراض لأجل التوبيخ والفاء للتعقيب مع السببية إذ القول المذكور اغتراراً وافتخاراً مسبب للخروج على هذا الوجه على قومه أي مستعلياً عليهم ومتكبراً ولذا عدي بعلى في زينته حال من الفاعل أي كائناً في زينته وهذا أبلغ من متزيناً حيث جعل الزينة ظرفاً له مجازاً كأنها أحاطت به من قرنه إلى قدمه.

قوله: (كما قيل إنه خرج على بغلة شهباء عليه الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه) كما قيل الخ بيان لفرط زينته الأرجوان بضم الهمزة والجيم الحمرة والأحمر معرب أرغوان أي جله من حرير أحمر في نسخة عليه أي على قارون وعليها أي على بغلة وقيل وعليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيهم المعصفر كما في الكشاف.

قوله: (على ما هو عادة الناس من الرغبة) المراد المؤمنون قالوا على ما هو مقتضى

ذلك التهديد بأن إهلاكنا لم يكن شيئاً يخصهم أي يخص الماضين المهلكين قبله بل يصيب إهلاكنا كل من أذنب وأجرم ونحن نطلع على ذنوب المجرمين لا نسألهم عنها بل نعذبهم ونعاقبهم عليها يعني أن هذه الجملة تذييل للكلام السابق فإن قوله: ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون﴾ [القصص: ٧٨] تهديد لقارون ووعيد له بالهلاك وقوله ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ كقوله: ﴿والله بما تعملون عليم﴾ [البقرة: ٢٨٣] في كونه عالماً بها لا يحتاج إلى سؤالهم عنها وفيه تهديد بالهلاك بسبب الإجرام لكل مجرم وهو منهم فكان تأكيداً له وجيء بالواو فعد تذييلاً واعتراضاً ولولا اعتبار كونها اعتراضاً على وجه التذييل لكان الواجب ترك الواو لكونها تأكيداً وبياناً لما سبق.

قوله: كما قيل إنه على بغلة شهباء عليه الأرجوان الأرجوان معرب من ارغوان وهو شجر له نور أحمر وكل لون يشبهه فهو ارجوان وقيل هو الصبغ الأحمر وقيل عربية والألف والنون زائدتان كذا في النهاية وذكره الجوهري في معتل اللام وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين ألفاً عليهم المعصفرات وهو أول يوم رؤي فيه المعصفر.

قوله: على زيه الزي اللباس والهيئة

---

(١) كونه تهديداً باعتبار أنه ألقى هذا على قارون بلسان موسى عليه السلام وكونه مذكوراً في التورية بعيد.

besturdubooks.wordpress.com

البشرية من الرغبة في سعة المال على عادة الناس متعلق بحسب المعنى[١] يقال بطريق المزج وهذا ليس بممدوح فالأولى أنه متعلق بمقدر أي قالوه على عادة الناس اختير الموصول لعدم علم المخاطب سوى الصلة وفيه بيان أن من وفقه الله تعالى لا يريدون الحياة الدنيا لسرعة فنائها وزوال نعيمها فلم يقولوا ذلك كما نطق به قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾ [القصص: ٨٠] الآية.

قوله: (تمنوا مثله لا عينه حذراً عن الحسد) لأجل[٢] الغبطة حذراً عن الحسد إذ الغبطة تمني مثل نعمة صاحبه من غير أن تزول عنه والحسد تمني زوال نعمة المحسود وذكروا المثل تنصيصاً على كونه غبطة ولذا روي عن قتادة أنهم تمنوا ليقربوا به إلى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير لكن قوله يريدون الحياة الدنيا يأبى عنه نوع الإباء ولهذا روي أن المتمنين كانوا كفاراً فعلى هذه الرواية يجوز أن يكون تمنيهم مثله لا عينه لأن الاعراض تتبدل بتبدل المعروض ويلائمه قوله ﴿إنه لذو حظ عظيم﴾ فإنه تعليل لتمنيهم وتأكيد له وينصره قول الفقهاء ين الأعيان تتبدل بتبدل المالك فالأولى أن يكون تمنيهم مثله لأن تمني عينه ليس بصحيح كما عرفته **(من الدنيا)**.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾

قوله: (بأحوال الآخرة للمتمنين) هذا يؤيد كون المتمنين كافرين.

قوله: (دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضي) دعاء بالهلاك أي في الأصل لكنه ليس بمراد في مثله لقيام القرينة عليه مثل قوله عليه السلام ثكلتك أمك يا معاذ[٣] الحديث والمراد الزجر عن مثل هذا التمني مجازاً ملحقاً بالحقيقة.

قوله: (ثواب الله في الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحاً) فلم لا تكتفون بتمني الباقي بالمداومة على العمل العالي أو فلم لم تؤمنوا حتى تنالوا ثواب الآخرة.

قوله: (مما أوتي قارون بل من الدنيا وما فيها) فأفعل التفضيل بمعنى أصل الفعل أو من قبيل الصيف أحر من الشتاء.

قوله: (الضمير فيه للكلمة التي تكلم بها العلماء أو للثواب فإنه بمعنى المثوبة أو الجنة أو للإيمان والعمل الصالح فإنهما في معنى السيرة والطريقة) الضمير للكلمة وهي ثواب الله خير فالمعنى ولا يلقى مدلولها قوله أو ثواب الله دليل على ما ذكرناه أو الجنة

---

(١) أو متعلق بيريدون وهو الملائم لعادة الناس لما فيه في المضارع على الاستمرار التجددي كذا قيل وأنت تعلم ضعفه في أصل الحاشية.

(٢) قيده به لأنه لا يلزم من إرادتها لذاتها ويؤيده ما روي عن قتادة وهو التقرب.

(٣) تمامه وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد السنتهم.

besturdubooks.wordpress.com

الدال عليها الثواب أو للإيمان الخ وهذا سبب الثواب فأحدهما مستلزم للآخر لكن التلقي بالثواب في الآخرة والإيمان والعمل في الدنيا.

قوله: (على الطاعات وعن المعاصي)[1] هذا على تقدير كون المراد الثواب قوله وعن المعاصي إن أريد الإيمان والعمل الصالح تعدية الصبر وهو حبس النفس بعلى في الأول لكونه بالعكوف عليها وعن في الثاني لكونه بالاجتناب عنها وفي الكشف الصبر حبس النفس وهو كف وثبات فلذا عدي تعديتهما بعن وعلى إذ له متعلقان ما انقطع عنه وهو المعصية وما اتصل به وهو الطاعات.

قوله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ۝٨١﴾

قوله: (﴿فخسفنا به﴾) الباء للملابسة فخسف الأرض ملابسة به وبداره مستلزم لخسفه وخسف داره.

قوله: (روي أنه كان يؤذي موسى عليه السلام كل وقت وهو عليه السلام يداريه لقرابته) روي الخ. رواه الطبراني عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان يؤذي موسى لحسده كما مر كل وقت أي في كل وقت يمكن الإذاء فيه وهو أي موسى عليه السلام يداريه إذ المداراة من محاسن الأخلاق لقرابته لا لعجز المقاومة.

قوله: (حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه واستكثره فعمد إلى أن يفضح موسى عليه السلام بين بني إسرائيل) حتى نزلت الزكاة الخ الظاهر أنه لم ينزل التوراة قبل ذلك فنزلت ونزلت الزكاة لأن نزول التوراة جملة لا منجماً والقول بأنه بالوحي الغير المتلو غير بعيد وكذا الصلح المذكور يجوز أن يكون بالوحي الغير المتلو في شأن[2] قارون والقول بأنه كان جائزاً في شرعه ضعيف لأنها لا تكون من الأغلال التي كانت عليهم وقد عد علماؤنا أن الزكاة في شرع موسى عليه السلام ربع أموالهم وأنها من جملة الأغلال صرح به المص في أواخر سورة البقرة.

قوله: (ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيباً فقال

قوله: فبرطل بغية أي رشا امرأة بغية جعل لها ألف دينار وقيل طشتاً من ذهب مملوءة ذهباً فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وإن احصن رجمناه فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وأنزل التورية

---

(١) فالمراد بالصابرين المشارفون للصبر حينئذ.

(٢) إذ الاحتمال الأول لا يلائمه قولهم إن قارون أراد التوراة وأعلمهم ويرد على الثاني أنها لم تذكر في التورية على هذا وفيه ما فيه.

besturdubooks.wordpress.com

من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال إن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فأحضرت فناشدها موسى عليه السلام بالله أن تصدق فقالت جعل لي قارون جعلاً على أن أرميك بنفسي) ليرفضوه أي ليترك بنو إسرائيل اتباعه فبرطل أي أعطى البرطيل بكسر الباء وهو الرشوة واستعملوا البرطيل في الرشوة وإن لم يوجد في كلام العرب القديم والبغية الزانية ورميها أن تقول إنه عليه السلام زنى بها كما سيجيء قوله ولو كنت أي ولو كنت أنت زانياً ترجم إذ لا احتمال للأول لكونه محصناً وكذا الكلام في قوله عليه السلام ولو كنت فناشدها أي اقسم عليها بالله أن تصدق أي لأن تتكلم بالصدق ما سبب ذلك فقالت جعلا بضم الجيم وسكون العين أي رشوة وهي المرادة وأصل الجعل الأجرة وذلك الجعل ألف دينار وقيل طشتا من ذهب مملوءة ذهباً.

قوله: (فخر موسى شاكياً عنه إلى ربه فأوحى إليه أن مر الأرض بما شئت فقالت يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبته ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه فأوحى الله إليه ما أفظك استرحمك مراراً فلم ترحمه) فخر موسى أي سقط[1] على الأرض ساجداً متضرعاً إلى ربه وفيه دليل على أن المتضرع ينبغي أن تكون مناجاته في السجدة فاستجيب له فقال يا أرض خذيه فأخذته إلى ركبته ثم قال خذيه فأخذته إلى وسطه ثم قال خذيه فأخذته إلى عنقه قال خذيه فأطبقت عليه فأشار إليه المص إجمالاً وكان قارون يتضرع إليه في هذه الأحوال فلم يرحمه بالعفو لشدة غضبه في الله تعالى حيث أسنده الأشنع من قبائح الإنسان قيل فعذب بما يناسب ما افتراه من الجريمة ولا يخفى أن من قذف محصناً يرجم بخسف الأرض ما أفظك افعل التعجب من فظ إذا غضب شديداً.

أن تصدقي فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلاً على أن اقذفك بنفسي فخر موسى ساجداً يبكي وقال يا رب إن كنت رسولك فاغضب لي فأوحى الله إليه أن مر الأرض بما شئت فإنها مطيعة لك فقال يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعاً غير رجلين ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم إلى الركب قال خذيهم فأخذتهم إلى الأوساط ثم قال خذيهم فأخذتهم إلى الأعناق وقارون وأصحابه يتضرعون إلى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت إليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم وأوحى الله إلى موسى ما افظك استغاثوا بك فلم ترحمهم أما وعزتي لو إياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريباً مجيباً فاصبح بنو إسرائيل يتناجون بينهم دعا موسى ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف الله بداره وأمواله.

---

(١) قيل وفيه أن من سب الأنبياء يقتل أي حداً لا كفراً ولذا يقتل وإن تاب بعد الأخذ وأما لو تاب قبل الأخذ ففيه خلاف والتفصيل في شفاء قاضي عياض مع شروحه.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وعزتي وجلالي لو دعاني مرة لأجبته ثم قال بنو إسرائيل إنما فعله ليرثه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وأمواله) وعزتي لو دعاني الخ لكن الله تعالى صرفه عن هذا الدعاء لأنه مقضي حتماً قوله حتى خسف بداره(١) وأمواله ولم يذكر خسف الأموال في النظم الجليل لاستلزام خسف الدار خسفها.

قوله: (أعوان مشتقة من فأوت رأسه إذ أميلته) سميت الجماعة به مطلقاً لميل بعضهم إلى بعض وتخصيصه هنا بالأعوان لقوله: ﴿ينصرونه﴾ [القصص: ٨١] الخ (فيدفعون عنه عذابه).

قوله: (وما كان من المنتصرين(٢) الممتنعين عنه من قولهم نصره من عدوه فانتصر إذا منعه منه فامتنع) وما كان من المنتصرين من قبيل التكميل والكلام للدوام في النفي وما فهم من بيانه أنه من قبيل التذييل قيل إنه محذوف اللام فوزنه فعة وقال الراغب إنه محذوف العين فوزنه فلة وأنه من الفيء وهو الرجوع لأن بعضهم يرجع إلى بعض وهذا غير ما اختاره المص وهو أصله فئوة حذفت الواو فصار فئة وأصله على هذا فيئة فحذف الياء فصار فئة.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

قوله: (منزلته) أي مثل منزلته من الدنيا بقرينة قوله مثل ما أوتي قارون ولم يحمل المثل هنا على الإقحام بقرينة قوله مكانه لحسن الظن بهم حيث لم يحسدوا بل كانوا يغبطون لأنهم المؤمنون وقد عرفت أنه قيل إنهم كافرون فالأولى ما بيناه سابقاً أن الأعيان تتبدل بتبدل الملك فالتمني لا يكون إلا بالمثل ألا يرى أن الغني لا يتناول الزكاة وبعد إعطاء الفقراء يتناوله لتبدله.

قوله: (منذ زمان قريب) جعله مجازاً عن القرب لعدم الجزم بتحقق معناه الحقيقي فيراد به القرب بطريق عموم المجاز الشامل للحقيقي والمجازي فيتناول المعنى الحقيقي أيضاً ولا مجال لإنكار تناول زمان قريب الأمس الحقيقي لكنه لم يحمله عليه بخصوصه لما مر من أنه لا جزم به ولا دلالة للفاء في فخسفنا عليه جزماً بل ظناً.

قوله: (يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهو أن يوجب القبض) معنى يقدر هنا ضد يبسط أي يضيق.

---

(١) والمأخوذ بالخسف قارون ورجلان آخران كما في الكشاف.

(٢) وهذا معلوم مما سبق لكنه ذكر تنبيهاً على أن أحداً لا يقدر على دفع عذاب الله سوى الله تعالى إذ المعنى لا يقدرون نصرته ولا امتناعه عن أخذه والظاهر أن الفاء تعليلية وكونها للفصيحة غير ظاهر أو للترتيب في الذكر أو للجزاء أي إذا خسفنا فما كان له من فئة فإن الخسف وإن لم يكن سبباً له لكنه سبب لإخباره.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (وويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه) للتعجب الناشيء عن التحسر والندامة وهو المراد هنا ولعل هذا مراد الإمام الراغب بقوله ويكون للتحسر والتندم أيضاً وهي اسم فعل عند الخليل وسيبويه مثل صه ومعناه أعجب ونحوه كما عرفته ولذلك قال صاحب الكشاف وهي كلمة تنبيه على الخطأ ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم بقوله يا ليت لنا الخ وكأن للتشبيه ولم يلتفت إلى ما نقل عن ابن جني من أن الكاف على هذا المذهب خالية عن التشبيه كما في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ [الشورى: ١١] لأن التشبيه هنا معتبر يفيد المبالغة كما ستعرفه.

قوله: (والمعنى ما أشبه الأمر أن الله يبسط) قيل وفي تشبيه الأمر المطلق بما شبه به دلالة على أن الحال كذلك لا محالة فكأنه في التحقيق والشهرة بحيث يصح أن يجعل مشبهاً به لكل أمر ففيه من المبالغة في تحققه ما لا يخفى انتهى كون الأمر مشبهاً به من أين يستفاد ومقتضى القاعدة كون اسم كان مشبهاً وهو الله تعالى وخبره مشبهاً به وهو يبسط إلا أن يقال إن ضمير الشأن محذوف بقرينة قوله ويكأنه لا يفلح الكافرون والشأن الأمر والحال ولما كان في إطلاقه مبالغة لم يقيد بأمر قارون وأنه يدخل فيه دخولاً أولياً فإن نوقش بأنه لم يسمع في مثل هذا الكلام حذف ضمير الشأن قلنا يكفينا بإشارة الشيخين إلى ذلك.

قوله: (وقيل من ويك بمعنى ويلك وإن وتقديره ويك اعلم أن الله) وقيل من ويك

قوله: ويكأن عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه وفي الكشاف وي مفصولة عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطأ وتندم ومعناه أن القوم قد تنبهوا على خطئهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وتندموا ثم قالوا كأنه لا يفلح الكافرون أي ما أشبه الحال بأن الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين أن ويك بمعنى ويلك وأن المعنى ألم تعلم أنه لا يفلح الكافرون ويجوز أن يكون الكاف كاف الخطاب مضمومة إلى وي كقولك ويك عتر أقدم وأنه بمعنى لأنه واللام لبيان المقول لأجله هذا القول أو لأنه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف إلى هنا كلامه قال ابن جني وي على مذهب الخليل وسيبويه اسم قد سمي به الفعل فكأنه اسم أعجب ثم ابتدأ فقال كأنه وكان فيه رعاية من معنى التشبيه انشد أبو علي:

كأنني حين أمسي لا يكلمني ... مقيم يشتهي ما ليس موجودا

وفي المطلع قال علي بن عيسى شبهت حال الكافرين بحال من لا يفلح لأنك إذا قلت كان هذا الكافر لا يفلح فهم من ذلك أن حاله كحال من لا يفلح هذا تقرير كلام الكشاف لكنه مفتقر إلى مزيد بيان فنقول إنه أبرزه مبرز فعل التعجب لما في وي من معنى التعجب وأشار بقوله الحال إلى أن الضمير في كأنه للحال أي للشأن والباء في بأن صلة أشبه فالمعنى ظهر لنا أن حال قارون وهي استمتاعه بالدنيا واغتراره بزهرتها ثم خسفه بالأرض وشأنه أن الكافرين لا يفلحون.

قوله: وقيل من ويك بمعنى ويلك وأن تقديره ويك اعلم أن الله أي ﴿ويك أعلم أن الله يبسط﴾ [الزمر: ٥٢] الآية حكى صاحب المطلع عن خلف الأحمر أن ويك بمعنى ويلك

besturdubooks.wordpress.com

بمعنى ويلك فحذف اللام للتخفيف وإن أي ويكان مركب من ويك وإن والعامل في أن اعلم المقدر ولذا فتحت همزة إن وهذا مذهب الكوفيين ويلك هنا أيضاً للتحسر والندامة لا يراد الدعاء بالهلاك وهذا الوجه أوضح معنى لكن الأول أبلغ معنى ولذا قدمه ورجحه والكاف في ويك مجرور بالإضافة على هذا الوجه.

قوله: (فلم يعطنا ما تمنينا) فلم يعطنا عطف على من الله أي لولا إن لم يعطنا موجود فانتفاء الخسف لوجود عدم الإعطاء ولو أعطاه لخسف بنا.

قوله: (لتوليده فينا ما ولده فيه فخسف بنا لأجله وقرأ حفص بفتح الخاء والسين) لتوليده الضمير لما يتمناه أي لإيجابه فينا ما أوجبه الخ والتوليد مستعار لهذا الاقتضاء.

قوله: (لنعمة الله أو المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الآخرة) لنعمة الله تعالى فهو كفران النعمة هذا ناظر إلى كون المتمنين المؤمنين قوله أو المكذبون فهو ناظر إلى كونهم كافرين والمنفي الفلاح رأساً على هذا وعلى الأول المنفي الفلاح الكامل قوله وقرأ حفص وهي قراءة يعقوب وعاصم وشعبة[1] أيضاً.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾

قوله: (إشارة تعظيم كأنه قال تلك الدار التي سمعت[2] خبرها وبلغك وصفها) إشارة تعظيم هذا مستفاد من صيغة البعد المستعار لعلو الرتبة بمعونة القرينة إذ قد تستعمل للتحقير كما في قوله تعالى: ﴿فتلك مساكنهم﴾ [القصص: ٥٨] الآية قوله كأنه قال الخ إشارة إلى وجه كونها معرفة وإلى أن بشهرتها نزلت منزلة المحسوس هذا إن كان بعد سمع خبرها والخطاب للرسول عليه السلام ويحتمل العموم وإن كان قبل سمعه نزل تمكنه السمع منزلته.

فحذف اللام استخفافاً ونصب أن الله بفعل مضمر تقديره ويك اعلم أن الله قال الزجاج هذا خطأ من غير وجه إذ لو كان كما قال لكانت إن مكسورة كما كانت مكسورة حين لم يحذف اللام لأنه يقال ويلك إنه لا يفلح والصحيح ما ذكره سيبويه عن الخليل ويونس أن وي مفصولة من كان والقوم تنبهوا فقالوا وي متندمين على ما سلف منهم وكل من تندم أو ندم فإظهار ندامته أو تندمه أن يقول وي كما يعاتب الرجل على ما سلف فيقول وي كأنك قصدت مكر وهي قوله إشارة تعظيم وجه التعظيم أنه نزل بعد المرتبة والمكانة بمنزلة بعد المكان فاستعمل لفظ تلك الموضوع للإشارة إلى البعيد.

---

(١) وعليها فالمفعول محذوف أي خسف الأرض بنا أي ملابسة بنا.

(٢) قوله التي سمعت الخ إشارة إلى وجه كون لام الدار للعهد وإضافة خبر إلى ضمير الجنة لأدنى ملابسة وصف الجنة بقاؤها وشرافتها ووسعتها وكثير نعمها وإن عمم إلى الوصف في اصطلاح الفقهاء وهو الجوهر الذي يزيد حسناً يتناول الحور العين والولدان والغلمان والأشجار والأثمار والأنهار وغيرها.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (والدار صفته والخبر نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض غلبة وقهراً ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون) والدار صفته فيكون مشاراً إليها هنا تصريح بما علم التزاماً والصفة قد تكون جامداً إذا كان وضعه لغرض المعنى وهنا المراد أنها كاملة في الدراية والمسكنية نجعلها حكاية حال ماضية بقرينة أعدت للمتقين وله نظائر كثيرة وقصة آدم عليه السلام قرينة على وجود الجنة أيضاً فلا يقال صيغة الماضي لتحقق وقوعها كما أراد فرعون وقارون إشارة إلى ارتباطها بما قبلها وهذا أبلغ من الذين لا يعملون ولا يفسدون إعادة لا للتنبيه على أن كلا منهما مقصود بالنفي لا المجموع من حيث المجموع.

قوله: (المحمودة) وقد مر توضيحه في تفسير قوله تعالى: ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ [الأنعام: ١٣٥].

قوله: (ما لا يرضاه الله) نبه به على أن المراد بالتقوى المرتبة الوسطى لا الأولى.

قوله: ظلماً على الناس كما أراد فرعون وقارون قال صاحب الكشاف ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهبت الأماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتى قبض ثم قال ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقاً بقوله: ﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ [القصص: ٤] ﴿ولا تبغ الفساد في الأرض﴾ [القصص: ٧٧] ويقول من لم يكن مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] كما تدبره علي والفضيل وعمر رضي الله عنهم إلى هنا كلامه قال صاحب الانتصاف وهو تعريض بأهل السنة في أن كل موحد من أهل الجنة وإنما طمعوا فيما أطمعهم الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ حيث قال من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق قالها ثلاثاً وفي الثالثة وأن رغم أنف أبي ذر وقال الطيبي في جوابه لا شك أن العلو في الأرض الاستكبار على الله تعالى والاستطالة على الناس والإفساد إخراج الشيء عن كونه منتفعاً به روى محيي السنة علواً استكباراً عن الإيمان واستطالة على الناس وتهاوناً بهم وفساداً بأخذ أموال الناس بغير حق والعمل بالمعاصي وأما ما رواه عن علي رضي الله عنه أن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها فإنه مناقض لما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس يعني أن يرى الحق سفهاً وجهلاً ويحتقر الناس فقوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] لا ينافي تفسير المنقول من أهل السنة لأن المراد من لم يكن مثل فرعون وقارون من المؤمنين والمتقي ههنا هو المتقي من علو فرعون وقارون لأن قوله: ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] تذييل لما سبق هذا وقالوا إن التأويل الذي يعتمد عليه هو ما يساعده النظم فإن هذه الآية كالتخلص من قصة موسى وقومه مع قارون وبغيه واستطالته عليهم ثم هلاكه ونصرة أهل الحق عليه إلى قصة سيدنا صلوات الله عليه وسلامه وأصحابه مع قومه واستطالتهم وإخراجهم إياه من مسقط رأسه ثم اعزازه بالإعادة إلى مكة شرفها الله تعالى وفتحه ﷺ اياها

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

قوله: (من جاء بالحسنة) كالبيان للمتقين[1] ولذا ترك العطف والمراد بالحسنة جميع المبرات ويدخل فيها الاجتناب عن المنكرات ولم يقل من عمل بالحسنة لأن النافع المجيء بأن لا يبطل.

قوله: (ذاتاً ووصفاً وقدراً) ذاتاً إذ المراد بها الجنة ولا مناسبة بين زخارف الدنيا ونفائس الجنة في الذات والحقيقة وأن الأعمال الصالحة اعراض غير باقية ونعيم الجنة باقية فلا تقارب بين الخسيس والشريف وأما لقدر فلأن الحسنة تضاعف بالعشرة إلى سبعمائة وأما وصفاً فلأن ثواب الآخرة أبقى وأمور الدنيا فانية وقد مر تفصيله في أواخر سورة النمل.

قوله: (وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجيناً لحالهم بتكرير إسناد السيئة إليهم) وضع فيه الظاهر الخ أي مع كونها جمعاً زيادة تهجين حالهم الظاهر أن المراد بالسيئة الكفر والجمع لتعدد فنون الكفر والضلال أو المراد الأسباب المؤدية إلى الكفر كالجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه فإن المتبادر ممن جاء بالحسنة العموم إلى عصاة الموحدين والتهجين بتكرر إسناد السيئة إليهم للتنصيص على سوء أحوالهم مرتين وعن هذا عبر بالسيئة دون المكر ونحوه مع مراعاة المقابلة وتوحيد الحسنة وجمع السيئة لأن الحق واحد وطرق الضلال متعددة كما عرفته.

منصوراً مؤيداً مكرماً وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ [القصص: ٨٥] أي إلى مكة وإذا تقرر هذا ينبغي أن يفسر العلو والفساد بما اشتمل عليه قصة قارون فالعلو فرحه بالدنيا من قولهم لا تفرح وبطر الحق قوله: ﴿إنما أوتيته على علم عندي﴾ [القصص: ٧٨] وغمطة الناس في قوله: ﴿وخرج على قومه في زينته﴾ [القصص: ٧٩] والفساد البغي والظلم حتى قال قائلهم يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم فإنه إفساد عظيم في الدين فالأنسب لهذا السوق أن يراد بالمتقين من لم يكن مثل فرعون وقارون من المؤمنين ويفسر المتقي بمن يتقي من مثل علو فرعون وفساد قارون لا بما أراد به صاحب الكشاف.

قوله: ذاتاً وقدراً ووصفاً أي ذاته خير من ذاتها لأن أكثر الحسنات بل كلها من قبيل الإعراض فإن المراد بها الأعمال الصالحة والعمل عرض غير قار الذات والبدل الذي يعطى في الآخرة أكثره بل كله من قبيل القائم بالذات من الأعيان والجواهر كالحور والجنات وثمراتها وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت والقائم بالذات خير من الغير القائم والجوهر من العرض ذاتاً وكذا قدر البدل المعطى في الآخرة خير من قدرها أي أكثر عدداً منها إذ يعطى بدل حسنة واحدة عشر أمثالها إلى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء وكذا وصف البدل خير من وصفها من حيث إن البدل ألذ وأبقى.

---

(١) ﴿والعاقبة للمتقين﴾ هنا تذييل مقرر لما فهم من قبله.

besturdubooks.wordpress.com

قوله: (أي الأمثل ما كانوا يعملون فحذف المثل وأقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة) فهذا أبلغ من قوله تعالى ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها﴾ من وجهين وجه المبالغة في المماثلة اتحاد العينية وفيه مبالغة أخرى وهي ذكر عملوا ثانياً دون جاؤوا لأن فيه إشارة إلى أن عملهم عن قصد إذ العمل يخصه كما قاله الراغب كذا قيل ويرده قولهم الأعمال الاضطرارية مضطرون في اختيارنا فالأولى أن الجزاء للعمل دون المجيئة لكن بشرط عدم الإحباط فلذا ذكر جاء أولاً وعملوا ثانياً.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾

قوله: (أوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه) وللتعميم إلى هذه الأمور الثلاثة قيل فرض عليك القرآن إذ لا معنى لفرض نفس القرآن لكن أوقع الفرض عليه للتعميم أي إن الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثواباً لا يحيط به الوصف كما في الكشاف.

قوله: (أي معاد وهو المقام المحمود الذي وعدك أن يبعثك فيه) أي معاد أشار إلى أن تنكير[1] معاد للتعظيم وهو المقام المحمود الخ فالرد حينئذٍ لكونه موعوداً كما قال الذي وعدك الخ والمراد الشفاعة العظمى أي ليست لغيره عليه السلام من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين أو المراد به مقامه الذي وعده في الجنة والأول هو المناسب لقوله إلى معاد لأن المعاد كالحقيقة في المحشر لأنه ابتداء العود إلى الحياة فإن العود الرد إلى ما كان عليه والمحشر كذلك والقول بأن الصحيح ما أشار إليه علي رضى الله تعالى عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ذلك الجنة التي كان فيها بالقوة في ظهر آدم ضعيف لأنه لا يختص به عليه السلام مع أن الكلام ما يختص به عليه السلام وإن كان هذا أنسب للمعاد لأن الرد إلى ما كان عليه من الحالة أظهر فيه إذ الحياة في الآخرة ليست عين الحياة في الدنيا حتى يقال إنه الرد على ما كان عليه.

قوله: (أو مكة التي اعتدت بها على أنه من العادة ورده إليها يوم الفتح كأنه لما حكم

قوله: أي الأمثل ما كانوا يعملون وإنما قدر المثل لأن المجازاة تكون بمثل العمل لا بنفسه فحذف المثل مبالغة في التشبيه كان جزاء العمل لشدة مناسبته له صار كأنه هو فهو في حذف المثل كحذف الكاف في زيد أسد مبالغة في وصف زيد بالشجاعة قوله أي معاد أي كامل في المعادية معنى الكمال مستفاد من معاد فإنه للتعظيم هذا إذا أريد بالمعاد الإنابة والرجوع إلى مقاماته العالية في الآخرة والاتصال بالقدسيين.

قوله: أو مكة التي اعتدت بها من الاعتياد على أن معنى معاد موضع تعود، قال الراغب:

---

(١) وفي الكشاف أي معاد ليس لغيرك.

besturdubooks.wordpress.com

بأن العاقبة للمتقين وأكد ذلك بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين) أو مكة الخ قوله اعتدت بها جعل المعاد حينئذٍ من العادة لا من العود بمعنى الرجوع كما في الأول فيكون المعنى لرادك إلى مكان اعتدته والفته فلو حمل على العود وهو بمعنى الرد لكان المعنى لرادك إلى رد وهو ركيك هذا إذا حمل المعاد على معناه الحقيقي وأما إذا حمل على المجازي كما يقتضيه كون الآية مكية أي لرادك إلى مكان وهو المكة المعظمة فيما سيأتي فهو مجاز أولى مع أن الراد مجاز لأنه أيضاً مجاز أولي أيضاً فيلزم ارتكاب المجاز بلا داع وأما إذا قيل إن الآية نزلت في جحفة فلا مجاز في المعاد لكن المعنى ركيك كما عرفته ولرادك مجاز أيضاً فلذا حمل المعاد مأخوذاً من العادة قيل يعني مكة أريد رده إليها يوم الفتح ولم يتعرض كون المعاد من العود أو من العادة والظاهر أنه جعل من العود ولو جعل المعاد اسم مكان من العود على أن يكون المعنى لرادك إلى محل رد تشتاق إليه لكان المعنى سديداً ثم قيل والسورة مكية لكن هذه الآية نزلت بالجحفة لا بالمكة ولا بالمدينة حين اشتاق إلى مولده ومولد آبائه ولا يخفى أن هذا الكلام يدل على أنه بعد الهجرة فكيف يكون السورة مكية والأحسن أن السورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في أذى وغلبة من أهلها أنه يهاجر منها ويعيده إليها ظاهراً ظافراً كما في الكشاف.

قوله: (روي أنه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق إلى مولده ومولد آبائه فنزلت) روي الخ مرضه لما ذكرناه قوله كأنه لما حكم الخ بيان ارتباط هذه الآية بما قبلها ووعده بالعاقبة الحسنى في الدارين هذا على التفسير الثاني وهو المراد بالعاقبة الحسنى في الدنيا والعاقبة الحسنى في الآخرة مستفاد من قوله ﴿والعاقبة للمتقين﴾.

قوله: (وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل يفسره اعلم) وما يستحقه

قيل: المراد بالمعاد مكة والصحيح ما أشار إليه علي رضي الله عنه، وذكره ابن عباس أن ذلك الجنة التي خلقه فيها في ظهر آدم وأظهر منه حيث قال: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ فإذا كان المراد بالمعاد مكة فالمعنى أن الذي حباك بنعمة الدين لا سيما بهذا النبي الكريم الذي دونه كل نعمة يمنحك فتح مكة ويردك إلى مسقط رأسك كما قال الله تعالى: ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ إلى قوله: ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ فقل لأعدائك موتوا كيداً ربي أعلم بمن جاء بالهدى منا ومنكم ومن هو في ضلال مبين، وينصر المهتدي ويخذل الضال وهو مالك الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء وكما كنت غير راج أن يلقى إليك هذا الكتاب لكن الله لرحمته الواسعة ألقاه إليك بذلك ينصرك على أعدائك هو وحده ويردك إلى معاد فتوكل عليه لا على غيره ولا تعتمد إلا عليه ولا تكونن ظهيراً للكافرين؛ وهذا هو الموافق لقوله رحمه الله فيما بعد في تفسير: ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ أي سيردك إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه ولكن ألقاه رحمة فيه.

قوله: ومن منتصب بفعل يفسره اعلم إنما لم يجعل نصبه باعلم لفقد شرايط عمل أفعل التفضيل فيه فنصبه بيعلم المقدر الدال عليه اعلم أي ربي يعلم من جاء بالهدى الآية.

besturdubooks.wordpress.com

من الثواب في الآخرة والنصر في الدنيا وهو المراد بالعاقبة الحسنى في الدارين فيه إشارة إلى أن المراد من ﴿ربي أعلم﴾ [القصص: ٨٥] الآية ما ذكر وتنبيه على ارتباطه بما قبله والمراد بمن جاء نفسه[١] عليه السلام ومن تبعه من وارثه قوله[٢] يفسره أعلم وهو يعلم لأن افعل التفضيل لا ينصب المفعول به.

قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾

قوله: (﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ [القصص: ٨٥] وما استحقه من العذاب والإذلال يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله: ﴿وما كنت﴾ [القصص: ٨٦]) الآية ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾ المشركون كما ذكره في قوله في ضلال مبين مبالغة حيث جعل الضلال ظرفاً له بحيث لا يرجى خلاصه وأما في الأول فترك المبالغة حيث لم يجيء بمن هو في هدى مبين وإن كان الأمر كذلك حيث خص نفسه النفيسة للتنبيه على أن استحقاق الثواب يتحقق بمجرد الاتصاف بالهدى فضلاً عن الاستغراق في تلك الخصلة.

قوله: (أي سيردك[٣] إلى معادك كما ألقى إليك الكتاب وما كنت ترجوه)[٤] أي سيردك إلى معادك أي بأي معنى كان قوله كما ألقى إليك الخ التشبيه في تحقيق ذلك الرد مع عدم رجاء كل منهما كما أن الإلقاء كان محققاً الآن يكون الرد المذكور إلى المقام المحمود أو البلد المحمود محققاً فيما سيأتي وهذا إشارة إلى كونه مقرراً لما قبله.

قوله: (ولكن ألقاه رحمة منه ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى كأنه قال

قوله: يعني به نفسه والمشركين أي يعني بمن جاء بالهدى نفسه ومن هو في ضلال مبين المشركين.

قوله: ويجوز أن يكون استثناء محمولاً على المعنى يعني من رأى نفسه أهلاً لشيء وأشعر بإمارة أو توهم بتخيله وبما تعلق رجاؤه بحصوله فإذا نفي رجاؤه انتفى حصوله بالكلية فقام نفي الرجاء مقام نفي الإلقاء، فكان معنى ﴿ما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ ما ألقي إليك الكتاب لأمر من الأمور إلا للرحمة، فانتصب رحمة الله أنها المفعول له.

---

(١) بيان ارتباط بما قبله كما صرح به في قوله وهو تقدير للوعد السابق وتقرير أيضاً للوعيد السابق.

(٢) وهو أبلغ من التصريح لأنه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب وتغيير الحرفين لأن الجائي بالهدى ملابس بالهدى ينظر به إلى الأشياء فيميز بين الحق والباطل كمن صاحب النور يميز به بين النافع والضار والضال كأنه منغمس في ظلام لا يرى شيئاً ومحبوس في مطمورة لا يستطيع أن يخلص منها وهذا أبلغ من قوله: ﴿إنك لعلى هدى﴾ لأنه فيه بيان أنه مكمل وكامل وفي القول المذكور بيان أنه كامل.

(٣) فحينئذٍ يكون مفعول أعلم محذوفاً أي اعلم كل شيء والظاهر أنه بمعنى المبالغة في نفسه.

(٤) أشار إلى أن لرادك للاستقبال فيكون مجازاً كما أشرنا إليه.

besturdubooks.wordpress.com

وما ألقي إليه الكتاب إلا رحمة أي لأجل الترحم) ولكن ألقاه الخ أي الاستثناء منقطع وتقدير ألقاه لاقتضائه ما قبله وله أن يكون استثناء محمولاً على المعنى فيكون الاستثناء متصلاً قوله كأنه قال وما ألقي إليك الكتاب لأن عدم رجاء الإلقاء يتضمن عدم الإلقاء ولذا قال كأنه قال وما ألقي إليك الكتاب لأجل شيء من الأشياء أو في حال من الأحوال إلا لأجل الرحمة وهذا يرجح الأول لكن عدم رجاء الإلقاء كونه متضمناً عدم الإلقاء منظور فيه ولذا ضعفه وقال ويجوز الخ.

قوله: ﴿(فلا تكونن ظهيراً﴾) أي دم على ذلك فإنه تهييج على الثبات عليه كما في نظائره.

قوله: (بمداراتهم والتحمل عنهم والإجابة إلى طلبتهم) بمداراتهم المؤدية إلى ارتكاب أمر غير حسن وإلا فالمداراة من أحسن الخصالات والتحمل عنهم ضمنه معنى التجاوز فعداه بعن قوله والإجابة إلى طلبتهم بكسر الطاء وسكون اللام أي مطلوبهم مما يخالف الوحي كما فصل في سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن﴾ [الإسراء: ٧٤] الآية وقوله تعالى: ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء: ٧٣] الآية ومنه قولهم إن تمتعنا باللات سنة وإن تحرم وادينا كما حرمت مكة.

قوله تعالى: وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾

قوله: (عن قراءتها والعمل بها) قد مر تفصيله في قوله ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ [القصص: ٨٥] الآية ولو زاد هنا والتبليغ أيضاً لكان أفيد هذا من قبيل الكنوي إذ المراد نهي الرسول عليه السلام عن صده عن آيات الله.

قوله: (بعد إذ أنزلت إليك) بعد وقت إنزالها وإذ يضاف إليه أسماء الزمان نحو حينئذٍ كما في الكشاف وفيه مبالغة من وجوه التعبير بالكناية والتعبير بالآيات مع التعبير بالقرآن أولاً والإضافة إلى لفظة الله للإشعار لعظم جرم الصد والتقييد بقوله بعد إذ أنزلت لأن الصد إنما يكون بعده فلا مفهوم ولو لم يجيء هذا القيد لتم المعنى لكن جيء به لبيان كمال قبح الصد.

قوله: (وقرىء ولا يصدنك من أصد) أي من الأفعال بمعنى صده أي منعه وفي الكشاف وهي في لغة كلب.

قوله: (إلى عبادته وتوحيده) إلى عبادته هذا العموم مستفاد من التعبير بربك لكن الأولى[1] تقديم التوحيد على العبادة (بمساعدتهم).

---

(١) قوله وما كنت ترجوه حال وإشارة إلى أن قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجو﴾ الآية حال مثل قوله جاءني زيد والشمس طالعة.

besturdubooks.wordpress.com

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قوله: (هذا وما قبله للتهييج[١] وقطع أطماع المشركين عن مساعدته لهم) وما قبله للتهييج أي للتحريض على الثبات على ذلك المنهي وحاصله الأمر بالدوام على عدم الإشراك كما نبهنا عليه آنفاً أو المراد أمر الأمة باكتساب المعارف المؤدية إلى الثبات على التوحيد وإلى الإعراض عن الإشراك على الوجه الأبلغ.

قوله: (لا إله إلا هو) جملة مؤكدة لما قبله ولذا اختير الفصل وليس صفة لأنها آخر لأن فيه من الفساد ما لا يخفى وعن هذا قيل الوقف على لفظ آخر لازم لأنه لو وصل لصار لإله إلا هو صفة لا لها آخر انتهى والملازمة ممنوعة والمستند ظاهر.

قوله: (إلا ذاته فإنه ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم الفضاء النافذ في الخلق للجزاء بالحق عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الأجر بعدد من صدق بموسى عليه السلام وكذب ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة أنه كان صادقاً) كل شيء هالك كالتأكيد لما قبله[٢] ولذا لم يعطف وإنما قال هالك لأنه هالك في حد ذاته فإن وجوده ليس ذاتياً قال المص في سورة الرحمٰن ولو استقرأت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته وهذا وجه آخر غير ما ذكره هنا فإن الوجه هناك بمعنى القصد[٣] وما ذكر هنا هو أن كل شيء هالك في حد ذاته وليس بمتجدد إذ كل ممكن في حد نفسه معدوم فذكر صيغة اسم الفاعل الدال على أن المراد الهلاك في المستقبل. **(عن النبي عليه السلام الخ)** موضوع كما مر في النظائر.

تمت سورة القصص وما يتعلق بها بعون الله تعالى ولطفه يوم الأحد في الضحوة

قوله: للتهييج أي لتحريك حمية رسول الله ﷺ في باب الدين وتصلبه فيه. هذا آخر ما أمليته من شرح تفسير سورة القصص فأحمد الله على أن وفقني إليه فالآن أشرع معتصماً بحبل الله المتين ومستفيضاً من نورة المبين في شرح ما في تفسير سورة العنكبوت، وهو يقول الحق ويهدي السبيل.

---

(١) والقرينة استحالته ولا يتصور منه حتى نهى عنه.
قوله تعالى ﴿ولا تدع﴾ تأكيد لقوله ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ ومع ذلك عطف عليه لأن فيه معنى زائداً لكونه مؤكداً بقوله: ﴿لا إله إلا هو﴾.

(٢) وكذا قوله: ﴿له الحكم﴾ مؤكد له أيضاً ولذا اختير الفصل.

(٣) وهنا المراد بالوجه ذاته تعالى هذا عند الخلف، وأما عند السلف فهو صفة له تعالى أصله معلوم وكيفيته غير معلوم واختاره إمامنا الإمام الأعظم.

besturdubooks.wordpress.com

الكبرى رابع ذي الحجة الشريفة وقد عقد الصلح في هذا الآن بيننا وبين أعدائنا عدو الدين، خذلهم الله تعالى إلى يوم الدين سنة ١١٨٨. اللهم ببركة القرآن المبين، كما أنجيت كليمك من القوم الظالمين نجنا برحمتك من القوم الكافرين، واستيلاء النفس والهوى والشياطين، فإنك أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين آمين آمين آمين.

تم الجزء الرابع عشر
ويليه الجزء الخامس عشر وأوله: سورة العنكبوت

besturdubooks.wordpress.com

فهرس محتويات

الجزء الرابع عشر
مــن
حاشية القونوي

besturdubooks.wordpress.com

الفهرس

سورة الفرقان

besturdubooks.wordpress.com

سورة الشعراء

besturdubooks.wordpress.com

سورة النمل

besturdubooks.wordpress.com

besturdubooks.wordpress.com

سورة القصص

besturdubooks.wordpress.com